

بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ ، وَأَنْسُ الْمَجَالِسِ وَشَحَذُ الذَّاهِنِ وَالْهَاجِسِ

تأليفُ

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الاول
من القسم الاول

تعقيب

محمد مرسي البخولي

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلميّة
بيروت / لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

هذا الكتاب موسوعة أدبية لعالم أندلسي كبير ، اشتهر في تاريخ الأدب الأندلسي كما اشتهر بين معاصريه : بالفقيه الحافظ المحدث ، ولكنه في الواقع لم يكن كذلك فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك رجلا موسوعي الثقافة ، وافر الاطلاع ، وهب حياته الطويلة للعلم وأخلص له ، ولم يفرق في إخلاصه هذا بين نوع وآخر من العلوم ، فهو كما وعى حديث الرسول الكريم واستوعب أصول الفقه ومسائله ، وألف فيهما من المؤلفات ما تكاد تقطع عند قراءته بأنه لا يحسن غيرها ، كذلك فعل بأنواع أخرى من العلوم ، كالأنساب والسير والتراجم والقراءات ، حتى الجغرافيا له فيها جميعاً مؤلفات قيمة ، يُعدُّ ما طبع منها مراجع ممتازة في أيدي الباحثين حتى اليوم .

وأخيراً فإن الأدب من بين هذه المعارف يحتل عنده مكانة بارزة ، وينال من جهده واهتمامه قدراً كبيراً ، كيف لا وهو في رأيه يلي في المرتبة كتاب الله وسنة رسوله ، ومعرفة آدابهما . لهذا نراه يقدم لنا كتابه هذا الذي أفرغ فيه خلاصة قراءاته وملاحظاته في ميدان الأدب ، أو كما يقول هو : « وجمعت فيه ما انتهى إليه حفظي ورعايتي ، وضمته روايتي وعنايتي » .

والحق أن ما انتهى إليه حفظ المصنف ليس شيئاً قليلاً ، فقد عاش أبو عمر عمراً مديداً قضاه كله في صحبة العلم ، والعيش في رحابه ، قارئاً وسامعاً ، معلماً ومؤلفاً ، ولهذا ليس غريباً أن يودع في كتابه نتيجة لهذا كل مختار منتقى من مآثور الأدب نظماً ونثراً ، مما كان سائد الطراز للمذاكرة في مجالس العلماء في عصره . من إنتاج المشرقين والأندلسيين على السواء ، فحفظ لنا بما جمعه بين دفتي كتابه تراثاً قيماً ، ضاعت الآن معظم مصادره الأصلية ، وكاد أن

يفدثر ويسحب عليه الزمن ذيل النسيان ، لولا أن ضم هو شمله ، وجمع شتاته ، وقدمه على مائدة الفكر زاداً شهياً لمن يأتي بعده من الأجيال .

والحقيقة أن هذا المصنف يحوى من الميزات الهامة ما سوف نتكلم عنه بالتفصيل فيما بعد ، ولكننى قبل هذا أستطيع القارىء عذراً فى أن أسجل فى هذه المجالة كلمة أرجع فيها الفضل لأهله .

ذلك أننى كنت شديد الاهتمام بالعمل فى هذا الكتاب وإخراجه إلى النور منذ فترة طويلة وذلك لعدة أسباب ، أهمها : مكانة المؤلف الكبيرة التى كان يتمتع بها بين علماء عصره ، والتى ما زالت تتمتع بها مؤلفاته بين جمهور العلماء والدارسين حتى اليوم .

ثانياً : حاجة الباحثين إلى كثير من مواد هذا الكتاب^(١) ، واضطرابهم إلى الرجوع إلى نسخته المخطوطة فى دار الكتب ، للاستعانة بها فيما يقومون به من دراسة أو تحقيق مع ما نعلمه جميعاً من صعوبة الرجوع إلى المخطوطات حتى على المتخصصين ، لتشتت موادها وعدم وجود الفهارس التى تساعد الباحث فى العثور على بغيته ، لهذا فقد قررت البدء فى تحقيقه ثم العمل على نشره .

هذا وحين أبدت تلك الرغبة لعدد من الأصدقاء المشتغلين فى هذا الحقل ، أظهروا جميعاً من التشجيع ما حفزنى على المضى فى تحقيقها .

غير أننى مع ذلك أشفت على نفسى من أمرين :

الأول : ضخامة الكتاب ووفرة مواده وتنوعها ، وصعوبة الحصول على المراجع الكثيرة اللازمة لتخرج أبياته والتعريف بما ورد فيه من أعلام ، حتى يرتفع التحقيق إلى مستوى مصنفه الكبير ، وتقديم كتابه فى الصورة التى تناسب ومكانته .

(١) انظر مثلاً التحقيق فى كتاب : جذوة المقتبس للحميدى ، تصحيح محمد بن تاووت الطنجى . وانظر كذلك كتاب : تاريخ الأدب الأندلسى ، عصر سيادة قرطبة ، تأليف الدكتور إحسان عباس ، فقد اعتمد كلاهما على المخطوطة فى التحقيق والدراسة .

الثانى : صعوبة نشره نظراً لهذه الضخامة وعدم ترحيب دور النشر بالكتب المطولة عامة .
لكننى بالنسبة للأمر الأول، إزاء حث الأصدقاء ورغبتهم المخلصة فى المعاونة ثم ما وجدته
فى متناول يدى بحكم عملى فى معهد المخطوطات من المراجع الممتازة ما بين مطبوعة ومخطوطة
قررت أن أمضى فى تحقيق الكتاب ، تاركاً أمر نشره إلى الظروف المناسبة .

والحق أن هذه الظروف قد أتت بأسرع مما كنت أتوقع ، إذ لم تسكد إدارة التراث
القديم بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ، تعلم بأمر عملى فى تحقيق هذا الكتاب حتى أبدى
المشرفون عليها استعدادهم لنشره فأسدوا إلى الكتاب يداً من الجميل لا تنسى .

ثم كانت من حسن حظى خاصة أن وكلت الإدارة أمر مراجعته إلى الأستاذ الدكتور
عبد القادر القط ، فقام على الأمر خير قيام ؛ وبذل من الجهد فى معاونتى فى تقويم النص وضبط
ما يحفل به الكتاب من شعر ، ثم ما كان يشير به من وضع التعليقات والشروح المناسبة ،
ما أذكره له بكل تقدير وإجلال .

فإليه ، وإلى الأصدقاء الأساتذة محمد رشاد عبد المطلب وإبراهيم شيوخ ، وسعيد
إسماعيل عبده أتقدم بخالص الشكر ، وجميل الثناء .

والله أسأل أن يجزينا بقدر ما بذلنا من جهد ، وأن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً إنه قريب
محبب .

المحقق

مقدمة

ابن عبد البر القرطبي (١)

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

٩٧٨ - ١٠٧١ م

ترد ترجمة ابن عبد البر في عدد وافر من الكتب ، ولكنها في الحقيقة ترجمة واحدة مكررة في هذه الكتب كلها ، فما تجده هنا تجده معاداً بأسلوب آخر هناك ، فإذا حذفنا من هذه الترجمات ما ذكره المترجمون له من كتبه ، وما أوردوه من بعض شعره ، لم تبق لنا بعد هذا إلا سطور قليلة ، تتضمن قليلاً من المعلومات التي يمكن أن نعرفها عن حياة الرجل .

والواقع أن ذلك لا يعد غريباً بالنسبة إلى حياة المؤلف ، فقد كانت في الحقيقة حياة علمية هادئة ، لم يتورط صاحبها في مشاكل السياسة ، ولم تكن له أبحاث في الفلسفة وهما بالذات الجانبان اللذان اهتم بهما مؤرخو الأندلس ، وأفردوا لأصحابهما ، وتفاصيل حياتهم الصفحات الطوال .

ولكن هذا الأمر — وإن لم يكن غريباً كما قلنا — يصعب المهمة التي نقوم بها من تقديم ترجمة وافية لحياة المصنف وأعماله ، ولهذا فسوف نحاول دراسة العصر الذي عاش فيه المؤلف وخاصة ما يتصل منه بحياته ونقدم من كل ذلك ترجمة أوفى — قدر الاستطاعة — مما قدمه لنا الأسلاف عنه ، مستوحين — في نفس الوقت — ما قدموه إلينا من نصوص ، وما خلفوه لنا من أخبار .

(١) ترجم له في : جذوة المقتبس ٣٤٤ ، بغية المتلمس ٤٧٤ ، الصلة ١/٦٤٠ - ٦٤٢ بروكلمان ملحق ١/٦٢٨ الديباج المذهب ٣٥٧ ، المغرب ٢/٤٠٧ ، ٤٠٨ ، وفيات الأعيان ٦/٦٤ ، مطمح الأنفس ٦١ ، شذرات الذهب ٣/٣١٨ ، تذكرة الحفاظ ٢/١٤٣ ، جمهرة الأنساب ٢٨٥ ، تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ٣/٦٦ ، إلى جانب بعض الكتب الفرعية الأخرى .

المؤلف : مولده ، ونشأته :

فى الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٦٨ هـ وعلى وجه التحديد ، وقت صلاة الجمعة والإمام يخطب على المنبر ، ولد أبو عمر لأب كان فقيهاً من فقهاء قرطبة ، ولم يقدر لذلك الشيخ أن تطول به الحياة حتى يرى ولده فتى رائعاً أو شاباً مكتملاً ، إذ مات فى عام ٣٨٠ هـ وابنه لم يتعد الثانية عشرة من عمره .

وقد نشأ أبو عمر فى قرطبة ، وإن كنا لا نعلم شيئاً عن كفله بعد وفاة والده ، كما لا نعلم أيضاً إن كان قد ترك له ذلك الوالد شيئاً من حطام الدنيا ، ولكننا نعلم يقيناً أنه تلقى تعليماً ممتازاً على أيدي جلة من علماء عصره ، وبرز وتفوق ، واستوعب كثيراً من علوم الفقه والحديث والتاريخ والأدب وغيرها ، فى بلده قرطبة ، أعظم المدن الأندلسية فى ذلك الوقت وأحفلها بالمكتبات والعلماء .

وحينما بلغ أبو عمر الثلاثين من عمره أو نحوها ، كان المفروض أن يحتل مكانة أبيه : فقيهاً من فقهاء قرطبة وشيخاً من شيوخها ، ولكن حدث فجأة ما حرّمه من هذه المكانة المنشودة والأمل المرتقب . إذ فى تلك الفترة عينها — أواخر عام ٣٩٩ هـ — حدث ما يسمى فى تاريخ قرطبة بالفتنة البربرية ، والتي كانت حوادثها من القسوة والهمجية بحيث دفعته كما دفعت غيره من العلماء وجمهرة الناس إلى الرحيل العاجل عن المدينة .

الفتنة البربرية :

يشير المؤرخون إشارة موجزة فى ترجمة ابن عبد البر ، إلى أن الفتنة هى السبب الذى دفعه إلى الهجرة من قرطبة ، ثم لا يزيدون على كلمة « الفتنة » شيئاً من تفصيل وإيضاح ، ولكننا نرى من تمام البحث أن نتكلم بشيء من التفصيل عن هذه الفتنة وآثارها ، حتى تكتمل أمامنا صورة واضحة المعالم للأحداث التى مرت بالرجل ، ونالت منه ومن أقرب المقربين إليه .

أما حوادث هذه الفتنة^(١)، فقد بدأت عندما أراد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموي الملقب بالمهدي^(٢)، أن يتخلص من الدولة العامية، وكان العامريون قد تولوا زمام السلطة الفعلية طوال أيام الخليفة المستضعف هشام المؤيد، وفعلاً نجح المهدي نجاحاً مؤقتاً، وقتل عبد الرحمن بن أبي عمر الملقب بشنجل، والذي ادعى أنه ولي عهد الخليفة هشام المؤيد، ثم تسلم المهدي السلطة، ولكنه لم يكد يستقر فيها حتى نازعه أموي آخر هو سليمان المستعين^(٣) الذي تزعم البربر، وقصد أن يفتزع الخلافة من المهدي، واجتمع البربر مع سليمان لمحاربة قرطبة ونزلوا بسفح الجبل بها وبشرقيها في (١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ) وعلى الرغم من خروج أهل قرطبة عن بكرة أبيهم للقتال، واستبسالهم في الذود عنها، إلا أنها سقطت في أيدي البربر، الذين أجروا فيها على الفور مذبحة رهيبة، راح ضحيتها الآلاف من الضحايا الأبرياء.

لكن المهدي أبي أن يستسلم لهذه النتيجة، فهرب إلى طليطلة وجمع جموعاً من الإفرنجية وعساكر الثغور، وعاد إلى مهاجمة قرطبة، وفعلاً تمكن من الاستيلاء عليها بعد شذائد وأهوال، إلا أنه للمرة الثانية يعثر به حظه، فيختاف عليه جنده، ثم يتخلصون منه بالقتل، ويصبح الجو خالياً لسليمان المستعين، فيدخل المدينة دخول الظافر المنتصر.

إلى هنا ويمكن أن تستقر الأحوال وتهدأ الأمور، فقد تم إسباي تحقيق أطماعه شخصياً بتولى الخلافة، ثم تحقيق آمال الكثيرين ممن كانوا يهوون عودة الأسرة الأموية إلى الحكم.

لكن سليمان في الحقيقة لم تكن فيه صفة واحدة من صفات الكفاءة التي كان يتمتع بها معظم الخلفاء الأمويين، فاكتفى بتحقيق ملذاته هو. ثم ترك لجنده من البربر أن يفعلوا بالمدينة ما يحلو لهم من نهب وسلب واعتداء على الحرمات بشكل لم يسبق له مثيل.

وقد استمر هذا الوضع الشاذ سبع سنوات، يصفها مؤرخ الأندلس ابن حيان^(٤)، بأنها:

(١) أنقل هنا بتصرف عن كتاب: تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس،

(٢) ترجمته في: جذوة المقتبس ١٨، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٤٠، البيان المغرب ٣/٥٠.

(٣) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، ترجمته في جذوة المقتبس ١٩، الذخيرة

٢٤/١/١.

(٤) هو حيان بن خلف بن حسين بن حيان الأندلسي، صاحب كتاب «المقتبس في تاريخ الأندلس»

ترجمته في جذوة المقتبس ١٨٨، وفيات الأعيان ١/١٦٨.

كانت كلها شداً نكدات ، صعباً مشثومات ، كريهات المبدأ والفايحة ، قبيحة المنتهى والخالمة لم يعدم فيها حيف ، ولا فورق خوف ، ولا تم سرور ، ولا فقد محذور ، مع تغير السيرة وخرق الهيبة ، واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية ، وطعن الأمن وحلول المخافة^(١) .

ومن الطبيعي أن يعيش الناس هذه السنوات في هلع دائم ورعب متصل ، فقد كان البربر خلالها يترصدون الحرم والدور بالهتك والسلب ، ولقد بلغ من إشفاق الناس يومئذ أنهم استفتوا شيوخ المالكية في تعجيل صلاة العتمة قبل وقتها خوفاً من القتل ، إذ كان متلصصة البربر يقفون لهم في الظلام في طرق المسجد فرجماً آذوهم إيذاء شديداً^(٢) .

وقد قضت هذه الفتنة على كثير من العلماء والأدباء بالموت والتشريد ويكفي أن نلقى نظرة على كتاب الصلة لابن بشكوال حتى نجد فيه الكثير ممن ترجم لهم من العلماء : إما قتلوا في الفتنة أو آثروا الهجرة إلى المدن الأندلسية الأخرى .

ولقد كان من بين هؤلاء المهاجرين ، أبو عمر بن عبد البر ، الذي اضطر تحت هول مارآه من حوادث إلى ترك بلده الحبيبة ومرتع صباه ، خصوصاً وقد أثر في نفسه قتل أستاذه الكبير وصديقه العظيم : أبي الوليد بن الفرضي مظلوماً في بيته بيد البربر الذين لم يرعوا للرجل علمه ومكانته ، أو يرحموا فيه ضعفه وشيخوخته^(٣) .

تجوله في بلاد الأندلس :

خرج أبو عمر من قرطبه مهاجراً — أو على الأصح — هارباً إلى غيرها من بلاد الأندلس ويبدو أنه في خروجه ذاك لم يكن يقصد بلدة بعينها ، إذ لم تترك له الحوادث الرهيبة التي خلفها وراءه فرصة للتفكير أو الاختيار .

(١) النخبة ١/١ ، ٢٥٠ .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢٧/٣ .

(٣) انظر قصة استشهاد هذا العالم في جذوة المتبس : ٢٣٨ ، بغية المتدبس ٣٢١ ، وفيات الأعيان

هذا إلى جانب أن بلاد الأندلس نفسها — بعد انقراط عقد الخلافة الأموية ، وزوال أسرة المنصور بن أبي عامر ، كانت قد فقدت وحدتها ، وأخذت تفور بالفتنة والقلق وقد أخذ كل وال يستقل بما تحت يده من ولايات ، ويحارب جيرانه من حكام الولايات الأخرى إما طمعاً فيما تحت أيديهم ، أو دَرءاً لأطماع غيره فيه ، فلم يكن هناك — والحالة هذه — مكان يمكن أن يلجأ إليه هو أفضل من غيره .

وأخذ أبو عمر في هذه الفترة يجول في بلاد غرب الأندلس ؛ مستغلاً جولاته الاضطرابية هذه في الاستماع إلى علماء هذا البلاد والأخذ عنهم ، ومن بينهم خاصة من أتتحت له فرصة الذهاب إلى المشرق والتلقى عن أساتذته ، وقد لقي من هؤلاء كثيرين يذكرهم الحميدى في ترجمته في جذوة المقتبس .

وعلى الرغم من أن هذه الفترة من حياته ، والتي تعتقد أنها كانت قريبة من عشر سنوات — كانت فترة غنية حقاً بما أخذه عن هؤلاء العلماء ، إلا أنها كانت من جهة أخرى كافية لحياة التجول وعدم الاستقرار التي يحياها ، ومن هنا أخذ أبو عمر يتطلع من حوله إلى الدويلات الكثيرة التي ملأت رقعة الأندلس ، فلم ير دولة هي أحق بالاستقرار وكفالة حياة هادئة لمن يريد خيراً من دانية التي تقع في أقصى شرق الأندلس ، والتي يحكمها أمير حازم شجاع ، يحترم العلم ويقرب العلماء ، هو الأمير مجاهد العامرى .

صاحب دانية : مجاهد العامرى ^(١) :

كان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى مولى رومياً من موالى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبي عامر ، ولكنه كان متحلياً بالعلم والشجاعة والإقدام ، وحين انتهى أمر الدولة العامرية ودبت الفرقة وعوامل الانحلال في جسم الدولة ، وسارع كل حاكم إلى تقطيع

(١) اعتمدنا فيما كتبناه هنا عنه ، على : جذوة المقتبس ٣٣١ ، بغية المتتمس ٤٥٧ ، البيان المغرب ١٥٥/٣ ، مقدمة التحقيق لكتاب المحكم لابن سيده .

أوصالها والاستقلال بأجزائها ، ذهب مجاهد بجمع من موالى العامريين إلى شرق الأندلس ، فاستولى على دانية وما والاها من جزائر : ميورقة ومنورقة وبابسة عام ٤٠٦ هـ أو ٤٠٧ هـ .
وحين استقرت به الحال في الدولة الجديدة ، تطلع به طموحه إلى جزيرة سر دانية القريبة منه ، وسرعان ما هاجمها وضمها إلى ملكه ثم جعلها قسبة بلاده ، ولكن ملوك ألمانيا وإيطاليا خشوا خطورة هذا المغامر الجريء الذي أصبح على مرمى حجر من قلب بلادهم فوجهوا إليه الجيوش والأساطيل تكيل له الضربات الساحقة في وحشية وعنف حتى أفلتها من يده في موقعة بالغة الضراوة ، عاكست فيها الرياح أسطوله ودفعته دفعا إلى أيدي أعدائه فنجا هو من القتل بشق النفس ، على حين أسر أولاده وبعض نسائه ولم يستطع اقتداءهم إلا بعد فترة طويلة من الزمن .

بعد هذه المغامرة الفاشلة لم يفكر مجاهد مرة أخرى في الغزو ، بل اتجه بكليته إلى إمارته يصلح من أمورها ويعنى بشئونها ، حتى أصبحت تتمتع بقسط وافر من الأمن والرخاء والاستقرار دام نحواً من ثلاثين عاماً ، حتى وقت وفاته سنة ٤٣٦ هـ .

ولعل أهم ما كان يمتاز به مجاهد إلى جانب كفاءته الإدارية وشجاعته ، هو حبه الشديد للعلم والعلماء ، ويذكر المؤرخون عنه أنه كان ذا دراية بعلوم العربية ، وتصرف في علوم القرآن : قراءته ومعانيه وغريبه ، عنى بطلب ذلك من صباه إلى اكتماله وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه ، وأتت إليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع لديه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم ، فكان وزيره والمتصرف في دولته أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب^(١) إلى جانب بعض أمثال العلماء كأبي عمرو الداني^(٢) وابن سيده^(٣) وكان له من المصنفين عدة يقومون على التصنيف في علوم القرآن خاصة ويشاركون في فنون أخرى من العلم ، يجمعون بها ملكه ويشرفون دولته ، حتى اشتهرت دانية آنذاك بأن أهلها أقرأ الناس للقرآن ، وأكثرهم معرفة بعلومه .^(٤)

(١) انظر ترجمته في : جذوة المقتبس ١١٤ ، بغية الملتبس ١٦٦ ، وليس هو بالطبع أبا الحسن بن

رشيق الفيرواني صاحب العمدة .

(٢) عثمان بن سعيد بن عمر الداني ، عالم القراءات الكبير ؛ ترجمته في نفح الطيب ٣٨٦/١ ، معجم

الأدباء ٣٦/٥ .

(٣) علي بن إسماعيل بن سيده ، صاحب المخصص والمحكم ، ترجمته في بغية الملتبس ٤٠٥ ، وفيات

الأعيان ٣٤٢/١ .

(٤) معجم البلدان لياقوت ، ط بيروت ، مادة دانية .

لهذا ليس غريباً أن تصادف دانية ، من بين دول الأندلس جميعاً . هوى قوباً من نفس أبي عمر بن عبد البر ، فيذهب إليها ويلقى بها عصا الترحال ، وقد وجد أخيراً المكان الذى حلم به مستقراً وملاًذاً .

ابن عبد البر فى دانية :

تعد الفترة التى قضاها أبو عمر فى دانية من أخصب فترات حياته إنتاجاً ، فيها ألف معظم كتبه المطولة التى اشتهر بها ، وتدلنا رسالة ابن حزم التى كتبها^(١) فى فضل الأندلس وذكر رجالها ، وهى رسالة كتبت نحو سنة ٤١٢ هـ . على ما كان يتمتع به أبو عمر فى ذلك الوقت من شهرة وما تحتله كتبه من مكانه ، فيقول : « ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبي عمر يوسف ابن عبد البر ، وهو الآن بعد فى الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة ، وهو كتاب لا أعلم فى فقه الحديث مثله أصلاً فكيف أحسن منه ، ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ، ولصاحبنا أبي عمر بن عبد البر المذكور كتب لامثيل لها منها : كتابه المسمى الكافى فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه ، خمسة عشر جزءاً ، وكتاب فى الصحابة ، والاكتفا ، ثم بهجة المجالس ، وجامع بيان العلم .. » .

ولست هذه بالطبع كل مؤلفات أبي عمر ، ولكنها تكاد تكون أهمها كلها . وهى كما قلنا التى قامت عليها أساساً شهرة أبي عمر فى كل أرجاء الأندلس . وجعلت طلبية العلم يهرعون إلى دانية للتلقى عن الحافظ الكبير والسامع عليه ، حتى كان سنده مما يتفاخر به بينهم .

ويمكننا أن نقول إن أبا عمر أحس بالسعادة الحقة فى دانية . وبادل أهلها حبا بحب . حتى إن الظروف حينما دعت به بعد ذلك إلى الرحيل عنها — كما سنبين فيما بعد — لم يبعثها هذه الظروف إلا أن يقضى شيخوخته بتردد بين دانية وما جاورها من المدن القريبة منها وحتى إنه تحقيقاً لهوى أهل دانية وحب أهلها لعلوم القرآن . ألف فى القراءات أربع كتب لا بأس من ذكرها وهى :

(١) انظر هذه الرسالة فى فتح الطيب ٧٦٧/٢ ، تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سياحة قرطبة) للدكتور إحسان عباس ٢٩١ .

١ — البيان عن تلاوة القرآن .

٢ — الاكتفاء في القراءة .

٣ — الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف .

٤ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد .

توليه القضاء في الأشبونة وشنترين :

يذكر المؤرخون أن أبا عمر تولى قضاء الأشبونة وشنترين لفترة من الوقت في عهد المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس^(١) . ولما كانت هذه البلاد في غرب الأندلس . فهو لابد إذاً قد فارق شرق الأندلس . أو بتعبير أدق فارق دانية . وهي كما قلنا مهد شهرته ومركز أمنه وراحته . فكيف فارقها وهي على حد قول ابن سعيد : « الأفق الداني الذي ظهر فيه علمه . وعند ملوكه خفق علمه^(٢) » .

الحق أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن السبب في ذلك ، ولكن يمكننا أن نقول — بناء على تطورات الأحداث في دانية نفسها — إن أبا عمر ترك دانية مضطراً ، ولعل السبب في ذلك يرجع في المرتبة الأولى إلى وفاة مؤسس دانية وراعيها الأمير مجاهد العامري في عام ٤٣٦ هـ ، وعلى الرغم من أن ابنه إقبال الدولة على بن مجاهد^(٣) ، كانت له نفس ميول أبيه العلمية نحو تكريم العلماء والحدب عليهم ، إلا أننا نكاد نلمح في بعض تصرفاته ما يشير إلى أنه لم تكن له شخصية والده القوية ولا سعة صدره ، فقد غضب مثلاً على ابن سيده العالم اللغوي الضير ، واضطر هذا إلى الهرب والاختفاء ، ولم يتمكن من الظهور في دانية إلا بعد أن عفا عنه إقبال الدولة ، بعد أن استعطفه ابن سيده بقصيدة مؤثرة .

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن سلمة التجيبي الأندلسي ، الملك المظفر أبو بكر بن الأفطس ، تولى سنة ٤٣٧ هـ وكان من أعظم ملوك الطوائف ، عالماً بالأدب . انظر ترجمته في البيان المغرب ٣/ ٢٢٠ ، الواق بالوفيات ٣/ ٣٢٣ .

(٢) المغرب ٢/ ٤٠٧ .

(٣) ترجمته في البيان المغرب ٣/ ١٥٧ ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ٧٤

ولكن هذا الأمر في الواقع مجرد فرض ، فنحن لا نعرف حادثة واحدة وقعت بين أبي عمر وبين إقبال الدولة تدل على قطيعة أو جفاء ، ولكننا فحسب نحاول استنتاج الأسباب التي دفعت أبا عمر إلى ترك مستقره في أنصى شرق الأندلس والهجرة إلى أقصى غربها ، وربما أمكننا القول بأن الحالة القلقة لدول ملوك الطوائف في الأندلس عموماً كانت تعكس ظلالها على نفوس الأدباء والعلماء ، فتجعلهم دائماً يبحثون عن المكان الأكثر استقراراً والأشد طمأنينة ، وبالنسبة لأبي عمر خاصة فإن التجربة المريرة التي عاشها في قرطبة أثناء الفتنة البربرية تجعله أكثر حساسية من غيره في هذا الصدد .

لهذا لا نستبعد أن يكون قد قدر في نفسه أن دانية يحكمها حدث صغير تحيط به الأعداء من كل جانب (١) على حين تقوم في بطليوس دولة في طور التكوين يتولى أمرها حاكم يتصف بالحزم والشجاعة ، فاحتمالات المستقبل بالنسبة لها أكبر وأفضل ، ولهذا فهو يقرر الهجرة إليها .

ويبدو أن أبا عمر قد استقبل في بطليوس استقبالا كريماً ، وعرف له المظفر مكانته وفضله فولاه قضاء الأشبونة وشنترين وهما من أكبر مدن الأندلس ، ولكننا لا نعرف بدء تاريخ توليه هذا المنصب ، ولا المدة التي قضاها فيه ، وإن كنا نرجح — بناء على ما كانت تتميز به طبيعة أبي عمر من هدوء وحب للاستقرار — أنه قضى فيه زمناً طويلاً ، استمر حتى وفاة المظفر سنة ٤٦٠ هـ .

أما الأعوام القليلة الباقية من عمره ، فقد قضاها متنقلاً في بلاد شرق الأندلس التي أحبها طول حياته ، فكان يتردد بين دانية وبلنسية وشاطبة ، وهذه الأخيرة مات فيها عام ٤٦٣ هـ (٢) بالغا من العمر خمسة وتسعين عاماً وخمسة أيام .

(١) سقطت دانية سنة ٤٦٨ هـ في يد المقتدر بن هود ، واضطر على بن مجاهد إلى الرحيل عنها إلى مرسطة وأقام بها إلى أن توفي سنة ٤٧٤ هـ .

(٢) ذكر الحميدى في الجذوة وتابعه صاحب البغية ، أن ابن عبد البر توفي سنة ٤٦٠ هـ ، وليس هذا صحيحاً فقد ورد في كل المراجع الأخرى سنة وفاته التي ذكرناها بالتجديد ، ولعل خطأ الحميدى راجع إلى أنه كان في بغداد آنذاك ، وهو نفسه لا يورد كلامه بصيغة اليقين ، إذ يقول : بلغتني وفاته سنة ٤٦٠ هـ ، أقول : ثم إن الخطيب البغدادي الذي توفي هو وأبو عمر في سنة واحدة ، توفي سنة ٤٦٣ هـ بلا خلاف .

ومن المصادفات الغريبة أن يموت في نفس العام الخطيب البغدادي ، المؤرخ والمحدث المشهور وكان يعرف بحافظ المشرق ، فيقول الناس : مات حافظا المشرق والمغرب في سنة واحدة .

شخصيته وأخلاقه :

لعل أهم ما كان يمتاز به أبو عمر — رحمه الله — هو الدأب في طلب العلم والانقطاع إليه ، وصرف النظر عما عدا ذلك من أمور الدنيا ومفرياتها ، وحسبه منها أن تترك له مكاناً آمناً وملاًزماً مستقراً ، يفرغ فيه إلى التقييد والتأليف ، أو يلتقي فيه بتلاميذه وراغبى علمه فإن توفر له ذلك فهو قادر على إعطاء الناس من جهده الدائب وعمله النشط ، مالا يرجو عليه إلا ثواب الله وحسن مكافأته ، وهو في هذه الناحية يسكاد يرتفع إلى مرتبة الأنبياء الذين عناهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » .

ويذكر المؤرخون أنه كان : ديناً صيتاً حجة ثبناً ، ولعل ذلك من صفات يؤدي إلى صفات أخرى أهمها : طيبة القلب ، وتحرى الصدق ، وطهارة اليد والضمير ، وهى في مجموعها الصفات التى تغلب على من يشتغلون بحديث الرسول الكريم ، وإيس أحق من أبى عمر بالاتصاف بها فقد كان شيخ حفاظ الحديث ومن أعظم من أنجبته الأندلس من رجالها فيه .

ولكن إذا كانت هذه الصفات فى مضمونها تحمل كثيراً من معنى المسألة والموادعة ، فإنها فى الحقيقة لاتعنى التفريط فى الكرامة ، أو الاستهانة بقدر العلم .

وهذا ما كان يؤمن به أبو عمر ، ويحرص عليه طول حياته ، إذ كان مع ما يمتاز به من دماثة فى الخلق ، من أشد الناس حفاظاً على كرامته ، ومعرفة بقدر العلم ومكائنه .

أما احترام العلم فى مفهومه ، فقد كان يعنى أن يجعل الجهد فيه خالصاً لله ، موجهاً إلى التماس مرضاته .

وثمة حادثة تبين حرصه الشديد على التمسك بهذا المفهوم ، فالمعروف أنه قضى مدة طويلة

في دانية ، في رعاية أميرها مجاهد العامري وكان مما يؤثر عن مجاهد أنه كان يميل كثيراً إلى ذكر اسمه في مقدمات مؤلفات العلماء باعتباره المشجع على تأليفها ، الحاث على إخراجها ، ولقد ذكره ابن سيده في مقدمة كتابيه « المحكم » و « المخصص » ، ولا شك أن غيره ممن كانوا يظفرون بإكرام الأمير ورعايته فعل ذلك أيضاً . وتدل قصة ذكرها ابن حزم في رسالته التي أشرنا إليها قبل « في فضل علماء الأندلس » على مبلغ الحرص الشديد لدى مجاهد في هذه الناحية ، يقول ابن حزم : « وها هنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا عنها وهي : أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي ، حدثني أن أبا الجيش مجاهداً العامري ، صاحب الجزائر ودانية ، وجه إلى أبي غالب ^(١) — أيام غلبته على مرسية — وأبو غالب ساكن بها ، ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور « مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد » فرد الدنانير ، وأبي من ذلك . ولم يفتح في ذلك باباً ألبتة ، وقال : « والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، لأنني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب عامة » .

وكذلك كان أبو عمر ، إذا لم تر له ، والثابت أنه ألف معظم كتبه ، والهامة منها بصفة خاصة في دانية . كتاباً واحداً يرد فيها ذكر مجاهد أو الإشارة إليه .

قد تكون هناك بعض الكتب والرسائل الصغيرة مما لم يصل إلينا من مؤلفات ابن عبد البر قد جاء فيها ذكر ذلك الأمير ، ولكننا لا نعتقد أن هذا — إن كان قد وقع — مما يمكن أن يقنع به مجاهد . أو حتى يشرف به . باعتباره عملاً كبيراً أشار بتنفيذه . والغالب أن هذا كان مبدأ أبي عمر فلم يفعله في الكبيرة لم يفعله في الصغيرة . وبين أيدينا ثلاثة من كتبه الصغيرة التي طبعت وهي : القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والمجم ، والإنباء على قبائل الرواة ، والانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء . ليس فيها ذكر أحد . وكذلك كتبه الكبيرة كالتمهيد والاستيعاب وبهجة المجالس لا نرى فيها إلا ذكر الله وحده ، والتقرب بها إلى مرضاته .

(١) هو تمام بن غالب المعروف بابن التبان ، أبو غالب المرسى ، ترجمته في الجذوة ١٧٢ النية ٢٣٦ ، أما هذا الكتاب المذكور في الخبر فهو كتابه « المواعظ » في اللغة .

وكما وقر أبو عمر العلم ، وترفع به عن أن يكون مقصوداً به غير وجه الله ، كذلك وقره العلم وكرمه ، ورفع من شأنه بين العامة والخاصة ، فكان مهاباً حتى بين أيدي الطغاة والجبابرة .

ولقد حدث أن وصل ابن لأبي عمر وهو المعروف بأبي محمد بن عبد البر^(١) إلى مرتبة الوزارة في إشبيلية لدى ملكها المعتضد بن عباد^(٢) ، وكان المعتضد ممن عرفوا بالسطوة والتجبر حتى ليقال إنه جعل في حديقة قصره أعمدة على هيئة الأشجار طلعها رعوس أعدائه وأوراقها آذانهم ، وقد حدث أن غضب المعتضد على كاتبه ووزيره أبي محمد بن عبد البر ، وأمر بإلقائه في غياهب سجنه .

ويذكر ابن الأبار هذه الحادثة ثم يقول : « سمعت بعض شيوخى يحكى أن أباه الإمام أبا عمر بن عبد البر سار في أمره من مستقره بشرق الأندلس ، وهو حينئذ يتردد بين بلنسية وشاطبة فلأول دخوله على عباد نادى رافعاً صوته : ابني يا معتضد ، ابني يا معتضد . فشفعه فيه وانصرفا عنه محفوفين بالإكرام ، ومكنوفين بالاحترام »^(٣) .

ولا شك أن ذلك العفو السريع ، ما كان لينزع من بين فكي المعتضد ، لولا هيبة العلم ووقار الورع ، قد أجبرا الطاغية على الرضوخ لهما ، والاستسلام العاجل لأمرها .

شيوخه :

امتازت ثقافة أبي عمر بالأصالة والعمق وكثرة تنوعها ووفرة مصادرها ، ويبدو هذا واضحاً في مؤلفاته العديدة التي تمتاز من حيث موضوعاتها بالإحاطة والشمول ، كما تمتاز من حيث المادة بالوفرة والدسامة ، حتى لنحس عند قراءتها بأن المؤلف يستمد ما يذكره فيها من معين لا ينضب من رواياته وسماعاته ، وبأنه لا يتكلف جهداً كبيراً في الإحاطة بموضوعه ، وطرق جوانبه المتعددة في سهولة ويسر .

(١) ترجمته في الجذوة ٢٤٩ .

(٢) ترجمته في البيان المغرب ٣/٢٠٤ ، وفيات الأعيان ٢/٢٨ ، شذرات الذهب ١/٣١٦ ، جذوة المقتبس ٢٧٧ .

(٣) إعتاب الكتاب لابن الأبار ٢٢١ .

والواقع أن ذلك لم يتأت لأبي عمر إلا نتيجة لجهده المتواصل في التلقى عن العلماء والدأب الذي لا يسكل في القراءة والاطلاع .

وثمة ناحية معروفة شهيرة في حياة ابن عبد البر ، وهي أنه لم يرحل إلى المشرق في طلب العلم كمادة العلماء الأندلسيين ، مع أن هذه الرحلة كانت مما يرفع من شأن العالم بين أقرانه ويجعل له بينهم منزلة خاصة ، والواقع أننا لا نعرف أية ظروف حالت بينه وبين ذلك ، وإن كان يمكننا أن نؤكد أنها ظروف خارجة عن إرادته ، إذ أن الرجل عاش طول حياته بعد ذلك يعرض ما اعتبره نقصاً فيه ، وذلك بالحرص على مقابلة من رحل إلى المشرق من العلماء ، والتلقى عنهم ما استمعوا إليه من علم ، وتلك ظاهرة واضحة تمام الوضوح ، تكفي النظرة العاجلة إلى كتاب جذوة المقتبس للحميدي ، لإثبات صحتها ، فقد ذكر الحميدي عدداً كبيراً من تراجم العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ، والمجيب أنه لا تكاد تخلو ترجمة منها عن ذكر : أن أبا عمر استمع على صاحبها ، وقرأ عليه كتاب كذا وكذا من المؤلفات المشرقية .

وهكذا فإن ما اعتبره أبو عمر نقصاً وشرأ بالنسبة إليه ، كان في الحقيقة خيراً وبركة ، إذ أنه حرص على تقييد ماتلقاه وإثباته في مؤلفاته ، ربما أكثر من حرص هؤلاء العلماء أنفسهم على تقييده وإثباته .

وعلى أية حال ، فأمامنا الآن جملة وافرة من شيوخ أبي عمر ، يمكن أن نقسمهم إلى قسمين :

١ - الشيوخ الذين تلقى عنهم في نشأته ، ولازمهم ملازمة طويلة ، وكان لهم أثر في تحديد اتجاهه العلمي في المستقبل .

٢ - الشيوخ الذين تلقى عنهم لفترة من الوقت ، وكانت تتوفر فيهم خاصية صفة الرحيل إلى المشرق .

أما القسم الأول من العلماء ، فمنهم :

١ - عبد الله بن محمد يوسف ، المعروف بابن الفرضي ، أبو الوليد القاضي ، صاحب تاريخ

العلماء والرواة بالأندلس ، كان حافظاً متقناً ، عالماً ذا حظ وافر من الأدب ، له رحلة طويلة في بلاد المشرق في طلب العلم ، وقد سمع على جلة من المشايخ بمصر وإفريقية ومكة .

قرأ عليه أبو عمر : كتابه في التاريخ ، وكتابه المؤتلف والمختلف في أسماء الرجال ، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني في الفقه ، وكتاب المنبه لذوى الفطن على غوائل الفتن لأبي الحسن القابسي^(١) .

٢ — أحمد بن محمد بن عبد الله المقرئ الطلمنكي ، أبو عمر ، محدث منسوب إلى بلده ، كان إماماً في القراءات ، وثقة في الرواية . رحل إلى المشرق رحلة طويلة ، وسمع على عدد وافر من العلماء بالأندلس والمشرق ، شيخ أبي عمر في القراءات والحديث^(٢) .

٣ — أحمد بن عبد الملك بن هاشم ، أبو عمر ، المعروف بابن المكوي الإشبيلي ، كان فقيهاً معظماً ، ومفتياً مقدماً على جميع من إليه الفتوى بقرطبة ، جمع هو وأبو مروان المعيطي الفقيه كتاباً ضخماً في أقاويل مالك رحمه الله ، لازمه أبو عمر مدة طويلة وكتب بين يديه^(٣) .

٤ — عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، من تلاميذ قاسم بن أصبغ البلياني^(٤) ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته حتى يقال إنه قلما فاتته شيء مما قرئ عليه .

لازمه أبو عمر مدة طويلة ، وقرأ عليه : مصنف قاسم بن أصبغ في السنن ، ومصنف وكيع ابن الجراح ، وكتابي المعارف وشرح غريب الحديث لابن قتيبة^(٥) .

٥ — سعيد بن نصر ، أبو عثمان ، محدث فاضل أديب ، كان من أهل الدين والورع والفضل معرباً فصيحاً ، قرأ عليه أبو عمر كتاب المجتبى لقاسم بن أصبغ^(٦) .

(١) الجذوة ٢٤٧ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه ١٢٣ .

(٤) إمام من أئمة الحديث ، حافظ مكثّر مصنف ،

وكان من الثقة والعلم بحيث اشتهر أمره وعلا ذكره وقد روى عنه جماعة من أكابر علماء بلده ، توفي

سنة ٣٤٠ هـ الجذوة ٣١٢ .

(٦) المصدر نفسه : ٢١٨ .

(٥) الجذوة ٢٧٦ .

٦ — أحمد بن فتح بن عبد الله التاجر ، رحل إلى مصر وإفريقية وسمع على جلة من علمائها ، قرأ عليه أبو عمر كتاب الدار ومقتل عثمان لعمر بن شبة النميري في سبعة أجزاء^(١) .

٧ — أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز ، كان ثقة فاضلا ، اختص بالقاضي منذر بن سعيد البلوطي وسمع منه تواليه كلها .

سمع منه أبو عمر كتب أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ومنها : صريح السنة وفضائل الجهاد ورسالته إلى أهل طبرستان المعروفة بالتبصير^(٢) .

٨ — يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أبو الوليد ، قاضي الجماعة بقرطبة ، يعرف بابن الصفار ، من أعيان أهل العلم ، كان زاهداً فاضلاً يميل إلى التحقيق والتصوف ، وله فيه مصنفات . قرأ عليه أبو عمر كتبه : المنقطعين إلى الله عز وجل ، كتاب المتهمجين ، كتاب النسيب والتقريب ، وسمع منه كذلك أشعاره في الرقائق والزهد^(٣) .

٩ — أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد ، المعروف بابن الجسور ، محدث مكثر مؤرخ ، قرأ عليه التاريخ المعروف بذييل المذيل لأبي جعفر بن جرير الطبري^(٤) .

١٠ — خلف بن قاسم بن سهل ويقال ابن سهلون ، المعروف بابن الدباغ ، كان محدثاً مكثراً حافظاً ، رحل إلى مصر ومكة والشام ، وسمع عدداً من علماء هذه البلاد لا يحصون كثرة ، ويقول الحميدى : سمع عنه شيخنا أبو عمر الحافظ فأكثر ، وكان لا يقدم عليه من شيوخه أحداً ، وذكره لنا فقال : أما خلف بن القاسم بن سهل الحافظ فشيخ لنا وشيخ لشيخنا أبي الوليد بن الفرضي وغيره ، كتب بالشرق عن نحو ثلاثمائة رجل ، وكان من أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له^(٥) .

هؤلاء هم من نستطيع أن نقول : إنهم شيوخ ابن عبد البر الذين تلقى عنهم في مطلع حياته ،

(٢) المصدر نفسه : ١٣٤ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .

(١) الجنوة ١٣٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٦٢ .

(٥) المصدر نفسه : ١٩٥ .

ولازمهم مدة طويلة حتى تأثر بهم في منهج تفكيرهم ، واكتسب منهم ثقافته العلمية ، والملاحظ أنهم جميعاً من رجال الحديث والفقه والتاريخ والقراءات ، وهى العلوم التى قامت عليها أساساً مؤلفات ابن عبد البر . وعليها انبنت شهرته .

وبالإضافة إلى هؤلاء هناك رجال القسم الثانى الذى أشرنا إليه من قبل ممن تلقى عنهم أبو عمر وهم فى الحقيقة لا يقلون أهمية عن ذكرنا فى مدى استفادته منهم ، ونخص منهم بالذكر :

١ — أحمد بن قاسم بن عيسى ، أبو العباس المقرئ الأقلشئ . له رحلة إلى بغداد وغيرها . ويقول أبو عمر عنه : إنه سمع من أبى القاسم عبد الله بن محمد بن حبابة حديث على بن الجعد وسمعناه منه . وكتبت عنه منشوراً كثيراً ، وكتب عنى رحمه الله^(١) .

٢ — إسماعيل بن عبد الرحمن ، أبو القرشى العامرى ، ولد فى مصر ، وسمع جماعة من أكابر علمائها ، ثم قدم الأندلس فسكن إشبيلية سنين كثيرة قبل موت المنصور بن أبى عامر . قال أبو عمر : حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن بكتاب أبى إسحاق بن شعبان فى مختصر ما ليس فى مختصر ابن عبد الحكم ، وبكتابه فى الأشربة ، وبكتابه فى النساء عن أبى إسحاق سمعاً عنه^(٢) .

٣ — سلمة بن سعيد الأستجى ، محدث له رحلة ، سمع منه أبو عمر كتاب : التأمين خلف الإمام ، وشرح قصيدة ابن أبى داود ، عن أبى بكر الآجرى من علماء مكة وهما من تأليفه^(٣) .

٤ — عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهنى البزاز ، سمع بالأندلس ، ورحل ، فسمع بالحجاز ومصر والشام جماعة . سمع منه أبو عمر مصنف أبى عبد الرحمن بن شعيب النسائى^(٤) .

(٢) المصدر نفسه ١٥٣ .

(٤) المصدر نفسه ٢٣٤ .

(١) الجذوة : ١٣٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢١٩ .

٥ — عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن ، رحل إلى العراق وغيرها وسمع كثيراً من مشهورى العلماء بالمشرق ، روى عنه أبو عمر كثيراً^(١) .

٦ — عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني الوهراني ، محدث ثقة ، رحل إلى العراق وغيرها^(٢) .

٧ — عبد الرحمن بن مروان القنـَـازعى أبوالمطـَـرف ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من بعض أصحاب البغوى ، روى عنه أبو عمر^(٣) .

٨ — عبد الرحمن بن يحيى بن محمد ، أبوزيد العطار ، رحل إلى المشرق ، وسمع منه أبو عمر جامع ابن وهب^(٤) .

٩ — عبد العزيز بن أحمد النحوى ، أبو الأصبع ، ويعرف بالأخفش ، قرأ عليه أبو عمر كتباً في النحو والأدب ، له رحلة إلى المشرق^(٥) .

١٠ — على بن إبراهيم بن حمويه الشيرازى ، أبو الحسن ، قدم الأندلس ، وحدث بها ، وروى عنه أبو عمر^(٦) .

هؤلاء قليل من كثير من قرأ عليهم أبو عمر وروى عنهم ، والواقع أن حصر الشيوخ الذين قرأ عليهم المصنف مما لا يتيسر بسهولة ويسر ، إذ هو كما يقول الحميدى : قديم السماع كثير الشيوخ ، ولعل فيمن ذكرناه منهم دليلاً كافياً على اجتهد أبا عمر ودأبه في طلب العلم وعلى أنه من ناحية أخرى لم يستحق لقب حافظ الأندلس وغيره من ألقاب التشریف التي خلعها عليه المؤرخون عبثاً ، إذ أننا في الحقيقة لا نرى مثله في الحرص على العلم والاستكثار منه ، في كل من ترجم لهم الحميدى من العلماء سوى واحداً آخر هو ابن حزم الذى يفخر هو نفسه بأنه عاصر واحداً من الأئمة المجتهدين هو أبو عمر بن عبد البر^(٧) .

(٢) المصدر نفسه ٢٥٦ .

(٤) المصدر نفسه ٢٦١ .

(٦) المصدر نفسه ٢٩٤ .

(١) الجنوة : ٢٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ٢٦٠ .

(٥) المصدر نفسه ٢٦٩ .

(٧) انظر جوامع السيرة لابن حزم ، تحقيق الدكتورين إحسان عباس وناصر الدين الأندلسي ص ٣٣٥ .

مؤلفاته :

يقول ابن خلكان : « كان أبو عمر — رحمه الله — موفقاً في التأليف معاناً عليه ، وقد نفع الله بكتبه »^(١) والواقع أن هذا صحيح تماماً ، فقد ترك لنا أبو عمر مكتبة قيمة من مؤلفاته ، تشمل علوم الفقه والحديث والتاريخ والسير والأنساب والأدب وغيرها .

وهذه المؤلفات بعضها موسوعات ذات أجزاء كثيرة ، وبعضها رسائل صغيرة يمكننا أن نورد لها ثبثاً فيما يلي :

١ — التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، موسوعة في فقه الحديث ، تقع في عشرين مجلداً ، أو سبعين جزءاً كما يقول الحميدى . ويصف ابن حزم هذا الكتاب بقوله : « التمهيد لصاحبنا أبي عمر ، لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلاً ، فكيف أحسن منه » ويذكره أبو عمر نفسه بهذه الأبيات :

سمير فـؤادى من ثلاثين حجة وصـاقل ذهنى والمفرج عن همى
بسطت لهم فيه من كلام نبهم لما فى معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآداب ما يهتدى به إلى البر والتقوى ونهى عن الظلم^(٢)

ولا يزال هذا الكتاب ينتظر الطبع ، وتوجد أجزاءه المخطوطة في معهد المخطوطات ، ودار الكتب المصرية .

٢ — الاستيعاب في طبقات الأصحاب ، صنفه في أسماء المذكورين في الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضى الله عنهم ، والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم ، في اثني عشر مجلداً ، وقد طبع في حيدر آباد الدكن في مجلدين سنة ١٣١٩ هـ وطبع مؤخراً مرتباً على حروف المعجم بتحقيق الأستاذ على البجاوى .

(١) وفيات الأعيان ٦/٦٥ .

(٢) النظر رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس ، وانظر وفيات الأعيان بالرقم السابق .

٣ — جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله . وهو في الآداب الشرعية والتاريخ ، ويشتمل في تضاعيفه على ثمانية وثمانين ومائتي ترجمة لبعض الشراء والأدباء والفقهاء ، طبع مرتين ، الأولى مجرداً عن الإسناد باسم « مختصر جامع بيان العلم » في جزء واحد اختصره أحمد بن عمر الحصاني البيروتي الأزهرى بالقاهرة سنة ١٣٢٠ هـ والثانية في جزئين في (المطبعة المنيرية) سنة ١٣٤٦ هـ بالقاهرة .

٤ — الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ (١) .

٥ — الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم ، طبع بمطبعة القدس سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٦ — الإنباه على قبائل الرواة ، نشره القدس سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٧ -- القصد والأهم في التعريف بأصول العرب والعجم ، رسالة صغيرة في الأنساب ، طبعها حسام القدس سنة ١٣٥٠ هـ مع الكتاب السابق ، وقد لقيت هذه الرسالة عناية من المستشرقين ، ودرسها كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب دراسة ممتازة ونقل عن تولدكه أنه يعتقد أن هذه الرسالة ذيل لكتاب كبير في الأنساب (٢) .

٨ — الدرر في اختصار المغازي والسير ، وهو مختصر السيرة النبوية لابن هشام ، ويوجد مخطوطاً في دار الكتب وهو تحت الطبع بتحقيق الدكتور شوقي ضيف .

٩ — أخبار أئمة الأمصار سبعة أجزاء ، ذكره الحميدي في الجذوة ، والضبي في البقية .

١٠ — الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة ستة عشر جزءاً ، ذكره الحميدي وابن خير الإشبيلي والضبي ، ويوجد مخطوطاً في الفاتيكان والمدينة .

١١ — اختلاف أصحاب مالك بن أنس ، واختلاف رواياتهم عنه ، أربعة وعشرون جزءاً ذكره الحميدي والضبي .

١٢ — الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار . توجد منه أجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية .

(١) ذكر هذا الكتاب في بروكلمان باسم : الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف ، وهو بهذا الاسم أيضاً في كنف الطنون .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ٢٧٣/١

- ١٣ — رسالة أدب المجالسة وخوض اللسان . مخطوطة في دار الكتب .
- ١٤ — شرح زهديات أبي العتاهية ، توجد مخطوطة منه بمكتبة عارف حكمت بالمدينة ،
منها نسخة في معهد المخطوطات .
- ١٥ — نزهة المستمعين ، وروضة الخائفين ، مخطوطة في الفانيكان .
- ١٦ — الشواهد في إثبات خبر الواحد ، ذكره الحميدى والضبي .
- ١٧ — التقصى لما في الموطأ من حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أجزاء . ذكره
الحميدى والضبي .
- ١٨ — العقل والعقلاء ، وما جاء في أوصافهم عن الحكماء والعلماء . جزء واحد ذكره
الحميدى والضبي وابن فرحون .
- ١٩ — أسماء المعروفين بالسكنى ، سبعة أجزاء .
- ٢٠ — البستان في الأخدان .
- ٢١ — الأجوبة الموعبة في الأسئلة المستغربة . ذكره صاحب كشف الظنون .
- ٢٢ — اختصار التحرير ، واختصار التمييز لمسلم .
- ٢٣ — الإشراف في الفرائض . ذكره صاحب كشف الظنون .
- ٢٤ — اختصار تاريخ أحمد بن سعيد^(١) ذكره الحميدى والضبي .
- ٢٥ — الاكتفا في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء والحجة لكل منهما . ذكره .
الحميدى والضبي .

(١) هو أحمد بن سعيد بن حزم الصوفي المتجبل ، أبو عمر ، ألف في تاريخ الرجال كتاباً كبيراً جمع فيه كل ما أمكنه من أقوال الناس في أهل العدالة والتجريح ، هو هذا الذي اختصره أبو عمر . الجزء ١١٧ .

٢٦ — جمهرة الأنساب ذكره ابن فرحون ، وابن خلكان .

٢٧ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد ، ذكره الحميدى والضبي .

٢٨ — البيان عن تلاوة القرآن ، ذكره الحميدى والضبي .

٢٩ — فهرست شيوخه .

٣٠ — وأخيراً : بهجة المجالس ، وأنس المجالس ، هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليوم .

بهجة المجالس وأنس المجالس^(١) :

هذا الكتاب يأبى به أبو عمر ألا أن يثبت أنه لم يأل جهداً في خدمة العلم وتقييده والحفاظ عليه ، فمن بين مهامه الكبيرة ومشاغله المتعددة في علوم الحديث ورجاله وأنسابهم ، وما يتعلق بذلك من الجرح والتعديل ، ثم الفقه ومسائله وتفريعاته وما يتعلق به من أحكام ، والتدريس للطلبة وما يستلزمه من وقت وجهد ، يجد أبو عمر فسحة من الوقت ليسجل فيها خلاصة قراءاته في الأدب ، مجموعة ليست في كتيب صغير ، بل في مجلدين كبيرين ، فيثبت بذلك أنه على حد قول ابن سعيد : في حلبة الأدب فارس ، وكفاك دليلاً كتابه بهجة المجالس^(٢) .

والواقع أننا يمكن أن نعتبر هذا الكتاب مثلاً من الأمثلة التي ضربها لنا العلماء المسلمون في استغلال كل طاقاتهم الممكنة في خدمة العلم ، واعتبار أنفسهم جنوداً في ميدانه ، يجب عليهم أن يقدموا كل ما في جعبتهم منه للأجيال القادمة تأدية منهم لحق الأمانة نحو الحفاظ عليه وتنميته .

ولقد كان أبو عمر من رجال الحديث والفقه ، ولكنه على ما يبدو وجد لديه ذخيرة كبيرة من نماذج الأدب الثمينة التي قرأها أو سمعها على شيوخه ممن جابوا أقطار الأرض في طلبها فرأى أن يسجل من هذا كله أشرفه وأطرفه هدية خالصة من جهده لجيله ، ولئن يأتى بعده من أجيال العربية .

(١) طبعت مقتطفات منه مع كتاب الأدب الكبير لابن المقفع في كتاب بعنوان جواهر الحكماء ألحق بالمجلد الخامس من مجلة المحيط سنة ١٩٠٧ بالقاهرة .

(٢) المغرب ٤٠٨/٢ .

ولقد رسم أبو عمر غايته من كتابه ومنهجه فيه . أما من حيث الغاية فيمكننا أن نقول إنه قصد فيه إلى ثلاثة أشياء :

أولاً : أن معرفة الأدب في حد ذاتها قريبة إلى الله ، وهي أولى ما يجب أن يعنى به الطالب بعد الوقوف على معانى السنة والكتاب . فهي : « تبعث على المسكارم وتنهى عن الدنيا والمحارم » .

ثانياً : أن في جمع « نواذر العرب وأمثالها وأجوبتها ومقاطعها . ومبادئها وفصولها ما يبعث على امتثال طرقهم واحتذائها » .

ثالثاً : « أنها زين لمن حفظها في مجالسه . وأنس لمجالسه . وشهد لذهنه وهاجسه »^(١) .

ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكره أبو عمر ، أن كتابه هذا والكتب الأدبية الأخبارية الكثيرة التي على شاكلته قصد بها المؤلفون العرب إلى هدف سام آخر . وهو تربية الملكة العربية ، وتحبيب اللغة إلى الدارسين وتزجية أوقات فراغهم بالمفيد المجدى من لغة العرب وأساليبهم وأخبارهم وسممهم وحكمهم وأمثالهم والمختار من أشعارهم .

ونعود مرة ثانية إلى الكتاب فنقول : أما من حيث منهج الكتاب فإنه بسيط لاتعقيد فيه إذ أن المصنف قسم كتابه إلى عدد من الأبواب بلغ مائة واثنتين وثلاثين باباً ، كل منها يضم معنى من معانى الدين أو الدنيا ، ثم هو يفتح الباب بآية من القرآن إن تيسر ، ثم بحديث من أحاديث الرسول إن تيسر كذلك ، ثم يورد من أشعار العرب وحكمها ، أو ما أثر عن غيرهم من المعجم والروم من كل ما قيل في هذا المعنى أو اتصل به .

والواقع أنه بذلك يتبع إلى حد كبير منهج ابن قتيبة في عيون الأخبار ، أو ابن عبد ربه في العقد الفريد ، ولكنه يزيد عليهما أنه يذكر في الباب الواحد منه المعنى وضده : « ليكون أبلغ

(١) انظر مقدمة المؤلف فيما يلي بعد .

وأشقى وأمتع^(١) « وهو من هذه الناحية يسكاد يشبه كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ .

ونأتى إلى مادة الكتاب فنقول : إن أبا عمر استقاها من عدد ضخم من المصادر ، بعضها معروف تماماً والآخر فقد ولا نعرف عنه شيئاً . أما تلك المعروفة فهي تشمل : كتب ابن قتيبة وخاصة عيون الأخبار والمعارف والشعر والشعراء . وكتب الجاحظ : البيان والتبيين والحيوان ، وكتاب أبي حيان التوحيدي في الصداقة والصديق ، وحماسة أبي تمام ودواوين معظم الشعراء المشهورين وغير المشهورين مما وجد منها في عصره ، ثم الموسوعتين الكبيرتين تفسير الطبري وتاريخه ، وهذه المصادر واضحة تمام الوضوح بحيث تحتاج إلى أبسر الجهد لمعرفة مواضعها في الكتاب .

ومن الملاحظ أن مادة الكتاب في معظمها مادة مشرقية ، ولكن الكتاب إلى جانب ذلك يمتاز بعدد من المزايا الهامة ، نستطيع أن نورد بعضها فيما يلي :

١ — أنه أورد قدراً ممتازاً من شعر الشعراء الأندلسيين ، كيحيى بن حكم الغزال ، ويوسف بن هارون الكندي الرمادي ، وأبي القاسم محمد بن نصير الكاتب ، وابن عبد ربه وغيرهم ، لا يوجد في أية مصادر أخرى .

٢ — أنه حفظ لنا مادة مشرقية فقدت مصادرهما في المشرق نفسه . ولم تصل إلينا إلا عن طريقه ، ومن أهم ذلك : شعر منصور الفقيه الأديب المصري الموطن^(٢) . الذي كان شعره مشهوراً في الأندلس في ذلك الحين ، وقد أورد له الكتاب كمية وافرة من شعره نصلح أن تكون له ديواناً ، أو على الأقل تعطى فكرة كاملة وصحيحة عن شعره يمكن على ضوءها دراسته . وهذا القول يمكن أن ينطبق أيضاً على ما أوردته في الكتاب للشاعر البغدادي محمود الوراق .

(١) انظر مقدمة المؤلف .

(٢) سوف ترد ترجمته ومن بعده في أماكنها من الكتاب .

ثم هناك أشعار لأبي العتاهية ذكرها ابن عبد البر هنا ولم ترد في الديوان المطبوع ، وأشعار لم تنشر من قبل لأبي بكر العرزمي وكشاجم والناشيء الأكبر وخالد بن يزيد الكاتب وسعيد ابن حميد ، وسهل الوراق ، وأبي الفرج الببغاء ، والحسن البصري وغيرهم .

٣ — أن الكتاب هام ومفيد لدراسة تطور الأدب الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومعرفة الكتب وألوان الثقافة المشرقية التي وصلت إلى الأندلس حينذاك .

ومن الملاحظ أن الأدب الأندلسي في هذه الفترة كانت تغلب عليه ظاهرتان واختتان :

الأولى : غلبة الثقافة المشرقية عليه والثانية : طابع الزهد والتصوف الفاشيين فيه وكلاهما واضح تمام الوضوح في كتابنا هذا . وقد درس الباحثون هاتين الظاهرتين بكثير من العناية^(١) ويمكن أن يقدم كتابنا في هذا الصدد معلومات أوفى تزيد الدراسات جلاء ووضوحاً .

على أننا يجب أن نشير إلى بعض الملاحظات الهامة بالنسبة لعمل المصنف في الكتاب إذ المعروف أن كتب المختارات الأدبية ومن بينها كتابنا هذا تسير على نسق واحد من حيث اختيار مآثور الحكم والأشعار ويمتاز كل منها بأنه تبدو فيه شخصية المؤلف وميوله الأدبية من اختياراته ، ومن بعض الآراء التي يعقب فيها على بعض الأخبار .

ويمكننا أن نقول : إن شخصية ابن عبد البر تبدو واضحة فيما يلي :

أولاً : ميله الشديد إلى العبارات المهذبة ، والألفاظ التي لا تجرح الحياء ، ونادراً ما تجد في كتابه هذا حكاية فاحشة ، أو لفظاً ساقطاً .

ثانياً : حرصه على استقصاء المعنى وإيراد عدد وافر مما قيل فيه نظماً ونثراً ، مع تكملة الشواهد التي وردت في الكتب الأخرى إن كانت لها مناسبة بالمعنى ، إما بإيراد بعض الأبيات قبلها أو بعدها ، وقد أشرنا في تعليقاتنا في الهوامش على أمثلة من هذا .

(١) انظر كتاب تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس .

ثالثاً : نقده لبعض الأخبار التي وردت في الكتب وشهرت بين الناس ، كنقده لما روى عن مجيء وفد ملك الروم إلى معاوية وفيه رجلان أحدهما طويل والآخر أيد ، فندب لمخالبتهما قيس بن سعد الأنصاري ، ومحمد بن الحنفية ، أما قيس وكان طويلاً بين الرجال فإنه خلع سراويله في مجلس معاوية وألقى بها إلى الرومي فلما لبسها لم تبلع ثنדותه ، وأما ابن الحنفية فإنه عرض على الرومي إما أن يقعد هو ويقيم الرومي أو يقعد الرومي ويقيم هو ، فلما قعد محمد لم يستطع أن يقيم الرومي ... إلى آخر ما ورد في هذه القصة ، ويعقب عليها ابن عبد البر بأنها في رأيه منكورة وليست بصحيحة ولا لها أصل لأنها تخالف أخلاق قيس ومحمد ، وليس فيها كبير فائدة لمنزلتهما .

وكنقده لما ورد في كتاب الجان للجاحظ عن الغيلان وظهورها لبني آدم وزواج بعضهم منها فهو يقول عن ذلك : إنها من دعابات عمرو بن بحر ومجونه . إلى غير ذلك مما تراه مفرقاً في مواضع مختلفة من الكتاب .

إلا أننا مع تقديرنا لهذه النقادات الصائبة ، نلاحظ أنه يورد كثيراً من الأخبار الأسطورية التي لا يقبلها عقل في كتابه ، وغالباً ما يكون ذلك في القصص التاريخية المتداولة ، ومثال ذلك ما أورده من قصة اليهودي الذي كان كلما فتح المصحف (كذا) وقرأ فيه : « بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ... الخ » يدعو الله ويقول : رب أرني من جعلت خراب بني إسرائيل على يديه ، حتى أوحى الله إليه بأوصاف يختصر الموجود بأرض بابل فذهب إليه ... الخ . فأى مصحف هذا الذي كان موجوداً على عهد يختصر . ؟ .

ومثل ذلك مما لا يقبله العقل من أخبار المعمرين الذين عاش بعضهم ثلاثمائة سنة وبعضهم أكثر .

ولكن على أية حال نرى أن ما أورده أبو عمر في كتابه من مثل هذه الأخبار المنقولة عن الكتب الأدبية ، لا يعد شيئاً بالنسبة لما ورد في الكتب الأخرى من أمثالها ، وحسبنا أن نقرأ صفحات مما ورد في كتب ابن قتيبة والجاحظ والمبرد والطبري لنرى أي قصص يملأ بطون هذه الكتب ، وبخاصة في ما ورد من القصص والنقول الأسطورية الموهلة في القدم .

المخطوطات ومنهج التحقيق :

كانت النسخ التي عثرت عليها للكتاب أولاً نسختين :

الأولى : نسخة دار الكتب ، وهي ملفقة من نسختين :

(أ) القسم الأول : يحتوي على الجزئين الأول والثاني ، بدار الكتب رقم ١٣٦٦ أدب مصورة معهد المخطوطات رقم ٩٨ ، وهذه النسخة كتبت سنة ١٣١٣ هـ ، نقلا عن نسخة محفوظة أيضاً في دار الكتب تحت رقم ٣٤٢ أدب ، وهذه الأخيرة كتبت سنة ٩١٥ هـ بخط مغربي حسن إلا أنها أصبحت في حالة شديدة من التلف والتآكل ، مما جعل المشرفون على المخطوطات ينسخونها في النسخة الأولى ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أن الناسخ لم يستطع بالطبع نقل ما تلف منها نترك مكانه خالياً ، وبقي هذا القسم حتى الآن على الرغم من إعادة نسخه مرة ثانية في مخطوطة أخرى محفوظة برقم ١٩٦٣ أدب ، لا يمكن الاعتماد عليه في نشر الكتاب وإن أمكن اعتبار الموجود منه مرجعاً لقراءة ما تعسر قراءته في النسخ الأخرى .

(ب) القسم الثاني : ويحتوي على الجزئين الثالث والرابع من الكتاب في مجلد واحد وهذا القسم من نسخة أخرى كتبت سنة ٦٧٧ هـ ، بخط نسخ جيد واضح مضبوط بالشكل ويقع كاملاً في مائة وخمس وثمانين ورقة ، ويعد بالمقارنة إلى النسخ الأخرى ، أدق وأكمل نسخ الكتاب وإن عابه اضطراب بعض الصفحات في أوله ووضع بعضها مكان بعض ، وهو عيب طفيف أمكن علاجه بالمقارنة بالنسخ الأخرى .

النسخة الثانية : وهي نسخة مراد ملا باستانبول رقم ١٤٨٧ ، مصورة معهد المخطوطات

رقم ١٠٠ أدب وهذه النسخة نسخة خزائية قيمة ، كتبت سنة ٧٩٣ هـ برسم خزانة الملك أبي العباس علي بن رسول الغساني ملك اليمن ، وهي أربعة أجزاء في مجلد يبلغ عدد صفحاته ٢٦٥ صحيفة وتعتبر هذه كاملة تماماً ولا يعيبها إلا أن الناسخ تصرف في بعض الألفاظ والجل التي عسرت عليه قراءتها في النص بألفاظ وجاهل من عنده .

النسخة الثالثة : نسخة رواق المغاربة بالجامع الأزهر . وهذه عثرتنا عليها أخيراً ولم نتمكن

من الاطلاع عليها إلا بعد جهد شديد ، وهي نسخة مغربية قيمة . كتبت سنة ١١٥٨ هـ . في مجلد واحد يقع في حوالى أربعائة ورقة ، وقد أمكننا بالعثور عايتها تصحيح ألفاظ كثيرة في القسم الأول من الكتاب ، كما عثرنا بها على باب كامل كان ساقطاً من نسختي دار الكتب ومراد ملا فأثبتناه ، ولكننا لم نكد نجد بالنسبة للقسم الثانى فارقاً بينها وبين نسخة دار الكتب القيمة ، بل على العكس فإن هذه النسخة الأخيرة أكمل من نسخة رواق المغاربة ففيها أبيات كثيرة من الأبواب الأخيرة ليست في النسخة الثانية ، مما يرجح أن النسخ اختصر بعضها ربما لطول الكتاب وضخامة العمل .

وعلى هذا قررنا أن أنسب الطرق لتحقيق الكتاب ، هو العمل بطريقة النص المختار رغبة منا في أن يظهر الكتاب في أنصى درجة ممكنة من الكمال ، ولهذا ففيما يتعلق بالقسم الأول فقد اعتمدنا فيه على ما يلي :

أولاً : نسخة رواق المغاربة لأنها في هذا القسم أتم وأكمل النسخ ، فضلاً عن صحة كلماتها وأمانة نقاها .

ثانياً : نسخة مراد ملا ، التي ذكرنا من قبل أنها كاملة وليس ثمة ما يؤخذ عايتها إلا تصرف النسخ في بعض كلمات النص .

ثالثاً : نسخة دار الكتب الناقصة «ب» للاستئناس والمقارنة .

وفيما يتعلق بالقسم الثانى اعتمدنا على ما يلي :

أولاً : نسخة دار الكتب القيمة «أ» بعد أن رتبنا ما حدث في أوراقها الأولى من خلط وتشويش ، وقد اعتمدنا عليها بعد ذلك لتمامها ودقتها ووضوح كلماتها وضبطها بالشكل فضلاً عن أنها أقدم النسخ الموجودة للكتاب .

ثانياً : نسخة رواق المغاربة .

ثالثاً : نسخة مراد ملا .

وقد رمزنا إلى نسخة رواق المغاربة في الهوامش بالحرف (م) وإلى نسخة مراد ملا بالحرف (أ) وإلى نسخة دار الكتب بالحرف (ب) .

وأما فيما يتعلق بعملنا في تحقيق النص ، فقد حرصنا على ما يلي :

١ - معارضة الأصول بعضها ببعض وإثبات الخلافات .

٢ - ضبط الآيات القرآنية بالشكل وتخرجها .

٣ - كان المصنف يذكر في أول كل باب بعد إيراد الآيات القرآنية بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه لم نأل جهداً في تصحيح نصها وضبطها ، ولكننا رأينا أن تخرجها من كتب الحديث سيخرج بالكتاب عن طبيعته الأدبية التي قصد إليها المؤلف وتثقله بما هو خارج عن موضوعه ، ولهذا فلم نخرج من الأحاديث إلا تلك التي تحتاج إلى شرح أو بيان أو التي لم تذكر بتمامها ، فشرحنا الغامض وأكملنا الناقص من كتب الأحاديث المختلفة .

٤ - ضبط الأعلام الواردة في النص والتعريف بها ، وخاصة إذا ورد اسم العلم بكنيته أو شهرته فحسب .

٥ - ضبط الأبيات بالشكل الكامل ، مع بذلنا غاية الجهد في تخرجها من شتى كتب الأدب ودواوين الشعراء ، مع إثبات الروايات المختلفة إن وجدت .

٦ - ومن جهة الأخبار ، فقد قابلناها على مثيلاتها في الكتب الأدبية والتاريخية المختلفة ولم نحصر على ذكر المرجع في الأخبار الجزئية إلا حين تختلف الرواية للخبر اختلافاً بيناً ، أو يكون ثمة خطأ .

٧ - قمنا بعمل فهرس مفصلة للأعلام والأماكن والأبواب ليسهل على القارئ الرجوع إلى المادة التي يود الاطلاع عليها .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وفقت فيما أقدمت عليه من تحقيق هذا الكتاب فإن لم أكن فخسي أنى قد بذلت غاية الوسع وما قصرت .

والله أسأل أن ينفع به ، كما نفع بصاحبه من قبل ، إنه سميع مجيب .

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم^(١).

أما بعد : فإن أولى^(٢) ما ابتدئ^(٣) به كتاب ، وافتح به خطاب ، حمد الله على
جزيل آلائه ، وشكره لجليل^(٤) بلائه ، ثم الصلاة على خاتم أنبيائه وعافيه رسله ،
صلوات الله عليهم أجمعين ، وسلام عليهم في العالمين وبركاته . والحمد لله الذي
هدانا للإسلام ، وفضلنا على جميع الأنام ، وجعلنا من أمة محمد نبيه عليه الصلاة
والسلام^(٥).

وبعد : فإن أولى ما عني به الطالب ، ورغب فيه الراغب ، وصرف إليه العاقل
همه ، وأكد فيه عزمه ، بعد الوقوف على معاني السنن والكتاب ، مطالعة فنون
الآداب ، وما اشتملت عليه وجوه الصواب ، من أنواع الحكم التي تحيي النفس
والقلب ، وتشحذ الذهن واللّب ، وتبعث على المكارم ، وتنهى عن الدنایا والمحارم ،
ولا شيء أنظم لشم^(٦) ذلك كله ، وأجمع لفنونه ، وأهدى إلى عيونه ، وأعقل
لشارده ، وأثقف لنادره ؛ من تقييد الأمثال السائرة ، والآيات النادرة ، والفصول
الشريفة ، والأخبار الظريفة ، من حكم الحكماء ، وكلام البلاء^(٧) العقلاء : من أئمة

(١) ب : بوبه العون بدلا من هذه الجملة -

(٢) ب : أول -

(٣) ب : أفتح -

(٤) ساقط من ب -

(٥) ب : فالحمد -

(٦) ب : ساقط من م -

(٧) ب : ساقط من ب -

(٨) أ : الألباء -

السلف ، وصالحى الخلف ، الذين امثلوا فى أفعالهم وأقوالهم ، آداب^(١) التنزيل ، ومعانى سنن الرسول ، ونوادى العرب وأمثالها ، وأجوبيتها ومقاطعها ، ومبادئها وفصولها ، وما حووه من حكم العجم ، وسائر الأمم ، فى تقييد أخبارهم ، وحفظ مذاهبهم ، ما يبعث على امثال طرقهم^(٢) واحتذائها ، واتباع آثارهم واقتفاءها .

وقد جمعتُ فى كتابى هذا من الأمثال السائرة ، والأبيات النادرة ، والحكم البالغة ، والحكايات الممتعة فى فنون كثيرة وأنواع جمة ، من معانى الدين والدنيا ، ما انتهى إليه حفظى ورعايتى ، وضمته روايتى وعنايتى ، ليكون لمن حفظه ووعاه ، وأتقنه وأحصاه زينا فى مجالسه ، وأنسا لمجالسه ، وشجذاً لذهنه وهاجسه ، فلا يمر به معنى فى الأغلب^(٣) مما يذكر به ، إلا أورد فيه بيتاً نادراً ، أو مثلاً سائراً ، أو حكاية مستطرفة ، أو حكمة مستحسنة ، يحسن موقع ذلك فى الأسماع ، ويخفف على النفس والطباع ، ويكون لقارئه أنساً فى الخلاء ، كما هو زين له فى الملاء ، وصاحباً فى الاغتراب ، كما هو حلى بين الأصحاب .

وجمعتُ فى الباب به منه المعنى وضده لمن أراد متابعة جلسه فيما يُورده فى مجلسه . ولمن أراد معارضته بضده فى ذلك المعنى بعينه ، ليكون أبلغ وأشفى وأمتع .

وقد قرّبه ، وبوّّبه ليسهل حفظه ، وتقرّب مطالعته ، وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم تبركاً بتذكاره ، وتيمناً بآثاره .

(٢) ١ : طرقهم .

(١) ب : أدب .

(٣) ب : لا غلب .

وإلى الله أتّهلّ في حسن الامون^(١) و^(٢) التأييد لما يحبّ ، والتسديد ، وهو حسبي
هو نعم الوكيل .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما أهدى المرء المسلم لأخيه هديةً
أفضل من كلمة واحدة ، يزيد الله بها هدىً ، ويصرفه بها عن ردى » .
ويروى عن عيسى الخياط ، عن الشعبي ، قال : لو أن رجلاً سافر من أقصى
الشّام إلى أقصى اليمن لسمع كلمةً ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ، ما رأيت أن
سفره قد ضاع^(٣) .

قال محمد بن سلام الجحى ، عن ابن جعدبة^(٤) ، قال : ما أبرم عمر بن الخطاب
أمرًا قطّ إلّا تمثّل فيه بيت شعر .

وقال محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه^(٥) : كفاك من
علم الأدب أن تروى الشاهد والمثّل .

وقال أبو الزّناد: ما رأيت أحداً أروى للشعر من عروة بن الزبير . فقل^(٦) له:
ما أرواك للشعر ! قال : وما روايتى من رواية عائشة له ، ما كان ينزل بها شىء إلّا
أنشدت فيه شعراً .

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : العلم أكثر من أن يحصى ،
نخذوا أرواحه ، ودعوا ظروفه .

(٢) ساقط من ب .

(١) ب : العواقب .

(٣) ١ : جعرفة والصحيح ما أثبتناه ، فهو يزيد بن عياض بن جعدبة الليثي ، أبو الحكم المدني نزيل

البصرة ، محدث ثقة ، ترجمته في تهذيب التهذيب ١١ / ٣٥٢ .

(٥) ب : وقيل .

(٦) ساقط من ب .

ولقد أحسن القائل ، وقيل إنه منصور الفقيه^(١) :

قَالُوا: خذ الْعَيْنَ مِنْ كُلِّ فَقَلْتُ لَهُمْ: فِي الْعَيْنِ فَضْلٌ، وَلَكِنْ نَظَرُ الْعَيْنِ
حَرْفَانِ فِي أَلْفِ طُومَارٍ مُسَوَّدَةٍ وَرُبَّمَا لَمْ تَجِدْ فِي الْأَلْفِ حَرْفَيْنِ^(٢)

وروى عن مُخَلَّد بن يزيد ، عن جابر بن معدان قال : كلَّ حكمة لم ينزل فيها
كتاب ، ولم يُبعث بها نبي ، ذخرها الله حتى تنطق بها ألسنُ الشعراء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ حِكْمَةً » .

روى ابن نعيم ، عن الحسن بن صالح ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : خذ الحكمة ممن سمعتها ، فإنَّ الرجل قد يتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، كما أن
الرمية قد تجيء من غير رام^(٣) .

(١) منصور بن إسماعيل التميمي ، فقيه شافعي ضريير ، أغلب شعره في الحكم والأمثال ، توفي بدمشق سنة ٣٠٦ هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان ١٢٥/٢ ، شذرات الذهب ٢: ٩/٢ معجم الأدباء ١٨٥/٢ - ١٨٩ .
(٢) جامع بيان العلم ١٠٦/١ ، التمثيل والمحاضرة ١٦٠ .
(٣) ساقطة من رب .

بَابُ آدَبِ الْمَجَالَسَةِ ، وَحَقِّ^(١) الْجَلِيسِ الصَّالِحِ^(٢)

أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَوْسُفَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ^(٣) ، وَخَلْفُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَسَعِيدُ بْنُ سَيِّدٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكَمٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ^(٤) مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ، وَاللَّفْظُ لِسَعِيدِ بْنِ سَيِّدٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ لَبَّانَةَ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ ، قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَتِيبِيِّ ، عَنْ أَبِي الْمُصْعَبِ^(٥) الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سُفْيَانَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ : حَدَّثَنَا أَبُو عُوَانَةَ كِلَاهُمَا عَنْ سَهِيلِ بْنِ أَبِي دَالِحٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلَسِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ » .

وَرَوَاهُ حَمَّادُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، عَنْ سَهِيلٍ ، بِإِسْنَادِهِ : مِثْلَهُ .

وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ نَصْرٍ ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سُفْيَانَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ قَالُوا : حَدَّثَنَا قَاسِمٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ وَضَّاحٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى الْقَطَّانُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ ، عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ :

(١) فِي ب : وَحَسَنٌ .

(٢) سَاقِطَةٌ مِنْ ب .

(٣) سَاقِطَةٌ مِنْ ب .

(٤) فِي ب : الصَّعْبُ وَهُوَ تَحْرِيفٌ وَاضِحٌ .

« إذا أتى أحدكم المجلس فليُسلِّم ، وإذا قام فليُسلِّم ، فليست الأولى بأحق^(١) من الأخرى » .

وحدثنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن بكر بن داسة قال : حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ، قال : حدثنا عبد الله بن مسامة القعنبي^(٢) ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي المولى^(٣) عن عبد الرحمن^(٤) بن أبي عمرة الأنصاري عن أبي سعيد الخدري^(٥) ، قال : سمعت^(٥) رسول الله عليه وسلم ، يقول : « لا يُقيمَنَّ أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه » .

قال : وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه ، من غير أن يُقيمه لم يجلس فيه . ومن حديث أبي بكر^(٦) عن النبي صلى الله عليه وسلم : « المجالسُ بالأمانة ، وإنما يتجالسُ الرجلان بأمانة الله — عز وجل — فإذا تفرقا فليستُر كلُّ منهما حديث صاحبه » . وقال أبو البخترى^(٧) : كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرجل من مجلسه ، ولكن ليوسع له .

(١) في ب : أحق .

(٢) في ب : العقبى ، وهو خطأ ، فهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي ، ثقة ، من أهل المدينة سكن البصرة ، يروي عن أبي سعيد ، ومالك من أنس ، وسليمان بن بلال ، ومات بالبصرة سنة ٢٢١ هـ . الباب في تهذيب الأنساب ٢/٢٧٥ .

(٣) ساقط في أ .

(٤) ساقط من ب .

(٥) في ب : قال .

(٦) أبو بكر : نفع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، صحابي مشهور ، من أهل الطائف ، وإنما قيل له أبو بكر لأنه تولى بكرة من حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم . توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ . الإصابة الترجمة ٨٢٩٠ ، تهذيب التهذيب ١٠/٤٦٩ .

(٧) سعيد بن فيروز الطائي بالولاء ، من فقهاء الكوفة . ثقة في الحديث ، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج ، قتل سنة ٨٢ هـ . شذرات الذهب ١/٩٢ ، تهذيب التهذيب ٤/٧٢ .

ومن حديث سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يُوسَّعُ في المجالسِ إلا لثلاثة : لذي علمٍ لعلمه ، ولذي سنٍ لسنه ، أو لذي سلطانٍ لسلطانه » .

ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « المجالسُ بالأمانةِ إلا ثلاثة : مجلسٌ سُفِكَ فيه دمٌ حرامٌ ، ومجلسٌ استُحِلَّ فيه فرجٌ حرامٌ ^(١) ، ومجلسٌ استُحِلَّ فيه مالٌ حرامٌ بغير حقّه » .

^(٢) ومن حديث عمر بن عبد العزيز ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لكلُّ شيءٍ شرفٌ ، وإنَّ شَرَفَ المجالسِ ، ما استُقبلَ به القبلة » ^(٣) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« إذا جلس إليك رجلٌ ، فلا تقومَ حتى تستأذنه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا قام الرجلُ من مجلسه ، فهو أحقُّ به حتى ينصرفَ إليه ، ما لم يودَّعْ ^(٤) جُلساءَهُ بالسَّلامِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يفرَّقُ واحدٌ منكم بين اثنين مُتجالسينِ إلا بإذניהما ، ولكنَّ تفسَّحوا وأوسعوا » .

وقال ^(٥) أنسُ بنُ مالكٍ : ما أخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رُكبتَيْه

(١) ب : ومجلس استحل فيه قوم حراما .

(٢) ساقط من م .

(٣) ساقط من ب .

وَلَا قَدَمَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ قَطُّ ، وَلَا تَنَاوُلُ أَحَدٌ يَدَهُ فَتَرَكَهَا حَتَّى يَكُونَ هُوَ
الَّذِي يَدْعُهَا .

وَقَالَ ابْنُ شَهَابٍ : كَانَ رَجُلٌ يَجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَ
لَا يَزَالُ يَتَنَاوَلُ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشَّيْءَ ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ آذَى
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« إِذَا نَزَعَ أَحَدُكُمْ عَنْ أَخِيهِ شَيْئًا فَلْيُرِهِ إِيَّاهُ » .

وَحَدَّثَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : أَنَّ رَجُلًا تَنَاوَلُ عَنْ رَأْسِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ شَيْئًا
فَتَرَكَهُ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ تَنَاوَلُ الثَّالِثَةَ ، فَأَخَذَ عُمَرُ يَدَهُ ، فَقَالَ : أَرِنِي مَا أَخَذْتَ ؟ وَإِذَا هُوَ
لَمْ يَأْخُذْ شَيْئًا !! فَقَالَ : انْظُرُوا إِلَى هَذَا ، قَدْ صَنَعَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ يُرِينِي أَنَّهُ يَأْخُذُ
مِنْ رَأْسِي شَيْئًا وَلَا يَأْخُذُهُ ، فَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ مِنْ رَأْسِ أَخِيهِ شَيْئًا فَلْيُرِهِ إِيَّاهُ .

قَالَ الْحَسَنُ : ^(١) نَهَاهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمَلَقِ .

وَقَالَ الْحَسَنُ ^(١) : لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا أَخَذَ مِنْ رَأْسِي شَيْئًا ، قُلْتُ : هَرَفَ اللَّهُ عَنْكَ

الشَّيْءُ .

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ : إِذَا أَخَذَ أَحَدٌ مِنْ لَحْيَتِهِ أَوْ رَأْسِهِ شَيْئًا ، قَالَ : لَا عَدَمَتَ

نَافِعًا .

وَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا أَخَذَ أَحَدٌ عَنْكَ شَيْئًا ، فَقُلْ : أَخَذْتَ

بِيَدِكَ خَيْرًا .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لأبي أيوب الأنصاري - وقد نزع عنه أذًى - : « نَزَعَ اللهُ عَنْكَ مَا تَكَرَّرَهُ يَا أَبَا أَيُّوبَ » .

قال عمر بن الخطاب : فحسب^(١) المرء من العي^(٢) أن يؤذى جليسه بما لا يعنيه . وأن يمجّد على الناس فيما تأتيه^(٣) ،^(٤) وأن يظهر له من الناس ما يخفى عليه من نفسه .

وعن عمر رضي الله عنه قال : إن مما يُصنّف وداد أخيك ، أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوّه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس^(٥) .

قال أبو أيوب الأنصاري : من أراد أن يكثر علمه ، فليجالس غير عشيرته .

روى سفيان بن عيينة ، عن مالك بن مَعْن ، قال : قال عيسى صلى الله عليه وسلم : جالسوا من تذكركم بالله رؤيته ، ويزيد في علمكم منطقتُه ، ويرغبكم في الآخرة عمله .

قال المدائني : أوصى يحيى بن خالد ابنه ، فقال : يا بُنَيَّ إذا حدثك جليستك حديثاً ، فأقبل عليه وأصغ إليه ، ولا تقل قد سمعته^(٥) وإن كنت أحفظ له ، وكأنك لم تسمعه إلا منه ، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك .

وعن عبد الملك بن عُمر ، قال : قال سعيد بن العاص^(٦) : جليسي على ثلاث خصال : إذا دنا رحبت به ، وإذا جلس وسّعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه .

(١) في ب : حسب .

(٢) في ب : م : الغنى . والمعنى هنا : الجهل .

(٣) في عمود الأخبار : أن يعيب على الناس ما تأتي .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : العاصي .

(٥) ب : سمعته .

وذكر ابن مقسم^(١) ، قال : سمعت المبرّد يقول : الاستماع بالعين ، فإذا رأيت عين من تحدّثه ناظرة إليك فاعلم أنه يُحسن الاستماع . وقد رُوينا هذا القول عن سهل بن عبادة .

ومن حديث جابر عن النبي عليه السلام ، أنّه قال : « من كان له أخ في الله فأكرمه فإنما يكرم الله » .

ورُوينا عن ثعلب النحوى ، أنّه قام لصديق قصده^(٢) ، وأنشد :
لئن قت ما في ذاك منها غضاضةً على وإني للكرام مُذال
على أنّها مني لغيرك هُجْنة^(٣) ولكنها يئني ويذك تجمل
ولغيره في هذا المعنى :

إذا ما تبدّى لنا طالعا حللنا الحبا^(٤) وابتدرنا القياما
فلا تُنكرن قياي إليه فإنّ الكريم يجلُّ الكراما^(٥)
ورُوينا من حديث عائشة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنّه قال : « أنزلوا الناس منازلهم » .

قال ابن وهب^(٦) : سمعت مالكا يقول : إذا كان الرجل عند رجل جالسا ،

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن مقسم العطار ، عالم بالعربية والقراءات ، من أهل بغداد ، توفي سنة ٣٥٤ هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ٢٠١/٢ معجم الأدباء ٩٦/٦ .

(٢) ١ ، ب : لنصر بن قصره .

(٣) الهجنة : العيب .

(٤) الحبا : الثوب المشتمل به ، وحللنا الحبا : كناية عن الخروج عن حدود التزم والوقار .

(٥) المحاسن والمساوى للبيهقي ١١٢/١ ، من غير نسبة .

(٦) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى المصرى ، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، كان حافظا ثقة مجتهدا ،

مات سنة ١٩٧ هـ . تهذيب التهذيب ٧١/٦ ، الوفيات ٢٤٩/١ .

نجاءه^(١) طالب حاجة ، فسكت عن عونه فقد أعان عليه^(٢) .

قال عمرو بن العاص : لا أملُ جليسى ما فهم عني ، وإنما الملالُ لدناءة الرجال .

قال الشعبي في قوم ذكركم : ما رأيتُ مثلهم أشدَّ تنابُذاً^(٣) في مجلس ، ولا أحسنَ فهمًا من محدث .

روى الأصمعي عن العلاء بن جرير عن أبيه ، قال : قال الأحنف بن قيس : لو جلس إلى مائة لأحببتُ أن أتمسَ رضى كل واحدٍ منهم .

وقال عبد الله بن عباس : أعزُّ الناس على جليسى الذي يتخطى الناس إلى ، أمّا والله إنَّ الذباب يقع عليه^(٤) فيشق على .
قال كشاجم^(٥) .

وَجَلِيسٌ لِي أَخِي ثِقَةٌ	كَانَ حَدِيثُهُ خَبْرَهُ
يَسْرُكُ حُسْنُ ظَاهِرِهِ	وَتَحْمَدُ مِنْهُ مُحْتَضَرُهُ
وَيَسْتُرُ عَيْبَ صَاحِبِهِ	وَيَسْتُرُ أَنَّهُ سَتَرُهُ

وقال آخر^(٥) :

جَلِيسٌ لِي لَهُ أَدَبٌ رِعَايَةٌ مِثْلِهِ تَجِبُ

(٢) ساقط من ب .

(١) ا ، ب : نجاء

(٣) معنى التناوبهما تعير كل فريق لرأيه ، ودفاعه عنه بما يملك من حجة ودليل وانظر العبارة في البيان ٣٧/٢ .

(٤) محمود بن الحسين المعروف بكشاجم ، شاعر متفنن ، من شعراء سيف الدولة . ولقبه هذا منحوت

من علوم كان يتقنها : الكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للانشاء ، والجيم للجدل ، والميم للخطب ، وقيل غير ذلك . توفي كشاجم سنة ٣٦٠ هـ ، انظر في ترجمته : شذرات الذهب ٣٧/٣ ، الأعلام ٤٣/٨ ، وانظر الأبيات في نهاية الأرب ١٢٦/٤ .

(٥) ساقط من ب .

لو انتقدت خلافة لُبَّهْرَج^(١) عندها الذهب^(٢)

وعن ابن عباس ، أنه قال : إني لأكره أن يطاء الرجل بساطي ثلاثاً فلا يرى عليه أثرى .

وعنه أيضاً^(٣) رضى الله عنه ، أنه سئل : مَنْ أكرمُ الناسِ عليك ؟ قال : جليسى حتى يفارقنى .

قال معاوية لعرابة الأوسى : بأيّ شيء استحققت أن يقول فيك الشماخ^(٤) :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسَى يَسْمُو
إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَايَهُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

فقال عرابة : سماعُ هذا من غيرى أولى بك وبى يا أمير المؤمنين ، فقال : عزمتُ عليك لتخبرنى . فقال : يا كرامى جليسى ، ومحاماتى على^(٥) صديقى .
فقال معاوية : لقد استحققت^(٦) .

قال على بن الحسين : ما جلس إلى أحد قط ، إلا عرفت له فضله حتى يقوم .

قال أبو عبادة^(٧) : ما جلس رجل بين يديّ ، إلا مُثِّلَ لى أنى جالس بين يديه .

(١) ب : ليمرح . والبهرج : الباطل أو الردى .

(٢) البيتان للقاضى أبى حنيفة النعمان بن حيون المغربى ، انظر وفيات الأعيان ٥٠/٥ .

(٣) ب : وعن ابن عباس .

(٤) هو الشماخ بن ضرار الغطفانى . شاعر مجيد مخضرم من طبقة ليلى والناخبة ، توفى سنة ٢٢ هـ ، وكان الشماخ قد التقى بعرابة وهو ينسوق أبعرة عليها زبيب وأدم قد أقبل بها من الطائف ، فاستطعمه شيئاً منها ، فقال له : خذ برأس القطار ، فقال الشماخ : أتهزأ بى ؟ فقال : خذ عافاك الله برأس القطار فهو لك فأخذ الإبل وما عليها ، وقال بيتيه الخالدين . انظر أنساب الأشراف ٢٧٧/١ ، ديوانه ٩٦ ، الشعر والشعراء ٢٧٨ ، وفيات الأعيان ١١٦/٥ .

(٥) ب : استحققت .

(٦) ب : عن .

(٧) أبو عبادة : عيسى بن عبد الرحمن بن فروة ، ويقال ابن سبرة الأنصارى ، أبو عبادة الزرقى المدنى ،

انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢١٨/٨ .

روى عن عبدالله بن يزيد ، وقد روى ذلك لأبي حازم ، أنه قال : وطن نفسك على^(١) المجلس السوء ، فإنه لا يكاد يخطئك . وقد روى ذلك عن الأحنف ، والله أعلم

قال بعض الحكماء : رجلان ظالمان يأخذان غير حقهما ، رجل وسّع له في مجلس خفيّ فترّبّع وتفتح^(٢) ، ورجل أهديت إليه نصيحة فجعلها ذنباً .

وقال مسعر بن كدام : رحم الله من أهدى إلى عيوبى في ستر بينى وبينه ، فإن النصيحة في الملاء تقريع .

^(٣) قال الأحنف : لأن أذعى من بُعد أحب إلى من أن أقصى عن قرب .
وعن الأحنف أيضاً أنه قال : ما جلست مجاساً قط ، أخاف أن أقام منه لغيري^(٤)

وقال البعيث بن حرّيث^(٥) :

وإن مكاني في الندى ومجلسي
ولست وإن قربت يوماً بيّاع
ويعتده قوم كثير تجارة^(٦)
له الموضع الأقصى إذا لم أقرب^(٧)
خلاقى ولا ديني ابتغاء التحب
ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

جلس رجل^(٨) إلى الحسن بن علي رضي الله عنه ، فقال : جلست إلينا على حين قيام ، أفتأذن ؟!

(١) ب : عن . (٢) ب : وانتفخ . (٣) زيادة في ب .

(٤) ب : المغيث بن حريب ، وهو تحريف ، انظر ترجمته في المؤلف والمختار ٥٦ ، وانظر الأبيات في عيون الأخبار ٢٧٦/٣ ، حاشية أبي تمام ١٤٨/١ ، ١٤٩ ، العقد الفريد ٧٩/١ .

(٥) في أ : وإن مكاني في الثراء... الخ ، وفي عيون الأخبار : فإن مسيرى في البلاد ومترى لنا منزل الأقصى... الخ وفي العقد : هو لسزل .

(٦) في العقد : وقد عده قوم تجارة رابع . (٧) ب : رجال .

كان يقال : إِيَّاكَ وَكُلُّ جَلِيسٍ لَا تَصِيبُ مِنْهُ خَيْرًا .

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، أَنَّهُ قَالَ : إِيَّاكَ وَكُلُّ جَلِيسٍ لَا يَفِيدُكَ عِلْمًا .

(١) كان يقال : مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُهُ ، وَيَنْفَعُهُ عِلْمُهُ (١) ، فَلْيُقِلِّ مَنْ مَجَالَسْتَهُ مِنْ كَانَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ .

وقال الحسن البصري : انْتَقُوا الْإِخْوَانَ ، وَالْأَصْحَابَ ، وَالْمَجَالِسَ .

وروى هشامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنِّكَدِرِ ، قَالَ : كَانَ يَقَالُ : خِيَارُكُمْ أَلَيْنِكُمْ مَنَاقِبُ فِي الصَّلَاةِ ، وَرُكْنًا فِي الْمَجَالِسِ ، الْمُوْطَّئُونَ أَكْثَافًا ، الَّذِينَ يَأْلُفُونَ وَيُؤْلَفُونَ .

تَبَاعَدُ كَعْبُ الْأَحْبَارِ يَوْمًا فِي مَجْلِسِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! إِنَّ فِي حِكْمَةِ لُقْمَانَ وَوَصِيَّتِهِ لَابْنِهِ : إِذَا جَلَسْتَ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ فَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَقْعَدُ رَجُلٍ ، فَلَعَلَّهُ يَأْتِيهِ مَنْ هُوَ آثَرُ عِنْدَهُ مِنْكَ فَيَنْحِيكَ فَيَكُونَ نَقْصًا عَلَيْكَ .

وكان يقال : الْجَلِيسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنَ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ .

(٢) وعن جعفر بن سليمان الضَّبَّعِيِّ ، قَالَ : رَأَيْتُ مَعَ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ كَلْبًا ، فَقُلْتُ لَهُ :

مَا هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا خَيْرٌ مِنَ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ (٢) .

قَالَ زِيَادٌ : إِنَّهُ لَيُعْجِبُنِي مِنَ الرِّجَالِ مَنْ إِذَا أَتَى مَجْلِسًا أَنْ يَعْرِفَ أَيْنَ يَكُونُ

مَجْلَسَهُ ، وَإِنِّي لَأَتِي الْمَجْلِسَ ، فَأَدْعُو مَالِي مَخَافَةَ أَنْ أَدْفَعَ عَمَّا لَيْسَ لِي .

وَكَانَ الْأَحْنَفُ إِذَا أَتَاهُ رَجُلٌ أَوْسَعَ لَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَمَةٌ أَرَاهُ كَأَنَّهُ

يُوسِعُ لَهُ .

طرح أبو قلابة^(١) مجلس له وسادة ، فردّها فقال له : أما سمعت الحديث :
« لا تردنّ على أخيك كرامته » .

قال ابن شبرمة^(٢) لابنه : يا بني ! إياك وطول المجالسة ، فإنّ الأسد إنما يجترى عليها من أدام النظر إليها .

وهذا عندي مأخوذ من قول أردشير^(٣) لابنه : يا بني لا تمكّن الناس من نفسك فإن أجراً الناس على السّباع ، أكثرهم لها معايينة . ومن هذا — والله أعلم — أخذ ابن المعتز قوله^(٤) :

رأيت حياة المرء تُرخص قدره فإن مات أغلته المنايا الطوائح
كما يُخلق الثوب الجديد ابتذاله كذا تُخلق المرء العيون اللوامح^(٥)
ومن سوء الأدب في المجالسة : أن تقطع على جليسك حديثه ، أو تبدّره إلى تمام ما ابتدأ به منه خبراً كان أو شعراً ، تُتمّ له البيت الذي بدأ به ، تريه أنك أحفظ له منه . فهذا غاية في سوء المجالسة ، بل يجب أن تصنّى إليه كأنك لم تسمعه قط إلاّ منه^(٥) .

قال لداود الطائي^(٦) : لم تركت مجالسة الناس ؟ قال : ما بقي إلاّ كبيرٌ يتحفّظ عليك ، أو صغيرٌ لا يوقرُك .

(١) هو : عبد الله بن يزيد بن عمرو ، أبو قلابة الجرمي ، عالم بالقضاء والأحكام ، من أهل البصرة ، توفي سنة ١٠٤ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٢٤/٥ ، شذرات الذهب ١٢٦/١ .

(٢) ابن شبرمة : عبد الله بن شبرمة الضبي ، تولى قضاء السواد لأبي جعفر المنصور ، وكان عفيفاً صارماً . عاقلاً جواداً ، ثقة قليل الحديث ، توفي سنة ١٤٤ هـ . انظر شذرات الذهب ٢١٥/١ ، تهذيب التهذيب ٢٥٠/٥ .
(٣) ب : الأشتر .

(٤) ورد البيت الثاني فقط في الديوان ٢٩ ، وفيه : فابذل كما ، وانظرهما معاني التمثيل والمحاضرة ١٦٧ .

(٥) ساقطة من ب .

(٦) أبو سليمان بن نصير الطائي الكوفي ، من أكابر الزهاد ، وخيار التابعين ، توفي سنة ١٦٥ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣٤٧/٨ ، وفيات الأعيان ١٧٧/١ .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : لا تجالس عدوك ، فإنه يحفظ عليك سقطاتك
ومماريك في صوابك .

قالت الخنساء :

إِنَّ الْجَلِيسَ يَقُولُ الْقَوْلَ تَحْسِبُهُ خَيْرًا وَهَيَّاتَ فَاَنْظُرْ مَا بِهِ ^(١) التَّمَسَا
كان يقال : رأس التواضع ، الرضا بالدُّون من المجلس . وهذا يُروى عن
ابن مسعود أنه قال : إنَّ من التواضع أن تَرْضَى بالدُّون من المجلس ، وأن تبدأ
بالسلام من لقيت .

قال إبراهيم النخعي : إنَّ الرجلَ ليجلسُ مع القومِ فيتكلمُ بالكلام ، يريدُ الله
به ، فتصيبُهُ الرَّحمةُ فتعمُّ من حوله ، ^(٢) وإنَّ الرجلَ يَجْلِسُ مع القومِ فيتكلمُ بالكلام
يُسَخِّطُ اللهَ به ، فتصيبُهُ السَّخَطَةُ فتعمُّ من حوله ^(٣) .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً في مجلسه ، فرفع رأسه إلى
السماء ثم طأطأه ^(٤) ثم رفعه فسئل عن ذلك ، فقال : « هؤلاء قومٌ كانوا يذكرون
الله فزيلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحققهم الملائكة كالأقبة ، فلما دنت
منهم تكلم رجلٌ منهم ^(٥) يباطل فرُفعت عنهم ، ثم تلا : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ
يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ ^(٦) » .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي عليه السلام ^(٥) ، أنه قال : « ما جلس قومٌ

(١) في ب : ماله ، ولم أعر عليه في الديوان . (٢) ساقطة من ب .

(٣) في ب طأطأ . (٤) سورة الجاثية الآية : ٢٧ . (٥) ساقطة من ب .

يجلسوا يقرءون فيه القرآن ، ويذكرون الشئني ، ويتعلمون العلم ويتدارسونه بينهم ،
إلا حفت بهم الملائكة ، ونزات عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله
فيمن عنده . فقيل له : يا رسول الله ! الرجل يجلس إليهم وليس منهم ، ولا شأنه
بشأنهم ، أنأخذه الرحمة معهم ؟ قال : نعم ، هم القوم لا يشقى جليسهم .

أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، ويقال إنها له :

إِنْ صَحْبُنَا الْمُلُوكَ تَاهُوا وَعَقُّوا وَاسْتَخَفُّوا كِبَرًا بِحَقِّ الْجَلِيسِ
أَوْ صَحْبُنَا التَّجَارَ صِرْنَا إِلَى الْبُؤْسِ سِ وَعُدْنَا إِلَى عِدَادِ الْفُلُوسِ
فَلَزِمْنَا الْبُيُوتَ نَسْتَخْرِجُ الْعِدَّ مَ وَنَعْلًا بِهِ بَطُونُ الطُّرُوسِ^(١)

كان يقال : ذؤو المروءة والدين ، إذا أحرزوا القوتَ لزمو البيوت . أنشد أبو
عبدالله بن الأعرابي -- صاحب الغريب^(٢) -- :

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ أَلْبَاءُ مَأْمُونُونَ غِيًّا وَمَشْهَدًا
يُفِيدُونَنَا^(٣) مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَاضِي وَعَقْلًا وَتَأْدِيًّا وَرَأْيًا مُسَدَّدًا
بِلا فِتْنَةٍ تَخْشَى وَلَا سُوءِ عِشْرَةٍ وَلَا نَتَقِي مِنْهُمْ لِسَانًا وَلَا يَدًا
فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَسْتَ بِكَاذِبٍ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ فَلَسْتَ مُفَنِّدًا^(٤)

ولهذا الشعر خبر لابن الأعرابي مع أحمد بن محمد بن شجاع ، ذكرناه مع

(١) يروى : تاهوا علينا ، ولزمتنا البيوت نستكثر . وانظر الأبيات في جلع البیان العلم ٢/٢٠٣ .

(٢) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي ، أبو عبد الله ، راوية علامة باللغة من أهل الكوفة ، لم ير أحد
في علم الشعر أغزر منه ، مات سنة ٢٣١ هـ . انظر معجم الأدباء ١٨/١٨٩ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٢ .
تاريخ بغداد ٥/٢٨٢ .

(٣) و يروى : يبيروننا . (٤) جامع بيان العلم ٢/٢٠٢ ، معجم الأدباء ١٨/١٩٥ .

مع الأبيات في آخر كتاب « بيان العلم وفضله » . ولحمد بن بشير في هذا المعنى من قصيد له :

فصرتُ في البيتِ سروراً تَجِدُنِي
فَرْدًا تُخَبِّرُنِي الْوَتَى وَتَنْطِقُ^(١) لِي
لِلَّهِ مِنْ جُلَسَاءٍ لَا جَلِيسَهُمْ
لَا بَادِرَاتُ الْأَذَى يَخْشَى رَفِيقَهُمْ
أَبْقُوا لَنَا حِكْمًا تَبْقَى مَنَافِعُهَا
إِنْ شِئْتَ مِنْ مُحْكِمِ الْأَثَارِ يَرْفَعُهَا
أَوْ شِئْتَ مِنْ عَرَبٍ عِلْمًا بِأَوَّلِهِمْ
أَوْ شِئْتَ مِنْ سِيرِ الْأَمْلَاقِ مِنْ عَجَمٍ
حَتَّى كَأَنِّي قَدْ شَاهَدْتُ عَصْرَهُمْ
مَا مَاتَ قَوْمٌ إِذَا أَبْقَوْا لَنَا أَدَبًا
عَنْ عِلْمٍ مَا غَابَ عَنِّي فِي الْوَرَى الْكُتُبُ
فَلَيْسَ لِي فِي أَنْاسٍ غَيْرَهُمْ أَرَبُ
وَلَا خَلِيطُهُمْ لِلْسُّوءِ مُرْتَقِبُ
وَلَا يُلَاقِيهِ مِنْهُمْ مَنْطِقُ ذَرِبُ^(٢)
أُخْرَى اللَّيَالِي عَلَى الْأَيَّامِ وَانْشَعَبُوا^(٣)
إِلَى النَّبِيِّ ثَقَاتٌ خَيْرَةٌ نُجُبُ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُنَبِّئُنِي بِهَا الْعَرَبُ
تُنَبِّئُنِي وَتُخْبِرُ كَيْفَ الرَّأْيِ وَالْأَدَبُ
وَقَدْ مَضَتْ ذُنُوبُهُمْ مِنْ دَهْرِنَا حَقَبُ
وَعِلْمَ دِينٍ وَلَا بَانُوا وَلَا ذَهَبُوا^(٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفارة ما يكون في المجلس من اللفظ^(٥)
أن تقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » .

وفي حديث آخر :

- (١) ١ : وتنظر .
(٢) البادرة : ما يصدر عن الحدة في الغضب من قول أو فعل ، والذرب : حدة اللسان وسلطته .
(٣) ب : والشعب ، وانشعب : تفرق وتبدد .
(٤) انظر الأبيات في جامع بيان العلم ٢/٢٠٣ .
(٥) اللفظ : الجلبة والصياح .

« كفارة ما يكون في المجلس ألا تقوم حتى تقول : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، يارب تب علي واغفر لي ، فإن كان مجلس لغو^(١) كان كفارته ، وإن كان مجلس ذكر كان كالطابع عليه » .

وقال حسان بن عطية : ما من قوم كانوا في مجلس لغو فثموه بالاستغفار إلا كتب لهم مجلسهم ذلك استغفاراً^(٢) كله .

وروى عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن ، في قول الله عز وجل : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾^(٣) ، منهم^(٤) مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيى بن جعدة قالوا : حين تقوم من كل مجلس تقول فيه : سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، قالوا : ومن قالها غفر له ما كان منه^(٥) في المجلس .

وقال عطاء : إن كنت أحسنت ازددت إحساناً ، وإن كان غير ذلك ، كان كفارة .

ومنهم من قال : تقول حين تقوم : سبحان الله وبحمده من كل مكان ومن كل مجلس .

(٢) في ١ : استغفار

(٤) في ب زعم .

(١) لفظ ه في ب .

(٣) سورة الطور آية : ٤٨ .

(٥) ساقط من ب .

بَابُ حَمْدِ اللِّسَانِ وَفَضْلِ الْبَيَانِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَّغَتْ يَكْتُبُ اللَّهُ ^(١) لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَلْقَاهُ ... ^(٢) » الحديث .

قال مُعَاذُ : قلت يا رسول الله ! أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟

قال : « لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ » .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ اللِّسَانِ ، تَذْفَعُ بِهَا الْكَرِيهَةُ ، وَتَحَقِّنُ بِهَا الدَّمَ » .

وقال عليه السلام : « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ جَائِرٍ » .

قال أَبُو عَنَبَةَ الْخَوْلَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : رُبَّ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ إِعْطَاءِ الْمَالِ . وقال أَبَانُ بْنُ سُلَيْمٍ : كَلِمَةُ حِكْمَةٍ لَكَ مِنْ أَخِيكَ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ مَالٍ يُعْطِيكَ ؛ لِأَنَّ الْمَالَ يُطْفِئُكَ ، وَالْكَلِمَةُ تَهْدِيكَ .

قالوا : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا دَلَّ عَلَى هَدًى ، أَوْ نَهَى عَنْ رَدًى .

ذَكَرَ عِنْدَ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ : الصَّمْتُ وَالْكَلَامُ ، فَقَالَ قَوْمٌ : الصَّمْتُ أَفْضَلُ ^(٣) فَقَالَ الْأَحْنَفُ : الْكَلَامُ أَفْضَلُ ^(٣) لِأَنَّ الصَّمْتَ لَا يَعْدُو صَاحِبَهُ ، وَالْكَلَامُ يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ ، وَمَذَا كَرَّةُ الرِّجَالِ تَلْقِيحُ لَعَنَاقِهَا .

(١) ساقط من أ .

(٢) سترد بقية الحديث في باب تال ص ٧٩ ، وقد أخرج ابن ماجه نحوه مطولا في سننه ص ١٢١٣ حديث

٢٩٦٩ > ٢ .

(٣) ساقط من ب .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله عبداً تكلم بخير فغنى ، أو سكت فسلم » .

قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ : رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْكُفَّةِ آخِذاً بِلسانه وهو يقول : يَا لِسَانُ قُلْ خيراً تَغْنَمُ ، أو اسكتْ تَسْلَمُ .

وقالوا : السُّكُوتُ سلامة ، والكلامُ بالخير غنيمة ، ومن غم أفضل ممن سلم .

قال أعرابيٌّ : من فضل اللسان ، أن الله عز وجل أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح .

وقال عبدُ الملك بن مروان : الصمتُ نومٌ والنطقُ يقظة .

قال خالدُ بنُ صفوان : ما الإنسان لولا اللسان إلا صورةٌ مُمَثَّلَةٌ ، أو بهيمة مرسلة^(١) ، أو ضالةٌ مهملة .

كان يقال : الألسنُ خدامُ القرائح .

قال ربيعةُ الرأى^(٢) : الساكيت بين النائم والأخرس .

قالوا : إنما المرءُ بأصغريه : لسانه وقلبه .

كان يقال : اللسانُ تُرْجَمَانُ الفؤاد ، واللسانُ حيَّةُ الفم .

كان يقال : يجد البليغُ من ألم السكوت ما يجد العميُّ من ألم الكلام .

وقالوا : المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه .

(١) في ب : مزملة .

(٢) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ ، من موالى التميميين ، كان من أجود الناس رأياً وعلماً ومنطقاً ولهذا

لقب ربيعة الرأى ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٥٨/٣ ، الوفيات ١٨٣/١ ، تاريخ بغداد ٤٢٠/٨ .

وقال حسان بن ثابت :

لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَّيْفُ مِذْوَدِي^(١)

وقال جرير :

وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَا السَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا^(٢)

وقال الخليل بن أحمد :

أَيُّ شَيْءٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى ذِي السَّرْوِ أَهْيَ مِنَ اللِّسَانِ الْبَهِيِّ^(٣)

قال ابن سيرين : لا شيء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان ، ولا شيء أزين

على المرأة من الشحم .

قال الشاعر :

وَكَاثِنٌ تَرَى مِنْ سَاكِتٍ^(٤) لَكَ مُعْجَبٌ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الْفَتَى نَصْفٌ ، وَنَصْفُ فُؤَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدِّمِ^(٥)

(١) المذود : اللسان ، وانظر البيت في ديوانه ١٢٧ .

(٢) وردت الشطره الأولى في ب : لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا أَيْضاً ، وأحب أنه تكرير من الناسخ

لشطره البيت السابق ، وما هنا موافق لرواية الديوان ٦٠٦ .

(٣) السرو : المروءة في شرف ، وانظر البيت مع أبيات أخرى سترد بعد في عيون الأخبار ١/ ١٠٠ ،

جميع بيان العلم ١٦٨/٢ .

(٤) في ١ : صامت .

(٥) نسب الجاحظ البيتين في البيان ١٨١/١ إلى الأعور الشني ، ونسبنا في هامش التحقيق أنهما لزهير

في مملته ، والكنى لم أعثر على البيتين وأخ لهما ثالث سيرد بعد ، بين أبيات معاينة زهير في شرح ديوانه لثعلب

ط دطر الكتب ١٩٤٤ وفيه أصح روايات المعلقة . نعم وجدتهما منسوبين له في جمهرة أشعار العرب ٥١ ، وفي

المعلقات ط مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ ، وفي ذلك الأخير علق الأستاذ الشنقيطي على البيتين بأنهما ليسا لزهير

بل للخطمي جد جرير ، وفي حماسة البحري ورد البيتان مرتين نسبهما في الأولى ص ٢٠٥ إلى عبد الله بن معاوية

البحري مع ورود الشطر الأول هكذا : وكاثن فتى من معجب لك حسنه ، ونسبهما في الثانية ص ٣٦٧ إلى زهير ،

وفي فصل المقال ٨٢ : تردد في نسبتهما بين الهيثم بن الأسود النخعي ، وبين الأعور الشني .

قال أبو العتاهية^(١) :

وللناس خوضٌ في الكلام والسنن وأقربها من كل خير صدوقها^(٢)

وروى ابنُ عمر قال : قدم رجلان من المشرق فخطبا ، فمجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » . فتأولت طائفة هذا على الذم لأن السحر مذموم ، وذهب الأكثر^(٣) من أهل العلم ، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن ، وقد أوضحنا هذا في كتاب التمهيد ، والحمد لله .

وقد قال عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة ، فأعجبه قوله وقال : هذا — والله — السحر الحلال .

وقال علي بن العباس الرومي :

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز^(٤)
في آيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب .

وقال الحسن : الرجال ثلاثة ، رجل بنفسه ، ورجل بلسانه ، ورجل بماله .

وكان يقال : في اللسان عشر خصال : أداة يظهرها البيان ، وشاهد يخبر عن الضمير ، وحاكم يفصل به القضاء ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تقضي به الحاجات ، وواصف تعرف به الأشياء ، وواعظ ينهي به عن القبيح ، ومُعز تسكن

(٢) ساقط من ب .

(١) ديوانه ١٢٢ .

(٣) ب : الأكثرون .

(٤) المتحرز : المتوقى والتحصن ، وانظر البيت في ديوانه ٤٠٩ ، الأمالي ٨٤ / ١ ، نهاية الأرب ٧١ / ٢ .

به الأحران ، وملاطف تذهب به الضغينة ، ومونق يلهي الأسماع .

ونظر معاوية إلى ابن عباس رضى الله عنهما ، فأتبعه بصره ثم قال متمثلاً :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ مُصِيبٌ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ^(١) عَلَى هُجْرٍ
يُصَرِّفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ^(٢)

ولحسان بن ثابت في ابن عباس :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ بِمَنْطَلَقَاتٍ لَا تَرَى يَيْنَهَا فَصْلًا
شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ لِيَذِي إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جِدًّا وَلَا هَزْلًا^(٣)

في أبيات قد ذكرتها في باب ابن عباس من كتاب « الصحابة » .

كان يقال : الجمال في اللسان .

قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : طول الجسم ، وضخم الهامة ، ورُحْبُ الشَّدْقِ ،
وبُعْدُ الصَّوْتِ .

قال حبيب :

لِسَانَ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ^(٤)

(١) ١ : الرجال

(٢) في المقد ٢/٢٧٠ : « ولم يقف ... لعبي » مكان لقائل مصيب ، وانظر عيون الأخبار ١/١٧٠ ،
معجم الأدباء ٦/١٨٨ . والهجر : القبيح من الكلام .

(٣) ديوانه ٧٤ ، العقد الفريد ٢/٦٦٧ ، عيون الأخبار ١/١٧٠ ، معجم الأدباء ٦/١٨٦ ، وفيها :
ملتقطات . والمثلثات : المتخيرات .

(٤) عجزيت لحبيب بن أوسى الطائي أبي تمام ومصدره : وما كانت الحكماء قالت : ديوانه ٨٠ .

وقال آخرُ :

وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرَمُ^(١)

(٢) قال امرؤ القيس^(٢) :

وَجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرْحِ الْيَدِ^(٣)

قال ابن أبي حازم :

أَوْجَعُ مِنْ وَقْعَةِ اللِّسَانِ لِنَيْ الْحِجَا وَخَزَةُ اللِّسَانِ^(٤)

(١) عجزيت للأخطل ، ومصدره : حتى أقرروا وهم منى على خفض * ديوانه ١/١٠٥ ، البيان ١/١٥٨ ، ١٧٠ ، العقد ٢/٤٤٥ .

(٢) عجزيت ومصدره : ولو عن شاغيره جاءني * والنشأ : الحديث المنتشر ، وانظر ديوانه ١٨٥ ، العقد الفريد . ٤٤٥/٢ .

(٣) سألط من ب .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٨٤ وفيه : وخزة اللسان .

باب ذمّ العيّ وحشو الكلام

قال أبو هريرة : لا خير في فضول الكلام .

وقال عطاء : كانوا يكرهون فضول الكلام .

وقال : بترك الفضول تكمل العقول .

(٢) وقال : فضول الكلام ما ليس في دين ولا دُنْيَا مباحاً (٣) .

وقال : الصمت صيانة اللسان ، وستر العي .

وقالوا : العي الناطق أعيا من العي الساكت .

وقالوا : أحسن الكلام ما كان قليلاً يُغنيك عن كثيره ، وما ظهر معناه في لفظه .

وروى (١) عن عبد الله بن عمر ، أنّه قيل له : لو دعوت لنا بدعوات . فقال :

اللهم اهدنا وعافنا وارزقنا . فقال له رجل : لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أعودُ

بالله من الإسهاب .

وقال شفي بن مائع (٢) : (٤) من كثر كلامه كثر خطاياه .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من كثر كلامه كثر سقطه .

قال يعقوب عليه السلام لبنيه : يا بني إذا دخلتم على السلطان فأقلوا الكلام .

قال ابن هبيرة : ما من شيء إلا وهو محتاج إلى فضوله يوماً ، إلا فضول الكلام .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من م .

(٣) ١ : سبى بن ناصح ، ب : شفي بن مائع ، والصحيح ما أثبتناه ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب .

٢٦٠/٤ .

(٤) من هنا وتنقص نسخة ب قصصاً كبيراً ، إذ سقط منها بقية هذا الباب ، وأربعة أبواب أخرى تالية .

قال الحسن : رحم الله عبداً أوجز في كلامه ، واقتصر على فصاحته ، فإن الله يكره كثرة الكلام .

وكان يقال : أفضل الكلام ما قلت ألفاظه وكثرت معانيه ، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب^(١) فقال :

خيرُ الكلامِ قليلٌ على كثيرٍ دليلٌ
والعِىُّ معنىٌ قصيرٌ يحويه لفظٌ طويلٌ

وقال أبو العتاهية^(٢) :

الصَّمْتُ أَلْيَقُ بِالْفَتَى مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ
لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الْكَلَامِ إِذَا اهْتَدَيْتَ إِلَى عُيُونِهِ

وقال منصور الفقيه :

تَعَمَّدَ لِحَذْفِ فُضُولِ الْكَلَامِ إِذَا مَا نَأَيْتَ وَعِنْدَ التَّدَانِي
وَلَا تُكْثِرَنَّ فَخَيْرُ الْكَلَامِ إِلَّ قَلِيلَ الْحُرُوفِ الْكَثِيرِ الْمَعَانِي

قال بعضُ قضاةِ عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — وقد عزله : لِمَ عزلتنى ؟
قال : بلغنى أَنَّ كلامَكَ مع الخَصْمينِ أَكْثَرُ من كلامِ الخَصْمينِ .

(١) هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصب، المعروف بنطاحة ، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وإلى خراسان ، وكان بليغا مترسلا شاعراً أديباً ، قتل سنة ٢٩٠ هـ . انظر معجم الأدباء ٢٢٩/٢ الفهرست ١٨٠ ، وانظر البيهقي في معجم الأدباء ٢٢٨/٢ .

(٢) ديوانه ٢٨٢ ، البيان ٢٢٤/١ ، لباب الآداب ٢٧٧ ، وفي حاشية البحري ٣٦٤ ، أورد بيتين قريبين من هذين ، والثاني قبل الأول وهما :

لا تكثرن حشو الكلام م إذا اهتديت إلى عيونه
والصمت احسن بالفتى من منطق في غير حينه

وتسبها لصالح بن عبد القدوس .

تَكَلَّمَ رِيْعَةُ الرَّأْيِ يَوْمًا فَكَثَرَ الْكَلَامُ ، فَأَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ ، وَإِلَى جَنْبِهِ أَعْرَابِيٌّ
فَقَالَ لَهُ : يَا أَعْرَابِي ! مَا تَعْدُونَ الْبَلَاغَةَ فَقَالَ : قَلَّةُ الْكَلَامِ . قَالَ : مَا تَعْدُونَ الْعِيَّ
فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : مَا كُنْتُ فِيهِ مِنْذُ الْيَوْمِ .

وَأَنْشَدَ الْخَشَنِيَّ^(١) — رَحِمَهُ اللَّهُ — :

وَمَا الْعِيُّ إِلَّا مَنْطِقٌ مُتَتَابِعٌ سِوَايَ عَلَيْهِ حَقُّ أَمْرٍ وَبَاطِلُهُ^(٢)

قَالَتِ الْعَرَبُ : لَا يَجْتَرِئُ عَلَى الْكَلَامِ إِلَّا فَائِقٌ أَوْ مَائِقٌ .

قَالَ النَّعْرُ بْنُ تَوَلِّبٍ^(٣) :

أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَضَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالِجَهَا عِلَاجًا
وَمِنْ حَاجَاتٍ نَفْسِي فَاغْصِمَنِي فَإِنَّ الْمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا^(٤)

وَقَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِإِذْلَالِ الْعِيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمًا
وَفِي الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعِيِّ وَإِنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ الْمَرْءِ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(٥)

(١) الخشني : محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرظي ، رحل إلى المشرق ومكث فيه طويلا متجولا في طلب الحديث ، وكان ثقة كبير الشأن ، انظر بغية الوعاة ٦٧ ، جذوة المقتبس ٦٣ .

(٢) البيت لعبد الله بن بكر المزني ، لباب الآداب ٢٧٥ .

(٣) شاعر مخضرم ، يسمى السكيس لحسن شعره ، انظر ترجمته في الشعر الشعراء ١٠٥ ، الباب ٣/٢٣٨

(٤) عيون الأخبار ١/١٠٩ ، البيان ١/١٨ .

(٥) نسب البيتان في البيان ٢/٢٢٦ ، مجموعة المعاني ١٦٩ إلى حذيفة الخطفي جد جزيير ، وفي العقد الفريد ٢/٢٦٦ إلى الحسن بن جعفر ونسبا في حماسة البحري ٣٦٧ إلى مالك بن سلمة العبسي ، وورد في عيون الأخبار ١٧٥/٤ ، معجم الأدباء ١/٩٠ بغير نسبة ، وفيها لإزرع العي بدلا من إذلال .

قال بعض الحكماء : ليس شيء [إلا^(١)] إذا ثنيتَه قَصُرَ إلَّا الكلام ، فإنك كلما ثنيتَه طال .

قالوا : أعيًا العيُّ بلاغةً بعيّ ، وأقبحُ اللَّحْنِ لحنٌ يُعرّاب .

كان مالك بن أنس يصب كثرة الكلام ويذمّه ويقول : كثرةُ الكلام لا توجد إلَّا في النساء والضعفاء .

ذمُّ أعرابيٍّ رجلاً ، فقال : هو من يتأَمَّى المجالس ، أعيًا ما يكون عند جلسائه ، أبلغُ ما يكون عند نفسه .

باب في اجتناب اللحن ، وتعلم الإعراب

وذم الغريب في الخطاب

كتب عمر إلى أبي موسى : أمّا بعد ، فتفقهوا في السنّة ، وتعلّموا العربية

وروى عنه رحمه الله أنه قال : رحم الله امرأً أصلح من لسانه .

وقال علي بن محمد العلوي^(١) :

رَأَيْتُ لِسَانَ الْمَرْءِ رَائِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوَانَهُ فَاَنْظُرْ بِمَاذَا تُعْنُونُ

وَلَا تَعُدُّ إِصْلَاحَ اللِّسَانِ فَإِنَّهُ يُخَبِّرُ عَمَّا عِنْدَهُ وَيَبَيِّنُ

وَيُعْجِبُنِي زِيُّ الْفَتَى وَجَمَالُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِي سَاعَةً يُلْحَنُ

كان عبد الله بن عمر يضرب ولده على اللحن .

قال شعبة : مثل الذي يتعلّم الحديث ، ولا يتعلم النحو مثل البرنس لا رأس له .

قال المأمون لأحد أولاده — وقد سمع منه لحنًا — : ما على أحدكم أن يتعلم العربية

فيقيم بها أودّه ، ويزين بها مشهده ، ويفلّ بها حُجج خصمه بمسكتات حُكمه ،

ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه . أَوْ يَسُرُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ لِسَانُهُ عَبْدَهُ

أَوْ أُمْتَهُ ، فَلَا يَزَالُ الدَّهْرُ أُسِيرَ كَلِمَتِهِ ، قَاتِلُ اللَّهِ الَّذِي يَقُولُ :

(١) كذا وردت نسبته في الأصل . والصحيح أنه علي بن محمد بن العبرثاني نسبة إلى قرية عبرثا من نواحي

النهروان من أعمال بغداد . وقد اشتهر بابن بسام والبسامي ، توفي سنة ٥٢٠ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٢ / ٦٣ ،

الباب ١ / ١٢١ ، وانظر الأبيات في معجم الأدباء ١٥ / ١٥١ ، معجم الشعراء ٢٩٠ ، زهر الآداب ٣ / ١٣٨

وفيها : وافد عقله مكان رائد .

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الْفُؤَادِ لِسَانَهُ إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الْفَمِ (١)
 وَكَأَن تَرَى مِنْ صَاحِبِ لِكَ مُعْجَبٍ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكْلِيمِ
 لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ
 وَقَالَ الزَّمَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ :

لَا يَكُونُ السَّرِيُّ مِثْلَ الدَّيْنِ لَا وَلَا ذُو الذِّكَاةِ مِثْلَ الْغَيْ
 لَا يَكُونُ الْأَلَدُ ذُو الْمَقُولِ الْمُرِّ هَفٍ عِنْدَ الْقِيَّاسِ مِثْلَ الْعِي
 أَيْ شَيْءٌ مِنَ اللَّبَّاسِ عَلَى ذِي السَّيْرِ رُوِ أَبْهَى مِنَ اللِّسَانِ الْبَهِي
 يَنْظِمُ الْحُجَّةَ السَّنِيَّةَ فِي السَّدِّ لِكَ مِنَ الْقَوْلِ مِثْلَ عَقْدِ الْهَدْيِ
 وَتَرَى لِلْحَنِّ بِالْحَسِبِ أَخِي الْهَيْ أَمَةً مِثْلَ الصَّدَا عَلَى الْمَشْرِفِ
 فَاطْلُبِ النَّحْوَ لِلْحِجَابِ وَلِلْشُّ رٍ مُقِيمًا وَالْمَسْنَدِ الْمَرْوِي
 وَالْخِطَابِ الْبَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الْأُ قَوْلٍ تَرْهَى بِمَثَلِهِ فِي النَّدَى
 وَارْفُضِ الْقَوْلَ مِنْ طَغَامٍ جَفَوَاعَةً لَهُ فَقَادُوا بَعْضَهُ لِلنَّسِي (٢)
 قِيَمَةُ الْمَرْءِ كُلُّ مَا يُحْسِنُ الْمَرْءُ قَضَاءً مِنَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ
 قَالَ ثَعْلَبٌ : سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سَلَامٍ يَقُولُ : مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مَرْوَةً أَفْضَلَ مِنْ
 طَلَبِ النَّحْوِ .

قال عبدالله بن المبارك ، اللحن في الكلام أقبح من آثار الجذري في الوجه

(١) ورد هذا البيت في حماسة البحري ٣٦٧ وحده برواية أخرى هي :

وإن لسان المرء مفتاح قلبه إذا هو أبدى ما يجن من الفم

وقد نسب لصالح بن عبد القدوس ، هذا وانظر التعليل السابق على البيتين بعده في ص ٥٦ .

(٢) الألد : الحشم الذي لا يحيد عن خصومته أورأيه ، والهدى : العروس . والطغام : الأوغاد أو الخلق

وانظر الأبيات في جامع بيان العلم ١٦٨/٢ .

وقال عبد الملك : اللحن هجنة بالشريف .

قال ابن شبرمة : إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً ، ويصغر في عينك من كان فيها كبيراً فتعلم العربية ، فإنها تجريك^(١) وتدنيك من السلطان.

قال الشاعر :

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَكْنَ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
وَالنَّحْوُ مِثْلُ الْمَلِجِ إِنْ أَلْقَيْتَهُ فِي كُلِّ ضِدٍّ مِنْ طَعَامِكَ يَحْسُنِ
وَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلاً فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ^(٢)

رأى أبو الأسود الدؤلي أعدا^(٣)اً للتجار مكتوباً عليها : لأبو فلان !! فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون .

قال رجل للحسن البصري : يا أبو سعيد ! فقال : كسب الدوانيق شغلك أن تقول : يا أبا سعيد .

مر خالد بن صفوان بقوم من الموالي يتكلمون في العربية ، فقال : لئن تكلمتم فيها لأنتم أول من أفسدها .

وقالوا : العربية تزيد في المروءة .

وقالوا : من أحب أن يجد في نفسه الكبر فليتعلم النحو .

(١) في عيون الأخبار ٢/ ١٥٧ : تجريك على المنطق ، وتدنيك ... الخ ، وانظر العبارة أيضاً في المصون لأبي أحمد العسكري ١٤٥ .

(٢) نسبت الأبيات في الكامل ١/ ٢٤٨ ، زهر الآداب ٣/ ١٣٨ إلى إسحاق بن خلف البهراني ، وورد البيت الثالث في جامع بيان العام ١/ ٥٨ منسوباً إلى أبي حاطب من غير تعيين ، وانظرها في عيون الأخبار ١/ ١٧٥ ، معجم الأدباء : ١/ ٢٦٧ ، والبيتين الأول والثالث في التمثيل والمحاضرة ١٦١ من غير نسبة .

(٣) العمل : نصف حل الدابة .

وقال أبو شمر^(١) : قارىء النحر إذا دخله الكبر استفاد السخط من الله ، والمقت
عن الناس .

وقال الخليل يوماً : لا يصل أحد من النحر إلى ما يحتاج إليه ، إلا بما لا يحتاج
إليه ، فقد صار إذا ما لا يحتاج إليه يحتاج إليه .

وروى عنه في هذا الخبر ، أنه قال : من لم يصل إلى ما يحتاج إليه إلا بما لا يحتاج
إليه ، فقد صار محتاجاً إلى ما لا يحتاج إليه .

وروى أن هذه القصة ، عرضت للخليل مع أبي الهذيل^(٢) وروى أنها عرضت
لأبي عبيدة مع النّظام^(٣) ، والذي تقدّم أصبح إن شاء الله تعالى .

وقال المأمونى^(٤) :

سَأَتْرُكُ النَّحْوَ لِأَصْحَابِهِ وَأَصْرِفُ الْهِمَّةَ فِي الصَّيْدِ
إِنَّ ذَوِي النَّحْوِ لَهُمْ هِمَّةٌ مَوْسُومَةٌ بِالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ
يَضْرِبُ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا وَمَا يُرِيدُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ زَيْدٍ

(١) الضجى البصرى ، من ثقات رجال الحديث ، ترجمته في تهذيب التهذيب ١٢/١٢٦ .

(٢) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي ، أبو الهذيل العلاف ، من أئمة المعتزلة ، ترجمته في
تاريخ بغداد ٣/٢٦٦ ، وفيات الأعيان ١/١٨٠ .

(٣) إبراهيم بن سيار بن هانىء البصرى ، أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، ترجمته في تاريخ بغداد
٩٧/٦ ، الباب ٣/٢٣٠ .

(٤) عبد السلام بن الحسين المأمونى ، شاعر رقيق يتصل نسبه بالمأمون العباسى ، توفى سنة ٣٨٢ هـ ، انظر
نوات الوفيات ١/٢٧٣ ، بتيمة الدهر ٤/١٦٩ ، وانظر الابيات في المقدم الفريد ٢/٢٨٢ مذكوبة إلى بعض
الوراقين ، وقد ورد فيه البيت الأول :

رأيت يا حماد في الصيد رأيتاً
أرانباً تؤخذ بالأيدي

كتب غسان بن ربيع - المعروف بدماذ^(١) - إلى أبي عثمان النحوي المازني :

تَفَكَّرْتُ فِي النَّحْوِ حَتَّى مَلَّيْتُ وَأَتَعَبْتُ نَفْسِي [بِهِ] وَالْبَدَنُ
فَكُنْتُ بِظَاهِرِهِ عَالِمًا وَكُنْتُ بِبَاطِنِهِ^(٢) ذَا فَطْنٍ
خَلَا أَنَّ بَابًا عَلَيْهِ الْعَفَا لِلْفَاءِ يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ
وَلِلَّوَاوِ بَابٌ إِذَا جِئْتُهُ^(٣) مِنْ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لَعِنُ
إِذَا قُلْتُ هَاتُوا لِمَاذَا مُيَقَا لُ : لَسْتُ بِأَتِيكَ أَوْ تَأْتِيَنِي
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هَذَا كَذَا عَلَى النَّصْبِ ؟ قَالُوا : بِإِضْمَارٍ أَنَّ

ورويانا عن أبي حاتم السجستاني رحمه الله قيل : إنها له . والله أعلم .

وقال آخر^(٤) :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَاسٌ يُتَّبَعُ وَبِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ
فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوُ الْفَتَى مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا وَاتَّسَعَ
وَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعٍ
وَإِذَا لَمْ يُبْصِرِ النَّحْوُ الْفَتَى هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا وَانْقَمَعَ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُ مَا فَعَلَ الْإِعْرَابُ فِيهِ وَصَنَعَ

(١) م : حسان ، وقد ورد اسمه هكذا في بقية الأصول كما ورد في عيون الأخبار ، والصحيح أنه يدعى ربيع بن سلمة أبو غسان ، انظر أمالي القالي ١٨٦/٢ ، العقد الفريد ٤٨٩/٢ .

(٢) في ١ : بظاهره .

(٣) في ب : إلى جنبه ، وكذلك في عيون الأخبار والمقد الفريد .

(٤) قائلها الكسائي ، انظر ترجمته والأبيات في معجم الأدباء ١٩١/١٣ .

يَخْفِضُ الصَّوْتَ إِذَا يَقْرَأُ وَهُوَ لَا عِلْمَ لَهُ فِيمَا أُتْبِعَ
وَالَّذِي يَقْرَأُ عِلْمًا بِهِ
نَظَرًا فِيهِ وَفِي إِعْرَابِهِ
أَمَّا فِيهِ سَوَاءٌ عِنْدَكُمْ
وَكَذَلِكَ الْجَهْلُ وَالْعِلْمُ فَخُذْ
لَيْسَتْ السُّنَّةُ فِينَا كَالْبِدْعِ
مِنْهُ مَا شِئْتَ وَمَا شِئْتَ فَدَعْ
وَمَا عَرَفَ الْحَقُّ صَدْعُ
إِنْ عَرَاهُ الشَّكُّ فِي الْحَرْفِ رَجَعُ
وَهُوَ لَا عِلْمَ لَهُ فِيمَا أُتْبِعَ

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان ، قد نظر في النحو ، فلما أحدث
الناس التصريف لم يحسنه ، وهجا أصحابه فقال :

قَدْ كَانَ أَخَذَهُمْ فِي النَّحْوِ يُعْجِبُنِي
لَمَّا سَمِعْتُ كَلَامًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ
تَرَكْتُ نَحْوَهُمْ وَاللَّهُ يَعْصِمُنِي
وَقَالَ عَمَّارُ الْكَلْبِيِّ :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ
إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً بَكْرًا يَكُونُ لَهَا
قَالُوا لَحَنْتَ فَهَذَا الْحَرْفُ مُنْخَفِضٌ
وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَاجْتَهَدُوا
فَقُلْتُ وَاحِدَةً فِيهَا جَوَاهِرُهُمْ
قِيَاسِ نَحْوِهِمْ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعُوا
مَعْنَى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا صَنَعُوا
وَذَلِكَ نَصَبٌ وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَبَيْنَ زَيْدٍ وَطَالِ الضَّرْبِ وَالْوَجَعُ
وَكَثْرَةُ الْقَوْلِ بِالْإِجَازِ تَنْقِطِعُ

(١) البيتان الأول والثاني في معجم الأدباء ١٣/١٩٣، ١٩٤ وقد ورد الشطر الأول من الثاني فيه : بفعل

فعل لا طاب من كلم .

مَا كُلُّ قَوْلِي مَشْرُوحٌ لَكُمْ فَخُذُوا
 حَتَّى أَعُودَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَدُّوا
 فَتَعْرِفُوا مِنْهُ مَعْنَى مَا أَفْوَهُ بِهِ
 كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ
 وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا أَشْيَاءَ مُعَايِنَةً
 إِنِّي رُيِّتُ بِأَرْضٍ لَا يُشَبُّ بِهَا
 وَلَا يَطَا الْقِرْدُ وَالْخَنَزِيرُ تَرْبَتَهَا
 مَا تَعْرِفُونَ وَبِمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا
 بِمَا غُذِّيتُ بِهِ وَالْقَوْلُ يَتَّسِعُ
 كَأَنِّي وَهُمْ فِي قَوْلِهِ شَرَعٌ^(١)
 وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلَى الْإِعْرَابِ قَدْ طَبِعُوا
 وَبَيْنَ قَوْمٍ حَاكَمُوا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا
 نَارُ الْمَجُوسِ وَلَا تُبْذَنِي بِهَا الْبَيْعُ
 لَكِنِ بِهَا الرِّيمُ وَالرُّبَالُ وَالضَّبْعُ^(٢)
 وَقَالَ أَبُو هَفَانٍ^(٣) :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْظَى
 وَأَنْ تَصْبَحَ ذَا مَالٍ
 وَإِنْ سَرَّكَ أَنْ تَشْقَى
 فَكُنْ ذَا نَسَبٍ ضَخَمٍ
 وَأَنْ تَلْبَسَ قَوْهِيًا^(٤)
 فَكُنْ عَلَجًا نَبِيْطِيًّا^(٥)
 وَأَنْ تُصْبِحَ مَقْلِيًّا
 وَكُنْ مَعَ ذَاكَ نَحْوِيًّا

(١) شرع : سواء .

(٢) انظر الأبيات في معجم الأدباء ١١ / ٢٢٨ ، أوردها الأخفش رواية عن أحد الأعراب .

(٣) أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزومي ، كان شاعراً عالماً راوية من أهل البصرة ، وسكن بغداد .

قال السيوطي في بغية الرعاة ، كان مقفراً ضيق الحال ، يلبس ملايكاد يسترجده . توفي سنة ٢٥٢ هـ . انظر اللباب . ١٩٤ / ٣ ، تاريخ بغداد ٩ / ٣٧٠ .

(٤) القومى : الثوب الأبيض .

(٥) العاج : الرجل من كفار المعجم ، والنبيط والنبط والأباط : جيل من الفرس ، كانوا ينزلون بالبطائح

بين العراقين كانوا يستنظرون للياه الجوفية لاستعمالها في الزراعة .

بَابُ اخْتِلَافِ عِبَارَتِهِمْ عَنِ الْبَلَاغَةِ

قال الْمُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ لأَعْرَابِيٍّ : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ في غير عجز ، والإطنابُ في غير خطل .

وقيل للأحنف : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ في استحكام الحجج ، والوقوفُ عند ما يُكتفى به .

وقال خالدُ بن صفوان لرجل كثير كلامه : إنَّ البلاغة ليست بكثرة الكلام ، ولا بخرقة اللسان ، ولا كثرة الهذيان . ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة .

وقيل لأَعْرَابِيٍّ : ما البلاغة ؟ فقال : لمحة دالة .

وقيل لبشر بن مالك : ما البلاغة ؟ قال : التقربُ من المعنى ، والتباعدُ عن حشو الكلام ، ودلالةٌ بقليل على كثير .

سئل عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما البلاغة ؟ فقال : القصدُ إلى عين الحجة بتقليل اللفظ .

وقال غيره : البلاغة معرفة الفصل من الوصل ، وفرق ما بين المُشْتَرَكِ والمُفْرَدِ وفصل ما بين المقيّد والمطلق ، وما يحتمل التأويل ويستغنى عن الدليل .

وقيل لبعض اليونانية : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل لرجل من الروم : ما البلاغة ؟ قال : حسنُ الاقتصاد عند البديهة ، والفزارة يوم الإطالة .

وقيل لرجل : ما البلاغة ؟ فقال : حسنُ الإشارة ، وإيضاحُ الدلالة ، والبَصَرُ بالحجة ، وانتهازُ مواضع الفرصة .

وسأل معاوية بن أبي سفيان مُصَحَّارًا العبدى ؟ ما البلاغة عندكم ؟ ، قال : الإيجاز . قال : ما الإيجاز ؟ قال : أن تقول فلا تخطى ، وتسرع فلا تبطى . فقال معاوية . وكذلك تقول ؟ قال : أقلنى يا أمير المؤمنين . أنت لا تخطى ولا تبطى .

وقد روى مثل هذا المعنى للحجاج مع ابن القُبَعْرِى . فإله أعلم .

وقالوا : أبلغُ الناس أحسنهم بديهة ، وأمثلهم لفظًا .

قال خالد بن صفوان : خيرُ الكلام ما ظُرِفَتْ معانيه ، وشرُفَتْ مَبَانِيهِ ، والتذَّتْ به آذان سامعيه .

بَابُ مَنْ خَطَبَ فَأَرْجَحَ^(١) عَلَيْهِ

قال الحرث بن جابر ، وكان أحد حكماء العرب — فيما أوصى به ابنه : وإياك
والخطب فإنها مشوارٌ كثير العثار .

صعد عثمان بن عفان رضى الله عنه على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه ،
فقال : أمّا بعد ، فإنّ أولَ كُليلٍ مركبٍ صعب ، وما كنا خطباء ، وسيعلم الله ، وإن
امراً ليس بينه وبين آدم أب^(٢) حتى لموعوظ .

ويروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه ، فقال : إن
أبا بكر وعمر كانا يُعدّان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى
إمام قوّال .

وروى في هذا الخبر : أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل .

وروى أن عثمان لما بويع ، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم أرتج عليه ، فقال : وليناكم
وعدّنا فيكم ، وعدّنا عليكم خيراً من خطبتنا فيكم ، فإن أعشّ يأتكم الكلام على وجهه .
وروى أن عبد الرحمن بن جابر بن الوليد ، خطب الناس على منبر حمص فأرتج
عليه ، فقال : يا أهل حمص ! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب
مصقع^(٣) ، ثم نزل .

وأرتج يوماً على عبد الملك بن مروان ، فقال : نحن إلى الفضل في الرأي ، أحوج
منا إلى الفضل في المنطق .

(١) أى استغلق عليه الكلام . (٢) ساقط من ا ، ب .

(٣) الخطيب المصقع : البليغ ، أو العالى الصوت ، أو الذى لا يرجع عليه فى كلامه .

وأرتج على ممن بن زائدة ، وهو على المنبر ، فضرب يده ثم قال : فتي حرب
لا فتي منابر .

صعد عبدالله بن عامر منبر البصرة ، فحصر ، فشق ذلك عليه ، فقال له زياد :
أيها الأمير ! إنك إن أقمت عامة من ترى أصابهم أكثر مما أصابك .

صعد على بن أرطاة المنبر ، فقال : الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم .

أرتج على خالد بن عبدالله القسري على منبر الكوفة ، فقال : إن هذا الكلام يجيء
أحياناً ويعزب أحياناً ، ويسهل عند محيئه ، ويعسر عند عزوبه طلبه ، وربما طلب^(١)
فأبى ، وكوبر فمصى^(٢) ، فالتأني لمحبيته أيسر من التعالي لأبيه وهو نخاج^(٣) من الجري
جنانه ، وينقطع من الذرب لسانه ، فلا ينظره القول إذا اتسع^(٤) ، ولا يكسره
النطق إذا امتنع ، وسأعود فأقول إن شاء الله .

خطب رجل من الأزد أقامه زياد للخطبة على منبر البصرة ، فلما رقى المنبر ، وقال
الحمد لله ، أرتج عليه ، فقال : قد والله هممت ألا أحضر اليوم ، فقالت لي امرأتى :
نشدتك الله إن تركت الجمعة وفضلها ، فأطعتها ، فوقفت هذا الموقف ، فاشهدوا
أنها طالق . فقالوا له : انزل قبحك الله . وأنزل إنزالاً عنيماً . وقد قيل : إن هذه
القصّة لو أزع الإشكري ، وفي ذلك قال الشاعر :

وما ضرني ألا أقوم بخطبةٍ وما رغبتني في مثل ما قال وأزع^(٥)

(١) في ١ : طلبه ، وما أثبتناه موافق لما في عيون الأخبار ٢٥٧/١ .

(٢) في العيون : فمسا ، ومعناها : عسر وشق .

(٣) في عيون الأخبار ٢٥٧/١ : وقد يغتلط .

(٤) وفيها أيضاً بدل هذا : فلا يبطره ذلك ولا يكسره .

(٥) البيان والتبيين ٢/٢٨٠ ، وفيه : وما رغبتني في ذا الذي قال وأزع .

وذكر القهري عن أبيه قال : قام القلاخ بن حزن^(١) يوم عيد خطيباً ، فقال :
الحمد لله الذي خلق السموات والأرض في ستة أشهر . ف قيل له : إنما خلقها في ستة
أيام فقال : أقبلوني ، فوالله لقد ظننت أني أقلت ، وكنت أريد أن أقول في
ست سنين .

صعد روح بن حاتم المنبر ، فلما رآهم قد فتحوا أسماعهم وشقوا أبصارهم ، قال :
انكسوا رؤوسكم ، وغضوا أبصاركم ، فإن أول كل مركب صعب ، وإذا يسر الله
فتح قفل يسر .

خطب مصعب بن حيان خطبة نكاح فحصر ، فقال : لقنوا موتاكم شهادة ألا
إله إلا الله ، فقالت أم الجارية : عجل الله موتك ، ألهذا دعوناك ؟

قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر فتكلم ، فقام . فلما صعد المنبر حُصر ،
فقال : الحمد لله الذي يرزق هؤلاء . وبقي ساكناً فأنزلوه وأصعدوا آخر ، فلما
استوى قائماً وقابل وجوه الناس بوجهه ، وقعت عينه على رجل أصلع وحُصر ، فقال :
اللهم المن هذه الصلعة .

صعد عتاب بن ورقاء منبر أصبهان فحصر ، فقال : والله لا أجمع عليكم عيًّا وبخلًا ،
ادخلوا سوق الغنم فمن أخذ شاة فهي له وثمنها عليّ . وقد روى أن هذا إنما عرض
لعبد الله بن حاصر على منبر البصرة ، وأن عتاب بن ورقاء هو الذي قام على المنبر
فحمد الله ثم أرتج عليه ، فجعل يقول : أمّا بعد أمّا بعد ... ، وقبلالة وجهه شيخ أصلع

(١) في الأصل الملاح ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو القلاخ بن حزن السعدي أبو خراش ، من شعراء بني أمية .
انظر مشبه النسبة للذهبي ٥١٣/٢ .

فقال : أمّا بعدُ يا أصلم ، فوالله ما غلّطنى غيرُك ، علىّ به ، فأُتِيَ به فضر به أسواطًا .
وصعد آخر المنبر فقال : إن الله لا يرضى لعباده المعاصي ، وقد أهلك أمة من
الأمم بمقرهم ناقة لا تساوى مائتين وخمسين درهما ، فسُميَ مُقوّم الناقة .
وهذا هو عبدالله بن أبي ثور عامل ابن الزبير على المدينة .
ذكر عمرو بن شبة ، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة ، قال : ثم عزّل
ابنُ الزبير عبدة بن الزبير ، واستعمل عبدالله بن أبي ثور حليف بنى عبد مناف ،
فلقّب به أهلُ المدينة مُقوّم ناقة الله ، وغلتِ الأسعارُ فتشاءموا به ، فعزّله ابن الزبير .
صعد أعرابيُّ المنبر فقال : أقولُ لكم ما قال العبد الصّالح : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى
وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ^(١) ، فقالوا له : هذا فرعونُ . فقال : قد والله
أحسنَ القول .

قال بُزُرْجُمَهْر : هيبةُ الزّلالِ تورثُ حصْرًا ، وهيبةُ العاقبة تورثُ جُبْنًا .

بابُ حَمْدِ الصَّمْتِ وَذَمِّ الْمَنْطِقِ

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنْ صَمَتَ نَجَا » .

ورؤينا عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، أنه قال : يا رسول الله ! فيم النِّجاة ؟ فقال :
« يا عقبة ! أمسك عليك لسانك ، وأيسعك يديك ، وابك على خطيئتك » .

وروى أنه من كلام لقمان والله أعلم .

وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » .

وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « وَيْلٌ لِمَنْ يَحْدُثُ النَّاسَ فِيكَذِبٌ
لِيُضْحَكَهُمْ ، وَيْلٌ لَهُ ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ » .

وعن عيسى عليه السلام ، أنه قال : لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بغير ذكر الله
فَتَفْتِنُوا قُلُوبَكُمْ .

وَبَلَّغَنَا أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ لَقِيَ لِقْمَانَ بَعْدَ مَا كَبُرَتْ سُنَّتُهُ ، فقال : ما بقي من
عقلك ؟ فقال : لَا أَنْطِقُ فِيمَا لَا يَعْنِينِي ، وَلَا أَتَكَلَّفُ مَا كُفَيْتُهُ .

وقال ابن مسعود : أَنْذَرَكُمْ فَضُولَ الْكَلَامِ .

وعن ابن مسعود وسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ، قالا : أَكْثَرُ النَّاسِ وَقُوفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ .

وعن عطاء : فَضُولُ الْكَلَامِ مَا عدا تلاوةَ الْقُرْآنِ ، والقولَ بالسنة عند الحاجة ،
والأمرَ بالمعروف ، والنهيَ عن المنكر ، وَأَنْ تَنْطِقَ فِي أَمْرٍ لَا بَدَّ لَكَ مِنْهُ فِي مَعِيشَتِكَ ،

أَمَّا يَسْتَحْي أَحَدُكُمْ أَنْ لَوْ نُشِرَتْ عَلَيْهِ صَحِيفَتُهُ الَّتِي أَمْلَاهَا صَدْرُ نَهَارِهِ أَنْ يَرَى أَكْثَرَ مَا فِيهَا لَيْسَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَلَا دُنْيَاهُ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ ^(١) ﴾ وَ ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ^(٢) ﴾ .

وعنه عليه السلام أنه قال : « البرُّ ثلاثةٌ : المنطقُ والنظرُ والصمتُ ، فمن كان منطقُهُ في غير ذكر فقد لغأ ، ومن كان نظْرُهُ في غير اعتبارٍ فقد سَهَا ، ومن كان صمْتُهُ في غير تفكيرٍ فقد لهأ » .

قال بعضُ الشعراء :

لَسْتُ بِمَنْ لَيْسَ يَذَرِي مَا هَوَانٌ مِنْ كِرَامَةٍ
إِنَّ لِلنُّصْحِ وَلِلْفِشِّ عَلَى الْعَيْنِ عَلامَةٌ
لَيْسَ يَخْفَى الْحُبُّ وَالْبُغْضُ وَإِنْ رُمْتَ اكْتِتَامُهُ
لَيْسَ فِي أَخْذِكَ بِالْفَضْلِ وَبِالْحِلْمِ نَدَامَةٌ
وَجَوَابُ الْجَاهِلِ الصَّمْتُ وَفِي الصَّمْتِ سَلَامَةٌ

وعن الأصمعيّ قال ، قال أعرابيٌّ : السَّكُوتُ صِيَانَةٌ لِللَّسَانِ وَمُسْتَرٌ لِلْعَيْنِ .

وقال أعرابيٌّ في رجلٍ رماه بالعمى : رأيتُ عثراتِ النَّاسِ فِي أَرْجُلِهِمْ ، وَعَثْرَةَ فُلَانٍ بَيْنَ فِكَرَيْهِ .

(١) سورة الانفطار الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة ق : الآيتان ١٧ ، ١٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سُخطِ
الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سُخطه إلى يوم القيامة ^(١) » .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يكره لكم قيل وقال ،
وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » .

وذكر الأصمعي قال ، قال أعرابي : الكلمة أسيرة في وثاق الرجل ، فإذا تكلم
بها كان أسيراً في وثاقها .

قيل لبكر بن عبد الله المزني : إنك تطيل الصمت ؟ فقال : إن لسانى سبغ ،
إن تركته أكلنى .

وأنشد الخشني :

لِسَانُ الْفَتَى سَبَغٌ عَلَيْهِ مُرَاقِبٌ فَإِنَّ لَمْ يَزَعْ مِنْ غَرِبِهِ فَهُوَ آكِلُهُ ^(٢)

وقال الراجز :

الْقَوْلُ لَا تَمْلِكُهُ إِذَا نَمَا كَالسَّهْمِ لَا يَرْجِعُهُ رَايِمٌ رَمَا

وقال آخر :

فَدَاوَيْتُهُ بِالْحَلِيمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِي كَفِّهِ السَّهْمُ ^(٣)

قال هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ :

(١) راجع أول الحديث في ص ٥٤ .

(٢) البيت لبكر بن عبد الله المزني ، كما في لباب الآداب ٢٧٥ ، وفيه : شداته بدل مهاقب ، والشداء
الجرأة والحدة ، ويزع : يكف . والغرب : الحدة والسفه .

(٣) البيان ١٩٧/٣ بغير نسبة ، وقد نسبت في حاشية البحري ٣٨٢ لمن بن أوس الزبيدي ، ووردت الشطرقة الأولى
فيه : فبادرت منه النأي والمرء قادر . ويقال فلان يرأب النأي أى يصلح الفساد موافقته في العقد الفريد ٢٧٦/٢ .

وَإِنَّ مَقَالَ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ لَكَالْزُبُلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا^(١)

قال أبو العتاهية :

مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجَا مَنْ قَالَ بِالْخَيْرِ غَنِمَ^(٢)

اجتمع أربعة حكماء ، فقال أحدهم : أنا على ردِّ ما لم أُقل ، أقدر مني على ردِّ ما قلت ، وقال الآخر : لأن أندم على ما لم أقل ، أحب إليَّ من أن أندم على ما قلت ، وقال الثالث : إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى ، فإذا لم أتكلم بها ملكتها ، وقال الرابع : عجبت ممن يتكلم بالكلمة ، إن ذكرت عنه ضرته ؛ وإن لم تذكر عنه لم تنفعه .

قال طرفة بن العبد :

وَإِنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٌ^(٣)

وقال منصور الفقيه :

عَلَيْكَ الشُّكُوتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْقَوْلِ بُدٌّ فَقُلْ أَحْسَنَهُ
فَرَبَّتَمَا فَارَقْتُ بِالَّذِي تَقُولُ أَمَا كِنَهَا الْأَلْسَنَةُ

وقال آخر :

أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا تَقُولَنَّ قَوْلًا لَسْتَ تَدْرِي مَاذَا يَجِيئُكَ مِنْهُ
وَاخْزِنْ الْقَوْلَ ؛ إِنَّ فِي الصَّمْتِ حُكْمًا وَإِذَا أَنْتَ قُلْتَ قَوْلًا فَزِنَهُ

(١) البيان ١٩٧/٣ ، الأمل ٧٢/١ ، حماسة البحتري ٣٦٨ .

(٢) ديوانه ٢٤٣ ، جامع بيان العلم ١٣٩/١ .

(٣) ديوانه ٧٦ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، مجموعة العاني ٧٠ ، حماسة أبي تمام ٧٤/٢ ، والحصاة : إرأى والعقل -

وَإِذَا النَّاسُ أَكْثَرُوا فِي حَدِيثٍ لَيْسَ مِمَّا يَزِينُهُمْ فَأَلْهَ عَنْهُ^(١)
وَقَالَ أَحْيَعَةُ بْنُ الْجَلَّاحِ^(٢) :

الصَّمْتُ أَكْرَمُ بِالْفَتَى مَا لَمْ يَكُنْ عِيَّ يَشِينُهُ
وَالْقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهُ

قال ابن مقسم ، سمعت جحظة يقول : سمعت المأمون يقول : السخافة كثرة
الكلام ، وصحبة الأندال .

أنشد ابن المبارك^(٣) أخاه كان يصحبه :

وَاعْتَنِمْ رَكَعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللَّهِ هِ إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحًا
وَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالْمَنْطِقِ الْبَا طِلِ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحًا
إِنَّ بَعْضَ الشُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ الْنُطْقِ قِ وَإِنْ كُنْتَ بِالْكَلامِ فَصِيحًا
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ^(٤) :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الذُّخْرِ ذُخْرًا تُنِيلُهُ وَشَرُّ كَلَامٍ الْقَائِلِينَ فُضُولُهُ
عَلَيْكَ بِمَا يَعْنِيكَ مِنْ كُلِّ مَا تَرَى وَبِالصَّمْتِ إِلَّا عَنْ جَمِيلٍ تَقُولُهُ

(١) الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، المتوفى سنة ١٢٩ هـ ، انظر البيان والتبيين ٢٧٤/١ ، لباب الآداب ٢٧٧ .

(٢) ابن الحريش الأوسى ، شاعر جاهلي من دهاة العرب وشجعانهم ، كان سيد الأوس في الجاهلية ، مات قبل الهجرة بنحو ١٣٠ سنة . انظر الأغاني ١١٥/١٣ ، خزانة الأدب ٢٣/٢ ، وانظر البيتين في البيان ٢٠/١ ، وفيه : أحسن بالفتي ، لباب الآداب ٢٧٧ وفيه : أجمل ...

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي ، شيخ الإسلام ، جمع المعرفة بالحديث والفقه والعربية وأيام الناس توفي سنة ١٨١ هـ . انظر شذرات الذهب ٢٩٥/١ ، تاريخ بغداد ١٥٢/١٠ .

(٤) ديوانه ٢٣١ ، ورواية الشعر الأول فيه : ألا إن أبقى الذخر خير تنيله .

وله :

وَحَسْبُكَ مِمَّنْ إِنْ نَوَى الْخَيْرَ قَالَهُ وَإِنْ قَالَ خَيْرًا لَمْ يُكَذِّبْهُ فِعْلُهُ^(١)

كان يقال : العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت ، وجزء في الهرب من

الناس .

كان يقال : من طَوَّلَ صَمْتَهُ ، اجْتَلَبَ من الهيبة ما ينفعه ، ومن الوَحْشَةَ مالا يضره .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ الَّذِينَ يُكْرَمُونَ

اتِّقَاءَ أَسْنَتِهِمْ » .

وقال الشاعر :

صَمْتُ عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أَتُبقِ لِلصُّلَحِ مَوْضِعًا^(٢)

وقال منصور الفقيه :

خَرِسٌ إِذَا سَأَلُوا وَإِنْ قَالُوا : عَيٌّْ أَوْ جَبَانٌ
فَالْعِيُّ لَيْسَ بِقَاتِلٍ وَلَرُبَّمَا قَتَلَ اللِّسَانُ

كان يقال : اخزن لسانك كما تخزن مالك .

قال امرؤ القيس^(٣) :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْزِنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخِزَانٍ

(١) ديوانه ٢٣٦ .

(٢) وفيات الاعيان ١٣٣/٥ ، وفيه : وأغضى على ...

(٣) ديوانه ١١٤ ، الشعر والشعراء ٥٩ ، فصل المقال ٢١ ، الكامل ١٥/٢ ، حاشية البجترى ٢٢٤ .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ صَمْتِكَ أَلْفَ عَامٍ لِأَصْلَحُ مِنْ كَلَامِكَ بِالْفُضُولِ
فَأَمْسِكَ أَوْ تَرَى لِلْقَوْلِ وَجْهًا يَبِينُ صَوَابُهُ لِدِرَى الْعُقُولِ

روينا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، أخذ يوماً بطرف لسانه وقال :
ها إن ذا^(١) أوردنى الموارد .

وقال ابن مسعود رحمه الله : إن كان الشؤم فى اللسان ، ووالله ما على وجه الأرض
شئٌ أحقّ بطول سجن من اللسان .

أخذه الشاعر^(٢) فقال :

وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ

كان يقال : اللسانُ سبعُ عقور .

قال الشاعر :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ كَيْئَامًا مُغِيرًا^(٣)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «وَهَلْ يَكْبُثُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ
إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ» .

قال الله عز وجل : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ^(٤) ﴾ ، وقال :

(١) ب : هذا .

(٢) هو الحسين بن محمد التجيبى القرطبى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٥٩ .

(٣) عبون الأخبار ١/٣٣٠ ، ٣/١٧٨ ، فصل المقال ٢٠ .

(٤) سورة ق آية : ١٨ .

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١) .
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله عند لسان كل قائل »
فلينظر كل امرئ ما يقول » .

قال عمار الكلبي :

وَقُلِ الْحَقُّ وَإِلَّا فَاصْمُتْ إِنَّهُ مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ سَلِمَ
إِنَّ طُولَ الصَّمْتِ زَيْنٌ لِلْفَتَى مِنْ مَقَالٍ فِيهِ عِيٌّ وَبَكَمٌ
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرءاً أمسك فضل لسانه ، وبذل
فضل ماله ، وعلم أن كلامه محصى عليه » .

قال الأصمعي : من كثر كلامه كثرت خطاياه .

وقال أبو الدرداء : من فقه الرجل قلة كلامه فيما لا يعنيه .

وقال مالك بن دينار : لو كانت الصحف من عندنا ، لأقللنا الكلام .

قال الشاعر :

فِي نَبْوَةِ الدَّهْرِ لِي عُذْرٌ فَلَا تَلَمُ مَنْ أَقْعَدَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يَقْمُرْ
حَصْرٌ^(٢) يُقَصِّرُ بِي عَنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ وَمَا تُقَصِّرُ عَنْ نَيْلِ لَهَا هِمَمِي
إِنْ عَابَنِي عَائِبٌ بِالصَّمْتِ قُتِلَ لَهُ حَبْسُ الْفَتَى نُطْقُهُ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ

وقال معقرب بن حمار البارق :

(١) سورة الانطار ، الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

(٢) الحصر بالتحريك : العي في المنطق .

الشُّعْرُ لُبُّ الْعَرَّةِ يَعْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ^(١)
وقال آخر :

وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ^(٢)

لما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت ، أطلال الصمت ، ف قيل له :
ألا تتكلم ؟ فقال : الكلام صيرني في بطن الحوت .

قال عمر بن عبد العزيز : المحظوظُ التَّقِيُّ يلجم لسانه ، أخذ الحسن بن
هانيء فقال :

إِنَّمَا الْعَاقِلُ مَنْ أَلَّ جَمَ فَأَهُ بِلِجَامٍ
مَتَّ بَدَاءَ الصَّمْتِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ^(٣)

سئل عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — عن قتلة عثمان ، فقال : تلك دماء كفت
الله عنها يدي ، فأنا أكره أن أغمس فيها لسانى .

وقال يزيد بن أبي خبيب : المتكلم ينتظرُ اللعنة ، والممتصتُ ينتظر الرحمة .
ويقال : شر ما طبع الله عليه المرء ، خلق دَنِيٍّ ، ولسان بَذِيٍّ .

وقالوا : البُذَاءُ من النفاق .

وقال ابن القاسم : سمعتُ مالكا يقول : لا خير في كثرة الكلام ، واعتبر
ذلك بالنساء والصبيان . إنما هم أبدأ يتكلمون ، لا يصمتون .

(١) الحيوان ٦١/٣ ، ونسب في معجم الشعراء ٤١١ ، الأغاني ١٠/١٦٧ إلى المتوكل العباسي .

(٢) نصف بيت للأخطل ، وقد سبق في ص ٥٩ .

(٣) حيوانه ١٩٤ ، البيان ٧٩/٢ ، ١٩٩/٢ ، لباب الآداب ٢٧٤ ، مع تأخير الشطر الأول وتقديم الثاني
فهما جميعا ، وانظر وفيات الأعيان ١٢٩/٢ ، ١٣٠ ، مجموعة المعاني ٧٠ .

وقال الحسن: لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلم فكر ، فإن كان

له قال ، وإن كان عليه سكت ، وقلبُ الجاهل من وراء لسانه .

قال نصر بن أحمد^(١) :

لِسَانُ الْفَتَى حَتْفُ الْفَتَى حِينَ يَجْهَلُ وَكُلُّ أَمْرٍ مَا بَيْنَ فَكِّيهِ مَقْتَلُ
وَكَمْ فَاتِحَ أَبْوَابِ شَرٍّ لِنَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَفْلٌ عَلَى فِيهِ مَقْفَلُ
إِذَا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أَكْثَرَ هَذَرُهُ فَذَلِكَ لِسَانُ بِالْبَلَاءِ مُوَكَّلُ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُسَلِّمًا فَدَبَّرْ وَمَيِّزْ مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ

قال صالح بن جناح^(٢) :

أَقْلِلْ كَلَامَكَ وَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهِ إِنَّ الْبَلَاءَ يَبْعُضُهُ مَقْرُونُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَفِظْ مِنْ غِيهِ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ مَسْجُونُ
وَكَفِّ فَوَادِكَ بِاللِّسَانِ وَقُلْ لَهُ إِنَّ الْكَلَامَ جَلِيكَمَا مَوْزُونُ
فَرَنَاهُ وَلَيْكَ مُحْكَمًا فِي قِلَّةِ إِنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْقَلِيلِ تَكُونُ

(١) نصر بن أحمد الحنظلي أرمزي البصري ، شاعر غزل ظريف ، كان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة في دكان ، وينشد فيه أشعاره في الغزل ، مات سنة ٣٣٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٣ / ٢٩٧ ، وفيات الأعيان ٥ / ١٨ ، الأعلام ٨ / ٣٣٧ ، وانظر الأبيات من قصيدة طويلة في تاريخ بغداد : ١٣ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ جامع بيان العلم ١ / ١٣٨ .

(٢) اللخمي ، شاعر دمشقي من الحكماء ، أدرك التبايين ، انظر الأعلام ٣ / ٢٧٤ ولم يذكر فيه شيئا عن تاريخ مولده أو وفاته ، ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ محمود شاكر ذكر في باب الآداب تحقيق الشيخ أحمد شاكر هاشم ص ٢٨ أنه يحتمل أن يكون صالح بن جناح هو صالح بن عبد القدوس ، وأنه أخفى نفسه بهذا الاسم في بعض الأوقات خوف الظن ، وساق على ذلك دليلا حريا بالتقدير ، فارجع إليه ، وانظر البيت لأول في جامع بيان العلم ١ / ١٣٧ منسوباً إلى عبد الله بن طاهر .

قال اللاحقي^(١) :

اخْفِضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِلِيلٍ وَالتَّفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الْكَلَامِ
قال آخر :

أَرَى الصَّمْتَ خَيْرًا مِنْ كَلَامٍ بِمَأْتَمٍ فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمُ وَإِنْ قُلْتَ فَاعْدِلِ
وَلَا تَكُ فِي حَقِّ الْإِخَاءِ مُفَرِّطًا وَإِنْ أَنْتَ أَبْغَضْتَ الْبَغِيزَ فَأَعْجِلِ
وَلَا تَعْجَلَنْ يَوْمًا بِشَرٍّ تُرِيدُهُ وَإِذْ مَا هَمَمْتَ الدَّهْرَ بِالْخَيْرِ فَاعْجَلِ
أَلَا إِنْ تَقَوَّى اللَّهَ خَيْرٌ مَغَبَّةٍ وَأَفْضَلُ زَادِ الظَّاعِنِ الْمُتَحَمِّلِ^(٢)

وقال آخر :

عَوِّدْ لِسَانَكَ قَوْلَ الصَّدْقِ تَحُظَّ بِهِ إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ^(٣)

وقال الحكماء : إذا تمَّ العقل نقصَّ الكلام ، فضل العقل على المنطق حكمة ،
وفضل المنطق على العقل هُجْنَةٌ^(٤) .

وقال عمرو بن العاص : زَلَّةُ الرَّجُلِ عَظْمٌ يُجْبَرُ ، وَزَلَّةُ اللِّسَانِ لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ :

وقال أعرابي :

عَثَرَاتُ اللِّسَانِ لَا تُسْـ____تَقَالُ وَبِأَيْدِي الرِّجَالِ تُجْزَى الرِّجَالُ

(١) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي ، شاعر مكث من أهل البصرة ، اتصل بالبراءة وخص
بمدحهم ، ونظم لهم كلمة ودية شعرا ، انظر خزانة الأدب ٤٥٨/٣ ، الأعلام ٢٠/١ ، وانظر البيت في عيون
الأخبار ٤١/١ ، لباب الآداب ٢٦٦ .

(٢) ورد البيت الأول في حماسة البحتري ٣٦٤ منسوبا إلى صالح بن عبد القدوس ، وورد البيت الأخير
فيها أيضا ٢٥٠ منسوبا إلى أعشى باهلة .

(٣) لباب الآداب ٣٢٦ . (٤) الهجئة : العيب والنقص .

فَاجْعَلِ الْمَقْلَ لِلِّسَانِ عِقَالًا فَشِرَادُ اللِّسَانِ دَائِمُ عُضَالٍ
 إِنَّ ذَمَّ اللِّسَانِ مُبْقٍ عَلَى الْعِرِّضِ وَبِالْقَوْلِ تُسْتَبَانُ الْفِعَالُ
 وقال غيره :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ^(١)
 كَعَثْرَتِهِ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجُلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ^(٢)

وقال منصور الفقيه :

وَآخِرَسْ إِذَا خَفِيتْ أُمُو رُالْحَقُّ عَنْكَ عَنِ الْإِجَابَةِ
 فَأَقْلُ مَا يُجْزَى الْفَتَى بِسُكُوتِهِ عِزُّ الْمَهَابَةِ

وقال محمود الوراق :

وَلَفْظُكَ حِينَ تَلْفِظُ فِي جَمِيعِ وَلَا تَكْذِبْ مُقَدِّمَةً لِفَعْلِكَ^(٣)
 فَرْنَهُ إِنْ أَرَدْتَ الْقَوْلَ وَزَنَا وَإِلَّا هَدَّ مِنْ أَرْكَانِ نَبْلِكَ

وقال آخر :

وَمَنْ لَا يَمْلِكُ الشَّفَتَيْنِ يَسْخُو بِسُوءِ اللَّفْظِ مِنْ قِيلٍ وَقَالَ

(١) ساقط من ب .

(٢) ورد البيتان في عيون الأخبار ١٨٠/٣ غير منسويين ، ونسبهما في العقد الفريد ٤٧٣/٢ إلى جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وانظرهما في وفيات الأعيان ٤٤٢/٥ من غير نسبة .

(٣) ١ : فتغذيه لعقلك ، ب : فتعده لعقلك .

كَانَ يُؤْنَسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى يَنْشُدُ هَذِهِ الْآيَاتِ :

قَدْ أَفْلَحَ السَّائِكَةُ الصَّمُوتُ كَلَامُ وَاعِي الْكَلَامِ قُوتُ
 مَا كُلُّ قَوْلٍ لَهُ جَوَابُ جَوَابُ مَا تَكَرَّهُ السَّكُوتُ
 يَا عَجَبًا لِأَمْرِي ظُلُومٍ مُسْتَيْقِنٍ أَنَّهُ يَمُوتُ^(١)

(١) نسبت هذه الآيات في الأغاني ٣/ ١٧٠ إلى محمد بن أبي العتاهية، وهي أيضا في ديوان والده ص ١٤، وانظرها في عيون الأخبار ١/ ١٧٩، لباب الآداب ٧٧٦.

بابٌ مِنْ مُزْدَوِجِ الْكَلَامِ

الزَّوْجَةُ أَحَدُ الْكَاسِبِينَ ، وَقِيلَ إِصْلَاحُ الْمَالِ أَحَدُ الْكَاسِبِينَ .

قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينَ .

الْقَلَمُ أَحَدُ اللَّسَانِينَ .

الشَّيْبُ أَحَدُ الْمُسْرِينَ ^(١) .

الْيَأْسُ أَحَدُ النُّجَحِينَ . وَيُقَالُ : تَعْجِيلُ الْيَأْسِ ^(٢) أَحَدُ الظَّفَرِينَ .

حُسْنُ التَّقْدِيرِ أَحَدُ الْكَسْبِينَ .

اللَّبَنُ أَحَدُ الْجَبْنِينَ ^(٣) .

كَثْرَةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْفَقَرِينَ .

الْمَالُ أَحَدُ الْجَاهِينَ ^(٤) .

^(٥) الدُّعَاءُ لِلسَّائِلِ أَحَدُ الْعَطَائِينَ ^(٥) ، وَقِيلَ : الرَّدُّ عَلَى السَّائِلِ بِالْدُّعَاءِ إِحْدَى

الصَّدَقَتَيْنِ .

الْمَعْجِزَةُ ^(٦) أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ ^(٦) . وَقِيلَ : الشَّعْرُ أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ .

(١) فِي ب : الْمَيْتِينَ .

(٢) فِي ب : الْبَأْسُ .

(٣) فِي ب : اللَّحْمِينَ .

(٤) فِي ب : الْجِهَالَتِينَ .

(٥) سَاقَطَ مِنْ أ .

(٦) سَاقَطَ مِنْ أ .

الشَّعْمُ إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ .

الْبَيَاضُ أَحَدُ الْجَمَلَيْنِ .

الْمَرْقُ أَحَدُ اللَّحْمَيْنِ .

مَلِكُ الْعَجِينِ أَحَدُ الرَّيْعَيْنِ^(١) . قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : اَمْلِكُوا الْعَجِينَ فَإِنَّهُ

أَحَدُ الرَّيْعَيْنِ .

الْمُبْلَغُ أَحَدُ الشَّائِمَيْنِ .

السَّامِعُ لِلْغَيْبَةِ أَحَدُ الْمُفْتَابَيْنِ .

الرَّأْوِيَةُ لِلِهَجَاءِ أَحَدُ الْهَجَّائَيْنِ .

فصلٌ منه^(٢)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ أَوْصَاهُ : « حَافِظْ عَلَى الْعَصْرَيْنِ » .

وَالْعَصْرَانِ : الصَّبْحُ وَالظُّهْرُ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » .

الْبَرْدَانِ : الْغَدَاةُ وَالْعِشَاءُ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الْأَبْرَدَانِ : الْغَدَاةُ وَالْعِشَاءُ .

الْأَيْهَمَانِ : السَّيْلُ وَالْحَرِيقُ .

(١) الرِّيعُ : فَضْلُ كُلِّ شَيْءٍ وَزِيَادَتُهُ ، وَالْمَلِكُ وَالْإِمْلَاقُ : لِاحْكَامِ الْعَجِينِ وَإِجَادَتِهِ ، وَالْمُرَادُ بِالرَّيْعَيْنِ

زِيَادَةُ الدَّقِيقِ عِنْدَ الطَّحْنِ عَلَى كَيْلِ الْخَنْطَةِ ؛ وَعِنْدَ الْخَبْزِ عَلَى الدَّقِيقِ .

(٢) سَاقَطَ مِنْ ب .

الأحمران : الذهب والزعفران .

الأسودان : التمر والماء .

الأطيان : الأكل والجماع .

الأجوفان : الفم والفرج .

الأصفران : القلب واللسان .

الأكبران : الهمة واللُب .

الأصممان : الفهم الذكي والرأي الحازم .

الجديدان : الليل والنهار ، وكذلك الملوآن ، وكذلك العصران ، قال حميد
ابن ثور الهلالي^(١) :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَصْرَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَمَا تَيْمَمًا^(٢)

وقال أبو بكر^(٣) بن دريد :

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ إِذَا مَا اسْتَوَلِيَا عَلَى جَدِيدِ أَدْنِيَاهُ لِلْبَلَى

^(٤) وقال سليمان بن بطلال^(٥) :

وَتَقَلُّبُ الْمَلَوَيْنِ بَيْنَهُمَا الرَّدَى إِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا يَجِيءُ بِهِ قَدَا

(١) ساقط من ١ .

(٢) ديوانه ٨ : الأمل ١/١٣٨ ، ٢/٨٧ نهاية الأرب ٣/٦٢ ، وفيها جميعا : ولا يلبث .

(٣) في ب : محمد ، وهو على أي حال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ، من أئمة اللغة والأدب

كانوا يصفونه بأنه أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء ترجمته في معجم الأدباء ٦/٤٨٣ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٧ ، تاريخ بغداد ٢/١٩٥ .

(٤) من هنا وتنقص النسخة ب ، قدراً كبيراً ، إلى جزء كبير من باب الأدب التالي .

(٥) البطليوسي ، فقيه مقدم ، وشاعر محسن الشعر ، ترجمته في جذوة المقتبس ٢٠٦ .

ال عمران : أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - هذا قول الأكثر .
 كما قالوا : المَكَّتَان : مكة والمدينة .
 والقمران : الشمس والقمر .

قال الفرزدق :

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمَا لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ^(١)
 لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر .

وقال أبو عبيدة في قول قيس بن زهير .

جَزَانِي الزَّهْدَمَانِ جَزَاءً سُوءٍ وَكُنْتُ الْمَرْءُ يُجْزَى بِالكَرَامَةِ

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابني محمد بن وهب من بني عبس بن بغيض ، وقال
 أبو عبيدة : الزهدمان : زهدم وكردم .

قال أبو عمر : الحجة في هذا قول الله عز وجل : « وَلِأَبَوَيْهِ »^(٢) ، فالأبوان
 الأب والأم .

وقد قال قتادة : العُمران : عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز . والأول
 أشهر وأكثر .

(١) شرح ديوانه ٥١٩ ، الأمل ٨٢/١ .

(٢) سورة النساء آية ١١ .

باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة^(١)

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر بضرب عنق عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ^(٢)، فقال له : من للصُّبِّيَّةِ يا محمد ؟ قال : النَّارُ .

قال الأعمش : احذروا الجواب ، فإن عمرو بن العاص قال لعدي بن حاتم : متى فقت عينك يا أبا طريف ؟ قال : يوم طُعنْتَ في استك وأنت مولَّ يوم صفين .

شهد أعرابي بشهادة عند معاوية^(٣) على شيء ، فقال : كذبت . فقال : الكاذب والله مزمل في ثيابك . فتبسم معاوية^(٣) وقال : هذا جزاء من عجل .

أنشد ابن الرِّقَّاع قصيدة يذكر فيها الحمر ، فقال له معاوية^(٤) : أما إني قد ارتبت فيك في جودة وصف الشراب ، فقال : وأنا قد ارتبت بك في معرفته .

قال تميم بن نصر بن سيَّار لأعرابي : هل أصابتك تخمة قط ؟ قال : أما من طعامك وشرابك فلا .

قال عبد الملك بن مروان لبثينة : ما رجا منك جميل ؟ قالت : ما رجت منك الأمة حين ملكتك أمرها .

(١) هذا الباب كله زيادة في م ، ولم يرد في النسختين ا ، ب .
(٢) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، كنية أبيه « أبو معيط » ، كان شديد الأذى للرسول وللمسلمين عند ظهور الدعوة ، فأُسِرَ يوم بدر ، وأمر الرسول بقتله ثم صلب ، الأعلام ٥/٢٦ .
(٣) ساقط من م ، والتكملة من الأجوبة المسكتة لابن أبي عون مخطوطة رقم ٨ أدب — معهد المخطوطات .
(٤) هذا خطأ ، فالمعروف أن معاوية توفي سنة ٦٠ هـ ، وابن الرِّقَّاع ولد نحو سنة ٩٠ هـ ، والأقرب أن تكون هذه القصة قد حدثت بين ابن الرِّقَّاع والوليد بن عبد الملك ، وهو المليفة الذي كان يقرب الشاعر ويعجب به .

وفي عيون الأخبار ٢/٢٦٧ . أن أعرابيا دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الحمر . فلما وصفها قال له : ويحك يا أعرابي ، لقد اتهمك عندي حسن صفتك لها ، فقال : يا أمير المؤمنين ! واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها . وفي الأغاني ٦/١٢٧ : دخل ابن الأقرع على الوليد بن يزيد . . . الخ .

قيل لبعضهم : صحبت الأمير فلانا إلى اليمن ، فما ولّاك ؟ قال : قفاه .

قيل لأعرابي : صف لنا النخلة . فقال : صعبة المرتقى ، بعيدة المهوى ، مهولة المجتنى ، رهيبة السلاح ، شديدة المؤونة ، قليلة المعونة ، خشنة الملمس ، ضئيلة الظل .
دخل معن بن زائدة على المنصور ، فأسرع المشى وقارب الخطر ، فقال له المنصور :
كبرت سنك يا معن ؟ قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين . قال : وإنيك مع ذلك
لجلد . قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين . قال : وإن فيك لبقية . قال : هي لك
يا أمير المؤمنين .

دخل عدى بن حاتم على معاوية ، وعنده عبد الله بن عمرو ، فقال له عبد الله :
يا عدى متى ذهبت عينك ؟ قال : يوم مثل أبوك هارباً ، وضرب على قفاه مولياً ،
وأنا يومئذ على الحق ، وأنت وأبوك على الباطل .

قال المهديّ لجريّر بن زيّد : يا جريّر ! إني لأعِدُّكَ لأمر . قال جريّر : إن الله
قد أعدّ لك منى قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مشحوداً على
عدوك ، إذا ما شئت .

قالت جارية ابن السّماك له : ما أحسن كلامك إلا أنك تردده . قال : أردده
حتى يفهمه من لم يكن يفهمه . قالت : فألى أن يفهمه من لم يكن يفهمه يله من فهمه^(١) .
قال الحسنُ لابن سيرين : تعبرُ الرؤيا كأنك من آل يعقوب . فقال ابن سيرين :
وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل .

(١) في الأجوبة المسكتة أنها قالت له : فألى أن يفهمه العبي يكون قد ثقل على سمع الذكي .

قال رجل لعمر بن الخطاب : أهلكنا النوم . فقال : بل أهلكتم اليقظة .
مرت أمة بسعيد بن المسيب ، وقد أقيم ليضرب ، فقالت : يا شيخ ! لقد أقت
مقام الحزى . فقال : بل من مقام الحزى فررت .

قال رجل لعمر بن العاص : لأتفرغنَّ لك . فقال : حينئذ تتقع في الشغل .
لقى الحسن الفرزدق في حين خروجه إلى العراق ، فسأله عن الناس ، فقال :
القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من الله .

قال رجل عند الحسن : أهلك الله الفخار . قال : إذا استوحش في الطريق .
قيل للأصمعي : لماذا لا تقول الشعر ؟ قال : الذي أريده لا يواتيني ، والذي
يواتيني لا أريده ، أنا كالمسنِّ أشحد ولا أقطع .

قيل لابن المقفع : مالك لا تقول الشعر ؟ فقال : الذي يواتيني لا أريده ، والذي
أريده لا يواتيني .

قال ابن منذر :

لَا تَقُلْ شِعْرًا وَلَا تَهَمُّ بِهِ وَإِذَا مَا قَلْتَ شِعْرًا فَأَجِدْ

قال عبدالله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال : إنك أشبه الناس بإبليس .
قال : وما تنكر أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن .

قيل لأعرابية من بني عامر : لقد أحسنت العزاء على ابنك . قالت : إن فقدته
أياسني من المصائب بعده^(١) .

(١) في الأجوبة المسكتة ورد هذا الخبر أيضاً ، وفيه أجابت الأعرابية : إن فقدته أمني المصائب بعده .

ونعى إلى أعرابية ابن لها ، فقالت : لقد نعيموه كريم الجدّين ، ضحوكا إذا أقبل ، كسوبا إذا أدبر ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد .

قال الأحوص للفرزدق : متى عهدك بالزنا ؟ قال : مذ ماتت العجوز أملك .

قال أبو الزناد لابن شبرمة في مناظرته له : من عندنا خرج العلم . فقال ابن شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : ما أبين الشبق في رجالكم يا بني هاشم ! قال : لكنه في نسائكم يا بني عبد شمس أبين^(١) .

قال زهير :

« وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ » ... وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ^(٢) »

قال معاوية لابن عباس : أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم . فقال ابن عباس : وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم^(١) .

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : أين ترى عمك أبا لهب ؟ قال : في النار ، مفترشا عمّك حمالة الخطب . وكانت أم جميل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس .

قال الرشيد لشريك القاضي : يا شريك ! آية في الكتاب ليس لك ولا لقومك

(١) في عيون الأخبار أن الخبرين كانا بين معاوية وابن عباس ، وفي العقد وردا موافقين لما هنا .

(٢) هذا البيت ملفق من بيتين من معلقة زهير ، وهما :

ومن لا يكرم نفسه لا يكرم	ومن يغترب يحسب عدوا صديقه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم	ومن يجعل المعروف من دون عرضه

فيها شيء . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ^(١) ، فقال : آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء . قال : وما هي ؟ قال : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ ^(٢) .

قال الرشيد لأبي الحارث جُمَيْرًا ^(٣) : أيسرك أن تخرا الغالية ^(٤) ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : ولم ؟ والناس يتمنونها . قال : أخاف أن يختم أمير المؤمنين على سراويلي فلا يفتحها .

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبدالله بن الزبير ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلوطة إلى عنقك ، وتعمل لسانك في قومك .

وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص ، وكان رجل من قریش يشرب الخمر ، فقال له أبو بكر : قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحلّ الخمر . فقال : لا أومن به حتى يبرىء الأبرص .

قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية ، فأتاه أهل الكوفة يسلمون عليه ، وقالوا : ما رأينا بعدك مثلك . فقال خيرا أم شرا ؟ قالوا : لم نر بعدك إلا شرا منك . قال : لكني والله مارأيت بعدكم شرا منكم ، والله يا أهل الكوفة ، إن حبكم لصلف ، وإن بغضكم لتلف .

قال المنذر بن الجارود لعمر بن العاص : أي رجل أنت لو كانت أمك من عز

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام ٦٦ .

(٣) كذا بالأصل ، وقد ورد اسمه في الوزراء والكتّاب : أبو الحارث جُمَيْر ، وأورد نادرة أخرى له في ص ٢٤٢ ، وسماء في عيون الأخبار مرة حمير ٢٣٥/٢ ، ومرة حمير ٢٢٩/٣ ، ولكني لم أعثر له على ترجمة كاملة .

(٤) نوع من الطيب .

قريش؟ قال عمرو: أحمد الله إليك، لقد عرضت قبائل العرب على نفسي أئمنى من أيهم تكون أئمنى في طول ليلتين، فما خطرت عبد القيس على بالي.

جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص، وهو على المنبر، عن أمه، فسأله. فقال: هي سلمى بنت حرملة، تلقب النابغة، من بني عزة، ثم أحد بني جِلان^(١)، أصابتها رماح العرب فبيعت بمكاذ، فاشتراها النماكة بن المغيرة، ثم اشتراها منه عبدالله بن جدعان، ثم صارت إلى العاص بن وائل، فولدت وأنجبت. فإن كان لك جعل نخذه.

فاخر رجل من ولد أبي البختري بن هشام^(٢) رجلا من ولد الزبير، فقال: أنا ابن عقير الملائكة. قال ابن الزبير: فنعمة العاقر وبئس المعقور. فقال: أنا ابن شداد البطحاء. قال: شدها أبوك بسلحه، وشدها أبي برمحه.

جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من علي، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبه، فقال: رجل، فاستوص به خيراً.

ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث، فجلس يضرب أعناقهم، فأتى في آخرهم برجل من تميم، فقال له: يا حجاج! لن كنا أسأنا في الدنيا^(٣)، فما أحسنت في العقوبة. فقال الحجاج: أف لهذه الجيف، ما كان فيهم من يحسن هذا؟ وأمر بتخلية سبيل من بقي.

(١) في الأصل: من بني عزة ثم أحد بني حلاب، والتصحيح من الإصابة لابن حجر ٢/٥، واللباب ١/٢٦١.
(٢) اسمه العاص أو العاصي بن هشام بن الحارث بن عبد العزى، أبو البختري، لم يعرف عنه أنه آذى النبي بل صحبه في بدء الدعوة، ولكنه حفر بدر مع المشركين، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله ولكنه قتل، انظر خبر مقتله في التاج ٣/٣٣، وسيرة ابن هشام ٥٠/٢ (الأعلام ١١/٤).
(٣) كذا بالأصل، والتصحيح أنها الذنب لا الدنيا، كما يقتضيهما المنام، وكما ورد في كثير من المراجع.

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر : أساءتُك ولايتنا أم سرتك ؟
قال : ساءتني لك ، وسرتني للمسلمين .

عاتب أعرابي أباه فقال : إن عظيم حَقِّك علي ، لا يُذهب صغير حَقِّي عليك ،
والذي تمتُّ به إليَّ أمت بمنزلة إليك ، واست أزعِم أنا سِواء ، ولكن لا يحل لك
الاعتداء .

لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبَت
ذلك عائشة ، وركبت بغلة وجمعت إليها الناس ، فقال لها ابن عباس : كأنك أردت
أن يقال : يوم البقرة كما قيل يوم الجمل ؟ قالت : رحمك الله ، ذاك يوم نسي . قال :
لا يوم أذكر منه على الدهر .

قيل لمعاوية بن أبي سفيان ، يوم صفين : إنك تتقدم حتى تقول : إنك تقبل ،
وإنك أشجع الناس ، وتتأخر حتى تقول : إنك تفر ، وإنك أجبن الناس . قال :
أتقدم إذا كان انتقدم غمًا ، وأتأخر إذا كان التأخر عزًّا .

سأل ابن الزبير معاوية حاجة فلم يقضها ، فاستعان عليه بمولاة له ، فقضى
حاجته ، فقال له رجل : استعنت بامرأة ! فقال : إذا أعيت الأمور من أعاليها
طلبناها من أسافلها .

اشتكى عبد الله بن صفوان ضرسه ، فأتاه رجل يعوده ، وقال : ما بك ؟ قال :
وجع الضرس . فقال : أما علمت ما يقول إبليس ؟ قال : لا . قال : يقول : دواؤه
الكسر . قال : إنما يطيع إبليس أولياؤه .

مرض رجل من الأعراب ، فعاده جاره فقال : ما نجد ؟ قال : أشكو دُملاً آلمني
وزكاماً أضربني . فقال : أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسد على شيء من الأمراض .

ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة ، فأنشأ الأعرابي يقول :

أَيَحْسُدُنِي إِبْلِيسُ دَائِمًا أَصْبَحًا بِحَسَمِي جَمِيعًا دُمْلًا . وَزُكَامًا
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةً فَحَلَّ مَا يُطِيقُ قِبَامًا^(١)

قال أبو جعفر المنصور لأبي جَعَوْنَةَ العامريّ من أهل الشام : ألا تحمدون الله بأننا قد ولينا عليكم ، ورفع عنكم الطاعون ؟ ! قال : لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون .

قيل لبعضهم : أراك تذكره الغزو ، وما يكرهه إلا جبان أو متهم ؟ فقال : والله إنى لأكره أن يأتيني الموت على فراشي ، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة .

عرض بعض القواد أصحابه ، فمر به رجل معه سيف رديء ، فقال له : ويحك ما هذا السيف ؟ ! أما علمت أن الرجل بسيفه ؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير ، إنها مأمورة^(٢) . قال : هذا مما لا يقطع شيئاً .

قيل لابن سيرين : من أكل سبع رطبات على الريق سبّحت في بطنه ، فقال ابن سيرين : لئن كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أكل أن يصلي الوتر والتراويح .

قيل لابن السّمّاك في زمن يزيد بن معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي^(٣) .

(١) البيتان لأعرابي يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الراغب ١/٢٠٦ .

(٢) اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار حين أراد كل منهم الأخذ بزمام ناقته وإزاله عنده : فقال لهم : « دعوها فإنها مأمورة » .

(٣) وردت العبارة في الأصل هكذا : يسر مظلوم ولا ينتصف ظالم ولا يشقى ، وفيها اضطراب ظاهر ، وقد أئمتنا . ماورد في كتاب الأجوبة المكتبة لابن أبي عون .

قال معاوية ارجل من أهل اليمن : ما كان أحق قومك حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(١) أما كان جمع الشمل خيراً لهم ؟ فقال اليماني : قومك أحق منهم ، حين قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(٢) ، أفلا قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

قال رجل للرقاشي : ما يجب على المؤمن في حق الله ؟ قال : التعظيم له والشكر لنعمه ، قال : فما يجب عليه في حق الساطان ؟ قال : الطاعة والنصيحة . قال : فما يجب عليه في حق نفسه ؟ قال : الاجتهاد في العبادة ، واجتناب الذنوب . قال : فما يجب عليه في حق العامة ؟ قال : كف الأذى وحسن المعاشرة . قال : فما يجب عليه في حق الخليط ؟ قال : الوفاء بالموودة وحسن المعونة .

قال بعض الجلمة لأعرابي من بني تميم يمازحه : يا أعرابي ! من الذي يقول :
تميمٌ ببطنِ اللؤمِ أهدى من القطأ ولو سلكت سبيلَ المكارم ضللت^(٣)
فقال : لا أعرفه . ولكن أعرف الذي يقول :

أعص الله من يهجو تميماً ومن يروى لها أبداً هجاءاً
بطن عجوزة وباست أخرى وأدخل رأسه من حيث جاء

دخل طفيلي دار قوم بنير إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار في القول ، فأغلظ له الطفيلي في الجواب ، وقال له : والله لئن قت إليك لأدخلنك من حيث خرجت .

(١) سورة سبأ آية ١٩ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٢ .

(٣) أمالي القالي ١١٧/٢ ، وفيه : بطرق اللؤم . بدلا من بطن .

فقال صاحب المنزل : أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت ، وأخذ بيده فأخرجه .
قال الفرزدق لكثير — وقد أنشد : ما أشبه شعرك بشعري ! أفكانت أمك
أتت البصرة ؟ فقال : لا ، ولكن أبي أتاها ، ونزل في بني دارم .
قال المثنّب العبدى :

وكلمة حاسدٍ من غيرِ جرِّمٍ سمعتُ فقلتُ مرّى فانفذي^(١)
وعابوها علىَّ ولمْ تعبني ولمْ يعرقْ لها يوماً جبينى
وما منْ شيمتى شتمْ ابنِ عمى ولا أنا مخلفٌ منْ يرتجيني
وذو الوجهين يلقاني طليقاً وليسَ إذا تغيّبَ يأتلينى
بصرتُ بعيبه فكففتُ عنه محافظةً علىَّ حسبي ودينى

قال رجلٌ من بني عجل لأبي الروحاء الشاعر ، بهمذان : ممن الرجل ؟ قال : من
العجم . قال العجلي : إنما الشعر للعرب ، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى
ينزو على أمه رجل من العرب . فقال أبو الروحاء : فكل من لم يقل الشعر من
العرب ، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس .

قال مسكين الدرامى :

وإذا الفاحشُ لاقى فاحشاً فبهذا وافقَ الشَّنُّ الطَّبَقُ
إنما الفُحْشُ وَمَنْ يَعْتَادُهُ كغُرَابِ البَيْنِ مَا شَاءَ نَعَقُ

(١) انفذنى : أى جاوزنى .

أَوْ حَمَارِ السُّوءِ إِنْ أَمْسَكَتَهُ رَمَحَ النَّاسَ وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ
أَوْ غَلَامِ السُّوءِ إِنْ جَوَّعْتَهُ سَرَقَ الْجَارَ وَإِنْ يَشْبَعُ^(١) فَسَقَ

قال رجل لشریح القاضي : لشد ما ارتفعت ! فقال له شریح : هل ضرك ذلك ؟
إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها في نفسك .

قيل لمزيد — وهو يحمل شيئاً تحت إبطه — : يا مزيد ! ما هذا الذي تحت
حضنك ؟ قال : يا أحمق ! ولم خبأته ؟

قال الفرزدق للحسن : يا أبا سعيد ! إني قد هجوت إبليس ، أفتسمع ؟ فقال له
الحسن : اسكت ، فإنك على لسانه تنطق .

قيل لأعرابي : أتهمز^(٢) الفارة ؟ قال : إنما يهمزها السنور .

قال حمزة للكسائي : أتهمز الذيب ؟ قال : لو همزته أكلني .

سأل رجل من الشعراء رجلاً من المتكلمين بين يدي المأمون ، فقال : ما سنك ؟
قال : عظم . قال : لم أرد هذا ، ولكن كم تعدد ؟ قال : من واحد إلى ألف ألف
وأزيد . قال : لم أرد هذا ، ولكن كم أتى عليك ؟ قال : لو أتى على شيء لأهلكني .
فضحك المأمون . فقليل له : كيف السؤال عن هذا ؟ فقال : أن تقول ؟ كم مضى من
عمرك

لقى رجل رجلاً راكباً ، فقال له : أين تنزل فقال له : حيث أضع رجلي .

وهب المفضل الضبي لبعض جيرانه أضحية ، فلققيه بعد النحر ، فقال : كيف

(١) في الأصل . شبع ، ولا يستقيم معها الوزن .

(٢) من معاني الهمز : الضغط والدفع والضرب والاض .

وجدت أضحيتك؟ فقال: ما وجدت لها دماً. أراد قول الشاعر:

ولو ذُبِحَ الضَّيُّ بِالسَّيْفِ لَمْ تَجِدْ مِنْ اللُّؤْمِ لِلضَّيِّ لِحاً وَلَا دَمًا^(١)

اجتمع ناس من الشعراء على باب عدى بن الرقاع الشاعر، فخرجت بنت له، فقالت: ما تريدون؟ قالوا: نريد أباك لنخزيه ونفضحه. فقالت:

تَجَمَّعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلَدَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَا زِلْتُمْ قِرْنَ وَاحِدٍ^(٢)

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة، فقال ابن شبرمة — وكان كوفياً — : لنا أحلام ملوك المدائن، وسخاء أهل السواد، وظرف أهل الحيرة، ولكم سفه السند، وبخل الخزر، وحمق أهل غسان.

قال الربيع الحاجب لشريك القاضي بحضرة المهدي: بلغني أنك اختنت^(٣) أمير المؤمنين. فقال شريك: لا تقل ذلك، لو كنت اختنته^(٣) لكان قد أتاك نصيبك.

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له: لحنت. فقال: الجواد يعثر. قال المؤدب: إي والله، ويضرب حتى يستقيم. فقال: نعم، وربما كسر أنف سائسه.

وقف أعرابي على قوم فقال: رحم الله من لم تمج أذنه كلامي، وقدم لنفسه معاذة من سوء مقامي، فإن البلاد مجدبة، والحال مسغبة، والحياء زاجر يمنع من كلامكم، والفقير يدعو إلى إخباركم، والدعاء أحد الصدقتين، فرحم الله امرئاً أصر بخير. فقيل له: من أنت؟ فقال: اللهم اغفر، سوء الاكتساب يمنعني من الانتساب.

(١) الكامل ٨٦/١، عيون الأخبار ٢/٢٢٩.

(٢) الكامل ٢٤٢/٢: والقرن: السكف في الشجاعة وغيرها.

(٣) في الأصل خنتت... خنتته ولا معنى لها، وما أثبتناه أقرب إلى ما ورد في عيون الأخبار ٢/٢١٣ ففيها: بلغني أنك خنت.

سمع إياس بن معاوية — رحمه الله — يهوديا يقول : ما أحق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يتحدثون . فقال له إياس بن معاوية : أو كل ما تأكله تحدثه؟ قال : لا . لأن الله يجعل أكثره غداء . قال : فلم تنكر أن يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غداء .

جمع المأمون بين العتّابي وبين أبي قرّة النصراني ، فقال لهما : تناظرا وأوجزا . فقال العتّابي لأبي قرّة : أسألك أم تسألني؟ فقال : سلني . قال : ما تقول في المسيح؟ قال : أقول إنه من الله عز وجل . فقال العتّابي : إن (من) تجيء على أربعة أوجه : فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ ، والولد من الوالد على سبيل التناسل ، والخل من الحلو^(١) على سبيل الاستحالة ، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة ، فهل عندك خامسة قال : لا ، ولكني لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول؟ فقال العتّابي : إن قلت : إنه كالبعض من الكل جزأته ، والباري لا يتجزأ ، وإن قلت : إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعا إلى مالا نهاية ، وهذا لا يجوز على الباري عز وجل ، وإن قلت على سبيل الاستحالة ، أوجبت فسادا ، والباري لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال ، وإن قلت : إنه كالخلق من الخالق ، كان قولا حقا ، وهو الحق الذي لا شك فيه .

وُصف إبراهيم النظام لأبي عبيدة معمر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب ، فمر به يوما ومعه قارورة زجاج ، فأراد أن يختبره ، فقال : يا أبا إسحق! ما عيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار ، بطيئة الانجبار . فأعجب ذلك أبا عبيدة .

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان : أيّما أحسن ، دار أمير

(١) في الأصل : والخل من الخل الخ ، وبالإضافة إلى ما أثبتناه فإنه يحتمل أن تكون العبارة : والخل من الخل — والخل من أسماء الخمر ، انظر حلبة الكميت ٦ .

المؤمنين أم دار إليك ؟ فقال : ما دام أمير المؤمنين في دار أبي فدار أبي أحسن .
سمع سوار القاضى الحجاج بن أوطاة يقول : أهلكنى حب الشرف ، فقال :
اتق الله تشرف .

قال مالك بن أنس : قدم على عمر بن عبد العزيز فتيان ، فقالا : إن أبانا توفى
فترك مالا عندنا حميد ، فأمر عمر بإحضاره ، فلما دخل عليه ، قال له عمر : يا حميد !
أنت القائل :

حميدُ الذى أَمَجَّ دارُهُ أخوانِ الخمرِ ذوالشَّيْبَةِ الأَصْلَعُ
أتانى المشيبُ على شربِها وكان كريماً فما يَنْزِعُ^(١)

فقال : نعم . قال : أما إذ أقررت ، فأنى سأجلك^(٢) ؟ قال : ولم ؟ قال : لأنك
أقررت بشرب الخمر ، وزعمت أنك لم تنزع عنها . فقال : هيهات ، أين يذهب بك ؟
ألم تسمع قول الله يقول : « والشُعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالًا يَفْعَلُونَ^(٣) » ؟ قال عمر : أولى لك يا حميد ، لقد أفلت . ثم
قال : ويحك يا حميد ، كان أبوك صالحاً ، وأنت رجلٌ سوء . قال : أصلحك الله ،
وأنت رجلٌ صالح ، وكان أبوك صالحاً ، وأنت رجلٌ سوء ، وما كلُّ الناس يشبه أباه ، فقال : إذن
هو لاء يزعمون أن أباهم توفى ، وترك عندك مالا . قال : صدقوا ، وأنا أحضره
الآن . فأحضره بخواتيم أبيهم ، ثم قال : إن هؤلاء توفى أبوه منذ كذا وكذا ،
وأنا أنفق عليهم من مالى وهذا مالهم . فقال عمر : ما أحدٌ أحق أن يكون عنده
منك . قال : ما كان ليعود إلى وقد خرج من عندى .

(١) البيت الأول وحده فى الكامل ١٤٨/١ ، والأمج : شدة الحر والعطش .

(٢) فى الأصل : فأين سأجلك .

(٣) سورة الشعراء الآيات : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

دخل الأحنفُ بن قيس التميمي على معاوية بن أبي سفيان يوماً ، فقال : يا أحنف
ما الشيء الملقف في البجاد ؟ يعرض له بقول الشاعر :

إذا ما مات مَيِّتٌ من تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيٌّ بَزَادٍ
بُخْبِزٍ أَوْ بَتَمِرٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ الشَّيْءُ الْمُلَقَّفُ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يَطُوفُ فِي الْآفَاقِ حِرْصاً لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ^(١)

والشيء الملقف في البجاد : وطب اللابن . فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه ،
فقال : الشيء الملقف في البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين . وذلك أن قريشاً
كانت تعير بأكل السخينة . وهي حساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة
وغلاء السعر .

(١) الأبيات لأبي مهبوش الفقعسي ، أو لأبي الهوس الأسدي ، انظر الكامل ١٠٠/١ ، وورد فيه شطر
البيت الثالث : تراه ينقب البطحاء حولا ، وانظر البيتين الأول والثاني في عيون الأخبار ٢٠٢/٢ والبياد : كساء
مخطط من أكسية الأعراب .

بَابُ الْآدَبِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منح والدٌ ولده خيراً من أدب حسن »
وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال : « ما نحل والدٌ ولده خيراً من أدب حسن » .

قال سليمان بن داود : من أراد أن يغيظَ عدُوّه ، فلا يرفع العصا عن ولده .

وقال محمد بن سيرين : كانوا يقولون : أكرم ولدك وأحسن أدبه .

كان يقال : من أدب ولده أرغم أنف عدوه .

قال الحسن : التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر .

قال الشاعر^(١) :

خَيْرُ مَا وَرَّثَ الرَّجَالُ بَنِيهِمْ	أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الثَّنَاءِ
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَائِرِ وَالْأَوْ	رَاقٍ فِي يَوْمِ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءِ
تِلْكَ تَقَى وَالدِّينُ وَالْأَدَبُ الْعَ	لِجُ لَا تَقْنِيَانِ حَتَّى الْبَقَاءِ
إِنْ تَأَدَّبْتَ يَا بُنَى صَغِيرًا	كُنْتَ يَوْمًا تَعْدُ فِي الْكِبَرَاءِ
وَإِذَا مَا أَضَعْتَ نَفْسَكَ الْفِي	تَ كَبِيرًا فِي زُمْرَةِ الْغَوَاةِ
لَيْسَ عَظْفُ الْقَضِيبِ إِنْ كَانَ رَطْ	بًا وَإِذَا كَانَ يَابِسًا بِسَوَاءِ

(١) وردت الأبيات في جامع بيان العلم ٨٤/١ ، وقال ابن عبد البر : أنشدها المشني لإبراهيم بن داود البغدادي عن قصيدة أولها :

يا بني اقرب من التقياء وتعلم تكن من العلماء

ووردت الأبيات الثلاثة الأولى في معجم الأدباء ١٠/١٣١ منسوبة إلى الحسين بن علي بن محمد المعروف بابن قم الزيندي ، وهو خطأ ، لأن ابن قم ولد سنة ٥٣٠ هـ ، أي بعد وفاة المصنف بنحو سبعين سنة ، فكيف عرف أبياته تلك .

قال لقمان : ضرب الوالد للولد كالسماد للزراع^(١).

قال بعض الحكماء : لا أدب إلا بعقل ، ولا عقل إلا بأدب .

كان يقال : التجربة علم ، والأدب عون ، وتركه مضرّة بالعقل .

كان يقال : العون لمن لا عون له الأدب .

قال الأحنف : الأدب نور العقل ، كما أن النار في الظامة نور البصر .

قال الأصمعي : ما مطية أبلغ دركاً وهي وادعة من الأدب .

قال بُزْرجهر : أرفع منازل الشرف لأهله العلم والأدب .

وقيل : من قعد به حسبه نهض به أدبه .

وقال ابن أبي دؤاد لرجل تخطى أعناق الرجال إليه : إن الأدب المترادف خير

من النسب المتلاحف^(٢) .

كان يقال : الأدب من الآباء ، والصلاح من الله^(٣) .

كان يقال : من أدب ابنه صغيراً قرّت به عينه كبيراً .

وقال الحجاج لابن القريّة : ما الأدب ؟ قال : تجرّع الفصة حتى تمكن

الفرصة .

ووصف أعرابي الأدب في مجلس مُعتمر بن سليمان ، فقال : الأدب أدب الدين ،

وهو داعية إلى التوفيق ، وسبب إلى السعادة ، وزاد من التقوى ، وهو أن تعلم

(١) ينتهي إلى هنا نقص النسخة ب .

(٢) في ب : الملاحف ، والمتلاحف : الذي يحيط بالمرء من جهتيه ، أبيه وأمه .

(٣) ساقط من أ .

شرائع الإسلام ، وأداء الفرائض ، وأن تأخذ لنفسك بحظها من النافلة ، وتزید ذلك بصحة النية ، وإخلاص النفس^(١) ، وحب الخير ، منافساً فيه ، مبغضاً للشر نازعاً عنه ، ويكون طلبك للخير ، رغبةً في ثوابه ، ومجانبةً للشر رهبةً من عقابه ، فتفوز بالثواب ، وتسلم من العقاب ، ذلك إذا اعتزلت ركوب^(٢) الموبقات ، وآثرت الحسنات المنجيات .

وقال أعرابيٌّ : الأديبُ من اعتصم بعزّ الأدب من ذلة الجهل ، ولم يتورط في هفوة ، وكان أدبه زلّی الى الحظوة في دنياه وأخراه .

قال منصور الفقيه^(٣) :

لَيْسَ الْأَدِيبُ أَخَا الرُّوَايَةِ لِلنُّوَادِرِ وَالْغَرِيبِ

وَلِشِعْرِ شَيْخِ الْمُحَدِّثِينَ أَبِي نُوَّاسٍ أَوْ حَبِيبِ

بَلْ ذُو التَّفَضُّلِ وَالْمُرُوَّةِ وَالْعَفَافِ هُوَ الْأَدِيبُ^(٤)

كان يقال : من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه .
الخطيئة :

إِذَا نَسَكَبَاتُ الدَّهْرِ لَمْ تَعْظِ الْفَتَى عَنْ الْجَهْلِ يَوْمًا لَمْ تَعْظِهِ أَنْ نَامِلَهُ

(١) في ب وإصلاح اليقين .

(٢) في ب : الذنوب .

(٣) وردت الأبيات في جامع بيان العلم ٧/٢ غير منسوبة لقائل وقد نسبها في مجمع الأدباء ١٩٨/١١ إلى

سعد بن محمد الأزدي المعروف بالوحيد البغدادي والمتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٤) في ب : من الذنوب .

وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ تُؤَدِّبُهُ رَوَعَاتُ الرَّدَى وَزَلَاظِلُهُ
فَدَعِ عَنْكَ مَا لَا تَسْتَطِيعُ وَلَا تَطِيعُ هَوَاكَ وَلَا يَذْهَبُ بِحَقِّكَ بَاطِلُهُ^(١)
وقال آخر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ وَالِدَاهُ أَدَّبَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

وقال محمد بن جعفر : الأدب رياسة ، والحزم كياسة ، والغضب نار ،
والصخب^(٢) عار .

قال ابن القريّة : تأدّبوا فإن كنتم ملوكاً مُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رُفتم^(٣) ،
وإن كنتم فقراء استغنيتم .

قال شبيب بن شيبّة : اطلبوا الأدب فإنه عونٌ على المروعة ، وزيادةٌ في العقل ،
وصاحبٌ في العُربة ، وحليّةٌ في المجالس .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه في قول الله عزّ وجل : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا^(٤) ، قال : أدّبوهم وعلموهم .

قال الشاعر :

يَقُومُ مِنْ مَيْلِ الْغَلَامِ الْمُؤَدِّبُ وَلَا يَنْفَعُ التَّأْدِيبُ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ^(٥)

(١) لم أعثر على هذه الأبيات في ديوان الخطيئة ، ولا توجد فيما نسب إليه من شعر في آخر الديوان ، وقد وردت في معجم الأدباء ٣٢/٢٠ منسوبة إلى يحيى بن المبروك اليزيدى النحوى .

(٢) ب : السخف .

(٣) ب : فقم .

(٤) سورة النحر آية : ٦ .

(٥) جامع بيان العلم ٨٢/١ .

وقال آخر :

إِنَّ الْحَدَاثَةَ لَا تُقَصِّرُ بِالْفَتَى الْمَرْزُوقِ ذِهْنًا
لَكِنْ تُرَكِّي عَقْلَهُ فَيَفُوقُ أَكْبَرَ مِنْهُ سِنًا^(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْفَهْمَ لَمْ يَكُنْ انْتِهَابًا وَلَمْ يُقَسَّمْ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْآبَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَنِينَ^(٢)

قال مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ : قال لي رجل من أهل الأدب فارسيّ النسب : إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا في غربة ، ولم يقصروا عن مكرمة : الشجاع حيث كان ، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه ، والعالم فبالناس حاجة إلى علمه ، والخلو اللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه ، فإن لم تعط رباطة^(٣) الجأش ، وجراءة الصدر ، فلا يفوتك العلم وقراءة الكتب ، فإن بها أدباً وعلماً قد قيّده لك العلماء قبلك ، تردادُ بها في أدبك وعلمك .

قال سابق البربري^(٤) :

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الْكِبَرَةِ الْأَدَبُ

(١) جامع بيان العلم ٨٥/١ .

(٢) ورد البيتان في جامع بيان العلم ٨٣/١ بغير نسبة ، وقد نسبنا في معجم الأدباء ١٥٥/١٠ إلى الحسين بن محمد الراقي المعروف بالحالم ، والمتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

(٣) في ب : رباط .

(٤) سابق بن عبد الله البربري ، أبو سعيد ، شاعر من الزهاد ، والبربري لقب له ، ولم يكن من البربر . سكن الرقة ، وكان يقد على عمر بن عبد العزيز فيسنشده من شعره ، فينشده مواعظه ، توفي حوالي سنة ١٠٠ هـ . انظر الباب ١/١٠٧ ، خزنة البغدادى ١٦٤/٤ ، الأعلام ١١١/٣ .

إِنَّ الْغُصُونِ إِذَا قَوْمَتْهَا اعْتَدَلَتْ وَلَنْ تَلَيْنَ إِذَا قَوْمَتْهَا الْخَشْبُ^(١)
 قيل لعيسى عليه السلام : مَنْ أَدَبَكَ ؟ قال : ما أَدَّبَنِي أَحَدٌ ، رأيتُ جَهْلَ
 الجاهل فاجتنبته .

قال بعضُ الحكماء : أفضل ما يُورَثُ الآباءُ الأبناءُ : الثناءُ الحسنُ ، والأدبُ
 النافعُ ، والإخوانُ الصالحون ، وأنشدوا :

وَيَعْدَمُ عَاقِلٌ أَدَبًا فَيَجْفُو وَتَنْسِبُهُ إِلَى غِلْظِ الطَّبَّاعِ
 وَمَنْزِلَةُ التَّأْدِبِ مِنْ أَدِيبٍ بِمَنْزِلَةِ السَّلَاحِ مِنَ الشُّجَاعِ

قال عبد الملك بن مروان لبنيه : يا بنيّ لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعولون
 عليه ؟ فقال الوليد : أما أنا ففارس حرب ، وقال سليمان : أما أنا فكاتب سلطان ،
 وقال يزيد : فأنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما تركنا غايةً لمختار . فقال عبد الملك :
 فأين أنتم يا بنيّ من التجارة التي هي أصلكم ونسبتكم ؟ فقالوا : تلك صناعة
 لا يفارقها ذل الرغبة والرغبة ، ولا ينجو صاحبها من الدخول في جملة الدّهماء والرعية ،
 قال : فعليكم إذا بطلب الأدب ، فإن كنتم ملوكاً سُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رأستم ،
 وإن أعوزتكم المعيشة عشم .

(٢) ورد البيتان في جامع بيان العلم ٨٣/١ ، مذهبين لسابق ، ووردا في التمثيل والمحاضرة ١٦٤ لصالح
 ابن عبد القدوس ، وكذلك ورد الثاني فقط في حماسة البحتري ٢٧٣ منسوبا له ، ووردا في البيان والتبيين
 ٢٦٢/٢ بغير نسبة .

بابُ ترويحِ القُلُوبِ وتَنبِيهِها^(١)

قال عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ : كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يتخوَّلُنا^(٢) بالوعظَةِ مخافةَ السَّامةِ عَلَينا .

وكانَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ يَقولُ : إِنَّ هَذِهِ القُلُوبَ تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأَبْدانُ ، فابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الحِكْمَةِ .

وقالَ عليُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : نَبِّهْ بالتفكيرِ قَلْبَكَ ، وَجَافِ عَنِ النُّومِ جَنْبَكَ ، وَاتَّقِ اللهَ رَبَّكَ .

قالَ أبو الدَّرْداءِ : إِنِّي لَأَسْتَجِمْ قَلْبِي بِشَيْءٍ مِنَ اللَّأْوِ ، لِيَكُونَ أَقْوَى لِي^(٣) عَلَى الحَقِّ .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ : أَرِيحُوا القُلُوبَ ، فَإِنَّ القَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ .

وقالَ أَيْضاً : إِنَّ لَلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالَ ، وَفِتْرَةً وَإِدْبَاراً ، فَخَذِّوْهَا عِنْدَ شَهَوَاتِهَا وَإِقْبَالَهَا ، وَذَرُّوْهَا عِنْدَ فِتْرَتِهَا وَإِدْبَارِهَا .

كانَ يَقالُ : المَلالَةُ تُفَسِّخُ المودَّةَ ، وتُؤَلِّدُ البَغْضَةَ ، وَتَنغْصُ اللَّذَّةَ .

قالَ أرسطو طاليسُ : يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَ نَفْسَهُ لَذَّتِها فِي النِّهارِ لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْناً لَهَا عَلَى سائِرِ يَوْمِهِ .

(١) م : وشبهها .

(٢) يتخولنا : يتعهدنا بها بين الحين والحين .

(٣) ب : له .

في صحف إبراهيم عليه السلام : وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يخلّي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويحتمل ، فإنّ هذه الساعة عون له على سائر الساعات .

قال عمر بن عبد العزيز : تحدثوا بكتاب الله تعالى ، وتجالسوا عليه ، وإذا مَلِئْتُمْ فحديث من أحاديث الرجال حسن جميل .

وقال بعض الحكماء من السّاف : القلوب تحتاج إلى قوتها من الحكمة كما تحتاج الأبدان إلى قوتها من الغذاء .

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على أبيه ، وهو في نوم الضّحي ، فقال : يا أبت إنك لنائم ، وإن أصحاب الحوائج راكدون بيا بك . فقال : يا بُنَيَّ إن نفسي مطيّتي ، وإن حملت عليها فوق الجهد قطعتها .

قال الحسن البصري رضي الله عنه : حادّثوا هذه القلوب ، فإنّها سريعة الدّثور ، وأفرّجوا هذه النفوس فإنّها طمّعة^(١) ، وإن لم تفعلوا هوت بكم إلى شرّ غاية .

وقال غيره من العلماء : حادّثوا هذه القلوب فإنّها تصدأ كما يصدأ الحديد . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد » . قالوا : فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : « تلاوة القرآن » .

كان يقال : الفكرة مرآة المؤمن ، تریه حُسْنَه من قبيحه .

كان يقال : التفكير نور ، والنفلة ظلمة .

(١) محادّة القلوب : جلاؤها ، والدثور : النسيان ، والطامة : كثيرة التطلع إلى الشئ

بَابُ قَوْلِهِمْ فِي وَصْفِ الْعَيْشِ وَمَا تَتَمَنَّاهُ النَّفْسُ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبحَ منكم آمناً في سربه ، معافاً في جسِّمه ، معهُ قوتُ يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا » .

كان عمرُ بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب :

المرءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شُحٌّ وَإِشْتِنَاقٌ وَتَأْمِيلٌ^(١)

قال أبو يعلى : حدثنا الأصمعي ، قال : حدثنا محمد بن حرب الزبَّادي ، قال : حدثني أبي ، قال : قال زيادُ جلسائه : من أغبطُ الناس عيشاً ؟ قالوا : الأميرُ وجلساؤه . فقال : ما صنعتُم شيئاً ، إنَّ لأعوادِ المنابر هَيْبَةً ، وإنَّ لفرعِ الجامِ البريدَ لفرْعَةً ، ولكن أغبطُ الناس عندي : رجل له دارٌ لا يجرى عليه كراؤها ، وله زوجةٌ صالحة ، قد رضيته ورضيها فهما راضيان بعيشهما ، لا يعرفنا ولا نعرفه ، فإنه إن عرفنا وعرفناه أتعبنا ليله ونهاره ، وأفسدنا دينه ودنياه .

قال عمرُ : لما فتح الله على رسوله بنى النضير وغيرها ، كان يتخذ منها لنفسه وعياله قوتَ سنة ، ثم يجعلُ الباقي في الكراع^(٢) والسلاح في سبيل الله .

وقال سليمانُ : إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تمنى أحدُكم فليكثر ، فإنما يسأل ربه » .

(١) البيت في المفضليات ٢٨٦ ، العقد الفريد ٥/٢٨١ ، مجموعة المعاني ٧٥ .

(٢) الكراع : اسم يجمع الخيل وغيرها من الدواب .

وليس في هذا معارضة لقول الله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(١) لأن معنى هذا عند العلماء أن يتمنى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه ، ليصرفه الله عنه إليه ، فذلك التمني المكروه .

قال محمد بن سيرين : نُهيتم عن الأمانى ، ودُلِّتُم على ما هو خير منها^(٢) لكم ، سلوا الله من فضله .

وقد ذكرنا في كتاب « التمهيد » معنى قوله عليه السلام : « لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به » ، عند قوله عليه السلام : « لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر أخيه فيقول : ياليتنى مكانه » .

قال المنصور لإسحاق بن مسلم^(٣) العُقَيْلى : ما بقى من لذاتك ؟ قال : جليس يقصر به طول ليلى ، وزائر أشتهى من أجله طول السهر .

وقال غيره : زائر أشتهى به طول السهر^(٤) ودابة أشتهى من أجلها طول السفر . قال مسلمة بن عبد الملك : العيشُ فى ثلاث : سعة المنزل ، وموافقة المرأة ، وكثرة الخدم .

قال عباية الجعفي : ما يسرُّنى بنصيبى من التمنى مُحَرُّ النعم .

قال عبد الرحمن بن أم الحكم : لذة العيش فى زحف الأحرار إلى طعامك ،

(١) سورة النساء الآية : ٣٢ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) ب : أسام ، والصحيح ما أثبتناه ، انظر قصة حدثت له مع أبي جعفر المنصور فى صدد قتل أبي مسلم .

الخراساني ، فى البيان ٣/٣٢٢ .

(٤) ساقط من ب .

وبذل الأشراف وجوهم إليك فيما تجد السبيل إليه ، وقول المنادى : الصلاة أيها الأمير .

قال قتيبة بن مسلم لو كيع بن أبي سؤد : ما السرور ؟ قال : لوائه منشور ، وجلوس على السرير ، والسلام عليك أيها الأمير .

قيل لأم البنين : ما أحسن شيء رأيت ؟ قالت : نعم الله مقبلة على^(١) .

سأل قتيبة رجلاً : ما السرور ؟ قال : الولد الصالح ، والمال الواسع .

قال عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — : لذة العيش ظفرك بمن تحب بعد امتناع ، ولذة لا توجب عليك إثمًا ، وحق وافق هو .

قيل لأبي حازم : ما اللذة ؟ قال : الموافقة ، ولا أنيس كالصاحب المواتي .

وروى الرياشي عن الأصمعي قال : قال شبيب بن شيبه^(٢) : عيش الدنيا في ثلاث : محادثة الإخوان ، ومباشرة النسوان ، وشم الصبيان .

قال بعض الحكماء : كثرة الالتفات سُخْف ، ومجالسة الحمقى تورث النوك^(٣) ، وكثرة المني تُخْلِقُ العقل ، وتُفسد الدين ، وتنفي القناعة .

قال أبو العتاهية :

(١) زيادة من ب .

(٢) في ب شبة ، والصحيح أنه شبيب بن شيبه بن عبد الله التميمي المنقري ، الخطيب الذي بلغ النبوة في الفصاحة والبيان ، وهو الذي عناه أبو نخيلة السعدي الراجز بقوله :

إذا غدت سعد على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

توفي شبيب حوالي سنة ١٧٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٤/ ٣٠٧ ، البيان ١/ ٦٢ .

(٣) النوك : الغفلة والحمق .

اللهُ أَصْدَقُ وَالْأَمَالُ كَاذِبَةٌ وَجُلُّ هَذِي الْمَنَى فِي الْقَلْبِ وَسُوءُ^(١)

ذكر عمرو بن بحر عن الأصمعي ، قال : قال بعضهم : الاحتلام أطيب من
الغشيان ، وتمنيك الشيء أوفر حظاً للذة من قدرتك عليه .

قال عمرو بن بحر : كأنه ذهب إلى أن المال إذا مُلِكَ^(٢) وجبت فيه حقوق ،
وخاف مالكة عليه الزوال ، واحتاج إلى الحفظ ، وكل من عظمت عليه نعمة الله
عظمت مؤونة الناس عليه .

ذكر المدائني قال : قيل لامرئ القيس : ما أطيبُ عيشِ الدنيا ؟ فقال :
بيضاء رُعبوبة ، بالطيب مشبوبة ، باللحم مَكْرُوبَة^(٣) .

وسئل الأعشى : أي العيشُ ألد ؟ فقال : صهباء صافية ، تمرزها ساقية ، من
صوب غادية .

وسئل طرفة ، فقال : مطعم شهى ، وملبس زهى ، ومركب وطى .
وقال غيره :

أَطْيَبُ الطَّيِّبَاتِ قَتْلُ الْأَعَادِي وَاخْتِيَالٌ عَلَى مُتُونِ الْجِيَادِ
وَأَيَادٍ حَبُوءٍ مِنْ كَرِيمٍ إِنَّ عِنْدَ الْكَرِيمِ تَزْكُو الْأَيَادِي^(٤)
لبعض الحكماء : أسوأ الناس حالاً من اتسعت أمنيته ، وضائق مقدرته ،
وبعدت همته .

(١) ديوانه ١٣٢ .

(٢) ١ : هلك .

(٣) الرعبوبة : الحسنة البياض الرطبة المكاس ، والمشبوبة : الظاهرة الحسن المشرقة اللون ، وباللحم
مكروبة : أي مقتولة الأعضاء غير مترهلة .

(٤) عيون الأخبار ٢٤٨/٣ ، المحاسن والمساوى ٢١٢/١ .

قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة : أيّ الأمور أمتع ؟ فقال : ممازحة حبيب ،
ومحادثة خدين^(١) ، وأمان^(٢) تقطع بها أيامك . وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن
أبي بكرة ، أنه قيل له : أي شيء أكثر إمتاعاً ؟ قال : المنى .

قال بعض الأعراب ، ويروى لأبي بكر العرزمي^(٣) :

مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغَدًا
أَمَانِي مِنْ سَلَمَى عَذَابٍ كَأَنَّمَا سَقَّتْكَ بِهَا سَلَمَى عَلَى ظَمًا بَرْدًا^(٤)

اجتمع عبدالله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام ، عند الكعبة ، فقال
عبد الله : أحب ألا أموت حتى تجيء إلى الأموال وأكون خليفة .

وقال مصعب : أحب أن أليّ العراقيين — يعني الكوفة والبصرة — وأزوج
سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة .

وقال عروة : لكنني أسأل الله الجنة . فصار عبدالله ومصعب إلى ماتنخيا، ويرون
أن عروة صار إلى الجنة .

كان المتمني بالكوفة إذا تمني يقول : أتمنى أن يكون لي فقه أبي حنيفة ،

(١) ب : صديق .

(٢) ب : أمان .

(٣) في م : الخوارزمي ، والعرزمي هو محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان الفزارى ، شاعر حضرمي ، عاش في
الكوفة ونسبته إلى «جبانة عرزم» بها ، أكثر شعره آداب وأمثال ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣٢٢/٩ ،
اللباب ١٣٢/٢ ، الأعلام ١٣٥/٧ .

(٤) ويروى : أمانى من سعدى رواء ، وقد نسب البيتان في حاشية أبي تمام ١٥٩/٢ لرجل من بني الحارث
ولم يعينه ، وورد في عيون الأخبار ٢٦١/٣ ، نوادر القالي ١٠٢ ، زهر الآداب ٥٨/٢ ، معجم الأدباء
٢٣٠/١٦ بغير نسبة .

وحفظ سفيان ، وورع مسعر بن كدام^(١) ، وجواب شريك^(٢) .
قال الأصمعي : قال لي بن أبي الزناد : المنى والحلم أخوان .

قال مالك بن أسماء^(٣) :

ولمَّا نَزَلْنَا مَنَزِلًا طَلَّهُ النَّدَى أُنِيقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدَّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مُنَى فَتَمَنَيْنَا فَكُنْتُ الْأَمَانِيَا
قال سلم الخاسر^(٤) :

لولا مُنَى الْعَاشِقِينَ مَاتُوا أَسَى وَبَعْضُ الْمُنَى غُرُورُ
مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

وقال منصور الفقيه :

لَوْ أَنَّ لَيْتًا نَفَعَتْ مَعَ تَرْكِ مَا يَنْفَعُنِي
مَا كَانَ لِي قَوْلٌ سِوَى يَا لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ

(١) ابن ظهير الهلالي العامري السكوفي ، أبو سلمة ، كان يقال له : « المصحف » لعظم الثقة فيه ، توفي سنة ١٥٢ هـ ، انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ ، حلية الأولياء ٢٠٩/٧ (الأعلام ١٠٩/٨) .
(٢) شريك بن الحارث النخعي السكوفي ، عالم بالحديث فقيه ، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته ، استقضاها أبو جعفر المنصور على السكوفة سنة ١٥٣ هـ وتوفي بها سنة ١٧٧ هـ ، انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٢٧٩/٩ ، البداية والنهاية ١٧١/١٠ . (الأعلام ٢٣٩/٣) .

(٣) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري ، أبو الحسن ، شاعر غزل ظريف ، تزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء ، وتولى له خوارزم وأصبهان ، توفي حوالي سنة ١٠٠ هـ . انظر معجم الشعراء ٣٦٤ ، وانظر البيتين في عبون الأخبار ٢٦٢/١ ، وقد نسبنا في الوزراء والكتاب ٤٥ إلى عبد الله بن أبي فروة ، ونسبنا في حماسة أبي تمام ٢٣٥/١ إلى أبي بكر بن عبد الرحمن الزهري .

(٤) سلم بن عمرو الخاسر ، شاعر ماجن ظريف من شعراء صدر الدولة العباسية ، وشعره رقيق رصين ، انظر في ترجمته : تاريخ بغداد ١٣٦/٩ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ ، وانظر الأبيات في الشعر والشعراء ١٠٠ ، نهاية الأرب ٧٨/٣ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ .

وقال آخر :

ذَهَبَ الْبَرْدُ وَأَبَا فَاَسْتَوَى الْعَيْشُ وَطَابَا

وقال آخر :

وَلِي مِنْ تَمَنَّى النَّفْسِ دُنْيَا عَرِيضَةً
تُمَدِّكُنِي الْأَمْوَالَ لَا فَقْرَ بَعْدَهَا
وَمُصْطَبَحٍ يَغْدُو عَلَيَّ وَيَطْرُقُ
وَعِرْسًا غَيُورًا فَاحِشًا وَتَطْلُقُ
فَقَدْتُ الْمُنَى لَا نَحْنُ نَلْمُو عَنْ الْمُنَى
لِتَجْرِبَةٍ مِنَّا وَلَا هِيَ تَصْدُقُ

(١) وقال آخر :

وَأَكْثَرُ أَفْعَالِ اللَّيَالِي إِسَاءَةٌ
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَّى الْأَمَانِي كَوَازِبًا^(١)

وأنشد نفطويه :

الدَّهْرُ يَصْدُقُنَا وَتَكْذِبُنَا الْمُنَى
وَإِذَا الْمُنَى أَقْبَلَتْ لَمْ تَثْنِهَا
بِعِدَاتِهَا وَتَغْرُنَا الْأَمَالُ
خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ وَلَا أَمْوَالُ

وقال آخر :

إِنَّ الْقَنَاعَةَ وَالْعِفَا
فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى الْمُنَى
فَإِغْنِيَانِ عَنِ الْغِنَى
فَأَشْكُرُ فَقَدْ نِلْتَ الْمُنَى

وقال عبد الملك بن حبيب^(٢) :

صَلَحُ أَمْرِي وَالَّذِي أَبْتَغِي
هَيْنٌ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي قُدْرَتِهِ

(١) ساقط من ١ .

(٢) السلمي الإلبيري القرطبي ، عالم الأندلس وفقهائها في عصره ، توفي سنة ٢٣٨ هـ ، ترجمته في جذوة

المقتبس ٢٦٣ ، بغية الملتقى ٣٦٤ .

أَلْفٌ مِنَ الْبَيْضِ وَأَقْلَلٌ بِهَا لِعَالَمٍ أَزْرَى عَلَى بُغْيَتِهِ
زُرْيَابٌ قَدْ يَأْخُذُهَا جُمْلَةً وَصَنَعَتِي أَشْرَفٌ مِنْ صَنَعَتِهِ^(١)

قال آخر :

مُسَيَّمَاتُ أَيَّامِ الزَّمَانِ كَثِيرَةٌ وَمُحْسِنَةُ الْأَيَّامِ فِي الدَّهْرِ أَعْلَامُ
وَعَيْشُكَ فِيمَا تَسْتَخِصُّ وَتَصْطَفِي قَصِيرٌ وَإِنْ طَالَتْ لِيَالٍ وَأَيَّامُ
فَصِلْ بِسُرُورِ النَّفْسِ عَيْشَكَ إِنَّهُ مَضَى مِثْلَ مَا مَرَّتْ بِعَيْنِكَ أَحْلَامُ

قال بشار بن برد :

ذَكَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى فَلَدَّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا^(٢)

وقال آخر :

مَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ لَمْ تَكْثُرْ أَمَانِيهِ وَلَمْ يَكُنْ طَالِبًا مَا لَيْسَ يَعْنِيهِ^(٣)
قيل لرقبة بن مصقلة : أنت بعيد الدار من المسجد ، وتنصرف بلا مؤنس ؟
قال : إني حين أخرج من المسجد أبتدى أمنية فما تنقضى حتى أدخل المنزل .

قال لييد بن أبي ربيعة :

وَكَذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزْرِى بِالْأَمَلِ^(٤)

(١) في الجذوة : سهل على الرحمن ... ، ألف من الحمر ... ، لعالم أوفى ، قد يأخذها دفعة . انظر جذوة المقيس ٢٦٣ ، نفح الطيب ٢/٢١٥ .

(٢) عيون الأخبار ١/٢٦١ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ديوانه ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١٥٣ ، نهاية الأرب ٣/٦٧ ، معجم الأدباء : ١٠٩/٢٠ .

وقال آخر :

ربّ من باتَ يُعَنِّي نَفْسَهُ حَالٍ مِنْ دُونِ مُنَاهُ أَجَلُهُ
قال يزيد على المنبر : ثلاث يخلقن العقل ، وفيها دليلٌ على الضعف : سرعة
الجواب ، وطولُ المنى ، والاستغراقُ في الضحك .

وقال الأحنفُ بنُ قيس : كثرةُ الأمانى من غرور الشيطان .
قال حبيب^(١) :

مَنْ كَانَ مَرْتَعُ عَزَمِهِ وَهُمُومِهِ رَوْضَ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا
وقال آخر :

إِذَا تَمَنَيْتُ بَتَّ اللَّيْلِ مَغْتَبِطًا إِنَّ الْمُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ^(٢)
وقال آخر :

إِذَا حَدَّثْتِكَ النَّفْسَ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَاحَوَاتِ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكَذِّبْ
فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ وَمَالَ بِكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا مَتَّئِكَ يَوْمًا فَجَرَّبِ^(٣)
قال أبو العتاهية :

إِنَّمَا الْفَقْرُ فَضُولُ التَّعْنَى فَانْسَهَا وَاسْتَوْهَبِ اللَّهَ ذِكْرًا^(٤)
قيل لسليمان بن عبد الملك : ما اللذة ؟ قال : جليس ممتع أضعُ بيني وبينه
التَّحْفُظُ .

(١) ديوانه بشرح التبريزي ٦٧/١ .

(٢) نسب البيت في التمثيل والمحاضرة ١١٣ إلى أبي بكر الخالدي ، وورد في عيون الأخبار ٢٦١/٣ ، نهاية الأرب ١٠٣/٣ بغير نسبة .

(٣) نسب البيتان في معجم الشعراء ٣٤٨ إلى الكميّ بن زيد الأسدي ونسبها القالي في النوادر ٤٩ إلى أعرابي من بني سعد يدعى خنوص ، وكان عمرو بن العاص قد وعده أن يساعده في نفقات زواجه ثم لم يفعل ، فقل البيتين .

(٤) لم أعر عليه في الديوان ، واعلم مما حفظه المصنف من شعره ، ولم يره جامع الديوان .

قال الحجاج بن يوسف الحرثيم — وهو خرّيم بن خليفة بن سنان بن أبي حارثة
المري — ما العيش ؟ قال : الأمن ، فإنّي رأيت الخائف لا ينتفع بعيش . قال :
زدني . قال : والشباب ، فإنّي رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش . قال : زدني . قال :
والصحة ؛ فإنّي رأيت السقيم لا ينتفع بعيش . قال زدني . قال : لا أجد مزيداً .

قال أعرابي :

وما العيش إلا في الخمول مع الغنى وعافية تغدو بها وتروح

وقال آخر :

إنّ الفتى يصبح للأسقام كالغرض المنصوب للسهام
أخطأ رام وأصاب رام يقول : إني مدرك أمامي

في قابل ما فاتني في العام^(١)

قيل لرجل من الحكماء : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من كفى هم الدنيا ، ولم
يهم بالآخرة .

(١) الرجز لأبي النجم الفضل بن قدامة بن عبيد العجل ، انظر ثلاثة الأبيات الأولى في زهر الآداب
١٣/٤ ، وقد ورد في معجم الشعراء ٣١١ برواية أخرى هي :

المراء كالحالم في المنام	يقول أنا مدرك أمامي
في قابل ما فاتني في المنام	والمرء يدنيه من الحمام
مر الليالي السود والأيام	إن الفتى يصيح للأسقام
كالغرض المنصوب للسهام	أخطأ رام وأصاب رام

قال الشاعر :

لا تَمَنَّ الْمُنَى فَتَغْتَرَّ جَهْلًا طَالَمَا اغْتَرَّ بِالْمُنَى الْجَهْلَاءُ

قال آخر^(١) :

لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ مِنِّي لَيْتُ إِنَّ لَيْتًا وَإِنَّ لَوْأَ عَنَاءُ

(١) في ١ ، ب : قال الحارث بن حنظلة ولم أعر عليه في معلقته : آذنتنا بينها أسماء ، وقد نسب في الشعر والشعراء ٢٦٣ إلى أبي زيد الطائي .

باب اخْتِلَافِ الْهِمَمِ فِي أَنْوَاعِ الْمَالِ

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « خيرُ المالِ عينٌ ساهرةٌ لعينِ نائمةٍ » .

وروى عنه عليه السلام أنه كان يأمرُ الأغنياءَ باتِّخاذِ الغنمِ ، ويأمرُ المساكينَ باتِّخاذِ الدجاجِ .

قال مالكُ بن أنس^(١) — رحمه الله — : لما خرج مروانُ من المدينة مرَّ بماله بذي خُشب^(٢) ، فلما نظر إليه قال : ليسَ المالُ إلا ما أُسْرِجَت عليه المناطقُ .

قيل لابنة الحسن : ما تقولين في مائة من المعز ؟ قالت : قنًى . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غنًى . قيل فمائة من الإبل ؟ قالت : مئى .

وأما قول امرئ القيس^(٣) :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارًا كَأَنَّ قُرُونَهَا جِلْمَتَهَا الْعِصَى

فإنه أراد أنها كانت معزى ، لوصفه قرونها بالعصى ، وأما قوله :

فَتَمَلَّأْ يَتْنَا إِقْطًا وَسَمْنَا وَحَسَبُكَ مِنْ غِنَى شَبَعٍ وَرِي

فإنه زعم بعضهم أن الإقط لا يكون إلا من لبن البقر ، وقالوا : المعزى أكثر لبناً ، وأكثر سمناً وزبداً .

(١) ١ ، ب : أسد .

(٢) فى ١ : خشيب ، وهو خطأ ، وذوخشب : واد معروف على مسيرة ليلة من المدينة ، انظر معجم البلدان

٣٧٢/٤ .

(٣) ديوانه ١٣٧ ، عيون الأخبار ١/٣٣٣ .

قال المستورد : الذهب والورق حبران ، إن تركتهما لم يزيدا ، وإن أخذت
منهما نفدا ، والحيوان كالبقل^(١) إن أصابته الشمس ذوى^(٢) ، ولكن المال
الأرض والماء .

قال ابن شهاب الزهري -- رحمه الله -- يخاطب أخاه عبد الله^(٣) :

تَتَبَّعْ خَبَايَا الْأَرْضِ وَاذْعُ مَلِيكَهَا كَمَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَجَابَ فَتَرْزَقَا^(٤)

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تسمة أعشار الرزق في التجارة ،
والمشر في السائباء^(٥) » .

لما بلغ عمر بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمرؤا
الأرضين ، كتب إليهم : لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمها في وجهها .

ولما بلغه أن عتبة بن غزوان وأصحابه بنوا باللبن كتب إليهم : وقد كنت
أكره لكم ذلك ، فإذا فعمتم فمرضوا الحيطان ، وارفعوا الشمك ، وقاربوا بين
الخشب .

باع رجل رجلا أرضا ، فقال البائع : أما والله لقد أخذتها شديدة المئونة قليلة
المعونة -- يعني الأرض -- . فقال المبتاع : والله لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سرية
التفرق^(٥) -- يعني الدراهم .

(١) في ١ : والبقل

(٢) في ١ : قوى .

(٣) معجم الشعراء ٣٤١ .

(٤) السائباء : الجلدة الرقيقة التي تحيط بالجنين وهو في جطن أمه ، والمقصود بها في الحديث ناع الإبل
والماشية . أنظر النهاية ٣١/٢

(٥) ب : التفرق .

قالوا : إذا بَعُدَ المال ^(١) عن موضع ربه ^(٢) قلت فوائده .

قال الشاعر :

سَأْ بُغِيكَ مَالاً بِالْمَدِينَةِ إِنِّي أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَائِدُهُ ^(٣)
أوصى سهل بن حنيف ، أحد بني عبد الرحمن بن عوف ، وكانت أمه أنصارية
فقال له : إنك أحب إخوتك إلي ، وإنني موصيك بوصية : اعلم أنه لا عيلة على
مصلح ، ولا مال مع الخرق ^(٤) ، واعلم أن خير المال العقل ^(٥) ، وخير المال ما أطعمك
ولم تطعمه وإن قل ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال ، ولكنهم جمال ^(٦) ، واعلم أن
الماشية إنما هي مال أهلها ، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فزرعة إن زرعها
انفعت بها ، وإلا لم ترزقك شيئاً . قال : فحفظت نصيحته ، فكانت لي أنفع مما
ورثت ^(٧)

ذكر النخل والزرع عند بعض الأشراف العقلاء ، فقال : شَرَيْنَا النخل من
فضول غلات الزرع ، ولم نشتر الزرع من فضول غلات النخل .
قال الليث بن سعد : لما افْتَتَحَتْ إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا
فيها من الأموال ، فسألوا بعض من كان معهم من الأسرى ، فبدر إلى شجرة زيتون
كانت بين يديه ، فأخذ منها عوداً وأراهم إياه ، وقال : من هذا جمعنا هذه

(١) ب : الماء .

(٢) ب : ربه .

(٣) عيون الأخبار ٢٥١/١ ، البيان ٤٠٢/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٣١١ وفيه : سأبتاع .

(٤) ب : الخزيق ، الخرق : الحق والغفلة .

(٥) ب : العقد .

(٦) ب : خيال .

(٧) ب : ترك عن أبي .

الأموال ، نُصيب الزيتون ، فيأتينا أهل البحر والبر ، والصحراء والرمل ، يبتاعون منا الزيتون ، فمن ثمَّ كثرت أموالنا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص : « هل لك يا عمرو أن أبعثك في جيشٍ يُسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك رغبةً سالحة » .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث المقداد بن معدى كرب ، وهو حديث صحيح ، أنه قال صلى الله عليه وسلم : « ما أكل ابنُ آدم طعاماً خيراً له من أن يأكلَ من عملِ يده ، وكان داودُ عليه السلام يأكل من عمل يده » .

وكان داود عليه السلام يعمل القفاف الخوص ، وقيل كان نوح نجاراً ، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلم .

وأجمع العلماء أنَّ أشرفَ الكسب : الغنائم ، وما أوجف الله عليه ^(١) بالخیل والرَّكاب ، إذا سلم من الغلول . وقد سَمَّى الله الجهادَ تجارةً مُنْجِيَةً من عذابٍ أليم . قال ^(٢) بعضُ لصوص همدان ^(٣) :

(١) ساقط من ب .

(٢) في ب : قالت .

(٣) وردت الآيات في الصفحة التالية منسوبة إلى مالك بن حريم في عيون الأخبار ١/٢٣٧ ، العقد الفريد ٣/٣٩١ ، ووردت منسوبة لعمر بن بركة الهمداني : في الأغاني ٢١/١١٣ ، المؤلفات ٦٦ ، ٥٧ ، في قصة حدثت له مع حريم بن مالك الهمداني ، لا ابنه مالك بن حريم ، كما قد يتبادر إلى الدهن من نسبتها إليه في عيون الأخبار ، وأصل الفصة أن حريماً أغار على لابل لعمر وذهب بها فجاؤا عمرو إلى امرأة من همدان كانوا يستشيرونها ، فأخبرها الخبر ، وأنه يريد الإغارة على حريم ، فنهته عن ذلك وحذرتة العاقبة ، فلم يبال بقولها ، وأغار على حريم فاستأن كل شيء له ، ولم يستطع حريم أن ينال منه منالاً ، وقال في ذلك قصيدته التي منها هذه الآيات وأولها :

تقول سليبي لاتعرض لثلفة وليلك عن ليل الصعاليك فأم
ومنها : كان حريماً إذ رجا أن أردّها ويذهب مالى يابنة القيل حالم

واظفر البيتين الثاني والثالث في البيان والتبيين ٣/١٥٩ ، الامالي ٢/١٢٢ ، العقد ٣/٣٩٩ ، والثالث في

حجاسة البحرى ٢٠ .

وَمَنْ يَطْلُبِ الْمَالَ الْمُنْعَ بِالْقَنَاءِ
مَتَى تَجْمَعُ الْقَلْبَ الذِّكْيَ وَصَارِمًا
وَكُنْتَ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْهُمْ

يَعِيشُ مُثْرِيًّا أَوْ تَخْتَرِمُهُ الْمَخَارِمُ
وَأَنْفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبُكَ الْمَظَالِمُ
فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا لَهْمْدَانَ ظَالِمٌ^(٣)

بَابُ التَّجَارَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ الْكَسْبِ عَمَلُ الْيَدِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « أَفْضَلُ الْكَسْبِ كَسْبُ الصَّانِعِ إِذَا صَحَّ ^(١) » .
وقال عليه السلام : « التَّجَارُ هُمُ الْفَجَّارُ إِلَّا مَنْ بَرَّ وَصَدَّقَ » .

وقال عليه السلام : « التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ مَعَ الشَّهْدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « يَا مَعْشَرَ التَّجَارِ ! إِنْ يِعْمَ هَذَا يَشُوبُهُ الْحَلْفُ ، فَشُوبُوه بِالصَّدَقَةِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ ، وَالْمَحْتَكِرُ مَلْعُونٌ » .
أو قال « ... مَذْمُومٌ ^(٢) » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تِسْعَةُ أَعْشَارِ الرِّزْقِ فِي التَّجَارَةِ ، وَالْعُشْرُ فِي السَّائِيَاءِ » .
وقال عليه السلام : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَقْبُضَ الْمَالُ ، وَيُظْهَرَ الْقَلَمُ ، وَتَكْثُرَ التَّجَارُ ^(٣) » .

(١) ١ : صنع ، وفي جمع الزوائد ٦١/٤ أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خير الكسب كسب العامل إذا نصح . وانظر كتاب البيوع في صحيح البخاري وسنن النسائي ، وكتاب التجارات في سنن ابن ماجه .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) لم نثر على هذا الحديث بنصه ، وقد أخرج البخاري ، وأصحاب السنن الأربعة ما نصه : عن أنس بن مالك ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » .

وأيضاً : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ويظهر الزنا » . انظر التمهيد في فتح البزري ١/١٨٨ ، ١٨٩ ، صحيح مسلم ٢٠٥٦/٤ .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من استتقاله أخوه المسلم في بيع باعه منه فأقاله .
أقاله الله من عثرته يوم القيامة » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فرّقوا بين المنأيا ، واجعلوا الرأسَ
رأسين^(١) .

وقال عمر : بع الحيوان أحسن ما يكون في عينك .

وقال ابن شهاب : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعرابي وهو يبيع
مُسَوِّمَةً^(٢) فقال : « عليك بأولِ سَوِّمَةٍ ، أو بأولِ سَوِّمٍ ، فإن الرِّيحَ مع
السَّامِحِ » .

قيل للزبير رحمه الله : بم بلغت هذا المال ؟ قال : إني لم أُرِدْ ربحاً ، ولم
أشتر عيباً .

كان يقال : الأسواقُ موائدُ الله في الأرض ، فمن أتاها أصاب منها .

قال خالد بن صفوان : في التَّجَارِ أوْثُمُ الطَّبَائِعِ ، وعِيّ اللِّسَانِ ، وموتُ القلبِ ،
وسوءُ الأدبِ ، وقِصْرُ الهمةِ ، والاشْتِمَالُ على كل بليّة .

اشترى أعرابيُّ جملًا ، فنَدِمَ عليه في شرائه ، فجعل يُصَعِّدُ النظرَ فيه ويصوّبه
ليجد ما يتوسَّلُ به إلى رده ، فقال البائعُ : مَنْ طاب عيباً وجدّه .

(١) ذكره ابن الأثير في النهاية ، وقال : فرّقوا بين المنية ، بدل المنأيا ... الخ ، وقال في تفسيره : إذا اشتريتم
الرقيق أو غيره من الحيوان ، فلا تغالوا في الثمن ، واشتروا بثمن الرأس الواحد وأسين ، فإذا مات الواحد بقى
الآخر ، فكأنكم فرّقتم بين المنية .

(٢) في ب : شيئا ، والمُسومة : الساعة تباع بالمساومة في ثمنها .

يقال : الغبن في شيئين ، في الرِّدَاءَةِ^(١) أو الغَلَاءِ ، فإذا استجذت فقد سلمت من أحدهما .

قال الراجز :

ما أرخصَ الغالي إذا كانَ حسنٌ .

وقال محمود الورّاق :

وإذا غلا شيءٌ على ترَكُّته فيكونُ أرخصَ ما يكونُ إذا غلَا^(٢)

قال معاوية — رحمه الله^(٣) — لقوم : ما تجارتكم ؟ قالوا : بيع الرقيق . قال :
بئس التجارة ، ضمان^(٤) نفس ، ومثونة ضرس .

قال عمر بن الخطاب^(٥) رضي الله عنه : إذا اشتريت بعيراً فاشتريه ضخمًا ،
فإن لم توافق كرمًا ، وافقت^(٦) لحماً .

ودخل مالك بن دينار السوق فجلس إلى قومٍ يحدثهم ، فقال : كيف سوقكم ؟
قالوا : كاسدة . قال : غششتم^(٧) . قال : وكيف متاعكم ؟ قالوا : رديء . قال :
كذبتم . قال : وكيف كثرته ؟ قالوا : قليل . قال : حلفتم .

(١) في ب : الرديء .

(٢) البيت في نهاية الأرب ٣ / ٨٥ ، محاضرات الأدباء ١ / ٢٢٥ ، المستطرف ١ / ٢٢١ ، ٢ / ٧٩ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) في أ : ضمن .

(٥) ساقط من ب .

(٦) في ب : وافقت .

(٧) في ب : غشيم .

كان عبد الله بن مسعود يقول : عجباً للتاجر كيف يسلم ؟ إن باع مَدَح ، وإن اشترى ذَمَّ .

قال سعيد بن المسيَّب : إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصَّيَّاح . يعني — والله أعلم — من لا صناعة له إلاَّ النداء لغير صلاة محترساً بالليل وراحاً بالنهار . ونحو هذا عن الفضيل بن عياض ، وزاد كالملاحين ودونهم^(١) .^(٢) ومنهم الذين يهيجون على أسوار المدن بالليل^(٣) .

قال ابن عباس : من اشترى مالا يحتاج إليه يُوشِكُ أن يبيع ما يحتاج إليه . قال المغيرة بن حُبَّاء :

وما كلُّ حينٍ يَصْدُقُ المرءُ ظَنُّهُ وَلَا كلُّ أَصْحَابِ التَّجَارَةِ يَرْبَحُ
ولا بن شهاب الزُّهري :

أَلَا كلُّ مَنْ يَهْدَى لَهُ البَيْعُ يُرْزَقُ وَقَدْ يُصْلِحُ المَالُ اليَسِيرَ المَوْفَقُ^(٤)
ولنصور الفقيه :

بُذِّيَّتِي لَا تَجْزَعِي واصْبِرِي عَسَاكَ بِصَبْرِكَ أَنْ تَظْفَرِي
فَلَوْ نَالَ يَوْمًا أَبُوكَ الغِنَى كَسَاكَ الدَّيِّقَى والتَّسْتَرِي^(٥)
ولكنَّ أَبُوكَ ابْتُلِيَ بالعلوم فَمَا إِنْ يَبِيعُ وَلَا يَشْتَرِي

(١) في ب ٥ وذوهم .

(٢) زيادة من م .

(٣) ب : الترفق .

(٤) ب الرقيق ، وهو تصحيف ، والدقيق : نوع فاخر من الثياب كان يصنع في بلدة ديبق بمصر . والتستري : نوع من الثياب الفائقة ، كان يصنع بتستر بإقليم خوزستان بفارس .

باب الرِّزْقِ

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا يَدْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) الآية .

وقال : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ (٢) .

سمع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم أمَّ حَبِيبَةَ تقول : اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِرُوحِي
رسول الله ، وبأبي أبي سُفْيَانَ ، وبأخي معاوية ، فقال لها رسولُ الله صَلَّى الله عليه
وسلم : « دَعَوْتُ اللَّهَ لَأَجَالِ مَعْلُومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ » .

وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : « أَبَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
إِلَّا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ » .

وقال عليه السلام : « اسْتَغْنُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ » .

وقال عليه السلام : « وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ (٣) الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ ؛
فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَا يَكْرَهُ ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأُتِّجِلُوا فِي الطَّيِّبِ ، خُذُوا مَا أَحَلَّ ،
وَدَعُوا مَا حَرَّمَ » .

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود : « لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ ، مَا يَقْدَرُ
يَكُنْ ، وَمَا تُرْزَقُ يَأْتِكَ » (٤) .

(١) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٢) سورة النحل : ٧١ .

(٣) في ١ : غيظ .

(٤) في ب : يكون ، يأتيك .

قال الشاعر :

فإِنَّكَ مَا يُقْدِرُ لَكَ اللَّهُ تَلَقَّهُ كِفَاحًا وَتَجِدْبُهُ عَلَيْكَ الْجَوَالِبُ
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القُدسِ نَفَثَ في رُوعِي ، أنه
لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب . »

أنشد ابن أبي الدنيا ^(١) :

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يَأْتِي بِحِيلَةٍ فَقَدْ كَذَّبَتْهُ نَفْسُهُ وَهُوَ آثِمٌ
يَفُوتُ الْغِنَى مِنْ لَا يَنَامُ عَنِ الشَّرِّ وَآخِرُ يَأْتِي رِزْقَهُ وَهُوَ نَائِمٌ
فَمَا الْفَقْرُ فِي ضَعْفِ احْتِيَالٍ وَلَا الْغِنَى بِكَدٍّ وَلِلْأَرْزَاقِ فِي النَّاسِ قَاسِمٌ
سَاصِرٌ إِنْ دَهْرُهُ أَنَاخَ بِكُلِّ كَلٍ وَأَرْضَى بِحُكْمِ اللَّهِ مَا اللَّهُ ^(٢) حَاكِمٌ
لَقَدْ عَشْتُ فِي ضَيْقٍ مِنَ الدَّهْرِ مُدَّةً وَفِي سَعَةٍ وَالْعَرِضُ مِنِّي سَآلِمٌ

وقال جعفر بن محمد : إني لأملق فأتاجر الله بالصدقة فأربح .

وقال عروة بن الزبير ^(٣) : العاقل من إذا رُزق مالا نظر فيه ، فإنه لا يدرى لعله
يكون آخر رزقه .

ومما يروى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه نظر :

لو كانَ في صَخْرَةٍ في الْبَحْرِ رَاسِيَّةٌ صَمَاءٌ مَلْمُومَةٌ مُلْسٍ نَوَاحِيهَا

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي الأموي بالولاء ، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس ، وله مؤلفات كثيرة في الزهد والرقائق ، توفي في بغداد سنة ٢٨١ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١٢/٦ ، تاريخ بغداد ٨٩/١٠ (الأعلام ٢٦٠/٤) .

(٢) ١ : قاله .

(٣) في ب : ابن الزهر .

وَرِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاهُ اللَّهُ لَا تَفْلَقَتْ
أَوْ كَانَ تَحْتَ طَبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا
حَتَّى تُؤَدِّيَ الَّذِي فِي اللَّوْحِ خُطُّ لَهُ
حَتَّى يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا
لَسَهَّلَ اللَّهُ فِي الْمَرْقِيِّ مَرَاقِيهَا
إِنْ هِيَ أَتَتْهُ وَإِلَّا سَوِّفَ بِأُتَيْهَا

وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ
إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئًا أَنْتَ طَالِبُهُ
وَإِنْ أَبَى اللَّهُ مَا تَهْوَى فَلَا طَلَبُ
وَقَدْ أَقُولُ لِنَفْسِي وَهِيَ ضَاقَةٌ
صَبْرًا عَلَى ضَاقَةِ الْأَيَّامِ إِنَّ لَهَا
سَيَفْتَحُ اللَّهُ أَبْوَابَ الْعَطَاءِ بِمَا
وَلَوْ يَكُونُ كَلَامِي حِينَ أُنْشَرُهُ^(١)

وقيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف يحاسب الله العباد على كثرتهم ؟

قال : كما قَسَمَ بينهم^(٢) أرزاقهم .

ولسريج بن يونس المحدث^(٣) :

يَا طَالِبَ الرِّزْقِ فِي الْآفَاقِ مُجْتَهِدًا
أَتُعَبِّتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَفَّكَ التَّعَبُ

(١) في ب : على .

(٢) في أ : رجوت .

(٣) في ب : أنشده .

(٤) في ب : فيهم .

(٥) في الأصل : شريح ، وهو خطأ ، والصحيح أنه لسريج بن يونس بن إبراهيم البغدادي ، أبو الحارث .

العايد لمحدث ثقة ، توفي سنة ٢٣٥ هـ . تاريخ بغداد ٢١٩ ، تهذيب التهذيب ٤٥٧/٣ .

تَسْعَى لِرِزْقِ كِفَاكَ اللَّهُ مُؤَنِّتَهُ
 كَمِ مَنْ سَخِيفٍ ضَعِيفِ الْعَقْلِ نَعْرِفُهُ
 وَمِنْ حَصِيفٍ^(١) لَهُ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ
 فَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
 وَقَالَ آخِرُ:

كَمِ مَنْ قَوًى قَوًى فِي تَقَلُّبِهِ
 وَكَمِ ضَعِيفٍ ضَعِيفٍ الرَّأْيِ تَبَصُّرُهُ
 مُهَذَّبِ الرَّأْيِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنَحْرِفٌ^(٢)
 كَأَنَّهُ مِنْ خَلِيجِ الْبَحْرِ يَغْتَرِفُ

أَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ:

يَا أَيُّهَا الْمَضْمِرُ هَمًّا لَا تُهَمِّمْ
 إِنْكَ إِنْ تَقْدَرُ لَكَ الْحُمَى تُحْمَمِ
 وَلَوْ عَلَوْتَ شَاهِقًا مِنَ الْعَلَمِ
 كَيْفَ تَوْقِيكَ وَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ^(٣)
 قَالُوا: الْمَقَادِيرُ تَبْطُلُ التَّقْدِيرُ، وَتَنْقُضُ التَّيْدِيرُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا عَقَّدَ الْقَضَاءُ عَلَيْكَ عَقْدًا
 فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إِلَّا الْقَضَاءُ^(٤)
 وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ:

يَا مُكِلَّ الْعِيسِ فِي دَيْئُومَةٍ
 يَتَّبِعُ الْأَمَالَ كَالْبَاغِي الْمُضِلَّ

(١) : خَصِيب .

(٢) ب : نَسَب .

(٣) فِي أ : يَنْحَرِف .

(٤) الْبَيْتَانِ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ١/١٤٧ .

(٥) الْبَيْتُ فِي التَّمْثِيلِ وَالْمَحَاضِرَةِ ٢٧٩ ، وَمَعْجَمِ الْأَدْبَاءِ ٥/٧٢ .

إِنَّ مِفْتَاحَ الَّذِي تَطْلُبُهُ يَدِ الْمَقْدَارِ^(١) فَاصْبِرْ وَاتِكِلْ
فَرَعَ اللَّهُ مِنَ الرِّزْقِ وَمَنْ مُدَّةَ الْعُمُرِ وَمَنْ وَقْتُ الْأَجَلِ
وقال أبو العتاهية :

وَفَدْتُ إِلَى اللَّهِ فِي وَفْدِهِ لِأَتَمِسَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ
إِذَا مَا قَضَى اللَّهُ أَمْرًا مَضَى وَلَمْ يَقَوْ حَيٌّ عَلَى رَدِّهِ^(٢)

قال المفضل الضبي : قيل لأعرابي : من أين معاشكم ؟ قال : من أزواد الحاج .
قلت : فإذا صدروا ؟ فبكي ، ثم قال : لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش^(٣) . ثم
قال : أتفهم ؟ قلت : نعم ، فقال :

هَلِ النَّهْرُ إِلَّا ضَيْقَةٌ فَتَفَرَّجُ وَإِلَّا جَدِيدٌ نَاضِرٌ ثُمَّ يَنْهَجُ
أَرَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا كَسَفَرٍ^(٤) تَتَابَعُوا عَلَى مَنْهَجٍ ثُمَّ اسْتَظَلُّوا فَأُدْجُوا
فقال البربري^(٥) :

يَا أَيُّهَا الظَّاعِنُ فِي حَظِّهِ إِنَّمَا الظَّاعِنُ مِثْلُ الْمُقِيمِ
كَمْ مِنْ لَيْبٍ عَاقِلٍ قَلْبٍ مُصَحَّحِ الْجِسْمِ مُقِلِّ عَدِيمِ
وَمِنْ جَهُولٍ مُكْثَرٍ مَالِهِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

(١) في ١ : بقدر المقدار ، ولا يستقيم معها وزن البيت .

(٢) ديوانه ٦٨ .

(٣) في ب : لو كنا لا نعيش إلا من حيث نعلم . وانظر عيون الأخبار ١٤٥/٣ حيث ساق القصة بصورة أخرى .

(٤) في ب : كسفن .

(٥) في ب : البريدي ، تحريف ، وقد سبقت ترجمته .

حَظُّكَ يَا أَتِيكَ وَإِنْ لَمْ تَرِمْ مَا ضَرَّ مَنْ يُرْزَقُ إِلَّا يَرِيمُ^(١)

كان يقال : بكرُّوا في طلب الرزق ، فإن النجَّاح في التبكير .
قال أبو هريرة : إذا سأل أحدكم الله الرزقَ فليُنظرْ كيف يسأل ، فإن الله يرزق
الحلال والحرام ، ولكن ليقل اللهم ارزقني ما ينفعني ولا يضرني .
قالوا : الرزق رزقان رزق لا يأتيك إلا بالتسبب ، ورزق يأتيك به الله من حيث
لا تحتسب .

وقلت أنا الرزق رزقان . فرزق تطلبه ، ورزق يأتيك عفواً^(٢) .

قال عُرْوَةُ بْنُ أَذِيْنَةَ ، أَوْ بَكْرُ بْنُ أَذِيْنَةَ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ^(٣) :
إِنِّي لَأَعْلَمُ وَالْأَقْدَارُ نَافِذَةٌ^(٤) أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَا تُبْنِي
أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينَنِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعِينَنِي
وقال آخر :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ حَاجَةٍ وَلَا تَوَثِّرَنَّ الْعَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبِ^(٥)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ إِلَيْكَ فَهَزِّي الْجَذْعَ يَسَاقُطُ الرُّطْبُ
وَلَوْ شَاءَ أَنْ تَجْنِيَهُ مِنْ غَيْرِ هَزَّهَا جَتَّهُ وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ سَبَبٌ^(٦)

(١) ساقط من أ .

(٢) ب : صفوا .

(٣) زيادة في ب فقط ولم أعثر على ما يرجع هذا الرأي فكل المراجع قد أجمعت على أنها لعروة ، انظر المؤلف والمختلف ٥٤ ، الأغاني ٢٢٢/١٠ ، وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ، الوافي بالوفيات ٨٦/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٥ ، عيون الأخبار ٦٧/٣ ، العقد الفريد ٢٠٥/٣ .

(٤) في م : جارية ، وقد ورد الشطر الأول فيما عدا الوفيات والعيون والعقد : لقد علمت وما الإسراف من خاقي ، وفي الوفيات : وما الإسراف ، وفي عيون الأخبار : وما الإسراف في طمع ، وفي العقد : وقد علمت وخير القول أصدقه .

(٥) ساقط من أ .

(٦) البيان الثاني والثالث في التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، وفيه : فهزي إليك الجذع .

وقال آخر :

ما يُغْلِقُ اللهُ بابَ الرِّزْقِ عن أَحَدٍ
وقال بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ (١) :

النَّاسُ حَرَصُوا عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ
فَمِنْ مُكِبٍّ عَلَيْهَا لَا تَسَاعِدُهُ
لَمْ يُدْرِكُوهَا بِعَقْلِ عِنْدَمَا قُسِمَتْ
لَوْ كَانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ
فَصَفَّوْهَا لَكَ مَمْرُوجٍ بِتَكْدِيرِ
وَعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ
وَإِنَّمَا أَدْرِكُوهَا بِالْمَقَادِيرِ
طَارَ الْبُرْزَاةَ بِأَرْزَاقِ الْعَصَافِيرِ
وقال آخر :

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعِبْ رَوَاحِلَهُ
وَإِنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً
وَلَعَلَى بْنِ هِشَامٍ (٢) :

المرءُ يَسْعَى وَيَسْعَى الرِّزْقُ يَطْلُبُهُ
حَتَّى إِذَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ جَمْعَهُمَا
وَرُبَّمَا اخْتَلَفَا فِي السَّعْيِ وَالطَّلَبِ
لِلْإِتِّفَاقِ أَتَاكَ الرِّزْقُ عَنْ كَثَبِ
وقال آخر :

يُخَيِّبُ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ
وَيُعْطَى الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ (٣)

(١) م : بعد .

(٢) في : ابن جناد ، وهو تحريف ، فهو بكر بن حماد بن سمك الزناتي ، أبو عبد الرحمن التاهرتي ،
شاعر ، محدث فقيه ، وفي تاريخ الجزائر : إن شعره كثير جدير بالجمع ، توفي بتاهرت سنة ٢٩٦ هـ . انظر
تاريخ الجزائر ٢/٣١ ، البيان المغرب ١/١٥٣ ، (الأعلام ٢/٣٧) .

(٣) البيتان لإبراهيم بن المهدي ، عيون الأخبار ٢/١٩٠ ، الأغاني ٥/٢١٦ .

(٤) شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كان سوريا كريماً بعيد الهمة ظاهر الروعة ، توفي سنة ١٥٦ هـ ،
انظر وفيات الأعيان ٤/١٦ التمثيل والمحاضرة ١٥٦ .

(٥) عيون الأخبار ١/٢١٤ ، البيان والتبيين ٢/٢٤٠ .

قال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطراً ، والحرام يسيل سيلاً .

قال الفزّال^(١) :

طَالِبُ الرِّزْقِ الحَلَالِ لَا يَقِرُّ نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ عَلَى سَفَرٍ
فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَوْقَاتِ الْمَطَرِ وَمَالِهِ فِي ذَاكَ نَزْرٌ مُخْتَصِرٌ
إِنَّ الحَلَالَ وَحْدَهُ لَا يَخْتَصِرُ أَيْنَ تَرَى مَالاً حَلَالاً قَدْ ثَمَرَ
مَا إِنْ رَأَيْنَا صَافِياً مِنْهُ كَثُرَ

قال الناشي^(٢) :

إِذَا الْعَمَلُ أَتَمَّ نَفْسَهُ كُلَّ شَهْوَةٍ لَصِيحَّةِ أَيَّامٍ تَبِيدُ وَتَنْفَدُ
فَمَا بَالُهُ لَا يَحْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا لَصِيحَّةِ مَا يَبْقَى لَهُ وَيُخَلَّدُ
وَقَالَ آخَرُ :

إِنَّ الحَرَامَ غَزِيرَةٌ حَلْبَاتُهُ وَوَجَدْتُ حَالِبَةَ الحَلَالِ نَزُوراً^(٣)

قال أكرم بن صيفي : من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر .

قال منصور الفقيه :

أَرْزَاقُنَا مَقْسُومَةٌ وَهَكَذَا^(٤) آجَالُنَا فَمَا تَحُولُ يَدُنَا وَيَنْهِنَا أَحْوَالُنَا

(١) يحيى بن الحكم الجبائي ، كان يسمى الفزّال لجماله ، شاعر أندلسي مطبوع ، كان يمتاز ببديهة الرأي وحسن الجواب ، أرسله عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سفيراً منه إلى ملك النورمان ، توفي سنة ٢٥٠ هـ . انظر بغية الملتبس ٤٨٥ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٣ .

(٢) عبد الله بن محمد ، الناشي ، الأنباري ، أبو العباس ، شاعر مجيد ، يعد من طبقة ابن الرومي والبحتري ، ولكنه أغرب في شعره لإغراباً شديداً فسقط في بغداد ، فجاء إلى مصر فسكنها ، ومات بها سنة ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ٩٢/١٠ ، وفيات الأعيان ٢/٢٧٧ .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٨٤ ، وفيه : مصوروا بدل نزورا ، والمصور بطلية خروج اللبن ، والنزور : قليلة الولد ، أو قليلة اللبن .
(٤) ب ، م : وكذا .

وله أيضاً :

ما ضَيَّعَ اللهُ خَلْقًا فَأَتَّقِي أَنْ أَضِيعَا
اللهُ يَرْزُقُ مَنْ لَا يُطِيعُهُ وَالْمُطِيعَا
فَلْجَعَلْ سُكُوتَكَ لِلَّهِ وَنَجْوَاكَ جَمِيعَا
وَكُلُّ مُبْثُوسٍ وَنُعْمَى سَيْفَنِيَّانِ سَرِيعَا^(١)

وقال آخر :

يَا رُبَّمَا جَاءَنِي مَالًا أَوْ مَلَّةٌ وَرُبَّمَا خَابَ مَأْمُولٌ وَمُنْتَظَرٌ
لو زاد في الرزق حرصٌ أَوْ مُطَالَبَةٌ ما كان من قد يطيل الكدَّ يَفْتَقِرُ
ولأبي يعقوب إسحاق بن حسان الخريزمي^(٢) :

أَقْلَى عَلَى اللَّوْمِ يَا أُمَّ مَالِكٍ فَلَمْ يَثُتْ مِنْ حِرْصٍ عَلَى أَلْمَالِ طَالِبُهُ
فَوَاللهِ مَا قَصُرْتُ فِي وَجْهِ مَطْلَبٍ أَرَى أَنْ فِيهِ مَطْلَبًا فَأُطَالِبُهُ
ولكن لهذا الرزق وقتٌ مُوقَّتٌ يُقَسِّمُهُ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ وَاهِبُهُ
وَأَسْهَرَنِي طَوْلُ التَّفَكُّرِ إِنِّي عَجِبْتُ لِأَمْرِ مَا تُقْضَى عَجَائِبُهُ
أَرَى فَاجِرًا يُدْعَى جَلِيدًا لِظُلْمِهِ وَلَوْ كَلَّفَ التَّقْوَى لَكَلَّتْ مَضَارِبُهُ^(٣)
وَعَفًّا يَسْمَى عَاجِزًا لِعَفَافِهِ وَلَوْلَا التَّقَى مَا أَعْجَزَتْهُ مَذَاهِبُهُ
وَأَحَقَّ مَصْنُوعًا لَهُ فِي أُمُورِهِ يُسَوِّدُهُ إِخْوَانُهُ وَأَقَارِبُهُ

(١) في ب : سكونك ... والمراك ، وسينسيان مكان سيفنيان .

(٢) شاعر محسن ، وصفه أبوحاتم السجستاني بأنه أشعر المولدين ، أصله من خراسان من أبناء الصفد ، ثم اتصل بعثمان بن خريم ، أو خريم بن عامر المري فنسب إليه ، توفي سنة ٢١٤ هـ . تاريخ بغداد ٦ / ٣٢٦ ، طبقات الشعراء ٢٩٣ ، زهر الآداب ١٦ / ٤ .

(٣) ورد هذا البيت في الهكذا :

إلى عاجز يدعى جليدا لطابه ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وقد نسب هذا البيت والذي يليه في معجم الشعراء ١٧٤ إلى أبي بكر المرزفي .

عَلَى غَيْرِ حَزْمٍ فِي الْأُمُورِ وَلَا تُتَّقَى وَلَا نَائِلٍ جَزَلٍ تُعَدُّ مَوَاهِبُهُ
فَلَيْسَ لِعَجْزِ الْمَرْءِ أخطاءُ الْفَنَى وَلَا بِاحْتِيَالٍ أَدْرَكَ الْمَالَ كَاسِبُهُ
وَلَكِنَّهُ قَبْضُ الْإِلَهِ وَبَسْطُهُ فَمَنْ ذَا يَجَارِيهِ وَمَنْ ذَا يُغَالِبُهُ

أَنشَدَنِي خَلْفُ بْنُ قَاسِمٍ ، قَالَ : أَنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ الصَّيِّدَ لَا نَتَى ، قَالَ :
أَنشَدَنَا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ :

قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمُقِيمُ وَمَا شَدَّ بِعَنْسٍ رَحْلاً وَلَا قَتَباً^(١)
وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ ذُو الْمَطِيَةِ وَالرَّحْلُ مِنْ لَا يَزَالُ مُفْتَرِباً

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ :

قِيَامَةٌ مِنْ مَاتَ فِي مَوْتِهِ وَإِخْمَالٍ مَا شَاعَ^(٢) مِنْ صَوْتِهِ
تَرَى الْمَرْءَ يَجْزَعُ مِنْ فَوْتِ مَا لَعَلَّ السَّلَامَةَ فِي فَوْتِهِ
وَيَفْنِي وَلَمْ تَفْنِ آمَالُهُ وَإِعْمَالُ سَوَافٍ إِلَى كَيْتِهِ
وَكَمْ أَزْعَجَ الْحَرِصَ مِنْ رَاغِبٍ إِلَى الصَّيْنِ^(٣) وَالرِّزْقُ فِي يَدَيْتِهِ
وَلَأَبَى الْأَسْوَدُ الدَّوْلِيُّ أَوْ الْعَرْزَمِيُّ :

وَعَجِبْتُ لِلدُّنْيَا^(٤) وَحِرْفَةِ أَهْلِهَا وَالرِّزْقُ فِيمَا يَنْتَهَمُ مَقْسُومُ

(١) في ١ : وما يشد نسبا ولا رحلا ولاقتبا . والبيتان للحكم بن عبد الله الأسدي ، انظر حماسة أبي تمام ٥٠/٢ ، معجم الأدباء ٢٣٩/١٠ . والعنس : الناقة القوية .

(٢) ب : من شاع .

(٣) في ١ : إلى الضيق .

(٤) ١ : عجبت من الدنيا ، وانظر ديوان أبي الأسود ١٣٦ وفيه : رغبة أهلها .

وَالْأَحَقُّ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرَى مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَاجِزُ الْمَحْزُومُ
ثُمَّ انْقَضَى عَجَبِي لِعِلْمِي أَنَّهُ رِزْقٌ مُوَافٍ^(١) وَقْتُهُ مَعْلُومٌ

وقال آخر :

لَيْسَ بِالْعَقْلِ يَطْلُبُ الْمَرْءُ رِزْقًا كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَهَقِّ مَرْزُوقٍ
وَأَصِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ نَبِيلٍ^(٢) سَدَّ عَنْهُ الْحِرْمَانُ كُلَّ طَرِيقٍ

وقال آخر :

الرِّزْقُ يَا تُنَى قَدَرًا عَلَى مَهَلٍ^(٣) وَالْمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى حُبِّ الْعَجَلِ

وقال آخر :

يَا رَاكِبَ الْهَوْلِ وَالْآفَاتِ وَالْهَلَكَةِ لَا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَةِ
مَنْ غَيْرُ^(٤) رَبِّكَ فِي السَّبْعِ الْعُلَى مَلِكًا وَمَنْ أَدَارَ عَلَى أَرْجَائِهَا فَلَمَكَةٌ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ وَالصِّيَادَ تَضْرِبُهُ أُمُوجُهُ وَنُجُومُ اللَّيْلِ مُشْتَبِكَةٌ
يَجْرُ أَذْيَالُهُ وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ وَعَقْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كُلِّ السَّمَكَةِ
حَتَّى إِذَا رَاحَ مَسْرُورًا بِهَا فَرِحًا وَالْحَوْتَ قَدْ شَكَّ سَقُودُ الرَّدَى حَنَكَةٍ
أَتَى إِلَيْكَ بِهِ رِزْقًا بَلَا تَعَبٍ فَصِرْتَ تَمْلِكُ مِنْهُ مِثْلَ مَا مَلَكَ
لُطْفًا مِنَ اللَّهِ يُعْطَى ذَا بِحَيْدِهِ هَذَا يَهْيِدُ وَهَذَا يَأْكُلُ السَّمَكَةَ

(١) في ١. سواء : وفي الديوان ، والكامل المحروم بدل العاجز .

(٢) ساقط من ب .

(٣) في ب : الرزق يأتي مقدوراً على عجل ، وانظر البيت في البيان والتبيين ٢/٣٨٠ .

(٤) ب : من عند .

وقال أبو العتاهية :

طَالَ هَمِّي بِغَيْرِ مَا يَعْنِينِي وَطِلَابِي فَوْقَ الَّذِي يَكْفِينِي
ولو أني كفت لم أبغ رزقي كان رزقي هو الذي يَبْنِينِي
أَحْمَدُ اللَّهِ ذَا الْمَعَارِجِ شُكْرًا مَا عَلَيْهَا إِلَّا ضَعِيفُ الْيَقِينِ^(١)

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعْطَلِ ضَائِرٌ وَلَا كُلُّ شُغْلٍ فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنَفَعَةٌ
إِذَا كَانَتْ الْأَرْزَاقُ فِي الْقَرَبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سِوَاهُ فَاغْتَمِ لَنَّةَ الدَّعَةِ
وَإِنْ ضِيقَتْ فَاصْبِرْ يَكْشِفُ اللَّهُ مَا تَرَى فَيَا رَبَّ ضِيقٍ فِي جَوَانِبِهِ سَعَةٌ^(٢)

وقال آخر :

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأَمْرَ مَقْدُورٌ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَسْطُورٌ
وَالرِّزْقُ وَالْخَلْقُ وَالْأَجَالُ قَدْ قَسِمَتْ وَأَحْكَمَتْهَا وَزَمَّتْهَا الْمَقَادِيرُ
فَلَيْسَ يَقْدِرُ مَرَّةً صَرْفَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْهُ التَّدَايِيرُ
كَمْ مَنْ رَأَيْنَاهُ ذَا مَالٍ وَذَا سَعَةٍ وَذَا غَضَارَةٍ عَيْشٍ وَهُوَ مَحْبُورٌ
لَا يَعْرِفُ اللَّهُ جَهْلًا خَاطِئًا حَقًّا لَوْ لَا^(٣) غِنَاهُ لَعَافَتْهُ الْخَنَازِيرُ
لَمْ يَرْكَبِ الْهَوْلَ فِي قَفَرٍ وَلَا لُجَجٍ وَلَا تَكْلَفَ أَمْرًا فِيهِ تَغْيِيرُ
لَكِنْ أَتَاهُ الْغِنَى حَتَّى أَنْأَخَ بِهِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنْهُ فِيهِ تَفْكِيرُ^(٤)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٦٢ ، وفيه طال شغلي ...

(٢) الأبيات لعل بن الجهم . انظر : مجمع الأدباء ١٩/٥٤ .

(٣) في ب : لو .

(٤) في ب : وما تقدم فيه منه تفكير .

وَأَخْرَجَ رَجُلٌ نَاهِيكَ مِنْ رَجُلٍ عَلَّامَةٌ بِأُمُورِ النَّاسِ نَحْرِيرٌ^(١)
 قَدْ جَالَ فِي الْأَرْضِ^(٢) حَتَّى لَمْ يَدَعْ أَفْقًا شَرْقًا وَغَرْبًا وَمَا فِي ذَاكَ تَقْصِيرٌ
 وَقَدْ تَكَمَّلَتْ الْأَدَابُ وَاجْتَمَعَتْ فِيهِ الْعُلُومُ وَمَا تَحْوِي الْقَطَايِرُ^(٣)
 وَلَمْ تَفْتَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَاحِدَةً يَحْظَى بِهَا رَجُلٌ إِلَّا الدَّنَائِيرُ
 كَانَ يُقَالُ : إِذَا لَمْ يُرْزَقِ الْإِنْسَانُ بِلَدَةٍ فَلْيَتَحَوَّلْ إِلَى أُخْرَى .

قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ : سَمِعْتُ مَالَكًا يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ : مَنْ
 كَانَ لَهُ رُزْقٌ فِي شَيْءٍ فَلْيَلْزِمِهِ .

قَالَ وَقَالَ مَالِكٌ : سَمِعْتُ أَهْلَ مَكَّةَ يَقُولُونَ : مَا مِنْ أَهْلٍ بَيْتٍ فِيهِمْ اسْمُ مُحَمَّدٍ
 إِلَّا رَزَقُوا وَرُزِقَ خَيْرًا .

قَالَ الْعَمَكِيُّ^(٤) :

يَا رَبِّ فِتْيَانِ ذَوِي^(٥) غُرَبَةٍ أَبْنَاءَ أَسْفَارٍ مُقْلِينَا
 مَا أَدْرَكُوا فِي طُولِ تَطَوُّافِهِمْ خَفَضًا مِنَ الْعِيشِ وَلَا لِينَا
 وَسَهَّلَ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ مَا أَمَّلُوهُ لِلْمَقِيمِينَا
 وَإِذَا الْأَرْزَاقُ مَقْسُومَةٌ يَقْسِمُهَا اللَّهُ فَيُعْطِينَا

وَلَسَهْلَ الْوَرَّاقُ :

(١) ساقط من ب .

(٢) في ١ : قد جدل الأرض .

(٣) في ١ : القناطر .

(٤) ساقط من م ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٥) ب : وفي .

أَرَى اثْنَيْنِ فِي الدُّنْيَا وَشَتَّانَ مَا هُمَا
 أَخُو حَرَكَاتٍ ^(١) فِي الْمَكَّاسِبِ مُعْدَمٍ ^(٢)
 وَآخِرُ مُثَرٍّ ذُو سُكُونٍ كَأَنَّمَا
 أَلَّا رُبَّمَا يَأْتِي اللَّيْبُ لِمَا يَرَى
 كَرِيمٌ جَفَاهُ دَهْرُهُ فَهُوَ ضَائِعٌ
 وَوَعْدٌ لَيْمٌ الطَّبَعُ تَحْوِي يَمِينُهُ
 فَذَاكَ عَلَى إِقْتَارِهِ ذُو تَجَمُّلٍ
 إِذَا غَاصَ فِي ذَا مُفَكِّرٍ طَاشَ عَقْلُهُ
 جُدُودٌ وَفِيهَا لِمُفَكِّرٍ عِبْرَةٌ
 وَلَوْلَا اعْتَصَامُ الْمَرْءِ بِالْعِلْمِ إِنَّهُ
 وَمَا كَانَ رَبِّي - عَزَّ رَبِّي - بِجَائِرٍ
 شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ عَدْلٌ قَضَاؤُهُ

وَقَالَ آخِرُ :

وَقَدْ يَحْرِمُ اللَّهُ الْفَتَى وَهُوَ عَاقِلٌ
 وَذَلِكَ عَدْلٌ مِنْ حِكْمَةِ رَبِّنَا

وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا عَجِيبٌ شَوْوَنُهُ
 عَلَى أَنَّهُ فِيهَا قَلِيلٌ سُكُونُهُ
 عَلَى رِزْقِهِ ذَاكَ الشُّكُونُ يُعِينُهُ
 وَيَكْمُدُ حَتَّى تَسْتَهْلِلَ جُفُونُهُ
 وَلَا رَيْبَ إِلَّا أَنْ دَهْرًا يَخُونُهُ
 مَكَّاسِبٌ مَا خَفَتْ بِهِنَّ يَمِينُهُ
 وَذَا مَقْرَفٌ جَعَدُ الْبَنَانِ ضَنْدِينُهُ ^(٣)
 وَلَمْ يَذَرِ مَا أَسْبَابُهُ وَفَنُونُهُ
 طَوِيلٌ بِهِمَا وَسْوَاسُهُ وَشَجُونُهُ
 نَجَاةٌ لِأَهْلِيهِ لَسَاءَتْ ظَنُونُهُ
 وَلَكِنَّهُ عِلْمٌ عَجِيبٌ يَصُورُونُهُ
 وَإِنِّي بَدِينِ الْمُوقِنِينَ أَدِينُهُ

وَيُعْطَى الْفَتَى مَالًا وَلَيْسَ بِذِي عَقْلٍ
 يَجُودُ وَيُعْطَى وَهُوَ ذُو النَّائِلِ الْجَزَلِ ^(٤)

(١) في ١ : فَوَاجِدٌ خَيْرٌ .

(٢) في ب : مَقْدَمٌ .

(٣) في ١ : صَفِينُهُ ، وَالْمَقْرَفُ :

(٤) سَاقِطٌ مِنْ أ .

وقال آخر :

لَا تَعْذُلِي لَمْ أَقْصِرْ وَيَكِ فِي الطَّلَبِ
هَذَا وَفِي خِلَالِ كُلِّهَا سَبَبٌ
وَاللَّهِ أَتَحْمَدُ فِي رِزْقِي فَمَا صَرَفْتُ
أَيَّ الْبِلَادِ وَأَيَّ الْأَرْضِ لَمْ أَجِبْ
إِلَى الْغِنَى غَيْرَ أَنَّ الرِّزْقَ لَمْ يُجِبْ^(١)
عَنِّي الْمَكَايِبَ إِلَّا حِرْفَةُ الْأَدَبِ

وقال الوليد بن عبيد البحتري :

وَأَيَسَنِي عَلِيٌّ بِالْأَلَّا تَقْدُمِي
وَلَوْ فَاتَنِي^(٢) الْمَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ
مُفِيدِي وَلَا مُزِرٍ عَلَيَّ تَأْخُرِي
بِسَعْيٍ لَا ذَرَكْتُ الذِي لَمْ يُقَدَّرِ^(٣)

(١) ساقط من أ.

(٢) ق ١ : يأتني ، وقد أثبتنا ما في ب لموافقة رواية الديوان .

(٣) ديوانه ٥/٢ .

باب الحرص والأمل

الحرص على أكل الشجرة أخرج آدم من الجنة .

كان يقال : شدة الحرص من سبل المتالف^(١) .

وقال الأحنف : آفة الحرص الحرمان ، ولا ينال الحريص إلا حظه .

كان الحسن البصري يقول : ما بعد أمل إلا أمل عمل .

كان يقال : من أطال الأمل أمت العمل .

قال بعض الحكماء : الإنسان لا ينفك من الأمل ، فإن فاته الأمل قوى على المنى .

قال : والأمل يقع بسبب ، وباب المنى مفتوح لمن أراد الدخول فيه .

من كلام الحكماء : الرزق مقسوم ، والحريص محروم ، والحسود مغموم ،

والبخيل مذموم .

قال الخليل بن أحمد :

الحرص من شر أذاة الفتى لا خير في الحرص على حال

من بات محتاجاً إلى أهله هان على ابن العم والنخال^(٢)

وقال غيره : الحرص^(٣) مفسدة ، والبخل مبنضة ، والمجلة خطأ ، والرفق

يمن ، والبذاء^(٤) شؤم .

(١) في ١ : المتالف

(٢) انظر البيتين في عيون الأخبار ١٧٨/٢

(٣) في ب : الرزق .

(٤) في ١ : الهزة .

وقال آخر:

أَيُّهَا الدَّائِبُ الْحَرِيصُ الْمَعْنَى
فَاسْأَلِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَدَعِ النَّاسَ
لَا يَنَالُ الْحَرِيصُ شَيْئًا فِيكَفِيرِ
لَكَ رِزْقٌ وَسَوْفَ تَسْتَوْفِيهِ
س وَأَسْخِطُهُمْ بِمَا يُرْضِيهِ
ه وَإِنْ كَانَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ^(١)

وقال محمود الوراق :

غَنَى النَّفْسِ يُغْنِيهَا إِذَا كُنْتَ قَانِعًا
وَإِنْ اعْتَقَادَ الِهِمُّ لِلْخَيْرِ جَامِعُ
وَقَالَ أَيْضًا :

لَا تَحْمَدَنَّ أَخَا حِرْصٍ عَلَى سَعَةٍ
إِنَّ الْحَرِيصَ لِمَشْغُولٍ بِشِقْوَتِهِ
وَقَالَ مُحَمَّدُ الْوَاقِ أَيْضًا :

عَلَامٌ يَشْقَى الْحَرِيصُ فِي طَلَبِ الرِّزِّ
يَا قَارِعَ الْبَابِ رَبِّ مُجْتَهِدِ
وَرَبِّ مُسْتَوَلِجٍ عَلَى مَهَلٍ
فَاطَوْ عَلَى الِهِمِّ كَشْحَ مُصْطَبِرِ^(٤)
قِ بِطُولِ الرَّوَاكِحِ وَالْدَّلَجِ
قَدْ أَذْمَنَ الْقَرْعُ ثُمَّ لَمْ يَلِجِ
لَمْ يَشْقَ مِنْ قَرْعِهِ وَلَمْ يَهْجِ
فَآخِرُ الِهِمِّ أَوَّلُ الْفَرَجِ

(١) انظر الأبيات في عيون الأخبار ١٧٨/٣

(٢) في ب : الحرص ، وانظرهما في العقد ٢٠٦/٣ ، وفيه النقص مكان النقص .

(٣) للبيتان في جامع بيان العلم وفضله ١٦٩/١ .

(٤) طوى كشحه على الشيء : أضمره وستره .

وقال آخر :

يا أيها الناسُ كان لي أملٌ أعجَلَنِي عَنْ بلوغه الأجلُ
فَلَيْتَ اللهُ رَبَّهُ رَجُلٌ أَمَكَنَهُ فِي حَيَاتِهِ الْعَمَلُ^(١)

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتمثل :

وَبَالِغُ أَمْرِ كَاذَ يَأْمُلُ دُونَهُ وَخُتَلِجٌ مِنْ دُونِ مَا كَانَ يَأْمُلُ^(٢)
وكان يتمثل أيضاً :

لَا يَغُرَّنْكَ عِشَاءُ سَاكِنٍ قَدْ يُوَافِي بِالْمَنِيَّاتِ السَّحَرُ^(٣)
كان المأمون يعجبه قول أبي العتاهية :

تَعَالَى اللهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَغْنَاكَ الرَّجَالَ^(٤)
أخذه أبو الفتح الملقب بكشاجم فقال :

بِالْحِرْصِ فِي الرِّزْقِ يَذِلُّ الْفَتَى وَفِي الْقُنُوعِ الشَّرَفُ الشَّامِخُ
قال أبو عمر : وشعر أبي العتاهية الذى فيه هذا البيت الذى أعجب المأمون :
نَعَى نَفْسِي إِلَى مَنْ اللَّيَالِي تَصَرُّفُهُنَّ حَالًا بَعْدَ حَالٍ
فَمَا لِي لَسْتُ مَشْغُولًا بِنَفْسِي وَمَالِي لَا أَخَافُ الْمَوْتَ مَالِي
لَقَدْ أَيقَنْتُ أَنِّي غَيْرُ بَاقٍ وَلَكِنِّي أَرَانِي لَا أَبَالِي

(١) البيتان في معجم الأدباء ٢٥٩/٤ .

(٢) البيت للجراح بن عمرو الهمداني ، انظر حساسة البحرى ٢٤٦ ، وانظره في ابواب الآداب ٢١٢ ، معجم

الأدباء ٤٢/١٩ ، بغير نسبة .

(٣) لباب الآداب ٢١٢ ، عيون الأخبار ١١٨/١ ، البيان والتبيين ١٨٨/٣ .

(٤) البيت في ديوانه ٢٠٦ .

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى زَوَالِ
فَمَا تَرْجُو بِشَيْءٍ لَيْسَ يَبْقَى وَشَيْكًا مَا تُغَيِّرُهُ اللَّيَالِي^(١)

قال : فلما بلغ سلماً الخاسر قول أبي العتاهية ، قال^(٢) :

مَا أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ يَزْهَدُ النَّاسَ وَلَا يَزْهَدُ
لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقًا أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْتَهُ الْمَسْجِدُ
إِنْ رَفَضَ الدُّنْيَا فَمَا بَالُهُ يَكْتَنِزُ الْمَالَ وَيَسْتَرْفِدُ
يَخَافُ أَنْ تَنْفَدَ أَرْزَاقُهُ وَالرِّزْقُ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَنْفَدُ
الرِّزْقُ مَقْسُومٌ عَلَى مَنْ تَرَى يَسْمَى لَهُ الْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ

ولأبي العتاهية شعر في عروض شعره هذا وقافيته أوله^(٣) :

أَتَذَرِي أَيَّ ذَلٍّ فِي السُّؤَالِ وَفِي بَذْلِ الْوُجُوهِ إِلَى الرِّجَالِ

شعر حسن جيد في معناه قد ذكره في باب القناعة من هذا الكتاب .

قال زياد بن أبي سفيان : اثنان^(٤) يتمجلان النَّصَبَ ولا يظفران بالبُغْيَةِ :
الحريص في حرصه ، ومعلم البليد ينبو عنه فومه .

(١) انظر الأبيات في ديوانه ٢٠٥ . ٢٠٦ .

(٢) انظر الأبيات في جامع بيان العلم ١٩٤/١ ، ومعجم الأدباء ، ٣٣٩/١١ ، وفیات الأعيان ٩٧/٢ ، الأغاني ٩٠/٢١ .

(٣) ديوانه ٢٢٦ ، البيان والتبيين ١/٢١٨ .

(٤) ساطع من أ .

قال داود الطائي : يا ابن آدم ارتحل^(١) الحرص فأنساك أبلك ، ونصب لك
أملك ، ورب حريص محروم ، وواجد مذموم .

قال مسلم بن قتيبة : في إفراط الحرص مذلة قبل إدراك الطلبة .

كانوا يقولون : أول دناءة الحرص ، تأميل البخل .

قال محمود الوراق :

أراك يزيدك الإثراء جرساً على الدنيا كأنك لا تموت
فهل لك غاية إن صرت يوماً إليها قلت حسبي قد رضى

وقال آخر :

الحرص داء قد أضرم بمن ترى إلا قليلاً
كم من عزيز قد رأى تال الحرص صيره ذليلاً
فتجنب الشهوات واحد ذر أن تكون لها قتيلاً
فلرب شهوة ساعة قد أورثت حزناً طويلاً^(٢)

وقال آخر :

كم إلى كم أنت للحرص ص وللآمال عبداً
ليس يجدي الحرص والشغف لي إذا لم يك جد

(١) ارتحله : حط عليه رحله ليركبه أو يحمل عليه .

(٢) وردت الأبيات في جامع بيان العلم وفضله ١٦٩/٢ غير منسوبة لقائل، وهي لأبي العتاهية دبراه ٢١٧٨ .

مَا لَنَا قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ — مِنْ الْأَمْرِ مَرْدٌ^(١)

وقال محمود الوراق :

لَا يَنْفَعُ الْجِدُّ وَالتَّشْمِيرُ وَالْحَذَرُ
تُسْتَعْجِلُ النَّفْسُ آمَالًا لَتَبْلُغَهَا
خُطَّ الْكِتَابُ فَلَا وَرْدٌ وَلَا صَدْرُ
كَأَنَّهَا لَا تَرَى مَا يَصْنَعُ الْقَدَرُ
وقال آخر :

كَلَّمْنَا نَأْمُلُ مَدًّا فِي الْأَجَلِ وَالْمَنَآيَا هُنَّ آفَاتُ الْأَمَلِ^(٢)

وقال آخر :

لَقَدْ غَرَّتِ الدُّنْيَا رِجَالًا فَأَصْبَحُوا
فَسَاخِطُ أَمْرٍ لَا يُبَدَّلُ غَيْرُهُ
بِمَنْزِلَةٍ مَا بَعْدَهَا مُتَحَوِّلٌ
وَرَاضٍ بِعَيْشٍ غَيْرُهُ سَيُبَدَّلُ
وَبَالِغٍ أَمْرٍ كَانَ يَأْمُلُ غَيْرَهُ^(٣)
وَمُخْتَلِجٍ مِنْ دُونِ مَا كَانَ يَأْمُلُ^(٤)

وقال محمود الوراق :

الْحَرِصُ عَوْنٌ لِلزَّمَانِ عَلَى الْفَتَى
لَا تَخْضَعَنَّ فَإِنَّ دَهْرَكَ إِنْ رَأَى
وَالصَّبْرُ نِعْمَ الْعَوْنُ لِلزَّمَانِ
مِنْكَ الْخُضُوعَ أَمَدُهُ بِهِوََانِ
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احرص على ما ينفعك ولا تعجز ، فإن

(١) وردت الأبيات في جامع بيان العلم ١٧٠/١ ، وقد ورد البيت الأول هكذا :

كَمْ أَنْتَ لِلْحَرِصِ وَالْأَمَانِيِّ عَبْدٌ

وقد وردت في العقد ٢٠٧/٣ منسوبة لابن أبي حازم .

(٢) البيان والتبيين ١٨٨/٣ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) الأبيات لمحمد بن المستنير النحوي البصري ، المعروف بقطرب ، انظر معجم الأدباء ٥٤/١٩ ، وفيه :

فساخط عيش ، ومصطلم مكان مختلج ، ووردت أيضا في العقد الفريد ١٧٥/٣ بدون نسبة ، وفيه مخترم بدل مختلج والألفاظ الثلاثة معناها واحد ، وهو المختطف بالموت فجأة .

غلبك أمر فقل : قَدَرُ الله وما شاء فعل ، وإياك واللّو ، فإن اللّو يفتح عمل الشيطان .

ولأبي عبد الله الصوري :

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ أَصْبَحُوا وَهَمَّةُ الْإِنْسَانِ مَا يَجْمَعُ
قَنَعْتُ بِالْقُوتِ فَنِلْتُ الْمُنَى وَالْفَاضِلُ الْعَاقِلُ مَنْ يَقْنَعُ
وَلَمْ أَتَأَنَّفِسْ فِي طِلَابِ الْغِنَى عِلْمًا بِأَنَّ الْحِرْصَ لَا يَنْفَعُ
وَلَبَكَّرَ بِنَحْمَادٍ :

الناس حَرَصَى عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ فَسَدَتْ فَصَفَّوْهَا لَكَ مَمْزُوجَ بَتَكْدِيرٍ^(١)

في آيات ذكرتها في باب « ذكر الدنيا » من هذا الكتاب .

بَابُ الطَّمَعِ وَالْيَأْسِ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْ طَمَعٍ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ ، وَمِنْ طَمَعٍ يَقُودُ^(١) إِلَى طَبَعٍ .

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : مَا شَيْءٌ أَذْهَبَ لِعُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ الطَّمَعِ .

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ عُمَرَ أَوْ ابْنَ الزَّيْرِ قَالَ^(٢) لَكُمْب : مَا يَذْهَبُ الْعِلْمَ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ بَعْدَ أَنْ عِلْمُوهُ ؟ قَالَ : الطَّمَعُ ، وَطَلَبُ الْحَاجَاتِ إِلَى النَّاسِ .

وَقَالَ كَمْب : الصَّفَا^(٣) الزَّلَالُ الَّذِي لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ : الطَّمَعُ .

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فِي الْيَأْسِ الْغَنَى ، وَفِي الطَّمَعِ الْفَقْرُ ، وَفِي الْعِزَّةِ رَاحَةٌ مِنْ خَطَاءٍ^(٤) السُّوءِ .

قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : فِي الْمُؤْمِنِ ثَلَاثٌ خِلَالُ : يَسْمَعُ الْكَلَامَةَ الَّتِي تُؤْذِيهِ فَيَضْرِبُ عَنْهَا صَفْحًا كَأَن لَمْ يَسْمَعْهَا ، وَيَحِبُّ لِلنَّاسِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَقْطَعُ أَسْبَابَ الطَّمَعِ مِنَ الْخَلْقِ .

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ^(٥) :

أَطْمَعْتُ مَطَامِييَ فَاسْتَعْبَدَتْنِي وَلَوْ أَنِّي قَنَعْتُ لَكُنْتُ حُرًّا

(١) ١ : يَمُودُ .

(٢) فِي ب أَن عُمَرَ وَابْنَ الزَّيْرِ قَالَا .

(٣) سَاقَطَ مِنْ أ .

(٤) فِي ب : خَطَا .

(٥) دِيَوَانُهُ ٩٥ .

ولإسحاق الموصلي :

اللُّؤْمُ وَالذُّلُّ وَالضَّرَاعَةُ وَالْفَا قَةٌ فِي أَصْلِ أُذُنٍ مِّنْ طَمَعَا

قال ابن المبارك رضى الله عنه : ما الذُّلُّ إِلَّا فِي الطَّمَعِ .

وقال غيره : وَيَنْحَ مِنْ غَرِّهِ الطَّمَعُ ، وَتَمَادَى بِهِ الْوَكْعُ .

وقال أبو القتاهية^(١) :

أَذَلَّ الْحِرْصُ وَالطَّمَعُ الرُّقَابَا

وله أيضاً :

إِنَّ الْمَطَامِعَ مَا عَلِمْتَ مَذَلَّةً لِلطَّامِعِينَ وَأَيْنَ مَنٍ لَا يَطْمَعُ^(٢)

وقال محمود الوراق :

وَمَا زِلْتُ أَسْمَعُ أَنَّ النُّفُوسَ مَصَارِعُهَا بَيْنَ أَيْدِي الطَّمَعِ

وقال بعض الحكماء : قُلُوبُ الْجَهَّالِ تُسْتَعْبَدُ بِالْأَطْمَاعِ ، وَتُسْتَرْقُ بِالْمَنَى ،
وَتُنَالُ^(٣) بِالْخُدَائِعِ .

قال محمد بن أبي حازم :

جَعَلْتُ غَنِيمَةَ الْأَطْمَاعِ يَأْسًا فَأَوْتَنِي إِلَى كَنْفٍ وَدِيعٍ^(٤)

(١) ديوانه ١٣ وعجز البيت * وقد يغفو الكريم إذا استرابا *

(٢) ديوانه ١٤٥ .

(٣) في ب : وتملك .

(٤) ورد البيت في ب هكذا :

جعلت عقيية الأطماع يأساً فأواني إلى كهف وديع

فَتِلْكَ مَطِيَّةُ الْإِقْبَالِ مُغْفَلًا بَلَا رَحْلٍ يُشَدُّ وَلَا نُسُوعَ

وقال آخر :

الْيَأْسُ عَمَّا بِأَيْدِي النَّاسِ مَكْرُمَةٌ وَالرِّزْقُ يَصْحَبُ وَالْأَرْزَاقُ تَتَّسِعُ
لَا تَجْزَعَنَّ عَلَى مَا فَاتَ مَطْلَبُهُ هَا قَدْ جَزَعْتَ فَمَاذَا يَنْفَعُ الْجَزْعُ
إِنَّ السَّعَادَةَ يَأْسُ إِنَّ ظَفِرْتَ بِهِ بَعْضُ الْمِرَادِ وَإِنَّ الشَّقْوَةَ الطَّمَعُ^(١)
أتى رجلٌ إلى خالد بن عبد الله القسريّ ، فقال : أتكلم بجرأة اليأس ،
أم بهيبة الأمل ؟ قال بل بهيبة الأمل . فسأله حاجة ، فقضاها .

وقال الهمداني :

فَلَا الْحِرْصُ يُغْنِينِي وَلَا الْيَأْسُ مَا نَعِيَ نَصِيبِي مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي أَنَا آمِلُهُ^(٢)

وقال محمود الوراق :

حَدَّثْتُ بِالْيَأْسِ عَنْكَ النَّفْسَ فَانْصَرَفَتْ وَالْيَأْسُ أَحْمَدُ مَرْجُوٍّ مِنَ الطَّمَعِ
فَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ . أَنِّي عَلَى ثِقَةٍ أَلَّا أُعْلَلُ نَفْسِي مِنْكَ بِالْخَدَعِ^(٣)
مَحَوْتُ ذِكْرَكَ مِنْ قَلْبِي وَمِنْ أُذُنِي وَمِنْ لِسَانِي فَصِلْ إِنْ شِئْتَ أَوْ فَدَعِ
إِنَّ الَّذِي بِيَلَادِ الصَّيْنِ أَقْرَبُ لِي وَسَاءَ مُنْتَجِعًا لَوْ رُمْتُ مُنْتَجِعِي
إِذَا تَبَاعَدَ قَلْبِي عَنْكَ مُنْصَرِفًا فَلَيْسَ يُدْنِيكَ مِنِّي^(٤) أَنْ تَكُونَ مَعِي

(١) الأبيات في باب الآداب ٢١٨ ، وفيه : إن ظفرت به بعض المزار .

(٢) البيت للجراح بن عمرو الهمداني ، انظر حاسة البحرى ٢٠٠ ، وفيه : أنا نأمله ، وانظر عيون الأخبار

٢٤٣/٣ .

(٣) في ١ : ألا أعْلَل بعد اليوم بالخدع .

(٤) في ١ : إلا .

وقال آخر :

وَلَا تُلَبِّثُ الْأَطْمَاعُ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ الدِّينِ شَيْءٌ إِنْ^(١) تَمِيلَ بِهِ النَّفْسُ
كَانَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ^(٢) يَنْشُدُ هَذِهِ الْآيَاتِ كَثِيرًا مِثْلًا بِهَا :

الْمَرْءُ يُزْرِى بِلُبِّهِ طَمَعُهُ وَالذَّهْرُ فَأَعْلَمُ كَثِيرَةَ خُدَعُهُ
وَالنَّاسُ إِخْوَانُ كُلِّ ذِي نَشَبٍ قَدْ جَاعَ عَبْدٌ إِلَيْهِمْ ضَرَعُهُ
وَكُلُّ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا وَرِعًا يَشْغَلُهُ عَنْ عُيُوبِهِمْ وَرَعُهُ
كَمَا الْمَرِيضُ السَّقِيمُ يَشْغَلُهُ عَنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهُ

وقال آخر :

اللَّهُ أَهْمْدُ شَاكِرًا فَبَلَاؤُهُ حَسَنٌ جَمِيلُ
أَصْبَحْتُ مَسْرُورًا مُعَا فِي بَيْنِ أَنْعَمِهِ أَجُولُ
خَلَوًا مِنَ الْأَحْزَانِ خِفْتُ الظَّهْرَ يُغْنِيَنِ الْقَلِيلُ
وَنَفَيْتُ بِالْيَأْسِ الْمُنَى عَنِّي فَطَابَ لِي الْمَقِيلُ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِمَنْ خَفَّتْ مَوَؤُنَتُهُ خَلِيلُ^(٣)

(١) فى ب : أو .

(٢) بشر بن الحارث الروزى ، المعروف بالحافى ، من كبار الصالحين ، ومن ثقات رجال الحديث ، سكن بغداد وتوفى بها سنة ٢٢٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٦٧/٧ ، روضات الجنات ١٢٣/١ ، (الأعلام ٢٦/٢)

(٣) الأبيات فى معجم الأدباء ٦٨/١٦ ، بغير نسبة .

باب ذم السؤال ، وحمد ما جاء عن غير مسألة من النوال

روى ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عمر بن الخطاب عطاءً ، فقال عمر : يا رسول الله ! أعطه من هو أفقر مني . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذه فتمواه أو تصدق به ، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف إليه ، ولا سائل له ^(١) نخذه ، وما لا فلا ^(١) تتبعه نفسك » .

قال سالم : فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحداً شيئاً ، ولا يرد شيئاً أعطيه .

قال ثوبان : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تسألوا الناس » قال : فما سألت أحداً شيئاً بعدها ، فكان سوطه يسقط من يده ، فما يسأل أحداً أن يناوله إياه .

ومن حديث مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى عمر بن الخطاب بعطائه فردّه ، فقال له : « لم ردّدتّه » ؟ فقال : يا رسول الله ! أليس أخبرتنا أن خيراً لأحدنا ألا يأخذ ^(٢) من أحد شيئاً ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما ذلك عن المسألة ، فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق ساقه الله إليك » . فقال عمر : والذي نفسي بيده لا أسأل أحداً شيئاً ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلا أخذته .

(١) ساقط من ب .

(٢) في ١ : أن خيراً لأحد أن يأخذ .

قال أبو الدرداء : إنَّ أحدكم يقول : اللهم ارزقني ، وقد علم أنَّ الله لا يخلق له ديناراً ولا درهماً ؛ وإنما يرزقُ بعضكم من بعض ، فإذا أُعطِيَ أحدكم شيئاً فليقبله ، فإنَّ كان غنياً فليضعه في أهل الحاجة من إخوانه ، وإن كان إليه فقيراً فليستعين به على حاجته ، ولا يردَّ على الله رزقه الذي رزقه .

قال عبد الله بن عمر : ما يمنع أحدكم إذا أتاه الله برزق لم يسأله أن يقبله ، فإن كان غنياً عاد به على أخيه ، وإن كان محتاجاً كان رزقاً قسمه الله له .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للسائل خدوشٌ أو كدوحٌ يكدرُ بها الرجلُ وجهه إلا أن^(١) يسأل ذا سلطان » .

وروى عنه عليه السلام ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل السائلُ بغير إذنٍ فلا تطعموه » .

وقال عليه السلام : « مَنْ كان لا بدَّ سائلاً للصالحين ، أو ذا سلطان ، أو في أمر لا يحد منه بداً » .

وقد أشبعنا هذا الباب وأوضحنا معانيه في كتاب « التمهيد » والحمد لله .

رفع الواقدي — رحمه الله — إلى المأمون رقعة ، فوقع فيها المأمون : إنك رجلٌ فيك خلَّتَان : سخاءٌ وحياءٌ ، فأما السخاءُ فهو الذي أطلق ما في يديك ، وأما الحياءُ فهو الذي منعك من أن تطلعنا على ما أنت عليه^(٢) ، وقد أمرنا لك بثلاثة آلاف .

(١) في ١ : إذا بدلا من : إلا أن .

(٢) في ب : فيه .

درهم^(١). فان كنا أصبنا إرادتك فذاك ، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك ، وأنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال للزبير «يا زبير ! إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش ، ينزل الله للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كثر كثر له ، ومن قل قل له » . قال الواقدي : فقلت له : يا أمير المؤمنين ! قد نسيت هذا الحديث ، فكان تذكارك إياي له أعجب إلى من الجائزة .

قال أبو العتاهية^(٢) :

إِذَا مَا الْمَرْءُ صِرَتْ إِلَى سُؤَالِهِ فَمَا تُعْطِيهِ أَكْثَرُ مِنْ نَوَالِهِ
وَمَنْ عَرَفَ الْحَامِدَ جَدَّ فِيهَا وَحَنَّ إِلَى الْمَكَارِمِ بِاِحْتِيَالِهِ^(٣)
وَلَمْ يَسْتَغْلِ مُحَمَّدَةً^(٤) بِمَالٍ وَلَوْ كَانَتْ تُحِيطُ بِكُلِّ مَالِهِ
عِيَالُ اللَّهِ أَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ أَبَتْهُمْ الْمَكَارِمُ فِي عِيَالِهِ

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر رضى الله عنه :

تَعَفَّفُ الْمَرْءُ عَنْ سُؤَالِهِ وَكَسْبُهُ الْحِلَّ بِاِحْتِيَالِهِ
وَسَعْيُهُ فِي صَلَاحِ عَيْشٍ لِمَنْ يُوَارِيهِ مِنْ عِيَالِهِ
مَرْوَةٌ وَبَالِغٌ بِهَا^(٥) مَنْ يَبْلُغُهَا مُنْتَهَى كَمَالِهِ

(١) في لباب الآداب ٨٣ أنها مائة ألف درهم .

(٢) ديوانه ٢٣٠ .

(٣) في الديوان : إلى المحامد باحتياله .

(٤) في ب : ولم تشغله .

(٥) في ب : ومنها .

وَمَنْ يَصُنْ وَجْهَهُ يَزِنَهُ صَيَانَةُ الْوَجْهِ مِنْ جَمَالِهِ
وَضَى الْفَتَى بِالْقَضَاءِ عِزًّا وَذِلَّةُ الْوَجْهِ فِي ابْتِذَالِهِ

ولأبي دُلف العجلي (١) :

بَلَوْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمَرٌّ مِنْ السُّوَالِ
وَلَمْ أَرَفِ الْخُطُوبَ أَشَدَّ هَوْلًا (٢) وَأَصْعَبَ مِنْ مَعَادَاةِ الرِّجَالِ (٣)

وقال أعرابي :

عَلَامَ سُوَالِ النَّاسِ وَالرِّزْقِ وَاسِعٌ وَأَنْتَ صَحِيحٌ لَمْ تَخُنْكَ الْأَصَابِعُ
وَفِي الْعَيْشِ (٤) أَوْ طَارُوفِ الْأَرْضِ مَذْهَبٌ عَرِيضٌ وَبَابُ الرِّزْقِ فِي الْأَرْضِ وَاسِعٌ
فَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ رَازِقِ الْغِنَى وَخَلِّ سُوَالِ النَّاسِ فَاللَّهُ صَارِعُ
وحجج هارون الرشيد ، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه ،
فقال ، يا أمير المؤمنين ! قد سألتني الناس فامتنعت عليهم ، ولكنني أجلس لبنيك
وللناس ، فقال : نعم . فلما جلس صاح به الناس : سألك الجلوس لنا فأبيت علينا ،
فلما جاءك المال والجائزة جلست . فقال للمستملى : أنصتهم لي . فصاح المستملى :
صه صه . فسكت الناس ، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم ، وقال : حدثني
الزهرى ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما شئ »

(١) في ١ : وقال آخر .

(٢) في ١ : حيا .

(٣) البيتان لأبي العتاهية كما في ديوانه ٢٠٧ ، وفيه : وذقت مرارة ... الخ ، ونسبت للأفوه الأودى في

عيون الأخبار ١١٣/٢ .

(٤) في ١ : وللعيش .

أحل وأطيب من ثلاثة : صداق الزوجة ، والميراث ، وما أتاكَ الله به من غير مسألة ، فإنه رزق ساقه الله إليك » . والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله ، ولو وجّه إلى شطر ماله لقبلته ، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء^(١) .

أشخص المنصور سواراً القاضي^(٢) من البصرة إلى بغداد في شيء أراد أن يشافيه فيه ، فر بواسط ، وفيها يحيى بن سعيد الأنصاري^(٣) يتولى القضاء ، فذل^(٤) عليه ، فقال له : ألك حاجة إلى أمير المؤمنين ؟ قال : نعم يعفني من القضاء . فقال سوار للمنصور إذ^(٥) قدم عليه ، وكله فيما أراد : يا أمير المؤمنين ! الأنصار تعلم ما يجب في حقهم . قال : هيه . قال : يحيى بن سعيد تعفيه من القضاء . قال : قد أعفيته . فلما انحدر سوار مرّ بواسط ، فقال ليحيى بن سعيد : قد أعفاك أمير المؤمنين . فقال : لا جزاك الله خيراً عن صبية من الأنصار كانوا يقتاتون هذه الست^(٦) مائة درهم في كل شهر .

كأنه أراد أن يعرض ولا يحقق .

كان الحسن البصري رحمه الله يقول : لا يردّ جوائزهم إلاّ أحقّ أو مُراءٍ ، وقد ذكرنا مَنْ رأى^(٧) قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم ، ومن تورع عن ذلك منهم في كتاب « التمييد » والحمد لله .

(١) زيادة من ب .

(٢) سوار بن عبد الله بن قدامة الغنوي ، من أهل البصرة ولي قضاءها لأبي جعفر المنصور ، وكان عالماً بالحديث والفقه ، له أخبار مشهورة في العدل والورع توفي سنة ١٥٦ هـ . تهذيب التهذيب ٢٦٩/٩ ، تاريخ بغداد ٢١٠/٩ .

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري النجاري ، من أكابر أهل الحديث ولي قضاء المدينة في زمن بني أمية ، ثم رحل إلى العراق فولاه أبو جعفر قضاء الحيرة وتوفي بالهاشمية سنة ١٤٣ هـ . تهذيب التهذيب ٢٢١/١١ ، تاريخ بغداد ١٠١/١٤ .

(٥) ب : إذا .

(٤) ب : فذل .

(٧) ساقط من أ .

(٦) أ : السنة .

قال مطرّف بن الشَّخِير^(١) : إذا كانت لأحدكم إلى حاجة فليرفعها في رقعة ولا يواجهني بها ، فإنني أكره أن أرى في وجه أحدكم ذل المسألة .

وقد روى عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك ، وتمثل :

ما اعتاضَ باذلٌ وجهه بِسؤالِهِ عَوْضًا وَلَوْ نَالَ الْغِنَى بِسُؤالِ
وإذا السُّؤالُ مع النّوالِ وزنته رَجَحَ السُّؤالُ وخفَّ كلُّ نوالِ^(٢)

لبعض الكتاب إلى عبدالله بن طاهر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَإِنْ نَصَبْتُ^(٣) لِي الْمَنَى أَنَّ الْخِصَاصَةَ لَا تُدَاوِي بِالْمَنَى
فَلَيْتَ وَفَيْتَ لَأَنْهَضَنَّ بِشُكْرِكُمْ وَلَيْتَ أَيْدَتَ لِأَحْلَنَ عَلَى الْقِضَا
فَأَجْزَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ عِدَّتَهُ .

قال الحسن بن عبيد البغدادى :

صُنِ الْوَجْهَ الَّذِي إِنْ لَمْ تَصْنُهُ بَقِيتَ وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا ذَلِيلُ
وَعِشْ حُرًّا وَلَا يَحْمِلْكَ ضُرٌّ عَلَى مَرْعَى لَهُ غِبٌّ وَبِيلُ
فَلَيْسَ الرَّأْيُ إِلَّا الصَّبْرُ حَتَّى يُدِيلَ الْيُسْرَ مِنْ عُسْرٍ مُدِيلِ^(٤)
أَلَيْسَ لِكُلِّ آفَلَةٍ طُلُوعٌ بَلَى وَلِكُلِّ طَالِعَةٍ أَفُولُ

(١) الحرشي العامري ، زاهد من كبار التابعين ، ومحدث ثقة . له كلمات في الحكم مأثورة ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم كانت إقامته ووفاته بالبصرة ، توفي سنة ٨٧ هـ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٧٣/١ ، وفيات الأعيان ٩٧/٢ .

(٢) البيتان لأبي العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، لباب الآداب ٣٠٧ .

(٣) ب : لن يصيب .

(٤) ب : يزبل اليسر من عسر مزيل .

وكان أبان بن عثمان رحمه الله يتمثل :

مَالِي تِلَادٌ وَلَا اسْتَطَرَفْتُ مِنْ نَشَبٍ وَمَا أُؤَمِّلُ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ
إِنِّي لَا أَكْرَمَ وَجْهِي أَنْ أُوجِّهَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لَغَيْرِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
عِزُّ الْقَنَاعَةِ وَالْإِيمَانِ يَنْعُمُنِي مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْمَنَانَةِ النَّكِدِ
رَضِيتُ بِاللَّهِ فِي ^(١) يَوْمِي وَفِي غَدِهِ وَاللَّهُ أَكْرَمُ مَأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ

قال أبو العتاهية :

أَتَدْرِي أَيَّ ذُلٍّ فِي السُّؤَالِ وَفِي بَذْلِ الْوُجُوهِ إِلَى الرِّجَالِ
يَعِزُّ عَلَى التَّنَزُّهِ مَنْ رَعَاهُ وَيَسْتَفْنِي الْعَفِيفُ بغيرِ مَالِ
إِذَا كَانَ السُّؤَالُ يَبْذُلُ وَجْهِي فَلَا قُرْبَتُ مِنْ ذَاكَ النَّوَالِ
مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خُلُقٍ دَنِيٍّ يَكُونُ الْفَضْلُ فِيهِ عَلَى لَالِي ^(٢)

وقال أيضاً :

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا سَائِلًا مَا رَحِمُوهُ ^(٣)
وَلَأَبِي دَلْفٍ أَوْ لَعَبْدَ اللَّهِ بَنٍ طَاهِرٍ :
أَعْمَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرٍّ نَا قَلَّا وَلَوْ أَمْهَلْتَنَا لَمْ يَقْلَلِ ^(٤)

(١) ب : من .

(٢) ديوانه ٢٢٦ .

(٣) ديوانه : ٢٩٥ ، وفيه : ما وصلوه .

(٤) ونسب البيت في العقد الفريد ٢٨٧/١ إلى الحسن بن وهب ، وانظره في عيون الأخبار ١/٣٢٤ .

وقال عبد الصمد بن المعذل^(١) ، في حين قدوم يحيى بن أكرم البصرة ، قالت له امرأته: لو أتيتك فسألتك ، فقال :

تُكَلِّفُنِي إِذْلَالَ نَفْسِي لِعِزِّهَا وَهَانَ عَلَيْهَا أَنْ أَهَانَ لِتُكْرِمَا
تَقُولُ : سَلِ الْمَعْرُوفَ يَحْيَى بْنُ أَكْرَمٍ فَقُلْتُ : سَلِيهِ رَبُّ يَحْيَى بْنُ أَكْرَمٍ^(٢)
وقال مسلم بن الوليد :

أَقُولُ لِمَا أَفُونُ الْبَدِيهَةِ طَائِرٌ مَعَ الْحَرْصِ لَمْ يَفْنَمْ وَلَمْ يَتَمَوَّلِ
سَلِ النَّاسَ إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ وَحْدَهُ وَصَائِنُ عِرْضِي عَنْ فُلَانٍ وَعَنْ فُلٍ^(٣)
قال حبيب :

وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِ أُمِّ حَقَنْتَ دَمِي^(٤)
قال محمود الوراق :

يَا أَيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ مِثْلِهِ رِزْقًا لَهُ جُرْتُ عَنِ الْحِكْمَةِ
لَا تَطْلُبِ الرِّزْقَ إِلَى طَالِبٍ مِثْلِكَ مُتَحَاجِرٍ إِلَى الرَّحْمَةِ
وَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ النِّعْمَةُ وَالنِّقْمَةُ^(٥)
وقال يونس^(٦) :

(١) العبدى ، من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ في البصرة ، وكان هجاء شديد العارضة . توفى سنة ٢٤٠ هـ . انظر فوات الوفيات ١/ ٢٧٧ ، الموشح للمرزباني ٢٤٦ (الأعلام ٤/ ١٣٤) .

(٢) البيتان في وفيات الأعيان ٦/ ٦٢ ، الكامل ١/ ٢٣٣ .

(٣) ديوانه ٢٠٦ ، عيون الأخبار ١/ ٣٣ .

(٤) ديوانه ١٤٥ ، العقد الفريد ٥/ ٢٧٩ ، نهاية الأرب ٢/ ١١٠ ، فصل المقال ٢٩٣ .

(٥) ساقط من ب .

(٦) الأرحج أنه يونس بن عبيد ، شيخ البصرة ومحدثها ، وكان يتكسب من بيع الخز ، وقد نفته الذهبي

نه أحد أعلام الهدى ، توفى سنة ١٣٩ هـ ، انظر تاريخ الإسلام للذهبي ، ٥/ ٣١٨ ، تهذيب التهذيب ١١/ ٤٤٢ (الأعلام ٩/ ٣٤٦) .

إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى الْأَبْوَابِ حَرِّمَانِ وَالْعَجْزُ أَنْ يَرْجُوَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا
 حَتَّى م تَأْمُلَ مَخْلُوقًا وَتَقْصُدَهُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ بِالرَّحْمَنِ إِيمَانٌ
 عَطَاؤُهُ لَكَ إِنْ أَعْطَاكَ ضِعْفَهُ^(١) فَكَيْفَ إِنْ كَانَ بَعْدَ الْمَطْلِ حَرِّمَانٌ
 ثِقَ بِالَّذِي هُوَ يُعْطَى ذَا وَيَمْنَعُ ذَا فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ فِي خَلْقِهِ شَانٌ

^{٢١} قال محمود الوراق :

إِنَّ السُّؤَالَ — فَعَدَّ عَنْهُ — قَلِيلُهُ ثَمَنٌ لِكُلِّ عَطِيَّةٍ أَوْ مَالٍ
 وَالْحَالُ تَقَعْدُ بِالكَرِيمِ فَمَا تَرَى فِيهِ لِعِزَّتِهِ تَغْيِيرُ حَالٍ^(٢)

وقال أيضاً :

شَادَ الْمُلُوكُ قُصُورَهُمْ وَتَحَصَّنُوا مِنْ كُلِّ طَالِبٍ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبٍ
 غَالَوْا بِأَبْوَابِ الْحَدِيدِ تَمْنَعًا قَدْ بَالَعُوا فِي قُبْحِ وَجْهِ الْحَاجِبِ^(٣)
 فَاطْلُبْ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ وَلَا تَكُنْ بَادِي الضَّرَاعَةِ طَالِبًا مِنْ طَالِبٍ

وقال النمر بن تولب :

لَا تَفْضَبَنَّ عَلَى أَمْرِي فِي مَالِهِ وَعَلَى كَرَائِمِ صُلْبِ مَالِكٍ فَاغْضَبِ^(٤)

وقال عبيد بن الأبرص :

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَمَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَنْحِبُ^(٥)

(١) في ١ : إِنْ أَعْطَاكَ ضِعْفَهُ . (٢) ساقط من ب .

(٣) في ب : لَمْنَعَهَا وَتَانَقُوا ، وفي العقد الفريد ٨٦/١ : لَمَزَهَا وَتَنَوَّقُوا بمعنى بالغوا أيضاً .

(٤) الشعر والشعراء ٢٦٩ ، طبقات فحول الشعراء ١٣٣ ، مختارات ابن الفجرى ١٦ .

(٥) الشعر والشعراء ١٤٥ ، عيون الأخبار ١٨٨/٣ ، العقد الفريد ٢٤٨/٤ .

وقال النمر بن تولب :

وَمَتَى تُصِيبُكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الْغِنَى
وَإِلَى الَّذِي يَهَبُ الرَّغَائِبَ فَارْغَبِ^(١)

وقال أبو الأسود الدؤلى :

وَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ أَنْ كُنْتَ مَادِحًا
لِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالْعِرْضُ وَافِرُ^(٢)

وقال سلم الخاسر :

وَفَتَى خَلَا مِنْ مَالِهِ وَمِنْ الْمُرُوءَةِ غَيْرُ خَالٍ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ^(٣)

قال قيس بن عاصم : إياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجل .

دخل أعرابي على داود بن مزيد المهلبى ، فقال : إني لم أصُن وجهى عن مسألتك ،
فصُن وجهك عن ردّى ، وَضَعْنِي مِنْ كَرَمِكَ بِحَيْثُ وَضَعْتَكِ مِنْ أَمَلِي فِيكَ . قال :
قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، وهى أكثر من قدرك . قال : والله لئن جاوزت
قدرى فما بَلَغَتْ قدرك .

قال أبو الفرج البغواء :

مَا الذُّلُّ إِلَّا تَحَمُّلُ الْمِنَنِ فَكُنْ عَزِيزًا إِنْ شِئْتَ أَوْ فَهِنُ^(٤)

(١) انظر مراجع البيت فى هامش رقم ٤ فى الصفحة السابقة .

(٢) ديوانه ٣٨ ، وتردد فى نسبتها فى العقد ٢٧٨/١ بين المنذر بن أبى سبرة وبين أبى الأسود .

(٣) ورد البيتان فى معجم الأدباء ٢٤١/١١ ، لباب الآداب ٣٠٨ البيان ٣/٢١٣ ، منسوبة لسلم ، ونسبها فى

فصل المقال ٢٩٣ لأشجع السلمى ، وورد البيت الثانى فى حماسة البحترى ٢٣١ بدون نسبة .

(٤) يتيمة الدهر ٢٢٩/١ ، نهاية الأرب ١٠٦/٣ .

وقال آخر :

أَمِنْ بَيْتِ الْكِلَابِ طَلَبْتَ عَظْمًا لَقَدْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْمُحَالِ^(١)

وقال آخر :

لَعَنَّ اللَّهَ نَائِلًا تَرْتَجِيهِ مِنْ يَدَيَّ مَنْ^(٢) تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ
أَيُّ فَضْلٍ لِصَاحِبِ الْفَضْلِ مِنْ بَعْدِ تَقَاضِيهِ وَابْتِدَالِ الْوُجُوهِ
إِنَّمَا الْفَضْلُ وَالسَّمَّاحُ لِمَنْ يُعْطِيكَ عَفْوًا وَمَاءَ وَجْهِكَ فِيهِ
أَيُّهَا الدَّائِبُ الْحَرِيصُ الْمَعْنَى^(٣) لَكَ رِزْقٌ وَسَوْفَ تَسْتَوْفِيهِ
فَبَسَلِ اللَّهَ وَحَدَهُ وَدَعِ النَّاسَ وَأَسْخِطْهُمْ بِمَا يُرْضِيهِ
أَنْ تَرَى مُعْطِيًا لِمَا مَنَعَ اللَّهُ وَلَا مَانِعًا لِمَا يُعْطِيهِ

وقال آخر :

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا فَخَالِلٌ مِثْلَ حَسَانِ بْنِ سَعْدٍ^(٤)
فَتَى لَا يَرْزَأُ الْإِخْوَانَ شَيْئًا وَيَرْزَوُهُ الْخَلِيلُ بِغَيْرِ كَدٍّ

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِسَائِلِ الْأَعْرَابِ شَيْئًا حَمَدْتُ اللَّهَ إِذْ لَمْ يَأْكُلُونِي^(٥)

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٥٦ .

(٢) ف ب : ما .

(٣) ف ب : تأيد .

(٤) ب : ابن عبد ، والبيتان للفرزدق في مدح حسان بن سعد الأسدي من أهل الكوفة وكان والي البحرين .

وبني لبني أسد مسجدهم بالبصرة ، شرح ديوان الفرزدق ١٥٣ .

(٥) انظر البيت في عيون الأخبار ٣/١٣٤ بدون نسبة ، وقد نسب في السكامل ٢٠٨/١ إلى أبي فرعون العدوي .

وقال أعرابي :

إِنَّ الْمَسَائِلَ لِلرِّجَالِ مَذَلَّةٌ تَفْنَى مَنَافِعُهَا وَيَخْلُدُ عَارُهَا

وقال آخر :

وَكَايُنْ رَأَيْنَا مِنْ فَتَى مُتَجَمِّلٍ وَيَبِيتُ يُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ
يَبِيتُ يُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ وَلَا يَسْأَلُ الْمُثْرِينَ مَا فِي رِحَالِهِمْ
وَلَا يَسْأَلُنْ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً^(١) وَإِنْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُ وَتَدْرَاهِمَا
يَبِيتُ يُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ وَيَبِيتُ يُرَاعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حَالِهِ
وَلَا يَسْأَلُ الْمُثْرِينَ مَا فِي رِحَالِهِمْ وَلَا يَسْأَلُنْ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً^(٢)
وَإِنْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُ وَتَدْرَاهِمَا وَإِنْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُ وَتَدْرَاهِمَا

وقال ربيعة الرقي :

وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)
وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا يَمْلِكُونَ وَلَا تَخْضَعَنَّ إِلَى سَفِيلَةٍ^(٣)

وقال محمود الوراق :

اسْأَلِ الْعُرْفَ إِنْ سَأَلْتَ كَرِيماً لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الْغَنَى وَالْبِسَارَا

(١) في ١ : منها .

(٢) في ١ : ولا سائل من قد كان سيل مرة .

(٣) في ب : سفيلة .

(٤) في ب : في .

فَقَلِيلُ الشَّرِيفِ يُكْسِبُ مَجْدًا وَكَثِيرُ الْوَضِيعِ يُكْسِبُ عَارًا
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الذُّلِّ بُدًى فَالْقَ بِالذُّلِّ إِنْ لَقِيتَ الْكِبَارَا
لَيْسَ إِجْلَالُكَ الْكَبِيرِ بِذُلٍّ إِنَّمَا الذُّلُّ أَنْ تُجِلَّ الصَّغَارَا
وَقَالَ أَيْضًا :

يَا أَيُّهَا الْمَتْعَبُ بُزِلَ الْجَمَالَ وَطَالِبَ الْحَاجَاتِ مِنْ ذِي النَّوَالِ
لَا تَحْسَبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَى فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنْ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالِ^(١)

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ النُّحَاسُ الْوَرَّاقُ :

بَخِلْتُ وَلَيْسَ الْبُخْلُ مِنِّي سَجِيَّةً وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْفَقْرَ شَرًّا سَبِيلَ
لَمَوْتُ الْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الْبُخْلِ لَافْتَى وَلِلْبُخْلِ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ الْبَخِيلِ
فَلَا تَسْأَلَنْ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً فَلَمَمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَتُولِ
لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ لَوَجْهِكَ قِيَمَةٌ فَلَا تَلْقَ إِنْسَانًا بِوَجْهِهِ ذَلِيلِ^(٢)

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

يَا رَبَّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امْرِئٍ فَقَامَ لِلنَّاسِ مَقَامَ الذَّلِيلِ
فَاشْدُدْ عُرَى مَالِكَ وَاسْتَبِقْهُ فَالْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ الْبَخِيلِ^(٣)

(١) انظر البيتين الثاني والثالث فقط في لباب الآداب ٣٠٦ ، والبازل : الشديد القوي .

(٢) الأبيات في لباب الآداب ٣٠٧ ، والبيت الثاني فيه : لموت الفتى خير من الموت للفتى والموت خير... الخ

(٣) البيتان في زهر الآداب ٢٤٧/٣ ، والتمثيل والمحاضرة ٤٤٣ .

وقال أعرابي لص :

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أُرَى أَطُوفُ بِجَبَلٍ لَيْسَ فِيهِ بَعِيرٌ
وَأَنْ أَسْأَلَ الْمَرْءَ اللَّئِيمَ ^(١) بَعِيرَهُ وَبُعْرَانُ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرٌ ^(٢)
وفي التمهيد أبيات في هذا المعنى ذوات عدد حسان لم أذكرها ^(٣) ها هنا .

(١) ن : ١ : اللئيم .

(٢) البيتان في هيون الأخبار ٢٣٧/١ ، غير منسويين ، وهما للأحمر الله بنى كما في المؤلف والمختلف ١٦ .

(٣) ن : ب : لمن أذكرها .

بابُ انتِظارِ الفَرَجِ^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انتِظارُ الفرج بالصبر^(٢) عبادة » .
ويروى لأبي محجن الثقفي :

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ^(٣) اللَّهُ إِنَّهُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ
عَسَى بِمَا تَرَى أَلَّا يَدُومَ وَأَنْ تَرَى لَهُ فَرَجًا مِمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهْرُ
إِذَا اشْتَدَّ عُسْرُهُ فَارْجُ يُسْرًا فَإِنَّهُ قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْعُسْرَ يَتَّبِعُهُ الْيُسْرُ^(٤)
وقال الأصبط بن قُرَيْع :

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ وَالْمَسِيُّ وَالصُّبْحُ لَا بَقَاءَ^(٥) مَعَهُ^(٦)
وقال آخر :

كُنْ عَنْ هُمُومِكَ مُعْرِضًا وَكُلِ الْأُمُورَ إِلَى الْقَضَا
وَابْشِرْ بِخَيْرِ^(٧) عَاجِلٍ تَنْسَى بِهِ مَا قَدْ مَضَى
فَلَرُبَّ أَمْرٍ مُسْخِطٍ لَكَ فِي عَوَاقِبِهِ الرِّضَا

^(٨) كان يقال : كن لما لا ترجو أرْجى منك لما ترجو .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ا .

(٣) في ب : من .

(٤) التمثيل والمحاضرة : ١٠ ، لباب الآداب ٦٣ .

(٥) في ب : والعشى . وفي ا : لافلاح .

(٦) البيت في الشعر والشعر ٢٢٦ ، والشرط الأول فيه : كل ضيق من الهوم سعة ، وانظره في

البيان ٣/٣٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ٦٠ ، أمالي القالي ١/٧٠ .

(٧) في ب : ببشر .

(٨) يبدأ من هنا قص يبلغ ثلاث ورقات من النسخة ب .

قال الشاعر :

كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو مِنَ الْأَمْرِ أَرْجَى مِنْكَ يَوْمًا لِمَا لَهُ أَنْتَ رَاجٍ
إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَطْلُبَ نَارًا مِنْ ضِيَاءِ رَأَاهُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ
فَأَتَى أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّهَ وَنَاجَاهُ وَهُوَ خَيْرُ مُنَاجٍ
وَكَذَا الْأَمْرُ كُلَّمَا ضَاقَ بِالنَّاسِ أَتَى اللَّهُ فِيهِ سَاعَةٌ بِالْانْفِرَاجِ

وقال منصور الفقيه :

* وَمَا عُسْرُ لِمُنْتَظَرِ الْفَرَجِ *

وقال بشار :

خَلِيلِي إِنَّ الصَّبْرَ سَوْفَ يُفِيقُ وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي الثَّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سَوْقُ
وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ^(١)

وقال آخر :

رَوْحُ فُؤَادِكَ بِالرُّضَا تَرْجِعُ إِلَى رَوْحِ رَطِيبِ
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ أَلَحَّ الدَّهْرُ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبِ^(٢)

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ ضَائِرٌ وَلَا كُلُّ مَسْعَى فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنَفَعَةٌ

(١) البيان والتبيين ١/ ١٨٩، المختار من شعر بشار ٢١١، وفيه لمن العسر بدل الصبر في الشطرة الأولى .

(٢) لباب الآداب ٢٤٧، مجموعة الممانى ٦٢ .

إِذَا كُنَّا فِي الْأَرْضِ أَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سَوَاءٌ فَأَغْتَنِمْ لَذَّةَ الدَّعَةِ
وَأِنْ ضِيقَتْ فَاصْبِرْ يُفْرِجِ اللَّهُ مَا تَرَى أَلَا رَبُّ ضَيْقٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَعَةً^(١)

وقال آخر:

رُبَّمَا خَيْرَ لَامَرِيءٍ وَهُوَ الْأَمْرُ كَارِهِ
رُبَّ خَيْرٍ أَتَاكَ مِنْ حَيْثُ تَأْتِي الْمَكَارِهِ^(٢)

وقال أحمد بن محمود ، وقيل إنها لأحمد بن صالح :

إِذَا اشْتَمَلْتُ عَلَى النَّاسِ الْخَطُوبُ وَضَاقَ لِي مَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأْنَنْتِ وَأَرَسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخَطُوبُ
وَلَمْ تَرَ لَا تَفْرِاجِ الضِّيقِ وَجْهًا وَقَدْ أَعْيَى بِحِيلَتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوَتْ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ
وَمَوْلَانَا إِلَهِ فَخَيْرُ مَوْلى لَهُ إِحْسَانُهُ وَلَنَا الذُّنُوبُ^(٣)

وقال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِى الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِ نَوَائِبَ هَذَا الدَّهْرِ أَمْ كَيْفَ يَحْذَرُ
يَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُتَّقَى فَيَخَافُهُ وَمَالَا يَرَى مِمَّا يَتَّقَى اللَّهُ أَكْبَرُ^(٤)

(١) الأبيات لعلى بن الجهم ، وقد سبقت في ص ١٤٨

(٢) فصل المقال ٣١٦ ، لباب الآداب ١١٠ ، بدون نسبة .

(٣) وردت الأبيات عدا الأخير منسوبة إلى ابن السكيت في وفيات الأعيان ٤٤٢/٥ ، وانظرها في أمالي القلي

٢٧/٢٠٣ ، ٢٠٤ ، لباب الآداب ٣٦١ ، مع اختلاف في بعض ألفاظ الرواية .

(٤) البستان في عيون الأخبار ١/٢٠٦٤ .

وقال منصور الفقيه :

إِذَا الْحَادِثَاتُ بَاغَيْنَ الْمَدَى وَكَادَتْ لَهْنٌ تَذُوبُ الْمَهَجُ
وَحَلَّ الْبَلَاءُ وَقَلَّ الْوَفَا فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَكُونُ الْفَرَجُ

وقال آخر :

وَاصْبِرْ عَلَى الدَّهْرِ إِنْ أَصْبَحْتَ مُنْغَمِرًا بِالضِّيقِ فِي لُجَجٍ تَهْوِي إِلَى لَجَجٍ
فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ بِالْفَرَجِ
لَا تَيَاسَنَّ إِذَا مَا ضِيقَتْ مِنْ فَرَجٍ يَا تِي بِهِ اللَّهُ فِي الرُّوحَاتِ وَالذَّلِجِ
وَإِنْ تَضَاقَ بَابُ عَنْكَ مُرْتَجِعٌ فَاطْأَبْ لِنَفْسِكَ بَابًا غَيْرَ مُرْتَجِعٍ^(١)

قال أبو العتاهية في نفي حاجب موسى الهادي :

مَا تَرَى عِنْدَ نَفْيِ نَفْعِهِ فَسَلِ الرَّحْمَنَ رِزْقًا فِي دَعَاهُ
إِنْ يَكُنْ أَمْسَكَ عَنَّا نَيْلُهُ فَسَيُغْنِي اللَّهُ كَلًّا مِنْ سَعَاهُ^(٢)

وقال أبو العتاهية :

النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا ذَوُو دَرَجٍ وَالْمَالُ مَا بَيْنَ مَوْقُوفٍ وَمُخْتَلِجٍ
مَنْ صَاقَ عَنْكَ فَارِضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فِي كُلِّ وَجْهِ مَضِيقٍ وَجْهُ مُنْفَرِجٍ
قَدْ يُدْرِكُ الرَّاقِدُ الْهَادِي بِرَقْدَتِهِ وَقَدْ يَحْيِي أَبُو الرُّوحَاتِ وَالذَّلِجِ
خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا وَأَضِيقُ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ مِنَ الْفَرَجِ^(٣)

(١) مجموعة المعاني ١٣ ، المحاسن والمساوي ٢/٢١٦ .

(٢) البيان في ديوانه ٢٠١ .

(٣) ديوانه ٦١ .

وقال آخر :

سَأَصْبِرُ لِلزَّمَانِ وَإِنْ رَمَانِي بِأَحْدَاثٍ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا يَدُورُ بِهِ الْقَضَاءُ الْمُسْتَدِيرُ

ومما ينسب إلى الشافعي رضي الله عنه ، وقيل إنها لسهل الوراق ، والله أعلم :

سَيُفْتَحُ بَابُ إِذَا سُدَّ بَابُ نَعَمْ وَتَهَوَّنُ الْأُمُورُ الصَّعَابُ
وَيَتَسَنَّعُ الْحَالُ مِنْ بَعْدِ مَا تَضِيقُ الْمَذَاهِبُ فِيهَا الرُّحَابُ
مَعَ الْهَمِّ يُسْرَانِ هَوْنٌ عَلَيْكَ فَلَا اَلْهَمُ يُجْدِي وَلَا الْاِكْتِنَابُ
فَكَمْ ضِيقَتْ ذُرْعًا بِمَا هَبَّتَهُ فَلَمْ يَرِ مِنْ ذَاكَ قَدَرٌ يُهَابُ
وَكَمْ بَرَدٍ خَفَّتَهُ مِنْ سَحَابٍ فَعُوفِيَتْ وَانْجَابَ عَنْكَ السَّحَابُ
وَرِزْقٌ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ وَلَا أَرَقَ الْعَيْنَ مِنْهُ الطَّلَابُ
وَنَاءٌ عَنِ الْأَهْلِ ذِي غُرْبَةٍ أُتِيحَ لَهُ بَعْدَ يَأْسٍ إِيَابُ
وَنَاجٍ مِنَ الْبَحْرِ مِنْ بَعْدِ مَا عَلَاهُ مِنَ الْمَوْجِ طَامِ عُبَابُ
إِذَا احْتَجَبَ النَّاسُ عَنْ سَائِلٍ فَمَا دُونَ سَائِلِ رَبِّي حِجَابُ
يَعُودُ بِفَضْلِ عَلَى مَنْ رَجَاهُ وَرَاجِيهِ فِي كُلِّ حِينٍ يُجَابُ
فَلَا تَأْسَ يَوْمًا عَلَى فَاِئْتِ وَعِنْدَكَ مِنْهُ رِضًا وَاحْتِسَابُ
فَلَا بُدَّ مِنْ كَوْنٍ مَا خُطَّ فِي كِتَابِكَ تُحِبِّي بِهِ أَوْ تُصَابُ
فَمَنْ حَائِلٌ دُونَ مَا فِي الْكِتَابِ وَمَنْ مُرْسِلٌ مَا أَبَاهُ الْكِتَابُ

في أبيات قد ذكرتها في موضعها من هذا الكتاب .

وقال محمد بن يسير^(١) :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا
لَا تَيَاسَنُ وَإِنْ طَالَتْ مُطَابَلَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُذْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وقال محمد بن حازم الباهلي :

هُوْنٌ عَلَيْكَ فَكُلُّ الْأَمْرِ يَنْقَطِعُ وَخَلَّ عَنْكَ عِزَانُ الْهَمِّ يَنْدَفِعُ
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ
إِنَّ الْبَلَاءَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْ سَوْفَ يَنْقَطِعُ

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْأَمْرَ يَبْعُدُ بَعْدَ قُرْبٍ وَيَذْنُو الْأَمْرُ بِالْقَدَرِ الْمَسُوقِ
فَلَا تَفْرَحْ بِأَمْرٍ إِنْ تَدَانَى وَلَا تَيَاسُ مِنْ الْأَمْرِ السَّحِيقِ

وقال ابن المبارك :

مَا أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ حِينَ يَسُوقُهَا قَدَرٌ وَأَبْعَدَهَا إِذَا لَمْ تُقَدَّرِ^(٢)

وقال آخر :

إِنْ يَكُنْ يَوْمِي تَوَلَّى سَعْدُهُ وَتَدَاعَى لِي بِنَحْسٍ وَنَكْدُ

(١) محمد بن يسير الرياشي البصري ، شاعر محسن ، توفي سنة ٢١٠ هـ ، انظر ترجمته والأبيات في سبعة

اللالى ٥٤ ، وانظرها في العقد الفريد ٢٨٠/١ .

(٢) البيت في حماسة البحتري ٢٤٦ ، منسوباً إلى عبد الله بن يزيد الهلالي ، ونسب في معجم الأدباء ٩٤/٩٤ .

إلى الله الأصهباني ، المعروف بلغة أو لكذة ، وانظره في عيون الأخبار ١٢٣/٢ ، لباب الآداب .

فَلَعَلَّ اللَّهَ يَقْضِي فَرَجًا فِي غَدٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَعْدَ غَدٍ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكَ حَسَنًا أَمْسَ وَسَوَى أَوْدَكَ
إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكَ

قال العبسي : خرجت حاجاً فضاقت صدري ، فجعلت أقول :

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَمْسَى عَلَى الذُّلِّ لَهُ أَصْلَحَ

فإذا هاتف من ورائي يقول :

يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي يَرَى اْلهْمُ بِهِ بَرَحَ
إِذَا ضَاقَ بِكَ الصَّدْرُ فَفَكَّرْ فِي أَلَمِ نَشْرَح^(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْعُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارُ وَقَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ
فَلَا تَجْزَعْ وَقَدْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي دَهْرٍ طَوِيلِ
وَلَا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوْءَ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالْجَمِيلِ

ذكر الطحاوي قال : حدثنا أحمد بن أبي عمران ، قال : حدثنا أبو نصر أحمد بن

حاتم ، قال : حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : استعمل الحجاج أبي علي

بعض أعماله فنقم عليه ، فتواري أبي عنه في بادية قومه وأنا معه ، فيينا أنا في سحر

من الأسحار إذ مرّ راكب وهو يقول :

(١) انظر الخبر والأبيات في زهر الآداب ١٣٢/٣ .

صَبْرِ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَضِيقُ فِي الْأُمُورِ ذُرْعًا فَقَدْ يُكْشِفُ غَمَّاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ
رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمِّ رِ لَهْ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ^(١)

قال : فقلت : ماذا ؟ قال : مات الحجاج . فوالله ما أدرى بأيهما كنت أشد فرحاً ،
أبقوله : مات الحجاج ، أم بقوله : فرجة ..

قال العَطَوِيُّ^(٢) :

مُسْتَشْعِرُ الصَّبْرِ مَقْرُونٌ بِهِ الْفَرْجُ يُبْلَى وَيَصْبِرُ وَالْأَشْيَاءُ تُنْتَهَجُ
حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ مَقْدُورَ غَايَتِهَا جَاءَتْكَ تَضْحَكٌ عَنْ ظُلُمَائِهَا الشَّرْجُ
فَاصْبِرْ ، وَدُمُ ، واقْرَعِ الْبَابَ الَّذِي طَلَعْتَ مِنْهُ الْمَطَامِعُ فَأَلْفَرَى بِهِ يَلِجُ
يُقَدِّرُ اللَّهُ فَارْجُ اللَّهُ وَارْضَ بِهِ فَنِي إِرَادَتِهِ الْغَمَاءُ تَنْفَرُجُ

وقال هلال بن الملاء الرَّقِّي :

هَوْنٌ عَلَيْكَ مَصَائِرِ الدُّ نِيَا تَكُنْ سُبُلًا فِجَاجًا
لَا تَضْجَرَنَّ بِضِيقَةٍ يَوْمًا فَإِنَّ لَهَا انْفِرَاجًا

(١) نسبت البيت الثالث في البيان والتبيين ٣٤١/٢ إلى أمية بن أبي الصلت مع اختلاف في روايته ، وكذلك ورد منسوباً إليه في حماسة البعثرى ٣٥٤ ، ونسبها في معجم الأدباء ١٨٦/١ ، ١٥٧/١١ إلى إبراهيم بن العباس الصولي ، وفي لباب الآداب ٢٩٤ إلى عبيد بن الأبرص ، وورد في معجم الشعراء ٢٤٣ منسوباً لعمر الحنفي ، وانظره في المختار من شعر بشار ٢١٣ بدون نسبة .

(٢) اسمه محمد بن الرحمن بن أبي عطية ، أبو عبد الرحمن العطوي ، من شعراء الدولة العباسية ، كان معتزلاً يمد من المتكلمين الحذاق ، توفي نحو سنة ٢٥٠ هـ ، انظر سبط اللاكبي ١٤٠ ، المرزباني ٤٣٢ ، (الأعلام ٦١/٧) .

وقال آخر :

كَلُوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمَنِ رِزْقَكُمْ غَدًا^(١)

وقال منصور الفقيه :

يَا مَنْ يَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَا يَخَافُ سَرْمَدًا
أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَهُمْ إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا^(٢)

وقال أبو العتاهية :

هِيَ الْأَيَّامُ وَالْفِئْرُ وَأَمْرُ اللَّهِ مُنْتَظَرُ
أَتَيْئَسُ أَنْ تَرَى فَرَجًا فَإِنَّ اللَّهَ وَالْقَدَرُ^(٣)

(١) التمثيل والمحاضرة ١٠ ، وفيه : من رزق الله وانتشروا .

(٢) التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .

(٣) ديوانه ٢٣٨ .

باب الجَدِّ والحدِّ^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطي لما منع ، ولا ينفع ذا الجدِّ منه الجدُّ » .

قال أكثم بن صيفي : جدُّك لا كدُّك .

قال أشجع السلمي :

سَبَقَ الْقَضَاءُ بِكُلِّ مَا هُوَ كَائِنٌ فَلْيَجْهَدْ الْمُتَقَلِّبُ الْمُحْتَالُ

قالوا : أسعدُ الناس : من كان القضاء له مساعداً ، وكان لذلك أهلاً ، وأشقى

الناس : من كان مشغولاً بلا دين ولا دنيا ، ولم يشقْ بأحد لسوء ظنه ، ولا وثق به أحد لسوء فعله .

قال أبو الأسود الدؤلي :

الْمَرْءُ يُحَمَّدُ سَعْيَهُ مِنْ جَدِّهِ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلِ
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ حَدُّهُ يُرْمَى وَيُقَذَفُ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلِ^(٢)

أنشد ابن الأعرابي :

الْجُدُّ أَنْهَضُ بِالْفَتَى مِنْ عَقْلِهِ فَانْهَضَ بِجَدِّ فِي الْحَوَادِثِ أَوْ ذَرِ

(١) الجد : البخت والخزوة والرزق ، والحد : المنع والدفع .

(٢) ديوانه ١٢٢ ، وفيه : يفعل مكان يعمل ، ونسباً في حماسة البحري ٢٤٦ إلى صالح بن عبد القدوس ،

وفيها ورد النظر الأول : المرء يسعى ثم يسعد جده وفيها : غيه مكان حده في البيت الثاني ، وانظر الثاني في عيون

الأخبار ١٧/٢ ، وفيه : يقرف بدل يقذف .

فَلَقَدْ يُجَدُّ الْعَرَّةُ وَهُوَ مُقَصَّرٌ وَيُجَدُّ ثُمَّ يُجَدُّ غَيْرَ مُقَصَّرٍ^(١)

وقال يزيد بن محمد المهلبى :

وَإِذَا جُدِدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ نَافِعٌ وَإِذَا حُدِدْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ ضَائِرٌ

وَإِذَا أَتَاكَ مُهَلَّبِيٌّ فِي الْوَغَى وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ فَنَعِمَ النَّاصِرُ^(٢)

قال أبو يعقوب الخريزى ، واسمه إسحاق بن حسان :

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى عَقْلِ وَلَا أَدَبٍ^(٣) إِنْ الْجُدُودَ قَرِينَاتُ الْحِمَاقَاتِ^(٤)

وقال خراش بن زهير :

وَكَانَتْ قَرِيشٌ يَفْلِقُ الصَّخْرَ جَدُّهَا إِذَا أَوْهَنَ النَّاسَ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ^(٥)

وقال الحارث بن حلزة :

عِشْ بِخَيْرٍ لَا يَضُرُّكَ النَّوْكَُ مَا لَا قَيْتَ جَدًّا

وَالنَّوْكَُ خَيْرٌ فِي ظِلِّهِ لِرِزْقٍ مِمَّنْ عَاشَ كَدًّا^(٦)

وقال آخر :

فَعِشْ فِي ظِلِّ أَنْوَكٍ حَالَفَتُهُ مَقَادِيرُهُ يُسَاعِدُهَا الصَّوَابُ

(١) نسب البيتان فى مجموعة المعانى ١٠ إلى عبدالله بن يزيد الهلالى ، وكذلك ورد البيت الأول منسوباً إليه فى حماسة البجترى ٢٤٦ ، وهما فى لباب الآداب ٣٦١ بدون نسبة ، والرواية هناك للشطر الأخير :
ويخيب جد المرء غير مقصر

(٢) الكامل ٢٠/٢ ، ووردا فى العقد الفريد ١٢٩/٢ بدون نسبة .

(٣) ساقط من ١ ، وانظره فى عبون الأخبار ١٢٤/٢ ، الأمل ٩٥/٢ .

(٤) زيادة فى م .

(٥) الأغاني ٥٠/١١ ، الشعر والشعراء ١٥١ ، حماسة البجترى ٢٤٥ ، وفيها :

فانعم بمجرك لا يضرك النوك لأن أعطيت جدًا

ذَهَابُ الْمَالِ فِي حَمْدٍ وَأَجْرٍ ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهَابٌ^(١)

قليل لزياد : ما الحظ ؟ قال : من طال عمره ، ورأى في عـدوه ما يسره فهو
خو حظ .

وكان يقال : لا حظ إلا ما أشخص عنك ما تكره ، وجلب إليك ما تحب .

قال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لَا تَعْجَبَنَّ لِأَتَمِّ نَالَ الْغِنَى مِنْ غَيْرِ كَدِّهِ
وَلِمَا قَلَّ مَا يَسْتَقِيلُ^(٢) فَكُلُّهُمْ يَسْعَى بِجَدِّهِ^(٣)

وقال امرؤ القيس :

وَقَامُ جَدِّهِمْ بَيْنِي أَيْيِهِمْ
وَبِالْأَشَقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ^(٤)

وقال عبد العزيز بن زُرَّارة الكلابي :

وَمَا لُبُّ اللَّيْبِ بِغَيْرِ حَظٍّ
بِأَغْنَى فِي الْمَعِيشَةِ مِنْ فَتِيلٍ
رَأَيْتُ الْحَظَّ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ
وَهَيْهَاتَ الْحُظُوظُ مِنَ الْعُقُولِ^(٥)

ولحسان أبو لابنه عبد الرحمن :

(١) الأول في عيون الأخبار ٣٢٩/١ ، وما في البيان ٢٤٦/٢ ، ٢٤٧ وفيه : فمش في جد أنوك .

(٢) فصل المقال ٢٣٠ ، وفيه : نال الملا .. ولما قل ما يستتب .

(٣) ساقط من ١ ، والرواية في ب : بيني على ؛ وهي خطأ ، وانظره في الديوان ٥٠ ، الأغاني ٦٧/٨ ،
الشعر والشعراء ٥٩ ، العقد الفريد ١١٧/٣ .

وقصة البيت أن امرأ القيس خرج للايقاع بيني أسد فأوقع بإخوتهم بني كنانة ، وهو يحسبهم أعداءه ،
فيقال البيت .

(٤) عيون الأخبار ٢٤٢/١ .

وإنَّ امرءًا يُنسى ويُصبحُ سالمًا من النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٌ^(١)

وقال أعرابي :

وإنَّ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا تَزُودَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدٌ^(٢)
ولبعض أهل عصرنا :

أَرَى هِمَمَ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ يُسَاعِدُهُ السَّعْدُ هَمًّا عَلَيْهِ
وَقَدْ يَفْجُزُ الْمَرْءُ ذُو الْإِحْتِيَالِ إِذَا اللَّهُ لَمْ يَقْضِ رِزْقًا إِلَيْهِ
وقال صالح بن عبد القدوس :

وَلَيْسَ رِزْقُ الْفَتَى مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ لَكِنْ جُدُودٌ بِأَرْزَاقٍ وَأَقْسَامِ
كَالْصَّيْدِ يُحْرِمُهُ الرَّامِي الْمَجِيدُ وَقَدْ يَرْمِي فَيُرْزَقُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّامِي^(٣)

ولرجل من بني قريع أول للمعلوط ، وقيل : إنها لحاتم الطائي :

مَتَى مَا يَرِ النَّاسُ الْغَنَى وَجَارُهُ فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَبَلِيدٌ
وَلَيْسَ الْغَنَى وَالْفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الْفَتَى وَلَكِنْ أَحَاطَ قُسَمَتْ وَجُدُودُ
وَكَاثِنٌ رَأَيْنَا مِنْ غِنًى مُذَمَّمٍ وَصُعْلُوكٍ قَوْمٍ بَادَ وَهُوَ حَمِيدٌ
وَمُعْطَى ثَرَاءِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ وَمَحْرُومٍ جَمَعَ الْمَالَ وَهُوَ جَلِيدٌ^(٤)

(١) الصحيح أنه لحسان ، انظر قصة بينين آخرين على قافيته لابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد في الديوان ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظره في نهاية الأرب ٦٩/٣ ، الشعر والشعراء ١٧٣ ، وقد نسبته أبو تمام في الحماسة ١٣/٢ لرجل من بني قريع .

(٢) البيت ليزيد بن الصقل العقيلي ، وهو لص كان يسرق الإبل ، ثم تاب وقتل في سبيل الله ، انظر الأمل ٦١/١ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٧٨ ، وفيات الأعيان ٤٨٤/٣ .

(٤) وردت الأبيات منسوبة للمعلوط في عيون الأخبار ٢٤٦/١ ، زهر الآداب ١٨٥/٢ ، وانظر الأبيات الثلاثة الأولى في حماسة أبي تمام ١٣/٣ ، ١٤ ، والبيتين الأولين في حماسة البحتري ٢٤٥ بغير نسبة ، وفيهما : جليل . مكان بليد .

وقال حبيب الطائي :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهْلَةَ أُمُّهَا وَلَوْدٌ وَأُمُّ الْعِلْمِ جَذَاءُ حَائِلٌ^(١)
وله أيضاً :

فَإِنِّي مَا حُورِفْتُ فِي طَلَبِ الْغِنَى وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٢)

احتاج أبو الأسود الدؤلي إلى جار له يستقرض منه ، وكان حسن الظن به ،
فاعتل عليه ودفعه ، فقال أبو الأسود :

فَلَا تَطْمَعَنَّ فِي مَالِ جَارٍ لِقُرْبِهِ فَكُلُّ قَرِيبٍ لَا يُنَالُ بَعِيدُ
وَفَوْضٌ إِلَى اللَّهِ الْأُمُورَ فَإِنَّمَا تَرُوحُ بِأَرْزَاقٍ عَلَيْكَ جُدُودُ
وَلَا تُشْعِرَنَّ النَّفْسَ يَا سَاءَ فَإِنَّمَا يَعِيشُ بِجَدٍّ عَاجِزٌ وَبَلِيدٌ^(٣)

وفي نحو هذا لبعض أهل عصرنا :

تَجَشَّمُ جَسِيمَ الْهَوْلِ فِي طَلَبِ الْمَجْدِ فَتَنِيلُ الْغِنَى بَيْنَ التَّجَشُّمِ وَالْكَدِّ^(٤)
وَدَعُ قَوْلَ ذِي جَهْلٍ يَرَى الْعَجْزَ رَاحَةً : ذَرِ الْكَدَّ فِيمَا رَمَتْهُ الْمَنَعُ بِالْجَدِّ^(٥)

وقال آخر :

تَطَلَّبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَطَلِّبًا وَبِالْجَدِّ يَسْعَى الْمَرْءُ لَا بِالتَّطَلُّبِ^(٦)

(١) ديوانه ١٢٨ ، عيون الأخبار ١٢٤/٢ . والجذاء : التي لا تدى لها ، والحائل : الناقة لم تلحق سنة أو سنوات .

(٢) ديوانه ١٤٥ .

(٣) انظر الأبيات في معجم الأدباء ٣٧/١٢ على خلاف في الترتيب ، وانظرها في ديوانه ٢٢٧ ، وفيه : جليد

مكان بليد .

(٤) ١ : في طلب الغنى ، ولا تقعدن بين الخ .

(٥) البيت ساقط من م ، وفي ب : واسع مكان المنع .

(٦) ب : بالتقلب .

كتب كسرى إلى بزرجمهر وهو في الحبس : جنت لك ثمرة العلم أن صرت به
أهلاً للقتل . فكتب إليه بزرجمهر : أما ما كان ممي الجَد فقد كنت أنتفع بثمره
العلم ، والآن إذ ولي عني الجَد ، فقد أنتفع بثمره الصبر .

قال سابق البربري^(١) :

وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
وَلَوْ أَنَّهُمْ رَزَقُوا عَلَى أَقْدَارِهِمْ
بِالْجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُرْزَقُ
أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَا تَرَى يَتَصَدَّقُ
مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
قَدْ مَاتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ^(٢)

وقال البحتري :

أَلَا لَيْتَ الْمَقَادِرَ لَمْ تَقْدَرْ
فَتَعْلَمَ أَئِنَّا يَفْئِدُو وَيُمْسِي
وَلَمْ تَكُنِ الْأَحَاطِي وَالْجُدُودُ
لَهُ هَذِي الْمَوَاصِبُ وَالْعَبِيدُ^(٣)

وقال حبيب الطائي :

يَنَالُ الْفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ
وَيُكْدِي الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ^(٤)

وقال ابن دريد :

لَا يَنْفَعُ الْعِلْمُ بِلَا جَدٍّ وَلَا
يُحْبِطُكَ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدُّ عَلَا

وقال الحسين بن أحمد :

(١) ساقط من ب .

(٢) ورد البيتان الأول والثالث في معجم الأدباء ٧/١٢ منسوبة إلى صالح بن عبد القدوس .

(٣) ديوانه ١٧٢/١ ، فأنظر أينما يضحى ويمسى .

(٤) شرح الديوان ١٨٧/١ .

بِالْجَدِّ أَجْدَى عَلَى أَمْرِي طَلَبُهُ وَمَنْ يَطْلُ حِرْصُهُ يَطْلُ تَعَبُهُ

وقال آخر:

عِشْ بِجَدِّ وَكُنْ هَبْنَقَةَ الْقَيِّ سَيِّ نَوْكَاً أَوْ شَيْبَةَ بَنِ الْوَلِيدِ
عِشْ بِجَدِّ وَلَا يَضُرَّكَ نَوْكُ إِنَّمَا عِشْ مَنْ تَرَى بِالْجَدُّودِ^(١)

هبنقة القيسي اسمه يزيد بن ثروان ، وكنيته أبو نافع ، أحد بني قيس بن ثعلبة ، وهو الذي شرد^(٢) له بعير فجعل لمن جاء به بعيرين ، ف قيل له : لم هذا ؟ قال : فأين فرحة الوجدان ؟ !

وأنشدني محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه :

لَا تَشْرَهَنَّ إِلَى دُنْيَا تَمْلِكُهَا قَوْمٌ كَثِيرٌ بِلَا عَقْلِ وَلَا أَدَبٍ
وَلَا تَقُلْ إِنِّي أَبْصَرْتُ مَا جَهِلُوا مِنْ الْإِدَارَةِ فِي مَرٍّ وَمُنْقَلَبٍ
فَبِالْجَدُّودِ هُمْ نَالُوا الَّذِي مَلَكَوا لَا بِالْعُقُولِ وَلَا بِالْعِلْمِ وَالْحَسَبِ
وَأَيْسَرَ الْجَدُّ نَحْوِي كُلِّ مُتَمَنِّعٍ عَلَى التَّمَكُّنِ عِنْدَ الْبَغْيِ وَالطَّلَبِ
وَإِنْ تَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ الَّذِينَ مَضَوْا رَأَيْتَ مِنْ ذَا وَهَذَا أَعْجَبَ الْعَجَبِ

وقال إبراهيم بن المهدي :

(١) في ب ، م : هاشم بن الوليد ، وفي عيون الأخبار ٢٤٢/١ : خالد بن يزيد ، والصحيح أن البيتين ليعلى بن المبارك اليزيدي النحوي في هجاء شيبه بن الوليد أحد أكابرة قواد المهدي ، وكان اليزيدي يناظر الكسائي بين يدي المهدي ، فانتصر عليه ، وكان شيبه حاضرا ، فهاتر اليزيدي ، فأسرهما في نفسه ، ثم قال فيه هذه الأبيات التي منها :

شيب ياشيب ياهني بني القه قاع ما أنت بالحلیم الرشيد

انظر البيان هامش ٢٧١/٢ ، الأغاني ٧٧/١٨ ، ٢٨/٢٠ ، نهاية الأرب ١٢٩/٢ ، حماسة البحتری ٢٤٦ .

(٢) في ب : ند .

قَدْ يُرْزَقُ الْمَرْءُ لَمْ تَتَّعِبْ رَوَاحِلَهُ
مَعَ أَنِّي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً
وَحَلَّةٌ قَلَّ فِيهَا مَنْ يُخَالِفُنِي
يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُمَقٍ
وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ مَنْ لَمْ يُؤْتِ مِنْ تَعَبِ
الرِّزْقِ أَرْوَعُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ
الرِّزْقُ وَالنَّوْلُ^(١) مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ
الرِّزْقِ أَوْلَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الْجَرْبِ^(٢)
وقال آخر :

مَا أَزْدَدْتُ فِي أَدَبِي حَرْفًا أُسْرُ بِهِ
إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي حِذْقٍ بِصَنَعَتِهِ
إِلَّا تَزِيدْتُ حَرْفًا فِيهِ لِي شُومٌ
أَنِّي تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مُحْرَمٌ^(٣)

وقال بكر بن النطاح :

كَفَى حَزَنًا أَنَّ الْغِنَى مُتَعَذِّرٌ
فَوَاللَّهِ مَا قَصَّرْتُ فِي نَيْلِ غَايَةٍ
عَلَى وَأَنِّي بِالْمَكَارِمِ مُغْرَمٌ
وَلَكِنِّي أَسْعَى إِلَيْهَا فَأَحْرَمٌ

وقال آخر :

لَيْسَ عَنْ حِيلَةِ الرِّجَالِ أَصَابُوا إِلَّا
مِنْهُمْ الْعَاجِزُ الْمَرْجِيُّ لَهُ الرِّزْقُ
مَالٌ بَلْ قِسْمَةٌ لَهُمْ وَجُدُودُ
رِزْقٌ وَمِنْهُمْ مُحَارَفٌ مُجْدُودٌ

قال بشار بن برد :

مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْلِ ضَعْفُ الْكَدِّ
صَادَفَ حَظًّا مَنْ سَعَى بِجَدٍّ^(٤)

(١) في ب : النول .

(٢) الأبيات في عيون الأخبار ١٢٩/٢ ، وقد سبق البيتان الأولان في ص ١٤٣ .

(٣) البيتان لإسماعيل بن إبراهيم الحمدوني وهما في نهاية الأرب ٨٧/٣ ، وانظر عيون الأخبار ١٢٤/٢ .

(٤) البيت من أرجوزته الشهيرة : ياطلل الحى بذات الصمد ، انظر المختار من شعر بشار ١٠٦ ، البيان ٢٦٢/١ .

وقال البحتري :

وَأَيْسَنِي عَلِيٌّ بِأَلَّا تَقْدُمِي مُفِيدِي وَلَا مُزِرِي عَلَى تَأْخِرِي
وَلَوْ فَاتَنِي الْمَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ بِسَمِي لَأَذْرَكْتُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّرْ^(١)

وقال الصابي :

إِذَا جَمَعْتُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةً وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَدْرِي الَّذِي هُوَ أَحْذَقُ
فَلَا تَتَأَمَّلْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا بِهِ جَرَتْ لَهُمَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تُفَرَّقُ
فَهَيْتُ يَكُونُ النَّوْكَُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يَكُونُ الْحَذَقُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقٌ^(٢)

(١) ديوانه ٥/٢ .

(٢) الأبيات في معجم الأدباء ٢ / ٨٥ ، يقيمة الدهر ٢ / ٢٦٧ .

بَابُ الْمَالِ حَمْدًا وَذَمًّا^(١)

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : « قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌ فِي حُبِّ اثْنَتَيْنِ :
حُلُولِ الْحَيَاةِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ » .

وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : « نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحَ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « إِنْ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ أَهْلَكَمَا مِنْ كَانَ قَبْلَهُمَا
وَأَيْنَهُمَا مَهْلَكَمَا » .

^(٢) وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ .
وقال أيضًا : إِنْ أَحْسَابَ أَهْلِ الدُّنْيَا اتَّتَى إِلَيْهَا يَنْتَمُونَ : الْمَالُ ^(٣) .
وقال عليه السلام : « مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أَرْسِلَا فِي حَظِيرَةِ غَنَمٍ بِأَفْسَدِهَا مِنْ حُبِّ
الْمَالِ ، وَالسَّرْفِ لِدِينِ الْمُؤْمِنِ » .

قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة : يَا بَنِيَّ عَلَيْكُمْ بِالْمَالِ وَاصْطِنَاعِهِ ،
فَإِنَّهُ مَنبَهَةٌ لِلْكَرِيمِ ، وَمُسْتَفْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ .

قال الحسن البصري : لِكُلِّ أُمَّةٍ وَثْنٌ يَعْبُدُونَهُ ، وَصَنَمٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ .
وقال الحسن : إِذَا أُرِدْتَ ^(٣) أَنْ تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ أَصَابَ الرَّجُلَ مَالُهُ ، فَانْظُرْ فِيمَ
أَنْفَقَهُ ، فَإِنَّ الْخَبِيثَ يُنْفِقُ فِي السَّرْفِ .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ب .

(٣) في ١ : أُرِمْتُ .

قال أبو ذرّ: أموال الناس تشبه الناس . وعن أبي ذر أيضاً: إنما مالك لك ،
أو للوارث ، أو للجائحة^(١) ، فلا تكن أعجز الثلاثة .

قال أكرم بن صيفي : من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره .
قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يكسب المال ليكفّ به وجهه ، ويؤدّي
به أماته ، ويصل به رحمه .

قالوا للمسيح : يا روح الله ! أخبرنا عن المال ، فقال : المال لا يخلو صاحبه من
ثلاث خلال : إما أن يكسبه من غير حله ، وإما أن يمنعه من حقه ، وإما أن يشغله
إصلاحه عن عبادة ربه .

قال الحطيئة :

وَأَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ^(٢)
وَأَنشَد ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ^(٣) :

الْمَالُ يَغْشَى رِجَالًا لَا طَبَاخَ لَهُمْ كَالسَّيْلِ يَغْشَى أَصُولَ الدُّنْدَنِ الْبَالِي
وهذا البيت في شعر لعمار الكلبي أوله :

قِفْ بِالْعَوِيرِ عَلَى أَبْلَاءِ أَطْلَالٍ كَأَنَّهَا مُحَلَّلٌ أَوْ خَطٌّ تَمَثَّلَ
الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامٍ ذَوِي حَسَبٍ وَرُبَّمَا سَادَ جِبْسُ الْقَوْمِ بِالْمَالِ

(١) في ١ ، م : للجاجة ، والجائحة : الشدة المذهبة للمال .

(٢) البيت مما نسب إلى البحتري من شعر ، انظر زيادات الديوان ٣٩٣ ، وقد نسب لعبد الله بن المخارق
الشياني في حماسة البحتري ٢٤٨ ، وانظره في لباب الآداب ٢٢ .

(٣) الأبيات التي سترد بعد وردت كلها في الحماسة لأبي تمام ٣٠٠/٢ ، ٣٠١ على خلاف في الترتيب منسوبة
لحسان بن ثابت ، وكذلك ورد البيت الأول له في اللسان ، وعقب عليه بأنه ورد أيضاً في شعر لحية بن خلف
الطائي ، وانظره في عيون الأخبار ٢٤٧/١ .

ومعنى الدندن : السود من الكلاء لقدمه ويسه ، ويروي : ويقتدى بلثام الأصل أنذال مكان وربما ساد .. الخ .

وفيه يقول :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدْنِسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ

الجبس : اللئيم . وقوله : لا طباح لهم : أى لا قوة ولا طاقة ، قاله الخليل .

وقال فضالة بن زيد العدواني :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا الْمَالُ فَاحْمَدُ فُضُولُهُ وَلَا تُهْلِكُنْهُ فِي الضَّلَالِ فَتَنْدُمِ
إِذَا جَلَّ خَطْبُ صُلْتِ بِالْمَالِ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ مِنْ أَرْضٍ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
وَهَابَكَ أَقْوَامٌ وَإِنْ لَمْ تُصِبْهُمْ بِنَفْعٍ وَمَنْ يَسْتَفْنِ يُحْمَدُ وَيُكْرَمِ
وَيُعْطَى الَّذِي يَبْغِي وَإِنْ كَانَ بَاخِلًا بَمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ مَتَاعٍ وَدِرْهَمِ

وقال لمبيد :

وَمَا الْبِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التَّقَى وَمَا الْمَالُ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ وَدَائِعِ^(١)

وقال حاتم الطائي^(٢) :

لَعَمْرُكَ مَا يُبْغِي الثَّرَاءُ عَنِ الْفَقَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
أَمَاوِيَّ إِنْ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِحُ وَيَبْقَى مِنَ الْمَالِ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ

وقال الشماخ :

لِمَالِ الْمَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُبْغِي مَفَاقِرُهُ أَعْفُ مِنْ الْقُنُوعِ^(٣)

(١) الشعر والشعراء ٢٣٦ ، الأغاني ١٥/٢٧٣ .

(٢) ديوانه ٣٩ ، وفيه : أماوى مكان لعمرك ، الشعر والشعراء ١٩٩ ، معجم الأدباء ٥/٣٦٧ .

(٣) ديوانه ٥٦ ، حماسة البحري ٣٤٤ ، وفيها : لحفظ المال يصلحه فيبغى .

وقال المتلمس :

لَحِظْ الْمَالَ أَيْسَرُ مِنْ بِنَاءِ وَضَرْبِكَ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادٍ
قَلِيلُ الْمَالِ تُصْلِحُهُ قَيْبِي وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ^(١)

وقال آخر :

وَاطْلُبِ الْمَالَ بِحِرْصٍ وَاسْرِعِ الْمَشَى إِلَيْهِ
كُلُّ مَنْ كَانَ غَنِيًّا سَلَّمَ النَّاسُ عَلَيْهِ
وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا فَقَدَ الْبِرَّ لَدَيْهِ^(٢)
وَتِيَابُ الْمَرْءِ أَعْوَانٌ^(٣) لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ^(٤)

وقال آخر :

إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّ صَفَاؤُهُ وَضَاقَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ وَسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يَذَرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا أَقْدَامُهُ خَيْرٌ لَهُ أُمٌّ وَرَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ لَمْ يَرْضَ عَقْلَهُ بَنُوهُ وَلَمْ يَفْضَبْ لَهُ أَوْلِيَاؤُهُ
فَإِنْ مَاتَ لَمْ يُفْقَدْ وَلَمْ يَحْزَنْوْا لَهُ وَإِنْ عَاشَ لَمْ يَسْرُرْ صَدِيقًا بَقَاؤُهُ^(٥)

وقال أبو اليقظان : ما ساد في الجاهلية مملق إلا عتبة بن ربيعة .

(١) الأغاني ١٣٦/٢١ ، فصل المقال ٢٢٩ نهاية الأرب ٦٤/٣ ، المحاسن والمساوي ١٤٦/٢ ، العقد ١٤٠/٣ .

(٢) في ب : زهدوا فيما لديه .

(٣) في أ : حلوان له .

(٤) لباب الآداب ٢١٢ ، مجموعة المعاني ١٧ ، والأبيات ساقطة من م .

(٥) ورد البيت الأول فقط في التمثيل والمحاضرة غير منسوب لقائل ، وورد في لباب الآداب ٢٨٥ منسوباً إلى

صالح بن عبد القدوس .

وقال محمد بن منذر :

رَضِينَا قِسْمَةَ الْجَبَّارِ فِينَا لَنَا حَسَبٌ وَلِلثَّقَفِيِّ مَالٌ^(١)

وقال المعلوط :

وَمَا سَوَّدَ الْمَالُ الدُّنْيَاءَ وَلَا دَنَا لِذَاكَ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يَسُودُ

وقال عروة بن الورد :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتَرًا مِنْ الْمَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ
لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً وَمُبْلَغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

هذان البيتان أنشدهما ابن قتيبة لأوس بن حجر ، وخالفه حبيب وغيره
فأنشدهما لعروة^(٢) .

وقال عروة بن الورد :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ شَكَ الْفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا
وَصَارَ عَلَى الْأَذْنَيْنِ كَلًّا وَأَوْشَكَتْ صَلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا^(٣)

وقال منصور الفقيه :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ وَهَى^(٤) نَعْلَهُ أَوْ بَاعَ فِي السُّوقِ خَفَّهُ
وَلَمْ يَكُ مَأْمُونًا عَلَى مَالٍ جَارِهِ إِذَا مَا رَأَاهُ خَالِيًا أَنْ يَلْفَهُ

(١) عيون الأخبار ١/٣٤٦ ، وفيها : رَضِينَا قِسْمَةَ الرَّحْمَنِ ... الخ . ، وانظر الشعر والشعراء ٨٤٧ .
(٢) البيتان في ديوان عروة ٨ ، وفي نهاية الأرب ٣/٦٥ ، حماسة أبي تمام ١/١٨٤ ، ١٥٨ ، الأمل ٢/٢٣٤ ،
ونسبهما ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/٢٣٨ لأوس بن حجر كما ذكر المصنف .
(٣) ديوانه ١٩ ، ٢٠ .
(٤) في ب ، م : رهن ، ولا يستقيم معها الوزن .

وقال الفرزدق :

والمالُ بَعْدَ ذَهَابِ الْمَالِ يُكْتَسَبُ^(١)

قال إبراهيم النخعي : إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال .

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي الفقيه :

أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الرَّائِثِ
سَاحِبِسُ مَالِي عَلَى حَاجَتِي وَأَوْثَرُ^(٢) نَفْسِي عَلَى الْوَارِثِ^(٣)

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي
فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي لِبُخْلِ وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَقَالِي^(٤)

وقال أعرابي :

إِذَا مَا الْفَتَى لَمْ يَبِغْ إِلَّا لِبَاسِهِ
يَذْكُرُنِي صَرَفَ الزَّمَانِ^(٥) وَلَمْ أَكُنْ
فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرْبَ مَجْلِسِي
فَذَرَنِي أَجُولُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّهُ
وَمَطْعَمُهُ فَالْخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ
لَا هَرَبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ
وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ
يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُسَاءُ حَسُودُ^(٦)

(١) ديوانه ٩٧ ، نهاية الأرب ٧٢/٣ ، وصدر البيت : يمضى أخوك فلا تأنى له خلفاً .

(٢) في ب : وآثر .

(٣) عيون الأخبار ١٨٠/٣ بدون نسبة .

(٤) عيون الأخبار ٢٤٠/١ ، خماسة أبي تمام ٣٥/٢ ، ٢٦ .

(٥) في أ : خوف المنايا .

(٦) الأبيات لأعرابي كان يمنع أبوه من التصرف لشفاقاً عليه فرد عليه بها انظر عيون الأخبار ٢٣٨/١ ،

أمالي النالي ١٢٦/٢ وفيها : لعاني أسر صديقا .

وقال آخر :

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَمْسَكَتَهُ فَإِذَا أَنْفَقْتَهُ فَلَمَالُ لَكَ^(١)

وقال قيس بن عاصم :

سَأُودِعُ مَالِي الْحَمْدَ وَالْأَجْرَ كُلَّهُ فَلَا أَجْرُ فِي الدُّنْيَا وَلَا الْحَمْدُ دَائِمٌ
فَرِحْتُ بِمَا قَدَّمْتُ مِنْهُ وَإِنِّي عَلَى حُسْنِ مَا أَخَّرْتُ مِنْهُ لَنَادِمٌ
كان يقال : شر مالك ما لزمك إثم مكسبه ، وحرمت لذة إنفاقه .

قال الشاعر :

ذَهَابُ الْمَالِ فِي حَمْدٍ وَأَجْرٍ ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهَابٌ^(٢)

وقال آخر :

وَحَفِظُكَ مَالًا قَدْ غُنَيْتَ بِجَمْعِهِ أَشَدُّ مِنْ الْمَالِ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

قال جعفر بن محمد رحمه الله^(٣) : من نقله الله من ذل المعصية إلى عز الطاعة أغناه
بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزه بلا عشيرة .

قال محمود الوراق :

هَآكَ الدَّلِيلَ لِمَنْ أَرَا دَغْنِي يَدُومٌ بَغِيرِ مَالٍ
وَأَرَادَ عِزًّا لَمْ تُوْطَّ لَهُ الْعِشَائِرُ بِالْقِتَالِ

(١) عيون الأخبار ١٨١/٣ ، العقد الفريد ١٠٧/٣ .

(٢) سبق مع بيت آخر ص ١٨٩ .

(٣) في ١ : محمد بن جعفر رحمه الله .

وَمَهَابَةٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ طَائِنٌ وَجَاهًا فِي الرِّجَالِ
فَلْيَمْتَصِمِ بِدُخُولِهِ فِي عِزِّ طَاعَةِ ذِي الْجَلَالِ
وَاخْرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةٍ أَوْ حَاصِي لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ^(١)

وقال النمر بن تولب:

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ رَغِيْبَةً إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ النِّسَاءِ قَبِيحٌ
فَلَمَّا لُ فِيهِ تَجَلَّةٌ وَمَهَابَةٌ وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضُوحٌ^(٢)

وقال آخر:

وَيُزْرِي بِمَقَارِ الْمَرْءِ قَلَّةُ مَالِهِ تُحْمَقُهُ الْأَقْوَامُ وَهُوَ لَيْبٌ^(٣)

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

رُبُّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ لِي وَجْهٌ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ^(٤)

وقال الخريجي وهو أبو يعقوب:

الْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنِعْتَ بِهِ قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ

وقال أمية بن أبي الصلت:

إِذَا كَتَسَبَ الْمَالُ الْفَقْرَ مِنْ وَجْهِهِ وَأَحْسَنَ تَذْيِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
وَمَيَّزَ فِي إِنْفَاقِهِ مَا بَيْنَ مُصْلِحٍ مَعِيشَتَهُ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

(١) في م: ها أنا بدل هاك ، وفي طاعة الله ذي الجلال بدل في عز طاعة الخ .

(٢) عيون الأخبار ٢٣٨/١ . وفيها غنيمة بدل رغبة ، والعيال بدل النساء ، وقبوح بدل فضوح .

(٣) أنشده ابن الأعرابي في عيون الأخبار ٢٤٠/٣ .

(٤) ديوانه ١٠٠ ، نهاية الأرب ٦٩/٣ ، معجم الأدباء ١٠/٢٠ .

وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الْحُقُوقِ وَلَمْ يُضِغْ بِهِ الذُّخْرُ زَادًا لِتِي هِيَ أَنْفَعُ
فَذَاكَ الْفَتَى لَا جَامِعُ الْمَالِ ذَاخِرًا لِأَوْلَادٍ سُوءٍ حَيْثُ جَاءُوا وَأَرْضَعُوا^(١)

وقال كثير:

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ صَنِيعَةً نَعَمَى أَوْ خَلِيلٌ تَوَامِقَهُ
بَخِلْتَ وَبَعْضُ الْبَخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتَلِكْ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقَهُ^(٢)

وقال محمود الوراق:

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَالِ أَرْفَعَ لِلنَّذْلِ
وَلَمْ أَرْ عِزًّا لِأَمْرِي كَعَشِيرَةٍ وَلَمْ أَرْ ذُلًّا مِثْلَ نَائِي عَنِ الْأَهْلِ
وَلَمْ أَرْ مِنْ عُدْمٍ أَضْرَّ عَلَى الْفَتَى إِذَا عَاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ^(٣)

وقال آخر:

الْفَقْرُ يُزِرِّي بِأَقْوَامِ ذَوِي حَسَبٍ وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ^(٤)

وقال محمود الوراق:

أَرَى دَهْرَنَا فِيهِ عَجَائِبُ جَهَّةٍ إِذَا اسْتَعْرِضْتَ بِالْعَقْلِ ضَلَّ لَهَا الْعَقْلُ
أَرَى كُلَّ ذِي مَالٍ يَسْوَدُ بِمَالِهِ وَإِنْ كَانَ لَا أَصْلَ هُنَاكَ وَلَا فَصْلُ

(١) ديوانه ٩٢ .

(٢) الشعر والشعراء ٤٩٨ ، وفيه : صنيعة تقوى أو صديق ، زهر الآداب ٢/٢٤٧ ، وفيه : فلم يهتملك ، الكامل ٢٠٦/١ ، ويفتلك أي يقطعه منك

(٣) الأبيات في عيون الأخبار ٩١/٣ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، الكامل ١/١٨٤ ، والبيت الثاني في البيان ٢٤٦/١ .

(٤) عيون الأخبار ١/٢٣٩ بدون نسبة .

وَأَخْرَ مَنْسُوبًا إِلَى الرَّأْيِ خَامِلًا وَأَنْوَكَ مَخْبُولًا لَهُ الْجَاهُ وَالنَّيْلُ
وَمَا الْفَضْلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ لِأَهْلِهِ وَلَكِنَّ ذَا الْمَالِ الْكَثِيرِ لَهُ الْفَضْلُ
فَشَرَّفَ ذَوِي الْأَمْوَالِ حَيْثُ لَقِيَتْهُمْ فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمْ فِعْلٌ^(١)

ومما ينسب إلى محمود ، وأظنها لنيره وهو أبو عبد الرحمن العَطَوِي :

دَعِ الرِّيَاءَ لِمَنْ لَبَّجَ الرِّيَاءَ بِهِ فِي الْأَمْرِ بِالْبَذْلِ وَاذْكُرْ ذِلَّةَ الْعَدَمِ
وَمُتْ عَلَى الدَّرْهِمِ الْمَنْقُوشِ مَوْتًا فَتَى رَأَى الْمَمَاتَ عَلَيْهِ أَكْرَمَ الْكَرَمِ
وَعَدَّ عَنْ ذَا وَعَنْ هَذَا وَقَوْلَهُمْ الذِّكْرُ يَبْقَى وَتَفْنَى لَذَّةُ النَّعْمِ
لَوْ لَا غِنَاكَ لَكُنْتَ الْكَلْبَ عِنْدَهُمْ فَإِنْ أَيْتَ فَجَرَّبُ وَاشْقَ بِالنَّدَمِ^(٢)

وقال أبو العتاهية :

وَالنَّاسُ^(٣) حَيْثُ يَكُونُ الْمَالُ وَالْجَاهُ^(٤)

(١) الأبيات ماعدا الأول في العقد الفريد ٣/٣٠ ، وفيه : يبر للماله مكان يسود بماله في البيت الثاني .

(٢) وردت الأبيات في محاضرات الأدباء ١/٢٩١ ، منسوبة إلى أبي علي المحمودي .

(٣) ب : والمال .

(٤) لم أعثر عليه في ديوانه المطبوع .

بابُ جَامِعِ الْقَوْلِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : « اَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَاَعْمَلْ بِمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَاجْتَنِبْ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكَ تَكُنْ أَوْزَعَ النَّاسِ » .

وقال عليه السلام : « ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ ، إنما الغنى غنى النَّفْسِ » .
وفي الحديث المرفوع : « الفقرُ أزين للمؤمن من العِذارِ ^(١) على خدِّ الفرس » .
وقد أتينا في معنى الفقر والغنى ، والمقدار المحمود في ذلك عند العلماء بدلائل السنن ، وأقاويل السلف ، بما فيه كفايةٌ وتبصرة وشفاءٌ لما في الصدور في موضعه من كتاب « بيان العلم » والحمد لله .

قال أوسُ بن حارثة : خيرُ الغنى القناعة ، وشرُّ الفقر الضَّراعة ^(٢) .

قال فضيلُ بن عياض : إنما الفقر والغنى بعد العَرَضِ على الله .

أنشدنا الرياشي :

ما شِقْوَةُ المرءِ بِالْإِقْتَارِ تُقْتِرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْثَارِ
إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنَزِلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ ^(٣)

قال جعفرُ بن محمد : العز والغنى يجولان في الأرض ، فإذا أصابا موضعاً يدخله التَّوَكُّلُ أو طناه .

(١) العذار : ماسال على خد الفرس من اللجام .

(٢) ب : الخضوع .

(٣) البيتان لصخر بن حبياء كما في الكامل ١/٦٢ ، ٦٣ .

كان يقال : الشكرُ زينةُ الغنى ، والمفافُ زينةُ الفقر .

وقالوا : حقُّ الله واجبٌ في الغنى والفقر ، ففي الغنى العطفُ والشكر ،

وفي الفقر المفافُ والصبر .

كان يقال : سوءُ حملِ الغنى يُورثُ مَقْتًا ، وسوءُ حملِ الفاقة يَضَعُ شرفًا .

كان يقال : الغنى ^(١) في النفس ، والشرف في التواضع ، والكرم في التقوى .

أنشدنا الرياشي :

وَيَيْنَا الْفَتَى فِي الْفَقْرِ إِذْ صَارَ فِي الْغِنَى
كَذَاكَ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالْفَتَى
وَيَيْنَا الْفَتَى فِي الْبُؤْسِ إِذْ صَارَ فِي الْخَفْضِ
فَنَبْرِمُ أَحْيَانًا وَتُسْرِعُ فِي النَّقْضِ

وقال آخر :

قَدْ أَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ عِيٍّ
فَمَا عَادُوا عَلَى جَارٍ بِخَيْرٍ
كَذَاكَ الْمَالُ يُنْطِقُ كُلُّ عِيٍّ ^(٢)
أَنَامًا طَالَمَا كَانُوا سُكُوتًا
وَلَا رَفَعُوا لِمَكْرُمَةٍ يُؤْتَا
وَيَتْرُكُ كُلُّ ذِي حَسَبٍ صَمُوتًا

^(٣) وقال آخر :

نَطَقَتْ مُذِ اسْتَفَدْتَ الْمَالَ حَتَّى
وَشَجَعَكَ الَّذِي قَدْ كَانَ قِدْمًا
كَأَنَّكَ عَالِمٌ ذَلِقُ اللِّسَانِ
يُسَمِّيكَ الْجَبَانَ ابْنَ الْجَبَانَ ^(٣)

(١) : الغز .

(٢) ب : غث .

(٣) ساقط من أ .

وقال محمود الوراق

الْفَقْرُ فِي النَّفْسِ وَفِيهَا الْغِنَى وَفِي غِنَى النَّفْسِ الْغِنَى الْأَكْبَرُ^(١)

وقال حماد الراوية : أفضل بيت من الشعر قيل في الأمثال :

يَقُولُونَ يَسْتَغْنِي وَوَاللَّهِ مَا الْغِنَى مِنْ الْمَالِ إِلَّا مَا يُعِفُّ وَمَا يَكْفِي^(٢)

ولمحمود الوراق أيضاً :

صَاحِبُ الْبُسْرِ يَرْقُبُ الْعُسْرَ وَالْمَهْ سِرُّ فِي دَهْرِهِ يَرَأِبُ يُسْرًا
لَيْسَ خَلْقٌ لَهُ عَلَى اللَّهِ حَقٌّ إِنَّمَا حَقُّهُ عَلَى النَّاسِ طُرًّا
لَا يَحِبُّ^(٣) الْغِنَى فِيمَا أَتَاهُ لَا وَلَا يَظْلِمُ الَّذِي مَاتَ فَقْرًا^(٤)
يَمْنَعُ اللَّهُ عَبْدَهُ نَظْرًا مِنْهُ وَيُسْنِي لَهُ الْعَطِيَّةَ مَكْرًا
لَيْسَ مِنْ بُخْلِهِ يُنْقِصُ ذَا الْفَقْرِ وَلَمْ يُعْطِ ذَا الْغِنَى الْمَالَ قَسْرًا

قال عبد الله بن الأَهم : من ولد في الفقر أبطره الغنى .

كان يقال : خصلتان مذمومتان : الاستطالة مع السَّخاء ، والبطر مع الغِنَاء .

كان يقال : لا تدعُ على ولدك بالموت ، فإنه يُورث الفقر .

قال أعرابيٌّ من باهلة :

سَأَعْمَلُ نَصَّ الْعِيسِ^(٥) حَتَّى يَكْفِيَنِي غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الْحَدَثَانِ

(١) العقد الفريد ٢٠٧/٣ .

(٢) البيت مما ينسب إلى الخطيئة من شعر ، انظر زيادات الديوان ٢٢٠ .

(٣) ١ : لم يحب ، ب : لا يخاف .

(٤) ١ : حرا .

(٥) نص العيس : استخراج أقصى ما عنده من مير .

فَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا عَلَى الْحُرِّ بِالْإِقْلَالِ^(١) وَنَسَمُ هَوَانٍ

كَأَنَّ الْغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الْغِنَى بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ^(٢)

وقال يحيى بن حَكَم الغَزَال،^(٣) وتروى لغيره ابن المعتز، أو غيره^(٤):

إِذَا كُنْتُ ذَا ثَرَوَةٍ مِنْ غِنَى فَأَنْتَ الْمُسَوَّدُ فِي الْعَالَمِ

وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبِ صُورَةٍ تُخَبِّرُ أَنَّكَ مِنْ آدَمَ^(٥)

وللغزال أيضاً:

إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَصْنَافَ الدَّرَرِ فَمَرَّةً حَلَوُ وَأَحْيَانًا مِقْرَ^(٥)

وَعَلَقَمًا حِينًا وَأَحْيَانًا صَبْرٍ وَجُلُّ مَا يَسْقِيكَ الدَّهْرُ كَدْرٌ

فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنَ الْفَقْرِ أَمَرَّ أَلَا تَرَى أَكْثَرَ مَنْ فِيهَا يَفِرُّ

مَخَافَةَ الْفَقْرِ إِلَى نَارٍ سَقَرُ

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْقَبْرَ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ لِمَنْ كَانَ ذَا يُسْرِ وَعَادَ إِلَى عُسْرِ

ولعروة بن الورد:

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْمَى قَائِي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

(١) ب: على المرء ذى العلياء .

(٢) إعتاب الكتاب ٢١٧ ، عيون الأخبار ٢٢٩/١ ، البيان ٢٣٨/٢ ، الكامل ١٨٤/١ ، زهر الآداب

٥٦/٤ ، وفيه : وإن الفتى في أهله يرزق الغنى بغير لسان ٠٠٠ الخ ، العقد الفريد ٢٩/٣ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) التمثيل والمعاصرة ٢٩٢ ، ونسبها لابن المعتز ولا توجد في ديوانه .

(٥) المقر : الحامض أو المر .

وَأَحْقَرُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
 مُبَاعِدُهُ الْخَلِيلُ وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
 وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
 قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ^(١)
 وقال آخر :

رَأَيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِي وَأَكْثَرَتِ الْغَرَامَةُ^(٢) وَدَعَّوْنِي
 فَلَمَّا أَنْ غَنَيْتُ وَثَابَ وَفَرِيَ إِذَا هُمْ - لَا أَبَلَكَ - رَاجِعُونِي^(٣)

وقالوا : بقدر ما يعطى الغنى من الإيسار ، يعطى من الإجلال ، وبقدر ما ينزل
 بالفقر من فقر يذهب بهأوه وتتضع منزلته ، حتى يتهمه من كان يأمنه ، ويسبيء
 به الظن من كان يثق به . ومحاسن الغنى مساوىء الفقر ، إذا كان جواداً قالوا :
 مبذر ، وإن كان لسنناً قالوا : مهذار ، وإن كان شجاعاً ، قالوا : أهوج ، وإن
 كان حليماً صموتاً ، قالوا : عيى بليد ، وكل شئ هو للغنى مدح هو للفقر ذم .
 قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَالَ قَدْ يَجْمَلُ الْفَتَى سَنِيًّا وَإِنَّ الْفَقْرَ بِالْمَرْءِ قَدْ يُزْرِى
 فَمَا^(٤) رَفَعَ النَّفْسَ الدَّيْدَةَ كَأَغْنَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الْكَرِيمَةَ كَالْفَقْرِ^(٥)

(١) يروى : وأبعدهم وأهونهم ، وإن أمسى له حسب ، ويقصيه الندى ، وينكره الصغير ، قليل ذنبه والذنب ،
 انظر الأبيات في ديوان عروة ٢٠ ، معجم الأدباء ١٨٣/٦ ، البيان ٢٣٨/٢ ، عيون الأخبار ٢٤١/١ ، محاضرات
 الأدباء ٢٤٢/١ ، العقد الفريد ٢٩/٣ .

(٢) ب : الملاة .

(٣) البيان والتبيين ٣٩٩/٣ .

(٤) ١ : ولا .

(٥) المستطرف ٥٤/٢ .

وقال حبيب :

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالَسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْمَالِي^(١)
وللمغيرة بن حبناء :

وَمَا الْفَقْرُ يُزْرِى بِالرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى وَلَكِنْ قُلُوبُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ تَقْدَحُ
وقال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ وَأَيُّقِنَ أَنَّا لَاحِقَةٌ بِقَيْصَرَا
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا نَحَاوِلُ مُلْكًا أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا^(٢)
وقال أبو العتاهية :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى فَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعُيُونِ جَلِيلُ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرْءِ رَغَبَتْ^(٣) إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ يَعِيلُ^(٤)
وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْفَتَى عَشِيَّةَ يَقْرَى أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ^(٥)
وقال الصِّلَتَانِ الْعَبْدِيُّ^(٦) :

إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أَرُونِي السَّرَى أَرَوْكَ الْغِنَى
وقال ابن سعدان^(٦) :

-
- (١) ديوانه ١٢٣ ، نهاية الأرب ٩١/٣ ، زهر الآداب ٣٥/٤ .
(٢) ديوانه ٦٦ ، عيون الأخبار ٢٣٦/١ ، الشعر والشعراء ٦٢ ، معجم الشعراء ٢٠٠ .
(٣) ساقط من أ .
(٤) ديوانه ٢٢١ ، العقد الفريد ٣٠/٣ ، والبيتان الأول والثالث في حاسة أبي تمام ٢٨٥/٢ .
(٥) قثم بن خببة العبدي ، شاعر حكيم ، توفي نحو سنة ٨٠ هـ ، انظر في ترجمته وأشعاره : سمط اللآلي ٥٣٦ ، ٧٦٦ ، والمؤلف ١٤٥ ، الشعر والشعراء ١٩٦ (الأعلام ٢٩/٦) ، وانظر البيت في عيون الأخبار ٢٤١/١ ، الشعر والشعراء ٤٧٩ .
(٦) هو محمد بن سعدان الكوفي ، محدث فقيه عالم بالقراءات ، توفي سنة ٢٣١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٣٢٤/٥ ، بغية الوعاة ٤٥ (الأعلام ٨/٧) .

فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي أَتُصْبِحُ أَمْ تُمَسِي
يَكُونُ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ

تَقْنَعُ بِمَا يَكْفِيكَ وَالْتِمِسِ الرِّضَا
فَلَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ إِنَّمَا

وقال بكر بن أذينة :

وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرُ النَّفْسِ مَسْكِينُ

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنَى النَّفْسِ نَعْرِفُهُ

وقال محمود الوراق :

وَجَرَّبْتُ حَالِيهِ عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
وَلَمْ أَرَ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرًّا مِنَ الْفَقْرِ

لَبِستُ صُرُوفَ الدَّهْرِ كَهْلًا وَنَاشِئًا
فَلَمْ أَرَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنَ الْغِنَى

ولمحمود الوراق :

عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرُ
عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ
وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كَيْ تَتَفَقَّرُ^(٢)

يَا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلَا تَزْدَجِرُ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ^(١)
أَنَّكَ تَعْصِي كَيْ تَنَالَ الْغِنَى

وفي رواية أخرى :

وَلَسْتَ تَعْصِي اللَّهَ كَيْ تَتَفَقَّرُ

أَنَّكَ تَعْصِي اللَّهَ تَرْجُو الْغِنَى

وقال آخر :

فَإِنَّ الْغِنَى لِلْمُتَّقِينَ^(٣) قَرِيبُ

وَلَا تَعِدْنِي الْفَقْرَ يَا أُمَّ مَالِكٍ

(١) ب : فماله .

(٢) عيون الأخبار ٢٤٩/١ العقد الفريد ٢٠٩/٣ والبيان الثاني والثالث في محاضرات الأدباء ٢٤٧/١ .

(٣) ب : للمتقين .

وهذا مأخوذ والله أعلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « يقول الله يا ابن آدم أنفق أنفق عليك » .

وقال بعض الحكماء في ذم الغنى : طالبُ الغنى طويلُ العناء ، دائمُ النصب ، كثيرُ التعب ، قليلُ منه حظُّه ، خسيسُ منه نصيبه ، شديدُ من الأيام حذره ، ثم هو بين سلطان يرحاه ، ويفقر^(١) عليه فاه ، وبين حقوق تجب عليه ، يضعف عن^(٢) منعها ، وبين أكفاء وأعداء ينالونه^(٣) ويحسدونه ويبغون عليه ، وأولاد يملأونه^(٤) ويودون موته ، ونوائب تعتريه وتحزنه .

وقال بشر بن المعتمر المتكلم :

وَإِذَا الْجَهْلُ رَأَيْتَهُ مُسْتَفْنِيًا أَعْيَا الطَّيِّبَ وَحِيلَةَ الْمُحْتَالِ^(٥)

وقال الخليل بن أحمد :

مَا أَشْمَجَ النَّسْكَ بِسَالِ^(٦) وَأَقْبَحَ الْبُخْلَ بِذِي الْمَالِ
مَنْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى أَهْلِهِ هَانَ عَلَى ابْنِ الْعَمِّ وَالْحَالِ
مَا وَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي وَرْطَةٍ^(٧) أَزْرَى بِهِ مِنْ رِقَّةِ الْحَالِ^(٧)

قيل لبعض الحكماء : ما بالنا نجد مَنْ يطلبُ المالَ من العلماء أكثرَ ممن

(١) : ويعض .

(٢) ب : يعقت على .

(٣) : يغتابونه .

(٤) ب : وولد يذمونه .

(٥) البيت في البيان والتبيين ٣/ ٢٤٧ .

(٦) ١ : بتسأل .

(٧) زيادة من ب .

يطلبُ العلمَ من ذوى الأموال ؟ قال : لمعرفةِ العلماءِ بمنافعِ المالِ ، وجَهْلِ ذوى الأموالِ بمنافعِ العلمِ .

قال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَقْرَ يُزْرِى بِأَهْلِهِ وَأَنَّ الْغِنَى فِيهِ الْعَلَا وَالتَّجَمُّلُ

قال أحيحة بن الجلاح :

اسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ إِنَّ الْغِنَى مَنْ (١) اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ
وَالْبَسْ عَدُوَّكَ فِي رَفَقٍ وَفِي دَعَا لِبَاسِ ذِي إِرْبَةٍ لِلدَّهْرِ كَبَّاسِ

(١) ب : الذى . والبيتان فى لباب الآداب ٣٥٦ والثانى منهما فى حماسة البحتري ٩ ، وفيها : أطوار ذى
لربة .. الخ . والإربة بالسكسر : الدهاء والمكر .

بَابُ الدِّينِ

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أ رأيتَ إن قُتِلْتُ في سبيل الله مقبلاً غير مُدبر ، أ يكفر الله عني خطاياي ؟ قال : « نعم . إلا الدين ، بذلك أخبرني جبريلُ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « صاحبُ الدين محبوبٌ من الجنة بِدينه » .
وقال عليه السلام — بعد ^(١) أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين ^(٢) — : « من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك ديناً فعلى » .

كان يقال : لا ثم إلا ثم الدين ، ولا وجع إلا وجع العين . وقد روى هذا القول عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجه ضعيف .

قال عمرُ بن الخطاب : إياكم والدين ، فإن أوله ثم وآخره حرب .

قال جعفر بن محمد : المستدينُ تاجر الله في الأرض .

قال عمر بن عبد العزيز : الدينِ وقرُّ طالما حملة الكرام .

قال عمرو بن العاص : من كثر صديقه كثر دينه .

قيل لمحمد بن المُنكَدِر : أ تحبُّ وعليك الدين ؟ قال : الحج أقضى للدين . يريد الدعاء فيه ، والله أعلم .

كان يقال : الدين رِقٌّ ، فليَنظُرْ أحدكم أين يضع رقه .

كان يقال : الأذلة أربعة : النَّمَامُ ، والكذابُ ، والفقيرُ ، والمديان .

كان يقال : حُرِّيَّةُ المسلم كرامته ، وذُلُّه دِينُهُ ، وعذابه سوء خلقه .

كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يعامل الناس بالعينَة^(١) ،
فإذا حانت دراهمه ركب حماراً يقال له شارب الريح ، فيقف على غرماه
فيقول :

بَنُو عَمَّنَا أَذُوا الدَّرَاهِمِ إِنَّمَا يَفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدَّرَاهِمِ^(٢)

وقال آخر :

فَأَنْشَأَنُ دَيْنِي إِذْ يَحُلُّ عَلَيْكُمْ لَعَرَضٍ فَمَا أَدَيْتِ نَقْداً وَلَا عَرْضاً
لَعَرَضٍ فَمَا أَدَيْتِ نَقْداً وَلَا عَرْضاً أَمَانِي مَا لَأَقْتَ سَمَاءً وَلَا أَرْضاً
فَلَوْ كُنْتُ تَنْوِينُ الْقَضَاءِ لَدَيْنِنَا لَأَنْسَأْتُ^(٣) لِي بَعْضاً وَعَجَّلْتُ لِي بَعْضاً^(٤)

قال أبو عثمان المازني : سمعت معاذ بن معاذ ، وبشر بن المفضل ينشدان هذين

البيتين لمجنون بنى عامر :

طَمِعْتُ بِلَيْلِي أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا تَقَطَّعُ أَغْنَاكَ الرَّجَالِ الْمَطَامِعُ
وَدَايَنْتُ لَيْلِي فِي خَلَاءٍ وَلَمْ يَكُنْ شُهُودٌ عَلَيَّ لَيْلِي عُدُولٌ مَقَامِعُ^(٥)

(١) العينة : أى تعيين وقت لاستقضاء الدين .

(٢) انظر الحر والبيت في عيون الأخبار ١/ ٢٥٦ .

(٣) ب، م : لأنسأتكم .

(٤) محاضرات الأدباء ١/ ٢٢٩ .

(٥) نسب البيتان في نهاية الأرب ٨/ ٢٢ ، لباب الآداب ٣٢٢ ، أمالي القالي ١/ ١٦٩ إلى البيت المجاشعي ،

وهما في محاضرات الأدباء ١/ ٩٦ ، والأول في حماسة البحرى ٢٠٢ بغير نسبة ، وترجى : ترجع إلى سابق عهدها .

وقال آخر أنشد ابن الزبير :

أَلَا لَيْتَ النَّهَارَ يَمُودُ كَيْلًا فَإِنَّ الصُّبْحَ يَأْتِي بِالسُّمُومِ
حَوَائِجُ مَا نَطِيقُ لَهَا قَضَاءً وَلَا دَفْعًا وَرَوَعَاتُ^(١) الْغَرِيمِ

كان يقال : الدِّينُ هُمُ بِاللَّيْلِ وَذَلِ النَّهَارُ ، وإذا أراد الله أن يذل عبده جعل في عنقه ديناً .

وقال آخر :

إِنَّ الْقَضَاءَ سَيَأْتِي دُونَهُ زَمَنٌ فَاطُوا الصَّحِيفَةَ وَاحْفَظْهَا مِنَ الْفَارِ^(٢)
قال كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة :

قَضَى كُلُّ ذِي دِينَ فَوْقَ غَرِيمِهِ وَعَزَّةُ تَمْطُولُ^٣ مَعَنَى غَرِيمِهَا^(٣)
أنشدنا الصولي لسلیمان بن وهب متمثلاً :

مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دِينِي عَلَيْهِمَا مَلِيَّانِ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيَانِي
خَلِيلِي أَمَّا أَمْ عَمِرُوا فَفِيهِمَا وَأَمَّا عَنِ الْآخِرَى فَلَا تَسْلَانِي^(٤)

(١) ب : روغات .

(٢) البيت لأعرابي يدعى أبا النباش العقيلي ، أخذ مالا من تاجر بالمدينة يدعى سيار بن الحكم ثم غاب عنه مدة ، ولما ظهر أخيراً لاحقه التاجر وجماعة معه بصحيفة الدين ، فأظهر لهم استعداده لدفعه في مكان معين بالمدينة ، فلما ساروا معه في دروبها أسرع بالفرار وأعجزهم هرباً ، انظر القصة وأبيات ثلاثة أخر في حماسة البحتري ٤١٦، ٤١٧، عيون الأخبار ٢٥٥/١ .

(٣) ديوانه ١٧٧ ، نهاية الأرب ٧٥/٢ ، عيون الأخبار ٩٢/٤ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، الشعر والشعراء ٤٩٠ .

(٤) وفيات الأعيان ١٤٧/٢ .

باب الاقتصاد والرفق

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ^(١) ﴾ وقال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ^(٢) ﴾ .

فهذا أدب الله تعالى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ » .

كان يقال : ثلاثٌ من حقائق الإيمان : الاقتصادُ في الإنفاق ، والإنصافُ من نفسك ، والابتداءُ بالسلام .

كتب بعضُ الصالحين إلى بعض إخوانه : كل مارده ^(٣) العقل ، وناله الفضل فجميلٌ حسنٌ .

قال عبدالله بن عباس : الهَدْيُ الصَّالِحُ ، والسَّمْتُ الحَسَنُ ، والاقتصادُ ، جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » .

وقال عليه السلام : « مَا كَانَ الرِّفْقَ قَطُّ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَمَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ حُرِمَ الْخَيْرَ » .

(١) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٧ .

(٣) ١ : ما أخره .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما أراد الله بأهل بيت خيراً إلا أدخل عليهم الرفق .
ولا أراد بهم شراً إلا أدخل عليهم الخرق^(١) » .

قال عمر بن الخطاب : لا يقل مع الإصلاح شيء ، ولا يبقى مع الفساد شيء .
قال المتلمس :

وإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرفق يمن ، والخرق شؤم » .
سئل بعض العلماء عن السكينة ، فقال : هي السكون عما الحركة فيه ، والعجلة
لا يحمدها الله ولا يرضاها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان » .

لسهل بن هارون في يحيى بن خالد :

عَدُوٌّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْوِبُهُ مَنُوعٌ^(٣) إِذَا مَا مَنَعُهُ كَانَ أَحْزَمًا^(٤)

وقال آخر^(٥) :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا وَلَا صُعْبًا^(٥)
وقال آخر :

(١) الخرق : ضد الرفق ، وألا يحسن المرء التصرف في الأمور .

(٢) ديوانه ١٦٨ ، نهاية الأرب ٦١/٣ . العقد الفريد ١٤٠/٣ .

(٣) ساقط في ب ، وانظر البيت في البيان والتبيين ٣١١/٣ .

(٤) ساقط من ب .

(٥) البيت لأبي عينية المهلبى ، انظر التمثيل والمحاضرة ٤٢٩ . البيان ٢٥٤/١ ، فصل المقال ٢٥٤ .

لَا تَذْهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطًا لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطًا
وَكُنْ^(١) مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطًا

قال أعرابي للحسن : يا أبا سعيد ! علمني ديناً وسوطاً لا ذاهباً فروطاً ، ولا ساقطاً
سقوطاً . قال له الحسن : أحسنت^(٢) ، خير الأمور أوسطها .

قال محمود الوراق :

إِنِّي رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرَ مَعْوَلٍ^(٣) فِي النَّائِبَاتِ لِمَنْ أَرَادَ مَعْوَلًا
وَرَأَيْتُ أَسْبَابَ الْقُبُوعِ مَنُوطَةً بِعَرَى الْغِنَى فَجَعَلَتْهَا لِي مَعْتَلًا
فَإِذَا نَبَأَ بِي مَنْزِلٌ لَا يُرْتَضَى جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ عَنْهُ مَنْزِلًا
وَإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَى تَرَكَتِهِ فَيَكُونُ أَرْخَصَ مَا يَكُونُ إِذَا غَلَا^(٤)

لبعض المتأخرين من البخلاء يوصى ابنه :

إِذَا مَا كُنْتَ فِي بَلَدٍ غَرِيبًا وَخِفْتَ مِنْ أَنْ تَبُوءَ بِغَيْرِ مَالٍ
فَلَا تَبْسُطْ يَدَيْكَ وَكُلْ قَلِيلًا يَفُوتُكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي اعْتِدَالٍ
وَذُبَّ عَنْ الدَّرَاهِمِ كُلِّ حِينٍ وَكَثَّرْهَا وَقَدِّلْ فِي الْعِيَالِ
وَقُلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَشْتَهِيهِ مِنْ الْأَشْيَاءِ هَذَا الشَّيْءُ غَالٍ
فَتَرَكُ الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ خَيْرٌ لِرَبِّ الْمَالِ مِنْ ذُلِّ السُّؤَالِ

(١) ب : تكن . والأبيات في البيان ٢٥٤/١ .

(٢) ب : حسبت .

(٣) ١ : مغبة .

(٤) الأبيات في نهاية الأرب ٨٥/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٢٥/١ ، المستطرف ١٢١/١ ، ٧٩/٢ .

روينا عن نصر بن علي الجهضمي ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المتوكل ، فإذا هو يمدح الرفق فأطنب ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي في الرفق . فقال هاته يا نصر ، فقلت :

لَمْ أَرِ مِثْلَ الرَّفْقِ فِي لِيْنِهِ أَخْرَجَ لِلْمَذْرَاءِ مِنْ خِذْرِهَا
مَنْ يَسْتَعِينُ بِالرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ قَدْ يُخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا

قال سابق :

إِنَّ التَّرْفُقَ لِلْمُقِيمِ مُوَافِقٌ وَإِذَا يُسَافِرُ فَالتَّرْفُقُ أَوْفَقُ
لَوْ سَارَ أَلْفُ مُدَجَّجٍ فِي حَاجَةٍ لَمْ يَلْقَهَا إِلَّا الَّذِي يَتَرَفَّقُ^(١)

(١) ورد البيتان في معجم الأدباء ٨/١٢ منسوبين إلى صالح بن عبد القدوس ، من قصيدته الشهيرة :
المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق
وقد سبقت في كتابنا بعض أبيات منها انظر ص ١٣٨

باب السَّفَرِ وَالْإِغْتِرَابِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السفرُ قطعةٌ من العذاب ، فإذا قضى أحدكم نَهْمَتَهُ^(١) من سفره فليعجلْ الرجوعَ إلى أهله » ، وزاد بعضهم في هذا الحديث « السفر قطعة من العذاب ، فاقطعوه بالدُّلْجَةِ^(٢) » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تَلَقَّوْا الْحَاجَّ وَلَا تَشِيعُوهُ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سافروا تصِحَّوْا وتغنموا » .

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما مات ميت بأرض غربةٍ إلا قيس له من مَسْقَطِ رأسه إلى مُنْقَطَعِ أثره في الجنة » .

ومن حديث ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « موتُ الغريب شهادة » .

ومن حديث أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ مات غريباً مات شهيداً » .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العبادُ عبادُ الله ، والبلادُ بلادُ الله ، فأينما وجدتَ الخيرَ فأقم واتقِ الله » .

وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه — ومنهم من يرفعه — قال : من سَادَ

(١) النَهْمَةُ : الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة في الشيء .

(٢) الدُّلْجَةُ : السير من أول الليل .

المرء أن تكون زوجته موافقة ، وأولاده أبراراً ، وإخوانه صالحين ، ورزقه في بلده
الذي فيه أهله .

مكتوبٌ في التوراة : ابن آدم ! أأُحْدِثُ سَفَرًا أُحْدِثُ لَكَ رِزْقًا .

قالت العربُ : من أَجْدَبَ انتجع^(١) .

قيل لأعرابيٍّ . أين منزلك ؟ قال : بحيث ينزل الغيث .

من أمثال العامة : البركات مع الحركات .

وقالوا : ربما أسفر السَّفَرُ عن الظَّفَر .

قال البحتري :

وَإِذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُلَّةً مُعْدِمِ قَالِبَسْ لَهَا حُلَالَ النَّوَى وَتَغَرَّبِ^(٢)

وقال زهير :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ^(٣)

وقال الأعشى :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى وَمَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجْرًا وَمَسْحَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَى يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا^(٤)

(١) الانتجاع : طلب الكلاء في موضعه .

(٢) ديوانه ٢٠/١ .

(٣) شرح ديوانه ٥٠ ، حماسة البحتري ٢٤٨ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦ .

(٤) وردت الأبيات بهذه الرواية في عيون الأخبار ٩١/٣ محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، نهاية الأرب ٦٦/٣ ،

التمثيل والمحاضرة حماسة البحتري ١٥٤ ، ١٥٥ ووردت في ديوانه ١١٣ برواية أخرى هي :

متى يغترب عن قومه لا يجده على من رهط حواليه مفضبا

ويحطم بظلم لا يزال يرى له مصارع مظلوم مجرأ ومسحبا

وتدفن ... الخ

ومجرا ومسحبا : مصدران ميميّان من الجر والسحب ، وكبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها .

وقال آخر:

إِنَّ الْغَرِيبَ بِأَرْضٍ لَا عَشِيرَةَ بِهَا كَبَائِعَ الرِّيحِ لَا يُعْطَى بِهِ ثَمَنًا
وقال سابق:

لَا أَفِينَكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ^(١)
وقال آخر:

فَلَمْ أَرْ عِزَّ الْمَرْءِ إِلَّا عَشِيرَةً وَلَمْ أَرْ ذُلًّا مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الْأَهْلِ^(٢)
وقال آخر:

إِنِّي الْغَرِيبُ فَمَا أَلَامُ عَلَى الْبُكَاءِ إِنَّ الْبُكَاءَ حَسَنٌ بِكُلِّ غَرِيبٍ
وقال آخر:

يُحَازِي بِالذِّى تَجِدُ الْقُلُوبُ وَيَأْنَسُ بِابْنِ بَلَدَتِهِ الْغَرِيبُ
وَصَادَفَنِي غَرِيبٌ فَالْتَقَيْنَا وَكُلُّ مُسَاعِدٍ فَهُوَ الْقَرِيبُ
وقال آخر:

تَغَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي أَوْ مَلُّ ثُرُوءٌ فَلَمْ أُعْطَ آمَالِي وَطَالَ التَّغَرُّبُ
فَمَا لِلْفَتَى الْمُحْتَالِ فِي الرِّزْقِ حَيَاةٌ وَلَا لِجُدُودِ جِدَّهَا اللَّهُ مَذْهَبُ
وقال كعب بن زهير:

فَقَرَّرِي فِي بِلَادِكَ إِنْ قَوْمًا مَتَى يَدْعُوا بِلَادَهُمْ يَهْوُونَا^(٣)

(١) البيت لصالح بن عبد القدوس من قصيدته المشهورة التي مرت الإشارة إليها ، انظر معجم الأدباء ١٢/٨٠

(٢) يروى الشطر الأول : فلم أر عزا لامرئ كعشيرة ، انظر محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، البيان ١/٢٤٦ ،

الكامل ١/١٨٤ وهو لمحمود الوراق ، وقد سبق مع أبيات أخرى في ص ٢٠٣

(٣) ديوانه ٢١٧ .

وقال آخر :

لَيْسَ ارْتِحَالُكَ تَزْدَادُ الْغِنَى سَفَرًا بَلِ الْمَقَامُ عَلَى خَسْفٍ هُوَ السَّفَرُ^(١)
قالوا : ترك الوطن أحد البسارين^(٢) .

قال الشاعر :

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا رِحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا مِنَ الْمَنْزِلِ الْفَانِي إِلَى الْمَنْزِلِ الْبَاقِي^(٣)
وقال آخر :

لَقُرْبُ الدَّارِ فِي الْإِقْتَارِ^(٤) خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الْمَوْسَعِ فِي اغْتِرَابٍ^(٥)
وقال آخر :

وَمَهْمَهُ فِيهَا السَّرَابُ يَسْبَحُ يَدَأْبُ فِيهِ الْقَوْمُ حِينَ يُصْبَحُ
كَأَنَّمَا ثَوَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا اللَّيْلُ أَخْفَى وَالنَّهَارُ أَفْضَحُ^(٦)

قالوا : إذا كنت في غير بلدك ، فلا تنس نصيبك من الذل .

وأنشدوا :

إِنَّ الْغَرِيبَ لَهُ اسْتِكَانَةٌ مُذْنِبٍ وَخُضُوعٌ مِثْلُ مِثْيَانٍ وَذُلٌّ مُرِيبٍ

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٠٠ ، وفيات الأعيان ٤٣٩/٥ . والخسف : الإذلال ، وأن يحمل الإنسان على مايكره .

(٢) ب : التسابق .

(٣) البيت لأبي العتاهية ، ديوانه ١٧٤ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ بغير نسبة .

(٤) ١ : الإنسان .

(٥) التمثيل والمحاضرة ٤٠١ بدون نسبة .

(٦) زيادة في ب ، و لم أعر إلا على الشطر الأخير في البان ١٦٤/٢ ، وقبله : إنك يا ابن جعفر لا تفلح ... الليل أخفى .. الخ

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدًّا^(١) لَسْتَ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَبِيثٍ وَطِيبٍ

وقال آخر :

إِنَّ الْغَرِيبَ وَإِنْ أَقَامَ بِبَلَدٍ يَهْدِي إِلَيْهِ خَرَّاجُهَا لَغَرِيبٌ

وقال آخر :

غَرِيبٌ يُقَاسَى الْهَمُّ فِي أَرْضٍ غُرْبَةٍ فَيَارَبُّ قَرَّبُ دَارِ كُلِّ غَرِيبٍ

قالوا: الغريب كخرس ذابل ماتت أرضه، وقد شربه^(٢).

قال النمر بن تولب :

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأُمُّكَ مِنْهُمْ غَرِيبًا فَلَا يَفْرُكَ خَالِكَ مِنْ سَعْدٍ
فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مُصْنًى^(٣) إِنْ أَوَّهَ إِذَا لَمْ يُزَاجِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلَدٍ

قالت العرب : ليس بينك وبين بلاد نسب ، خير البلاد ما حملك .

^(٤) وقال آخر :

لَيْسَ الْفَتَى بِفَتَى لَا يُسْتَضَاءُ بِهِ وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ آثَارٌ^(٤)

(١) العدا : المتباعدون أو الغرباء ، واستعمل الجمع مكان المفرد لضرورة الشعر ، وقد نسب البيت في البيان ٢٢٣/٢ إلى خالد بن نضلة الأسدي ، ونسب في الكامل ٢٨٤/١ إلى أعرابي من بني سعد يدعى خنوص ، وورد في محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، عيون الأخبار ٢٩٢/١ ، حماسة أبي تمام ١٤١/١ بغير نسبة .

(٢) زيادة في ب .

(٣) مصنى إناؤه : منقوص حقه ، وقد نسب البيتان في محاضرات الأدباء ١٧٧/١ ، الحماسة لأبي تمام ٢٠٦/١ إلى غسان بن وعلقة ، ووردت منسوبة للنمر في عيون الأخبار ٨٩/٣ ، الشعر والشعراء ٢٦٩ .

(٤) ساقط من أ . وانظره في الشعر والشعراء ٣٢ .

وقال آخر :

سَلِّ اللَّهُ الْإِيَّابَ مِنَ الْمَغِيبِ فَكَمْ قَدْ رَدَّ مِثْلَكَ مِنْ غَرِيبٍ
وَسَلِّ اللَّهُ عَنْكَ بِحُسْنِ ظَنٍّ وَلَا تَيَأْسُ مِنَ الْفَرَجِ الْقَرِيبِ

قال بعض العقلاء : أعرف يدياً قد يتت أكثر من مائة ألف رجل في المساجد ،
وفي غير أوطانهم ، وهو :

فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالْتَمِسِ الْغَنَى تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ فَتُعْذَرَا^(١)
قال خالد بن صفوان : في السفر ثلاثة معان : الأول الغرم ، الثاني القدرة ،
والثالث الرحيل .

كان يقال : فقد الأحبة غربة .

قال الشاعر :

إِذَا مَامَضَى الْقَرْنُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ^(٢)

وقال لبيد بن ربيعة :

لَعَمْرُكَ مَا يُدْرِيكَ إِلَّا تَظَنِّيًّا^(٣) إِذَا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ
لَعَمْرُكَ مَا تَذَرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ

وقال علي بن الجهم :

يَا رَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّازِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

(١) البيت لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، وقد نسب في الأغاني ٧٨/١٩ إلى أبي عطاء السندي ، ونسب في لباب الآداب ٢٧ إلى النابغة ، وورد في عيون الأخبار ٢٤٣/١ بغير نسبة .

(٢) البيت لأبي محمد التيمي ، انظر البيان ١٨٩/٣ ، محاضرات الأدباء ١٤٩/٢ ، الأغاني ١١٩/١٨ ، زهر الآداب ٢٢١/٣ .

(٣) ب : تطيبا ، والبيان في ديوانه ١٠٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ ، المستطرف ١٠٤/٢ .

تَهَارَقَ أَحْبَابُهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَ
يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَغُرْبَتِهِ عَدْلٌ مِنَ اللَّهِ كُلُّهُ مَا صَنَعَا^(١)

أراد أعرابي السفر فقال لامرأته — وقيل إنه الخطيئة —:

عُدِّي السَّيْنِ لِنَفْسِي وَتَصَبَّرِي وَذَرِي الشُّهُورَ فَلَيْسَ هُنَّ قِصَارُ
فَأَجَابَتْهُ^(٢):

اذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَارْحَمْ بَنَاتِكَ لِأَنَّهُنَّ صِغَارُ^(٣)
فَأَقَامَ وَتَرَكَ سَفَرَهُ.

قال امرؤ القيس:

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْفَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٤)

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلی:

طَرِبْتُ إِلَى الْأُصَيْبِيَةِ الصَّغَارِ وَهَاجَكَ مِنْهُمْ قُرْبُ الْمَزَارِ
وَكُلُّ مُسَافِرٍ يَزْدَادُ شَوْقًا إِذَا دَنَتْ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ^(٥)

وقال جرير:

وَلَمَّا التَّقَى الْحَيَّانِ الثَّقِيَّتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ^(٦)

(١) الأبيات في ديوانه ٧٧ ، الأغاني ١١٢/٩ ، وفيات الأعيان ٤١/٣ ، الخنار من شعر بشار (البيتان

الأهل والثاني) ٢٥١ ، محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، ونسبها هناك إلى القاسم بن عبيد الله .

(٢) ساقط من أ .

(٣) البيتان في المستطرف ٥٣/١ ، عيون الأخبار ١٤١/٢ .

(٤) زيادة من ب ، ويروى ، وقد نقتب . ديوانه ١٢ ، الكامل ٢٢٥/١ ، محاضرات الأدباء ٢٧٥/٢ .

(٥) معجم الأدباء ٢٥/٦ ، الأمالي ٥٥/١ ، وفيه : وأبرح ما يكون الشوق يوما . مكان الشطر الثالث ،

عيون الأخبار ١٤١/١ .

(٦) ديوانه ٤٧٨ .

وقال آخر:

مُرِرْتُ بِمَجْمَعٍ وَالْقُرْبُ مِنْهُ كَمَا تُرُّ الْمَسَافِرُ بِالْإِيَابِ
وَكَنتُ بِقُرْبِهِ إِذْ حَلَّ أَرْضِي أَمِيرًا بِالسَّكِينَةِ وَالصَّوَابِ
كَمْ طُورٍ بِلَدَّتِهِ فَأَضْحَى غَنِيًّا عَنْ مُطَالَبَةِ السَّحَابِ^(١)

وقال آخر، وحكى صاحب البيان أنه لمضرس الأسدي^(٢):

مُقِلُّ رَأْيِ الْإِقْلَالِ عَارًا فَلَمْ يَزَلْ يَجُوبُ بِلَادَ اللَّهِ حَتَّى تَمُوتَ
إِذَا جَابَ أَرْضًا أَوْ ظِلَامًا رَمَتْ بِهِ مَهَامَهُ أُخْرَى عَيْنُهُ مُتَقَلِّدًا
وَلَمْ يَتْنِهِ عَمَّا أَرَادَ مَهَابَةً وَلَكِنْ مَضَى قُدَمًا وَمَا كَانَ مُبْسَلًا
فَلَمَّا أَفَادَ الْمَالَ جَادَ بِفَضْلِهِ لِمَنْ جَاءَهُ يَرْجُو نَدَاهُ مُؤَمِّلًا^(٣)

وقال آخر، وهو الأحمر بن سالم المزني:

فَأَلَقْتَ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ^(٤)

وقال آخر:

إِذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ سَامِينَ بِأَنْفُسِ كِرَامِ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا
فَأَنْفُسُنَا خَيْرُ الْغَنِيمَةِ إِنَّهَا تَوْؤُبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا^(٥)

(١) نسبت الأبيات في التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ لأبي عيينة المهلبى، وفي زهر الآداب ١٩٢/٣ لابن المولى واضرها في عيون الأخبار ١٤١/١ بدون نسبة.

(٢) ساقط من ب.

(٣) البيان ٣٨/٣، ونسبت في المحاضرات ٢٨٤/١ لابن الإطنابة.

(٤) التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ غير منسوب لقائل، ونسب في المؤتاف ٩٢ لمقر بن حماد البارقى وفي المختار من شعر بشار ٢٢٠ نسب للأحمر بن سالم المرادى، وفي نهاية الأرب ٥٩/٥ تردد في نسبته بين مقر بن حماد، والطرماح بن حكيم، ونسب في محاضرات الراغب ٢٧٥/٢ لأبي عيينة المهلبى.

(٥) نسب البيتاني الكامل ٢٥٢/١ الشعر والشعراء ٨٤٩ إلى عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، ووردا في عيون الأخبار ١٤١/١ من غير نسبة.

سوقال آخر :

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا
وَمَا تَدْرِينَ أَيُّ الْأَمْرِ خَيْرٌ أَمَا تَهْوِينَ أُمَّ مَا تَكْرِهِينَا^(١)

قال عوف بن محم^(٢) : عادت عبدالله بن طاهر إلى خراسان ، فدخلنا الرمي في
السحر فإذا قرية تغرد على فئ شجرة ، فقال عبدالله : أحسن والله أبو كبير^(٣)
في قوله :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكَ إِلْفُكَ حَاضِرٌ وَغَضُّكَ مَيَّادٌ فَنِيمُ تَنُوحٍ^(٤)

ثم قال : يا عوف ! أجزها . فقلت : شيخ كبير ، ومحت على البديهة ، وهي
معارضة أبي كبير^(٥) ، ثم انفتح لي شيء ، فقلت :

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَنُزُوحٌ أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَتِيَةٍ فَتَرِيحٌ
لَقَدْ طَلَحَ الْبَيْنُ الْمُسْتُ رَكَبِي قَهْلُ أَرَيْنَ الْبَيْنَ وَهَزَ طَلِيحٌ
وَأَرْقَنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ فَنَحْتُ وَذُو الشَّجْوِ الْقَرِيحُ يَنْوَحُ
عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تَذُرْ عَبْرَةً وَنَحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحٌ
وَنَاحَتْ وَفَرَّخَاهَا بِجَيْثُ تَرَاهُمَا وَمِنْ دُونِ أَفْرَاحِي مَهَامِهِ فَيَحُ^(٦)

(١) عيون الأخبار ١/١٤٢ ، البيان ٢/٢٨٨ .

(٢) الخزاعي بالولاء أبو المنهال ، أحد الأدباء العلماء الرواة ، من موالى بني أمية أو شيبان ، انتقل إلى العراق
فاختصه طاهر بن الحسين لمناذته ، فبق معه ثلاثين سنة ، وللمات قربه ابنه عبد الله وجعل له منزله عند أبيه ،
توفي سنة ٢٢٠ هـ . ترجمته في فوات الوفيات ٢/١١٨ ، لإرشاد الأريب ٦/٩٥ (الأعلام ٥/٢٧٨) .

(٣) ب : أبو كبير . وهو تصحيف ، وأبو كبير هو عامر بن الحليس الهذلي ، شاعر فحل ، قيل أدرك الإسلام
وأسلم ، انظر الشعر والشعراء ١٥٧ ، وإرشاد الأريب ٤/٢٢٦ (الأعلام ٤/١٧) ، وانظر البيت في ديوان
الهذليين ١/٩٨ .

(٤) الأبيات في نهاية الأرب ٢/٢٦٤ ، معجم الأدباء ١٤/١٤٢ ، المعجم الفريد ٥/٤١٤ ، الأمالي ١/١٢٢ .

وذکر تمام الخبر .

كان يقال : من لم يرزق ببلدة فليتحول إلى أخرى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأرض أرض الله ، والعباد عباد الله ،
فحيث وجد أحدكم رزقه ، فليتيق الله وليقيم .

قال عبدالله بن أبي الشيص :

أَظُنُّ^(١) الدَّهْرَ قَدْ آلَا فَبَرًّا بِالْأَلَا يُكْسِبُ الْأَمْوَالَ حُرًّا
لَقَدْ قَعَدَ الزَّمَانُ بِكُلِّ حُرٍّ وَتَقَضَّى مِنْ قَوَاهُ الْمُشْتَمِرًّا
كَأَنَّ صَفَائِحَ الْأَحْرَارِ أَرَدَتْ أَبَاهُ فَحَارَبَ الْأَحْرَارَ طَرًّا
فَأَصْبَحَ كُلُّ ذِي شَرَفٍ رَكُوبًا لِأَسْنَانِ الدَّجَى بَرًّا وَبَحْرًا
فَهَيْتَكَ جَيْبَ دِرْعِ اللَّيْلِ مِنْهُ إِذَا مَا جَيْبُ دِرْعِ اللَّيْلِ زُرًّا
يُرَاقِبُ لِلْغَنَى وَجْهًا ضَحُوكًا وَوَجْهًا لِلْمَنِيَّةِ مُكْفَهَرًا
فَيَكْسِبُ مِنْ أَقَاصِي الْأَرْضِ كَسْبًا يَحُلُّ بِهِ الْمَحَلَّ الْمُسْتَحْرًّا
وَمَنْ جَعَلَ الظَّلَامَ لَهُ قَمُودًا أَضَاءَ لَهُ الدَّجَى خَيْرًا وَشَرًّا^(٢)
وقال آخر :

لَا تَصْحَبَنَّ رَفِيقًا أَسْتَ تَأْمَنُهُ شَرُّ الرِّفِيقِ رَفِيقٌ غَيْرُ مَأْمُونٍ
أَنشُدْ نَقْطَوِيهِ :

خَاطِرُ بِنَفْسِكَ لَا تَقْعُدُ بِمَعْجَزَةٍ فَلَيْسَ حُرٌّ عَلَى عَجْزٍ بِمَعْذُورٍ

(١) ب : أرى .

(٢) انظر محاضرات الأدباء ، ٢٤٥/١ ، عيون الأخبار ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

إِنْ لَمْ تَنْلِ فِي مَقَامٍ مَا تُطَالِبُهُ فَأَبْلِ عُذْرًا بِلَذْلَاجٍ وَتَهْجِيرِ
لَنْ يَبْلُغَ الْمَرْءُ بِالْإِحْجَامِ هِمَّتَهُ حَتَّى يُبَاشِرَهَا مِنْهُ بِتَغْيِيرِ^(١)

قالت بنت الأعشى :

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبَلَاءَ دُنْجَفَى وَتَقَطَّعُ مِنَّا الرَّحِمَ
إِذَا غَبَّتْ عَنَّا وَخَلَّفْتَنَا فَإِنَّا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَمُ^(٢)

وقال آخر :

وَقَالَتْ وَعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً أَيَا أَمَلِي خَيْرٌ مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ يَذِرِي مُسَافِرٌ إِذَا أَضْمَرْتُهُ الْأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ^(٣)

وقال آخر :

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حِلٍّ يَتَرَحَّالِ وَطُولِ سَمَى وَإِدْبَارِ وَإِقْبَالِ
وَنَازِحُ الدَّارِ لَا أَنْفَكَ مُفْتَرِبًا عَنِ الْأَحِبَّةِ لَا يَذْرُونَ مَا حَالِي
بِمَشْرِقِ الْأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبًا لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ مِنْ حِرْصِي عَلَى بَالِي
وَلَوْ قَنِعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَا إِنَّ الْقُنُوعَ الْغِنَى لَا كَثْرَةُ الْمَالِ^(٤)

(١) الأبيات في الأمل ٢/٣٠٤ ، وفيها : بتغير مكان بتغير .

(٢) ورد البيتان في معجم الأدباء ٧/١١٣ ، العقد الفرید ٢/٢٠١ ، هكذا ؟

نقول ابنتي يوم جد الرحيل أَرَانَا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَمُ
أَبَانَا إِذَا أَضْمَرْتِكَ الْبَلَاءَ دُنْجَفَى وَتَقَطَّعُ مِنَّا الرَّحِمَ

وانظر محاضرات الأدباء ١/٢٥٧ .

(٣) البيتان للسكيت بن زيد الأسدي ، انظر المؤلف والمختلف ١٧٠ .

(٤) الأبيات لسكثوم بن عمرو العنابي كما في العقد الفرید ٣/٢٠٨ ، وفيه الشطر الثاني من البيت

الأول: وطول شغل يادبار وإقبال .

أُنشِد الأَصْمَى لِحَاجِبِ الْفِيلِ الْيَشْكُرَى :

لَمَّا رَأَتْ بِنْتِي بِأَنِّي مُزِمِعٌ بَتَرَحَلٍ مِنْ أَرْضِهَا فَمُودِعٌ
وَرَأَتْ رِكَابِي قُرْبَتَ لِرِحَالِهَا قَالَتْ وَغَرِبُ الْعَيْنِ مِنْهَا يَدْمَعٌ
أَبْنَا أَتَرُكُنَا وَتَذْهَبُ تَائِهًا فِي الْأَرْضِ تَخْفِضُكَ الْبِلَادُ وَتَرْفَعُ
فَيَضِيعُ صَبِيَّتُكَ الَّذِينَ تَرَكَتَهُمْ بِمُضِيْمَةٍ فِي الْمَصْرِ لَمْ يَتَرَعَّرَعُوا
فِيهِمْ صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ وَصَغِيرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ
إِنَّا سَرَضَى مَا أَقَمْتَ بَعِثْنَا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجُوعٌ وَنَشَبَعُ
وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا فَارْضَى رِزْقَهُ وَكُنِيَ^(١) بِحُسْنِ مَعِيشَةٍ مَنْ يَقْنَعُ
إِنَّا إِذَا مَا غَبْتَ عَنَّا لَمْ نَجِدْ مِمَّا تَخْلَفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ
تَجْفُو مَوَالِينَا وَيُعْرَضُ جَارُنَا وَقَرِيبُنَا الْأَدْنَى يَعْزُّ وَيَقْطَعُ
وَنَخَافُ أَنْ تَلْقَاكَ وَشُكُّ مَنِيَّةٍ فَيُصَيِّبُنَا الْأَمْرُ الْجَلِيلُ الْمَفْطَعُ
فَنَصِيرَ بَعْدَكَ لَيْسَ يُرْفَعُ يَدُنَا وَيَذِلُّنَا أَعْدَاؤُنَا وَنُضَيِّعُ
هَذَا الرَّحِيلُ وَأَمْرُنَا مَا قَدْ تَرَى فَهَتَّى تَوُوبُ إِلَى الصَّغَارِ وَتَرْجِعُ
فَخُنِقْتُ مِنْ قَوْلِ الصَّغَارِ بَعْبَرَةٍ كَادَ الْفُؤَادُ لِقَوْلِهِمْ يَتَصَدَّعُ
وَأَجَبْتُهَا صَبْرًا بُنِيَّةً^(٢) وَاعْلَمِي أَنَّ لَيْسَ يَعْدُو يَوْمَهُ مَنْ يَجْزَعُ

وقال الغزالي :

(١) : وفي .
(٢) ب : صبرا ابني ، ا : بنتي صبرا ، ولا يستقيم مع كليهما الوزن ، وما أظنناه أقرب إلى رواية ب .

وَكَمْ ظَالِمٍ قَدْ ظَنَّ أَنَّ لَيْسَ آيِبًا قَابَ وَأَوْدَى حَاضِرُونَ كَثِيرُ
وَإِنَّ الَّذِي أَعْظَمْتَهُ مِنْ تَفَرُّبِي عَلَى - وَإِنْ أَعْظَمْتَ ذَاكَ - يَسِيرُ
رَأَيْتُ الْمَنَايَا يُدْرِكُ الْعَصَمَ عَذُوهَا فَيَنْزِلُهَا وَالطَّيْرُ مِنْهُ تَطِيرُ
وَعَلَى أَمْضَى^(١) ثُمَّ أَرْجِعُ سَالِمًا وَيَهْلِكُ بَعْدِي آمِنُونَ حُضُورُ
جَعَلْتُ أَرْجِيهَا إِيَّابِي وَمَنْ غَدَا عَلَى مِثْلِ حَالِي لَا يَكَادُ يَحُورُ
وَكَيْفَ أَبَالِي وَالزَّمَانُ قَدْ انْقَضَى وَعَظْمِي مَهِيضٌ وَالْمَكَانُ شَطِيرُ
وَإِنِّي وَإِنْ أَظْهَرْتُ مِنِّي تَجَلُّدًا ^(٢) لَدَوْ كَبِدٍ حَرَّى عَلَيْكَ حَسِيرُ^(٣)

وقال آخر :

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا
فَأَكْرِمُ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتُ مَعًا كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا^(٤)

وقال الراجز^(٥) :

إِنَّ فِرَاحًا كَفِرَاحِ الْأَوْكُرِ بِأَرْضِ بَغْدَادَ وَرَاءَ الْأَجْسُرِ
تَرَكَتُهُمْ كَبِيرُهُمْ كَالْأَصْغَرِ عَجَزًا عَنِ الْحِيلَةِ وَالنَّشْمُرِ
ذِكْرِي لَدَيْهِمْ مِثْلُ طَعْمِ الشُّكْرِ وَوَجْدُهُمْ بِي مِثْلُ وَجْدِ الْأَعُورِ
بَعَيْنُهُ إِذْ ذَهَبَتْ لَمْ يُبْصِرِ^(٥)

(١) : على سأمضى .

(٢) : ساقط في ب .

(٣) : انظر البيهقي في معجم الأدباء ١٠/١٣٧ ، وفيه : .. الرجال الموسرون .. الخ .

(٤) : ب : آخر .

(٥) : ورد الشطران السادس والسابع فقط في التمثيل والمحاضرة ٢٢٢ .

التشمر : الاكتساب ، شمرت لأهلى : أى اكتسبت لهم ، وتشمر الشجر
إذا أورق .

قال أبو الفتح البستي :

لَنْ تَنْقَلْتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتُ بَعْدَ ثَوَاءٍ رَهْنَ أَسْفَارِ
فَالْحَرْ حُرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارِ^(١)
وقال غيره :

كَفَى حَزَنًا أَنِّي مُقِيمٌ بِبِلَدَةٍ وَأَنْتِ بِأُخْرَى مَا إِلَيْكِ سَبِيلُ

خرج الشافعي الفقيه رضى الله عنه فى بعض أسفاره ، فضمه الليل إلى مسجد ،
فبات فيه ، وإذا فى المسجد قوم عوام يتحدثون بضروب من الخنا وهجر المنطق ،
فتمثل :

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَأَقِيتُ امْرَأَةً لَا أَشَاكِلُهَا^(٢)

قال شريك : كان يقال : إن أنجى الناس من البلاء والفتن ، من انتقل من
بلد إلى بلد .

قيل لبعضهم : أى سفر أطول ؟ فقال : من كان فى طلب صاحب يرضاه ،
أو درهم حلال يكسبه .

قال حاتم الطائي :

إِذَا لَزِمَ النَّاسُ الْبُيُوتَ وَجَدْتَهُمْ عُمَاءَ عَنِ الْأَخْبَارِ خُرْقَ الْمَكَايِبِ^(٣)

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٩ ، يتيمة الدهر ٢٢٤/٤ .

(٢) البيت الميعطى (عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموى) ، انظر البيان والتبيين ٢/٢٠٤ ،

٣٤٦/٣ ، معجم الأدباء ٣١٠/١٧ ، المختار من شعر بشار ٢١٥ .

(٣) الديوان ٤ ، وفيه : إذا أوطن القوم البيوت .

قال محمد بن أبي حازم الباهلي :

كَمْ النُّقَامُ وَكَمْ تَعْتَاكَ الْعِلَلُ مَا ضَاقَتِ الْأَرْضُ فِي الدُّنْيَا وَلَا السَّبِيلُ
فَارْحَلْ فَإِنَّ بِلَادَ اللَّهِ مَا خُلِقَتْ إِلَّا لِيُسَلِّكَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْجَبَلُ
إِنْ ضَاقَ لِي بِلَدٌ يَمُتُ لِي بِلَدًا وَإِنْ نَبَا مَنْزِلُ بِي ، كَانَ لِي بَدَلُ
وَإِنْ تَغَيَّرَ لِي عَنْ وَدِّهِ رَجُلٌ أَصْفَى الْمَوَدَّةَ لِي مِنْ بَعْدِهِ رَجُلُ
لَمْ يَقْطَعْ اللَّهُ لِي مِنْ صَاحِبٍ أَمَلًا إِلَّا تَجَدَّدَ لِي مِنْ صَاحِبٍ أَمَلُ
اللَّهُ قَدْ عَوَّدَ الْحُسْنَى فَمَا بَرِحَتْ مِنْهُ لَنَا نِعَمٌ تَتَرَى وَتَتَّصِلُ
يُمْسِي وَيُصْبِحُ بِي مُعَمَّرٌ أَدَافِعُهُ بَرَزَقِ رَبِّي حَتَّى يَنْفَدَ الْأَجَلُ^(١)

وقال بعض المتأخرين من المغاربة ، وتنسب إلى المتنبي ، ولا تصح له :

رَأَيْتُ الْمَقَامَ عَلَى^(٢) الْإِقْتِصَادِ قُنُوعًا بِهِ ذِلَّةٌ لِلْعِبَادِ^(٣)
'وَعَجَزٌ بِذِي أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بِهِ عَيْشُهُ وَتُسَعِ هَذِي الْبِلَادُ'^(٤)
وَمَا غَرِبَ الرِّزْقُ عَنْ رَائِدٍ وَلَا سَيِّئًا حَسَنُ الْإِرْتِيَادِ
إِذَا مَا الْأَدِيبُ ارْتَضَى بِالْخُمُولِ فَلَا حَظَّ^(٥) فِي الْأَدَبِ الْمُسْتَفَادِ
وَفِي الْإِضْطِرَابِ وَفِي الْإِغْتِرَابِ مَنَالُ الْمَنَى وَبُلُوغُ الْمُرَادِ
وَشَرُّ الضَّرَاعِمِ ضِرْغَامَةٌ طَوَى شِبْلَهُ وَهُوَ فِي الْغِيلِ هَادِ

(١) المحاسن والمساوي ٣/٢ .

(٢) ١ : المعيشة في .

(٣) ب : لذة في العباد .

(٤) زيادة من ب .

(٥) ب : فما الخط .

وإن صارم قر في (١) غمديه
ولو يستوى بالنهوض القعود
إذا النار ضاق بها زندها
فدع موطنًا واغد مستزرقًا
ولا تفن عمرك خوف الفراق
يطلن البكا عند شحط النوى
فكم ترحة من أسي فرقة (٢)
إلى كم تحمل ضيق المعاش
على حالة فوقها (٣)
بلا حاسد لي ولا حامد
فلا شر مني يخاف العدو
جب الأرض شرقًا وحب غربها
عساك تنال الغنى أو تموت
فإن يكن الفقر حتمًا عايك
فللموت أهون من أن تراك

حوى غيره الفضل (٤) يوم الجلال
لما ذكر الله فضل الجهاد
ففسحتها في فراق الزناد
كذا الرزق غاد إلى كل غاد
لبيض ملاح وثمر خراد
ويأسين كل الأسي في البعاد (٥)
تعود سرورًا بحسن المهاد
وتصبر والصبر صعب القياد
وضيق المعيشة سقم الفواد
قليلة خير كماء الثمار
ولا خير يرجوه أهل الوداد
إلى كل فج عميق وواد
وعذرك في ذاك للناس باد
فكابد في غير ناديك ناد
بعين الخساسة عين الأعادي

(١) : ١ : فرمن .

(٢) : ١ : الحظ .

(٣) : ب : العياد .

(٤) : ب : ترحة .

(٥) : ب : فوقها .

فَإِنْ لَمْ تَنْزِلْ مَطْلَبًا رُمْتَهُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ سِوَى الْإِجْتِهَادِ^(١)
وقال آخر :

مَا مِنْ غَرِيبٍ وَإِنْ أَبْدَى تَجَلُّدَهُ إِلَّا سَيِّدُكُمْ بَعْدَ الْغُرَبَةِ^(٢) الْوَطَنَا
وقال عبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُوُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُوُوبُ^(٣)

(١) هذا وقد نسبت الأبيات الثلاثة الأولى إلى البحتري في معجم الأدباء ٧٧/١، ولكنها لا توجد في ديوانه أيضا .

(٢) ب: الفرقة .

(٣) الكامل ٢٦٧/١ ، عيون الأخبار ١١٨/٣ ، الشعر والشعراء ١٤٥ ، التمثيل والمحاضرة ٤٩ .

باب التحول عن مواطن الذل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه »
قالوا : يا رسول الله ! وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء ^(١) لما لا يطيق » .

قال أوس بن حجر :

أَقِيمُ بِدَارِ الْحَزْمِ مَا دَامَ حَزْمُهَا وَأَحْرِ إِذَا حَالَتْ بِأَنْ أَتَحَوَّلَا ^(٢)
وقال المتلمس :

إِنَّ الْهَوَانَ حِمَارُ الْبَيْتِ يَأْلَفُهُ وَالْحَرْ يُنْكِرُهُ وَالْفِيلُ وَالْأَسَدُ
وَلَا يُقِيمُ بِدَارِ الذَّلِّ يَأْلَفُهَا إِلَّا الدَّلِيلَانِ عَمْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَمَا يَأْوِي لَهُ أَحَدٌ ^(٣)

وقال مالك بن الرِّيب :

فَإِنْ تَنْصِفُونَا آلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِبِعَادِ
فَإِنِّي الْأَرْضُ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أُوطِنْتُ كِبِلَادِي ^(٤)

(١) ساقط من ١ .

(٢) عيون الأخبار ١/٣٤ ، حماسة البحتري ١٧٩ .

(٣) يروى : حمار الأهل يعرفه ، والحري ينكره والرسلة الأجد ، ويروى الجسرة الأجد ، ويروى البيت

الثاني : ولا يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان ... الخ ، وفي البيت الثالث يروي معقول مكان مربوط ،
هو فلا يبكي مكان فما يأوى .

ومعنى الرسالة الأجد : الناقة الموثقة الملقى القوية الأعضاء والجسرة : الجمل الماضي أو الطويل ، فما يأوى :

حمايرق . والأبيات في ديوانه ١٩٦ ، حماسة البحتري ١٩ ، نهاية الأرب ٣/٦١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ .

(٤) ينسب البيتان أيضا للفرزدق انظر شرح ديوانه ١٩٠ ، ووردا في حماسة البحتري ١٨٠ لرجل من تميم ولم

يعينه . وانظرهما في السكامل ١/٣٠١ ، ٣٠٢ محاضرات الأدباء ١/٢٢٧ ، ويروى مكان الشطر الأول من البيت الثاني :

موني الأرض عن ذى الجور منأى ومذهب .

وقال المغيرة بن حبياء :

وَمِثْلِي إِذَا مَا الدَّارُ يَوْمًا نَبَتْ بِه
وَلَا أَنْزِلُ الدَّارَ^(١) الْمُقِيمَ بِهَا الْأَذَى
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْغَبْ بِدَارٍ نَزَلَتْهَا

أنشد أبو عبيد عن الأصمعي :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ يُهِينُكَ أَهْلُهَا
وَلَمْ تَكُ مَكْبُولًا بِهَا فَتَحَوَّلَ^(٢)

وقال الزبير^(٣) بن عبد المطلب :

هَوَا أَقِيمُ بِدَارٍ لَا أَشُدُّ بِهَا
صَوْتِي إِذَا مَا اعْتَرَتْنِي سَوْرَةُ الْغَضَبِ^(٤)

وقال آخر :

لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى خِلٍّ تُفَارِقُهُ
فِي النَّاسِ مُبْتَدَلٌ وَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ
إِنَّ الْأَقَاصِيَّ قَدْ تَدْنُو فَتَأْتِلِفُ
فِيهَا مَجَالٌ لَدَى كُبٍّ وَمُنْصَرَفُ

وقال قيس بن الخطيم^(٥) :

وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ
يَعِيشُ بِهَا الْفَتَى إِلَّا بَلَاءٌ^(٦)

(١) ب : الأرض .

(٢) المرائر: جمع مريرة وهي الغريزة ، أرام الشيء : أحبه وآلفه .

(٣) ورد البيت في معجم الشعراء ٤٩٥ منسوباً إلى هبنقة المحرق واسمه يزيد بن ثروان ، وانظره في محاضرات

الأدباء ٢٧٢/٢ .

(٤) ب : الزهر .

(٥) البيت في عيون الأخبار ١/٢٩٢ .

(٦) ١ : آخر .

(٧) ب : بهان ، وقد ورد البيت له أيضاً في حماسة البحتري ١٧٩ ، ولا يوجد في ديوانه ، وورد في

محاضرات الراغب ٢٧٢/٢ غير منسوب لقائل .

١) وقال المغيرة بن حُبَّاء :

وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْأَذَى مُتَرَحِّحٌ^(١)

وقال معن بن أوس :

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَمَيْتُ حَبَالَكَ وَاصِلٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقَلَى مُتَحَوِّلٌ^(٢)

٣) وقال عبد الصمد بن المعذل ، ويروى لغيره :

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتُ رَأَيْتُ بَنِي فَكُلُّ بِلَادٍ وَطَنٌ^(٣)

وقال أبو العتاهية :

مَنْ عَاشَ قَضَى كَثِيرًا مِنْ لُبَاتِهِ وَلِلْمَضَائِقِ أَبْوَابٌ مِنَ الْفَرَجِ

مَنْ ضَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ فِي كُلِّ وَجْهِ مَضِيقٍ وَجْهُ مُنْفَرَجٍ^(٤)

وقال الحسين بن الضحاك ، أو أبو العتاهية :

هَمٌّ تَقَاذَفَتْ الْخُطُوبُ بِهَا فَهَرَعَنْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ^(٥)

وقال آخر :

* وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُوَاتِيكَ مَرْحَلٌ *

وقال حبيب بن أوس الطائي :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيْبَا جَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدُ

(١) ماقط من ب ، والمترحح: الواسع الفسيح

(٢) زهر الأدب ٢٣٢/٣ ، المستطرف ٤٨/٢ ، حماسة أبي تمام ٣/٢ .

(٣) ساقط من ا وانظره في نهاية الأرب ٨٧/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٨٨ ، منسوباً إليه .

(٤) البيتان في ديوانه ٦١ .

(٥) ب، م : فرعن ، ولم أجده في ديوان أبي العتاهية .

فَإِنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدٍ^(١)

وقال ابن المعتز :

رَأَيْتُ حَيَاةَ الْمَرْءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ فَإِنْ مَاتَ أَغْلَتْهُ الْمَنَايَا الطَّوَائِحُ
كَمَا يُخْلِقُ الثَّوبَ الْجَدِيدَ ابْتِدَآلَهُ كَذَا تَخْلُقُ الْمَرْءَ الْعَيُونَ اللَّوَائِحُ^(٢)

وقال أبو الفتح البستي :

وَطُولُ مُقَامِ الْمَاءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ يُغَيِّرُهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَطْعَمًا^(٣)

وقال أبو الفتح الشذوني^(٤) :

إِذَا مَا انْحَرُّ هَانَ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي هَرَبٍ جُنَاحُ
وَقَدْ هُنَّا بِأَرْضِكُمْ وَصِرْنَا لَقَى^(٥) فِي الْأَرْضِ تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ

وقال محمود الوراق :

وَإِذَا نَبَأَ بِي مَنْزِلُ لَا يُرْتَضَى جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ مِنْهُ مَنْزِلًا

وقال آخر :

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا فَدَعِ الدِّيَارَ وَأَسْرِعِ التَّخْوِيلَا
لَيْسَ الْمَقَامُ عَلَيْكَ حَقًّا وَاجِبًا فِي مَنْزِلٍ يَدْعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا^(٦)

(١) ديوانه ٥١ .

(٢) البيت الثاني فقط في الديوان ٢٩ ، وفيه : فما يخلق الثوب ، وانظرهما معاً في التمثيل والمحاضرة ١٠٣ -

(٣) يتيمة الدهر ٢٢٤/٤ ، نهاية الأرب ١١١/٣ .

(٤) ب : التعفون الشذوني ، ا : البعقوبي ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٥) الائق : ما طرح على الأرض لعدم قيمته .

وقال بشار بن برد :

وَكُنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ تَيَمَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضِيقُ
وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ لَهُ فِي النَّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ
(١) وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ (٢)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتُ فِي دَارٍ وَحَاوَلْتُ رِحْلَةً فَدَعَهَا وَفِيهَا إِنَّ رَجَعْتَ مَعَادُ (٣)

وقال آخر :

خَلَطْتُ فَهَذَا زَمَانٌ فِيهِ تَخْلِيطُ وَالنَّاسُ صِنْفَانِ مَحْرُومٌ (٤) وَمَغْبُوطُ
وَلَا تُقَمُّ بِلَادٍ لَا انْتِفَاعَ بِهَا فَلِلْأَرْضِ وَاسِعَةٍ وَالرِّزْقِ مَبْسُوطُ
وَلَا تَكُنْ غِرَّةً تَرْضَى بِغَيْرِ رِضَى فَإِنَّ رِزْقَكَ عِنْدَ اللَّهِ مَخْطُوطُ

وقال جواس (٥) الكلابي :

وَإِذَا الْعِلْجُ أَغْلَقَ الْبَابَ دُونِي لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيَّ مَتْنِ الطَّرِيقِ
وَكَفَانِي جَفَاءً مَنْ يَزِدُّ رَيْنِي قَطْعِي الْخَرْقَ بِالْمَرْوِخِ الْحَرُوقِ

وقال آخر :

اصْبِرْ عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

(١) سبق البيتان الأولان ، والثالث ساقط من ب .

(٢) البيان والتبيين ٢/ ٢٨٩ .

(٣) ب : مرحوم .

(٤) ١ : خدش ، ب ، م في حواش ، والصحيح أنه جواس الكلابي انظر المؤلف ٧٤ ، وانظر البيت الأول فقط في البيان والتبيين ١/ ٣٥٨ والخرف : الفلاة والأرض الواسعة ، والمروخ الحروق : الناقة السريعة .

وَإِذَا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فِي بَلَدَةٍ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِمَاجِلِ التَّرْحَالِ
إِنَّ الْمَقَامَ عَلَى الْهَوَانِ مَذَلَّةٌ وَالْعَجْزُ أَضْفٌ^(١) حِيلَةُ الْمُحْتَالِ

وقال يحيى بن حكم الغزال :

وَإِنَّ مُقَامِي شَطَرَ يَوْمٍ بِمَنْزِلِ أَخَافُ عَلَى نَفْسِي بِهِ لَكَثِيرُ
^(٢) وَقَدْ يَهْرُبُ الْإِنْسَانُ مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى فَيَدْرِكُهُ مَا خَافَ حَيْثُ يَسِيرُ^(٣)

وقال المتنبي :

إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي بَلَدَةٍ مَا أُرِيدُهُ فَمَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ^(٤)

وقال أبو عثمان العروضي في مهموزته :

إِنَّ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى مَنْ رَأَى هَوَانَهُ أَقْبَحَ مَا قَدْ رَأَى
اهْرُبْ عَنِ الذُّلِّ وَعَجِّلْ فَمَا أَقْرَبُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَبْطَأَ
لَوْ جَرَحْتُ رَأْسِي يَدًا مُنْصِفٍ لَمَا تَمَنَّيْتُ بِأَنْ أَبْرَأَ

وَلِي حِينَ رَحَلْتُ مِنْ إِشْبِيلِيَّةِ^(٥) :

وَقَائِلَةٌ مَالِي أَرَاكَ مَرَحَلًا فَقُلْتُ لَهَا : صَبْرٌ وَاسْمِعِي الْقَوْلَ مُجْمَلًا
تَنْكَرُ مَنْ كُنَّا نُسَرُّهُ بِقُرْبِهِ وَعَادَ زُعَافًا بَعْدَمَا كَانَ مَسْلَسَلًا

(١) في ١ : آفة ، وانظر الأبيات في لباب الآداب ٢٩٤ .

(٢) ساقط في ١ ، ب .

(٣) البيت لأبي فراس الحمداني لا المتنبي ، انظره في ديوانه ٢٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ ، يتيمة الدهر

٥٤/١٠ ، وفيها : إذا لم أجد من خلة ما أريده .

(٤) في ١ ، ب : وللفقيه أبي عمر بن عبد البر في حين رحلته من إشبيلية .

وَحَقُّ لِحَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ^(١) جَارُهُ
 بُلَيْتُ بِخَفْضِ^(٢) وَالْمَقَامِ بِلَدَةٍ
 إِذَا هَانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمْ
 وَلَمْ تُضْرَبْ الْأَمْثَالُ إِلَّا لِعَالِمٍ
 وَلَا لَأَمْتَهُ الدَّارُ أَنْ يَتَرَحَّلَا
 طَوِيلًا لَعَمْرِي مُخْلِقٌ يُورِثُ الْبِلَا
 وَلَمْ يَنْأَ عَنْهُمْ كَانَ أَعْمَى وَأَجْهَلَا
 وَلَا عُوتَبَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْقِلَا

وقال ابن أبي حازم، أو ابن بسام :

وَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِحُرٍّ
 لَا يَلْبَثُ الْحُرُّ فِي مَكَانٍ
 الْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ
^(٣)وَالنَّذْلُ نَذْلٌ وَإِنْ تَكْنَى
 فَاسْتَرْزَقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنَهُ
 فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ
 يُنْسَبُ فِيهِ إِلَى هَوَانٍ
 عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمَانِ
 وَصَارَ ذَا مَنْطِقٍ وَشَانِ^(٤)
 فَإِنَّهُ خَيْرٌ مُسْتَعَانِ^(٥)

وقال أبو الفتح :

مَتَى رَفَضْتَنِي دَارُ قَوْمٍ تَرَكَتُهَا
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ^(٥) مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا بُدُّ

وقال حبيب :

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفْضُ الْعِيشِ فِي دَعَةٍ^(٦)
 نُرْوَعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ

(١) ب : أن يوافق .

(٢) ب : بمحض .

(٣) زيادة في ب .

(٤) وردت الأبيات ماعدا الرابع لابن أبي حازم في عيون الأخبار ١٨٤/٣ على خلاف في الترتيب، ونسبت إلى

الحسين بن عبد الله بن أبي حصينة المعري في معجم الأدباء ١١٣/١٠ .

(٥) ب : وسرت ولي .

(٦) ب : نطبه ، وكذلك في عيون الأخبار ٢٣٤/١ . وفيها أيضاً : نزاع بدل نروع .

تَلَقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنِ نَزَلَتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلِ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانٍ^(١)

وقال ابن أبي حَبِيش :

يَا نَازِلًا يَبْطَلِيُونِسٍ إِذَا ظَفِرَتْ
وَلَا تُقِمُّ بِلَادٍ لَا يُعَادُ بِهَا
إِنَّ الْمَقَامَ بِأَرْضٍ لَا يُزَارُ بِهَا
يَوْمًا يَدَاكَ يَوْمَ الْبَيْنِ فَاسْتَبَقِ
مَرْضَى وَعَجَّلْ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ رَمَقِ
وَلَا يُعَادُ أَخُو الشَّكْوَى مِنَ الْحُمُقِ

(١) ب : وجيرانا بجيران ، وورد الشطر الثاني من البيت الأول في العقد الفريد ١٢/٣ : نزاع شوق إلى أهل وأوطان . والبيتان ليسا في ديوان أبي تمام ، وقد وردا بغير نسبة في حماسته ١٠٤/١ ، ١٠٥ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٦ ونسبا في معجم الأدباء ١/١٩٢ إلى الصولي .

باب التوديع والفرّاق

ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب في مسيره إلى العمرة ، فقال :
« يا أخي لا تنسنا من دعائك » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع إخوانه ،
فإن الله جاعل^(١) له في دعائهم بركة » .

وكان عبد الله بن عمر إذا ودع رجلا يقول : استودع الله دينك ، وأمانتك ،
وخواتم عملك .

قال الشعبي : السنة إذا قدم رجل من سفر ، أن يأتيه إخوانه فيسلموا عليه ،
وإذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم ويفتتم دعاءهم .

ودع شعبة بن الحجاج رجلا خارجا إلى الحج ، فقال له : أما إنك إن لم تعدد الحلم
ذلا ، ولا السنة شرفا ، سلم حجك .

ودع عبد الله بن المبارك رجلا ، فقال :

وَنَحْنُ نُنَادِي أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا فِرَاقُ حَيَاةٍ لَا فِرَاقُ مَمَاتٍ^(٢)

وقال إبراهيم الموصلي^(٣) :

تَقَضَّتْ لَبَانَاتُ وَجَدِّ رَحِيلُ وَ يُشَفُّ مِنْ أَهْلِ الصَّفَاءِ غَلِيلُ

(١) ب : عاجل .

(٢) زيادة من أ .

(٣) في الأغاني ١٤/٣ ، طبعة الساسي ، أنها لابنه إسحق ، يمدح بها إسحق بن إبراهيم المصمبي بعد إلقائه .

بالحرمة ، وفيها يقول :

تفرد إسحاق بنصح أميره فليس له عند الأنام عديل

يفرج عنه الشك صدق عزيمة ولاب به يعلو الرجال أصيل

ونسبت لإسحاق أيضا في المختار من شعر بشار ٢٤٩ .

وَمُدَّتْ أَكْفٌ لِّلْوَدَاعِ تَصَافَحَتْ وَكَادَتْ عُيُونٌ لِّلْفِرَاقِ تَسِيلُ
 (١) وَلَا بُدَّ لِّلْأَلْفَيْنِ مِنْ ذِمٍّ لَّوْعَةٍ (٢) إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ
 فَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ أَوَانِسُ لَا يُودَى لَهُنَّ قَتِيلُ
 غَدَاةَ جَعَلَتْ الصَّبْرَ شِدْثًا نَسِيَتْهُ وَأَعْوَلْتُ لَوْ أَجْدَى عَلَيْكَ (٣) عَوِيلُ

وقال محمد بن مقسم ، أنشده له ابنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم :

فِرَاقُ الْأَحِبَّةِ دَاءٌ دَخِيلُ وَيَوْمُ الرَّحِيلِ لِنَفْسٍ رَحِيلُ
 سَمِعْتُ يَدِيكَ فَأَعْتَادَنِي غَلِيلُ بِقَلْبِي وَحُزْنُ طَوِيلُ
 أَهَذَا وَلَمْ يَكْ يَوْمُ الْفِرَاقِ فَإِنْ كَانَ لَا كَانَ زَادَ الْغَلِيلُ
 وَأَيَّقَنْتُ أَنِّي بِهِ تَأَلَّفُ وَمَا قَدْ وَصَفْتُ عَلَيْهِ دَلِيلُ
 حَيَاةُ الْخَلِيلِ حُضُورُ الْخَلِيلِ وَيَفْنَى إِذَا غَابَ عَنْهُ الْخَلِيلُ

وقال آخر :

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ الْبَيْنِ حُزْنًا وَالْأُخْرَى بِالْبَسْكَاءِ بَخِلَتْ عَلَيْنَا
 فَجَازَيْتُ الَّتِي جَادَتْ بِدَمْعٍ بَانَ أَقْرَرُهَا بِالْوَصْلِ عَيْنَا
 وَجَازَيْتُ الَّتِي بَخِلَتْ بِدَمْعٍ بَانَ غَمَّضْتُهَا يَوْمَ التَّقِينَا

وقال الزبير بن بكار : شيعني إسحق بن إبراهيم وقال :

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقتان من نسخة ب .

(٢) في الأغاني : ولا بد للألف من فيض عبرة .

(٣) في الأغاني : على .

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الْحَيَاةِ وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدِّيمِ
عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ أَفَارِقُ مِنْكَ وَكَمْ مِنْ كَرَمٍ^(١)
وقال آخر:

وَدَّعَ أَحْبَابَهُ فَمَا وَقَفُوا وَلَا عَلَى ذِي صَبَابَةٍ عَطَفُوا
كَمْ كَبِدٍ قَطَعُوا بَيْنَهُمْ وَكَمْ دُمُوعٍ عَلَيْهِمْ تَلَفٌ^(٢)
كَأَنَّهُمْ لَمْ يُجَاوِرُوا وَتَعْرِفُهُمْ وَالْوِصَالَ مُؤْتَلَفٌ^(٤)
وقال آخر:

لَمْ أُنْسَ يَوْمَ الرَّحِيلِ مَوْقِفَهَا وَطَرَفُهَا فِي دُمُوعِهَا غَرِقُ
وَقَوْلَهَا وَالرَّكَابُ وَاقِفَةٌ تَرَكَتْنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ
وقال آخر:

لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْفِرَاقِ وَإِنْ كَا نَ أَخُو الْوَجْدِ وَالِهَا كَلِيفَا
أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَةِ الْمُشَيِّعِ لِلْقَدِّ بَ يُرِيدُ الرُّجُوعَ مُنْصَرِفَا
وقال آخر:

أَقُولُ لَهُ حِينَ وَدَّعْتُهُ وَكُلُّ بَعْشَرَتِهِ مُبْلِسُ
لَنْ رَجَعْتَ عَنْكَ أَجْسَامُنَا لَقَدْ سَافَرْتَ مَعَكَ الْأَنْفُسُ^(٥)

(١) ورد البيتان منسوبين إلى دعلج الخزاعي في زهر الآداب ١٠٦/٤ ، وانظرهما في العقد الفريد ٤١٣/٥ ،
عيون الأخبار ٣٢/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧/٢ وفيها جميعا : وداعك مثل وداع الربيع .

(٢) تلف : تفرز .

(٣) ساقط من ب .

(٤) نهاية الأرب ٢٤٦/٢ .

(٥) ورد البيتان في العقد الفريد ٤٠٩/٥ منسوبين إلى أبي الطيَّامير ، وانظرهما في نهاية الأرب ٢٤٦/٢ ،

والمبلس : الساكت على ما في نفسه من هم .

وقال آخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ فَإِنِّي
إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لَوَدَاعٍ
أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
وَأَنْتِظَارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ^(١)

وقال آخر :

صَاحَ الْغُرَابُ بِوَشْكَ الْبَيْنِ فَارْتَحَلُوا
وَعَادَرُوا الْقَلْبَ مَا تَهْدَا لَوَاعِجُهُ
وَفِي الْجَوَانِحِ نَارُ الْحُبِّ تَقْذِفُهَا
لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عَيْرَهُمْ
وَقَلَبَتْ مِنْ خِلَالِ الشَّجَفِ نَظِيرَهَا
وَوَدَّعَتْ بَيْنَانٍ عَقْدُهُ عَنَمٌ
وَيُنْحِي مِنَ الْبَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِي وَبِهِمْ
يَا رَاحِلَ الْعَيْسِ عَرَّجْ كَيْ نُوَدِّعَهُمْ
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ
وَقَرَّبُوا الْعَيْسَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَاحْتَمَلُوا
كَأَنَّهُ بِضِرَامِ النَّارِ مُشْتَعِلٌ
أَيْدِي النَّوَى بِزِنَادِ الشَّوْقِ إِذْ رَحَلُوا
وَرَحَلُوهَا وَسَارَتْ بِالْذُّمَى الْإِبِلُ
تَرْنُو إِلَى وَدَمْعِ الْعَيْنِ مُنْهَمِلُ
نَادَيْتُ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَكَ يَا جَلُ
مِنْ نَازِلِ الْبَيْنِ حَلَّ الْبَيْنِ وَارْتَحَلُوا
يَا رَاحِلَ الْعَيْسِ فِي تَرْحَالِكَ الْأَجَلُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي لَطُولِ الْبَيْنِ مَا فَعَلُوا^(٢)

أنشدني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله ، قال أنشدني أبو بكر بن محمد
ابن عبد الله بن أحمد الصَّيْدَلَانِي ، قال : أنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل
الأخفش :

(١) محاضرات الادباء ٢٧/٢ نهاية الأرب ٢/٢٤٣ ، وهما فيه لأبي حفص الشطرنجي .

(٢) المستطرف ٤٩/٢ ، نهاية الأرب ٢/١٩١ ، العقد الفريد ٦/١٦٨ .

سُقِيَا وَرَغِيَا وَإِيْمَانَا وَمَغْفِرَةً
لِلْبَاكِياتِ عَلَيْنَا حِينَ نَرْتَحِلُ
مُنْكِ عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِ عَلَى أَحَدٍ
أَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا أَمِ الْإِبِلُ^(١)
وقال آخر :

أَحْجَّاجَ يَنْتِ اللَّهُ فِي أَيِّ هَوْدَجٍ
أَأَبْقَى نَحِيلَ الْجِسْمِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ
وَفِي أَيِّ خِذْرِ مِنْ خُدُورِكُمْ قَلْبِي^(٢)
وَحَادِيكُمْ يَحْدُو بِقَلْبِي مَعَ الرَّكْبِ^(٣)
وقال عمر بن أبي ربيعة :

هَاجَ الْقَرِيضَ الذَّكَرُ
عَلَى بَغَالٍ شُحَّجِجٍ^(٤)
لَمَّا غَدَوْا فَانْشَمَرُوا
قَدْ ضَمَّهِنَّ السَّفَرُ
فِيهِنَّ هِنْدٌ لَيْدَنِي
مَا عُمِّرَتْ أَعْمَرُ
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَهَا
حَتَفَ أَتَانِي الْقَدَرُ^(٥)

وقال آخر :

أَيَا عَجَبًا^(٦) مِمَّنْ يُودَّعُ إِلْفَهُ
هَمَمْتُ بِتَوْدِيْعِ الْحَبِيبِ فَلَمْ أَطِقْ^(٨)
يَمْدَّ يَدًا نَحْوَ الْفِرَاقِ فَيُسْرِعُ^(٧)
فَوَدَّعْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالْعَيْنُ تَدْمَعُ

(١) زهر الآداب ٣/ ١٩٠ ، وفيه الشطر الأخير : لنحن أغلظ أكباداً من الإبل ، وفيه إقواء .

(٢) إلى هنا ينتهي الساقط من ب .

(٣) ورد البيتان في المطرب من أشعار أهل المغرب ٢١٤ ، منسويين إلى شاب خرج يودع الحاج ، ولم يعينه .

(٤) الشحجج : صوت البغال .

(٥) زيادة من ب والظر الأبيات في ديوانه ١٠٢ ، الأغاني ١/ ١٨٧ .

(٦) ١ : أيا عجبى .

(٧) ب : فيسرع .

(٨) ب : فلم نطق .

وينظر إليه قول الآخر :

وَدَّعَهَا طَرْفِي فَقَالَتْ لَهُ بِاللَّمْعِ أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ

وقال حبيب :

مَا الْيَوْمُ أَوَّلَ تَوْدِيْعِي وَلَا الثَّانِي الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي
حَسْبُ الْفِرَاقِ بَأَنَّ الدَّهْرَ سَاعِدَهُ فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي
وَمَا أَظُنُّ النَّوَى يَرْضَى بِمَا صَنَعْتُ حَتَّى تُشَافِهِ بِأَقْصَى خُرَاسَانِ^(١)

وقال آخر :

أَهْدَى إِلَيْهِ سَفَرُ جَلًّا فَتَطَيَّرَا مِنْهُ وَظَلَّ مُفَكَّرًا مُسْتَعْبِرًا
خَوْفَ الْفِرَاقِ لَأَنَّ شِطْرَهُ جَاءَهُ^(٢) سَفَرُهُ وَحَقَّ لَهُ بِأَنَّ يَتَطَيَّرَا

وقال آخر :

أَقِمْ وَتَطْعُنِينَ وَأَنْتِ رُوحِي وَهَلْ جَسَدُهُ يَعِيشُ بِغَيْرِ رُوحٍ
لَئِنْ كَانَ الْفِرَاقُ غَدًا فَإِنِّي سَأَحْمَلُ لَا أَشْكُ إِلَى ضَرْحِي
تَعَالَى بَعْدُ فُفْرَقْتِنَا لِنَبْكِي فَإِنِّي نَائِخٌ أَبَدًا فَنُوحِي

وقال أبو الشيص ، وهو محمد بن عبد الله بن رزين :

مَا فَرَّقَ الْأَحْبَابَ بَعْدَ سَدِّ اللَّهِ إِلَّا الْإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَلْجَحُونَ^(٣) غُرَا بِالْبَيْنِ لَمَّا جَهَلُوا

(١) انظر الأبيات في شرح الديوان ٢/٣٠٨ ، ٣١٠ وفيه : أول توديع .

(٢) ١ : شطرهما به ، وهو تصحيف ، وانظر البيتين في العقد ٢/٣٠٢ .

(٣) ب . قد لاموا .

وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِالْبَيْنِ تَطْوَى^(١) الرَّحْلُ
وَلَا إِذَا صَاحَ غُرَا بٌ فِي الدِّيَارِ ارْتَحَلُوا^(٢)
وَمَا غُرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا (م) نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ^(٣)

أَنشَدْنِيهَا عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ قَاسِمٍ عَنْ أَبِي خَيْثَمَةَ لِأَبِي الشَّيْصِ .

وَقَالَ الْعُلُوَّى عَلَى بْنِ مُحَمَّدٍ :

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْفِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ لِلْمَوْتِ لَوْ فَقِدَ الْفِرَاقُ سَبِيلًا
يَا سَاعَةَ الْبَيْنِ الطَّوِيلِ كَأَنَّمَا وَاصَلْتُ سَاعَاتِ الْقِيَامَةِ طُولًا

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ الْفَقِيهَ :

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعِثْمَةٍ دَارُهَا لَقَدْ كَدْتُ مِنْ قَبْلِ الْفِرَاقِ أَلْيَسَ^(٤)
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِعِثْلِهِ وَيُحْسَبُ أُنَى فِي الثَّيَابِ صَحِيحٌ^(٥)

وَقَالَ حَبِيبٌ :

يَوْمُ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا لَمْ تُبْقِ لِي جَلَدًا وَلَا مَعْقُولًا
لَوْ جَاءَ^(٦) مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلًا

(١) ب : تطوى .

(٢) ب . احتملوا .

(٣) انظر الأبيات كلها في زهر الآداب ١٧٠/٢ الشعر والشعراء ٨٢١ ، والبيتين الثاني والخامس في التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، والأول والثالث في السكامل ٣/٢ ، وفيه : ما فرق الآلاف ... والبائس المسكين ما تطوى .

(٤) ب م : أنيج . ومعنى أليح : أهلك .

(٥) انظرهما في العقد الفريد ٢٦/٦ ، الأمل ١٦٠/٢ .

(٦) ب : حار .

قَالُوا الرَّحِيلُ^(١) فَمَا شَكَّكَتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلًا^(٢)
وهذا باب أكثر فيه أهل الظرف ، فرأيت اختصاره ، قال الحارث بن وعلة ،
وتنسب إلى العتّابي كملثوم بن عمرو ، وهي أبيات كثيرة أولها :

ما غَنَاءَ الحِذَارِ والإشْفَاقِ وشَايِبِ دَمْعِكَ المُهْرَاقِ
غُرٌّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ يَفُوتَ المَنَايَا وعَرَاهَا قَلَائِدُ الأعْنَاقِ
وَيَدُ الحَادِثَاتِ رَهْنٌ بِعُرَا (م) تِ مِنْ العَيْشِ مُصَرَّاتِ^(٣) المَذَاقِ
كَمْ صَفِيَيْنِ مُتَّعَا باتفاقِ^(٤) ثُمَّ صَارَا مِنْ بَعْدِهِ لافْتِرَاقِ
قُلْتُ لِلْفَرَقَدَيْنِ وَاللَّيْلِ مُلْقِ سُودَ أَكْنَافِهِ عَلَى الْآفَاقِ
ابْقِيَا مَا بَقِيَتَا سَوْفَ يُرْمَى بَيْنَ شَخْصَيْكُمَا بِسَهْمِ الْفِرَاقِ
هُوَ نِي ذَا عَلَيْكَ وَاقْنِي حَيَاءً لَسْتُ تَبْقَيْنِ لِي وَلَسْتُ بِبَاقِ
أَيْنَا قَدَمْتُ حِمَامُ المَنَايَا فَالَّذِي أَخَّرْتُ سَرِيعُ اللِّحَاقِ
^(٥) لَا يَدُومُ الْبَقَاءُ لِلخَلْقِ لَكِنْ دَوَامُ الْبَقَاءِ لِلخَلَاقِ^(٥)
إِنْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ تَلَاقِ بَعْدَ مَا قَدْ تَرَيْنِ كَانَ التَّلَاقِ^(٦)

وقال آخر ، وهو نبطويه :

(١) ب : الفراق .

(٢) شرح الديوان ٦٦/٢ ، محاضرات الأدباء ٢٨/٢ .

(٣) مصرات : حامضات .

(٤) ب : بتلاق .

(٥) ساقط من ب .

(٦) انظر الأبيات في زهر الآداب ٤١/٣ ، والبيتين هوني وما بعده في معجم الشعراء ٣٥٢ .

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدَّمَاءُ عَلَيْهِمَا عَيْنَايَ حَتَّى تُؤْذِنَا بِذَهَابِ
لَمْ يَبْلُغَا الْمِغْشَارَ مِنْ حَقِّهِمَا فَقَدْ الشَّبَابَ وَفُرْقَةَ الْأَحْبَابِ^(١)
وقال النزال :

وَإِنْ رَجَائِي فِي الْإِيَابِ إِلَيْكُمْ وَإِنْ أَنَا أَظْهَرْتُ الْعَزَاءَ قَصِيرُ
وَإِنْ كُنْتُ تَبْغِينَ الْوَدَاعَ فَبَالِغِي فَدُونِكَ أَحْوَالُ أَرَى وَشُهُورُ
وقال آخر :

لَبَسَ الْفِرَاقُ وَإِنْ جَزَعْتَ بِضَائِرِ مَا لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَنَا الْأَخْلَاقُ
إِنْ لَمْ يَحُلْ حَدَثُ الْمَنِيَّةِ بَيْنَنَا فَسَنَلْتَقِ وَسَيَحْفَظُ الْمِيثَاقُ
وَاللَّهْرُ يَجْمَعُ بَيْنَ كُلِّ مُفَارِقِ وَلِكُلِّ مُلْتَقِيٍّ مِنْهُ فِرَاقُ

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين :

مَدَّتْ إِلَى الْبَيْنِ أَطْرَافًا مُخَضَّبَةً لَمَّا تَوَلَّتْ وَذَاقَتْ حُرْقَةَ الْبَيْنِ
وَوَدَّعَتْنِي وَمَا هَمَّتْ وَلَا نَطَقَتْ وَإِنَّمَا وَدَّعْتُ وَحِيًّا بِعَيْنَيْنِ
بَلَى لَقَدْ أَوْمَأْتُ نَحْوِي بِإِصْبَعِهَا إِيْمَاءَةً خَتَلْتُ^(٢) عَنْهَا الرِّقَبَيْنِ
وقال آخر :

أَتَذْكُرُ إِذْ تُودِّعُنَا سَلِيمِي بَعُودِ بَشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامُ^(٣)

(١) ورد البيتان في محاضرات الأدباء ١٤٧/٢ منسويين إلى محمود الوراق ، ونسبهما صاحب المستطرف ١٩٨/١
٤٠/٢ إلى أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاد ، ووردا في التمثيل والمحاضرة ٤٦٩ ، ووفيات الأعيان
٢٤٤/٦ غير منسويين .

(٢) ب : خبلت ، وانظر الأبيات في المحاسن والمساوي ٧٩/٢ .

(٣) البيت لجريز ، ديوانه ٥١٢ وفيه وفي الأغاني ٦٥/٢ ، نهاية الأرب ٢٧٦/٤ ، أنسى ، وفتح بشامة ،
وفي اللسان : أتذكر كما هنا .

(١) يريد : تشير إلينا بمسواكها مودعة^(١) .

وقال أبو عوانة^(٢) : كنت أجالس أبا العتاهية فأراد الخروج إلى مكة

فودعني وقال :

إِنْ نَعِشْ نَجْتَمِعَ وَإِلَّا فَمَا أَشْغَلَ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنَامِ^(٣)

قالت أعرابية لابن لها ، وقد ودعته وهو يريد سفراً : امض مصاحباً مكلوأ^(٤) ، لا أشمت الله بك عدوًّا ، ولا أرى محبك فيك سوءاً .

ودع أعرابي رجلاً ، فقال كبت الله لك كل عدوٍّ إلا نفسك ، وجعل خير عملك ، ما ولى أجلك .

بيت قديم :

وَكُلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سِوَى فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيِّنَةً الْخَطْبِ^(٥)

قال محمد بن عبد السلام الحُشَنِي :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنُ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةُ إِذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الْفِرَاقِ تَلَاقِ
كَأَنَّ لَمْ تُورِّقْ بِالْعِرَاقِينَ مُقْلَتِي وَلَمْ تَمْرِكْ كَفُ الشَّوْقِ مَاءِ مَاقِ^(٥)
وَلَمْ أَزِرِ الْأَعْرَابَ فِي خَبْتِ أَرْضِهِمْ^(٦) بِذَاتِ الْاَوَى مِنْ رَامَةٍ وَبُرَاقِ

(١) زيادة من ب .

(٢) في ١ : أبو عربة ، والصحيح ما أثبتنا ، فو أبو عوانة الوضاح بن خالد اليشكري ، من حفاظ الحديث الثقات ، مات بالبصرة سنة ١٧٦ هـ ، تاريخ بغداد ٤٦٠/١٣ ، تهذيب التهذيب ١١٦/١١ .

(٣) لم يرد البيت في ديوان أبي العتاهية ، وقد نسب إلى زهير السامي في تاريخ بغداد ٣٨٤/٢ .

(٤) البيت لقيس بن ذريح اللبي ، انظره في الحماسة لأبي تمام ٧٠/٢ ، سير أعلام النبلاء ٣٤٠/٣ وفيه : وكل ملقات .

(٥) ب ولم كف بالشوق ، ا : ولم تركف ، وتعر معناها تمسح .

(٦) م : عقر خبتهم ، ب : أرض خبتهم ، والحبت : المقسع الفسيح من الأرض .

وَلَمْ أَصْطَبِحْ فِي الْبَيْدِ مَنْ قَهْوَةِ النَّوَى بِكَأْسٍ سَقَانِيهَا الْفِرَاقُ دِهَاقٌ^(١)

وقال آخر :

خَلِيلِي إِلَّا تَبْكِيَا لِي أَسْتَعِينُ خَلِيلًا إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكِي لِيَا
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ تَلَاقٌ وَلَكِنْ لَا إِخَالُ تَلَاقِيَا^(٢)

قالوا : كم بين لوعة الفراق ، وفرح التلاق .^(٣)

(١) انظر الأبيات للخشني أيضا في جذوة المقتبس ٦٤ ، ونسبها في نفح الطيب ٢/٢٢١ إلى محمد بن عيسى ، ورواية الشطرة الأخيرة فيها : وكأس سقاها في الأزاهر ساق .

(٢) البيتان في حماسة أبي تمام ٢/١٢٢ .

(٣) ساقط من أ .

باب الزيارة والعبادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زار أخا له في الله ، أو عاده ، خاض
الرحمة حتى يرجع وقال الله عز وجل له : طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة
منزلا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتاكم الزائر فأكرموه » وقال^(١)
حاكيا عن الله عز وجل : « وجبت محبتي للمتزاورين في والمتحابين في » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأبي هريرة : « يا أبا هريرة ! زُرْ غِيًّا تَزِدُّ
حُبًّا » . أخذه الشاعر فقال :

إِذَا شِئْتُ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِرًا وَإِنْ شِئْتُ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِيًّا^(٢)

أنشدني أبو عثمان سعيد بن سيد^(٣) ، لعبد الملك بن جهور الوزير :

وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ وَكَانَ بَرًّا إِذَا زُرْتَ الْحَبِيبَ فَزُرْهُ غِيًّا
وَأَقْلِلْ زُورَ مَنْ تَهْوَاهُ تَزِدُّ إِذَا مَازَرْتَهُ مِقَّةً وَحُبًّا
ولعل بن أبي طالب الكاتب^(٤) :

إِنِّي رَأَيْتُكَ لِي مُحِبًّا وَإِلَى حِينَ أَغِيبُ صَبًّا
فَهَجَرْتُ لَا لِمَلَالَةٍ حَدَّثْتُ وَلَا اسْتَحْدَثْتُ ذَنْبًا
إِلَّا لِقَوْلِ نَبِيَّنَا زُورُوا عَلَى الْأَيَّامِ غِيًّا
وَلِقَوْلِهِ مَنْ زَارَ غِيًّا^(م) مِنْكُمْ يَزِدُّ حُبًّا

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من أ ، وانظر البيت في معجم الأدباء ١٥/١٦ .

(٣) ب : سعد .

(٤) ساقط في ب .

قال خارجة بن زيد النحوى : دخلت على محمد بن سيرين بيته زائراً له ، فوجدته جالساً بالأرض ، فألقى إلى وسادة ، فقلت له : إني قد رضيت لنفسى ما رضيت لنفسك . فقال : إني لا^(١) أرضى لك فى بيتى ما أرضى به لنفسى ، واجلس حيث تؤمر ، فعمل الرجل فى بيته شئ يكره أن تستقبله .

قال بشار :

لَا تَجْعَلَنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا
أَحْبَبْتَهُ وَهَوَيْتَهُ رَبًّا
وَصِلِ الْخَلِيلَ إِذَا شُغِفْتَ بِهِ
وَاطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبًّا
فَلَذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ
لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
لِكَنْ يَمْلِكُ^(٢) ثُمَّ تَدْعُو بِاسْمِهِ
فَيَقُولُ : هَا ، وَطَالَمَا لَبَى^(٣)

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا
تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسَدًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْغَيْثَ يُسَامُ دَائِمًا
وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ^(٤)

قال قيس بن سعد بن عبادة : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم زائراً ، فوقف بيا بنا .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : لكى يملك .

(٣) لم أعر على هذه الأبيات فيما طبع من ديوانه ، ولا فى المختار من شعره للخالدين ، ورواية م لهذا البيت :

لابل يملك عند رؤيته ويقول أف وطالما كبا

(٤) محاضرات الأدباء ١/ ١٢١ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦٣ ، غير منسوين ، ونسبنا لناصر بن أحمد النحوى ، فى

معجم الأدباء ، ٢١١/ ١٩ . ولا بن حموش الفيسى المقرئ فى وفيات الأعيان ٤/ ٣٦٤ .

قال ابن المعتز^(١) :

وَقَفَّةٌ فِي الطَّرِيقِ نِصْفُ الزِّيَارَةِ^(٢)

وقال آخر :

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ مُوَاقِفَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ
سَلَامًا خَالِيًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ^(٣)

كان يقال : امش ميلا وعود عليلا ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة أميال ، وزر في الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن قبلكم رجل يزور أخا له في الله بقرية أخرى ، فأرصد^(٤) الله على مدرجه^(٥) ملكا ، فلما انتهى إليه قال له : أين تريد ؟ قال : أريد قرية كذا . قال : وما حاجتك فيها ؟ قال : زيارة أخ لي في الله . قال : وهل غير ذلك ؟ قال : لا . قال : فهل عليك من نعمة تربيتها^(٦) ، أو يد تشكرها ؟ قال : لا ، إلا أنه أحبنى في الله فأحبته فيه^(٧) . قال : فإنني رسول الله إليك ، مخبرك أنه يحبك كما أحببت فيه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فمما أذن لي فيها فزوروها فإنها تذكركم الآخرة ، ولا تقولوا هجراً » .

(١) ب : ابن المغيرة .

(٢) صدره * قف لنا في الطريق ان لم نزرنا * ديوانه ١٠٢ ، التمثيل والمحاضرة ١٠١ .

(٣) البيان والتبيين ٢/٤٠٢ ، ٢٠٠/٣ ، عيون الأخبار ٢٤/٣ ، وفيه : وحظك لقية ، محاضرات الأدباء ١٥/١٥ .

(٤) ب : فأرسل .

(٥) المدرج : المسلك والطريق .

(٦) ب : تربيتها .

(٧) ب ، م : إلا أنه أخى في الله أحبه فيه .

كان سفيان بن عيينة يقول : لا تعمل الأقدام في الزيارة إلا إلى أقدارها ،

وينشد :

فَضَعَ الزِّيَارَةَ حَيْثُ لَا يُزْرَى بِهَا كَرَّمَ الْمَزُورَ وَلَا يُعَابُ الزَّائِرُ^(١)

وقال العباس بن الأحنف :

يُقَرِّبُ الشَّوْقُ دَارًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مَنْ عَالَجَ الشَّوْقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا
أَزُورُكُمْ لَا أَكْفِيكُمْ بِحَفْوَتِكُمْ إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا لَمْ يُسْتَزَرَ زَارَا^(٢)

وقال الأحوص :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنَّ ذَا الْحَوَى إِذَا لَمْ يُزَرَ لَا بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ
أَزُورُ عَلَى أَنْ لَسْتُ أَفْقِدُ كَلِمًا أَتَيْتُ عَدُوًّا بِالْبِنَانِ يُشِيرُ^(٣)

وقال آخر :

فَإِنِّي لَزَوَّارٌ لِمَنْ لَا يَزُورُنِي إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي وَدِّهِ بِمُرِيبٍ
وَمُسْتَقْرِبُ دَارِ الْحَبِيبِ وَإِنْ نَأَتْ وَمَا دَارُ مَنْ أَبْغَضَتْهُ بِقَرِيبٍ^(٤)

وقال آخر :

رَأَيْتُ تَبَاعُدَ الْإِخْوَانِ قُرْبًا إِذَا اشْتَمَمَتْ عَلَى الْوُدِّ الْقُلُوبُ
وَلَيْسَ يُوَاصِلُ الْإِلْمَامَ إِلَّا ظَنِينَ فِي مَوَدَّتِهِ مُرِيبٌ^(٥)

(١) عيون الأخبار ٢٩/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٧/١ .

(٢) ديوانه ١٢٥ ، مع اختلاف في ألفاظ الرواية . محاضرات الأدباء ٣٠٥/١ ، ١٥/٢ .

(٣) البيتان في الأغاني ١١٥/١٢ ، والأول في الكامل ٣٣٣/١ .

(٤) ١ : إذا لم يكن لي في وجوه مرّيب ، والبيتان في محاضرات الأدباء ١٥/٢ . منسوبين إلى ابن حجاج .

(٥) ١ : ظنين يجود به مرّيب .

وقال إبراهيم بن العباس الصولى :

دَنْتُ بِأَنْاسٍ مِنْ تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بِلَيْلَى عَنْ دُنُوٍّ (١) مَزَارُهَا
وَإِنَّ مُقِيمَاتٍ (٢) بِمُنْقَطَعِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارُهَا (٣)

وأما قول قرم بن مالك :

عَلَامَ أَوَايِمُ الْبُخْلَاءِ فِيهَا فَاقْعُدْ لَا أَزُورُ وَلَا أُزَارُ

قال بعضهم : إن معناه علام أستوحش من الناس ، وتأول من ذهب هذا المذهب فى قول العرب: لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أنس الناس بعضهم ببعض لهلكوا إذا عمتهم الوحشة . وقال آخرون فى قولهم : لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه صنع خيراً تشبه به ، لهلك الناس ، ولبعض أهل العصر :

أَزُورُ خَلِيلِي مَا بَدَا لِي هَشُّهُ وَقَابَلَنِي مِنْهُ الْبَشَاشَةُ وَالْبِشْرُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَشٌّ وَبَشٌّ تَرَكْتُهُ وَلَوْ كَانَ فِي اللَّتْمَا الْوِلَايَةُ وَالْيَسْرُ
وَحَقُّ الَّذِي يَنْتَابُ دَارِي زَائِرًا طَعَامٌ وَبِرٌّ قَدْ تَقَدَّمَ بِشْرُ

(١) : ١ : عن تناء .

(٢) : ١ : وإن مقيماً حيث .

(٣) محاضرات الأدباء ٣١/٢ ، وفيات الأعيان ٢٥/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٩١ ، زهر

الآداب ١٥٦/٤ وفيه : تدانت بقوم عن .

باب العيادة أيضاً^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عائدُ المريض في مخرفة^(٢) الجنة » .

وقال عليه السلام : « عائدُ المريض يخوض الرحمة ، فإذا قدم عنده غمرته » .
قال مالك : أو نحو هذا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حقِّ المسلم على المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه ، ويعوده إذا مرض ، ويسمته إذا عطس ، ويشيع جنازته إذا مات ، ويحييه طعامه إذا دعاه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ العيادة أخفها » .

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن^(٣) الحجاج — يعني ابن أרטاة — عن المنهال عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : « من دخل على مريض لم تحضر وفاته ، فقال : أسأل الله العظيم ، ربَّ العرش العظيم أن يشفيك ، سبع مرات ، شفى » .

قال الشاعر :

إِنْ كُنْتُ فِي تَرْكِ الْعِيَادَةِ تَارِكًا حَظِّي فَإِنِّي فِي الدُّعَاءِ لَجَاهِدُ
وَلَرُبَّمَا تَرَكَ الْعِيَادَةَ مُشْفِقٌ وَأَتَى عَلَى غِلِّ الضَّمِيرِ الْحَاسِدُ^(٤)

(١) ساقط في ب .

(٢) المخرفة : البستان ، والسكة بين صفين من نخل يخترق المخترق من أيهما شاء .

(٣) ب : ابن .

(٤) البيتان في محاضرات الأدباء ١٥/٢ ، منسوين إلى الخوارزمي ، ووردا من غير نسبة في عيون الأخبار ٤٦/٣ .

وقال آخر :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ
وَتَذُنُّونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَعْتَذِرُ^(١)

وقال عبد الله بن مصعب الزيري :

مَالِي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدَّنِي عَائِدُ
مِنْكُمْ وَيَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ^(٢)
فَسُمِّيَ عَائِدُ الْكَلْبِ.

ولجعفر بن حذار الكاتب :

إِنَّ الْعِيَادَةَ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ^(٣)
وَاقْعُدْ قَلِيلًا كَلْحَظِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ
لَا تُبْرِ مَنْ مَرِيضًا فِي عِيَادَتِهِ
يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ تَسَالُ بِحَرْفَيْنِ^(٤)

وللشافعي الفقيه رضى الله عنه ، وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض
إخوانه ، فامسوا جبينه ، وقالوا له : أنت بخير ونحو هذا ، فقال :

أَقُولُ لِعَائِدِي وَشَجِّعُونِي وَغَرِّهُمْ فِتْوَرُ حَمِي^(٥) جَبِينِي
تَمَرَّوْا بِالتَّصَبُّرِ عَنْ أَخِيكُمْ فَضَجُّوا بِالْبُكَاءِ وَوَدَّعُونِي
فَلَمْ أَدَعْ الْأَيْنَ لِقَلِّ سَقَمِي وَلَكِنِّي ضَعُفْتُ عَنِ الْأَيْنِ

(١) البيت للمؤمل بن أميل ، انظر التمثيل والمحاضرة ٩٠ ، المستطرف ٢٢٦/١ ، ٢٢٢/٢ .

(٢) الكامل ٢٢٢/١ ، المستطرف ٢٢٢/٢ ، عيون الأخبار ٥٢/٣ .

(٣) ب : يوم بيومين ، وفي محاضرات الأدباء والمستطرف : حق العيادة يوم بعد يومين .

(٤) انظر المحاضرات ٢٠٩/١ ، والمستطرف ٢٢٢/٢ ، العقد الفريد ٤٥٠/٢ ، وقد ورد فيه البيت الأول :

عيادة المرء يوم بين يومين وجلسة لك مثل اللاحظ بالعين

وفيه : مساءلة مكان عيادته في البيت الثاني .

(٥) الحمى بالكسر : السخونة والعرق .

سَأَصْبِرُ لِلْجِمَامِ وَقَدْ أَتَانِي وَإِلَّا فَهَوَّ آتٍ بَعْدَ حِينٍ
وإنْ أَسْلَمَ يَمُتْ قَبْلِي حَبِيبٌ وَمَوْتُ أَحِبَّتِي قَبْلِي يَسُونِي^(١)

قال المدائني : سقط عبد الله بن شُبْرُمة القاضي عن دابته ، فَوُثِّتَ^(٢) رجله ،
فدخل عليه يحيى بن نوفل^(٣) الشاعر عائدآ له ومادحآ ، وكان جاره ، فأنشده :

أَقُولُ غَدَاةَ أَتَانَا الْخَبِيرُ وَدَسَّ أَحَادِيثُهُ هَيْئَمَهُ^(٤)
لَكَ الْوَيْلُ مِنْ مُخْبِرٍ مَا تَقُولُ؟ أَبِنْ لِي وَعَدَّ عَنْ الْجُمُجَمَةِ^(٥)
فَقَالَ خَرَجْتُ وَقَاضَى الْقَضَا مَنَفَكَةً رِجْلُهُ مُؤَلَمَةٌ
فَقُلْتُ وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْبِلَادُ وَخِفْتُ الْمُجَلَّلَةَ الْمُعْظَمَةَ
فَغَزَوَانُ حُرٌّ وَأُمُّ الْوَلِيدِ إِنَّ اللَّهَ عَافَى^(٦) أَبَا شُبْرُمَةَ
جَزَاءً لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَنَا وَمَا عِتْقُ عَبْدٍ لَهُ أَوْ أَمَةٍ^(٧)

قال : وفي المجلس جازَّ ليحيى بن نوفل ، يعرف ما^(٨) في منزله ، فلما خرج تبعه ،
فقال له : يا أبا مَعْمَرٍ^(٩) ! رَحِمَكَ اللَّهُ مَنْ غَزَوَانُ وَأُمُّ الْوَلِيدِ ؟ قال : صَنَوْرَانُ فِي
الْبَيْتِ ، فَاسْتَرَعَلَنِي .

(١) الأبيات الثلاثة الأول في معجم الأدباء ١٩٧/١ ، والرواية للبيت الأول فيه . أقول لصاحبي وسليان : الخ .

(٢) وثَّت : انفكت ، أو أصابها وجع من غير كسر .

(٣) الحميري اليماني ، كان شاعراً هجاء ، وكان مع ذلك ظريفا ذا فكاهة ، انظر في ترجمته الشعر والشعراء

٧١٧ — ٧٢١ ، رغبة الأمل ١٣٣/١ ، ١٨٣/٤ ، ١٤٦/٥ .

(٤) الهينمة : الصوت الخفى .

(٥) الجمجمة : الكلام الذي لا يبين .

(٦) ب : عفا .

(٧) الأبيات في عيون الأخبار ٤٨/٣ ، الشعر والشعراء ٧١٩ .

(٨) ١ : من .

(٩) ب ، ا ، م يا أبا العمر ، وهو خطأ ، انظر مراجع ترجمته السابقة .

بَابُ الْحِجَابِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ شَيْئًا فَاحْتَجَبَ عَنْ حَاجَتِهِمْ ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَنْ حَاجَتِهِ ، وَخَلَّتْهُ وَفَاقَتْهُ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَفَعَ حَاجَةً ضَعِيفٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لَا يَسْتَطِيعُ رَفْعَهَا ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

حجب معاوية أبا الترداء يوماً ، وحبسه عند بابه ، فقبل له : يا أبا الدرداء ! ويفعل هذا بك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : من يأت أبواب السطان يقيم ويتعمد .

قال عبد العزيز بن زُرَّارَةَ الكلابي :

دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ ^(١) بْنِ صَخْرٍ عَلَى حِينٍ يَنْتَسُ مِنْ الدَّخُولِ
وَمَانِلْتُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّى حَلَمْتُ مُحَلَّةَ الرَّجُلِ الذَّلِيلِ
وَأَغْضَيْتُ الْجَفُونَ عَلَى قَذَاهَا وَلَمْ أَنْظُرْ إِلَى قَالٍ وَقِيلِ
فَأَدْرَكْتُ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْهُ بِمُكْثٍ وَالْخَطَا زَادُ الْعُجُولِ ^(٢)

حُجِبَ أَعْرَابِيٌّ عِنْدَ بَابِ سُلْطَانٍ فَقَالَ :

أُهَيْنَ لَهُمْ نَفْسِي لِأَكْرَمَهَا بِهِمْ وَلَنْ يُكْرِمَ النَّفْسَ الَّتِي لَا يُهَيِّنُهَا ^(٣)

(١) ب : ابن منصور .

(٢) الأبيات في عيون الأخبار ١/٨٣ ، التنبيه للبكري ٦١ ، وفيهما : ... بن حرب وذلك إذ ، وفي البيت الأخير رواية التنبيه : والخطاء مع العجول .

(٣) في هامش البيان علق الأستاذ السندوبي على البيت بأنه للحسن بن عبد الحميد ، وقد رؤى وهو يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان العباسي ، فقبل له : مثلك يرضى بهذا ؟ فقال البيت . انظر البيان ٣/١١٨ . وانظره في العقد ١/٨٢ ، عيون الأخبار ١/٩١ .

حدثني أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن
عبيد الله الصيّدلاني ، قال : حدثنا علي بن سليمان الأخفش ، قال : أنشدني بعض
أصحابنا :

في كلّ يوم لي ببابك وقفةٌ أطوى إليها سائر الأبوابِ
فإذا جلستَ وغبتُ عنك فإنه ذنبٌ عقوبته على البوابِ^(١)

استأذن أبو سفيان على عثمان رضي الله عنه ، فأبطأ إذنه ، فقل حجبك
أمير المؤمنين؟ فقال : لا عدمتُ من قومي من إذا شاء حجب .

قال معاوية الحُضَيْنِ بنِ المُنْدِرِ : يا أبا ساسان ! كأنك لا تحسن^(٢) أذنك ..
فأنشأ يقول :

كلُّ خفيف الرأى يمشي مُشَمَّرًا إذا فتح البوابُ بابك إصْبَعًا
ونحنُ الجلوسُ الماكثون رزاةً وحِلْمًا إلى أن يُفْتَحَ البابُ أَجْمَعًا^(٣)

قال زياد حاجبه : يا عجلان ! إنني وليتك ما وراء بابي ، وعزأتك عن أربعة :
طارق ليل فشري^(٤) ما جاء به ، وخبر رسول صاحب الثغر فإنه إن تأخر ساعة
أبطل عمل سنة ، وهذا المنادي للصلاة ، وصاحب الطعام فإنَّ الطَّعامَ إذا أُعيد عليه
التَّسخينُ فسد .

(١) البيتان في عيون الأخبار ٩١/١ ، المستطرف ١١٥/١ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) البيان ٢١٧/٢ ، وفيه : وكل خفيف الساق يسعى ، الماكثون توقرا . وانظر عيون الأخبار ٨٨/٢ ،
المستطرف ١٣/١ ، العقد ٧٩/١ ، وورد الشطر الأول فيه : رأيت أناساً يسرعون تبادرا .

(٤) ساقط من ب .

قال مروان لابنه عبد العزيز - حين ولّاه مصر - : يا بني ! مُر حاجبك
 يخبرك مَنْ حضر بابك كلَّ يوم ، فتكون أنت تأذن وتحجب ، وأنس من دخل
 عليك بالحديث فينبسط إليك ، ولا تعجل بالعقوبة إذا أسس عليك الأمر ، فإنك
 على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها .

كان يقال : لا تقم على باب حتى تدعى إليه .

أقام رجل على باب كسرى سنة ، فلم يؤذن له ، فقال له الحاجب : اكتب كتاباً
 وخففه أوصله لك . فقال : لا أزيد على أربعة أسطر ، فكتب في السطر الأول :
 الأمل والضرورة^(١) أقدماني عليك^(٢) ، وفي السطر الثاني : ^(٣) ليس مع العدم صبر
 على الطلب . وفي السطر الثالث^(٤) : الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء ، وفي السطر
 الرابع : إما نعم مثمرة ، وإما لا مؤسفة . فوقع كسرى تحت كل سطر بأربعة آلاف
 درهم^(٥) ، فانصرف بستة عشر ألف درهم .

قال أشجع بن عمر السلمي^(٥) ، في باب محمد بن منصور بن زياد :

على باب ابن منصورِ علاماتٌ من البذلِ
 جماعاتٌ وحسبُ البا بفضلاً كثرةُ الأهلِ^(٦)

(١) ب : القبرة .

(٢) ١ : على الملك .

(٣) ساقط من ب .

(٤) وقع تحت كل سطر ببدره .

(٥) ب : السلمي .

(٦) عيون الأخبار ٩٠/١ ، السكامل ١٠١/١ وفيه : وحسب الباب نبلا ، محاضرات الأدباء ٢٥٦/١ .

وقال بشار بن برد :

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يُنْتَثِرُ الْحَبُّ (م) وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ (١)

وقال حبيب :

إِنَّ السَّمَاءَ تَرْجَى حِينَ تُحْتَجَبُ (٢)

وقال آخر :

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ وَالْمَشْرَبُ (٣) الْعَذْبُ كَثِيرُ الزَّحَامِ (٤)

وقال عبيد الله بن عكراش :

وَإِنِّي لَأَرْتِي لِلْكَرِيمِ إِذَا غَدَا عَلَى طَمْعٍ عِنْدَ اللَّئِيمِ يُطَالِبُهُ
وَأَرْتِي لَهُ مِنْ وَقْفَةٍ عِنْدَ بَابِهِ كَمَرِّ ثَيَّتِي لِلطَّرْفِ وَالْعُلُجِ رَاكِبُهُ (٥)

كتب رجل إلى عبد الله بن طاهر :

«إِذَا كَانَ الْجَوَادُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضَّلَ الْجَوَادِ عَلَى الْبَخِيلِ

فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ (٦) :

إِذَا كَانَ الْجَوَادُ قَلِيلَ مَالٍ وَلَمْ يُعْذَرْ تَعَلَّلَ بِالْحِجَابِ (٧)

(١) المختار من شعر بشار ٩٣ ، البيان ١٨٢/١ ، ١٨٨ ، عيون الأخبار ٩١/١ ، ٢٦/٣ ، نهاية الأرب ٣/٧٧ .

(٢) صدره : ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا . انظر ديوانه ٤٢ .

(٣) ب : والمرع وكذلك فى عيون الأخبار ، وفى المحاضرات : والمنهل .

(٤) البيت لبشار ، المختار من شعره ٩٥ ، الكامل ١٠١/١ ، محاضرات الأدباء ١٤١/١ ، معجم الأدباء

٦/ ٢٢٦ ، عيون الأخبار ١/٩٠ .

(٥) البيان والتبيين ٢/٢٠١ ، عيون الأخبار ٨٩/١ ، والطرف : الجواد الكريم .

(٦) زيادة من ب .

(٧) البيت الذى سبقه فى المحاسن والمساوىء ١٢٦/١ ، المستطرف ١١٣/١ ، عيون الأخبار ٨٩/١ .

محاضرات الأدباء ١٠٣/١ ، العقد الفريد ٨٦/١ ، وفيه : الكريم مكان الجواد ، فى البيتين .

وقال البحتري :

أَتَيْتُكَ لِلتَّسْلِيمِ لَا أَنِّي امْرُؤٌ طَلَبْتُ بِإِثْيَانِيكَ أَسْبَابَ نَائِلِكَ
فَأَلْفَيْتَ بَوَّابًا يَبَابُكَ مُغْرَمًا بهدم الذي أوطأته من فضائلِكَ
وقد قيل قَدَمًا حَاجِبُ الْمَرْءِ عَامِلٌ عَلَى عِرْضِهِ فَاحْذَرُ جُنَايَةَ عَامِلِكَ
وَكُنْ عَالِمًا أَنْ لَسْتُ مِنْ بَعْدُ رَاجِعًا إِلَيْكَ وَلَوْ كَانَ الْهُدَى مِنْ رَسَائِلِكَ^(١)

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى عمر بن عبد العزيز :

يَا عُمَرَ بْنَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِنْ وَقُوفَ الْحَرِّ عِنْدَ الْأَبْوَابِ
يُدْفَعُهُ الْبَوَّابُ بَعْدَ الْبَوَابِ يَعْدِلُ عِنْدَ الْحَرِّ قَلْعَ الْأَنْيَابِ^(٢)
قال بعض الأكاسرة لحاجبه : لا تحجب عني أحداً إذا أخذت مجلسي ، فإن الوالي
لا يحجب إلا عن ثلاث : عي يكره أن يُطَّلَعَ عليه ، أو بخل فيكره أن يدخل إليه
من يسأله ، أو ريبة .

وقد نظم هذا كاه محمود الوراق فقال :

إِذَا اعْتَصَمَ الْوَالِي بِإِغْلَاقِ بَابِهِ وَرَدَّ ذَوِي الْحَاجَاتِ دُونَ حِجَابِهِ
ظَنَنْتُ بِهِ إِحْدَى ثَلَاثٍ وَرَبَّمَا نَزَعْتُ بَظْنَ وَاقِعٍ بِصَوَابِهِ
فَقُلْتُ بِهِ مَسْ^(٣) مِنْ الْعِيِّ قَاطِعٌ فِي إِذْنِهِ لِلنَّاسِ إِظْهَارُ مَا بِهِ
فَإِنْ لَمْ يَكُ عِيُّ اللِّسَانِ فَعَالِبٌ مِنَ الْبُخْلِ يَحْمِي^(٤) مَالَهُ عَنْ طَلَابِهِ

(١) لم أعر عليها في الديوان ، ووردت في العقد ٨٧/١ بدون نسبة .

(٢) نسب البيتان في المؤلف ١٦٩ إلى كثير بن كثير السهمي .

(٣) ١ : شئ .

(٤) ب : يحصى .

فإن لم يكن هذا ولا ذا فَرِيبةٌ يُصِرُّ عليها عند إغلاقِ بابِهِ^(١)
وله أيضاً :

لولا مُقَارَفةُ الرِّيبِ ما كنتَ مِمَّنْ يَحْتَجِبُ
أَوْ لَا فَعِيٌّ فِيكِ أَوْ يُخَلُّ عَلَى أَهْلِ الطَّلَبِ
فاكشِفْ لَنَا وَجْهَ الْعَتَا بِ وَلَا تُبَالِ مَنْ عَتَبَ

وقد جمع منصور الفقيه هذا المعنى في أقل نظم ، فقال :

وَطُولُ الْحِجَابِ مُخَبِّرٌ عَنْ عِيٍّ صَاحِبِهِ وَبُخْلِهِ
فَإِذَا الْفَتَى لَمْ يَسْتَبِنْ هَذَا تَبَيَّنَ ضَعْفُ عَقْلِهِ

وأرفع من^(٢) هذا قول زهير :

السُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سُدْرٍ^(٣)

قصد إبراهيم بن المهدي يحيى بن خالد فحجبه ، فكتب إليه إبراهيم :

إِنِّي أَتَيْتُكَ لِلسَّلَامِ وَلَمْ أَنْقُلْ إِلَيْكَ لِحَاجَةً رَجُلِي
فَحَجَبْتُ دُونَكَ مَرَّتَيْنِ وَقَدْ تَشَدَّدَ وَاحِدَةٌ عَلَى مِثْلِي

(١) عيون الأخبار ٨٤/١ ، المحاسن والمساوي ١٢٦/١ .

(٢) ب : ماق .

(٣) ١ : وماتلق دون خبر من ستر ، وقد أثبتنا رواية ب لموافقتها مختلف الروايات ، وانظره في ديوانه

٩٥٠ ، التمثيل والمحاضرة ٤٧ ، زهر الآداب ١٢٨/٣ ، نهاية الأرب ٥٩/٣ ، الأمل ٩١/١ .

وقال آخر :

سأتركُ باباً أنت تملكُ إذنه وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالكِ
فلو كنتُ بوابَ الجنان تركتها وحوّلتُ رجلى مُسرّعاً نحو ممالك^(١)

وقال محمود الوراق :

سأتركُ هذا البابِ مادام إذنه كعهدي به حتى يخفّ قليلاً
وما خابَ من لم يأتَه مُتعمّداً ولا فازَ مَنْ قد نال منه وُصُولاً
^(٢)وما جُعِلتُ أرزاقنا بيد امرئٍ تحمى بابَه من أن يُنال دُخُولاً^(٣)
إذا لم أجدُ يوماً إلى الإذنِ سُلماً وجدتُ إلى تركِ المجيءِ سبيلاً^(٤)

وقال آخر :

على أيّ بابٍ أطلبُ الإذنَ بعدما حُجبتُ عن البابِ الذي أنا حاجِبُهُ^(٥)
وفي معنى هذا قول الفرزدق :

وكان يجيرُ الناسَ من سيفِ مالكٍ فأصبحَ يَبغِي نَفْسَه من يجيرُها^(٥)

(١) المحاسن والمساوي ١٢٦/١ ، المستطرف ١٤/١ ، عيون الأخبار ٨٥/١ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) اضطرب في نسبة هذه الأبيات إلى صاحبها اضطراباً كبيراً ، فقد نسبها المرزباني في معجم الشعراء ٤٣١ أولاً إلى السديري أبي نبرة واسمه محمد بن هشام بن أبي خميسة ، ثم نسبها مرة ثانية في ص ٤٤٨ إلى محمد بن أبي عمران ، ووافقه الراغب في المحاضرات ١٠٢/١ ، ونسبت في المستطرف ١١٤/١ ، إلى أبي تمام ولا توجد في ديوانه ، ونسبت في وفيات الأعيان ٢٧٦/٢ إلى أبي العميث عبد الله بن زايد ، وانظرها في العقد ٨٦/١ ، ٨٩ بدون نسبة .

(٤) البيت للتوت اليماني عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بتويت انظر البيان ٤٠٠/٢ وانظره في معجم الأدباء ٢٥٨/٣ ، عيون الأخبار ٨٥/١ .

(٥) ديوانه ٧٣ ، البيان ٣٤٠/٢ .

وقال آخر :

ولست بمتَّخذٍ صاحبًا يقيمُ على بابِهِ حاجِبًا
ويُلزِمُ إخوانَهُ حَقَّهُ وليس يَرى حَقَّهُمُ واجِبًا^(١)

وقال أبو تمام :

هَشٌّ إِذَا نَزَلَ الْوَفُودُ بِبَابِهِ سَهْلُ الْحِجَابِ مُهَذَّبُ الْخُدَامِ
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ^(٢)

وقال أبو العتاهية في عمرو بن مسعدة :

مَالَكَ قَدْ حُلْتَ عَنْ وَفَائِكَ^(٣) وَاسِ تَبَدَّلْتَ يَا عَمْرُو شِيْمَةً كَدِرَةً
'مَالِي فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ سَوَى تَسْهِيلُ إِذْنِي فَإِنَّهَا عَسِيرَةٌ^(٤)
إِنِّي إِذَا الْبَابُ تَاهَ صَاحِبُهُ^(٥) لَمْ يَكُ عِنْدِي لَتْرَكَ نَظْرَةً
لَسْتُ تَرْجُونَ لِلْحِسَابِ وَلَا يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ مُنْفَطِرَةً
لَكِنْ لِدُنْيَا تَكُونُ بِهِجِيَّتِهَا^(٦) سَرِيعَةً الْإِنْقِضَاءِ مُنْشَمِرَةً
قَدْ كَانَ وَجْهِي لَدَيْكَ مَعْرِفَةً فَالْيَوْمَ أَضْحَى بِأَبَا^(٧) مِنْ النِّكَرَةِ^(٨)

(١) عيون الأخبار ٨٥/١ .

(٢) يروى البيت الأول : سهل الفناء إذا حلت ببابه طاق اليمين مؤدب الخدام ويروى : ذوو ، مكان أخو في البيت الثاني ، والبيتان ليسا لأبي تمام بل وردا في حماسته فقط ، وقد نسبهما هوفسه لمحمد بن بشير الخارجي في الحماسة ١/٢٤٠ ، ٣٤١ ، ووردا مرتين في معجم الشعراء ص ٢٤٥ ، ٤١٢ ، ونسبا في الأولى لأبي البلهء عمير بن عامر مولى يزيد بن يزيد الشيباني ، وفي الثانية لمحمد بن بشير الخارجي ، وقد نسبنا في البيان والتبيين ١/١٧٩ ، والعقد الفريد ٢/٣١٥ عيون الأخبار ١/٨٩ إلى ابن هرمة ، وانظرهما في : محاضرات الأدباء ٢/٢ المحاسن والمساوي ١/١٢٤ من غير نسبة .

(٣) رواية الديوان للكلمات التي عليها نفس الرقم بالترتيب : إخائك ... حاجبه ... كالظل ... حرفا .

(٤) ساقط من ب .

(٥) الديوان ٣٢٦ .

كتب أبو مسهر إلى أبي جعفر محمد بن عبد كان ، وكان قد حُجِبَ على بابه :
 إني أتيتك للسلامِ أَمْسِ فَلَمْ تأذنَ عليكِ لي الأستارُ والحُجُبُ
 وقد علمتَ بآني لَمْ أُرِدَّ وَلَا والله ماردٌ إلا الحديثُ والأدبُ^(١)
 فأجابه محمد بن عبد كان :

لو كنتَ كافاتَ بالحسنَى لقلتَ كَمَا قال ابنُ أَوْسٍ في أشعاره أدبُ
 ليسَ الحجابُ بمُقْصٍ عنكَ لي أَمَلًا إنَّ السَّماءَ تُرَجَّى حينَ تُحجَّبُ^(٢)
 وقال منصور الفقيه :

إن الحجابَ عذابٌ وليسَ لي بالمَذابِ
 كَلَّا^(٢) فلا تَعذِلُونِي عَلَى اتِّصَالِ اجْتِنَابِي

وله أيضاً :

إذا كانَ لا بدَّ من حَجْبَةٍ وَمِنْ حَاجِبٍ فَاجْمَعُ لَهُ رَفِيقًا
 يخاطبُ من جاءَهُ بالجميلِ فيأتي صديقًا ويَمْضِي صَدِيقًا

(١) في العقد ١٨٠/١ ، للتسليم مكان السلام ، وفيه : ولا والله مارد إلا: الحديث والعلم والأدب .

(٢) ب : إذا .

بَابُ الْمَصَافَحَةِ وَتَقْبِيلِ الْيَدِ وَالْفَمِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « تَصَافَحُوا يَذْهَبُ الْغِلُّ ^(١) » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا التَّقَى الْمُسْلِمَانِ وَتَصَاخَا تَحَاتَّتْ

ذُنُوبُهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ ^(٢) الشَّجَرُ » .

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، إِذَا صَافَحَ رَجُلًا لَمْ يَنْزَعْ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى

يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْزَعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ .

قال أبو مخلة : المصافحة تجلبُ المحبة .

كان يقال : تحيةُ المؤمنين المصافحةُ والسلام .

قال الشاعر :

قَدْ يَمَكَّتْ النَّاسُ دَهْرًا لَيْسَ يَنْهَمُ وَدٌّ فَيَزَعُهُ التَّسْلِيمُ وَاللُّطْفُ

لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة ، وأرادوا النزول على حكم

سعد بن معاذ ، وكان قد تخلف بالمدينة لجرح أصابه بعث إليه رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، فلما قدم عليه ، قال للأَنْصار : « قوموا إلى سيِّدكم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَثَلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَّبِعُوا

مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

ومذهبُ الحديثين أنه جائز للرجل أن يكرم القاصد إليه إذا كان كريم قوم ،

أو عالمهم ، أو من يستحق البرَّ منهم بالقيام إليه أو يرضى بذلك منهم .

(١) الغل بالكسر : الحقد والضغن .

(٢) حته : فركه وقشره ، وتحات الشجر : سقط ورقه .

قال ابن المسيب البغدادي ، جابر^(١) ابن الرومي :

أقومُ وما بي أن أقومَ مذلةً على وإني للكرامِ مُذللٌ
على أنها مني لغيرك هُجْنةٌ ولكنها يئني ويئنيك تَجْمَلُ^(٢)

كان يقال : تقبيل^(٣) اليد إحدى السجدين .

تناول أبو عبيدة بن الجراح يد عمر ليقبّلها ، فقبضها ، فتناول رجله ، فقال :
مارضيت منك بملك فكيف بهذه !!

دخل عَقَّالُ بْنُ شَبَّةَ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَهُ فَقَبَضَهَا ،
وَقَالَ : مَه . فَإِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ هَذَا مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا هَلُوعٌ ، وَمِنَ الْعَجَمِ إِلَّا خَضُوعٌ .

قال الحسن : قُبْلَةُ يَدِ الْإِمَامِ الْعَدْلُ طَاعَةٌ .

كان يقال : قُبْلَةُ الرَّجُلِ زَوْجَتُهُ الْفَمُ ، وَقُبْلَةُ الْوَالِدِ وَلَدُهُ الرَّأْسُ ، وَقُبْلَةُ الْأُمِّ^١
الْوَلَدُ الْخَدُّ ، وَقُبْلَةُ الْأَخْتِ الْأَخُ الْعُنُقُ .

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : قُبْلَةُ الْوَالِدِ عِبَادَةٌ ، وَقُبْلَةُ الْوَلَدِ رَحْمَةٌ ،
وَقُبْلَةُ الْمَرْأَةِ شَهْوَةٌ ، وَقُبْلَةُ الرَّجُلِ أَخَاهُ دِينٌ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ ، وَزَنَاؤُهُمَا النَّظَرُ ، وَالْفَمُ

(١) ب قال ، ١ : خال .

(٢) محاضرات الأدباء ١٧/٢ ، ولم ينسبه ، وقد بحث في ديوان ابن الرومي لاحتمال كونها له ، فلم أعر

عليهما فيه وقد سبقا في ص ٤٤ .

(٣) ساقط في ب .

بزني ، وزناؤه القبل^(١) ، واليد تزني ، وزناؤها اللمس ، ويُصدّق ذلك كله القرج
أو يكذبه .

قال الهيثم بن عديّ ، قال لي صالح بن حيان : مَنْ أَفْقَهُ الشُّعْرَاءُ ؟ فقلت :
اختلف في ذلك . فقال : أَفْقَهُ الشُّعْرَاءُ وَضَّاحَ الْيَمِينِ^(٢) ، حيث يقول :

إِذَا قُلْتُ هَاتِي نَاولِيَنِي تَبَسَّمتُ وَقَالَتْ : مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ فِعْلٍ مَاحَرُمُ
فَمَا نَوَّلتُ حَتَّى تَضَرَّعتُ عِنْدَهَا وَأَعْلَمْتُهَا مَا أَرَخَصَ اللَّهُ فِي اللَّمَمِ^(٣)

(١) ١ : القول .

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ، شاعر رقيق الغزل ، قتله الوليد بن عبد الملك ، أنغزله في
زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، انظر الأغاني ٦/٣٠ — ١٤ .

(٣) البيتان في معاضرات الأدباء ١/٢١٠ ، وفيات الأعيان ٦/٦٦ .

بابُ الرَّسُولِ

ذكر ابن الأنباري ، عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، قال : الرَّسُولُ وَالرَّسِيلُ
وَالرَّسَالَةُ سَوَاءٌ .

وينشد هذا البيت على وجهين :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُحْتُ عَنْهُمْ بَسْرٌ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ^(١)

^(٢) و يروى برسيل^(٢) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أبردتكم^(٣) إلى بريدا ، أو بعثتم رسولا ،
فليكن حسن الوجه ، حسن الاسم ، وإذا سألتهم الحوائج فاسألوا حسان الوجوه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرجل الصالح يجيء بالخبر الصالح ،
والرجل السوء يأتي بالخبر السوء » .

أنشد أبو حازم القاضي ببغداد :

وَأَتَانَا عَنِ النَّبِيِّ حَدِيثًا نِ^(٤) إِلَيْهِ كِلَاهُمَا يُسْنَدَانِ^(٥)
وَاحِدٌ فِي الْحَاجَاتِ يَأْمُرُنَا أَنْ نَبْتَغِيَ مِنْ ذَوِي الْوُجُوهِ الْحَسَانَ
مِمَّ فِي الْفَالِ حُبَّةٌ حُسْنِ الْأَسْمَاءِ هِمْ وَهَذَانِ فَيْكَ مُجْتَمِعَانِ
وَمَعَاذَ الْإِلَهِ أَنْ يُؤْلَفِيَا فِيهِ كَمَا جَاءَ عَنْهُ^(٥) لَا يَصْدُقَانِ

(١) البيت لسكندر ديوانه ٩٢ ، الأمل ٦٣/٢ ، وفيهما : بليلي ... برسيل .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ب : أمرتم .

(٤) ساقط من ب ، وفي أ : كلاهما عن النبي يسندان ولا يستقيم معها الوزن .

(٥) في أ : عدلا .

كان عبد الملك بن مروان إذا وَلَّى رجلاً البريدَ ، سأل عن صدقه وعفته وأمانته ، وقال : إن كذبه يشكك في صدقه ، وشره يحمله على كتمان الحق ، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه .

قالوا : الرسول قطعة من المرسل .

قال عمرو بن العاص : ثلاثة دالة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهدية على المهدى ، والكتاب على الكاتب .

لما قال عمر بن أبي ربيعة :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا فَإِنِّي ضَقْتُ ذَرْعًا بِهِجْرَهَا^(١) وَالكِتَابِ

هِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَاهَةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ

ثُمَّ قَالُوا : تَحْبِهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ^(٢)

قال له ابن أبي عتيق : والله لا كان المبلغ لهذا الشعر غيري . فارتحل من المدينة

حتى أتى مكة ، فصادف الثريا في الطواف . فقالت له : يا ابن أبي عتيق ! ما جاء بك ،

وليس هذا أوان الحج ؟ فقال : آيات لعمر . فقالت : أنشدني . فأنشدها الآيات

حتى أتى على آخرها . فقالت : أدى الله أمانتك ، فقد أديت . قال : فضرب

راحلته ورجع .

قال صالح بن عبد القدوس :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ

(١) ب : بحبها .

(٢) ديوانه ٢٦ .

وإن بابُ أمرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فشاوِرُ لِيَبَا وَلَا تَعَصِهِ^(١)

سمع الخليلُ بنُ أحمدَ رجلاً يُنشدُ بيتَ صالحٍ هذا :

إذا كنتَ في حاجةٍ مُرْسِلاً فَأَرْسِلْ حَكِيماً وَلَا تُوصِهِ

فقال : هو الدرهم .

[^(٢) وقال آخر :

وما أَرْسَلَ الأَقْوَامُ في حاجةٍ أَمْضَى وَلَا أَنْفَعُ مِنْ دِرْهِمٍ

يَأْتِيكَ عَفْوًا بِالَّذِي تَشْتَبِي نَعَمَ رَسُولُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ^(٣)

ولبعض المتأخرين من أهل عصرنا :

إذا ما كنتَ متَّخِذاً رسولاً فَلَا تُرْسِلْ سِوَى حُرٍّ نَبِيلٍ

فإن النُّجْحَ في الحاجاتِ يَأْتِي لِطَالِبِهَا عَلَى قَدْرِ الرَّسُولِ

وقال الراجز :

ما مُرْسَلٌ أَنْجَحُ فِيمَا نَعْلَمُ مِنْ طَبَقٍ يَهْدِي وَهَذَا الدَّرْهَمُ^(٤)

وقال منصور الفقيه :

أرسلتُ في حاجةٍ رسولاً يُكْنَى أَبَا دِرْهِمٍ فَتَمَّتْ

ولو سِوَاهُ بَعَثْتُ فِيهَا لَمْ تَحْظَ نَفْسِي بِمَا تَمَنَّتْ

(١) انظرهما في الموشح للمرزباني ١٦ ، وقد ورد البيت الأول في حماسة البحتري ١٩٨ منسوباً إلى عبد الله

معاوية الجعفرى .

(٢) يبدأ من هنا سقط كبير في نسخة ب .

(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٤٠ . عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

(٤) البيت في عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

بَابُ الْهَدِيَّةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الهدية رزقٌ من رزق الله ، فمن أهدى إليه شيءٌ فليقبله ولا يردّه ، وليكافئْ عليه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : تهادوا فإن الهدية تذهبُ السَّخِيمَةُ^(١) ، وتزيل وَحَرَ^(٢) الصدور ، ولا تحقرن جارة لجارتها ، ولو فرسن شاة^(٣) » ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقبل الهدية ، ويثيب عليها أفضل منها .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لو أهدى إلى ذراعٍ لقبلت ، ولو دُعيتُ لكرّاع لأجبت » .

قال رجل لأبي ذر : فلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ، وحمل خفيف .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : نعم الشيء الهدية أمام الحاجة .

وقد حدثنا ابنُ صاعد ، قال : حدثنا زياد بن يحيى أبو الخطاب ، حدثنا أبو عتاب

الدَّلال ، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ، حدثني الزُّهري ، عن عبد الله بن وهب بن

زَمْعَةَ عن أم سلمة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « الهدية تذهبُ السَّخِيمَةُ » .

قيل : وما السَّخِيمَةُ ؟ قال : « الإحنة تكون في الصدور » .

وعن الهيثم بن عدي ، قال : كان يقال : ما ارتضىَ الفَضْبَان ، ولا استعطف

السُّلطان ، ولا سُدَّبتِ الشَّخَناء ، ولا دُفِعتِ المغارم ، ولا تُوقَّتِ المحذور ، ولا استعمل

المهجور ، بمثل الهدية والبر .

(١) السخيمة : الحقد والعداوة .

(٢) الوحر : الحقد .

(٣) في الأصل : فرث وفرسن شاة : ظلفها . النهاية ٢/٢٩٩ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أهديت إليه هدية فجلساؤه شركاؤه فيها » .

قال أبو إسحاق الصبّاني :

رويت في السنة المشهورة البركة أن الهدية في الجلّاس مشتركة^(١)
كان يزيد بن قيس الأرحبيّ ، واليا لعلّى رضى الله عنه ، فأهدى إلى الحسن
والحسين رضى الله عنهما وترك ابن الحنفية ، ف ضرب علىّ رحمه الله على جنب ابن
الحنفية ، وقال :

وما شرّ الثلاثة أمّ عمرٍو بصاحبك الذى لم تُصْبِحِينَا^(٢)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للقرابات : « تزاوَرُوا ولا تَجَاوَرُوا ،
وَتَهَادُوا فإن الهدية تثبت المروءة ، وتَسْتَلُّ السَّخِيمَةَ » .

أصبح عند على بن أبى طالب رضى الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة
وتحف ، فأذكر ذلك . فقالوا له : إنه يوم النيروز . قال : ف نيرزوا لنا إذا كل يوم .

قال أبو عمر : كان هذا منه رضى الله عنه — إن صَحَّ — قبل أن يدخل الكوفة ،
وأن يكون خليفة ، لأن المحفوظ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هدية نيروز
ولا مهرجان ، وأنه كان يأخذ ما أهدى إليه عماله فيضعه في بيت المال — مال
المسلمين .

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٦٨ ، وقد نسبته الثعلبى فيها إلى صاحب بن عباد .

(٢) البيت لعمر بن كلثوم من معلقة المشهورة ، انظره في جبهة أشعار العرب ١٥٨ ، التمثيل والمحاضرة
٤٤ ، نهاية الأرب ٦٤/٣ .

قال يونسُ بن عبيد : أتيت ابن^(١) سيرين يوماً ، ومعى خبيص^(٢) ، فقلت :
قولوا له : يونس بالباب . فقال — وأنا أسمع — : قولوا له : قد نام . فقلت : إن معى
خبيصاً . قال : كما أنت حتى أخرج إليك .

قال الشاعر :

هَدَايَا النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَوَلَّدُ فِي قُلُوبِهِمُ الْوَصَالَا
وَتَزْرَعُ فِي الضَّمِيرِ هَوًى وَوُدًّا وَيَكْسُوهُمْ إِذَا حَضَرُوا جَمَالَا^(٣)
قال أبو عوَّانة : قلت للأعمش : يا أبا محمد ! إن عندي بطة سمينة ، أفنكون
عندي في الدار ؟ قال : وما تصنع بعنائي ؟ ! ابعث بها إلى الدار .

قال الشاعر :

إِنَّ الْهَدَايَا لَهَا حَظٌّ إِذَا وَرَدَتْ أَحْظَى مِنَ الْإِبْنِ^(٤) عِنْدَ الْوَالِدِ الْحَدَبِ
وقال آخر :

مَا مِنْ صَدِيقٍ وَإِنْ أَبْدَى مَوَدَّتَهُ يَوْمًا بِأَنْجَحَ فِي الْحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ
إِذَا تَلَّمَّ بِالْمُنْدِيلِ مُنْطَلِقًا لَمْ يَخْشَ صَوْلَةَ^(٥) بَوَابٍ وَلَا غَلَقِ
لَا تَكْذِبَنَّ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ خُلِقُوا لِرَغْبَةِ مُيَكْرَمُونَ النَّاسَ أَوْ فَرَقِ

(١) إلى هنا ينتهي النقص من نسخة ب .

(٢) نوع من الأطعمة يصنع من التمر والسمن .

(٣) نسب البيتان لابن قم الزبيدي الحسين بن علي المتوفى سنة ٥٨١ هـ ، في معجم الأدباء ١٠ / ١٤٧ ، وقد وردا في ديوان أبي العتاهية ٣٤٢ .

(٤) ب : الأمن .

(٥) ب : سطوة .

أَمَّا الْفَعَالُ فَعِنْدَ النَّجْمِ مَطْلَعُهُ وَالْقَوْلُ يُوجَدُ مَطْرُوحًا عَلَى الطَّرْقِ^(١)

وقال آخر :

أَهْدَى إِلَيْهِ حَبِيبُهُ أَثْرُجَّةً فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَافَةِ زَاجِرِ
خَوْفَ التَّبَدُّلِ وَالتَّلَوُّنِ إِنَّهَا لَوَنَانٌ بَاطِنُهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ^(٢)

بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل ، وكتب معها :

نَعْلٌ بَعَثْتُ بِهَا لَتَلْبَسَهَا تَمْشِي بِهَا قَدَمٌ إِلَى الْمَجْدِ
لَوْ كَانَ يَحْسُنُ أَنْ أَشَرَّكَهَا خَدَى جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدَى^(٣)

أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلمًا ، وكتب إليه :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ أَكْرَمَكَ الْأَلْهَ بِشَيْءٍ فَكُنْ لَهُ ذَا قَبُولِ
لَا تَقْسُهُ إِلَى نَدَى كَفَّكَ الْغَمِّ رِ وَلَا نَيْلِكَ الْكَثِيرِ الْجَزِيلِ
وَاعْتَفِرْ قِلَّةَ الْهَدِيَّةِ مِنِّي إِنَّ جَهْدَ الْمُقِلِّ غَيْرُ قَلِيلِ^(٤)

أو لم إسحاق بن إبراهيم الموصلي وليمة ، فأهدى إليه إخوانه هدايا ، وأهدى
إليه إبراهيم بن المهدي جراب ملح وجراب أشنان^(٥) مطيب ، وكتب إليه رقعة :

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ١٩٩/١ ، عيون الأخبار ١٢٣/٣ .

(٢) البيتان لـكثوم بن عمرو العتاني ، انظر زهر الآداب ٨٧/٤ ، وفيه : أهدى له أحبابه ، وانظر العقد

الفريد ٣٠٢/٢ محاضرات الأدباء ٢٥٩/٢ .

(٣) البيتان في الديوان ٨٠ ، عيون الأخبار ٣٩/٣ ، البيان ١٢٢/٣ ، العقد الفريد ٢٨٣/٦ وشراك

النعل : سيوره التي يشدها .

(٤) لم أعتز على هذه الأبيات في الديوان ، وقد وردت منسوبة إليه أيضا في العقد الفريد ٢٨٥/٦ ،

عيون الأخبار ٣٩/٣ .

(٥) الأشنان بضم الهزة وكسرهما : نبات جلاء منق تغسل به الأيدي والأسنان .

فذاك أخوك عنده ، لولا أن البضاعة تقصر لجُزْتُ السابقين إلى برِّك ، وكرهتُ
أن تطوى صحيفة البرِّ ولا حظَّ لي فيها ، فوجهتُ إليك بالابتداء به ليمنه وبركته ،
والمختورم به لطيبه ونظافته ، جرابٌ ملح وجراب أشنان ، هدية من يحتشم^(١) إلى
من لا يغتم ، وكتب أسفل الرقعة :

هَدِيَّتِي تَقْصُرُ عَنْ هِمَّتِي وَهِمَّتِي تَعْلُو عَلَى مَالِي
وَخَالِصُ الْوُدِّ وَمَحْضُ الْهَوَى أَحْسَنُ مَا يُهْدِيهِ أَمْثَالِي^(٢)

بعث رجل إلى دعبل بأضحية ، فكتب إليه دعبل^(٣) :

بَعَثَ إِلَيْنَا بِأَضْحِيَّةٍ وَكَنتَ حَرِيًّا بَأَنْ تَفْعَلَا
وَلَكِنَّا خَرَجَتْ غَدَّةٌ كَأَنَّكَ أَرْعَيْتَهَا حَرْمَلًا^(٤)
فَإِنْ قَبِلَ اللَّهُ قُرْبَانَهَا فَسُبْحَانَ رَبِّكَ مَا أَعْدَلَا

قال قتادة : يُعرف سخف الرجل في سخف هديته . قال ذلك في نعل
أهديت إليه .

ولى في هذا :

سَخَافَةُ الْمَرْءِ تُدْرَى فِي هَدِيَّتِهِ وَالنَّوْكَ وَاللُّؤْمُ فِيهَا^(٥) يَظْهَرَانِ مَعَا
إِنَّ الْإِيمَ إِذَا أَهْدَى هَدِيَّتَهُ أَبْدَى نَذَالَتَهُ فِيهَا لِمَنْ سَمِعَا

(١) ب : من لا يحتشم .

(٢) ورد البيتان منسويين إلى محمد بن مهدي العكبري في معجم الشعراء ٤٣٠ ، وانظر هذه القصة مع اختلاف
في بعض ألفاظها في العقد الفريد ٢٨٤/٢ .

(٣) الأبيات له في عيون الأخبار ٤٣/٣ .

(٤) الحرمل : نبات مر صغير كالسمسم ، لاتأكله إلا المعزى .

(٥) زيادة من أ .

وخلف الأهر :

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوًى الثُّرَيَّا عَلَى مَا كَانَ مِنْ بُخْلِ وَمَطْلٍ ^(١)
 هُمْ ^(٢) جَمَعُوا النَّعَالَ وَأَحْرَزُوهَا وَسَدُّوا دُونَهَا ^(٣) بَابًا بِقْفَلٍ
 إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكَةً وَشَاةً وَعَشَرَ دَجَائِجٍ بَعَثُوا بِنَعْلٍ
 وَمِسْوَاكَيْنِ طَوْلُهُمَا ذِرَاعٌ وَعَشْرٌ مِنْ رَدَى الْمُقْلِ خَشَلٍ ^(٤)
 فَإِنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لَتَحْمِلُونِي عَلَى نَعْلٍ فَدَقَّ اللَّهُ رِجْلِي
 أَنَا نَسْ يَا نَفُونَ ^(٥) لَهُمْ رُؤَاةٌ تَغِيْمُ ^(٦) سَمَاوَهُمْ مِنْ غَيْرِ وَبَلٍ
 إِذَا انْتَسَبَوْا فَفَرَعٌ مِنْ قَرِيشٍ وَلَكِنَّ الْفِعَالَ فَعَالَ عُكْلٍ ^(٧)
 وقال آخر في جاره أتى من الحج لم يهد إليه شيئاً :

عَبَّاسُ مَا وَجْهَكَ بِالْهَشِّ وَلَا أَبْرَثَكَ مِنَ الْغَشِّ
 لَمْ تُهْدِلِي نَعْلًا وَلَا مُقْلَةً كَأَنَّمَا جِئْتَ مِنَ الْحِشِّ ^(٨)

ولنصور الفقيه - يداعب صديقاً يكنى أبا نصر ، ويسمى فتحاً ، قدم من الحج -
 شعرٌ حسنٌ النظم مليح المعنى ، رأيت إirاده لحسنه :

سَأَلْتُ الْحَجِيجَ وَقَدْ أَقْبَلُوا يَوْمُهُنَّ مِصْرَ مِنْ أَرْضِ الْحَرَمِ
 فَقُلْتُ لَهُمْ - بَعْدَ إِيْنَاسِهِمْ - : أَفْتَحُ بِمَكَّةَ أَمْ قَدْ قَدِمَ ؟

(١) ١ : من مظل وبخل .

(٢) ب : نائهن .

(٣) المقل : ثمر شجر الدوم ، والحشل منه : رديته أو يابسه .

(٤) وردت الأبيات الأربعة الأولى في البيان ١١٢/٣ ، محاضرات الأدباء ١٦٣/١ ، وانظرها جميعاً :

في عيون الأخبار ٣٨/٣ ، الشعر والشعراء ٧٦٤ .

(٥) الحش : ثلثة الخاء : المخرج الذي يمشون حوائجهم فيه .

فقالوا : ترحّل من قبلنا
فقلت : بحرمة من زرتُم ؟
فأقبلتُ في صرخةٍ منهم
أعدُّ آلاءهُ والجفونُ
فصادفني صالحٌ عبده^(١)
وماذا دعاك إلى ما أرى
أبى^(٢) نصرِ البحر من جوده
فقال : ألم يأت من جمعة
وأين القفاف الحسان القدود
وأين النعال وأين الفراء
وأين القديد قديد الأطباء
فقال : وحقك ما جاءنا
قدوم صديقك واستهده
إلى البيت يشهدك أخباره
فقلت : ألا ليت أخباره
لعشر ليالٍ توات حُرُم
أحقًا تقولون ؟ قالوا : نعم
وقلبي مما به يضطرم
مسافيح بالدمع والدمع دم
فقال^(٣) فديتك لم تلتدم ؟
فقلت : الحذار على ذى الكرم
إذا المزن صنت بصوب الدِّم
فقلت : كذبت فأين الأدم ؟
وأقداح جيشان تلك السلم^(٤)
وأين البرود وأين البرم^(٥)
وأين الملوّز مثل النعم^(٦)
بشيء سوى نفسه فاغتنم
حديث الوفود وفود الأمم
عجائب عربهم والعجم
وناقلها خلف قافٍ ولم

(١) ب : عنده .

(٢) ب : فقلت .

(٣) ساقط من ب

(٤) ب : وأقراح حسان تلك الشيم ، وأقداح جيشان أقداح منتظمة دقيقة تصنع في بلدة جيشان باليمن .

(٥) زيادة في م .

(٦) ب : الملوّن مثل النعم .

وخلد بن خليفة الأقطع من بني قيس بن ثعلبة في جاره غاب ثم قدم، ولم يهدئه، وكانت بينهما مصافاة:

أتانا أخ من غيبة غاب أشهرًا وكنت إذا ما غاب أنشده الركبًا
جاء بمعروف كثير قدمه كدس راعي الشوء في حضنه الوطبا^(١)
فقلت له: هل جئتني بهدية فقال: بنفسى. قلت: أثر بها الكلبا
هي النفس لا آسى عليها وإن نأت ولا أتمنى الدهر يوما لها قربا
إذا هي أوفت من ثمانين قامة فلا السهل لقاها إلا له ولا الرحبا^(٢)

أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه في يوم نيروز وردة وسهما ودينارا ودرهما، وكتب إليه:

لازلت كالورد نضير الميسم ونافذا مثل نفوذ الأسهم

في عز دينار ونجح درهم^(٣)

أهدى أبو إسحاق بن هلال الصابي إلى عضد الدولة في يوم مهرجان اصطرلابا على قدر الدرهم محكم الصنعة وكتب إليه:

أهدى إليك بنو الحاجات واحتشدوا في مهرجان عظيم أنت تعلية
لكن عبدك إبراهيم حين رأى سمو قدرك عن شيء تساميه

(١) في ١: الرطب، وهو تصحيف، والوطب: سقاء اللبن يصنع من جلد الجذع فما فوقه.

(٢) عيون الأخبار ٣/٣٦، محاضرات الأدباء ١/١٩٩ مع خلاف في ألفاظ الرواية.

(٣) محاضرات الأدباء ١/١٩٤.

[^(١)لَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ يُهْدِيهَا إِلَيْكَ فَقَدْ أَهْدَى لَكَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ^(٢)

وأهدى شمس المعالي إلى عضد الدولة سبعة أقلام ، وكتب إليه :

قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ سَبْعَةَ أَقْلَامٍ لَهَا فِي الْبَهَاءِ حَظٌّ عَظِيمٌ

مرهفات كأنها ألسنُ الحياتِ قد جازَ حدَّها التقويمُ

وتفاءلت أن ستَحْوِي الأقاليمَ مَ بها كلُّ واحدٍ إقليمٌ^(٣)

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : كانت الهدية فيما مضى هدية ، أما اليوم

فهي رشوة .

وقال كعب الأحبار : قرأت في ما أنزل الله على بعض أنبيائه : الهدية تفتقأ

عين الحكيم .

وقال الشاعر :

إِذَا أَتَتْ الْهَدِيَّةُ بَابَ قَوْمٍ تَطَايَرَتِ الْأَمَانَةُ مِنْ كُؤَاهَا

(١) من هنا يبدأ سقط من نسخة ب .

(٢) يروى : واختلفوا بدل واحتشدوا ، ومبليه بدل تعلية ، وعلو مكان سمو ، انظرها في : المنتطف

٦٨/٢ ، معجم الأدباء ٣٤/٢ ، زهر الآداب ٦٣/٢ .

(٣) الأبيات لشمس المعالي واسمه قابوس بن وشمكير ، انظر ترجمته والأبيات في معجم الأدباء ٢٢٥/١٦ .

بَابُ الْجَارِ

قالت عائشة : يا رسول الله ! إن لي جارين فإلى أيِّهما أُهْدِي؟ قال : «إلى أقربهما إليك باباً» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمنُ جَارٌ حتى يأمن جاره وائِقَهُ »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه » .

كان داودُ عليه السلام يقول : اللهم إني أعوذ بك من جارٍ سوءٍ ، عينه ترعاني ، وقلبه لا ينساني .

مكتوب في التوراة : إنَّ أحسدَ الناسِ لعالمٍ وأنعاه عليه قرابته وجيرانه .

وقال عكرمة : أزهْدُ الناسِ في عالمٍ جيرانه .

قال رجل لسعيد بن العاص : والله إني لأحبُّك . فقال له : ولم لا تحبُّني ولست بجارٍ لي ولا ابن عم .

كان يقال : الحسدُ في الجيران ، والعداوةُ في الأقارب .

روى يحيى بن زكريا بن يحيى الباجي ، قال : حدثني محمد بن الفضل المكي ،

قال : حدثني أبي عن إبراهيم عن عبد الله ، قال : مرَّ مالك بن أنسٍ بقينة تغني

شعر مسلم :

أنت أختي وأنت حرمة جاري وحقيق على حفظ الجوار
إن للجار إن تغيب غيباً حافظاً للمغيب والأسرار
ما أبالي أكان للباب ستر مسبل أم بقي بنير ستر

فقال مالك : علموا أهليكم هذا ونحوه .

وعن مالك ، أيضاً ، قال مالك بن أنس ، قال أبو حازم : كان أهل الجاهلية
أحسن جواراً منكم ، فإن قلم : لا . فبيننا وبينكم قول شاعرهم :

نارى ونار الجار واحدة وإليه قبلى تنزل القدر
ما ضر جارا لي أجوره ألا يكون لبنته ستر
أعنى إذا ما جارتي برزت حتى يوارى جارتي الخدر^(١)

قال أبو عمر : هذا الشاعر مسكين الدارمي^(٢) .

وقال آخر :

أقول لجارى إذ أتانى معاتباً مدلاً بحق أو مدلاً يباطل
إذا لم يصل خيرى وأنت مجاورى إليك فما شرى إليك بواصل^(٣)

قال الأصمعي : ومن أحسن ما قيل فى حسن الجوار :

جاورت شيبان فاحلولى جوارهم إن الكرام خيار الناس للجار

(١) الأبيات لمسكين الدارمي فى معجم الأدباء ١١/١٣٢ ، محاضرات الأدباء ٢/١٠٢ ، الشعر والشعراء ٥٣٠ ،
لباب الآداب ٢٧٥ وفيها : ألا يكون لبابه .

(٢) يفهم من هذا أن مسكينا كان من شعراء الجاهلية ، ولكن الواقع أنه شاعر إسلامى توفى سنة ٨٩ هـ
وله أخبار من معاوية وكان مقرباً إلى زياد بن أبيه ، انظر معجم الأدباء ٥/٢٠٤ ، الشعر والشعراء ٢١٥ .

(٣) العقد الفريد ٢/٣٦٥ من غير نسبة ، وفيه : إن بدل إذا ، وبدل مكان مدلاً .

من كلام عليّ رحمه الله : الجارُّ قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، أخذه الشاعر فقال :

يقولونُ قبلَ الدّارِ جارٌ مجاورٌ وقبلَ الطّريقِ النّهجُ أنسُ رفيقٍ^(١)
وقال آخر :

اطلبْ لِنَفْسِكَ جيراناً تُجاوِرُهُمْ لا تَصْلُحُ الدّارُ حتّى يَصْلُحَ الجارُ
وقال آخر :

«يُلوَمونِي أَنْ بَعْتُ بِالرُّخْصِ مَنزِلِي وَلَمْ يَعْرِفُوا جَاراً هُنَاكَ يُنْغِصُ^(٢)
فَقُلْتُ لَهُمْ كَفُّوا الْمَلَامَ فَإِنَّهَا بِجِيرَانِهَا تَغْلُو الدِّيَارَ وَتَرْخُصُ^(٣)
قال الحسنُ البصري رحمه الله : إلى جنبِ كلِّ مؤمن ، منافقٌ يؤذيه .

وقال بشارُ بنِ بَشْرٍ المجاشعي :

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ^(٤) لَدَى اغْتِيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنِّي بَعْلُهَا^(٥) لَمْ أَكُنْ لَهَا^(٥) زَوْوراً وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَى كِلَابِهَا
وَلَمْ أَكْ^(٦) طَلَاباً أَحَادِيثَ سِرِّهَا وَلَا عَالِماً^(٧) مِنْ أَى جَنْسٍ ثِيَابِهَا^(٨)

(١) فصل المقال ٣١١ ، محاضرات الأدباء ١/٢٣٠ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيتان في فصل المقال ٣١٠ ، ٣١١ .

(٤) ١ : مسرور ، وهو تصحيف واضح .

(٥) ساقط من ب .

(٦) ب : أر .

(٧) ب : عاباً .

(٨) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٣/١٨٣ مع اختلاف في بعض الألفاظ .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك .

قال علي للعباس رضي الله عنهما : ما بقي من كرم أخلاقك ؟ قال : الإفضال على الإخوان ، وترك أذى الجيران .

كان يقال : ليس من حسن الجوار ترك^(١) الأذى ، ولكنه الصبر على^(٢) الأذى ..

قال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه :

يا سائلي عن حُسَيْنِ^(٣) وقد مضى أشكالكُ
أقل ما في حُسَيْنِ^(٣) كف الأذى واحتمالكُ

قال الخطيئة^(٤) :

لعمرك ما المجاور في كليبٍ بمُقَصِّي في الجوارِ ولا مُضَاعِ
هُمْ صَنَعُوا لَجَارِهِمْ وَلَيْسَتْ يَدُ الْخَرَقَاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ
وَيَحْرَمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ^(٥)

وقال الحسن بن عرفة :

ولم أرَ مثلَ الجَّهْلِ يدعُو إلى الرَّدَى ولا مثلَ جارِ السُّوءِ يُكرِه جَانِبَهُ

(١) ب : كف .

(٢) ب : احتمال .

(٣) ب : حسن .

(٤) ديوانه ٦٢ ، وقد ورد الشطر الأول فيه : وليس الجار جار بني كليب ، وانظر الأبيات في الكامل ١٩/٢ .

(٥) قال في الكامل : أنف انقصاص : يريد المستأنف الذي لم يؤكل قبل منه شيء ، يقال : روضة أنف

إذا لم ترع ، وكأس أنف إذا لم يشرب منها شيء قبل .

وقال آخر :

لا يَأْمَنُ الْجَارُ شَرًّا فِي جِوَارِهِمْ ولا محالة من شَتْمٍ وَالْقَابِ^(١)

ومثل هذا قول الآخر :

أَجِلُّ الْعَشِيرَةِ إِمَّا حَضَرْتُ ولا أَتَعَلَّمُ الْقَابِهَا^(٢)

وقال حاتم الطائي ، ويروى لغيره :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ
إِذَا مَا عَمِلْتُ الزَّادَ فَاتَّخِذِي لَهُ أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَخِذِي
بَعِيداً قَصِيّاً أَوْ قَرِيباً فَإِنِّي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَكَيْفَ يُسَيِّغُ الْمَرْءُ زَاداً وَجَارَهُ خَفِيفُ الْمَعَى بَادِي الْخَصَاصَةِ وَالْجَهْدِ^(٣)

وقال غيره :

سُقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَقْوَامٍ نَزَلَتْ بِهِمْ كَأَنَّ دَارَ اغْتِرَابِي عِنْدَهُمْ وَطَنِي
إِذَا تَأَمَّلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ خُلُقاً عَلِمْتُ أَنََّّهُمْ مِنْ حِلْيَةِ الزَّمَنِ

وقال ابن حبناء :

إِذَا مَارَفِيقِي لَمْ يَكُنْ خَلْفَ نَاقَتِي لَهُ مَرْكَبٌ فَضْلٌ فَلَا تَحْمَلْتُ رِجْلِي

(١) ورد البيت في الحماسة لأبي تمام ١٩٩/٢ منسوباً إلى حريث بن عتاب وفيها الشطر الأول : لا يرتجى

الجار خيراً في بيوتهم .

(٢) ورد البيت في معجم الشعراء ٣٥٣ لسكناز بن صريم الحرمي ، وفيه الشطر الأول : ولكن أطاوع

ساداتها .

(٣) يروى : صنعت مكان عملت ، ويروى الشطر الأول من البيت الثالث : أخاطارفاً أو جار بيت فإني .

وقد وردت الأبيات ماعدا الأخير في ديوان حاتم ٩ ، ونسبت له في عيون الأخبار ٢٦٣/٣ ، وفي حماسة أبي تمام

٢٩٢/١ لم تنسب ، وعقب عليها التبريزي بأنها لحاتم يخاطب بها لمرأته ، ووردت منسوبة لقيس بن عاصم النخعي في

الأغاني ١٥٠/١٢ ، الكامل ٣٤٥/١ .

ولم يك من زادي له نصف مزودي فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا رحل
 شريكين فيما نحن فيه وقد أرى على له فضلاً بما نال من فضلي
 ويروى لحاتم الطائي .

تذاكر أهل البصرة من ذوى الآداب والأحساب فى أحسن ما قاله المولدون فى
 حسن الجوار من غير تعسف ولا تعجرف ، فأجمعوا على بيتى أبى الهندى ^(١) وهما :
 نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان فى زمن محل
 فما زال بى إكرامهم وافتقادهم وبرهم حتى حسبتهم أهلي ^(٢)

(١) أبو الهندى ورد اسمه فى الأغاني ١٧٧/٢١ ، وفى فوات الوفيات ٢٤٠/٢ ، غالب بن عبد القدوس
 ابن شبيب بن ربيع الرياحى اليربوعى ، وسماه فى الكامل عبد المؤمن بن عبد القدوس ، انظر رغبة الأمل
 ١٦٢/٦ ، وهو شاعر مطبوع أقام عمره فى سجستان وخراسان ، فلم يشتهر ذكره لبعده عن بلاد العرب ، مات سنة
 ١٨٠ هـ تقريباً .

(٢) ورد البيتان فى البيان ٢٢٢/٢ ، عيون الأخبار ٢٦١/١ ، منسوين إلى بكير بن الأحنس ، ووردا فى
 الأمالي ٤١/١ ، لباب الآداب ٣٦٦ ، وفيات الأعيان ٤٣٩/٤ ، الحماسة ١٣٥/١ ، ١٧٦ بغير نسبة ، ويروى :
 والظانهم بدل برهم .

بابُ الضَّيْفِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلةُ الضَّيْفِ حقٌّ واجبٌ » .
وقد أوضحنا في كتاب « التمهيد » معنى هذا الحديث وغيره في الضيافة، وذكرنا قول من أوجبها ومن ندب إليها ؛ ووجوه أقوالهم واعتلالهم والحمد لله وحده .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وإيلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما زاد فهو صدقة ، ولا يحل أن يشوى غيره حتى يخرج » .

قيل للأوزاعي : رجل قدَّم إلى ضيفه الكامخ والزيتون ، وعنده اللحم والعسل والسمن ؟ فقال : هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

قال أبو ذؤيب :

لَا دَرَّ دَرِّيَ إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَهُمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزٌ^(١)

قال نافع : كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاث ، ويقول بعد الثلاث : أمسكوا عنا صدقتكم ، ويقول لي : أنفق من عندك .

ذكر أبو عبيدة أن معاوية قال يوماً لجلسائه : أي آيات العرب في الضيافة أحسن ؟ فاختلفوا وأكثروا ، فقال معاوية : قاتل الله أبا النجم حيث يقول :
لَقَدْ عَلِمْتُ عَرْسِي فَلَانَةً أَنِّي طَوِيلٌ سَنَا نَارِي بَعِيدٌ مُخَوِّدُهَا

(١) نسب في البيان ١/ ٣٤ وفي ديوان الهذليين ١٥/ ٢ المتنخل الهذلي (مالك بن عويمر) وفيها : قرف الحنئ بدلا من خبز الشعير ، وقرف الحنئ : سويق قشر الدوم .

إذا حلَّ ضيفي بالفلاة ولم أجد سوى منبتِ الأطنابِ شبَّ وقودُها^(١)

وقالوا : أحسن شيء في الضيافة قول مسكين الدارمي :

طعامي طعامُ الضيفِ والرحلُ رحلهُ ولم يُلْهني عنه غزالٌ مُقنَعٌ

أحدثه إنَّ الحديثَ من القرى وتعلمُ نفسي أنه سوف يهجع^(٢)

^(٣) وقال العلوي صاحب الزنج :

يستأنسُ الضيفُ في آياتنا أبداً فليسَ يعلمُ خلقُ أيُّنا الضيفُ

وخلال عَيْنين ، وإنما قيل له خالد عَيْنين^(٤) لأنه كان ينزل أرضاً بالبحرين : يقال

لها عَيْنين :

أيها الموقدان شُبًّا سَنَاهَا إنَّ للضيفِ طَارِفي وتِلَادِي

وقال عوف بن الأحوص^(٥) .

ومستنجحٌ يغشى الغداةَ ودونه من اللَّيلِ باباً ظلمةٍ وسُتُورُها

رفعتُ له ناري فلما اهتدى لها زجرتُ كلابي أن يهرَّ عَقُورُها

فلا تسأليني واسألي عن خليقتي إذا رَدَّ عَافِي القدرِ من يَسْتَعِيرُها

(١) انظرها في الحماسة ٤٦٠ ، معجم الشعراء ٣٠٧ .

(٢) ورد البيتان في ديوان عروة بن الورد ٢٢ ، والشرط الأول هناك : فراشي فراش الضيف والبيت بيته ، وورد في الحماسة لأبي تمام ٣١٤/٢ وتردد في نسبتهما بين مسكين الدارمي ، وعتبة بن بجير ، والرواية هناك لحاف الضيف والبيت بيته ٠٠ الخ ، وانظرهما في عيون الأخبار ١٩٣/٢ .

(٣) ساقط من ١ .

(٤) انظر ترجمته والبيت التالي في الشعر والشعراء ٤٣٤ .

(٥) انظر ترجمته في معجم الشعراء ٢٧٥ وقد ورد اسم أبيه هناك الأحوم وهو خطأ ، انظر حماسة أبي تمام ٣٠٩/٢ ، وانظر الأبيات كلها في المراجع الأول ، والبيتين الأولين في الثاني والرواية هناك : يغشى المبيت مكان يغشى الغداة ، وسجفا ظلمة بدل بابا ظلمة ، واهتدى بها بدل لها ، هذا وقد وردت الأبيات في الأغاني ٢٧٨/١٢ منسوبة إلى شبيب بن البرصاء .

تَرَى أَنْ قِدْرِي لَا تَزَالُ كَانَهَا لَدَى الْغَرِثِ الْمَقْرُورِ أَمْ يَزُورُهَا
وقال حسان بن ثابت :

يُنْفُسُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)
وقال أبو الطمحان القيني :

وَقَدْ عَرَفْتُ كَلَابُهُمْ ثِيَابِي كَأَنِّي مِنْهُمْ وَنَسِيتُ أَهْلِي^(٢)
وقال المَرَارُ الْجُمْلَى^(٣) :

أَلَفَ النَّاسَ فَمَا يَهْجُمُهُمْ^(٤) مِنْ عَسِيفٍ^(٥) يَدْتَفِي الْخَيْرَ وَحُرَّ
وقال امرؤ القيس :

أَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا أَجْهَلُهُ وَكَلَابِي أَنَسَ غَيْرَ عَقْرِهِ
مَا يُرَى كَلْبِي إِلَّا آيسًا إِنْ رَأَى خَاطِبَ لَيْلٍ لَمْ يَهْرِ^(٦)
وقال حاتم الطائي :

إِذَا مَا بَخِيلُ النَّاسِ هَرَّتْ كِلَابُهُ وَشَقَّ عَلَى الضَّيْفِ الْغَرِيبِ عَقُورُهَا
فَإِنْ كَلَابِي قَدْ أَقَرَّتْ وَعُودَتْ قَلِيلٌ عَلَى مَنْ يَعْتَرِيهَا هَرِيرُهَا^(٧)

(١) ديوانه ٢٤٧ .

(٢) البيان والتبيين ٢ / ٢٢٤ .

(٣) زيادة من ب ، ولم أعثر له على ترجمة ، وقد جاء في سمط اللآلى ٢٣١ أن المرارين من الشعراء سبعة ثم أورد أسماءهم ، ولم يرد فيهم هذا .

(٤) ب : هجيم ، م : يهيج ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) العسيف : الأجير والبد يستعان به .

(٦) ديوانه ٣٢ .

(٧) ديوانه ٢٧ ، وفيه : الضيف الضيف بدل الغريب ، وقد أهرت مكان أقرت ، ويعتريني بدل يعتريها .

وقال أبو يعقوب الحريري :

أُصَاحِبُ ضَيْفٍ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُخَصِّبُ عِنْدِي وَالْمَجْلُ جَدِيبٌ
وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ^(١) الْقَرَى

وَلَكِنَّا وَجْهَ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ^(٢)

وللشماخ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٣) :

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ خَيْرُ الْفَتَى وَخَيْرُهُمْ إِطَارِقٍ إِذَا أَتَى
وَرَبَّ نِضْوٍ طَرَقَ الْحَى سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى
إِنَّ الْحَدِيثَ جَانِبٌ مِنَ الْقَرَى^(٤)

وقال سهل الوراق :

وَضَيْفَكَ قَابِلُهُ يَبْرُكُ^(٥) وَلَيْكُنْ لَهُ مِنْكَ أَبْكَارُ الْحَدِيثِ وَعَوْنُهُ^(٥)

وقال آخر :

سَلَى الطَّارِقَ الْمُعْتَرِّ يَا أُمَّ مَالِكٍ إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ نَارِي وَمَجْزَرِي
أَبْسَطُ وَجْهِي؟ إِنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي^(٦)

(١) ب : يكثرُوا .

(٢) البيتان في البيان ٢٨/١ مجموعة المعاني ٢٨ ، المختار من شعر بشار ١٩٣ ، عيون الأخبار ٢٣٩/٣ .

(٣) أول من ولد بالمسلمين بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها ، عاش في البصرة والكوفة والشام ، وكان كريما

يسمى ببحر الجود ، توفي سنة ٨٠ هـ ، انظر الإصابة الترجمة ٤٥٨٢ ، فوات الوفيات ٢٠٩/١ (الأعلام ٢٠٤/٤) .

(٤) رواية البيان والتبيين ٢٦/١ : نعم الفتى .. ونعم مأوى طارق ، وجارضيف طرق .. الخ ، وفي حسانة أبي

تمام ٣٢٨/٢ : ورب ضيف مكان نضو ، ورواية الشطرة الأخيرة فيها : ثم الاحاف بعد ذاك في الذرى . أي في

الكنف والجانب ، وانظر محاضرات الأدباء ٣١٢/١ .

(٥) ب : يبشرك ، م : عوانه .

(٦) يروي الشطر الأول : سلى الجائع الفرثان يا أم منذر ، ويروي : قدرى بدل ناري ، وأيسفر مكان

أبسط ، والبيتان لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، الحماسة ٣٤٦/٢ ، ونسبا في البيان والتبيين ٢٦/١ إلى حاتم الطائي .

تمثل بهذين البيتين عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في جوابه معاوية .

أما قول الشاعر :

بئسَ عَمْرُ اللهِ قَوْمًا طَرِقُوا فَقَرَّوْا أَضْيَافَهُمْ لَحْمًا وَحَرًّا
فإنه أراد لحمًا دبت عليه الوَحَرَةُ ، وهي دُوبِيَّةٌ كاللَّعْظَايَةِ خضراء إذا اجتمعت
تلتصق بالأرض : الجمع : وَحَرٌ ، ومنه قيل وَحَرُ الصدر ، كما قيل للحقد ضَبٌّ ، ذهبوا
به إلى لزوقه بالصَّدر التزاق الوَحَرَةُ بالأرض ، يقال : لحم وَحِرٌ ، إذا دبَّت عليه
الوَحَرَةُ . ولبن فئِر إذا وقعت فيه الفأرة .

وقال رجل من بني فُقْعَس ، وهو الحارث بن يزيد ، يمتدح نفسه بخدمة الضيف :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ الْخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لَضَيْفِي وَإِنِّي رَكْبْتُ لِفَارَسٍ^(١)
وقال الْمُقَنِّعُ الْكِنْدِيُّ^(٢) :

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيَمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا^(٣)

وما امتدح به ذم بضده ، قال الشاعر :

تَرَاهُمْ خَشْيَةَ الْأَضْيَافِ خُرْسًا يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانٍ^(٤)

(١) ورد البيت في حماسة أبي تمام ٢٩٦/١ منسوبا إلى الهذلول بن كعب العبدي ، وكان قد تزوج امرأة من بني بهدلة فرأته يوما يطحن للأضياف فضربت صدرها وقالت : أهذا زوجي ، وقال في الهامش : قال المبرد إنها لأعرابي سعيدي ، وأول الأبيات التي منها هذا :

تقول وصكت نحرها يمينها أبلى هذا بالرحى المنقاعس

(٢) محمد بن ظفر بن عمير ، أو محمد بن عمير بن أبي شمر الكندي ، شاعر من حضرموت ، اشتهر في العصر الأموي ، وكان مقنعا طول حياته ، وزعموا أنه كان جميلا فكانت تصيبه العين ولهذا تقنع ، وشعره عذب رصين ، توفي حوالي سنة ٧٠ هـ ، انظر في ترجمته الشعر والشعراء ٢٨٤ ، الوافي بالوفيات ١٧٩/٣ (الأعلام ٢١١/٧) .

(٣) يروي ثاويبا مكان نازلا ، وانظر البيت فيما سبق ، وفي عيون الأخبار ٢٦٦/١ ، حماسة أبي تمام ٢٤/٢ الأمالي ٢٨١/١ .

(٤) العقد الفريد ١٨٨/٦ بدون نسبة .

وقال حمادُ عَجْرَدُ :

وجدتُ أبا الصَّلْتِ ذَا خَبْرَةٍ بِمَا يُصْلِحُ الْمَعْدَةَ الْفَاسِدَةَ
تَخَوَّفُ تَحْمَةً أَضْيَافِهِ فَعَلَّمَهُمْ أَكْلَةَ وَاحِدَةٍ^(١)
وقال عَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ التَّمِيمِيُّ الْمِنْقَرِيُّ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، وَكَانَ شَاعِرًا مُحْسِنًا ،
يَقَالُ : كَانَ شَعْرُهُ حُلًّا مُنْشَرَّةً ، وَلَهُ صَحْبَةٌ^(٢) :

ذَرِينِي فَإِنَّ الشُّحَّ يَا أُمَ مَالِكٍ لِصَالِحٍ أَخْلَاقِ الرَّجَالِ سَرُوقُ
ذَرِينِي وَحَظِّي فِي هَوَايَ فَإِنِّي عَلَى الْحَسَبِ الْعَالِي الرَّفِيعِ شَفِيقُ
وَمُسْتَنْبَحٍ^(٣) بَعْدَ الْمَدْوَى أَجْبَتُهُ وَقَدْ حَانَ مِنْ سَارِي الشِّتَاءِ طُرُوقُ
فَقُلْتُ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَهَذَا مَبِيتُ صَالِحٍ وَصَدِيقُ
أَضَفْتُ وَلَمْ أَفْحِشْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ أَقُلْ : — لِأَحْرِمَتِهِ — إِنَّ الْفَنَاءَ^(٤) يَضِيقُ
لِعَمْرُكَ مَا ضَاقتْ بِلَادُ بَاهِلِيَا وَلَكِنْ أَخْلَاقُ الرِّجَالِ تَضِيقُ^(٥)

وقال آخر :

وَطَرِيدٍ لَيْلٍ سَاقَهُ سَغَبٌ وَهَنَا إِلَى وَقَادِهِ بَرْدُ

(١) يروى : حريث ، وحبش أبو الصلت ، انظر البيان والتبيين ٢/٢٧٢ ، الشعر والشعراء ٧٧٥ ، المعجم

الفريد ٦/١٨٨ .

(٢) انظر ترجمته في الإصابة بالترجمة ٥٧٧٢ ، الشعر والشعراء ٢٤٠ .

(٣) ب : ومستفتح .

(٤) ب : إن الفتي .

(٥) انظر عيون الأخبار ١/٣٤٢ ، البيان ١/٢٧ معجم الشعراء ٢١٢ ، وانظر الأولين في الشعر والشعراء

٦١٦ ، وفيه : يا أُم هَيْثُمُ بَدَلُ مَالِكٍ ، وانظر الأول والخامس في محاضرات الأدباء ١/٢٧٤ ، ٣١٠ والأخير في المستطرف ١/٤٠ وقد سبق في جملة أبيات منسوبة لبشار بن برد .

أَوْسَعْتُ جُهْدَ بِشَاشَةٍ رَقَرَى وَعَلَى الْكَرِيمِ لَضِيفِهِ الْجَهْدُ

ثُمَّ اغْتَدَى وَرْدَاؤُهُ نِعَمٌ أَسَدَيْتَهَا وَرِدَائِي الْحَمْدُ

وقال القاسم بن أمية بن أبي الصلت :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بِأَرْضِهِمْ رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلِ وَقِيَانٍ^(٩)

(٩) نسب البيت في باب الآداب ٣٦٦ إلى كعب بن جعيل ، وانظره في الشعر والشعراء ٢٥٧ ، عيون الأخبار ١٥٢/١ ، المستطرف ٢٧٣/١ بدون نسبة .

بابُ المَعْرُوفِ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « كُفِّلَ مَعْرُوفٌ صَدَقَةٌ » .

قال أبو جَرَى الهُجَيْمِيُّ ^(١) : يا رسولَ الله أوصني . فقال : « لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنْ المَعْرُوفِ أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلُوكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسْقَى ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهَكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، هُمْ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « إِذَا طَلَبْتُمُ المَعْرُوفَ فَاطْلُبُوهُ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟ » قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : « المَعْرُوفُ وَالتَّغَابُنُ لِلضَّعِيفِ » .

قال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيءٍ لا تمسه النار . قالوا : وما هو يا روح الله ؟ قال : المعروف .

قال عبد الله بن عباس : ما رأيت رجلاً أوليته معروفًا إلا أضاء ما بيني وبينه ، ^(٢) ولا رأيت رجلاً فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه .

قال زيد بن علي بن حسين : ما شيء أفضل من المعروف ولا ثوابه . ولا كلُّ

(١) ١ : اللخمي ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو أبو جري جابر بن سليم الهجيمي من بني أنمار بن الهجيم ، روى

عن النبي صلى الله عليه وسلم ، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٥٤/١٢ .

(٢) ساقط من ١ .

من رَغِبَ فيه يَقْدِرُ عليه ، ولا كَلَّ من قدر عليه يُؤْذَنُ له فيه ، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن ، تمت السعادة للطالب والمطلوب منه .

قال ابن عباس : المعروف أيمن زرع ، وأفضل كنز^(١) ، ولا يتم إلا بثلاث خصال : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره . فإذا عَجِّلَ فقد هَيَّئَ ، وإذا صَغُرَ فقد عَظُمَ ، وإذا سُتِرَ فقد تَمَّ .

قال زهير :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرُهُ^(٢) وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمُ^(٣)

وقال آخر :

إِنَّ ابْتِدَاءَ الْعَرَفِ مَجْدٌ بَاسِقٌ وَالْمَجْدُ كُلُّ الْمَجْدِ فِي اسْتِثْمَامِهِ
إِنَّ الْهَلَالَ يَرُوقُ أَبْصَارَ الْوَرَى حُسْنًا وَلَيْسَ كَحُسْنِهِ لِتِمَامِهِ^(٤)

أنشد الزبير بن بكار :

أَبْلُ مَنْ شِئْتَ تَقْلِيلُهُ عَنْ قَلِيلٍ لِفِعْلِهِ
ضَاعَ مَعْرُوفٌ وَاضِعَ الْ مَرْفٍ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ^(٥)

قال القاسم بن معن ، قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة : ما السخاء ؟ قال :
التأني للمعروف . قال : فما البخل ؟ قال : الاستقضاء على الملأوف .

(١) : أمتن ورع ، و أكبر كنز .

(٢) ب : يقيه ، وهما بمعنى ، وما أثبتناه هو الرواية المشهورة .

(٣) شرح الديوان ٣٠ .

(٤) البيتان لأبي تمام انظر شرح ديوانه للتبريزي ٢/٢٦٧ .

(٥) البيتان لأبي العتاهية ديوانه ١١٧ ، فصل المقال ٣١٠ .

قال ابن عباس : لا يُزَهَّدُكَ في المعروف كُفْرٌ من كُفْرٍ ، فإنه يشكرُ عليه من لم يصنعه .

كان يقال : في كل شيء سَرَفٌ إلا في المعروف .

قال حبيب :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ^(١)

كان يقال : لا يُزَهَّدُكَ في المعروف دَمَامَةٌ من يسديه إليك ، ولا ينبو بصرك عنه ، فإن حاجتك في شكره ووفائه لا منظره ، وإن لم يكن أهله فكن أنت أهله .

قال الشاعر :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ ، أَمَّا مَذَاقُهُ فَحَلُولُهُ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُهُ^(٢)

تمثل رجل عند عبد الله بن جعفر بقول الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ
فَإِذَا أَصَبْتَ صَنِيعَةً فَاعْمِدْ بِهَا لِلَّهِ أَوْ لِذَوِي الْقَرَابَةِ أَوْ دَعِ^(٣)

فقال عبد الله بن جعفر : هذان البيتان يبخلان الناس ، لا . ولكن أمطر المعروف إمطاراً ، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً ، وإن أصاب اللئام كنت له أهلاً .

(١) ديوانه ٢٤٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٢ ، نهاية الأرب ٣/٩١ ، التمثيل والمحاضرة ٩٥ .

(٢) محاضرات الأدباء ١/٤١ غير منسوب ، ونسبه في معجم الأدباء ١٨/٣٠٦ ، إلى أبي العيلاء ، ونسب في البيان والتبيين ٢/٢٢٩ ، إلى مالك بن حمار الشمخي الفزارى ، وفي حماسة أبي تمام ٢/٣٥ إلى رجل من بني فزارة .

(٣) البيتان للهديل الأشجعي (هديل بن عبدالله بن سالم) انظر معجم الشعراء ٤٨٢ .

كان يقال : من أسلف المعروف كان ربحه الحمد .

قال عمرو بن العاص : في كل شيء سرفٌ إلا في ابتناء المكارم أو اصطناع معروف ، أو إظهار مروءة .

وكان يقال : كما يُتَوَخَّى للوديمة أهل الأمانة والثقة ، كذلك ينبغي أن يُتَوَخَّى بالمعروف أهل الوفاء والشكر .

كان يقال : إعطاء الفاجر يقوِّيه على فجوره ، ومسألة اللئيم إهانة للعرض ، وتعليم الجاهل زيادة في الجهل ، والصنّاعة عند الكفور إضاعة النعمة ، فإذا هممت بشيء من هذا ، فارتدّ الموضع قبل الإقدام على الفعل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي ذِي حَسَبٍ أَوْ دِينٍ ، كَمَا أَنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي نَجِيبٍ » .

مكتوب في التوراة : افعل إلى امرئ سوء خيراً يَجْزِكَ شَرًّا
كان يقال : صاحب المعروف لا يقع ، فإذا وقع أصاب متكئاً .

قال الشاعر :

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لَهَا مَنَجْدٌ^(١) حَزَنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ
يَوَدُّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ^(٢) إِذَا مَا انْقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ^(٣)

كان الحجاج بن يوسف يقول : خير المعروف ما أنعشت به الكرام .

(١) ب : مصعد .

(٢) ب : يناله .

(٣) البيتان لأبي يعقوب الحريري ، انظر البيان ٢/٢٩٣ ، التمثيل والمحاضرة ٨٤ ، زهر الآداب ٢/٢٤٢
معجم الأدباء ١٦/٢٦٤ ، نهاية الأرب ٣/٨٤ ، الشعر والشعراء ٨٣٣ .

كان يقال : من لم يُرَبِّ معروفه فكأنه لم يصطنعه .

وكان يقال : أحيِ معروفك بإماتته .

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر : املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالحب منها ، وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء لإحسانك منه باعتسافك^(١) ، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطها إلى القلوب بالمعروف ، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ؛ فاجهد ألا تقول تسلم من أن تفعل .

كان يقال : اتق أن يُسدَّ عنك طريق المعروف بالكفر أو بالمن ، فإن المن يفسد الصنعة والكفر يحوها ، والشكر يجلب النعمة^(٢) .

قال الشاعر :

أفسدت بالمن^(٣) ما أوليت من حسن ليس الكريم بما أسدى بمنان^(٤)

وقال الحسن بن هانئ :

فامض لا تشن على يدًا منك المعروف من كدره^(٥)

قال معاوية ليزيد : يا بني ! اتخذ المعروف منالا عند ذوى الأحساب تشتمل به مودتهم ، وتعظم في أعينهم ، وتكف به عاديهم ، وإياك والمنع ، فإنه ضد المعروف .

كان يقال : حصاد من يزرع المعروف في الدنيا ، اغتباط في الآخرة .

(١) : باعفاقك .

(٢) ب : والكفر يئلب النعمة .

(٣) ساقط من ب .

(٤) عيون الأخبار ١/ ٢٧٧ ، معاصر الأدباء ١/ ٢٩٠ .

(٥) ديوانه ٢٥ ، الكامل ، ١/ ٢٤٣ .

ذم أعرابي رجلاً ، فقال : كان سمين المال ، مهزول المعروف .
 قال الزهيري : من زرع معروفاً حصداً خيراً ، ومن زرع شراً حصداً ندامة .
 قال الشاعر :

مَنْ يَزْرَعُ الْخَيْرَ يَحْصُدُ مَا يُسَرُّ بِهِ وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ
 وقال الراجز :

مَنْ يَزْرَعُ الْخَيْرَ يَحْصُدُ حَصَادَهُ مَوْفَرًا يَوْمًا إِذَا مَا أَرَادَهُ
 قال بشر بن أبي خازم :

وَأَيْدِي النَّدَى فِي الصَّالِحِينَ فَضُولٌ^(١)

وقال الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدُمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٢)

وقال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه :

يَدُ الْمَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيْثُ كَانَتْ تَحْمَلُهَا شُكُورٌ أَوْ كُفُورٌ
 فِي شُكْرِ الشُّكُورِ لَهَا جَزَاءٌ وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكُفُورُ

قال الأصمعي . سمعت أعرابياً يقول : أسرع الذنوب عقوبة كفر المعروف .
 ولابن دريد وقيل إنه أنشدها :

(١) عجز بيت ، وصدره : يكن لك في قومي يد يشكرونها . الديوان ١٠٧ ، وليس في كافية اللام
 ط في نافية الضاد إذ أن الرواية هناك : فروض مكان فضول .
 (٢) ديوانه ٤٣

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَمَا اسْتَطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفٍ قَتَرَوْدِ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِأَيِّ بَلَدَةٍ تَمُوتُ وَلَا مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي غَدِ^(١)

قال بزرجهر : خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ، واحتسب فيه الأجر ،
وارتمن فيه الشكر ، واسترق فيه الحر .

جمع كسرى مرآزبته وعيون أصحابه ، فقال لهم : على أى شىء أنتم أشد ندامة ؟
قالوا : على وضع المعروف فى غير أهله ، وطلب الشكر ممن لا يشكره .

قال الشاعر :

وَزَهَّدَنِي فِي كُلِّ خَيْرٍ مَنَعْتُهُ إِلَى النَّاسِ مَا جَرَّبْتُ مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ^(٢)

وقال آخر :

النَّاسُ مِنْ شَاكِرٍ لِلْعُرْفِ مُحْتَمِلٍ وَمِنْ كَفُورٍ لِمَا أَوْلَيْتَهُ زَمِيرٍ^(٣)
فَابْسُطْ يَدَ الْجُودِ تَحْمِلْ بَعْضَ نَائِلِهَا وَإِنَّمَا النَّاسُ وَالْمَعْرُوفُ كَالْفَرَرِ

وقال آخر :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُبْلِقِ الَّذِي لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ^(٤)

قال المهلب : عجبت لمن يشتري الممالك بماله ، ولا يشتري الأحرار بمعروفه .

وقال : ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام ، فأكرم حرّاً تملكه .

(١) البيتان من غير نسبة فى عيون الأخبار ١/١٨١ ، العقد الفريد ٣/٤٦٩ .

(٢) البيت فى عيون الأخبار ٣/١٦٢ ، الأمالي ٥/١٢٣ ، العقد الفريد ٦/١٩٩ .

(٣) الرمر : قليل المروءة والوفاء .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٨٣ ، المستطرف ١/٢٤٩ ، مجموعة المعاني ٥٧ ، وأم عامر ، كنية الضبع .

قال المتنبي :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْاَلِيمَ تَمَرَّدَا (١)

قال عبد مناف : دواء من لم يصلحه الإكرام الهوان .

قال الشاعر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الْجَمِي لَفِي عُتُوبَتِهِ صَلَاحُهُ

وقال محمود الوراق :

فَكَرَّرْتُ فِي الْمَالِ وَفِي جَمْعِهِ	فَكَانَ مَا يَبْقَى هُوَ الْفَانِي
وَكَانَ مَا أَنْفَقْتُ فِي أَوْجِهِ	بِرٍّ بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانٍ
هُوَ الَّذِي يَبْقَى وَأُجْزَى بِهِ	يَوْمَ يُجَازَى كُلُّ إِنْسَانٍ
وَمِنْ فَسَادِ الْعُرْفِ إِحْصَاؤُهُ	وَذِكْرُهُ فِي كُلِّ إِبَّانٍ
فَانْشُرْ إِذَا أُولَيْتَ عُرْفًا وَإِنْ	أُولَيْتَهُ فَاسْتُرْ بِنِسْيَانٍ

بابُ الشُّكْرِ^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أُوْلَى مَعْرُوفًا فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا الثَّنَا فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ » .

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها تنشد لليهودى :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَجُزُّ بِكَ ضَعْفُهُ يَوْمًا فَتَذَرِكُهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فقال : « قَاتِلَهُ اللَّهُ ! مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ ! ، مَنْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الدُّعَاءَ وَالثَّنَاءَ فَقَدْ كَفَأَ » .

وفى رواية أخرى لهذا الخبر عن عائشة أنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَشَدَى شَعْرَ ابْنِ الْغَرِيضِ الْيَهُودِي^(٢) حَيْثُ قَالَ : إِنَّ الْكَرِيمَ فَأَنَشَدْتَهُ :

إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا أَرَادَ وَصَالَنَا لَمْ يُبَافِ حَبْلِي وَاهِيَا رَثَّ الْقُوَى

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ب .

(٢) سيذكر المصنف بعد إيراد الأبيات أن اسمه الغريص لا ابن الغريص كما ورد في الحديث ، والواقع أن الاختلاف كبير في اسم هذا اليهودي الشاعر ، واشتهر أن اسمه السموءل بن الغريص بن عدياء هكذا ورد في سقط الآلاء ٥٩٥ ، والبرزى ٥٥/١ ، وطبقات الشعراء ٢٢٥ ، ومن مترجميه من يسميه السموءل بن عدياء ، وهو في الخبر ٣٤٩ : السموءل بن حيا بن عديا النسالي ، وكما اختلف في اسمه اختلف في وجوده أصلا ، انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٢٦٩/٣ ، ولعل هذا هو السبب في اضطراب نسبة هذه الأبيات إليه أو لغيره ، وانظرها مع النص الذي ساقه المصنف في الأغاني ١١٧/٣ ، ١١٨ ، حماسة البعثرى ٣٩٨ ، والأولين في فصل المقال ١٧٤ ، والثاني منهما في عيون الأخبار ١٦٢/٣ .

أَرْعَى أَمَانَتَهُ وَأَحْفَظُ غَيْبَهُ جَهْدِي قِيَا تُبِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَتَى
أَجْزِيهِ أَوْ أَثْنَى عَلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

وهذا الشعر لا يصح فيه إلا ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة :
أنه للغريض اليهودي ، وهو الغريض بن السموءل بن عادياء اليهودي ، من ولد
الكاهن هرون بن عامر بن ساعر ؛ وأما أهل الأخبار ، فاختلفوا في قائله ، فقليل :
هو لورقة بن نوفل ، وقيل : هو لزهير بن جناب الكلابي ، وقيل : لعامر بن المجنون^(١)
وقيل : ليزيد بن عمرو بن ثعلبة ، ومنهم من قال : إنه ليزيد بن عمرو أو ورقة بن
نوفل البيتان الأولان ، والصحيح فيها وفي الآيات غيرها أنهما للغريض اليهودي ،
والله أعلم .

قال ابن أبي الدنيا : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنَزِلَةً أَعْلَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّمَنِ
إِذَا مَنَحْتُكَهَا مِنِّي مُهْنَةً شُكْرًا عَلَى صُنْعِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ^(٢)

وقال آخر في يحيى بن خالد البرمكي :

طَلَبْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا فَعَلْتَ بِي فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرُ
لَقَدْ كُنْتَ تَعْطِينِي الْجَزِيلَ بَنِيهِةً وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَلِكَ حَاقِرُ

(١) كذا بالأصول ولعل محنه : مجنون بن عامر .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ٨٧/١٠ ، وقد نسبنا فيه إلى الحسين بن علي المغربي ، وورد الشطر
الأول فيه : إذا منحتكما مني مهنية شكراً ، ونسبت في نهاية الأرب ٢٤٩/٢ إلى أبي عبيدة المهلبى ، ورد فيه
البيت الثاني :

أعطيتها لك من قبي مهنية حذوا على مثل ما أوليت من حسن

فَارْجِعْ مَقْنُوطًا وَتَرْجِعْ بَالَتِي لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرٌ^(١)
وَمَا أَنشده الرياشي :

شُكْرِي لِفِعْلِكَ فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ تَعْرِفُ بِفَضْلِكَ مَا عِنْدِي مِنَ الشُّكْرِ
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله
إلا كتب الله له شكرها ، وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له إن يستغفر ،
وإن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبتة حتى يغفر له » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل » .
وقال : « أشكرُ الناس لله عز وجل أشكرهم لعباده ، ومن لم يشكر القليل لم
يشكر الكثير » .

وفي التفسير : « اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا »^(٢) ، قالوا : الطاعات كلها شكر ،
وأفضل الشكر الحمد .

وفي قوله في نوح عليه السلام : « إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا »^(٣) ، وقالوا : كان
لا يقوم ولا يقعد ، ولا يلبس ثوبًا ، ولا يأكل ولا يشرب إلا حمد الله ، فأثنى
عليه الله بذلك .

مكتوب في التوراة : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك ، فإنه
لا زوال للنعم إذا شكرت ، ولا مقام لها إذا كفرت ، والشكر زيادة في النعم ،
وأمان من الغير .

(١) نسب البيت الأول إلى طريق بن إسماعيل الثقفى ، ونسب الثانى إلى أبى يعقوب الحريرى في عيون الأخبار
١٦٠/٣ . ونسبت كلها إلى طريق في نهاية الأرب ٢٤٩/٣ ، البيان ٤٠٣/٢ .
(٢) سورة سبأ آية ١٣ .
(٣) سورة الإسراء آية ٣ .

قال أبو نخيلة :

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضَى
وَأُخِيتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كُنْتُ خَامِلاً وَلَكِنْ بَعْضُ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ^(١)

قال حذيفة بن اليمان : مَا عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عِظَمًا .

قال عروة بن الزبير : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ سُوءَ مَا يُبْلَى لَمْ يَعْرِفْ خَيْرَ مَا يُؤَلَى .

قال جعفر بن محمد : مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا بِقَلْبِهِ وَشَكَرَهَا بِلِسَانِهِ

فَمَا يَبْرَحُ حَتَّى يَزْدَادَ .

^(٢) قال ابن عباس : لَوْ قَالَ لِي فِرْعَوْنُ خَيْرًا لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ مِثْلَهُ^(٢)

قِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ : الْمَجُوسِيُّ يُولِينِي خَيْرًا أَفَأَشْكُرُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .

قال أوس بن حجر ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخُرَيْمِي :

سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي رَبَّنَا وَحَسْبُكَ مِنِّي أَنْ أَوَدَّ وَأُحْمَدَا^(٣)

ولأبي المعافى^(٤) ^(٥) يعقوب بن^(٥) إسماعيل بن رافع ، مولى مزينة في بكار بن

عبد الله الزيري :

إِنِّي أَثْنِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي لَمْ يُضِغْ حُسْنُ بَلَاءٍ مِنْ شَكَرٍ

إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَكْفُرُكُمْ أَبَدًا مَا صَاحَ دِيكَ فِي السَّحَرِ

(١) انظر البيتين في عيون الأخبار ١/١٦٥ ، معجم الشعراء ١٩٣ ، وأبو نخيلة هو حزن بن زائدة بن لحيطة السعدي ، انظر معجم الشعراء بالرقم السابق ، زهر الآداب ٦٧/٤ ، الأمل ٣٠/١ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ورد البيت في الأغاني ٧/١٠ ، وعيون الأخبار ٣/١٦٥ هكذا :

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب وقصدك أن يثنى عليك وتحمدي

(٤) ورد الاسم في الأصل : أبو المعافى ، والتصحيح من معجم الشعراء ٥٠٤ .

(٥) ساقط من ب .

وقال آخر :

فَلَوْ كَانَ يَسْتَفْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَا جِدُّ لِعِزَّةٍ مُلْكٍ أَوْ عُلوٍّ مَكَانٍ
لَمَّا نَدَبَ اللَّهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ فَقَالَ : اشْكُرُونِي أَيُّهَا الشَّقْلَانِ^(١)

وقال آخر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا مَا تَرَأَخْتُ مِنْبَتِي أَيْادِي لَمْ تُنَمِّنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتْ
فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبٍ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرُ الشُّكُورِ إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ^(٢)

وقال آخر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتِ^(٣)

وقال آخر :

لَنْ طِبْتَ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَإِنِّي لَأَطِيبُ نَفْسًا مِنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
فَلَسْتُ إِلَى جَدُّوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي^(٤)

قال عمر بن عبد العزيز : ذكر النعمة شكر .

(١) البيتان لـكثوم بن عمرو العنابي كما في زهر الآداب ٢/٣٣ ، وانظرهما في العقد الفريد ٢/١٣٧ ، معجم الأدباء ١٧/٢٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٣ .

(٢) البيتان في أمالي القالي ١/٤٠ ، عيون الأخبار ٣/١٦١ من غير نسبة ، وقد نسبنا في معجم الشعراء ١٢٠٤ إلى محمد بن سعد الكاتب التميمي ، وفي سبط اللآلئ ١٦٦ نسبنا إلى أبي الأسود ، وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص ، وبينما هو يحدثه إذ ظهر كم قيص من تحت جيبه وبه خرق ، فلما انصرف بعث إليه بعشرة آلاف درهم ومائة ثوب ، وفي الحماسة ٢/٢٥٣ ورد البيتان بلا نسبة وعقب التبريزي عليهما بأنهما لعمرو بن كميل ، وقد نظر إليه عمرو بن ذكوان وعليه جبة بلا قيص ، فجعل يسعى له ويتشفع حتى ولي البصرة .

(٣) أورد المصنف هذا البيت منفرداً ، وهو تابع للبيتين قبله ، انظر المراجع السابقة ، وبالإضافة إلى ما سبق فيها فقد ورد البيت في معجم الأدباء ١٣/١١٢ منسوباً إلى إبراهيم بن العباس الصولي ، ووردت الأبيات الثلاثة لإبراهيم أيضاً في وفيات الأعيان ٣/١٤٧ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٦٦ .

قال جعفر بن محمد : من لم يشك الجفوة لم يشكر النعمة .

قال الشاعر :

إِذَا أَنَا لَمْ أُعْرِفْ^(١) لِيَذِي الْفَضْلِ فَضْلُهُ وَلَمْ أَلْمِ الْخَبَّ اللَّئِيمَ الْمَذْمَمَ
فَفِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا^(٢)

وقال آخر :

وَالْكَفْرُ مَخْبِئَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ^(٣)

وقال آخر :

وَمَا تَخْفَى الصَّنِيعَةُ حَيْثُ كَانَتْ وَلَا الشُّكْرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

وقال العتابي :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يُرَى إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّـَاطِرُ
لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرُوؤٌ شَاكِرٌ^(٤)

وقال آخر :

وَلِإِنَّكَ إِنْ ذَوَّقْتَنِي ثَمَرَ الْغِنَى حَمِدْتَ الَّذِي تَجْنِيهِ^(٥) مِنْ ثَمَرِ الشُّكْرِ

(١) ب : تعرف .

(٢) نسب البيتان في الأمل ١٥٩/٢ إلى أبي العالية الرياحي ، وورد البيت الأول منه : إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ... ولم أذم الجبس ... الخ ، وورد في معجم الشعراء ٤٩٧ منسوبين إلى أبي عمران الضرير ، وفي محاضرات الأدباء ١/١٨٤ نسبا إلى أبي العياء ، وورد فيها الشطر الأول : إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا ، واظهروا في زهر الآداب ١/٨٦ ، معجم الأدباء ١٨/٢٨٨ .

(٣) صدره : * نبئت عمراً غير شاكر نعمتي * وهو لعنترة العبسي ، ديوانه ٢٨ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٦١ .

(٥) ب : أجنيك .

وَإِنْ يَفْنِ مَا أُعْطَيْتَنِي الْيَوْمَ أَوْ غَدًا فَإِنَّ الَّذِي أُعْطَيْتَ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ
وقال آخر :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ
وَلَا أَلُومُكَ إِنْ لَمْ يُنْمِضِهِ قَدَرٌ فَالرُّزْقُ بِالْقَدَرِ الْمُحْتُومِ مَصْرُوفٌ^(١)

قال سليمان التيمي : إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته ، وكلفهم من
الشكر بقدر طاقتهم .

قالوا : كلَّ شكروا إن قلَّ ، ثمن لكل نوال وإن جلَّ .

كانت هند بنت المهلب تقول : إذا رأيت النعمة مستبذرة فبادروها بالشكر
قبل حلول الزوال .

وقال أبو نواس :

أَنْتَ امْرُؤٌ أَوْلَيْتَنِي نِعْمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفًا
لَا تُخْـدِثَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفًا^(٢)

وقال البحتري :

مَنْ لَا يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةٍ حَبَّةً^(٣) فَمَتَى يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةِ رَبِّهِ^(٤)

(١) عيون الأخبار ٣/ ١٦٥ ، نهاية الأرب ٢/ ٢٤٥ ، وانظر جذوة المقتبس ١٢٩ ، وقد نسبهما فيه لابن عائشة .

(٢) ديوانه ٧٠ ، زهر الآداب / ٩٣ ، محاضرات الأدباء ١/ ١٧٨ ، معجم الأدباء ١٧ / ١٧٤ ، الشعر والشعراء ٨٠ .

(٣) ١ : خله .

(٤) ديوانه ٦٧/١ .

أنشد المبرد لمحمود الوراق :

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً عَلَىٰ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إِلَّا بِفَضْلِهِ وَإِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ
إِذَا سَرَّ بِالسَّراءِ عَمَّ سُرُورُهَا وَإِنْ مَسَّ بِالضَّرَاءِ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرْ وَالْبَحْرُ^(١)

قال أبو العباس المبرد : هذا معنى لطيف ، يقول : إن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيقه ، فيجب أن يحمد على التوفيق ، ثم يجب في الحمد الثاني ما يجب في الحمد الأول أبداً إلى حيث لا نهاية ، ولقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزِدْ عَلَىٰ كُلِّ نِعْمَةٍ قَدْ آتَاكَهَا شُكْرًا فَلَسْتَ بِشَاكِرٍ^(٢)

ومن أبيات ليزيد بن محمد المهلب في هذا المعنى :

فَكَيْفَ بِشُكْرِ ذِي نِعَمٍ إِذَا مَا شَكَرْتُ لَهُ فَشُكْرِي مِنْهُ نِعْمَةٌ
قال رجل من قريش لأشعب الطمع : يا أشعب ! أحسنتُ إليك فلم تشكر !
فقال : إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير شاكر .

قالوا : لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه .

قال الشاعر :

إِذَا الشَّافِعُ اسْتَقْصَىٰ لَكَ الْجُهْدَ كُلَّهُ وَإِنْ لَمْ تَنْلُ نُبْحًا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ^(٣)

(١) المستطرف ١/ ٢٧٨ ، زهر الآداب ١/ ٨٩ .

(٢) ديوانه ٣٤ .

(٣) معاضرات الأدباء ١/ ٢٧٣ ، عيون الأخبار ١/ ١٣٥ .

وقال آخر :

وَالْحَمْدُ شَهْدٌ^(١) لَا يُرَى مُشْتَارُهُ يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْحَنْظَلِ^(٢)

وقال آخر :

دَنَوْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَشَدَّوْا دُونَهُ الْأُزُرَا
وَسَاوَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَفَى وَمَنْ صَبَرَا
لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكِلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا^(٣)

قال جعفر بن محمد : ما من شيء أسرَّ إلى من يداً تُبِعُهَا أُخْرَى ، لأنَّ مع الأواخر
يُقَطَّعُ لِسَانُ شُكْرِ الْأَوَائِلِ .

(١) ساقط من ب .

(٢) البيت لأبي تمام ، انظر شرح ديوانه ٤١/٢ ، زهر الآداب ١١٣/٤ .

(٣) الأبيات في الأمل ١١٣/١ ، وفيه : دبت بدل دنوت ، وألقوا بدل شدوا ، وكابدوا بدل ساوروا ،
وانظر البيتين الأولين في فصل المقال ٢٠٧ ، الحماسة لأبي تمام ٢١٥/٢ ، ٢١٦ ، وقد نسبهما هناك إلى رجل
من بني أسد ولم يعينه

بَابُ فِي طَلَبِ الْحَاجَاتِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشفَعُوا تُؤَجَّرُوا ، وَيَقْضَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، هُمْ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ »

قال الشاعر :

أَنْتَ وَصَفُ النَّبِيِّ إِذْ قَالَ يَوْمًا اطلبُوا الْخَيْرَ مِنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ

وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم : إني أتيتك في حاجة رفعتها إلى الله قبلك ، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك ، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك .

قال يونس رحمه الله :

أَنْزَلْتُ بِالْحَرِّ إِبْرَاهِيمَ مَسْأَلَةً أَنْزَلْتُهَا قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ بِاللَّهِ
فَإِنْ قَضَى حَاجَتِي فَاللَّهُ يَسِّرَهَا هُوَ الْمُقَدِّرُهَا وَالْأَمْرُ النَّاهِي
إِذَا أَبَى اللَّهُ شَيْئًا ضَاقَ مَذْهَبُهُ عَلَى الْكَبِيرِ^(١) الْعَرِيفُ الْقَدْرُ وَالْجَاهُ

وقال أبو العتاهية :

خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْبَجُهَا وَأَضْيَقُ الْأَمْرِ أَذْنَاهُ إِلَى الْفَرَجِ^(١)

كتب سوار بن عبد الله بن سوار القاضي إلى محمد بن عبد الله بن طاهر :

لَنَا حَاجَةٌ وَالْعُذْرُ فِيهَا مُقَدَّمٌ خَفِيفٌ مُعْنَاهَا مُضَاعَفَةٌ الْأَجْرُ
فَإِنْ تَقْضِيهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبَّنَا وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَبِئْسَ الْعُذْرُ
عَلَى أَنَّ الرَّحْمَنَ مُعْطٍ وَمَانِعٌ وَلِلرَّزْقِ أَسْبَابٌ إِلَى قَدَرٍ تَجْرِي

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر :

فَسَلِّهَا تَجِدُنِي مُوجِبًا لِقَضَائِهَا سَرِيعًا إِلَيْهَا لَا يُخَالِطُنِي فِكْرُ
شُكُورٍ بِإِفْضَالِي عَلَيْكَ بِمِثْلِهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيمَا حَوَّتْهُ يَدِي شُكْرُ
فَهَذَا قَلِيلٌ لِلَّذِي قَدْ رَأَيْتُهُ لِحَقِّكَ لَا مَنْ لَدَيَّ^(٢) وَلَا فَخْرُ

قال معاوية يوماً لعمر بن العاص : لي إليك حاجة . قال : ولي إليك حاجة

يا أمير المؤمنين . قال : تهب لي الوهط^(٣) . قال : هو لك يا أمير المؤمنين . قال

معاوية : اذكر حاجتك . قال : ترده علي .

قال جعفر بن محمد : حاجة الرجل إلى أخيه فتنة لهما ، إن أعطاه شكر من لم يعطه ،

وإن منعه ذم من لم يمنعه .

قال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها في غير

حينها ، ولا تطلبوا ما لا تستحقون منها ، فإن من طلب ما لا يستحق استوجب الحرمان .

(١) الديوان ٦١ .

(٢) ١ : علي .

(٣) قرية بالطائف ، زرعها عمرو كروماً ، وكانت له قيمة جلية ، انظر معجم ياقوت ١١١/٧ .

كان يقال : اذا طلب عاقل الى كريم حاجة اتقضت ، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن ، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع .

كان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسأل^(١) ما لا يستطيع .

قال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصِّعق :

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ سَأَيْكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقٍ^(٢)

قال رجل للأحنف : أتيتك في حاجة لا ترزؤك ولا تنكؤك . قال : إذا لا تقضى ، أمثلي يؤتى فيما لا يرزأ ولا ينكأ .

قال رجل للعباس بن محمد ، أو لعبد الله بن عباس : أتيتك في حاجة صغيرة ، قال : فاطاب لها رجلا صغيرا .

قيل لآخر : أتيتك في حاجة . قال : اذكرها ، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات ولبيرها .

كان يقال : لا تستعن على حاجة بمن هي طعمته ، ولا تستعن بكذاب ، فإنه يقرب البعيد ويباعد القريب ، ولا تستعن على رجل بمن له إليه حاجة .

قال ابن المقفع : الحاجة يعترى صاحبها الخيفة من مكانين : الاستقبال بها قبل وقتها ، والثاني حتى تفوت ، وأنشد :

وَقَدْ يَفُوتُ أَنْاسًا بَعْضُ مَا طَلَبُوا عِنْدَ التَّأَنِّي فَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجِلُوا^(٣)

(١) ب : تحمل .

(٢) محاضرات الأدباء ٢٦١/١ ، معجم الأدباء ١٨٧/٢ ، العقد الفريد ٢١٢/٣ .

(٣) البيت للقطامي ، ديوانه ١٣٦ ، العقد الفريد ٧٥١/١ ، نهاية الأرب ٣٩٠/٣ ، المستطرف ٣٩/١ .

قال أبو فزارة الغاضريّ: أصل العبادة ألا تسأل سوى الله حاجة، فكل أحد في الله عوض من كل أحد، وليس لأحد من الله عوض بأحد.

سأل رجل مطرف بن عبد الله بن الشخير حاجة، فقال: من كانت له إلى حاجة فليكتبها في رقعة، فإني أرغب بوجوهكم عن مكروه السؤال.

كان يقال: لا تصرف حوائجك إلى من معيشته في رعوس المكاييل والموازن قال العرزمي^(١)، وروى لأبي الأسود الدؤلي:

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةً فَالِحٌ فِي رَفَقٍ وَأَنْتَ مُدِيمٌ^(٢)
وقال آخر:

لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةً . وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ
يَا خَادِعَ الْبُخْلَاءِ عَنْ أُمُورِهِمْ هَيْهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ^(٣)
وقال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

أَطْلُبُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيَمَتَكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحُ عَنْ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
إِذَا أَتَيْتَ عَلَيْكَ الْمَرْءَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الْفَنَاءُ^(٤)

(١) ب: العرجي .

(٢) البيتان في ديوان أبي الأسود ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٣ من غير نسبة .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٣٥ .

(٤) ديوانه ٦ ، وفيه أذكر ، و خليل مكان كريم ، وانظر الأبيات في حاسة أبي تمام ٢/٣٤٦ ، لباب

الأدب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٥/٣٨ .

وقال جرير مخاطب عمر بن عبد العزيز :

إِذَا ذُكِرَ الضَّرُّ وَالْبَلَاؤُ الْيَ نَزَاتُ أَمْ أَكْتَفَى بِالَّذِي بُلَّغْتَ مِنْ خَبَرِي ^(١)

وقال آخر :

كَفَاكَ مُذَكَّرًا وَجْهِي بِأَمْرِي وَحَسْبِي أَنْ أَرَكَ وَأَنْ تَرَانِي ^(٢)

وقال آخر :

أَرْوَحُ بِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَدِي وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا
كَفَى بِطِلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ عَنَاءٌ وَبِالْيَأْسِ الْمُصَرَّحِ نَاهِيَا ^(٣)

وقال آخر :

تَخَلَّ لِحَاجَتِي وَاشْدُدْ قَوَاهَا فَقَدْ أَمْسَتْ بِمَنْزِلَةِ الضَّيَّاعِ
إِذَا أَرْضَعْتَهَا بِلَبَانٍ أُخْرَى أَضَرَّتْهَا مُشَارَكَةُ الرِّضَاعِ ^(٤)

وقال آخر :

وَلَا تَسْتَعِينَنَّ فِي حَاجَةٍ بِمَنْ يَبْتَغِي حَاجَةً مِثْلَهَا
فَيَنْسَى الَّذِي كُنْتَ كَلَفْتَهُ وَيَبْدَأُ بِحَاجَتِهِ قَبْلَهَا

وقال آخر :

^(٥) وَإِذَا يُصِيبُكَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ حَدَّثُ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثَقِ ^(٥)

(١) ديوانه ٩٦ ، وفيه : الجهد بدل الضر ، وانظره في المحاسن والمساوي ١٠٤/١ ، عيون الأخبار ١٥٠/٣ ، المستطرف ١٢٨/١ .

(٢) عيون الأخبار ١٤٩/٣ ، العقد الفريد ٢٩٠/١ وفيه : كففاك مخبرا وجهي بشأني ... وحسبك .

(٣) انظر البيتين في عيون الأخبار ١٥٠/٣ ، العقد الفريد ٢٩٠/١ .

(٤) البيتان لطريح بن إسماعيل النقي كما في أمالي القالي ٧١/٢ ، وانظرهما في المستطرف ١٣٨/١ .

(٥) ساقط من ب ، وهو لفظاى ، ديوانه ٧٢ وانظره في عيون الأخبار ٢/٣ ، معجم الأدباء ٦٢/٣ .

وقال أبو العتاهية :

اقض الحوائجَ ما استطعتَ تَ وَكُنْ لَهُمَّ أَخِيكَ فَارِحُ
فَلَنَحْنُ نَزِيرُ أَيَّامِ الْفَتَى يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ^(١)

وقال الحارثي :

وَمَا رَوْضَةٌ عُلُوبَةٍ أَسَدِيَّةٌ^(٢) مُنَمَّمةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرَى جَعْدِ
سَقَاهَا النَّدى فِي غَفْلَةِ الدَّهْرِ نَوَّاهَا فَنَوَّارُهَا يَهْتَزُّ كَالْكُوكَبِ السَّعْدِ
بِأَحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضَمَّنَ حَاجَةً لِحُرٍّ فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ وَبِالرَّفْدِ^(٣)

قال عمر بن أبي ربيعة :

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكَ فَقَالَتِ بَيْنَ أُذُنِي وَعَاتِقِي مَا تَرِيدُ^(٤)

كان يقال : من بكر يوم السبت في حاجة ، كان حقاً على الله قضاؤها .

قال بشار بن برد :

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ السَّحُورِ إِنَّ مُجَلَّ^(٥) النَّجَاحِ فِي التَّبَكِيرِ

قالوا : من صبر على حاجة ظفر بها ، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

(١) ديوان أبي العتاهية ٦٢ ، ونسباً في وفيات الأعيان ٣٠٥/٢ إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي .

(٢) ب : أردية دلوية .

(٣) نسبت الأبيات في العقد الفريد ٤١٩/٥ إلى ابن أبي الحارثي ، وفيه البيت الثاني :

سقاها الندى في عقب جنح من الدجى فنوارها يهتز بالكوكب السعد
وفيه أيضاً : مع الوعد مكان بالرفد .

(٤) ديوانه ٥٢ .

(٥) ب : حاد ، ولا يوجد البيت فيما طبع من ديوانه .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْإِذْلَاجِ فِي السَّفَرِ وَفِي الرِّوَاكِ إِلَى الْحَاجَاتِ وَالْبُكَرِ
لَا تَضْجِرَنَّ وَلَا يُعْجِزْكَ مَطْلِبُهَا فَالْجُحُ يُتَلَفُ بَيْنَ الْعَجَزِ وَالْقَصْرِ
إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةً الْأَمْرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ يُطَالِبُهُ ^(١) وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ ^(٢)

وقال محمد بن بشير :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتِقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَبَجَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرْجًا
أَخْلَقَ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدَّ مِنَ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا ^(٣)

سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلاً حاجة فلم يقضها له ، وسألها غيره
فقضاها إليه ، فكتب هذه الأبيات :

ذِمَّتْ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَذْرَكَتْ حَاجَتِي تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْيٌ مُقَصِّرٌ وَنَفْسٌ أَصَاقَ اللَّهُ فِي الْخَيْرِ بَاعَهَا
إِذَا هِيَ حَمَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِسُوءٍ أَطَاعَهَا ^(٤)

(١) ب : يحاوله .

(٢) انظر الثالث والرابع في عيون الأخبار ١٢٠/٣ ، المستطرف ٦٩/٢ .

(٣) نسبت الأبيات لمحمد بن يسير الرياشي في البيان ٤٠٠/٢ ، الشعر والشعراء ٨٥٥ ، ونسبت في المستطرف ٧٨/٢ إلى محمد بن بشير الخارجي وكذلك في حماسة أبي تمام ٢٨/٢ ، ٢٩ ، ووردت في عيون الأخبار ١٢٠/٣ ، العقد الفريد ٨١/١ من غير نسبة .

(٤) وردت الأبيات منسوبة إلى عبد الرحمن كما هنا في عيون الأخبار ١٧٢/٣ ، الأمالي ٢٢٢/٢ ، ووردت منسوبة لابنه سعيد في البيان ١٨٤/٣ ، زهر الآداب ٩٩/٤ ، محاضرات الأدباء ٢٨٦/١ .

الإلحاح لا يصلح ولا يحمل إلا على الله عز وجل . قال مؤرق العجلي : سألت
ربي حاجة عشرين سنة ، فما انقضت لي ولا يئست منها .

قال أبو العتاهية :

فِي النَّاسِ مَنْ تَسْهَلُ الْمَطَالِبُ أَحْ
يَانَا عَلَيْهِ وَرُبَّمَا صُعِبَتْ
مَا كُلُّ ذِي حَاجَةٍ بِمُذْرِكِهَا
كَمْ مِنْ يَدٍ لَا تَنَالُ مَا طَلَبَتْ
مَنْ لَمْ يَسَعَهُ الْكَفَافُ مُعْتَدِلًا
خَافَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمَا رَحِبَتْ^(١)

وقال القطامي :

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ^(٢)

كان بنو يربوع يوصون أولادهم ، فيقولون : استعينوا على الناس في حوائجكم
بالتثقيل فذلك أنجح لكم .

قال أبو نواس :

وَلَنْ يُدْرِكَ الْحَاجَاتِ مَنْ حَيْثُ يَنْبَغِي مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُسْبِحُونَ عَلَى رِجْلِ^(٣)

وقال أشجع السامي :

لَيْسَ لِلْحَاجَاتِ إِلَّا مَنْ لَهُ وَجْهٌ وَقَاحٌ

(١) الديوان ٣٨ .

(٢) ديوانه ١٣٥ ، شرح الحماسة للتبريزي ١/٣٢٨ ، عيون الأخبار ٣/١٢١ ، المستطرف ١/٣٩ ، ٢/٧٢ .

الشعر والشعراء ٧٠٤ .

(٣) لم أعر عليه في ديوانه ، وقد نسب إليه أيضا في عيون الأخبار ٣/١٢٠ ورواية الشطر الأول : وما
طالب الحاجات ممن يرومها ، ونسب في حماسة البحتري ١٨٧ إلى أبي عطاء السدي ، والرواية فيه : من حيث تبتغي .

وَابْتِكَارٌ وَدَوَامٌ وَغُدُوٌّ وَرَوَاحٌ
 إِنْ تَكُنْ أَبْطَاتِ الْحَا جَةً عَنِّي وَالسَّرَاحُ
 فَعَلَى الْجُهْدِ فِيهَا وَعَلَى اللَّهِ النَّجَاحُ^(١)

^(٢) وقال آخر :

هَيْبَةُ الْإِخْوَانِ قَاطِعَةٌ لِأَخِي الْحَاجَاتِ عَنْ طَلْبِهِ
 فَإِذَا مَا هَيْبَتَ ذَا أَمَلٍ مَاتَ مَا أَمَلْتُ مِنْ سَبَبِهِ^(٣)

وقال آخر :

طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرٌ لَا تَرْضَ مَعْجَزَةً وَأَنْتَ قَدِيرٌ^(٤)

وقال دعبل بن علي الخزاعي :

جِسْتُكَ مُسْتَشْفِعًا إِلَّا سَبَبِ إِلَيْكَ إِلَّا بِحُرْمَةِ الْأَدَبِ
 فَافْضِ ذِمَامِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مُلِحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ^(٥)

وقال آخر :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ إِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُوءٌ^(٥)

(١) الشعر والشعراء ٨٥٨ ، المستطرف ٢/٢٧٢ .

(٢) يروى مقطعة مكان قاطعة ، وانظرهما في عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٢ .

(٣) ساقط من ١ ، وهذا البيت ملفق من بيتين مع اختلاف في بعض الألفاظ وهما :

لا ترض منزلة الدليل ولا تقم في دار معجزة وأنت خبير
 وإذا هممت فأمض همك إنما طلب الحوائج كله تغرير

انظر عيون الأخبار ٣/١٢٢ وسوت يرد البيت الأخير فيما يلي .

(٤) العقد الفريد ١/٢٨٠ ، عيون الأخبار ٣/١٣٣ .

(٥) المستطرف ٢/٦٦ .

وقال آخر :

وَإِذَا هَمَمْتَ فَأَمْضِ هَمَّكَ إِنَّمَا طَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرٌ^(١)
 اختلف أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع في حاجة زماناً فلم يقضها له ،
 فكتب إليه :

أَكَلْتُ طُولَ الزَّمَانِ أَنْتَ إِذَا مَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ تَقُولُ غَدَا
 لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدًا^(٢)

وقال آخر وأظنه محمود الوراق :

وَذِي ثِقَةٍ تَبَدَّلَ حِينَ أَثَرَى وَمَا شِئِمِي مُوَافَقَةً الثَّقَاتِ^(٣)
 قُلْتُ لَهُ عَتَبْتُ^(٤) عَلَى ظُلْمًا فِرَارًا مِنْ مَوْوَنَاتِ الْعِدَاتِ
 فَقَدْ لِمَوَدَّتِي وَعَلَى نَذْرٍ سُؤَالُكَ حَاجَةً حَتَّى^(٥) الْعَمَاتِ

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف :

لَنْ عُدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنِّي لَظَالِمٌ سَأَصْرِفُ نَفْسِي حِينَ تُبْغَى الْمَكَارِمُ
 مَتَى يَنْجَحُ الْغَادِي إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ وَنِصْفُكَ مُحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمٌ^(٦)

وقال الصلتان العبدى :

نَرْوَحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقِضِي

(١) انظر التعليق رقم ٣ في الصفحة السابقة .

(٢) الديوان ٣٣٣ . (٣) في عيون الأخبار : ومن شئمي مراقبة الثقات .

(٤) ب : عبت .

(٥) وردت الأبيات في عيون الأخبار ١٤٨/٣ غير منسوبة لقائل .

(٦) الديوان ٣٣٣ .

تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(١)
وقال أبو العتاهية :

مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَاصِلًا إِلَى حَاجَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَهُ أُخْرَى^(٢)
وقال آخر :

إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوَى فِي الْفُؤَادِ^(٣)
مسئل بعض الحكماء حاجة فامتنع ، فموتب في ذلك ، فقال : لأن يحمر وجهي
مرة خير من أن يصفر وجهي مرارا .
قال منصور الفقيه :

مَنْ قَالَ لَا فِي حَاجَةٍ مَطْلُوبَةٍ فَمَا ظَلَمَ
وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ يَقُولُ لَا بَعْدَ نَعَمْ^(٤)
وقال آخر :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ وَإِلَّا فَقُلْ لَا . تَسْتَرْخِ وَتُرْخِ بِهَا
فَإِنْ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبٌ لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ^(٥)
وقال أبو العتاهية :

لَا يَزَالُ الْمَرْءُ مَا عَاشَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجُ

(١) البيتان في نهاية الأرب ١٩١/٨ ، عيون الأخبار ١٣٢/٣ ، معجم الشعراء ٢٣٠ .
(٢) زيادة في ب ، والبيت في ديوانه ٥٢ ، العقد الفريد ١٣٨/٣ ، وفيه : من ليس صابرا ... على .
(٣) البيت لأبي فراس الحمداني ، انظر القيمة ١٧٤/١ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ .
(٥) انظر البيت في حماسة البحتري ٢٢٠ ، لهرم بن غنم السلولى ، والرواية هناك : واسترح وأرح بها
بها لكيلا ، وانظرهما في المستطرف : ٢٣٤/١ .

رُبَّ أَمْرٍ قَدْ تَضَايَقَتْ بِهِ ثُمَّ يَأْتِي اللَّهُ مِنْهُ بِالْفَرْجِ^(١)

وقال آخر :

لَنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِي كَمَا أَخْطَأْتُ فِي مَنَعِي
لَقَدْ أَهْلَلْتُ آمَالِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ^(٢)

وقال آخر :

قَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَا لَكَ كَرَائِمٍ مِنْ رَبٍّ بَيْنَ ضَنِينٍ^(٣)

وقال أشجع السلمي :

قَدْ خَرَجْتُ حَاجَاتُ أَهْلِ الْحَبَا وَلَيْسَ فِيهِمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ
بُنَجَّهَهَا وَامْتَنَعَ الْمُنْهَجُ مِنِّي إِلَى حَاجَتِهِ أَحْوَجُ
يُرِيدُنِي أَنِّي أَرَى حَاجَتِي تَدْخُلُ فِي الْحَاجِ وَلَا تُخْرِجُ
أَقُولُ إِذَا أَقْلَقَنِي عَاذِلٌ بِكُلِّ مَا أَكْرَهُهُ مُلْهَجُ
قَدْ يُدْرِكُ الْأَمْرَ أَنَاةُ الْفَتَى وَيَسْبِقُ فِي الْحَاجَةِ مَنْ يُدْلِجُ^(٤)

(١) ديوانه ٦٢ .

(٢) البيتان لإسماعيل الفراءطيسي في الفضل بن الربيع ، انظر محاضرات الأدباء ٢٨٦/١ ، عيون الأخبار ١٤٣/١ ، الأغاني ٨٨/٢٠ .

(٣) محاضرات الأدباء ٢٢٥/١ ، ٢٨٤/٢ ، معجم الأدباء ٢٢٩/١٢ ، العقد الفريد ٤٦٩/٣ وفيه :

يا أُمَّ عامر .

(٤) ب : ويسبق الحاجات النخ .

باب السُّلْطَانِ وَالسِّيَاسَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُتُّكُمْ رَاعٍ وَكُتُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَإِذَا رَاعَى النَّاسَ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ » .

وقال عليه السلام : « الْإِمَامُ الْعَدْلُ لَا تَكَادُ تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُقْسِطُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ — وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ — لَا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعَ النَّاسُ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أَمِيرٍ لَمْ يُحِطْ رَعِيَّتُهُ بِالنَّصِيحَةِ لَمْ يَرْحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لَا يُصْلِحُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا شِدَّةٌ فِي غَيْرِ مُعْنَفٍ ، وَلِينٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لَنْ يَقِيمَ ^(١) أَمْرُ النَّاسِ إِلَّا أَمْرٌ وَحْصِيفُ الْعَقْدَةِ ، بَعِيدُ الْغُورِ ، لَا يَطْلَعُ النَّاسُ مِنْهُ عَلَى غُورِهِ ، وَلَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَمٌ .

وعن عمر رضي الله عنه ، قال أيضاً : لَا يَقِيمُ أَمْرُ اللَّهِ فِي النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِهِ كُلَّهُ ، يَخَافُ اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَلَا يَخَافُ النَّاسَ فِي اللَّهِ .

لعليّ بن أبي طالب في أول كتاب كتبه : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الْحَقَّ حَتَّى اشْتَرَوْا ، وَبَسَطُوا الْجَوْرَ حَتَّى اقْتَدَى ^(٢) .

(١) ب : لم يقيم .

(٢) ١ : ابتدئ .

قال مجاعة بن مرارة الحنفي لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما : إذا كان الرأي عند من لا يُقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : المُلْك والدين أخوان ، لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أس^(١) ، والمُلْك حارس ، فما لم يكن له أس فهو دُوم ، وما لم يكن لله حارس فضائع .

قال عبد الله بن المبارك :

إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللَّهِ فَأَعْتَصِمُوا مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا
كَمْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضِلَةً فِي دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدُنْيَانَا
لَوْ لَا الْخِلَافَةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ وَكَانَ أضعفنا نهبًا لأقوانا^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمَّ أحد على سلطانه ، ولا يجلس على تكربة إلا بإذنه » .

كان يقال : شرّ الأمراء أبعدهم من العلماء ، وشر العلماء أقربهم من الأمراء .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : مِنَ الْمُلُوكِ مَنْ إِذَا مَلَكَ زَهَّدَهُ اللَّهُ فِيمَا فِي يَدَيْهِ ، وَرَغِبَهُ فِيمَا فِي يَدِ غَيْرِهِ ، وَأَشْرَبَ قَلْبَهُ الْإِشْفَاقَ عَلَى مَا عِنْدَهُ ، فَهُوَ يَحْسُدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَتَسَخَّطُ عَلَى الْكَثِيرِ .

(١) ب : رأس .

(٢) ب : نحن لأقوانا .

ولّى عليّ بن أبي طالب عمّ المختار بن أبي عبيد عسكراً^(١) ، وقال له بين يدي
أهلها : استوف منهم خراجهم ، ولا تجدن عندك ضعيفاً ولا رخصة . ثم قال له :
رح إلى . قال : فرحتُ إليه ، فقال لي : قد قلتُ لك بين أيديهم ما قلت ، وهم قومٌ
خُدَعُ ، وأنا الآن آمرُك بما إن قبلتهُ وإلا أخذك الله به دوني ، وإن بلغني خلافُ
ما أمرتُك به عزلتُك ، لا تتبعنّ لهم رزقاً يأكلونه ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ،
ولا تضربن رجلاً منهم سوطاً في طلب درهم ، ولا تُقمه^(٢) في السجن في طلب درهم ،
فإنّا لم نوامر بذلك ، ولا تستعروا لهم دابة^(٣) يعملون عليها ، فإنّا أمرنا أن نأخذ
منهم العفو .

قال عمرو بن العاص لابنه : يا بنيّ !! احفظ عني ما أوصيك به ، إمام عدلٌ
خير من مطر و بَل ، وأسدٌ حطّوم خير من إمام ظلوم ، وإمام ظلوم غشوم خير
من فتنة تدوم .

رسالة أردشير بن بابك الى الملوك بعده

من أردشير ملك الملوك ، الى الملوك الكائنين بعده : الخراج عمود المملكة بكنفه
تعيش الرعية ، وتحفظُ الأطراف والبيضة ، فاختراروا للعمل عليه أولى الطينة الحرة ،
من ذوى العقول والحنكة ، وكفّوهم بسنى^(٤) الأرزاق يحسموا أنفسهم عن
الارتفاق ، فما استغزر بمثل العدل ، ولا استنزر بمثل الجور .

(١) بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . معجم البلدان ٤ / ١٤٢ .

(٢) ب : ولا تريد .

(٣) ب : ولا تتبعن لهم حانة ... الخ .

(٤) ا : يسير .

ومن كلام الفرس في هذا الباب : لا مُلْكَ إِلَّا بِرِجَالٍ ، ولا رِجَالٌ إِلَّا بِمَالٍ ،
ولا مالٌ إِلَّا بِعِمَارَةٍ ، ولا عِمَارَةٌ إِلَّا بِعَدَلٍ .

ومن قولهم أيضاً : مَثَلُ الْمَلِكِ الَّذِي يَأْخُذُ أَمْوَالَ رَعِيَّتِهِ وَيُجْحِفُ بِهِمْ ،
مَثَلُ مَنْ يَأْخُذُ الطَّيْنَ مِنْ أَصُولِ حَيْطَانِهِ ، فَيَطِينُ بِهِ سَطَوَحَهُ فَيُوشِكُ أَنْ تَقَعَ
عَلَيْهِ الْبُيُوتُ .

ومن كلامهم أيضاً ، وينسب إلى أرسطاطاليس : الْعَالَمُ بَسْتَانٌ مِثْلُهَا الدَّوْلَةُ ،
الدَّوْلَةُ سُلْطَانٌ تَحْيَا بِهِ السُّنَّةُ ، السُّنَّةُ ^(١) سِيَاسَةٌ يَسُوسُهَا الْمَلِكُ ، الْمَلِكُ رَاعٍ
يَعُضِّدُهُ الْجَيْشُ ، الْجَيْشُ أَعْوَانٌ يَكْنِفُهُمُ الْمَالُ ، الْمَالُ رِزْقٌ تَجْمَعُهُ الرِّعْيَةُ ، الرِّعْيَةُ
عَبِيدٌ يَتَعَبَّدُونَ الْعَدْلَ ، الْعَدْلُ مَأْلُوفٌ وَهُوَ صِلَاحُ الْعَالَمِ .

قال عبد الملك بن عمير : كَانَ مَكْتُوبًا فِي مَجْلِسِ زِيَادِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ لِلنَّاسِ
بِالْكُوفَةِ ، فِي أَرْبَعِ زَوَايَا بَقَامِ جَلِيلٍ : الْوَالِي شَدِيدٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ، كَأَنَّ فِي غَيْرِ
ضَعْفٍ ، الْعَطِيَّةُ لِأَرْبَابِهَا ^(٢) وَالْأَرْزَاقُ لِأَوْقَاتِهَا ، الْمَبْعُوثُ لَا تَجْمَرُ ^(٣) ، الْمُحْسِنُ
يَجَازِي بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمُسِيءُ يَأْخُذُ عَلَى يَدَيْهِ . فَكَانَ كَلَّمَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَرَأَهُ .

قال قتيبة بن مسلم : مَلَاكُ الْأَمْرِ فِي السُّلْطَانِ : الشَّدَّةُ عَلَى الْمَذْنِبِ ، وَاللَّيْنُ
لِلْمُحْسِنِ ، وَصَدَقَ الْقَوْلُ .

قال أشجع بن عمرو السلمي :

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانُ إِلَّا شِدَّةً تَغْشَى الْبَرِيءَ بِفَخْضٍ ذَنْبِ الْمُجْرِمِ ^(٤)

(١) ساقط من أ .

(٢) أ : لأحيائها .

(٣) ب : المبعوث لا يجمد ، تحريف ، وتجمير البعث : حبسه في أرض العدو .

(٤) البيت في الأمل ١/ ١٢ ، زهر الآداب ، ١٤٢ ، وفيه تغشى مكان تغشى .

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! ما السياسة ؟ فقال :
هيئة الخاصة^(١) مع شدة عفتها^(٢) ، واقتياد قلوب العامة بالإِصاف^(٣) منها .

قال مسلمة بن عبد الملك : ما حملتُ نفسي على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا ذممتها
على مكروه ابتدأته بحزم .

قال معاوية لابنه يزيد : أعطِ من أتاكَ صادقاً بما تكره ، كما تعطى من أتاكَ بما
تحب ، واعلم أنه إذا أعطى الأمير على الهوى لا على الفنى فسد ملكه .

قيل لأنوشروان : إنك اصطنعت فلاناً ولا نسب له . فقال : اصطناعنا
له نسبه .

قال أبو جعفر المنصور : الذى على للرعية أن أحفظ سُبُلَهُمْ ، فينصرفون آمينين
فى سبيلهم ، ولا يُصدّون عن حجهم ، وقضاء نسكهم ، وأن أضبط ثغورهم ،
وأحصنها من عدوهم ، وأن أختار قضائهم ، وأعزم بالحق^(٤) كيلا يصل ظلم
بعضهم الى بعض ، وأن أرفع أقدار فقهاءهم وعلمائهم ، وأكف جباههم عن حكائهم .
كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج : صف لى الفتنة حتى كأنى أراها رأى
العين . فكتب اليه : لو كنت شاعراً لوصفتها لك^(٥) فى شعرى ، ولكنى
أصفها لك بمبلغ^(٦) رأيى وعلمى ، الفتنة تلقح بالنجوى ، وتنتج^(٦) بالشكوى ، فلما

(١) ب : الرعية .

(٢) ب : مجبتها .

(٣) ب : بالانصراف .

(٤) ساقط من أ .

(٥) أ : يبلغ .

(٦) ب : وتنتج .

قرأ كتابه ، قال : إن ذلك لكما وصفت ، نخذ من قبلك بالجماعة ، وأعطيهم عطايا الفرقة ، واستعن عليهم بالفاقة ، فإنها نعم العون على الطاعة ، فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله .

قال بعض الحكماء من ملوك الفرس ، لحكيم من حكماء مملكته : أى الملوك أحزم ؟ قال : من غلب جدّه هزلّه ، وقهر لبّه هواه ، وأعرب عن ضميره فعله ، ولم يختدعه رضاه عن خطئه ، ولا غضبه عن كيده .

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر ، قال له معاوية^(١) : إني أريد أن أوصيك . قال : أجل . فأوص . قال : انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها ، وطفيان السفلة فاعمل في قمعها ، واستوحش من الكريم الجائع ، واللئيم الشبعان ، فإنما يصول الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .

قال بعض الحكماء : الرعية للملك كالروح للجسد ، فإذا ذهب الروح فنى الجسد . وروى الهيثم بن عديّ ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال عمر بن الخطاب : دلّوني عن رجل أستعمله ، فقد أعياني أمر المسلمين . قالوا له : عبد الرحمن بن عوف ، قال لهم : ضعيف . قالوا له : فلان . قال : لا حاجة لي به . قالوا : فمن تريد ؟ قال : رجل إذا كان أميرهم كان كأنّه رجل منهم ، وإذا لم يكن أميرهم كان كأنّه أميرهم . قالوا : ما نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي . قال : صدقتم .

قال أبو عمر : والربيع بن زياد هذا ، كان فاضلا جليلا في قومه ، ولآه معاوية خراسان ، فاستكتب الحسن بن أبي الحسن فكان كاتبه ، فلما بلغه قتل معاوية

(١) ب : قال لمعاوية يا أمير المؤمنين .

حُجْر بن عدي^(١) ، قال : اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل ،
فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات .

كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم : قلوب الرعية خزان ملوكها ،
فما أودعوها فليعلموا أنه فيها .

قال الإسكندر لأرسطاطاليس : أوصني . قال : فانظر من كان له عبيد فأحسن
سياستهم فوله الجند ، ومن كانت له ضيعة فأحسن تديرها فوله الخراج .

وقال بعض الحكماء : لا تصغر أمر من جاء يحاربك ، فإنك إن ظفرت
لم تُحمد ، وإن عجزت لم تُعذر .

قيل لكسرى ذي الأكتاف^(٢) ، وكان ضابطاً لمملكته : بَمَ ضبطت
مُلكك ؟ قال : بثمان خصال : لم أهزل في أمر ولا نهى ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ،
ووليت للفنى لا للهوى ، وعاقبت للأدب لا للغضب ، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة
من غير ضغينة ، وملأتها محبة من غير جرأة ، وأعطيتهما القوت ، ومنعتها الفضول .

قال عبد الملك بن عُمر : سمعت زياداً وهو يخطبُ ، فقال بعد حمد الله والثناء
عليه : إنا أصبحنا لكم ساسةً وعنكم ذادةً ، نسوسكم بسلطان الله الذي ملكنا ،
ونذود عنكم نبيء الله الذي خولنا ، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسننا^(٣) ، ولكم العدل
فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ، ومحض وُدنا بمناصحتكم ، ومهما قصرت فيه

(١) انظر خبر حجر وأصحابه في تاريخ : الطبري ١٤١/٦ ، الكامل لابن الأثير ١٨٧/٣ ، سير أعلام
النبلاء ٣٠٥/٣ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) ب . أحسينا .

من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث : لست محتجياً عن ذي حاجة ولو أتاني طارقاً
 بليل ، ولا مُجَمِّراً لكم جيشاً^(١) ، ولا حابساً عنكم عطاء ولا رزقاً لإبائهم ، فادعوا
 الله لأئمتكم بالصلاح ، فإنهم ساستكم المذبذبون^(٢) ، وكهفكم الذي إليه تأوون ،
 فإن تصلحوا يصلحوا ، ولا تشعروا قلوبكم بغضتهم فبشتد غيظكم ، ويطول
 حزنكم ، ولا تدركوا حاجتكم ، فإنه لو امتجيب لكم فيهم كان شراً لكم ،
 نسأل الله أن يعين كلاً على كل .

كان يقال : ينبغي للملك أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة عند الغضب ،
 وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه ، والعمل بالأناة فيما يحدث له ، فإن له في تأخير
 العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان : المسارعة إلى الطاعة ، وفي
 الأناة : انفساح الرأي وإيضاح الصواب .

كان يقال : من سعى بدليل في التدبير لم يقعد به إلا سابق قضاء لا يملك .
 ذكر المبرد ، قال : كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من قدرتهم
 لمشورته فقصروا في الرأي . دعا الذين قد وكلهم في أرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون :
 مخطيء أهل مشورتك فتعاقبنا نحن . فيقول : نعم . إنهم لم يخطئوا إلا بتعلق قلوبهم
 بأرزاقهم ، فإذا اهتموا لحاجاتهم أخطأوا .

قال بعض الحكماء لبعض الملوك : أوصيك بأربع خصال تُرضي بهن ربك ،
 وتصلحُ معهن رعيتك : لا يغرنك ارتقاء السهل^(٣) إذا كان المنحدر وعراً ، ولا تعدن

(١) تجمير الجيش : حبه في أرض العدو .

(٢) ب : المؤذبون .

(٣) ب : السير .

وعدا ليس في يديك وفاؤه ، واعلم أن الأمور بَغَتَاتٌ ^(١) فبادر ، واعلم أن الأعمال جزاء ، فاتق العذاب .

قال زياد : كمال الرأي شدة في غير إفراط ، ولين في غير إهمال .

ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب ، فقال : إني أجد في الإنجيل : لا ينبغي للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يُلمس الحِم ، ولا ينبغي له أن يكون جائراً ومن عنده يُلمس العدل .

سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام ، أن يعرفهم الزمان الذي يرضى فيه الله عن الناس ، فقال : إذا استعمل منهم الهين البرّ الخير ^(٢) .

وفي خبر آخر : علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم ، وأن ينزل الغيث في أوانه ، وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم ، وينزل عليهم الغيث في غير أوانه .

قال معاوية لابن الكواء ^(٣) : صف لي الزمان ، فقال : أنت الزمان إن تصلح يصلح ، وإن تفسد يفسد .

خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ : الْأَمْرَاءُ وَالْعُلَمَاءُ » .

قال الأحنف بن قيس : كلّ ملك غلور ، وكلّ دابة شرود ، وكل امرأة خئون !

(١) ب : نَفَات .

(٢) ب : الدين الحمي .

(٣) ب : ابن الكر ، والصحيح ما ذكرناه ، فهو عبد الله بن عمرو (ابن الكواء) الشكري ، كان من النساين العلماء بالأخبار والآثار ، خرج على علي بعد التحكيم ، ثم كان من رءوس الحوارج الشراة الذين حاربهم المهلب . انظر تهذيب التهذيب ٧٢/٤ ، شذور الذهب ٩٧/٦ .

قال الأعور السامى : يا معشر بنى سليم ! أنذركم السلطان فإنه أصبح صعباً حنوطاً^(١) ينضب كما ينضب الصبي ، ويفترس كما يفترس الأسد .

قال عبد الملك بن مروان : لقد كنت أمشى فى الزرع فأتقى الجندب أن أقتله ، وإن الحجاج اليوم يكتب إلى بقتل فتام^(٢) من الناس فما أحفل بذلك .

قال بعض الولاة لأدرا بى : قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً^(٣) . فقال : وأنت فاعمل به ، فما توعدك الله به أشد مما توعدنى به .

قيل لملك زال عنه ملكه : لم زال عنك ملكك ؟ قال : لمدافعى عمل اليوم إلى غد .

قال ابن شبرمة : من أكل من حلوائهم انحط فى أهوائهم .
قال كسرى لوزيره : إياك أن تدخل على كثير فأملك ، فتثقل على حوائجك ، ولا تطال الغيبة عنى فأنساك .

قال بعض الحكماء : من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم .
قال ابن المعتز : أشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقاً .

قال الشاعر :

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَايَ حَيْثُمَا حَلُّوا فَلَا يَكُنْ لَكَ فِي أَفْنَائِهِمْ ظِلُّ

(١) الحنوط : الميل إلى الشر .

(٢) ١ : قيام ، وهو تحريف ، وفتام ككتاب : الجماعة من الناس .

(٣) ساقط من أ .

وَمَا تُرِيدُ بِقَوْمٍ إِنَّهُمْ سَخِطُوا جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُوا
وَإِنْ مَدَحْتَهُمْ ظَنُّوكَ تَخَذَعُ لَهُمْ وَاسْتَشَقُّوكَ كَمَا يُسْتَشَقُّ الْكَلُّ
فَاسْتَنْ بِاللَّهِ عَنْ أَبْوَابِهِمْ أَبَدًا إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلٌّ^(١)

قالوا : السلطان كالنار ، من تباعد منها لم ينل من دَفْعِهَا^(٢) شيئاً ، ومن تقرب منها أحرقتة .

ذكر أعرابي الملوك فقال : الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه ،
شاهده يظهر حبك ، وغائبه يبتنى غيرك .

قال المأمون : لو كنت مع العامة لم أصحب السلطان .

قال أبو قرْدُودَةَ :

إِنِّي نَهَيْتُ ابْنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَهُ : لَا تَأْمَنَنَّ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ وَالشَّعْرَةَ
إِنَّ الْمُلُوكَ مَتَى تَنْزِلُ بِسَاحَتِهِمْ يَطْرُقُ بِثَوْبِكَ مِنْ نِيرَانِهِمْ شَرَرَهُ^(٣)
وقال آخر :

إِذَا ضَحِكَ الْأَمِيرُ إِلَيْكَ فَاعْلَمْ بِأَنَّ ضَمِيرَهُ لَكَ مُسْتَقِيمٌ
وَلَا تَحْفِلْ بِضِحِّكَ مِنْ كَفِيِّ^(٤) فَكُلُّ النَّاسِ ضِحْكُهُمْ سَقِيمٌ

(١) انظر الأبيات في العقد الفريد ٣/٢٠٠ ، محاضرات الأدباء ١/٩٢ .

(٢) ب : حرها .

(٣) كان ابن عمار الطائي خطيب مذبح كلها ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادته ، وكان النعمان شديد العريضة قتالاً للندماء ، فنهاه أبو قردودة الطائي عن منادته ، فلم يستمع إليه ، فلما قتل رثاه ، انظر البيان ١/٢٢٨ ، ٣٤٩ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/٩٢ .

(٤) الكنى : النظير والمثيل .

قال العباس بن محمد المنصور : يا أمير المؤمنين ! إنما هو سيفك ودرعك ،
فادرّع بدرعك من شركك ، واحصد بسيفك من كفرك .

قالوا : لا تنتر بالأمير إذا غشك الوزير .

(١) ومنهم من قال : لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير (١) .

جلس معاوية يأخذ البيعة على الناس بالبراءة من عليّ . فقال رجل : يا أمير
المؤمنين ! إنا نطيع أحياءكم ، ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى المغيرة بن
شعبة ، فقال : رَجُل فاستوص به خيراً .

كان يقال : إذا نزلت من الوالى بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الخذا والمَلَق ،
ولا تكثرن له الدعاء فى كل كلمة ، فإن ذلك يشبه الوحشة ، وعظمه ووقره
فى الناس .

قال الشعبي : أخطأت عند عبد الملك بن مروان فى أربع : حدثنى بحديث يوماً
فقلت : أعده عليّ فقال : أما علمت أن أمير المؤمنين لا يُستعاد . وقلت له حين
أذن لى عليه : أنا الشعبي . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكنيت عنده رجلاً ،
فقال : أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين . وحدثنى بحديث فسألته أن
يكتبه (٢) . فقال : إنا نُكْتَبُ ولا نُكْتَبُ (٣) .

وهذا الخبر عندي غير صحيح ، لأن المحفوظ عن الشعبي أنه قال : ما استعدتُ
حديثاً قط . ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبي .

(١) ساقط من أ .

(٢) ب : يكتبه .

(٣) ب : لا نكتب .

قال الشعبي : قال لى عبد الملك : جنبني ثلاثاً وأورد على ما شئت : لا تطرني في وجهي ، فأنا أعلم بنفسى ، وإياك أن تغتاب عندي أحداً ، واحذر أن أجِدَ عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً . وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله رضى الله عنهما . قال عبد الله بن عباس ، قال لى أبى : إني أرى أمير المؤمنين — يعنى عمر بن الخطاب — يدنيك دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عني ثلاثاً : لا يجدنّ عليك كذباً ، ولا تغتابن عنده مسلماً ، ولا تفشين له سرّاً . فقل له : يا ابن عباس^(١) كل واحدة خير من ألف ، فقال : كل واحدة خير من عشرة آلاف .

قال عمر بن الخطاب لهُنّى إذ ولاه الحمى^(٢) : يا هُنّى ! اضم جناحك ، واتق دعوة المظلوم .

قال الفرزدق :

قُلْ لِنَصْرِ وَالْمَرْءِ فِي دَوْلَةِ السُّدِّ طَانِ أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرًا
فَإِذَا زَالَتِ الْوِلَايَةُ عَنْهُ واستوى بالرجالِ كان بصيراً^(٣)

قال المهلب لابنه : يا بنى : اخفض جناحك واشتد^(٤) في سلطانك ، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للفرآن .

(١) ب : يا عباس .

(٢) هنى : مولى كان لعمر رضى الله عنه ولاه حمى النقيع التى حماها عمر لإبل الصدقة وخيل الجهاد

انظر تهذيب التهذيب ١١/٧٣ ، وانظر معجم البلدان قسم ٢/٣٠٨ .

(٣) ديوانه ٩٢ ، نهاية الأرب ٣/٧٣ وفيها : قل لنصر ، التمثيل والمحاضرة ٧٠ ، .

(٤) ب : واشدد .

كان يقال : ثلاثة من عازم رجعت عزته ذلاً ، السلطان والوالد والعالم .
 كان يقال : أربعة تشتد معاشرتهم : المتواني ، والفرس الجموح ، والسلطان
 الشديد المملكة ، والعالم .

بصق عبد الملك يوماً فقصر بُصاقه ، فوقع فوق البساط ، فقام رجل من
 المجلس يمسحه بثوبه . فقال عبد الملك : أربعة لا يُستحيا من خدمتهم : السلطان ،
 والوالد ، والضيف ، والدابة . وأمر للرجل بصلة .

كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عامل له : إن مدينتنا قد احتاجت
 إلى مرمة . فكتب إليه عمر : حصن مدينتك بالعدل ، ونق طريقها من الظلم .
 قال معاوية بن أبي سفيان : من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين
 الأمانة والعدل ^(١) .

قال محمد بن كعب القرظي : قال لي عمر بن عبد العزيز : صف لي العدل
 يا ابن كعب . قلت : منحٍ بمنحٍ ، سألت عن أمر عظيم . كن لصغير الناس أباً ،
 ولأكبرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم
 على قدر احتمالهم ، ولا تضربن لفضبك سوطاً واحداً فتكون من العادين .
 كان يقال : ليس شيء أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته .

قال زياد لابنه عبيد الله : يا بني ! إذا دخلت على أمير المؤمنين فادع له ،
 واصفح صفحاً جميلاً ، ولا تُرَيِّن متهاكاً عليه ، ولا منقبضاً عنه .

قال مالك : قيل لأبي الدرداء : يَرُدُّكَ معاوية ، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اللهم غُفْرًا . من يأت أبواب السلطان يقيم ويقعد .
قال معاوية : لا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي .

قال معاوية يوماً ، وقد ذكر من كان قبله : أما أبو بكر فهرب عن الدنيا ، وهربت عنه . وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصاب منه ^(١) ، وأما أنا فقد داستني الدنيا ودستها .

قال أبو عمر رضي الله عنه : سكت عن عليّ ، وأنا أقول : وأما عليّ فأصابته الدنيا منه ولم يصب منها .

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : إني لأستعمل الرجل ، وأدع خيراً منه ، وذلك أنني أستعمله لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأياً ، وأشدّ جرأة ، وأصبر على الجوع والعطش . وقد روى هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

كان يقال : يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه .

قال المهلب : خير الولاة من كان في رعيته كأنه غائب عنها ، وهو شاهد فيها ، وكان المحسن في أيامه آمناً والمسيء خائفاً .

وقال بعض الحكماء : الناس يحبّون سلطانهم على الدّين ، والتواضع ولين الجانب ،
وينقادون لشدة الطّيش .

قال أبو العتاهية :

رَضِيتُ بِبَعْضِ الذُّلِّ خَوْفَ جَمِيعِهِ وَلَيْسَ لِمَثَلِي بِالْمُلُوكِ يَدَانِ
وَكُنْتُ أَمْرًا أَخْشَى الْعِتَابَ وَأَتَّقِي مَغَبَّةَ مَا تَجْنِي يَدِي وَلِسَانِي
وَلَوْ أَنَّ نِيَّ عَانَدْتُ^(١) صَاحِبَ قُدْرَةٍ لَعَرَّضْتُ نَفْسِي صَوْلَةَ الْحَدَثَانِ
فَهَلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي فَإِنِّي أَمْرٌ أَوْفَى بِكُلِّ ضَمَانٍ^(٢)

وقال الحسن بن سهل :

فَرِضْتُ عَلَى زَكَاةٍ مَا مَلَكَتْ يَدِي وَزَكَاةُ جَاهِي أَنَّ أُعِينَ^(٣) وَأَشْفَعَا
فَإِذَا مَلَكَتْ فَجْدٌ وَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَاجْهَدْ بِجَهْدِكَ^(٤) كُلَّهُ أَنَّ تَنْفَعَا^(٥)

وقال آخر :

لَيْسَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانٍ تَتَهَيَّأُ صَنَائِعُ الْإِحْسَانِ
فَإِذَا أَمَكَنْتُ فَبَادِرُ إِلَيْهَا حَذَرًا مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ^(٦)

(١) م : ولو قد كنت ، ب : ولو أني عاينت ، والمثبت من الديوان .

(٢) ديوانه ٣٢٤ .

(٣) ١ : أعيش .

(٤) ب : بجمدك .

(٥) البيتان في محاضرات الأدباء ٢٧٢/١ .

(٦) المستطرف ٦٢/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٤٣٢ ، وفيها : وهلة ، بدل : ساعة ، المحاسن والنساوي ١٩٥/١ .

كان زياد إذا أُتِيَ بصاحب زلة ، أخر عقوبته أياماً يسأل عن قضيته مخافة
الزيادة في العقوبة .

صعد عبد الملك المنبر ، فقال في خطبته : يا معشر رعيتنا ! سألتونا سيرة أبي بكر
وعمر ، ولم تسيروا فينا ولا في أنفسكم سيرة رعية^(١) أبي بكر وعمر ، ولكن
نسأل الله أن يعين كلاً على كل .

تعرض رجل للحسن بن سهل ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذي أحسنت إلىَّ عام
كذا ، فقال الحسن : مرحباً بمن توصل إلينا بنا .

وهذا عندي مأخوذ من قول معاوية : أحب الناس إلى ، من له عندي يد ، ثم
أحبهم إلىَّ بعده من لي عنده يد .

قال الشعبي : دخلت يوماً على ابن هُبيرة وبين يديه رجل يريد قتله . فقلت : أصلح
الله الأمير ، أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت ، ولأن تندم على العفو خير
من أن تندم على العقوبة . قال : صدقت يا شعبي . وأمر بالرجل إلى السجن .

قال المأمون : تَحْتَمِلُ الملوك لأصحابهم كل شيء إلا ثلاث خصال : القدح في الملك ،
وإفشاء الأسرار ، والتعرض للجُرم .

روى ابن دريد ، عن ابن أخي الأصمعي ، عن عمه ، عن أبي^(٢) عمرو بن العلاء ،
أنه دخل على سليمان بن علي ، فسأله عن شيء فصرفه عنه^(٣) ، فغضب سليمان بن علي
فخرج أبو عمرو وهو يقول :

(١) الكلمة ساقطة من أ .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) أ : فصدقه فصدده .

أَنْفَتُ مِنَ الْعَارِ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَإِنْ أَكْرَمُونِي وَإِنْ قَرَّبُوا

إِذَا مَا صَدَقْتُهُمْ خَفَّتُهُمْ وَيَرْضُونَ مِنِّي بَأَنْ يُكْذِبُوا^(١)

قيل للعتابي : لم لا تخدم الأمير^(٢) ؟ أو لا تكتب للأمير^(٢) ؟ فقال : لأنى رأيتـه يعطى رجلا ألف مثقال بلا خصلة ، ويرمى آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب ، فلا أدرى أى الرجلين أكون عنده ، مع أن الذى أعطى فى ذلك ، أكثر من الذى أخذ — يريد مهجته — وركوب الغرر^(٣) فيها معه ، والعتابى هو القائل :

تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الْغِنَى بِاهِلِيَّةٍ زَوَى الدَّهْرُ عَنْهَا كُلَّ طَرَفٍ وَتَالِدِ

رَأَتْ حَوْلَهَا النَّسْوَانِ يَرْغُلْنَ فِي الْكُسَى مُقَلِّدَةً أَجْيَادَهَا بِالْقَلَائِدِ

يَسْرُكُ أَنَّى نَلْتُ مَا نَالَ جَعْفَرُ^(٤) مِنْ الْمُلْكِ أَوْ مَا نَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدِ

وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَغْصَنِي^(٥) بِالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَارِدِ

ذَرِينِي تَجِئْنِي مَيْتِي مُطْمَئِنَّةٌ وَلَمْ أَتَجَشَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ

وَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ بِمُسْتَوْدَعَاتِ فِي مُبْطُونِ الْأَسَاوِدِ^(٥)

وقال الغزال :

وَإِنْ أُعْطِيتَ سُلْطَانًا فَحَازِرُ صَوْلَةِ الزَّمَنِ

(١) انظر البيتين والقصة في وفيات الأعيان ١٢٨/٣ .

(٢) ب : الأمين .

(٣) ب : العنبر .

(٤) ب : أغصنه مفتصما .

(٥) يروى : لوى الدهر ، مكان : زوى ، وفي العقد : أغصنى معضمها ، ورواية الشطر الثانى للبيت الثالث فيه : (وما نال يحيى فى الحياة ابن خالد) ، وفى التمثيل والمحاضرة يروى شطر البيت الأخير : (فإن عظيما الأمور مشوبة) ، وانظر : محاضرات الأدباء ٩٢/١ ، ٩٦٣ ، نهاية الأرب ٨٣/٣ ، العقد الفريد ٢٠٨/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٨٣ ، زهر الآداب ٣٩/٣ .

أَخُو السُّلْطَانِ مَوْصُوفٌ بِحَسَنِ الرَّأْيِ وَالْفِطَنِ
 فَسَاعَةً مَا يُزَاوِلُهُ ^(١) رَمْلُهُ النَّاسُ بِاللَّعَنِ
 وَيُصْبِحُ رَأْيُهُ الْمَحْمُودُ ^(٢) دُ مَنُوبًا إِلَى الْأَفْنِ
 وَتَبْصُرُ فِي مَطِيَّاتِهِ سُقُوطَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
 وَتَسْتَرْخِي مَفَاصِلُهُ وَتَكْسِي كِسُوءَةَ الْحَزَنِ
 كَأَنَّ بَشَاشَةَ السُّلْطَانِ نَحِينَ تَزُولُ لَمْ تَكُنْ

وقال إدریس بن مُقیم الإشبیلی :

قَالُوا تَقَرَّبْ مِنَ السُّلْطَانِ قُلْتُ لَهُمْ : يُعِيدُنِي اللَّهُ مِنْ قُرْبِ السَّلَاطِينِ
 إِنْ قُلْتُ دُنْيَا فَلَا دُنْيَا لُمُتَحَنٍ أَوْ قُلْتُ دِينَ فَلَا دِينَ أَمْفُتُونَ

قيل لأعرابي : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من لم يعرف السلطان ، ولم يعرفه
 السلطان ، وكان في كفاف وغنى .

وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم ، وترك معاشرتهم .

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي : حدثونا أن الحسن البصري نظر إلى قوم صحبوا
 السلطان واتسعت دنياهم ، فقال : ما تنظرون إليهم ، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة
 لقد عجل لهم قليل من كثير ^(٣) ذخركم ^(٤) ، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلاً
 من كثير صرف عنهم فأتاهم ، فارحموا ولا تنبطوا ^(٥) .

(١) ١ : ما يرى وله .

(٢) ١ : المحمود .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ب : ولا تنبطوا .

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف لنفسه :

مَا يَشْتَهِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ غَيْرُ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مَجْنُونِ
لَا تَكْذِبَنَّ عَنْهُمْ فَمَا صَحْبُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينَ
دُنْيَاهُمْ بِالْخِزْيِ مَوْصُولَةٌ وَلَا تَسَلْ عَنْ دِينِ مَفْتُونِ
خَيْرُهُمْ فَأَعْلَمُهُ لَا يُرْتَجَى وَشَرُّهُمْ لَيْسَ بِمَأْمُونِ
لَا رَأَى لِي فِي نَيْلِ دُنْيَاهُمْ حَسْبِي بَأَنِّ يَسْلَمَ لِي دِينِي

شكت الرعية بعض العمال ، فارتضى العامل بسهل بن عاصم ، فسأله الأمير ، فقال :
ما في عاملك ما يُشتكى إلا أن الله أمر بأمرين ، امثل فينا أحدهما ^(١) وترك الآخر ،
قال الله عز وجل ^(٢) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^(٣) ، فعدل فينا ولم يحسن
إلينا ، وفي العدل بغير إحسان عطف ^(٤) الرعية ، فقال له الأمير : صدقت ، قد
وليتك مكانه .

ومن كلام ابن المعتز في هذا الباب : لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خاشعة ،
وجسم متعب ، ودين منثلم .

من شارك السلطان في عز الدنيا ، شركه في ذل الآخرة .

فساد الرعية بلا ملك ، كفساد الجسم بلا روح .

إذا زادك الملك إيناساً فزده إجلالاً .

(١) ساقط من ب .

(٢) سورة النحل آية ٩٠ .

(٣) ١ : غضب .

لا تلبس بالسلطان في وقت التباس الأمور عليه واضطرابها ، فإن البحر لا يكاد يسلم راكبه في حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه .

ريح السلطان على قوم سموم ، وعلى قوم نسيم .

الملكُ حقُّ الملك ، من نشر أنواع الفضل ، وبسط أنواع العدل ، وجانب المطامع الرديئة ، والمطامع الدنيئة .

قال مطرّف : لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم ، وسوء منقلبهم .

سئل رجل من بني أمية عاقل ، فقيل له : أخبرنا عن أول شيء ، كان بدء زوال ملككم ، فقال : سألت فاسمع ، وإذا سمعت فافهم . تشاغلنا عن تفقده ما كان تفقده يلزمنا ، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعها ، وأبرموا^(١) أمورا أسروها^(٢) عنا ، فظلمت رعيتنا ، ففسدت نياتهم لنا ، وجذب معاشنا نخلت بيوت أموالنا ، وقل جندنا فزالت هيبتنا^(٣) ، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم^(٤) علينا ، وكان أكرّ الأسباب في ذلك استتار الأخبار عنا .

أنشدني أبو القاسم محمد بن نصير^(٥) الكاتب لنفسه :

إِذَا مَا اللَّهُ شَاءَ صَلَاحَ قَوْمٍ أَتَاحَ لَهُمْ أَكْبَارَ مُصْلِحِينَ

(١) ب : وأرموا .

(٢) ١ : أبرموها .

(٣) ب : فزادت هيبتهم .

(٤) فظاهروهم .

(٥) ب : بصير .

(١) ذَوِي رَأْيٍ وَمَعْرِفَةٍ وَفَهُمْ
 فَلَمْ يَسْتَأْذِنُوا بِكَثِيرٍ جَمْعٍ
 وَيَسَّرَهُمْ لِفِعْلِ الْخَيْرِ فِيمَا
 (٢) وَإِنْ يَشَأْ إِلَهُ فَسَادَ قَوْمِ
 ذَوِي كِبَرٍ وَمَجْهَلَةٍ وَجَبْنِ
 فَظَلُّوا يَشْرَهُونَ وَيَجْمَعُونَ
 وَجَارُوا حَيْثُمَا أَمَرُوا بِعَدْلِ
 وَإِعْدَادٍ لِمَا قَدْ يُحْذَرُونَ (١)
 وَكَانُوا لِلْمَصَالِحِ مُؤَثِّرِينَ
 إِلَيْهِمْ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ
 أَتَّاحَ لَهُمْ أَكْبَرَ مُعْتَدِينَ (٢)
 وَإِهْمَالٍ لِمَا يَتَوَقَّعُونَ
 وَلَيْسُوا فِي الْعَوَاقِبِ يَفْكَرُونَ
 كَأَنْ قَدْ قِيلَ كُونُوا جَائِرِينَ

وقال الأفوه الأودي :

لَا يَصْلِحُ الْقَوْمُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ
 إِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ الْقَوْمِ أَمْرَهُمْ
 تَلَقَّى الْأُمُورَ بِأَهْلِ الرَّأْيِ قَدْ صَلَحَتْ
 وَلَا سَرَاةَ إِذَا جَهَّالَهُمْ سَادُوا
 نَمَّا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ الْقَوْمِ وَازْدَادُوا
 وَإِنْ تَوَلَّى (٣) فَبِالْأَشْرَارِ تَنْقَادُ (٤)

(٥) وقال محمد بن نصر :

لَا تَحْقِرَنَّ امْرَأًا إِنْ كَانَ ذَا ضِعَّةٍ
 فَرَبَّ قَوْمٍ حَقَرْنَا هُمْ فَلَمْ نَزَمْ
 فَكَمْ وَضِيعٌ مِنَ الْأَقْوَامِ قَدْ رَأَسَا
 أَهْلًا لخدمتنا صاروا لَنَا رُؤَسَا (٥)

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط أيضاً من ب .

(٣) ١ : بدلت .

(٤) نهاية الأرب ٣/٦٢ ، التمثيل والمحاضرة ٥١١ ، مجموعة المعاني ١٦ ، العقد الفريد ١/١٠ .

(٥) ساقط من ب .

من الأمثال في السلطان وصُحبته

إذا رغب الملكُ عن العدل رغبَت الرعية عن الطاعة .

لا صلاحَ للخاصّة مع فساد العامة ، ولا نظامَ للدّهماء مع دولة الغوغاء .

الحكم^(١) ميزانُ الله في الأرض .

كلُّ الناس أحقّاء بالسجود لله عزّ وجلّ ، وأحقّهم بالسجود لله والتواضع له

من رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه^(٢) .

كفارةُ عملِ السلطان الإحسانُ إلى الإخوان .

لا رَحِمَ بين الملوك وبين أحد .

للملوكِ بدَوَات^(٣) .

المُلك عقيم .

المُلكُ يَبْقَى على الكُفْرِ ، ولا يَبْقَى على الظلم .

سُكْرُ السلطان أشدُّ من سُكْرِ الشراب^(٤) .

السلطانُ كالنار : إن باعدتها بطلَ نفعها ، وإن قاربتها عظم ضررها .

جَاوِرٌ ملكاً أو بحراً .

صاحبُ السلطان كراكب الأسد ، يهابُهُ الناس وهو لمركبه أهيب .

(١) ب : الحلم .

(٢) وردت هذه العبارة مضطربة جداً في ب .

(٣) البدوات : الآراء التي تسنح فجأة ، ويقال : فلان ذو بدوات وأبو البدوات إذا كانت تظهر له آراء

فيختار أحزمها .

(٤) أ : الشباب .

أَجْرًا النَّاسَ عَلَى الْأَسَدِ أَكْثَرَهُمْ لَهُ رُؤْيَا .
السُّلْطَانُ كَالسُّوقِ مَا نَفَقَ فِيهَا جُلِبَ إِلَيْهَا .
إِنْ كَانَ الْبَحْرُ كَثِيرًا ^(١) الْمَاءُ فَإِنَّهُ بَعِيدُ الْمَهْوَى .
السُّلْطَانُ إِذَا قَالَ لِعَمَلِهِ : هَاتُوا ، فَقَدْ قَالَ : خَذُوا .
النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ .
عَفْوُ الْمُلُوكِ أَبْقَى لِلْمُلُوكِ .
مَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ خَدَمَهُ الْإِخْوَانُ .
ثَلَاثَةٌ لَا أَمَانَ لَهُمْ : السُّلْطَانُ وَالْبَحْرُ وَالْمِزْمَانُ .
مَنْ تَحَسَّى مِرْقَةَ السُّلْطَانِ أَحْرَقَتْ شَفَتَاهُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .
مِثْلُ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ كَقَوْمِ رَقُوا جِبَالًا ثُمَّ وَقَعُوا مِنْهُ ، فَكَانَ أْبَعْدَهُمْ فِي الْمَرْتَقَى
أَقْرَبَهُمْ مِنَ التَّلَفِ .

(١) باب الكتّاب والكتابة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » (٢) .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « من أشرط الساعة أن يرفع العلم ، ويقبض المال ، ويكثر التجار ، ويظهر القلم » (٣) . يعنى الكتابة .

قال الحسن البصرى : لقد أتى علينا زمان وإنما يقال : تاجر بنى فلان وكاتب بنى فلان ، ما يكون فى الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد ، قال الحسن : لقد كان الرجل يأتى الحي العظيم فلا يجد به كاتباً .

وفى الحديث المرفوع : « فُشُوُ القلم ، وفشو التجار من أشرط الساعة » (٣) . يعنى بقوله فشو القلم : ظهور الكتابة وكثرة الكتّاب .

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقتان من النسخة ب .

(٢) روى هذا الحديث الشيخان وأصحاب السنن ، ونصه عند البخارى ومسلم : « لانا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا أو هكذا . يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين » . انظر فتح البارى ٥/٢٨ ، ٢٩ ، صحيح مسلم ١/٢٦١ . قال ابن حجر : وقد قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمناسبة رؤية هلال رمضان ، ورأى جمهور المحدثين على أن المراد بالأمّة الأمّة العربية ، والمراد من الأمية أمية القراءة والكتابة ، وقد قيل للعرب أميون لأن الكتابة كانت فيهم قليلة ، قال تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم » ، ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم نادرة آنذاك ، والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضاً إلا اليسير ، لذلك علق الرسول حكم الصيام على رؤية هلال رمضان لرفع الخرج عنهم فى معاناة حساب حركة النجوم والكواكب . انظر فتح البارى ٥/٢٨ ، ٢٩ .

(٣) انظر تعليقتنا السابق على هذين الحديثين فى ص ١٣٢ .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتربوا الكتب وسجوها^(١) من أسفلها فإنه أنجح للحاجة » .

وفى خبر آخر عنه عليه السلام : « إذا كتب أحدكم في حاجة فليترب كتابه ، فالبركة في التراب^(٢) » .

وروى عن بعض أهل التفسير في قول الله عز وجل حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣) . قال : كاتب حاسب .

كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم : أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعلى ، وعثمان ، وحنظلة الأسدي ، ومعاوية ، وعبد الله بن الأرقم ، وكان كاتبه المواظب له في الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها ، فتعلمها في ثمانية عشر يوماً .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لكاتبه عبيد الله بن أبي رافع : إذا كتبت فالن دواتك ، وأطل من قلمك ، وفرج بين السطور ، وقارب بين الحروف .

(١) سجوها أى أغلقوها .

(٢) لم أعثر على هذا الحديث والذي سببه بنصهما ، وقد أخرج ابن ماجه في كتاب الأدب من سننه بسنده عن أبي الزبير ما لفظه : « تربوا صحفكم فإنه أنجح لها ، لأن التراب مبارك » ، وفى سننه أبو أحمد الدمشقي وروايته منكورة ، فالحديث ضعيف كما أنكره الإمام أحمد والإمام يحيى بن معين ، انظر المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوى صفحة ٤٣ .

(٣) سورة يوسف آية ٥٥ .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إذا كتبتم فأرِقُوا الأَقلامَ ،
وأقلُّوا الكلامَ واقتصروا على المعاني ، وقاربوا بين الحروف ، تكتفوا
من القراطيس بالقليل .

كانت العرب تسمى كل صانع قيناً إلا الكاتب .
قالوا : القلم أحد اللسانين .

قالوا : الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً .
قال المأمون : الخط لسان اليد ، وهو أفضل أجزاء اليد .

قال بعض الملوك : للكاتب الناصح ثلاث خصال : رفع الحجاب عنه ، وإتقان
الوشاة عليه ، ودفع غائلة العدو عنه .

قال ابن القريّة : خط القلم يُقرأ بكل مكان ، وفي كل زمان ، ويترجم بكل لسان ،
ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان .

قال أبو ساسان حَضِينُ بنُ المنذر : ما رأيت باريّاً لا يقيم الخط إلا رأيته
لا يقيم الشعر .

قيل لنصر بن سيار^(١) : فلان لا يخطّ . قال : تلك الزمانة الخفية .

قال بعض البلغاء : صورة الخط في الإبصار سواد ، وفي الأبصار بياض ، وهذا
عندي مأخوذ من قول ابن المعتز : القلم يخدم الإرادة ، ولا يعمل الاستزادة ، على أرض
بياضها مظلم ، وسوادها مضىء .

أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب^(١) عليهم ، فكتب
إليه بعضهم من طريق السجن :

أَطَالَ اللَّهُ عُمَرَكَ فِي صَلَاحٍ وَعِزٍّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِعَفْوِكَ نَسْتَجِيرُ فَإِنْ تُجِرْنَا فَإِنَّكَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ
وَنَحْنُ الْكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَأْنَا فَهَبْنَا لِلْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ^(٢)

وذكر هذا الخبر الحارث^(٣) بن أبي أسامة في كتابه المعروف بكتاب الخلفاء ، في
أخبار^(٤) المنصور : أن أحزاباً من الكتاب ترددوا في ديوان داره ، فأمر
بإحضارهم وتقديم من تأديبهم ، فقال واحد منهم ، وهو يضرب : أطال الله عمرك ،
وذكر الآيات الثلاثة ، فعفا عنهم وأمر بتخليتهم .

قال ابن القاسم : سئل مالك عن النصراني أَيْسْتُكْتَبُ ؟ قال : لا أرى ذلك ،
وذلك أن الكاتب يستشار ، فيستشار هذا في أمور المسلمين !^(٥) ، ما يعجبني
أن يستكتب .

قال بعض الحكماء لبنيه : يا بني تزيوا^(٥) بزى الكتاب ، فإن فيهم أدب الملوك
وتواضع السوق .

(١) في الأصول : عتب .

(٢) انظر الآيات والقصة في الوزراء والكتاب ١٣٦ ، وانظر المستطرف ١/٢٢٩ .

(٣) ساقط من الأصول ، وقد أكلناه من كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشياري ص ١٣٦ .

(٤) إلى هنا ينتهي السقط الذي بدأ بأول الكتاب والكتابة ، وهو الساقط من نسخة ب .

(٥) ١ : تزيوا .

قدم كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب ، وعنده أبو موسى ، فقال له :
يا أبا موسى ! ادع كاتبك حتى يقرأ كتاب أبي عبيدة بالفتح . فقال : إنه لا يدخل
المسجد . قال : ولم ، أجنب هو ؟ قال : لا . ولكنه نصراني ، فصاح عليه صيحة
وانتهره ، وقال : عزمت عليك إلا عزلته ، ثم قال : لا تقرّ بهم بعد أن أبعدهم الله ،
ولا تكرّمهم بعد أن أهانهم الله ، ولا تشاورهم بعد أن جهّلم الله ، قال أبو موسى :
فمزله وطرده .

قال أبو عمر رحمه الله : كيف يؤمن على سر أو يوثق به في أمر ، من دفع القرآن
وكذب النبي عليه السلام .

استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء ، فأذن له^(١) ، فلما دخل^(٢) عليه
رأى^(٣) بين يديه رجلا يهوديًا كاتبًا ، كانت له عنده منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه
فيه ويتولاه من خدمته ، فلما رآه الفقيه قال — وقد كان المأمون أومأ إليه
بالجلوس — : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس ،
قال : نعم . فأنشده :

إِنَّ الَّذِي شُرِّفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ^(٢)

وأشار إلى اليهودي ، فحجل المأمون ووجم ، ثم أمر حاجبه بإخراج
اليهودي مسحوبًا على وجهه ، وأنفذ عهدًا باطّراحه وإبعاده ، وألاّ يُستعان
بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله .

(١) ١ : لهم ... دخلوا ... رأوا .

(٢) المستطرف ١/١١٢ .

(١) [اسم الكتاب بالفارسية ديوان ، أى شياطين ، لحدقهم بالأمور

ولطفهم ، فسمى الديوان باسمهم .

قال الزير بن أبي بكر : كتب إلى المفيرة بن محمد يستبطن كتي ، فكتبت

إليه :

مَا غَيَّرَ النَّأْيُ وَدًّا كُنْتَ تَمَهَّدُهُ وَلَا تَبَدَّلْتُ بَعْدَ الذِّكْرِ نِسْيَانًا
وَلَا حَمِدْتُ إِخَاءَ مِنْ أَخِي ثِقَّةٍ إِلَّا جَمَلْتُكَ فَوْقَ الْحَمْدِ عُنْوَانًا

(١) يبدأ من هنا سقط كبير من نسخة ١ .

بَابُ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾^(١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾^(٢) .

وفي صحف إبراهيم عليه السلام : اتق دعوة المظلوم ، فإنى لا أردّها ، ولو كانت من كافر ، أقول : وعزتى وجلالى لأنصرتك ولو بعد حين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من ظلم مسلماً أو ضره أو عزّه أو ناكه^(٣) » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « ما تُبَالَى حَسَنْتَ جوراً أو دخلت فيه ، وفتحت عدلاً ، أو خرجت منه » . وقد روى هذا من كلام على رضى الله عنه ، فإله أعلم .

لمرة بن محكان فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى^(٤) :

أَحَارِ تَبَيَّنْ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّهُ إِذَا الْأَمِيرُ عَدَا فِي الْحُكْمِ أَوْ فَسَدَا
فَإِنَّكَ مَحْلُولٌ عَلَيْكَ وَظَائِعٌ فَمَهْمَا تُصِيبُهُ الْيَوْمَ تُدْرِكُ بِهِ غَدَا

(١) سورة طه ، آية ١١١ .

(٢) سورة الفرقان ، آية ١٩ . (٣) عزه : غلبه فى المخاطبة ، وناكره : تجاهله أو عاداه .

(٤) مرة بن محكان الربيعى السعدى ، سيد بنى ربيع ، كان شاعراً مقلداً مجيداً ، ترجمته فى الشعر والشعراء ٦٦٧ مجمع الشعراء ٣٨٣ ، أما الحارث فهو وازل من التابعين ، ولى البصرة سنة واحدة أيام ابن الزبير ، وسمى بالقباع وهو الواسع الرأس القصير القاع لعملة مكيلة بهذه الصفة وإلزامه الناس باستعماله ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٤٤/٢ ، الأعلام ١٥٨/٢ .

وقال آخر :

نَخَافُ عَلَى حَاكِمٍ عَادِلٍ وَنَرْجُو، فَكَيْفَ لِمَنْ يَظْلِمُ
إِذَا جَارَحَكُمْ أَمْرِيءٌ مُلْحِدٍ عَلَى مُسْلِمٍ هَلَكَ الْمُسْلِمُ

الظلم في وضع كلام العرب : وضع الشيء في غير موضعه ، وأخذ المرء ما ليس له ، ومن ذلك قولهم : من أشبه أباه فما ظلم ، أى ما وضع الشبه في غير موضعه .

فكل مسيء ظالم ، تقول العرب للمسيء المفرط في الإساءة : هذا أظلم من حية ، وأظلم من ذئب ، قال عمرو بن بحر : لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً ، وهى تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخشاش والهوام فيهرب أهلها عنه ، ويخلون لها خوفاً منها .

قال مضر بن لقيط الفقعسى :

إِذَا قُلْتُ مَاتَ الدَّاءُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ أَتَى حَاطِبٌ مِنْهُمْ لآخر يَقْبِسُ
لِعَمْرُكَ لَوْ أَنَّي أَخَاصِمُ حَيَّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفْتَنِي فَقْعَسُ
فَمَا لَكُمْ طُلُوسًا إِلَى كَأَنَّكُمْ ذئَابُ الْغَضَا وَالذَّئِبُ بِاللَّيْلِ أَطْلَسُ^(١)

ويقولون أيضاً : هو أظلم من ذئب ، وأظلم من ورل^(٢) ، كما يقولون : أظلم

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ١/١٧٤ ، البيان والتبيين ٢/١٨٣ ، الحيوان ٥/٧١ ، والبيتان الثاني والثالث في حماسة البحرى ٢٨٠ ، منسوين إلى عامر بن لقيط الفقعسى ، وذئاب الغضا : أخت الذئب ، والأطلس : الذئب وهو بالليل شديد الضراوة .

(٢) دابة كالضب ، أو العظيم من أشكال الوزغ ، طويل الذنب صغير الرأس .

من حية ، وذلك أن الورل يقوى عَلَى الحَيَّات كُلِّهَا ، ويأْكُلُهَا أَكْلًا ذَرِيْعًا ، وكل شدة يَلْقَاهَا ذُو جُحْرٍ من الحية تلقى مثل ذلك من الورل ، والورل أَلْطَفُ بَدَنًا من الضب ، ولكنه أَشَدُّ من الضب وَأَجْوَدُ سَلَاحًا ، وله شحمة ، والأعراب يستطيبون لحم ذنبه ، والورل دابة خفيفة الرأس والحركات ذاهبًا وجائيًا ، ويمينا وشمالًا ، وليس شيء بعد العطاء أَكْثَرَ تَلَفَةً منه ، وبُرَاشِنٌ ^(١) الورل أَقْوَى من بُرَاشِن الضب ، حكى ذلك كله عمرو بن بحر ^(٢) .

قال : ومن أمثال العرب : من استرعى الذئب ظلم ، وأنشد لبعض بني جعفر ابن كلاب يضرب المثل بجور الحية والذئب :

كَأَنَّنِي حِينَ أَحْبُو جَعْفَرًا مِدْحِي أَسْقِيهِمْ طَرَقَ ^(٣) مَاءٍ غَيْرَ مَشْرُوبِ
وَلَوْ أُخَاصِمُ أَفْعَى نَابِهَا لَثِقَ ^(٤) أَوِ الْأَسَاوِدَ مِنْ صُمِّ الْأَهَاضِيبِ ^(٥)
لَكُنْتُمْ مَعَهَا إِبَّاءَ وَكَانَ لَهَا نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبِ
وَلَوْ أُخَاصِمُ ذِئبًا فِي أَكِلَتِهِ لَجَاءَنِي كُلُّهُمْ يَسْعَى مَعَ الذِيبِ ^(٦)

قال بعض الحكماء : أعجل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها : سرعة ظلم من لا ناصر له إلا الله ، ومجاورة النعم بالتقصير ، واستطالة الغنى على الفقير .

روى عن مجاهد أنه قال : المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة ^(٧) .

(١) البراشن : الذي يمد نظره ويحده .

(٢) انظر الحيوان ٣١٠/٤ .

(٣) الطرق : الماء الذي خوضته الإبل وبولت فيه .

(٤) ناب لثق : رطب من امتلائه بالسم .

(٥) الأساود : جمع أسود وهى الحية العظيمة ، صم الأهاضيب : الجبال الصلبة .

(٦) وردت الأبيات في البيان والتبيين ٢٨٥/٣ ، الحيوان ٣١٦/٤ ، منسوبة لحريز بن نشبة العدوى الفزارى .

(٧) إلى هنا ينتهى النقص من النسخة ١ .

إنما شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية حرب الفجار ، وظهرت العرب على الفرس يوم ذي قار ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا فيها مظلومين .

فأما حرب الفجار فكانت بين بني عامر بن صعصعة وبين قريش ، وذلك أن بني عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش ^(١) وكنانة ، بجريرة البراء بن قيس في قتله عروة الرجال ، وكان البراء خليعاً فاتكاً ، فأقامهم إلى حربهم ، فألزمهم ^(٢) ذنب غيرهم ظالمين لهم ، فذلك شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم دافعوا عن أنفسهم وديارهم وأموالهم ، ونصروا بحضور النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك نصرت العرب على فارس يوم ذي قار برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي : كانت وقعة ذي قار قبل وقعة بدر بأشهر ، والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فلما بلغه ذلك ، قال : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم » .

قال هشام : حدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال : ذكرت وقعة ذي قار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَمِ » .

خرج الأضبط بن قريع السعدي من بني سعد ، فجاور ناساً ، فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم ، ورجع إلى قومه ، وقال : بكل واد بني سعد ، فأرسلها مثلاً .

(١) ساقط من ب .

(٢) ١ : فلزموهم .

وقال الأشعرُ الرِّقْبَانُ الْأَسَدِي^(١) في قصيدة له :

وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلَّحَمِ الْحَوَارِ فَلَا أَنْتَ حُلُوٌّ وَلَا أَنْتَ مُرٌّ
وَحَسْبُكَ فِي النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ

ومن أمثالهم : من لم يكن ذنباً أكلته الذئاب ، وكان الشعبي إذا تمثل بذلك يقول :
ومن ذا الذي يرضى أن تأكله الذئاب .

ولعبيد بن أيوب^(٢) وكان قد تاب فظلم ، فهم بمراجعة الضلال ، فقال :
^(٣) ظلمت الناس فاعترفوا بظلمي فبِتُّ فَأَزْمَعُوا أَنْ يَظْلَمُونِي^(٤)
فلست بصابرٍ إلا قليلاً فان لم يَرْعَوْا راجعت ديني

قال زهير :

... وَمَنْ لَا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمُ^(٥)

أخذه ابن دُرَيْدٍ فقال :

مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ وَعَزَّ عَنْهُ جَانِبَاهُ وَاحْتَمَى

(١) اسمه عمرو بن حارثة بن ناشب ، وسمى الرقبان لأنه ورث مالا عن رقبة (كلالة) لا عن آبائه ، انظر القاموس مادة رقب ، وقد وردت له ترجمة قصيرة في المؤلف ٤٧ ، ومعجم الشعراء ٢١٠ ، وورد البيت الأول فقط ضمن أبيات فيها برواية مختلفة ، فرواية المؤلف للشطرة الأولى : مَسِيخٌ مَلِيخٌ كُلَّحَمِ الْحَوَارِ ، ورواية معجم الشعراء : وَأَنْتَ مَلِيخٌ كُلَّحَمِ الْحَوَارِ ، وورد البيت الثاني في معجم الشعراء ٢٢١ ضمن الأبيات نفسها منسوبا لى عمرو بن ثعابة الشيباني ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١٥١/١ ، والأول في عيون الأخبار ٣٦٩/٣ .

والمسيخ من اللحم : الذي لا دسم فيه ، والمليخ الذي لا طعم له .

(٢) العنبري : من شعراء العصر الأموي ، وكان لصاً حاذقاً أهدر السلطان دمه ، انظر الشعر والشعراء

٣٠٥ ، سمط اللآلي ٣٨٤ (الأعلام ٣٤٠/٤) .

(٣) ساقط من ب .

(٤) جزء بيت ، تكلمه : ومن لم يذ عن حوضه بسلاحه يهدم ... انظر شرح ديوانه ٣٠ .

وقال المتنبي :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِمِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ^(١)

وله أيضاً :

وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا وَبِالنَّاسِ رَوَى رُحْمَهُ غَيْرَ رَاحِمٍ^(٢)

وهذه الأخلاق أخلاق الفساق ، ومن لم يتأدب بأدب القرآن ، ولا استن بسنن الإسلام في الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة ، وأين قول المتنبي من قول محمود الوراق :

إِنِّي وَهَبْتُ لِظَالِمِي ظُلْمِي وَغَفَرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي
وَرَأَيْتُهُ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا فَأَبَانَ مِنْهُ بِجَهْلِهِ حِلْمِي
رَجَعْتُ إِسَاءَتَهُ عَلَى لَهُ حُسْنًا فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ
وَعَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحَمَّدَةٍ وَأَنَا الْمَسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ
مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ حَتَّى بَكَيتُ لَهُ مِنْ الظُّلْمِ^(٣)

وله أيضاً :

اصْبِرْ عَلَى الظُّلْمِ وَلَا تَتَنَصَّرْ فَالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى الظَّالِمِ

(١) ديوانه ٤٩٠ .

(٢) ديوانه ٣١٨ .

(٣) يروى : لما أبان بجهله ، ورجعت إساءته عليه وإحسانى فعاد ، ويروى الغم مكان الجرم ، والظلم مكان الإثم ، ويروى : حتى رثيت مكان بكيت ، انظر الأبيات في الكامل ٢٣٤/١ ، العقد الفريد ٢٨٥/٢ .

وَكُلُّ إِلَى اللَّهِ ظُلُومًا فَمَا رَبِّي عَنْ الظَّالِمِ بِالنَّائِمِ^(١)

وقال آخر:

نَامَتْ جُفُونُكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللَّهِ لَمْ تَنَمْ^(٢)

وقال آخر:

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيْبِلَى بِظَالِمِ^(٣)

وقال آخر:

فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَانَا التَّقَاضِيَا^(٤)

وقال آخر:

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ وَكُنْ مُتَرَفِّقًا وَكُنْ رَاحِمًا بِالنَّاسِ تَبْلَى بِرَاحِمِ

كان يقال: إذا دعيتك الضرورة إلى ظلم من هو دُونك فاذكر قدرة الله تعالى على عقوبتك، فأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه.

قال الشاعر:

وَنَسْتَعْدِي الْأَمِيرَ إِذَا ظَلَمْنَا فَمَنْ يُعْدِي إِذَا ظَلَمَ الْأَمِيرُ

إِذَا كَانَ الْأَمِيرُ عَلَيْكَ خَصْمًا فَلَا تُكْثِرُ فَقَدْ غَلَبَ الْأَمِيرُ^(٥)

(١) مجموعة المغانى ٧٥ .

(٢) مجموعة المغانى ٧٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٤٥٣ .

(٤) البيت للشيدى الحارثى، انظر المؤلف والمختار ١٤٠، حساسة أبي تمام ٤١/١، عيون الأخبار ٧٧/١ .

(٥) عيون الأخبار ٧٨/١، وقد ورد فيها البيتان متفرقين وليس كما هنا .

وقال آخر:

وَالْخَصْمُ لَا يُرْتَجَى النَّجَاحُ لَهُ يَوْمًا إِذَا كَانَ خَصْمُهُ الْقَاضِي^(١)

وقال آخر:

مَنْ يَكُنِ الْقَاضِي أَبَاهُ فَلْيَبِيتْ فِي رَاحَةٍ مِنْ خَصْمِهِ لَا يَلْتَفِتْ

قال كعب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما : ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء ، فقال عمر : إلا من حاسب نفسه ، قال كعب : والذي نفسى بيده إنها كذلك إلا من حاسب نفسه ما بينهما حرف . يعنى فى التوراة .

خرج عمر بن عبد العزيز يوماً ، فقال : ما شاء الله ! كان الوليد بن عُتْبَةَ بالشام ، والحجاج بالعراق ، وقرّة بن شريك بمصر ، وعثمان بن حيان بالحجاز ، ومحمد بن يوسف باليمن ، امتلأت الأرض ظلماً وجوراً .

ولعون بن عبّيد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود :

وَأَوَّلُ مَا نَفَارِقُ غَيْرَ شَكٍّ تَفَارِقُ مَا يَقُولُ الْمَارِقُونَ

وقالوا : مُؤْمِنٌ دَمُهُ حَلَالٌ وَقَدْ حَرَمَتْ دِمَاءُ الْمُؤْمِنِينَ

وقالوا : مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ جَوْرِ وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينَ^(٢)

وقال أبو القتاهية :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لَوْهُ وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ

(١) محاضرات الأدباء ٩٨/١ ، التمثيل والحاضرة ١٩٣ ، عيون الأخبار ٧٨/١ .

(٢) انظر الآيات فى البيان والتبيين ٣١٥/١ .

إِلَى دِيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقَيْنَا غَدًا عِنْدَ الْإِلَهِ مِنَ الْمَلُومِ^(١)

وكتب بها مع يحيى بن خالد بن برمك .

قال الشاعر :

إِذَا جَارَ الْأَمِيرُ وَكَاتَبَاهُ وَقَاضَى الْأَرْضَ دَاهَنَ فِي الْقَضَاءِ
^(٢)فَوَيْلٌ لِّمَنْ وََيْلٌ لِّمَنْ وََيْلٌ لِّمَنْ
لِقَاضِي الْأَرْضِ مِنْ قَاضِي السَّمَاءِ^(٣)

(١) ديوانه ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٢) يبدأ من هنا سقط كبير من النسخة ب .

(٣) المستطرف ١ / ١١٩ :

بَابُ الْمَغْفُورِ وَالتَّجَاوُزِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِغُفْوٍ إِلَّا عِزًّا » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمَ ، إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عَبَادَهُ الرَّحْمَاءُ » .

وقال عليه السلام : « مَا نَزَعَتِ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ » .
وقال : « ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاعْفُوا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ » .
وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » .

وفي الأثر المرفوع أنه : « يُنَادِي الْمُنَادِي فِي بَعْضِ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ : لِيَقُمْ مَنْ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَا يُحْمَدُ لَهُ ، فَلَا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا » .

وفي الحديث أيضاً : « إِنْ اللَّهُ عَفُوٌّ غَفُورٌ يُحِبُّ الْمَغْفُورَ عَنْ عِبَادِهِ » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ زَلَّاتِهِمْ » .
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أَفْضَلُ الْمَغْفُورِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ ، وَأَفْضَلُ الْقَصْدِ عِنْدَ الْجِدَّةِ .

قال سعيد بن المسيب : لَأَنْ يَخْطِئَ الْإِمَامُ فِي الْمَغْفُورِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَخْطِئَ فِي الْعُقُوبَةِ .

قال جعفر بن محمد : لَأَنْ أُنْذِمَ عَلَى الْمَغْفُورِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ أُنْذِمَ عَلَى الْعُقُوبَةِ .

طلب عبدُ الملك بنُ مروان رجلاً فأعجزه ثم ظفر به ، فقال رجاء بن حيوة :
يا أمير المؤمنين ! قد صنع الله ما أحببت من ظفرك به ، فاصنع ما أحبَّ الله من
عفوك عنه .

قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشام ، وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبد الله
ابن علي : الانتقام عدلٌ ، والتجاوزُ فضلٌ ، ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله أن يرضى
لنفسه بأوكس النصيبين ، ولا يبلغ أرفع الدرجتين .

كان يقال : أولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة ، وأنقصُ الناس عقلاً من
ظلم من هو دونه .

قال المهلب بن أبي صفرة : خيرُ مناقب الملوكِ العفوُ .

قال المأمونُ : وددتُ أن أهل الجرائم عرفوا رأيي في العفو ، فسَلِمَت لي
صدورهم .

قال معاويةُ رحمه الله : ما وجدتُ شيئاً ألدُّ عندي من غيظٍ أتمرعه ، ولم يعرف
قيمة الأبهة^(١) من لم يجرعه الحلم غصص الفيظ .

اعتذر رجل إلى الهادي فقال : يا أمير المؤمنين ! إقرارى بما ذكرت يوجب
عليَّ ذنباً لم أجنه ، وردّي عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك ،
ولكني أقول :

(١) في ١ : الأبهة ، وفي ب : الأئمة .

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو فِي الْعُقُوبَةِ رَاحَةً فَلَا تَزْهَدَنَّ عِنْدَ الْمَغَافَةِ فِي الْأَجْرِ^(١)
فَعَفَا عَنْهُ .

قال منصورُ الفقيه :

وقال نَبِيُّنَا فِيمَا رَوَاهُ عَنْ الرَّحْمَنِ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
مُحَالٌّ أَنْ يَنَالَ الْعَفْوَ مِنْ لَا يَمُنُّ بِهِ عَلَى أَهْلِ الذُّنُوبِ^(٢)

وقال آخر :

فَهَبْنِي مُسِيئًا كَالَّذِي قُلْتُ ظَالِمًا فَعَفَوْهُ جَمِيلٌ كِي يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لِلْعَفْوِ أَهْلًا لِسُوءِ مَا أَتَيْتُ بِهِ جَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ^(٣)
سُئِلَ ثَلَبٌ عَنْ مَعْنَى : فَهَبْنِي مُسِيئًا . قال : معناه اعددني مسيئًا .

قال محمد بن علي بن حسين : من كظم غيظًا يقدر على إِمضائه حشا الله قلبه إِيغَارًا .
وروى هذا مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ومما ينسب إلى عمرو بن العاص :

وَبَعْضُ انْتِقَامِ الْمَرْءِ يُزْرِي بِمَقْلِهِ وَإِنْ لَمْ يَقْعُ إِلَّا بِأَهْلِ الْجَرَائِمِ
وَذَكَرُ ذُنُوبِ الْوَعْدِ تَرْفَعُ ذِكْرَهُ فَدَعَاهُ صَرِيحَ النَّوْمِ تَحْتَ الْقَوَادِمِ

(١) البيت في الوزراء والكتاب للجيشباري ١٦٩ ، والمقدّم ١٩ / ١٩ ، المستطرف ١ / ٢٢٣ .

(٢) المستطرف ١ / ٢١٧ .

(٣) البيتان للصولي ، انظر معجم الأدباء ١ / ١٨٦ ، ووردا في العقد ٢ / ١٤٣ بغير نسبة .

وفي معنى هذا البيت الأخير ، تول ذي الرمة :

قيل لي : قد هجأك مَوْتِي زِيَادٍ فَأَجِبْهُ ، فَقُلْتُ : لَيْسَ بِكَفَوِي ^(١)
لستُ أَهْجُوهُ إِنَّهُ خَامِلٌ الذِّكْرُ رِ لَعَلَّ الْخَسِيسَ يَمْلُو بِهَجْوِي
هو كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ اللَّيْثَ رُعْبًا فَذَرُوهُ يَهْرَ بَعْدِي ^(٢) وَيَعْفُو
هو من سَطَوْتِي وبأسِ هِجَائِي فِي أَمَانٍ مَا بَيْنَ حِلْمِي وَعَفْوِي ^(٣)

كتب علي بن الجهم إلى الحسن بن وهب :

إِنْ تَعَفُّ عَنْ عَبْدِكَ الْمَيْمِيِّ فِي فَضْلِكَ مَاوِي لِلصَّفْحِ وَالْمِنَّ
أَتَيْتُ مَا أَسْتَحِقُّ مِنْ خَطَا فَجُدْ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ ^(٤)

فجاوبه الحسن بن وهب بأبيات منها :

أَعُوذُ بِالْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسَدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وله أيضاً :

أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَفِيكَ وَيَطْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى ^(٥)

وقال آخر :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ الْعَفْوِ عَفْوُ مُعْجَلٍ وَشَرُّ ^(٦) الْعِقَابِ مَا يُجَازُ بِهِ الْقَدَرُ ^(٧)

(١) إلى هنا ينتهي السقط من نسخة ب .

(٢) ب : بعد .

(٣) لم أعثر على الأبيات في ديوانه .

(٤) إعتاب الكتاب ١٦٤ ، عيون الأخبار ٩٩/٣ .

(٥) البيت في عيون الأخبار ١٠١/١ ، ونسبه في نفح الطيب ١٢٦/٢ إلى الحاجب أبي جعفر المصنف .

(٦) ب : وخير .

(٧) ١ : ما يجاز به العذر ، وفي عيون الأخبار ١٠١/١ : ما يجاز به .

وقال أعرابي :

يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَقْوَامُ وَاجْتَهَدُوا أَيْمَانَهُمْ أَنَّنِي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أُيْحَلِفُونَ عَلَى عَمِيَاءٍ وَيَحْمِسُ^(١) جَهَنَّا بِمَفْوٍ عَظِيمٍ الْمَفْوِ غَفَّارِ^(٢)

وقال آخر :

يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجِلِ كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّارِ مُجُنُونِ
قَدْ كَانَ قَدَّمَ أَعْمَالًا مُقَارِبَةً^(٣) أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينٌ^(٤)

(١) ب : ويأهم .

(٢) البيتان في البيان ٣٧٩/٣ بدون نسبة .

(٣) ١ : مقارفة .

(٤) البيتان لعبيد بن أيوب العبدي ، انظر البيان والتبيين ٣٧٩/٣ .

باب الغضب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة^(١) ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! ذلّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، وأقلل لعلّي أحفظه . قال : « لا تغضب » .

وروى عنه عليه السلام ، أنه قال : « إذا غضبت قائمًا فاقعد ، وإذا غضبت قاعدًا فقم ، أو قال : فاضطجع » .

أوحى الله إلى موسى : اذكرني عند غضبك ، أذكرك عند غضبي ، فلا أحقك فيمن أحق ، وإذا ظلمت فارض بنصري لك ، فإنها خير من نصرتك لنفسك^(٢) .

قال عيسى عليه السلام : يبعدك من غضب الله ألا تغضب .

أنشد ثعلب :

مَتَى تَرِدِ الشِّفَاءَ بِكُلِّ غَيْظٍ تَكُنْ مِمَّا يَغِيظُكَ فِي أَرْدِيَادٍ^(٣)

قال سليمان بن داود عليهما السلام : أُعْطِينَا مَا أُعْطِيَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يَعْطُوا ، وَعُكِّنَا مَا عُلِمَ النَّاسُ وَمَا لَمْ يُعَلَّمُوا ، فَلَمْ نَرِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَدْلِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، وَالْقَصْدِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَخَشْيَةِ اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إنما يُعْرَفُ الْحَلَمُ سَاعَةَ الْغَضَبِ .

(١) الصرعة : من يصرع الناس ولا يصرعونه .

(٢) ١ : وإذا طلبت فارض بتصرفي لك ، فإنه خير من تصرفك لنفسك .

(٣) محاضرات الأدباء ١/ ١١٠ .

وعنه أيضاً : عدوُّ العقلِ الغضب .

كان يقال : أول الغضب جنون ، وآخره ندم ، ولا يقوم عزٌّ^(١) الغضب
بذلُّ الاعتذار .

وروى : كل المطب في الغضب^(٢) .

قيل للشعبي : لأي شيء يكون السريع الغضب سريع الفئته ، ويكون بطيء
الغضب بطيء الفئته ؟ قال : لأن الغضب كالنار ، فأسرعها وقوداً وأسرعها خموداً .
وهذا الخبر أصح عن عبد الله بن حسن ، حكاية عن كسرى ، ذكره ابن عائشة
القرشي التيمي^(٣) عنه . قال : قيل لعبد الله بن حسن : ما بال الرجل الحديد أسرع
رجعةً من البطيء ؟ فقال : سئل كسرى عن ذلك ، فقال : مثلها مثل النار في الحطب ،
أسرعها وقوداً وأسرعها خموداً .

أراد المنصورُ خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن
حسن ، فقال له جعفر بن محمد : يا أمير المؤمنين إن سليمان أُعطى فشكر ، وإن
أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قَدَّرَ فقَفَّر ، وقد جعلك الله من غييل^(٤) الذين يعفون
ويصفحون ، فطفيء غضبه وسكت .

شهد سَوَّارُ القاضي مجلس أبي جعفر المنصور يوماً فرآه قد غضب على أهل
البصرة ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا تغضب لله بما^(٥) يُغضب الله .

(١) ساقط من ب .

(٢) ا ، ب : وربما كان المطب في الغضب .

(٣) ج : التيمي .

(٤) ب : اسل .

(٥) ب : فيما .

العرب تمدح بترك الغضب .

كان يقال : من أغضبت^(١) أنكرته .

قال الشاعر :

لم أقضِ من صُحبةِ زيدٍ أربى فتي إذا نهته لم يغضبِ
أيضُ بسامٍ وإن لم يعجب ولا يظن^(٢) بالمتاع المحقَّبِ
موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيقه له كالأقرب^(٣)

قال عبد الله بن قيس الرقيات :

ما نتموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم سادة الملوك ولا تصلح إلا عليهم العرب^(٤)

قالوا : إذا غضب الرجل فليستلق ، وإذا أعيا فليرفع رجله .

(١) : أبغضته .

(٢) ب : ولا يظن .

(٣) نهاية الأرب ٢٣/٣ وانظر عيون الأخبار ٢٣/٢ .

(٤) ديوانه ١٤ .

باب الرجاء والخوف

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه يعودده ، فقال : كيف تجهدك ؟ قال : أجدني أرجو وأتخاف ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، ما اجتمعتا في قلب رجلٍ إلا أعطاهُ الله خيراً^(١) ما يرجو منه ، وآمنه من شر ما يخاف .

قال أبو الدرداء : من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل .

قال مطرف بن عبد الله الشَّخِير : لو وُزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا .

قال لقمان لابنه : يا بني ! ارج الله رجاءً لا تأمن فيه مكره ، وخف الله مخافة لا تأيسن فيها من رحمته ، فقال : كيف أستطيع ذلك ، وإنما لي قلب ؟ فقال : يا بني ! إن المؤمن كذى^(٢) قلبين ، قلب يخاف به ، وقلب يرجو به .

قال علي بن أبي طالب : خذوا عن هذه الكلمات ، فلو رَحَلْتُمْ فيها المِطْيَ حتى أنضيتموها لم تباغوها : لا يرجو عبد إلا ربه ، ولا يخاف إلا ذنبه . وذكر كلاماً قد ذكرته بتمامه في كتاب « بيان العلم وفضله » .

كان يقال : من خاف الله ورجاه ، آمنه خوفه ، ولم يحرمه رجاءه .

وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه ، فقال : اللهم إني أمسيت أخافك عليه وأرجوك له ، فحقق رجائي ، وآمن خوفي عليه .

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ب .

قال مسلم بن يسار^(١) : ما أدري فيم^(٢) خوف امرئ ورجاؤه إذا لم يمنعه من ركوب شهوة إن عرضت له ، أو لم يصبراه على مصيبة إن نزلت به .

كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه : أما بعد ، فإنه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

للحسن بن هاني^(٣) وتنسب للشافعي رضي الله عنهما ، والله أعلم :

خَفِ اللَّهَ وَارْجُوهُ إِكْلَ عَظِيمَةٍ وَلَا تُطِيعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فَتَنْدَمَا
وَكُنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَا وَأَبْشِرْ بِعَفْوِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا^(٤)
وفيها :

فَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَصَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا
وَلَهُ :

قَدْ كُنْتُ خَفْتُكَ ثُمَّ آمَنِي مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفَكَ اللَّهَ^(٥)
وقال العتابي :

رَحَلَ الرَّجَاءُ إِلَيْكَ مُرْتَقِيًا حُسِدَتْ إِلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : ما .

(٣) ب : سهل ، ا : وهب .

(٤) الأبيات في معجم الأدباء ٣٠٣/١٧ منسوبة إلى الشافعي رضي الله عنه ، وهي في ديوان أبي نواس ٦٨ .

(٥) ديوانه ١٠٩ ، عيون الأخبار ٧٠/١ وذكر أنها لأبي نواس في استعطاف الفضل بن الربيع .

رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمَلِي وَثَنًا إِلَيْكَ عِنَانَهُ شُكْرِي
وَجَعَلْتُ عَثَبَكَ عَثَبَ مَوْعِظَةٍ وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عُذْرِي

وقال أعرابي ، وقد أدخله البيت في شعره :

وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنَّمَا أَرَى بِجَمِيلٍ ^(١) الظَّنَّ مَا اللَّهُ صَانِعٌ ^(٢)

وقال منصور الفقيه :

قَطَعْتُ رَجَائِي مِنْ بَنِي آدَمِ طَرًّا فَأَصْبَحْتُ مِنْ رِقِّ الرَّجَاءِ لَهُمْ حُرًّا
وَعَدَلْتُ يَأْسِي يَنْهَمُ فَأَجَلُهُمْ - إِذَا ذُكِرُوا - قَدَرًا كَأَذْنَاهُمْ قَدَرًا
غَنِيٌّ لَهُمْ بِاللَّهِ لَا مُتَطَاوِلًا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا فَائِلًا هُجْرًا
وَكَيْفَ يَعْيبُ النَّاسَ بِالْمَنْعِ مَوْمِنٌ يَرَى النَّفْعَ مِنْ يَمَلِكُ النَّفْعَ وَالضَّرَّاءَ
عَلَيْهِ اتِّكَالِي فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا وَحَسْبِي بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ لِي ذُخْرًا

أنشدني عبد الله بن محمد بن يوسف رحمه الله لنفسه :

أَمِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي وَمَالَكَ مِنْ فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالِفٌ
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحَسَابِ الصَّحَائِفُ

(١) ب : الجميل .

(٢) العقد الفريد ٣/ ١٨٠ ، عيون الأخبار ١/ ٣٦ ، التمثيل والمحاضرة ٩ ، وقد نسب البيت في الكامل

٢٣١/١ إلى محمد بن أبي وهيب ، ونسب في زهر الآداب ٣/ ٢٥٤ لمحمد بن أبي حازم الباهلي .

وكن مؤنس في ظلمة القبر عندما
لن ضاق عني عفوك الواسع الذي
يصد ذوو ودّي ويحفو المؤلف
أرجى لإسرافي فإني لتالف^(١)
وقال أبو العتاهية :

إذا ما اتقى الله امرؤ لآن جانب^(٢)
يقول ألقى أرجو وأرجو وما له
ألا لبس يرجو الله من لا يخافه
من الناس من لا يبصر الدهر حمله
كفي بصروف الدهر علماً وحكمة
ومن لم يثق بالله لم يصف عيشه
وقارب بالإحسان من لا يقاربه
زوع^(٣) عن الذنب الذي هو رأكبه
وليس يخاف الله من لا يراقبه
ويزداد فيه الضعف حتى يعاتبه
لمن لم يخنه علمه وتجاربه
ومن ضاق عنه الحق ضاقت مذاهبه^(٤)

كان أبو سعيد السيرافي كثيراً ما ينشد في مجلسه :

اسكن إلى سكن تسر به
ترجو غداً وغد كحاملة
ذهب الزمان وأنت منفرد
في الحى لا يدرون ما تلد^(٥)
قرأت على سعيد بن نصر، أن ^(٦) قاسم بن أصبغ حدثهم ^(٦) ، قال حدثنا عبد الله
ابن رواح المدائني ، قال يزيد بن هرون ، قال : حدثنا أبو موسى التيمي ، قال :

(١) الأبيات في نفع الطيب ١١٢/٣ .

(٢) ١ : قلبه .

(٣) ١ : فروغ . (٤) ديوانه ١٠ .

(٥) البستان لبشار بن برد ، انظر المختار من شعره ٩٢ ، ٩٣ .

(٦) ساقط من ب .

توفيت النّوّارُ امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوهُ أهل البصرة ، وخرج فيها الحسنُ ، فقال للفرزدق : ما أعددتَ لهذا اليوم يا أبا فراس ؟ قال : شهادةُ ألا إلهَ اللهُ منذ ثمانين سنة ، فلما دُفنت قام الفرزدقُ على قبرها فقال :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ — إِنْ لَمْ يُعَافِنِي — أَشَدَّ مِنْ الْقَبْرِ التَّهَابَا وَأَضْيَقَا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ أَزْرَقَا^(١)
^(٢) قال : فبكى وأبكى^(٣) .

(١) الأبيات في الديوان ٥٧٨ ، الكامل ٧١/١ ، ورواية الديوان : دارم مكان آدم ، ومشهود الخناقة بدلاً من مغلول القلادة . وفي الكامل : إذا قادني مكان إذا جاءني ، وموقعاً مكان أزرقا .
(٢) ساقط من ب .
(٣)

بابُ العافيةِ والبلاءِ

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « سلُوا اللهَ العافيةَ والمعافةَ في الدُّنيا والآخرةَ ، فإنه لم يوتَ عبدٌ بعدَ اليقينِ باللهِ بأفضلَ من المُعافاةِ ^(١) » .

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « مَنْ يُردِّ اللهُ به خيراً يُصِبُّ منه » .

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « أشدُّ الناسِ بلاءً النبيُّونَ ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ » . والأحاديثُ عنه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في هذا البابِ كثيرةٌ جداً .

قال عيسى عليه السلام : إنما الناسِ مبتلى ومُعافى ، فإذا رأيتُم أهلَ البلاءِ فارحموهم ، وسلُوا اللهَ العافيةَ .

قال علي بن الحسين : ما صاحبُ البلاءِ الذي قد طالَ به أحقُّ بالدعاءِ من المُعافى الذي لا ^(٢) يأمنُ البلاءَ .

قال مطرّف بن الشَّخِير : لأنَّ أعافى فأشكر ، أحبَّ إلىَّ من أنْ أُبتلى فأصبر ، قال مطرّف : ونظرت في النعمة التي لا يشوبها كدر فإذا هي العافية .

قال سليمانُ التَّيْمِيُّ : إن المؤمنَ ليبتلى ويُعافى ، فيكونُ بلاؤه كِفارةً واستعتاباً ، وإن الكافرَ ليبتلى ويُعافى فيكونُ مثلَ بعيرٍ عُقل ، لا يدري فيم عُقل ولا لم أرسل .

(١) ١ : اليقين .

(٢) ٢ : ما قط من ب .

قال منصور الفقيه :

رَأَيْتُ الْبَلَاءَ كَقَطْرِ السَّمَاءِ وَمَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ نَامِيَةٍ^(١)
فَلَا تَسْأَلَنَّ : إِذَا مَا سَأَلْتَ إِيْلَهُكَ شَيْئًا سِوَى الْعَافِيَةِ
وَلَهُ أَيْضًا :

حَفِظَ الْفَتَى لِسَانَهُ مَحَبَّةً فِي الْعَافِيَةِ

وَاقِيَةٍ مِنَ الْبَلَاءِ إِنْ كَانَ مِنْهُ وَاقِيَهُ

قال أكرم بن صيفي : العافيةُ الملكُ الخفي .

(٢) كان يقال : لا خير في بدن لا ينكأ ، ولا في مال لا يرزأ^(٢) .

كان يقال : من عمل بالعافية فيمن هو دونه رزقها ممن هو فوقه .

قال الشاعر :

بَلَاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلَاءٌ عِدَاوَةٌ غَيْرِ ذِي حَسَبٍ وَدِينٍ

يُيَبِّحُكَ مِنْهُ عِرْضًا لَمْ يَصْنَعْهُ وَيَرْتَعُ مِنْكَ فِي عِرْضٍ مَصُونٍ^(٣)

وقال آخر ، وهو أبو راسب :

فَلَوْ أَنِّي مُبْلِيْتُ بِهَا شَيْئًا خَوَّلَتْهُ بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ

صَبَرْتُ عَلَى عِدَاوَتِهِ وَلَكِنْ تَعَالَوْا فَانْظُرُوا بَعْنِ ابْتِلَانِي^(٤)

(١) : هامة .

(٢) زيادة من ب .

(٣) البيتان لعل بن الجهم ، انظر محاضرات الأدباء ١/١٢٢ ، ١٨٦ ، وفيات الأعيان ٣/٤١ ، العقد الفريد .

٢٥٠/١ ، ٢٢٩/٢ .

(٤) نسب البيتان في المستطرف ١/٢٥٠ إلى زياد بن عبد الله ، ونسباني الكامل ٢/٦١ إلى دعبل بن

على الخزاعي .

قال بشار بن برد :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ جَمْعُ الْمَالِ يَعْجِبُنِي فَلَيْسَ يَمْدِلُ عِنْدِي صِحَّةَ الْجَسَدِ
فِي الْمَالِ زَيْنٌ وَفِي الْأَوْلَادِ مَكْرُمَةٌ وَالسُّقْمُ يُنْسِيكَ ذِكْرَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ^(١)

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « البلاء مَوْكَلٌّ بالقول » .

أخذه الشاعر فقال :

إِنَّ الْبَلَاءَ مَوْكَلٌّ بِالْمَنْطِقِ^(٢)

وقال آخر :

فَإِذَا رَأَيْتَ أَخَا الْبَلِيَّةِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْبَلَاءِ النَّازِلِ

قال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون أن يسألوا الله العافية بحضرة المبتلى .

(١) لم أعر عليهما فيما طبع من ديوانه .

(٢) صدره : احفظ لسانك أن تقول فتبتلى ، وهو لصالح بن عبد القدوس كما في حماسة البحتري ١٦٨ ،

وانظره في المستطرف ١/١٠٢ ، معجم الأدباء ١٣/١٧٥ من غير نسبة .

بابُ المرضِ والطبِّ

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « أَنْزَلَ الدَّاءَ الَّذِي أَنْزَلَ الْأَدْوَاءَ » .

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : « مِنْ خَيْرِ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ » .

وقال عليه السلام : « إِنْ كَانَ دَوَاءٌ يَبْلُغُ الدَّاءَ فَالْحِجَامَةُ تَبْلُغُهُ » .

قال محمد بن سيرين : كُنَّا بِسَابِاطِ الْمَدَائِنِ ، فَرَبِيَ رَجُلٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذَا حَجَمٌ^(١) كَسْرِي ، فَدَعَوْتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ حَجَمْتَ كَسْرِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : وَكَمْ حَجَمْتَهُ ؟ قَالَ : وَاحِدَةً . قُلْتُ : وَلَمْ اقْتَصِرْ عَلَى وَاحِدَةٍ ؟ قَالَ : كَانَ يَقُولُ : أَخَذْتُ مِنَ الدَّوَاءِ أَذْنَاهُ ، فَإِنْ كَانَ نَافِعًا أَخَذْتُ مِنْ نَفْعِهِ ، وَإِنْ كَانَ ضَارًّا لَمْ أَكُنْ اسْتَكْثَرْتُ مِنْ ضَرَرِهِ .

روى النَّزَّالُ بْنُ سَبْرَةَ^(٢) ، عَنْ عَلِيٍّ ، أَنَّهُ قَالَ : مَنْ ابْتَدَأَ غَدَاءَهُ بِالْمَلْحِ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُ كُلَّ دَائِهِ ، وَمَنْ أَكَلَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ زَيْبَةً كُلَّ يَوْمٍ لَمْ يَرَفِ فِي جَوْفِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ ، وَاللَّحْمُ يَنْبَغِي اللَّحْمَ ، وَالثَّرِيدُ طَعَامُ الْعَرَبِ ، وَلَحْمُ الْبَقَرِ دَاءٌ ، وَلَبَنُهَا دَوَاءٌ ، وَسَمُّهَا شِفَاءٌ ، وَالشَّحْمُ يُخْرِجُ مِثْلَهُ مِنَ الدَّاءِ . قَالَ النَّزَّالُ : أَظُنُّهُ يَرِيدُ شَحْمَ الْبَقَرِ . قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَمَا اسْتَشْفَى بِأَفْضَلٍ مِنَ السَّمَنِ ، وَالسَّمَكِ يَذِيبُ الْبَدْنَ ، أَوْ قَالَ : الْجَسَدَ ، وَلَمْ تَسْتَشْفِ النَّفْسَ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الرُّطْبِ ، وَالسَّوَالِكُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ يُذْهِبَانِ الْبَلْغَمَ ، وَمَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ — وَلَا بَقَاءَ — فَلْيَبْكَرْ الْغَدَاءَ ، وَلِيُخَفِّفِ الرَّدَّاءَ ،

(١) ب : يحجم .

(٢) ب : شبرمة ، تحريف .

وليقُلَّ غَشِيَانُ النَّسَاءِ . قيل له : يا أمير المؤمنين ! وما خفة الرداء ؟ قال : خفة الدين .
قال شريح : امش بدائك ما حملك .

قال حَسَّانُ بْنُ خُرَيْمٍ بنِ الْأَغَرِ : دَعِ الدَّوَاءَ مَا احْتَمَلَ جِسْمُكَ الدَّاءَ .
سئل الحارثُ بنُ كَلْدَةَ طيِّبِ الْعَرَبِ : ما الدَّوَاءُ الَّذِي لَا دَاءَ فِيهِ ؟ قال : هو
أَلَّا يَدْخُلَ بَطْنُكَ طَعَامَ وَفِيهِ طَعَامُ .

قال غيره : هو أَنْ يَقْدَّمَ الطَّعَامُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ ، وَيَرْفَعُ عَنْكَ وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ .
قالوا : ثَلَاثَةٌ تَقْتُلُ : الْحَمَامُ عَلَى الْكِظَّةِ ، وَالْجَمَاعُ عَلَى الْبِطْنَةِ ، وَالْإِكْثَارُ مِنَ
أَكْلِ الْقَدِيدِ الْيَابِسِ .

كَانُوا يَقُولُونَ : لَوْ أَمَاتَ الْعَمِيلَ الدَّاءُ أَعَاشَهُ ^(١) الدَّوَاءُ .

قال الرِّبِيعُ بْنُ خَيْثَمٍ : ذَكَرْتُ عَادًا وَثَعُودًا وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ
ذَلِكَ كَثِيرًا ، كَانَتْ فِيهِمُ الْأَدْوَاءُ ، وَكَانَتْ فِيهِمُ الْأَطْبَاءُ ، فَلَا الْمُدَاوِيَّ بَقِيَ
وَلَا الْمُدَاوِيَّ .

وقيل له في علته : أَلَا نَدْعُو لَكَ طَبِيبًا ؟ فقال : قَدْ نَظَرْتُ إِلَى الطَّبِيبِ . فقليل له :
مَا قَالَ لَكَ ؟ فقال : إِنِّي فَعَالٌ لِمَا أُرِيدُ .

وهذا نحو قول أبي الدرداء ، وقد قيل له : أَلَا نَدْعُوكَ لَكَ طَبِيبًا ؟ قال : الطَّبِيبُ
أَمْرَضَنِي . وقد أوردنا عن العلماء في هذا المعنى ما فيه كفاية يكتبها في كتاب
« التمهيد » والحمد لله .

ولأبي العتاهية ، و يروى لغيره :

إِنَّ الطَّبِيبَ بِطَبِّهِ وَدَوَائِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهِ أَتَى
مَا لِلطَّبِيبِ يَمُوتُ بِالذَّاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَبْرئُ مِثْلَهُ فِيمَا مَضَى ^(١)

كان سفيان بن عيينة ، يستحسن قول عدى بن زيد ، حيث يقول :

أَيْنَ أَهْلُ الدِّيَارِ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ثُمَّ عَادَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَثَمُودُ
يَبْنَاهُمْ عَلَى الْأَسِرَّةِ وَالْأَنْدِ مَا طِ أَفَضْتُ إِلَى التُّرَابِ الْجُلُودُ
ثُمَّ لَمْ يَنْقُضِ الْحَدِيثُ وَلَكِنْ بَعْدَ ذَا الْوَعْدِ كُلُّهُ وَالْوَعِيدُ
وَالْأَطِبَاءُ كُلُّهُمْ لَحِقُومٌ ضَلَّ ^(٢) عَنْهُمْ سَعُوطُهُمْ وَاللَّدُودُ
وَصَحِيحٌ أَضْحَى يَعُودُ مَرِيضًا وَهُوَ أَذْنَى لِلْمَوْتِ مِمَّنْ يَعُودُ ^(٣)

أخذه على بن الجهم ، فقال :

كَمْ مِنْ عَليْلِ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدى فَفَجَّأَ وَمَاتَ طَبِيبُهُ وَالْمُودُ ^(٤)

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لَكَ ظِلَّ الشَّبَابِ الْمَشِيبُ وَنَادَتْكَ بِاسْمِ سِوَاكَ الْخُطُوبُ

(١) ديوانه ١٠ ، و يروى البيتان أيضاً لبشار ، انظر المختار من شعره ٢٣١ وفيه : دفاع مقدور مكان مكروه .

(٢) ب . ظل .

(٣) الأبيات في : العقد الفريد ١٨٨/٣ عدا الرابع ، وفيه : ثم عاد من بعدها ، والحدود مكان الجلود ،

وانظر معجم الشعراء ٢٥٠ .

(٤) التمثيل والمهاضرة ١٨٢ من غير نسبة .

وَقَبْلَكَ دَاوَى الْمَرِيضَ الطَّيِّبُ فَعَاشَ الْمَرِيضَ وَمَاتَ الطَّيِّبُ
يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ يَتُوبُ فَكَيْفَ تَرَى حَالَ مَنْ لَا يَتُوبُ^(١)
وقال منصور الفقيه :

كَذَبْتُ إِنْ أَنَا سَمِيْتُ تَ مُحَمَّدِيْنَا أَوْ مُصِيبَا
مَنْ لَا يُعَاشِرُ إِلَّا مُنَجِّمًا أَوْ طَبِيبَا

وقال آخر ، وهو يزيد بن خذاق العبدي^(٢) :

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بِنَاتِ الدَّهْرِ مَنْ وَاقٍ أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حِمَامِ الْمَوْتِ مَنْ رَاقٍ
هُوَ عَلَىكَ وَلَا تُوَلِّعْ بِإِشْفَاقٍ فَإِنَّمَا مَا لَنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِ
وقال ابن الطَّيِّبِ^(٣) :

وَكُنْتُ كَغِذَى دَاءٍ تَبْغَى لِذَاتِهِ طَبِيبًا فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ تَطَبِّبَا

وقال محمود الوراق :

قَدْ قُلْتُ لَمَّا قَالَ لِي قَائِلٌ^(٤) قَدْ صَارَ بُقْرَاطُ إِلَى رَمْسِهِ
فَإِنْ مَا دَوَّنَ مِنْ كُتُبِهِ وَجَمَعَهُ الْأَحْجَارَ مَعَ جَسِّهِ^(٥)

(١) لم أعر على هذه الأبيات في ديوانه المطبوع ، وقد نسبت إلى أبي حفص الشطرنجي في الأغاني ٧٢/١٩ ، ووردت في عيون الأخبار ٣٢٧/٢ ، العقد الفريد ١٨٠/٣ .

(٢) انظر ترجمته والبيتين في الشعر والشعراء ٢٤٦ ، وانظرهما في العقد الفريد ٢٤٤/٣ .

(٣) هو يزيد بن سلمة بن سمرة ، شاعر مطبوع من شعراء بني أمية ، نسبت به إلى أمه من بني « طر » من عذ بن وائل ، قتل سنة ١٢٦ هـ . ترجمته في وفيات الأعيان ٢٩٩/٢ وسمط اللاكي ١٠٣ ، وانظر البيت في الشعر والشعراء ٢٦٣ ، معجم الشعراء ٢٨٦ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٤) ب : قد قلت للقائل الذي قال لي .

(٥) ب : من جسسه .

لَمْ يُغْنِهِ إِذَا حُمَّ مِقْدَارُهُ وَلَمْ يُسَاوِ الْمُشْرَ مِنْ فَلْسِهِ
هَيْهَاتَ لَا يَدْفَعُ عَنْ غَيْرِهِ مَنْ كَانَ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ

وقال منصور الفقيه :

يَا سَيِّدًا بَاتَتْ الْقُلُوبُ — لِأَنَّ بَاتَ كَمَا لَا يُحِبُّ — مُخْتَرِقَةٌ
إِنَّ ذَوِي الطَّبِّ — لَا أَقُولُ بَمَا لَا يَعْلَمُ رَبِّي خِلَافَهُ — فَسَقَةٌ
فَلَا تُشَاوِرْهُمْ فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَى شَحِيحٍ بِدِينِهِ شَفَقَةٌ
وَاتْلُ مِنَ الْوَحْيِ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَوْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَرَقَةٌ
فَمَا يُدَاوِي الْعَلِيلُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ وَالصَّدَقَةِ
جاء في الخبر : « من كان به مرض قديم فليأخذ درهماً حلالاً ، فليشتر به
عسلاً ، ثم ليشر به بماء السماء ، فإنه يبرأ بإذن الله » .

قال منصور الفقيه يخاطب بعض إخوانه :

يَا ذَا الَّذِي أَنْزَلَنِي ^(١) مَنَزِلِي عَلَيَّ بِمَا أَنْزَلَهُ مَنَزِلَهُ
إِنْ كُنْتَ فِي الصَّحَّةِ ذَا رَغْبَةٍ فَاعْتَصِ مِنَ الْمَجْزَرَةِ الْمُبْقَلَةِ
وَاسْتَعْمِلِ الْمَاشَ ^(٢) وَأَشْبَاهَهُ وَبَاعِدِ الْمِيلَ عَنِ الْمُكْحَلَةِ
فَإِنَّمَا الْجَبَلُ كُلُّ أَمْرٍ يَأْكُلُ فِي الصَّحَّةِ مَا عَنَّا لَهُ

(١) أ : أكبر لي ، ب : ألزمني .

(٢) الماش : حب نافع للمجموم والمزكوم ، ملين .

قال أبو عمر رضى الله عنه : دخلت على الشيخ أبي الوليد بن عباد ،
عائداً له من بطن كان يشكوه قد اشتد عليه ، فوجدته قد أخذ شيئاً^(١) من
حسو^(٢) ، فقلت له : يا سيدى ما لصاحب البطن والحسو ؟ فقال : شىء
تاقت نفسى إليه ، وسئمت أكل الجامد واليابس ، فانصرفت من عنده ،
ثم كتبت إليه :

يَا سَلِيلَ الْكَرَامِ مِنْ آلِ لَحْمٍ	وَأَخَا الرَّأْيِ وَالذَّهَاءِ وَالْوَفَاءِ
إِنَّ لِي مِنْ سِقَامِ جِسْمِكَ سُقْمًا	ثَابِتًا فِي الْفَوَادِ وَالْأَحْشَاءِ
وَبَقَلِي مِمَّا بِجِسْمِكَ ضِعْفٌ	لِلَّذِي تَشْتَكِي مِنَ الْأَذْوَاءِ
وَبُودِي لَوْ كُنْتُ عَنْكَ فِدَاءً	بَدَلًا عَنْدَ هَجْمَةِ الضَّرَاءِ
فَاقْبَلِ النَّصِيحَ سَيِّدِي وَاسْمَعْ الْقَوَّ	لَ فَإِنِّي أَحْكِي عَنْ الْحُكْمَاءِ
لَا يُدَاوِي الْإِسْهَالَ بِالْإِحْتِسَاءِ ^(٢)	لَا وَلَا بِالْأَمْرَاقِ وَالْبَاقِلَاءِ
إِنَّمَا الطَّبُّ طَرْدُكَ الضُّدَّ بِالضُّدِّ	دٌّ وَدَفْعُ الْأَهْوَاءِ بِالْإِحْتِمَاءِ
حَسْمُ ذَا الدَّاءِ مَا كَانَ قُوَّتًا	يَأْلَفُ الطَّبُّعُ فِي قَوَامِ الْغِذَاءِ
وَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ فَاللَّهُ يَشْفِي	لَيْسَ شَافٍ سِوَاهُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ
نَعَمْ عَوْنُ الْعَلِيلِ تَوْبَةُ صِدْقٍ	وَكَذَا الْبُرِّ جَالِبٌ لِلشِّفَاءِ
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ مِنِّي دَائِبًا	مَا جَرَى الدَّمْعُ قَاطِعًا لِلسَّجَاءِ

(١) : ساقط من ب.

(٢) : بالحسول لا .

ولنصور الفقيه أيضا :

يَا شَرِيفًا طَيُّ ^(١) أَمْثَا	لِي عَنْهُ النُّصَحَ بِذَعَةٍ
لَوْ مَطَلَتِ النَّفْسَ بِالْفَرُو	ج ^(٢) بَعْدَ الْيَوْمِ جُمُعَةٍ
لَمْ تَعُتْ هَمًّا وَلَمْ تَد	مِم ^(٣) بِكَ الْحُمَى بِسُرْعَةٍ
فَلَحْتَرِسُ بَعْدُ فَحَسْبُ الْ	مَرَّةً أَنْ يُخْدَعَ خِدْعَةٍ

(١) ب : يا شريفا طب. شرء ا : يا شريف طيب .

(٢) ب : بالفروح .

(٣) ا : تلزمك .

بابُ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(١) . وقيل في تأويل أولى الأمر قولان : أحدهما ، أمراء السرايا كان يرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر العلماء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة إلا في معروف ، ومن أمر بمعصية فلا طاعة له » .

قال عبد الله بن مسعود في قول الله عز وجل : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾^(٢) : أن يطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويذكر فلا يُنسى .

وقال قتادة ، مثل ذلك ، وزاد عليها^(٣) : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾^(٤) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : يا ابن آدم ! ما أنصفتني أتحبب إليك بالنعم ، وتتبغض إلي بالمعاصي ، خيري إليك نازل ، وشركي إلى صاعد » ، كم^(٥) من ملك كريم يصعد إلى منك بعمل قبيح » .

(١) سورة النساء آية ٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٠٢ .

(٣) ١ : ونسختها .

(٤) سورة التغابن ١٦ .

(٥) ساقط من ب .

قال الهلالي : من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه ، ومن تعزز بمصية الله ، أذاقه الله ذُلًّا بحق .

قال علي بن عبد الله بن عباس : من لم يجد نقص الجهل في عقله ، وذل المعصية في قلبه ، ولم يستتب موضع الخل من لسانه عند كلال حده ، فليس ممن يرغب عن ذنبه ، ولا ينزع عن حال معجزة ، ولا يكثر لفضل ما بين حجة وشبهة .

قال جعفر بن محمد : من نقله الله عز وجل من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزه بلا عشيرة .

أخذه محمود الوراق ، فقال :

هَآكَ^(١) الدَّلِيلَ لِمَن أَرَا دَ غِنًى يَدُومُ بِغَيْرِ مَالٍ
وَأَرَادَ عِزًّا لَمْ تُوْطَّ دُهُ الْعِشَائِرُ بِالْقِتَالِ
وَمَهَابَةً مِّنْ غَيْرِ سُدٍّ طَانَ وَجَاهًا فِي الرِّجَالِ
فَلْيَعْتَصِمْ بِدُخُولِهِ فِي عِزٍّ طَاعَةَ ذِي الْجَلَالِ
وَخُرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةِ الْ مَاصِي لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ

قال الحسن : لا يفرك توطيهم رقاب المسلمين ، وإن هملجت^(٢) بهم خيولهم وررفت^(٣) بهم ركابهم ، إن ذل المعصية في قلوبهم ، أبي الله إلا أن يذل من عصاه .

(١) ١ : فأنا ، م : ها أنا .

(٢) هملجت : ذلت واقادت .

(٣) ١ : دفرت .

كان يقال : من أحبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك .

قال العتبي : خطب يزيد بن الوليد فأوجز ، وقال : أيها الناس ! الأمر أمر الله ، والطاعة طاعة الله ، فأطيعوني بطاعته ما أطعت الله ، يغفر الله لي ولكم .

قالت هند : الطاعة مقرونة بالمحبة ، فالمطيع محبوب ، وإن نأت داره ، وقلت آثاره ، والمعصية مقرونة بالبغضة ، فالعاصي ممقوت ، وإن مسستك رحمته ، ونالك معروفه .

كتب ابن السماك إلى أخ له : أفضل العبادة الإمساك عن المعصية ، والوقوف عند الشبهة ، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة ، وقاله سفيان بن عيينة .
ذكر إبليس عند أبي حاتم ، فقال : وما إبليس ! فوالله لقد عصى فما ضرَّ ، وأطيع فما نفع .

قال محمود الوراق ، وتنسب إلى الشافعي :

تَعَصَّى الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لِأَطَاعَتِهِ إِنْ الْمُحِبِّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْتَذِيكَ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ وَأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضِيعُ^(١)

وقال إسحاق الموصلي :

الْمُلْكُ وَالْعِزُّ وَالْمُرُوءَةُ وَالْفِطْرَةُ^(٢) وَالنَّبْلُ وَالْيَسَارُ مَعَا

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢ ، الكامل ٢٣٤/١ ، العقد الفريد ٢١٥/٣ ، وتنسب أيضاً لذي الرمة ،

(٢) ساقطة من ب .

زيادات الديوان ٦٧٠ .

مجتمعات في طاعة العبد (١) لا
واللوم والذل والضراعة وال
إِذَا الْعَبْدُ أَعْمَلَ الْوَرَعَا
فَاقَةً فِي أَصْلِ أُذُنٍ مَنْ طَمِعاً (١)

وقال أبو العتاهية :

أَرَاكَ أَمْرًا تَرْجُو مِنْ اللَّهِ عَفْوَهُ
فَتَنِي مَتَى تَعْصِي وَيَعْفُو (٢) إِلَى مَتَى
وَأَنْتَ عَلَى مَا لَا يُحِبُّ مُقِيمٌ
تُبَارِكُ رَبِّي إِنَّهُ لَرَحِيمٌ (٣)

وله أيضاً :

أَطِيعَ اللَّهَ بِجَهْدِكَ صَادِقًا أَوْ بَعْضَ جَهْدِكَ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطُ لُبٌ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكَ (٤)

(١) انظر البيتين الأولين في المختار من شعر بشار ٢١٩ من غير نسبة .

(٢) ١: وتهفو .

(٣) ديوانه ٢٤٢ .

(٤) ديوانه ٨٦ .

بَابُ الْفَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ

قال الله عز وجل : ﴿ وَبَلِّ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةً ۝ ١١ ﴾^(١) ، قال مجاهد : هو الطَّعَّانُ
الَّذِي يَكُلُّ لِحُومِ النَّاسِ .

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَفْتَبِ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا ، أُنْحَبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ۝ ٢٢ ﴾^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل
الإيمان قلبه ، لا تفتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورات المسلمين
يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو في بيته » .

قال عمر بن الخطاب : من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض المسلمين ،
فهر الرجل .

وقع بين سعد و خالد كلام ، فذهب رجل يقيم في خالد عند سعد ، فقال سعد :
مه ، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قلتَ في أخيك ما فيه مما يكره
فقد اغتبتَه ، وإن قلتَ فيه ما ليس فيه فذلك البُهتان » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كف عن أعراض المسلمين لسانه
أقاله الله يوم القيامة عثرته » .

(١) سورة الممزة آية ١ .

(٢) سورة الحجرات آية ١٢ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراركم أيها الناس : المشاءون بالغميمة ،
المفرقون بين الأحبة ، الباغون لأهل البر العثرات » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا غيبة فيهم : الفاسق المعان بفسقه ،
وشارب الخمر ، والسُّلطان الجائر » .

قال رجل لابن سيرين : إني وقعت فيك ، فاجعاني في حلّ ، قال : لا أحب أن
أحل لك ما حرم الله عليك .

قال رجل للحسن البصري : إني اغتبت فلاناً وإني أريد أن أستحله ، فقال :
لم يكفك أن اغتبتته حتى تريد أن تبهته .

قال ابن عباد الصاحب :

احْذَرِ الْغَيْبَةَ فَهِيَ أَلْ فِسْقُ لَا رُخْصَةَ فِيهِ

إِنَّمَا الْمُغْتَابُ كَالْأَكْلِ مِنْ لَحْمِ أَخِيهِ^(١)

قال حذيفة : كفارة من اغتبتته أن تستغفر له .

قال عبد الله بن المبارك لسفيان بن عيينة : التوبة من الغيبة أن تستغفر

لمن اغتبتته ، قال سفيان : بل تستغفره مما قلت فيه : قال ابن المبارك : لا تؤذيه
مرتين .

قال عدي بن حاتم : الغيبة مرعى اللثام .

قال أبو العتاهية : الصائم في عبادة ما لم يغترب .

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢٣ .

قال ابن مُخَيَّرٍ : ما مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ تُجَدَّهَ مِنَ الرَّجُلِ — وَإِنْ أَعْجَبَكَ —
من الغيبة .

قال أبو حاتم : أَرْبَحُ التَّجَارَةِ ذِكْرُ اللَّهِ ، وَأَخْسَرُ التَّجَارَةِ ذِكْرُ النَّاسِ .

قال الفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ : ذِكْرُ النَّاسِ دَاءٌ ، وَذِكْرُ اللَّهِ شِفَاءٌ .

سمع قتيبة بن مُسلم رجلاً يغتاب آخر ، فقال : لقد مضت مضغة طالما
لَفِظَهَا الْكَرَامُ .

سمع أعرابي رجلاً يقع في الناس ، فقال : قد استدلت على عيوبك بكثرة
ذكرك لعيوب الناس ، لأنَّ الطالبَ لها يطلبها بقدر ما فيه منها .

قال الشاعر :

وَيَأْخُذُ عَيْبَ النَّاسِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ مُرَادٌ لَعَمْرِي مَا أَرَادَ قَرِيبٌ^(١)

وقال آخر :

وَأَجْرًا مِنْ رَأَيْتَ بظهِرِ غَيْبٍ عَلَى عَيْبِ الرِّجَالِ أَخُو الْعُيُوبِ^(٢)

وقال آخر :

فَكُلَّ عِيَابٍ لَهُ مَنَظَرٌ مُشْتَمِلٌ الثَّوبَ عَلَى عَيْبٍ^(٣)

(١) البيت للمستورد الغارجي كما في الكامل ٢/٢٦٧ ، وانظره في التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، زهر الآداب

٦٠/٣ .

(٢) معجم الأدباء ١١/٢٧ . والكامل ٢/١٥١ ، البيان والتبيين ١/٧٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، وفيها : رب عياب .. ، البيان والتبيين ١/٧٥ .

كان يقال : ظلم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه .

قال أبو عاصم النبيل : لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارعَوْن^(١) » عن ذكر الفاسق بما فيه يعرفه الناس .

قال الحجاج بن الفرافصة^(٢) : قلت لمجاهد : الرجل يكون وقاعاً في الناس ، فأقع فيه ، أله غيبة ؟ قال : لا . قلت : من ذا الذي تحرّم غيبته ؟ قال : رجلٌ خفيفُ الظهر من دماء المسلمين ، خيمص^(٣) البطن من أموالهم ، أخرسُ اللسان عن أعراضهم ، فهذا حرامُ الميتة ، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له ، ولا غيبة فيه .

قال رجل لعمر بن عبّيد : إني لأرحمك مما يقول الناسُ فيك . قال : فما تسمّني أقول فيهم ؟ قال : ما سمعتك تقول إلا خيراً . قال : إياهم فارحم .

قال عتبة بن أبي سفيان لابنه^(٤) عمرو : يا بُنَيَّ ! نزه نفسك عن الخنا ، كما تنزه لسانك عن البذاء ، فإن المستمع شريك القائل .

وهذا عندي مأخوذ من قول كعب بن زهير :

إن كنت لا ترهبُ عن ذمّي لما تعرف من صفحي عن الجاهل

(١) : أترغبون .

(٢) : يوسف ، وهو تحريف .

(٣) : ب : خفيف .

(٤) : ب : لأبيه .

فَاخْشَ سُكُوتِي إِذْ أَنَا مُنْصِتٌ فَيْكَ لَمَسْمُوعٍ خَنًا الْقَائِلِ
 فَالَسَّامِعُ الذَّمَّ شَرِيكَ لَهُ وَمُطْعِمُ الْمَأْكُولِ كَالْأَكْلِ
 مَقَالَةُ الشَّوْءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْجِدِ سَائِلِ
 وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذِمَّةٍ ذِمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
 فَلَا تَهْجُ إِن كُنْتَ ذَا رِيَّةٍ حَرْبَ أَخِي التَّجْرِبَةِ الْعَاقِلِ
 فَإِنَّ ذَا الْعَقْلِ إِذَا هِجَّتْهُ هِجَّتْ بِهِ ذَا حَبْلِ حَابِلِ
 يَبْصُرُ فِي عَاجِلِ شِدَاتِهِ عَلَيْكَ غِيبُ الضَّرَرِ الْآجِلِ^(١)

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

فَلَوْ شِئْتُ أَذْلَى^(٢) فَيْكَمَا غَيْرُ وَاحِدٍ عَلَانِيَةً أَوْ قَالَ عِنْدِي فِي السَّرِّ
 فَإِنْ أَنَا لَمْ أَمُرْ وَلَمْ أَنَّهُ عَائِبًا ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَلِجَ وَيَسْتَشْرِى^(٣)

ومن هذا أيضاً قول محمود الوراق :

تَحَرَّ مِنْ الطَّرْقِ أَوْسَاطَهَا وَعَدَّ عَنِ الْجَانِبِ^(٤) الْمُشْتَبَهَ
 وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيهِ كَهَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ^(٥) بِهِ
 فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيهِ حِجَّ شَرِيكَ لِقَائِهِ^(٦) فَانْتَبَهَ^(٧)

(١) ديوانه ١٢٤ ، المقدم ٢/٤٤٤ .

(٢) ب : أذنى .

(٣) البيتان مع أبيات أخر في عيون الأخبار ١/٢٧٢ ، البيان ١/١٦٨ .

(٤) ب : الموضع .

(٥) أ : القول .

(٦) نسبت هذه الأبيات في معجم الأدباء ١٠/١٦٣ إلى الحسين بن محمد النواجي المصري المتوفى سنة ٥٠٠ هـ .

قالت الحكماء : حسبك من شرِّ سماعه .

قال الله عز وجل : ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسُّعْتِ ﴾^(١) .

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه ، قال لى أبى : إني أرى أمير المؤمنين - يعني عمر - يُذنيك ويقرُّبك ، فاحفظ عني ثلاثاً : إياك أن يجرب عليك كذبة ، وإياك أن تُفشي له سراً ، وإياك أن تغتابَ عنده أحداً ، ثم قال : يا عبد الله ! ثلاثاً وأتى ثلاث . فقال له رجل : يا ابن عباس ! كلُّ واحدةٍ خير من ألف . فقال : بل كلُّ واحدةٍ خير من عشرة آلاف .

قال عبد الصمد بن المعتز :

قَدْ هَجَرْنَا مَجْلِسَ الْغِيَةِ هِجْرَانِ الثَّقَالِ^(٢)
 الْفَتَّةُ عَصِيَّةٌ نَوْ كَى لِقِيلٍ وَلِقَالِ
 رَبِّ مَنْ يَشْجِيهِ ذَكَرَى^(٣) وَهُوَ لَا يَجْرِي بِبَالِي
 قَلْبُهُ مَلَأَتْ مِنْ خَوْ فِي وَقَلْبِي مِنْهُ خَالِ^(٤)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يُؤمن بالله واليوم الآخر فلا يرفع

إلينا عورة مسلم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قتات »^(٥) .

(١) سورة المائدة ٤٢ .

(٢) ب : الثقال .

(٣) ب : أمرى .

(٤) محاضرات الأدباء ١/ ١٢٢ ، ١٨٨ .

(٥) القتات : النمام أو الذى يسمع حديث الناس من حيث لا يفلمون .

وقال عليه السلام : « إياك ومهلك الثلاثة » قيل : وما مُهلك الثلاثة ؟ قال : « رجل سعى بأخيه المسلم فقتله ، فأهلك نفسه وأخاه وسلطانة » .

وقالوا : قبول السَّماية شرٌّ من السَّماية ، لأن السَّماية دَلالة والقبول إجازة .
قال يحيى بن أبي كثير : يُفسد النَّمام والكذابُ في ساعة ما لا يفسد السَّاحر في سنة^(١) .

قال سابق :

إِذَا الْوَاشِي بَغَى يَوْمًا صَدِيقًا فَلَا تَدَعِ الصَّدِيقَ لِقَوْلِ وَاشٍ^(٢)
وقول سابق هذا — والله أعلم — أخذه من قول معاذ بن جبل في قوله : إذا كان لك أخ في الله فلا تماره ، ولا تسمع فيه من أحد ، فربما قال لك ما ليس فيه فخال بينك وبينه .

تنقص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير علي بن أبي طالب ، فقال له أبوه : مهلا يا بني لا تنقصه ، فإن بني مروان شتموه ستين سنة ، فلم يزد الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين لم يبن شيئاً فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبني شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته .

كان يقال : المعرض بالناس اتقى صاحبه ، ولم يتق ربه .

قال الفرزدق :

تَصَرَّمَ عَنِّي وَدَّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَمَا خِلْتُ عَنِّي وَدَّهُمْ يَتَصَرَّمُ

(١) ب : يوم .

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٠ ، العقد الفريد ٢/٣٣٣ .

قوارصُ تأتيَنِي وَتَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطَرُ الْإِنَاءَ فَيَفْهَمُ^(١)

وقال يزيد بن الحكم الثقفى :

تُكَاشِرُ^(٢) مَنْ لَافَيْتَ لِي ذَا عَدَاوَةٍ وَأَنْتَ صَدِيقِي لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِيٍّ
بَدَأَ مِنْكَ غِشٌّ طَالَمَا قَدْ كَتَمْتَهُ كَمَا كَتَمْتَ دَاءَ ابْنِهَا أُمُّ مُدَوِيٍّ
جَمَعْتَ وَفُحْشًا غَيْبَةً وَنِعْمَةً ثَلَاثَ خِلَالٍ لَسْتُ عَنْهَا بِمُرْعَوِيٍّ^(٣)

وقال زياد الأعجم :

إِذَا لَقَيْتُكَ تُبْدِي لِي مَكَاشِرَةً وَإِنْ أَغْبَيْتَ فَأَنْتَ الْهَامِزُ اللَّمَزَةُ
مَا كُنْتُ أَخْشَى وَإِنْ طَالَ^(٤) الزَّمَانُ بِهِ حَيْفٌ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَفْتَنَ ابْنِي غَمَزَةً

وقال منصور الفقيه :

هَبْنِي تَحَرَّزْتُ مِنْ يَمِّ بِالْكِتْمَانِ
فَكَيْفَ لِي بِاحْتِرَاسِ مَنْ قَاتِلِ الْبَهْتَانِ

وقال أيضاً :

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْمُ وَلَيْسَ فِي الْكَذَّابِ حِيلَةٌ
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو لُ خَيْلَتِي فِيهِ قَلِيلُهُ^(٥)

(١) ديوانه ٧٥٦ ، وفيه : وما خلت باقى ودها يتصرم ، وفيه أيضاً : فتحتقرونها ، والقطر الآتى بدل الإناء ، وانظر حماسة البحتري ٢٠٧ ، وفيه : وما كاد عنى ودهم .

(٢) كاشره : ضحك لآله وبأسطه .

(٣) محاضرات الأدباء ٦١/١ ، عيون الأخبار ١٢/٢ ، وانظر الأغاني ٢٩٦/١٢ ، حماسة البحتري ٢٨١ ، وفيها : تصافح مكان تكاشر وستأتى الأبيات مع زيادة فيما يلى س ٤١٠ .

(٤) ب : يطل .

(٥) نسب البيتان فى المستطرف ١٠/٢ الى محمود بن أبى الجنوب ، وهى للفقيه كذا ذكر هنا ، وفى مجمع الأدباء ١٩/٢٩٠ .

قال موسى عليه السلام : يا ربّ إن الناس يقولون فيّ ما ليس فيّ ،
 (١) فاجعلهم يا ربّ يقولون فيما فيّ (١) . فأوحى الله تعالى إليه : يا موسى لم أجعل
 ذلك لنفسى ، فكيف أجعله لك .

قال المسيح عليه السلام : لا يُخْزِنُكَ قولُ الناس فيك ، فإن كان كاذباً
 كانت حسنة لم تعملها ، وإن كان صادقاً كانت سيئة (٢) عجبت عقوبتها .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : سيئاً .

بابُ البَغْيِ والحَسَدِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنبٍ هو أجدرُ أن يعجلَ اللهُ لصاحبه العقوبةَ في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة ، من البَغْيِ وقطيعة الرحم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا حسدتم فلا تبغُوا ، وإذا ظننتم فلا تُحَقِّقُوا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » .

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثةٌ لا يكاد يسلمُ منهم أحدٌ : الطَّيْرَةُ^(١) والحَسَدُ والظَّنُّ » . قيل : فما المخرجُ منهم يا رسولَ الله؟ قال : « إذا تطيرتَ فلا ترجع ، وإذا حسدتَ فلا تبغ ، وإذا ظننتَ فلا تحقق » .

روى عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال : لو بَنَى جَبَلٌ هَلِيَّ جَبَلٍ ، لَدُكَّ الباغِيُ منهما .

أخذه الشاعر فقال :

وَلَوْ بَغَى جَبَلٌ يَوْمًا عَلَى جَبَلٍ لَدُكَّ مِنْهُ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ

وقال آخر :

ذَرِ الْبَغْيَ إِنَّ الْبَغْيَ مُوبِقٌ أَهْلِهِ وَلَمْ يَعْدِمِ الْبَاغِيُ مِنَ النَّاسِ مَصْرَعًا

قال ممر بن الخطَّاب : ما كانت على أحدِ نعمةٍ إلا كان لها حاسدٌ ، ولو كان الرجلُ أقومَ من القَدَحِ لَوَجَدَ له غامزًا .

(١) هي ما يتشام به من الفأل الرديء .

قال ابن مسعود : لا تعادوا نعم الله عز وجل . قيل : ومن يُعادي نعم الله ؟
قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .

قال الحسن البصري : ليس أحد من خلق الله إلا وقد جعل معه الحسد ، ومن
لم يجاوز ذلك إلى البغى والظلم لم يتبعه منه شيء .

وعن أنس بن مالك أنه مرّ على ديار خربة خاوية ، قال : هذه أهلكها وأهلك
أهلها البغى والحسد ، إن الحسد ليطفئ نور الحسنات ، والبغى يصدّق ذلك أو
يكذّبه ، فإذا حسدتم فلا تبغوا .

قيل للحسن : يا أبا سعيد ! أيحسد المؤمن ؟ قال : لا أمّ لك ! أنسبت
إخوة يوسف .

قال بعض الحكماء : البغى من فروع الحسد ، وأقدم الناس على البغى من جهل
المعرفة بسرعة نصر الله لمن بغى عليه .

وقالوا : ثلاثة عائدة على فاعلها : البغى والمكر والنكث^(١) .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ
الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى
نَفْسِهِ ﴾^(٤) .

(١) النكث بالكسر : نقض العهد .

(٢) سورة يونس آية : ٢٣ .

(٣) سورة فاطر آية : ٤٣ .

(٤) سورة الفتح آية : ١٠ .

وقال يزيد بن الحَكَم :

إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهْبِجُ بِهِ ^(١) الْعَظِيمُ
وَالْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرَّتُهُ وَخِيمُ ^(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حسدَ إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب » . وقد ذكرنا كثيراً من الآثار المرفوعة وغيرها في الحسد عند قوله عليه السلام : « لا تحاسدوا » في كتاب « التمهيد » ، بما فيه كفاية والحمد لله .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أفضل ؟ قال : « المؤمن النقي ^(٣) القلب ، ليس فيه غل ولا حسد ^(٤) » .

كان يقال : أقبح الأشياء بالسلطان اللجاج ، وبالحكام الضجر ، وبالفقهاء سخافة الدين ، وبالعلماء إفراط الحرص ، وبالمقاتلة الجبن ^(٥) ، وبالأغنياء البخل ، وبالفقراء الكبر ، وبالشباب الكسل ، وبالشيوخ المزاح ، وبجماعة الناس التباغض والحسد .

(١) : يهاج به .

(٢) : البيتان في حاشية أبي تمام ٤٢/٢ ، حاشية البهري ٢٠٨ ، محضرات الأدباء ٧٦/٢ .

(٣) : ب : المحموم .

(٤) : ب : لأحد .

(٥) : ب : الحق .

كان يقال : كادت الفاقة تكون كفرًا ، وكاد الحسد يغلب القدر ، والهـم نصف الهرم ، والفقـر الموت الأكبر .

قال علي بن أبي طالب في خطبة خطبها على المنبر بالكوفة : ما لنا ولقریش ؟ بلى . لنا ولهم ، إن الله فضلنا فأدخلهم في فضلنا .

قال علي بن أبي طالب ، قال إبليس لجنوده : ألقوا بين الناس التحاسد والبنی ، فإنهما يعدلان الشـرك .

كان يقال : أول ما عصى الله به في السماء والأرض^(١) الحسد والحرص . ذهبوا إلى أن إبليس حسد آدم فلم يسجد له ، وحرص آدم على الخلود فأكل من الشجرة ، وحسد ابن آدم أخاه حين تقبل منه قربانه فقتله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احذروا ثلاثًا : الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والكبر فإنه حطَّ إبليس عن مرتبته ، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه » .

قال عمر بن أبي ربيعة :

وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ^(٢)

قال سابق :

جَنَى الضَّغَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَلَفُوا فَلَن تَبِيدَ وَلِلْآبَاءِ أَبْنَاءُ^(٣)

(١) ساقطة من ب .

(٢) ديوانه ١١٦/١ . وصدر البيت :

حسد حلته من أجلها

(٣) المستطرف ٢٥٠/١ ، وفيه سن بدل جنى ، وفي مجموعة المعاني ٦٥ : أحيا ، وقد تردد في نسبتها

هناك بين قيس بن عاصم ، وسابق البربري ، ونسب في حاسة البحري ١٨ لطريف بن ديسق التميمي .

قال أبو الدرداء : مكتوب في التوراة : إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه قراته وجيرانه.

كان يقال : الحسد في الجيران ، والعداوة في الأقارب .

قال ثُمَامَةُ بن الأَشْرَس (١) في أحمد بن خالد :

أَفَكَّرُ مَا ذَنْبِي لَدَيْكَ فَلَا أَرَى عَلَى سَبِيلَا غَيْرَ أَنَّكَ حَاسِدٌ
وَإِنَّا لَمَوْسُومَانِ كُلٌّ بِسِيْمَةٍ أَقْرَ مُقَرَّرٍ أَوْ أَبَى ذَاكَ جَاهِدُ

قال بكر بن عبد الله المزني : حَظُّكَ مِنَ الْبَاغِي حَسَنُ الْمَكَاشِرَةِ ، وَذَنْبُكَ إِلَى الْحَاسِدِ دَوَامُ النِّعْمَةِ .

قال الحُسَيْنُ الخَلِيع :

مَا لِلْحَسُودِ وَأَشْيَاعِهِ وَمَنْ كَذَبَ الْحَقَّ إِلَّا الْحَجَرُ

قال عبد الله بن المقفع : إن الحسد خلق دنيء ، وَمِنْ دَنَاءَتِهِ أَنَّهُ مُوَكَّلٌ بِالْأَدْنَى فَلْأَدْنَى .

قال يَزِيدُ بنُ الْحَكَمِ الثَّقَفِي :

تَكَاشَرْنِي كُرْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ قَلْبَكَ لِي دَوِي (٢)
بَدَا مِنْكَ عَيْبٌ طَالَمَا قَدْ كَتَمْتَهُ كَمَا كَتَمْتَ دَاءَ ابْنِهَا أُمُّ مَدَوِي (٣)

(١) ساقطة من ب .

(٢) كاشره : ضاحكه وباسطه ، ودوي كفرح : مرض ، ويقال : إنه لداء الصدر خصب .

(٣) ادوي : أكل الدواء ، وهي جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق ، وأم مدوي خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية ، فجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام فقال : أدوي يا أمي ؟ فقالت : اللجام معلق بعمود البيت . أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عاداته . وأرتها أنه يقصد إلى السير في الدو وهي الغلاة الواسعة .

لِسَانُكَ مَاذِي^(١) وَقَلْبُكَ عَلِقَ
 تَمَلَّاتٍ مِنْ غَيْظٍ عَلَى فَلَمْ يَزَلْ
 وَمَا بَرَحَتْ نَفْسٌ حَسُودٌ حُشِيَّتَهَا
 وَقَالَ النَّطَاسِيُّونَ إِنَّكَ مُشَعَّرٌ
 أَرَاكَ إِذَا لَمْ أَهْوِ أَمْرًا هَوِيَّتَهُ
 وَكَمْ مَوْطِنٍ لَوْلَايَ طِخْتُ كَمَا هَوَى
 عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إِنْ لَقِيْتُهُ

وفي رواية أخرى :

تَصَافَحُ مِنْ أَلْفَيْتَ لِي ذَا عَدَاوَةٍ وَأَنْتَ صَدِيقِي لَيْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِيٍّ

قال ابن الممتر :

مَا عَابَنِي إِلَّا الْحَسُوءُ وَالتَّحَدُّ
 وَالْخَيْرُ وَالْحَسَادُ مَقَّةً
 وَإِذَا مَلَكَتُ الْمَجْدَ لَمْ
 دُ وَتَلَكَ مِنْ خَيْرِ الْمَعَايِبِ
 رُونَانَ إِنْ ذَهَبُوا فَذَاهِبُ
 أَمْلِكُ مَذَمَّاتِ الْأَقَارِبِ

(١) الماذي : عمل النجل .

(٢) جوى : مريض بصدرة .

(٣) طخت : طاح يطيح ويطوح : هلك . هوى وانهوى : سقط . الأجرام : جمع جرم وهو الجسم .
 القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

(٤) انظر الأبيات مع اختلاف في روايتها في الأغاني ٢٩٦/١٢ . وانظر بعضها في محاضرات الأدباء ١/٦١ ،
 عيون الأخبار ١٢/٢ ، حماسة البحتري ٢٢٨ ، ورواية البيت الأخير فيها :

تود عدوى ثم تزعم أنني صديقك ليس الفعل منك بمستوى

وَإِذَا فَقَدْتُ الْحَاسِدِ نَفَقَدْتُ فِي الدُّنْيَا الْمَطَايِبَ^(١)

وَأَنشَدَ ابْنُ عَائِشَةَ :

خَلِيلِي إِنِّي لِلثَّرِيَّا لِحَاسِدٍ وَإِنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ لَوَاحِدٌ
أَجْمَعُ مِنْهَا شَمْلَهَا وَهِيَ سَبْعَةٌ^(٢) وَأَفْقِدُ مِنْ أَحَبِّتِهِ وَهُوَ وَاحِدٌ^(٣)

وَقَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :

كَيْفَ تَرْجُونَ سُقُوطِي بَعْدَمَا عَمَّمَ الرَّأْسَ بَيَاضٌ وَصَلَمَ
بُدْسَ مَا ظَنُّوا وَقَدْ عَرَفْتُهُمْ عِنْدَ غَايَاتِ الْمَدَى كَيْفَ أَقَعُ
رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا صَدْرَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَمْ
وَيَرَانِي كَالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِرًا مَخْرَجُهُ مَا يُنْتَزَعُ
مُزِيدًا يَخْطِرُ مَا لَمْ يَرِنِي فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي انْفَقَعَ
لَمْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهُوَ يَرْقُو مِثْلَ مَا يَرْقُو الضُّوعُ
وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعَ
قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ وَإِذَا مَا يَكْفِي شَيْئًا لَمْ يُضَعْ^(٤)

(١) يروى : المناقب بدل المايب ، والمجد بدل الخير ، ومودات بدل مذمات ، والأطايب بدل المطاييب . وانظر الأبيات في ديوانه ٢٥٦ ، المختار من شعر بشار ٦٩ ؛ محاضرات الأدباء ١٢٠/١ ، ٢١٤ .

(٢) ١ : أبقى جميعا شملها وهي ستة .

(٣) هي للمهلبى الوزير ، انظر التمثيل والمحاضرة ٢٣٤ .

(٤) يروى : سقاطي ، وجلل بدل عمم وقلبه مكان صدره ، وانقمع مكان انفق .

الزبد الذى ملأ فيه الزبد من الحديث العالى ، يخطر : يتبختر . يرقو : يصيح ، الضوع : ذكر البوم . وانظر الأبيات ما عدا الثاني في عيون الأخبار ١٠/٢ ، الشعر والشعراء ٣٨٥ .

وقال أبو الأسود الدؤلي ، ويقال إنها للعرزمي :

تَلَقَى اللَّيْبَ مُحْسَدًا لَمْ يَجْتَرِمِ شَتَمَ الرِّجَالِ وَعِرْضُهُ مَشْتُومٌ
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالنَّاسُ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومٌ^(١)

وقال المرارُ الفقعسي :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ مَالِي وَكَثْرَتِهِ قَدْ يَقْتَرُ الْمَرْءُ يَوْمًا وَهُوَ مُحَمَّدٌ
أَمْضَى عَلَى سُنَّةٍ مِنْ وَالِدٍ سَلَفَتْ فِي أَرْوَمَتِهِ مَا يَنْبَتُ الْعُودُ
مُطَالِبٌ بَتَرَاتٍ غَيْرِ مُدْرِكَةٍ مُحْسَدٌ وَالْفَتَى ذُو اللَّبِّ مُحْسُودٌ

وقال أبو الطيب :

أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ
سِوَى وَجَعِ الْحَسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَزُولُ
وَلَا تَطْمَعَنَّ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا لَهُ وَتَنْيِلُ^(٢)

وقال ليبدُ بن عطارِ بن حاجب التميمي :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ لَا أَرْتَقِي صُعْدًا فِيهَا وَلَا أَرِدُ^(٣)

(١) ديوان أبي الأسود ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/ ١٢٤ ، وفيات الأعيان ٢/ ٤٥٥ عيون

الأخبار ٩/ ٣ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ .

(٣) الأبيات في شرح حماسة أبي تمام ١/ ٣٨١ ، وقد نسبت في معجم الشعراء مرة إلى السكيت بن

معروف الأسدي ص ٣٤٧ ، ومرة إلى أبي بكر العرزمي ص ٤١٧ . وانظرها في الكامل ٢/ ٩٨ : عيون الأخبار

١٠/ ٢ بدون نسبة .

وقال عمار بن عَقِيل بن بلال بن جرير :

ما ضَرَّنِي حَسَدُ اللّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُو النُّقْصَانِ

وقال مروان بن أبي حفصة :

ما ضَرَّهُ ^(١) حَسَدُ اللّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُو النُّقْصَانِ ^(٢)

قال معاوية بن أبي سفيان : كل الناس أَرْضِيته إِلَّا حاسد نعمة ، فإنه لا يَرْضِيهِ

إِلَّا زَوَالَهَا

أَخَذَهُ الشَّاعِرُ فَقَالَ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى ^(٣) إِمَاتَتُهَا إِلَّا عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ ^(٤)

قال معاوية بن أبي سفيان : ليس في خلال الشر أشر من الحسد ، لأنه قد يقتل

الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

كان يقال : الحاسد إذا رأى نعمة بُهِت ، وإذا رأى عثرة شمت .

قال الخليل بن أحمد : لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد .

قال محمود الوراق :

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَا ^(٥) إِلَّا الْحُسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي

(١) ب : ما ضرنى .

(٢) محاضرات الأدباء ١/١٢٤ .

(٣) ب : ترجو .

(٤) عيون الأخبار ١٠/٢ .

(٥) أ : الدنيا .

لَا أَنْ لِي ذَنْبًا لَدَيْهِ عِلْمُهُ
يَطْوِي عَلَى حَقِّ حَشَاةٍ لِأَنْ رَأَى
مَا إِنْ أَرَى يُرْضِيهِ إِلَّا ذَلَّتِي
إِلَّا تَظَاهَرَ نِعْمَةُ الرَّحْمَنِ
عِنْدِي كَمَالٍ غِنَى وَفَضْلٍ بَيَانٍ
وَذَهَابُ أَمْوَالِي وَقَطْعُ لِسَانِي
وقال آخر :

إِنْ (١) يُكْثِرِ اللَّهُ حُسَادًا لَهُمْ فَعَلَى
مَقْدَارٍ مَا كَثُرَتْ فِيهِمْ مِنَ النِّعَمِ
وقال محمد بن زياد الحارثي :

إِذَا مَا حَمَلَتْ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ
فَدَعِ لِحُسُودٍ بَعْدَ ذَلِكَ خُطَّةً
لَكَ الْأَجْرُ وَالْمَهْنَى وَلِلْحَاسِدِ الَّذِي
يَحِقُّ عَلَيْكَ شُكْرُهَا وَاحْتِمَالُهَا
يَكُونُ عَلَيْهِ هَمُّهَا وَوَبَالُهَا
يَكِيدُكَ فِيهَا جُرْمُهَا وَنِكَالُهَا
وقال آخر :

تَمَنَّى لِي الْمَوْتَ الْمُعْجَلُ خَالِدٌ
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدُهُ (٢)
وقال نصر بن أحمد :

كَأَنَّمَا الدَّهْرُ قَدْ أَغْرَى بِنَا حُسَدًا
وَنِعْمَةُ اللَّهِ مَقْرُونٌ بِهَا الْحَسَدُ
وقال آخر :

إِنَّ الْعَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحْسَدَةٌ
وَلَنْ تَرَى لِلنَّاسِ حُسَادًا (٣)

(١) : ١ : لَنْ .

(٢) البيت لأبي بن حمام العبسي ، انظر المؤلف والمختلف ٩١ ، حياصة أبي تمام ١٦٩/١ .

(٣) البيت للغيرة بن حبناء شاعر آل المهلب ، انظر معجم الشعراء ٣٦٩ ، محاضرات الأدباء ١٢٤/١ .

وقال آخر :

مُحْسِدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعْمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ عَنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا^(١)

وقال آخر :

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَادِي ذَوُو عَدَدٍ يَا ذَا الْمَعَارِجِ لَا تُنْقِصْ لَهُمْ عَدَدًا^(٢)

وقال بشار العقيلي :

فَاللَّهِ أَسْأَلُهُ إِذْوَامَ دَائِهِمْ وَأَنْ يُدِيمَ لَنَا مَا يُوجِبُ الْحَسَدَا^(٣)

وقال أيضا :

قَدْ أَذْهَبَ الدَّاءُ حُسَادِي بِكَثَرَتِهِمْ
لَا عِشْتُ خِلَؤًا مِنَ الْحُسَادِ إِنَّهُمْ
أَبَقَى لِي اللَّهُ حُسَادِي وَغَمَّهُمْ
وَلَوْ فَنُوا عَزَّ دَائِي مِنْ يُدَاوِينِي
أَعَزُّ فَقْدًا مِنَ اللَّائِي أَحَبُّونِي
حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءٍ غَيْرِ مَكْنُونٍ^(٤)

وقال محمود الوراق :

لَا تَحْسُدَنَّ أَخَاكَ وَارْ
عَ لَهُ عَلَى الْأَيَّامِ عَهْدَهُ
حَسَدُ الصَّدِيقِ صَدِيقُهُ وَأَخَاهُ مِنْ سَقَمِ الْمَوَدَّةِ

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتُ أَتَّاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه ١٨٢ ، جبهة أشعار العرب ٢٥ ، العقد الفريد ١/ ٣٢٧ .

(٢) البيت لنصر بن سيار ، انظر المستطرف ١/ ٢٥٤ .

(٣) المختار من شعر بشار ٦٦ .

(٤) المختار من شعر بشار ١١٢ .

(١) لَوْ لَا اشْتَعَالَ النَّارُ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرِفُ فَضْلُ عَرَفِ الْعُودِ (١)

وقال أبو القاسم الداعية : أدنى الأعراض عرض لا يرتع فيه ذم .
ولأحد بنى الطيفان (٢) :

وَمَوْنِي كَمَوْنِي الزَّبْرَقَانِ دُمْلَتُهُ كَمَا دُمِلَتْ سَاقُ يَهَاضٍ بِهَا كَسْرُ
تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنِيهِ إِنَّ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفَرُّ

وقال ابن أبي طاهر (٣) :

يَا حَاسِدًا فَضْلَ امْرِئٍ سَيِّدٍ أَصْبَحَ قَدْ أَحْسَنَ فِي فِعْلِهِ
لَا زِلْتَ إِلَّا بَاغِيًا حَاسِدًا لِكُلِّ ذِي نُبْلِ عَلَى نُبْلِهِ
وَزَادَ مِنْ تَحْسُدِهِ نِعْمَةً دَائِمَةً تَبْقَى عَلَى مِثْلِهِ
وَلَمْ يَزَلْ ذُو النَّقْصِ مِنْ نَقْصِهِ يَحْسُدُ ذَا الْفَضْلِ عَلَى فَضْلِهِ

وقال أبو فراس الحمداني ، وهو الحارث بن سعيد بن حمدان :

لِمَنْ (٤) جَاهَدَ الْحُسَادَ أَجْرُ الْمَجَاهِدِ وَأَعْجَزُ مَا حَاوَلْتَ إِرْضَاءَ حَاسِدِ
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْيَوْمِ أَكْثَرَ حَاسِدًا كَأَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ فِي قَلْبِ وَاحِدٍ (٥)

(١) ساقط من ١ ، وهما في ديوانه ٤٣ .

(٢) ١ : أحمد بن الضيفان ، تحريف ، فالبيتان لخالد بن علقمة بن انطيفان ، انظر المؤلفات والمختلف ١٤٩ .

(٣) هو أحمد بن طيفور (أبي طاهر) الحراساني ، أحد الكتّاب البلغاء ، والمؤلفين المسكّرين ،

والمؤرخين الرواة ، وله شعر قليل . ترجمته في تاريخ بغداد ٢١١/٤ ، معجم الأدباء ٨٧/٣ .

(٤) ب : لئن .

(٥) ديوانه ٨١ .

باب السُّبَابِ وَالْمُشَاتَمَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ
الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ ^(١) » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمَتَسَابِّانُ مَا قَالَا ، فَعَلَى الْبَادِي مَا لَمْ
يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ » .

قال بعض الحكماء : مَا اسْتَبَّ رَجُلَانِ إِلَّا غَلَبَ الْأَمَهُمَا ^(٢) .

قال الزُّبَيْرُ قَانُ بْنُ بَدْرٍ : خُصِمَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي أَمْرِ الشَّوْءِ : شِدَّةُ السَّبِّ ،
وَكثْرَةُ اللَّطَامِ ^(٣) .

كان يقال : الْغَالِبُ فِي الشَّرِّ مَغْلُوبٌ .

شَتِمَ رَجُلٌ أَبَا ذَرٍّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ^(٤) ؟ لَا تُفَرِّقَنَّ فِي شَتْمِنَا وَدَعْ لِلصَّالِحِ مَوْضِعًا ،
فَإِنَّا لَا نَكْفِيكَ مِنْ عَصَى اللَّهِ فِينَا ، بَأْكَثَرٍ مِنْ أَنْ نَطِيعَ اللَّهَ فِيهِ .

قال أبو مسلم صاحب الدِّمَوِّ ، عُصْبَةُ الْأَشْرَافِ تَظْهَرُ بِأَفْعَالِهَا ، وَعُصْبَةُ الْأَدْنِيَاءِ
تَظْهَرُ بِالسَّنَتِهَا .

(١) ساقطة من أ .

(٢) أ ، السَّنَمَا .

(٣) ب اللطام ، ولم أعثر على معنى لها ، واللطام : ضرب صفحة الوجه ، ويحتمل أن تكون اللطم بالضاد :

ومعنى المنف والإلحاح .

(٤) ب : مَا هَذَا .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله جعل الحق على لسان
عمر وقلبه » .

كان يقال : ظنُّ الحكيم كهانة . ويروى هذا للمعاوية رضى الله عنه .
سئل بعضُ العرب عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظنُّون ، ومعرفةُ ما لم يكن
بما كان .

قال علي بن أبي طالب : لله درّ ابن عباس ! إنه لينظر إلى ^(١) الغيب من
ستر رقيق .

قال بلعاء بن قيس :
وأبغى صوابَ الظنِّ أعلمُ أنه إذا طاشَ ظنُّ المرءِ طاشتْ مَقادِرُهُ ^(٢)
وقال أوس بن حجر :

الأُمعَى الذي يظنُّ بك الظنَّ ^(٣) كَأَن قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا ^(٤)

كان يقال : صحة الظن أول اليقين ، أخذه سعيد بن حميد فقال :
أهاُبك أن أدلَّ عليك ظناً لأنَّ الظنَّ مفتاحُ اليقين ^(٥)
وقال آخر :

يَظُنُّ فَلَا يَمْدُو الضِّمِيرَ كَأَنَّمَا لَهُ فِي الْأُمُورِ الْغَائِبَاتِ رَقِيبٌ

(١) ساقطة من أ .

(٢) نسب البيت في حماسة البهتري ٤٠٣ إلى عفرس بن جبهة السكلابي ، وانظره في مجموعة المماني ٢١٠ ،
المؤلف ١٠٦ ، فصل المقال ١٢٨ ، البيان ٣١٨/٢ ، عيون الأخبار ٣٥/٢ .

(٣) ديوانه ٨ ، البيان ٣٨١/١ ، معجم الأدباء ١٨٢/٦ ، ١٤٢/١٠ ، نوادر القالي ٢٤ ، حماسة البهتري ٤٠٣ .

(٤) عيون الأخبار ٣٥/١ . بدون نسبة ، وفيها : أصولك أن أظن .

وقال كثير بن عبد الملك :

رَأَيْتُ أَبَا الْوَلِيدِ غَدَاةَ جَمْعٍ بِهِ شَيْبٌ وَمَا فَقَدَ الشُّبَابَا
ولكن تحت ذاك الشَّيْبِ عَزَمٌ إِذَا مَا ظَنَّ أَمْرَضَ أَوْ أَصَابَا^(١)

وقال آخر :

وَإِنِّي لَطَرْفِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ فَقَدْ كَدْتُ لَا يَخْفَى عَلَى ضَمِيرٍ^(٢)

وقال عبد الله بن محمد الأشبوني^(٣) :

ذِكْرِي يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ بَظَنَّهُ كَأَنَّ لَهُ غَيْبًا عَلَى غَامِضِ السَّرِّ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بَعْنِ قَدْ عَوَّدَكَ حَسَنًا أَمْسُ وَسَوَى أَوْدَكَ
إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكَ^(٤)

سمع أعرابي رجلا يقول : إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه . فقال الأعرابي : إن الكريم إذا تولى^(٥) شيئا أحسن فيه .

قال ابن عباس رضي الله عنه : الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل .

(١) نسب البيتان في الأماشي ٩٤/٢ إلى مسعود بن بشر المازني، وانظر البيان ٢٨١/٣، والرواية هناك : وقد فقد الشبابا، وإذا ما ظن أعرض، وأمراض معناها : قارب الصواب، ومنه : إنه ليمرض في القول إذا لم يصرح .

(٢) البيت لأبي نواس، ديوانه ٩٩ .

(٣) ١ : الأسنوني، وهو تحريف، والصحيح أنه منسوب إلى الأشبونة، وهي مدينة غربي باجة على ساحل البحر، انظر صفة جزيرة الأندلس من الروض المطار ١٢ .

(٤) محاضرات الأدباء ٢٤٩/١ .

(٥) ب : ولي .

قيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته ، وضاعت
مقدرته ، وبعدت همته ، وأسوأ منه حالا : من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولم يثق به
أحد لسوء فعله .

قال غيره من الحكماء : حسب البعيد المهمة أن تكون غايته الجنة .

قال أبو المتاهية :

الظَّنُّ يُخْطِئُ تَارَةً وَيُصِيبُ^(١)

وقال آخر :

وَإِنِّي بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ لَوَائِقُ وَلَكِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ

قال المتنبي :

إِذَا سَاءَ فَعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَتَّذُّهُ مِنْ تَوَهُّمٍ^(٢)

قال ابن هرمة :

وَحَسْبُكَ تَهْمَةٌ لَنْصِيحٍ^(٣) قَوْمٍ يَدُّ عَلَى أَخِي غَدْرٍ جَنَاحًا

قال أبو حازم : المقلُّ التجارب ، والحزمُ سوء الظن .

قال الحسن البصري : لو كان الرجل يصيب ولا يخطئ ، ويحمد في كل ما يأتي

لداخله^(٤) العجب .

(١) عجز بيت صدره : وجميع ما هو كائن فريب . ديوانه ٢٠ .

(٢) ديوانه ٣٩١ ، معاضرات الأدباء ١٤١/١ ، ١٠/٢٤ ، وقد نسب في البيعة ٧٧/١ للأبي فراس الحمداني .

(٣) ب : في نصيح ، والبيت في الحماسة لأبي تمام ٢٢٤/٢ والرواية فيها :

وحسبك تهمة يرى قوم يضم على أخي سقم جناحا

(٤) ب : تداخله .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أفرسُ الناسِ كلُّهم — فيما علمتُ —
ثلاثة : العزيزُ في قوله لامرأته حين تفرسَ في يوسف : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾^(١) ، وصاحبةُ موسى حين قالت : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ
خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^(٢) . وأبو بكر حين تفرسَ في عمر رضى الله
عنهما فاستخلفه .

نظر إياسُ بنُ معاوية يوماً ، وهو بواسط ، في الرحبة إلى آجرة ، فقال : تحت
هذه الآجرة حية ، فزعوا الآجرة فإذا تحتها حيةٌ منطوية ، فسئل عن ذلك ،
فقال : إننى رأيت ما بين الآجرتين ندياً من بين تلك الرحبة ، فعلمت أن تحتها
شيئاً يتنفس .

قال عمرو بن بحر : إذا نظر الأعرابي إلى موضعٍ منتفخ^(٣) في أرضٍ مستوية ،
فإذا رآه يتصدع في تهيل ، وكان تفتحه مستويًا علم أنها كمأة ، وإن خلط في
التصدع والحركة علم أنها دابة ، فاتق مكاها .

نظر إياسُ بن معاوية يوماً إلى صدع في الأرض ، فقال : في هذا الصدع دابة .
فنظروا فإذا فيه دابة ، فقال : إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات .

قال معن بن زائدة : ما رأيت قفا رجل قطّ إلا عرفت عقله ، فقال له الفضل بن
شهاب : فإن رأيت وجهه ؟ قال : فذلك^(٤) حينئذ في كتاب أقرأه .

(١) سورة يوسف ٢١ .

(٢) سورة القصص ٢٦ .

(٣) ب : منتفخ .

(٤) ساقطة من أ .

ومر إياس بن معاوية ذات يوم بماء ، فقال : أسمع صوت كلب غريب ، قيل له : كيف عرفت ذلك ؟ قال ، بخضوع صوته وشدة نباح غيره من الكلاب . قالوا : فإذا كلب^(١) غريب مربوط ، والكلاب تنبحه . وأما قول العماني^(٢) :

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُكْلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْتَهُ سِوَادُهَا
فَالْحُكْلُ : كل من لم يكن له صوت تستبان مخارجه ، أو كلام يفهم من الجواب كله . وأما قوله : تُسَاوِدُ فمعناه تُسَارُّ ، والسَّوَادُ : السَّرار ، ومنه قول ابنة الخس^(٣) :
عماني على هذا قرب الوساد ، وطول السَّوَاد .

وفي حديث ابن مسعود : تعالى أساودك ، أي أسارك . قال وهب بن منبّه : خصلتان إذا كانتا في الغلام رجيت نجابته : الرّهبة والحياء .

قال غيره : إذا استثقل^(٤) الصبي الأدب ، وضج من الحصر إلا أنه إذا حفظ وعى ، وإذا فهم أدّى ، كان ذلك ممن يرجى .

قال غيره : إذا كان الغلام حازماً^(٥) في الخلاء ، فظيع اللسان في الملاء ، ينفضُ سالتعليم ، ويواربُ المعلم ، ويقدم أباه على أمه ، ويؤخر خاله على عمه ، وكنيته أحبُّ إليه من اسمه ، فإنه يرجى خيره ويُنتظر عزّه .

(١) ساقط من أ .

(٢) العماني : محمد بن ذؤيب العماني البصري ، كان شاعراً راجزاً ، وكان لطيفاً ذاهية مقبولا لدى العظماء أوصله عبد الملك بن صالح إلى الرشيد ، فأفاد منه مالا جزيلا . انظر ترجمته والبيت في البيان ٥٦/١ .

(٣) اسمها هند وهي امرأة من إباد ورد عنها كثير من الأمثال ، وكانت معروفة بالفصاحة . وقد قيل إنها انصتت بعبد لها ، فاما سئلت عما حمّلها على ذلك أجابت بذلك القول .

(٤) ب : استقل .

(٥) ب : عازبا .

وقال ابن الزيات : إذا رأيت الصبي يُحب^(١) عاجل المكروه من غير أن يعرف عاجل المنفعة^(٢) فهو مضعوف . قاله إذ رأى ابنه^(٣) عمر يحب الكتاب فاعتَم له ، فسئل عن ذلك ، فقال ما ذكرنا ، قال أبو عمر رضى الله عنه : قوله عندي هذا ليس بشيء .

وقال غيره : يُستدل على نجابة الصبي بشيئين : الحياء ، وحب الكرامة ، أما الحياء فهو خير كله ، وأما حب الكرامة فيدعو إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل .

قال عمرو بن العاص : أنا للبديهة ، ومعاوية للأناة ، والمغيرة للممضلات ، وزياد لصغار الأمور وكبارها .

أراد يوسف بن عمر بن هبيرة أن يولى بكر بن عبد الله المزني القضاء ، فاستمفاه ، فأبى أن يعفيه ، فقال : أصلح الله الأمير ، ما أحسن القضاء ، فإن كنت كاذباً فلا يحل لك أن تولى الكاذبين ، وإن كنت صادقاً ، فلا يحل أن تولى من لا يحسن .

قال رجل من الأعراب ضرير النظر^(٤) لابنته ، وهي تقوده في المرعى : يا بنية انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها قرون المعزى . قال : ارعى . فرعت ساعة ، فقال : انظري كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها خيل دم تجرّ جلالها^(٥) . قال :

(١) ب : يحب .

(٢) ب ثم المعرفة .

(٣) ب : أباه .

(٤) ب : البصر .

(٥) الجلال : ما تلبسه الدابة لتصان به .

ارعى . فرعت ساعة ، ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأن الرباب نعام
تعلق بالأرجاء^(١) من السماء ، قال : ارعى . ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ؟
قالت . ابيضت واسودت ودنت^(٢) فكأنها عينٌ نفسٍ تطرف^(٣) . قال : أنجى
ولا أراك ناجية .

قال الشاعر :

أَكَلْتُ وَمِيزَ بَارِقَةٍ كَذُوبُ أَمَّا فِي الدَّهْرِ شَيْءٌ لَا يُرِيبُ^(٤)
أشار ضيف لقوم إلى بنت لهم لتقبله^(٥) ، فقالت والله إنى إذا أطويل العنق .
فسمعها الشيخ ، فقال : أشار والله إليها لتقبله^(٦) .

للبيد أو للبعيث :

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ^(٧)

(١) الرباب : السحاب الأبيض ، واحده ربابة ، وفي ب : تعليق بأرجله .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيت لأبي الفرج البغدادى ، انظر التمثيل والحاضرة ١١٧ ، نهاية الأرب ١٠٦/٣ .

(٤) ب : بقبله .

(٥) يروى : الضوارب بالحصى ، وهو للبيد ، ديوانه ٥٨ ، وقد نسب لطرفة في جمهرة أشعار العرب .

بَهْجَةُ الْمُجَالِسِ، وَأَنْسُ الْمُجَالِسِ وَشَحَذُ الذَّاهِنِ وَالْهَاجِسِ

تأليفُ

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الثاني
من القسم الأول

تحقيقه

محمد مرسي البخولي

باب الظنّ والزكّاة^(١)

قد تقدّم في الباب الذي قبل هذا ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ظننتم فلا تحققوا » .

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُفْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾^(٢) .
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظنّ ، فإن الظنّ أكذب الحديث » .

قال عمر بن الخطاب : لا يحل لأمرئ مسلم سماع^(٣) من أخيه كلمة أن^(٤) يظن بها سوءاً ، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجاً .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا ينتفع بنفسه من لا ينتفع بظنه .
قال عليّ بن أبي طالب : حُسن الظنّ بالله ألا ترجو إلا الله ، ولا تخاف إلا ذنبك .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتنّ أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله » .

قال الحسن البصريّ : إنّ المؤمن إذا أحسن الظنّ أحسن العمل .
قال أبو مسلم الخولاني : اتّقوا ظنّ المؤمن ، فإن الله جعل الحقّ على لسانه وقلبه .

(١) الزكّاة : الفهم والفرس والظن ، أو هي ظن بمنزلة اليقين .

(٢) سورة النجم ٢٨ .

(٣) ب : يسمع .

(٤) ساقط من ب

قال عبد الله بن عباس : كفى بك ظلمًا^(١) ألا تزال مخاصمًا ، وكفى بك إثما
ألا تزال مماريًا .

وعن ابن مسعود : قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : ما أمارى أخى أبداً ، لأنى
أرى أنى إما أن أكذبه وإما أن أغضبه .

قال عبد الله بن حسين^(٢) بن علي رضي الله عنهم : المراء رائدُ الغضب ،
فأخزى^(٣) الله عقلا يأتيك به الغضب .

قال محمد بن علي بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتُنبتُ الشَّحْناء في
صدور الرجال .

كان يقال : لا تمارِ حليماً ولا سفيهاً ، فإن الحليم يغلبك ، والسفيه يؤذيك .

قيل لعبد الله بن حسن بن حسين^(٤) : ما تقول في المراء ؟ قال : يفسد الصداقة
القديمة ، ويحلّ العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون دريئة^(٥) للمغالبة ، والمغالبة
أمتن^(٦) أسباب القطيعة .

قال عبد الله بن عباس لمعاوية : هل لك في المناظرة فيما زعمت^(٧) أنك خاصمت^(٨)

(١) ب : ظالماً . (٢) ساقط من أ .
(٣) ب : فأخذ . (٤) ساقط من أ .
(٥) ب : ذرية ، والمريئة : ما يستتر به من الصيد ليختل .
(٦) أ : رغبت . (٨) أ ، ب : خصمت .

فيه أصحابي؟ قال: وما تصنع بذلك؟ أشغب بك وتشغب بي، فيبقى في قلبك^(١) ما لا ينفعك، ويبقى في قلبي ما يضرك^(٢).

قال إبراهيم التيمي: إياكم والمخاصمات في الدين، فإنها تحبط الأعمال.

قال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التثقل

قال الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شرّاً ألزمهم الجدال، ومنهمم العمل.

قال ابن أبي الزناد: ما أقام الجدل شيئاً إلا كسره جدلٌ مثله.

وقد أفردنا في كتاب « بيان العلم » باباً فيما تجوز فيه المناظرة والجدال، وباباً فيما تكره فيه المناظرة والمجادلة، وأوردنا فيهما من الآثار عن السلف وأئمة الخلف ما فيه كفاية وبيان، والحمد لله وهو المستعان.

قال الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: من لاحى الرجال وماراهم قلت^(٣) كرامته، ومن أكثر من شيء عرف به.

وقال مسعر بن كدام الهلالي يوصي ابنه كداما:

إِنِّي مَنَحْتُكَ يَا كِدَامُ نَصِيحَتِي	فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِي عَالِيكَ شَفِيقِ
أَمَّا الْمُرَاحَةُ وَالْمِرَاةُ فَدَعِيهُمَا	خُلُقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِ
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْدَهُمَا	لِمُجَاوِرِ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقِ

(١) ١: ذلك

(٢) ب: ما لا يضرك.

(٣) ١: كثرت.

والجهل يُزرى بالفتى في قومه وعُرُوقُهُ في الناسِ أَيُّ عُرُوقٍ^(١)

وقال مصعب الزيرى :

أَقْعُدُ بَعْدَمَا وَجَفَتْ^(٢) عِظَامِي وَكَانَ الْمَوْتُ أَقْرَبَ مَا يَلِينِي
أَجَادِلُ كُلَّ مُعْتَرِضٍ خَصِيمٍ وَأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضًا لِدِينِي
فَأَتْرُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْيِ غَيْرِي وَلَيْسَ الرَّأْيُ كَالْعِلْمِ الْيَقِينِ
وَمَا أَنَا وَالْخُصُومَةُ وَهِيَ لَبْسٌ تُصَرِّفُ فِي الشَّمَالِ وَفِي الْيَمِينِ^(٣)

في أبيات قد ذكرناها بتمامها في كتاب « بيان العلم وفضله » والحمد لله .

قال أبو العباس النّاشي :

وَإِذَا بُلِيتُ بِجَاهِلٍ مُتَحَامِلٍ يَحْدُ الْمُحَالَ مِنْ الْأُمُورِ صَوَابًا
أَوَّلِيَّتُهُ مِنِّي السَّكُوتَ وَرُبَّمَا كَانَ السَّكُوتُ عَلَى الْجَوَابِ جَوَابًا^(٤)

(١) محاضرات الأدباء ١/ ١٣٦ ، جامع بيان العلم ٩٩/ ٢ ، عيون الأخبار ١/ ٣١٨ . حماسة البعري ٣٨٩ وفيها : أ كدام لاني قد محضت نصيحتي .

(٢) ١ : رجعت .

(٣) انظر الأبيات في معجم الشراء ٤٠٢ ، البيان ٣/ ٣١٩ ، جامع بيان العلم ١٠٠/ ٢ .

(٤) البيتان في وفيات الأعيان ٥٣/ ٢ .

باب المراء والخصومة والملاحاة^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا زعيمُ بيت في أعلى الجنة ، وبيت في وسط الجنة ، وبيت في ربض^(٢) الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً ، ولمن ترك الكذب وإن كان لاعباً ، ولمن حسنت مخالفته للناس » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أُسْرِى بي كان^(٣) أول ما أمرني به ربي أن قال : إياك وعبادة الأوثان ، وشرب الخمر ، وملاحاة الرجال » .

قال قيسُ بنُ السائب : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شريكى في الجاهلية ، فكان خيرَ شريك ، فكان لا يدارى ولا يمارى .

قال مُعَاذُ بنُ جبل : إذا كان لك أخ في الله فلا تماره ، ولا تساره الحديث .
قال لقمانُ لابنه : يا بني لا تمارين حكيماً ، ولا تجادلن لجوجاً ، ولا تعاشرن ظلوماً ، ولا تصاحبن متهماً .

قال لقمانُ لابنه : يا بني مَنْ قَصَّرَ في الخصمة خُصِمَ ، وَمَنْ بالغَ فيها أثِمَ ، فَقُلِ الحق ولو على نفسك ، ولا تُبال من غضب .

وفي الحديث المرفوع : « احذروا جدالَ كُلِّ مَفْتُونٍ ، فَإِنَّهُ يُلَقِّنُ حُجَّتَهُ إِلَى انْقِطَاعِ مُدَّتِهِ » .

(١) المراء : الشك والجدل ، والملاحاة : النزاع واللؤم .

(٢) ب : ربط ، والربض من الجبل : ما يلي الأرض منه .

(٣) ساقطة من أ .

سب أعرابي أعرابيا ، فسكت . فقيل له : لِمَ سكت عنه ؟ فقال : ما لي علم بما فيه ، وكرهت أن أبهته بما ليس فيه .

ولمحمد بن زياد الحارثي :

وَأَرْفَعُ نَفْسِي عَنْ نَفُوسٍ وَرُبَّمَا تَذَلَّلْتُ فِي إِكْرَامِهَا لِنَفُوسٍ
وَإِنْ رَأَمَنِي يَوْمًا خَسِيسٌ بِجَهْلِهِ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَرْضَى بِعِرْضِ خَسِيسٍ^(١)

وقال حسان بن ثابت :

مَا أَبَالِي أَنْتَ بِالْحَزَنِ تَيْسُ أُمِّ لَحَانِي بظَهْرِ غَيْبِ لَيْثِمٍ^(٢)

وقال آخر :

وَقُلْ لِيَزِيدَ إِنْ شَتَمْتَ سَرَائِنَا فَلَسْنَا بِشَتَائِمِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ
وَلَكِنَّا نَأْبَى الْجَوَابَ وَنَقْتَضِي بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ غَشْمَشَمٍ^(٣)

قال الخليل : الفشمشم : الجريء الماضي ، قال الشاعر :

عَبْلُ الشَّوَى غَشْمَشَمًا غَاشِمًا ،

(١) ساقط في ب ، وهما في العقد الفريد ٢/٢٨٥ .

(٢) البيت في ديوانه ١٠٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، ونب التيس : صاح عند الهياج .

(٣) البيتان والبيت الذي سيأتي في الصفحة التالية وهو : وتبطش أيدينا ... الخ ، لمحمد بن علقمة ، انظر

حماسة أبي تمام ١/١٥٧ ، الأمل للقال ١/١١٥ عيون الأخبار ١/١٩٨ . ورواية الحماسة : قل لزهير ، ونعتصم مكان تقتضي ، ومعناها . نأخذ للسيف ونضرب به مثل العصا ، ويروى : مصمم ، بدل غشمشم ، وتجهل بدل تبطش .

(٤) عبْل الشوى : ضخم اليدين والرجلين ، والغشمشم : الجريء الماضي - كما ذكر الخليل ، والغاشم :

الضالم ، وانظر اللسان مادة « غشم » .

وقال آخر :

وَتَبْطُشُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأَيْنَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

وقال الأخطل :

أَنْبَتُ كَلْبًا تَمْنَى أَنْ تُسَافِهِنَا وَطَالَمَا سَافَهُونَا ثُمَّ مَا ظَفِرُوا
قَدْ أَنْذِرُوا حَيَّةً فِي رَأْسِ هَضْبَتِهِ وَمَا يَكَادُ يَنَامُ الْحَيَّةُ الذِّكْرُ^(١)

وقال آخر :

فَإِنْ تَشْتُمُونَا عَلَى لُؤْمِكُمْ فَقَدْ تَقَرَّضُ الْعُتْ مُلْسَ الْأَدَمِ

الْعُتْ : دَوِيَّةٌ صغيرة ليس بها قوةٌ إِلَّا أَنَّهَا تَقَرَّضُ كُلَّ شَيْءٍ .

وقال آخر :

هَلْ يَشْتُمُنِي لَا أَبَا لَكُمْ دَنِسُ الثِّيَابِ كَطَايِخِ الْقِدْرِ
جَمَلٌ تَمَطَّى فِي غَنَائَتِهِ زَمِنُ الْمُرُوءَةِ نَاقِصُ الشَّبَرِ^(٢)

أعطى الحسن بن علي شاعراً ، فقليل له : تعطى من يقول البهتان ، ويعصي

(١) ديوانه ٢/٢٠٨ ، ٢٦٩ ، والبيت الثاني هذا ملقى من بيتين ، والرواية في الديوان :

قد أنذروا حية في رأس هضبته وقد أنتم به الأخبار والنذر

هنالك قالوا أنام الماء حيته وما يكاد ينام الحية الذكر

(٢) الجمل : دويبة منة ، والغثاة : الإفرازات أو القيح ، وزمن المروءة : مريضها ، وناقص الشبر :

القصير القدر

الرحمن ؟ فقال : إن خير ما بذلت به من مالك ما وقيت به من عرضك ، ومن ابتغى الخير اتقى الشر . وقد روى عن ابن شهاب مثل ذلك في شاعر مدحه فأعطاه . وقد كان يقال : إعطاء الشاعر من بر الوالدين .

قال جرير :

وَمَا حَمَلْتُ أُمَّ امْرِئٍ فِي ضُلُوعِهَا أَعَقَّ مِنَ الْجَانِي عَلَيْهَا هِجَابِيَا^(١)

وقال آخر :

اضْعَبِ الْأَخْيَارَ وَأَرْغَبْ فِيهِمْ رَبِّ مَنْ صَاحِبَتُهُ مِثْلُ الْجَرَبِ
وَدَعْ النَّاسَ وَلَا تَشْتُمُهُمْ وَإِذَا شَاتَمْتَ فَاشْتُمْ ذَا حَسَبِ
إِنَّ مَنْ سَبَّ لَيْثِيًّا كَالَّذِي يَبْدُلُ الصُّفْرَ بِأَعْيَانِ الذَّهَبِ^(٢)

وقال آخر :

بَالِي أَكْفِكَ مِنْ سَعْدٍ [وَتَشْتُمَنِي] وَلَوْ شَتَمْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكْتُوا^(٣)

وقال آخر :

جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ كَبِئْسَتِ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ^(٤)

(١) البيت للفرزدق لا لجرير ، انظر شرح ديوان الفرزدق ٨٦٩ .

(٢) الصفر : الحاس ، وانظر الأبيات في الأمالي ٢٠٤/٢ ، لباب الآداب ٢٤ ، وفيه : إن من شاتم وغدا .. الخ .

(٣) وتشتمني ساقط من ا ، ب ، وفيه : لما سكتوا بدل لقد سكتوا .

(٤) في العقد : بخلا علينا وجبنا عن عدوكم ، وقد نسب البيت في حماسة البجني ٣٩٢ إلى ابن أم صاحب العطفاني ، ونسب في العقد ١٧٨/١ إلى كعب بن زهير .

قيل للشعبي : فلان يتنقصك ويشتمك . فتمثل بقول كثير :

هنيئًا مريئًا غير داءٍ مُخامرٍ لعزّةٍ من أغراضِنَا مَا اسْتَحَلَّتْ
أُصَيْبِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةً إِنْ تَقَلَّتْ^(١)

وقال قيس المجنون :

حَلَالٌ لِلَّيْلِ شَتْمُنَا وَانْتِقَاصُنَا هَنِيئًا وَمَغْفُورًا لِلَّيْلِ ذُنُوبَهَا

وقال آخر :

إِذَا مَا شِئْتَ سَبِّكَ غَيْرُ قَوْمٍ^(٢) وَإِنْ كُنْتَ الْمَهْذَبَ وَاللُّبَّابَا
يَهَابُكَ كُلُّ ذِي حَسَبٍ وَدِينٍ وَأَمَّا فِي الْأَثَامِ فَأَنْتَ مُتَهَابَا

وقال آخر :

مَنْ شَاتَمَ النَّاسَ رَمَوْهُ بِمَا لَمْ يَكُ يَحْتَدُهُ فِي الْحِسَابِ^(٣)

كأنه أخذه من قول كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ^(٤)

(١) ديوانه ٥٧ ، نهاية الأرب ٧٥/٣ ، التمثيل والمهاضرة ٧٢ ، السكامل ٢٣٥/١ ، هذا وينسب البيتان أيضا لجرير بن عطية انظر ديوانه ٨٨ .

(٢) ب : عند .

(٣) نهاية الأرب ٦٨/٣ .

(٤) البيان ٣٣٩/٢ ، محاضرات الأدباء ١٨٩/١ ، نهاية الأرب ٦٨/٣ ، لباب الآداب ٣٦٠ ، وقد سبق مع أبيات أخرى ص ٤٠١ .

وقال آخر:

وَلَسْتُ مُشَاتِمًا أَحَدًا لِأَنِّي رَأَيْتُ الشَّتْمَ مِنْ عِيِّ الرِّجَالِ
إِذَا جَعَلَ اللَّائِمُ أَبَاهُ نَصَبًا لَشَاتِمِهِ فَدَيْتُ أَبِي بِمَالِي

وقال آخر:

وَتَجَزَعُ نَفْسُ الْمَرْءِ مِنْ شَتْمِ مَرَّةٍ وَيُشْتَمُ أَلْفًا بَعْدَ ذَاكَ فَيَصْبِرُ^(١)

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا سَبَّ الْأَمِيرَ عَدُوُّهُ وَلَكِنَّمَا سَبَّ الْأَمِيرَ الْمُبْلَغُ^(٢)

وقال آخر:

مَنْ يُخَبِّرُكَ بِشَتْمٍ عَنْ أَخٍ فَهُوَ الشَّائِمُ لَا مَنْ شَتَمَكَ
ذَاكَ شَتْمٌ لَمْ يُوَاجِهْكَ بِهِ إِنَّمَا اللَّوْمُ عَلَى مَنْ أَعْلَمَكَ^(٣)

وقال آخر:

أَبَا حَسَنِ يَكْفِيكَ مَا فِيكَ شَاتِمًا لِعِرْضِكَ مِنْ شَتْمِ الرِّجَالِ وَمِنْ شَتْمِي

وقال آخر:

وَمَا يَبْقَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ كَمَثَلِ دَفْعِكَ جَهْلًا بِجَهَالِ

(١) ١: ويشتم عشراً بعدها ثم يصبر .

(٢) البيت لعبد الصمد بن المعذل ، انظر عيون الأخبار ٢/٢٣ ، نهاية الأرب ٣/٢٩٦ ، فصل

المقال ٩٤ .

(٣) المستطرف ١/٦ ، فصل المقال ٩٤ .

فَاقْمَسْ إِذَا حَدَبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَمَسُوا وَوَازِنْ الشَّرِّ مِثْقَالًا بِمِثْقَالٍ^(١)

وقال آخر:

تَأَلَّبَنِي عَمْرُو وَتَأَلَّبَتْهُ فَقَدَ أَيْمُ الْمَثْلُوبِ وَالثَّالِبُ
قُلْتُ لَهُ خَيْرًا فَقَالَ الْخَنَا كُلُّ عَلَى صَاحِبِهِ كَاذِبٌ^(٢)

(١) القمس : خروج الصدر ودخول الظهر ، والحدب ضده ، والمقصود المزواجة بين اللين والشدّة في معاملتهم .
(٢) تألبه : لامه وعابه ، والخنّا : الفحش ، والبيتان لعلّ بن معاذ كما في البيان ٣٨٠/١ ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١٨٧/١ ، وفيات الأعيان ٦٧/٦ .

بَابُ الْكِبَرِ وَالْمُجَبِّ وَالْتِيهِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حاكياً عن الله عز وجل : « الكبرياء ردائي ، ^(١) والمظمة إزارى ^(٢) ، فمن نازعني ^(٣) ^(١) واحداً منهما ^(١) أدخلته النار . »

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الله عز وجل إلى من جرّ ثوبه خيلاً » ، وفي حديث آخر : « لا ينظر الله عز وجل إلى من جرّ ثوبه بطراً » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الكبر أن يُسَفَّهُ الحق ، ويُغَضَّ النَّاسُ » .

قال محمد بن علي بن حسين : يا عجبا من المختال الفخور الذي خلق من نطفة ، ثم يصير جيفة ثم لا يدري بعد ذلك ما يفعل به .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : سمعتُ أحمد بن يوسف يوماً ، وذكر رجلاً كان يذهب بنفسه في التيه ، فقال : يتيه ^(٣) فلان ، وما عنده فائدة ولا عائدة ولا رأى جميل .

(١) ساقط من أ .

(٢) ١ : نازعني .

(٣) ب : تيه .

قال الشاعر :

يَا مُظْهِرَ الْكِبَرِ إعْجَابًا بِصُورَتِهِ أَبْصِرْ خَلَائِكَ إِنَّ الْمَيْنَ تَثْرِبُ^(١)
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمْ مَا اسْتَشْعَرَ الْكِبَرُ^(٢) شُبَّانٌ وَلَا شَيْبُ^(٣)

قيل لعيسى عليه السلام : طوبى لبطن حملك ، فقال : طوبى لمن علمه الله كتابه ،
ولم يكن جباراً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ فِي التَّيِّهِ
حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ ، فَيَصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ » .

قال مالك بن دينار : كيف يتيه من أوله نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ ، وآخره جيفة قَذِرَةٌ ،
وهو فيما بين ذلك حاملٌ عَذِرَةٌ .

أخذه أبو العتاهية فقال :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أَصْبَحَ لَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ مَا يَرْجُو وَلَا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ
وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَا يُقْضَى وَمَا يُقَدَّرُ^(٤)

(١) ١ : الشعر تغريب .

(٢) ب : الناس .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ١/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ وفيه : إن التين .. الخ .

(٤) ديوانه ١.٣ ، الكامل ١/ ٢٣٦ .

وقال منصور الفقيه :

تَتِيهُ وَجِسْمِكَ مِنْ نَظْفَةٍ وَأَنْتَ وَعَالَمٌ لَمَّا تَعْلَمُ^(١)
وله أيضاً :

قُولُوا لَزُؤَارِ الْكُفِّ وَالْمُنْشَيْنِ مِنْ نُظْفٍ
يَا جِيْفًا مِنْ الْجِيْفِ مَا لَكُمْ وَلِلصِّلَفِ

كان يقال : لولا ثلاثُ سَلِمَ النَّاسُ : شَعَّ مُطَاعٌ ، وَهَوَى مُتَّبِعٌ ، وَإِعْجَابُ
المرءِ بِنَفْسِهِ .

قال جعفر بن محمد : علم الله عز وجل أن الذنب خير للمؤمن من^(٢) العُجْبِ ،
ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنوب .

قال بلال بن سعيد : إذا رأيتَ الرجلَ لجوجاً مमारياً فقد تمت خَسَارَتُهُ .

قال بعض الحكماء : البلية التي لا يُؤَجِرُ عليها المبتلى بها : العُجْبُ ، والنعمة التي
لا يُحْسَدُ عليها : التواضعُ .

كان يقالُ : لا شيءٌ أَكَلَمَ للمحاسن من العُجْبِ والتهيه .

قال نصر بن أحمد :

وَمَنْ أَمِنَ الْآفَاتِ عُجْبًا بِرَأْيِهِ أَحَاطَتْ بِهِ الْآفَاتُ مِنْ حَيْثُ يَجْهَلُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٥ .

(٢) ساطعة من ١ .

وقال منصور الفقيه :

لَا تَحْلِقَنَّ بَيْتِيَّاهُ فَتَحْمِلَهُ عَلَى التَّزْيِيدِ مِمَّا يُسْخِطُ اللَّهَ
وَاهْجُرْهُ لِلَّهِ لَا لِلنَّاسِ مَبْتَغِيَا ثَوَابَ رَبِّكَ فِي هِجْرَانٍ مِنْ تَاهَا

وقال آخر :

إِنْ عَيْسَى أَنْفُ أَنْفِهِ أَنْفُهُ ضِعْفٌ لِيُضَعِّفَهُ
لَوْ تَرَاهُ رَاكِبًا وَالثَّيِّبُ قَدْ مَالَ بِمِطْفِهِ
لَرَأَيْتَ الْأَنْفَ فِي السَّرِّ ج وَعَيْسَى مِثْلُ رَدْفِهِ

وقال ابن السَّلماني :

أَتِيَهُ عَلَى جَنِّ الْبِلَادِ وَإِنْ سَهَا
أَتِيَهُ فَلَا أَذْرَى مِنَ الثَّيِّبِ مِنْ أَنَا
فَإِنْ رَعَمُوا أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ (١)
وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لِهَتْ عَلَى نَفْسِي
سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي وَفِي جَنْسِي (٢)
فَمَا لِي عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ (٣)

وقال خلف الأحمر :

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلَّعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَا قَلِيلُ الصَّوَابِ
أَلْبُجٌ لَجَاجًا مِنَ الْخُنْفَسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غُرَابٍ (٤)

(١) ١ : ومن حسي .

(٢) ١ : خالص .

(٣) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٢٧١/١ .

(٤) انظر البيتين في معجم الأدباء ١٤/١٦١ ، الحيوان ٣/٤٠٠ ، فصل المقال ٢٨٧ .

ولأبي القتاهية ، ويروى لمنصور الفقيه :

حَذَرْتُكَ الْكِبْرَ لَا يَمْلِكُ^(١) مِيسْمُهُ فَإِنَّهُ مَلْبَسٌ نَارَعُشُهُ اللَّهُ
يَا بُوسَ حَامِلِ رِجْسٍ لَيْسَ يَفْسِلُهُ بِالماءِ عَنْهُ إِذَا كَلَّمْتَهُ تَاهَا
يَرَى عَلَيْكَ لَهُ فَضْلاً وَمَنْزِلَةً إِنَّ نَالَ فِي الْمَاجِلِ السُّلْطَانَ وَالْجَاهَا
مِنْ^(٢) عَلَى نَفْسِهِ رَاضٍ بِسِيرَتِهِ كَذَبْتَ يَا صَاحِبَ الدُّنْيَا وَمَوْلَاهَا^(٣)

وقال منصور الفقيه :

قُلْتُ لِلْمُعْجِبِ لَمَّا قَالَ مِثْلِي لَا يُرَاجَعُ
يَا قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْمَخِ رَجِ لَمْ لَا تَتَوَاضَعُ^(٤)

قال علي بن محمد : إنما أهلك الناس العجلة والمُعْجِب ، ولو ثَبَّتُوا ولم يعجلوا
لم يهلك منهم أحد .

قال ابن أبي ليلى : ما رأيتُ ذَا عُجْبٍ قَطَّ إِلَّا اعترانى بعضُ داءه . يريد أنه
يبيته على مكافأته بالتكبر عليه .

قال بعضُ الحكماء : من استطاع أن يمنع نفسه أربعاً كان جديراً ألا ينزل به
مكروه : العَجَلَة ، واللجاجة ، والتواني ، والمُعْجِب .

(١) ب : لا يطفك .

(٢) ب : مبق .

(٣) لم أعر على الأبيات في ديوان أبي القتاهية ، وإنما هي في ديوان أبي نواس ١٩٧ ، وفي البيت الثاني :
يا بُوسَ جلد على عظم مخرقة فيه الخروق إذا كلمته تاهاً .

(٤) ب : مما تواضع ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١/١٣١ .

وَلِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلَى فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ :

أَبَا جَعْفَرٍ عَرَّجٍ عَلَى خُلَطَائِكَ وَأَقْصِرْ قَلِيلًا عَنْ مَدَى غُلُوءَائِكَ
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ بِالْأَمْسِ رَقْعَةً فَإِنَّ رَجَائِي فِي غَدٍ كَرَجَائِكَ^(١)

وَلِنَصُورِ الْفَقِيهِ :

قَدْ كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ مِثْلَكُمْ أَرَى الْهَلَالَ الْخَفِيَ بِالْعَجَلَةِ
لَوْ مَرَّ بِي تَائِهٌ عَلَى جَمَلٍ لَمْ أَرِهِ الْآنَ قَلَّةً^(٢) وَلَا جُمْلَةً

(١) معجم الأدباء ١/١٧٢ .

(٢) ب : قيله ، عيون الأخبار ١/٢٧٣ وفيها فإن كنت قد أعطيت في اليوم .

بَابُ التَّوَاضُّعِ وَالْإِنْصَافِ

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم « ما تواضع عبدٌ لله ^(١) إلا رفعه الله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « تواضعوا يرفعكم الله ، واعفوا يعزكم الله » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن تواضع من غير مَنَقَصَةٍ ، وذل نفسه من غير مسكنة ، وأنفق مالا جمعه من غير معصية ، طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريره ، وكرمت علانيته » .

انتسبَ رجلٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ عشر آباء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حَسَبَ إلا في التواضع ، ولا نسبَ إلا بالتقوى ، ولا عملَ إلا بالنية ، ولا عبادةَ إلا باليقين » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « مَنْ زَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عليه فليطلب ^(٢) بالتواضع شكرها ، فإنه لا يكون شكوراً حتى يكون متواضعاً » .

قال بعضُ الحكماء : رأسُ الحكمة طاعة الله ، وتقديمُ حُسْنِ النية ، وعُراها التواضعُ في الحق ، والإنصافُ في المناظرة ، والإقرارُ بما يلزم من الحجة ، وثمرتها حفظ الثواب ، في العاجلة ، والنجاة في العاقبة ، وحقُّها العملُ بها ، وألا تُمنَعَ من مُسْتَحَقِّهَا ، وأن تُوقَّرَ أَوْعِيَتُهَا لوقارها .

(١) ساقطة من .

(٢) ١ : فليطلب .

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : ما من أحدٍ إلّا وفي عنقه حكمةٌ موكل بها ملكٌ ، يقول الله به : إن تواضعَ عَبْدِي فارتفعَ ، وإن ارتفعَ فضَّعَهُ .

قال بكرُ بن عبد الله المزني : ما أرى امرئاً إلّا رأيت له الفضلَ على ، لأنّي ملن نفسي على يقين ، وأنا من الناس على شك .

قال عبد الله بن مسعود : إن من التواضع الرِّضا بالدُّون من شَرَف المجلس ، وأن تُسلمَ على مَنْ لقيت .

قال عبدُ الله بن المبارك : التَّعَزُّزُ على الأغنياء تواضع .

كان يقال : بالتواضع تتمُّ النعمة ، وبالتكبر تحقُّ النعمة^(١) .

كان سليمان عليه السلام يحجى إلى أوضع مجالس بني إسرائيل فيجلس معهم ، فيقول : مسكينٌ بين ظَهْرَانِي مساكين .

كان يقال : ثمرة القناعة الرَّاحة ، وثمرَةُ التواضع المحبة .

قال لقمانُ لابنه : يا بنيّ تواضع للحقّ ، تكن أعقل الناس .

قال أبو الدرداء : ليس الذي يقولُ الحق ويفعله بأفضل من الذي يسمعه^(٢) فيقبله .

قال بعضُ الحكماء : إذا نَسَكَ الشريفُ تَوَاضَعَ ، وإذا نَسَكَ الوضيعُ تَكَبَّرَ .

(١) ب : تمحق النعمة .

(٢) أ : يفضله •

ولدى الرُّمَّة الأَسَدِيّ :

إِذَا اصْطَحَبَ الْأَقْوَامُ كَانَ أَذْلُهُمْ لِأَصْحَابِهِ نَفْسًا أَبْرَ وَأَفْضَلًا
وَمَا الْفَضْلُ فِي أَنْ يُؤَيَّرَ^(١) الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنْ فَضْلُ الْمَرْءِ أَنْ يَتَفَضَّلَ^(٢)

قال سالم بن قتيبة : ما تكبر في ولايته^(٣) إلا من كبرت عنه ، ولا تواضع فيها
إلا من كبر عنها .

قال بعض الفلاسفة : أظلم الناس لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ، ورغب
فيمن يبغده .

قال بُرَيْرُ جَهْر : وجدنا التواضع مع الجهل والبخل ، أحمَدُ من الكبر مع الأدب
والسخاء فَأَعْظَمَ بِحَسَنَةٍ سَدَّتْ مِنْ صَاحِبِهَا سَبْئَتَيْنِ ، وَأَقْبَحَ بِسِيئَةٍ غَطَّتْ مِنْ
صَاحِبِهَا حَسَنَتَيْنِ .

قال عبدُ الملك بن مروان : أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رَفْعَةٍ ، وَزَهَدَ عَنْ قُدْرَةٍ ،
وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ .

كان يقال : مَنْ حَقَّقَ الشَّرْفَ أَنْ تَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ ، وَتَنْصِفَ مَنْ هُوَ
مِثْلُكَ ، وَتَنْبِلَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ .

قال ابن السَّمَاكِ لِلرَّشِيدِ : تَوَاضَعُكَ فِي شَرَفِكَ أَشْرَفُ مِنْ شَرَفِكَ .

(١) : يذمم .

(٢) ورد البيتان في ديوان أبي العتاهية ٢١٢ ، ولم أعثر عليهما في ديوان ذي الرمة .

(٣) ب : ما تكبر في ولاية .

قال جعفر بن محمد : من أنصف الناس من نفسه قضي به حكماً لغيره .

قال معن بن أوس :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْمِجْرَانِ إِنْ كَانَ يَعْقِلُ^(١)

قال مالك بن الرئب :

فَإِنْ تُنْصِفُونَا يَا مَرْوَانَ نَقْتَرِبُ إِلَيْكُمْ وَإِلَّا فَأَذْنُوا بِيَعَادِ
فِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلَادٍ أُوطِنْتَ كِبِلَادِي^(٢)

قال العباس بن عبد المطلب :

أَبَى قَوْمُنَا أَنْ يُنْصِفُونَا فَأَنْصَفْتُ قَوَاطِعُ فِي أَيْمَانِنَا تَقَطَّرُ الدَّمَا
تَرْكَنَاهُمْ لَا يَسْتَحِلُّونَ بَعْدَهَا لَذَى رَحِمٍ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ مُحَرَّمًا^(٣)

قال الحكم بن المنذر الجارود في الإنصاف :

بَنِي عَمَّنَا لَا تَجْزَعُوا مِنْ طَعْمَانِنَا^(٤) فَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَبْكِي وَمَجْزَعًا
وَذُقُوا كَمَا ذُقْنَا مِنَ الْحَرْبِ إِنَّنَا نَرَى شَرَّ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ قَدْ تَضَعَضَا
وَنَادَى مَنَادٍ يَا بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَنَادَى بَعِيدُ الْقَيْسِ نَادٍ فَأَسْمَعَا
فَمَا خَذَلْتَنَا الْأَزْدُ إِذْ دَارَتْ الرَّحَى وَلَكِنَّهُمْ يَحْمُونَ عِزًّا مُمْنَعًا

(١) معجم الشعراء ٤٠٠ ، عيون الأخبار ١٨/٣ ، حساسة أبي تمام ٤/٢ ، حساسة البحتري ٢٨ .

(٢) سبق البيتان في ص ٢٣٨

(٣) انظر البيتين في مجموعة المعاني ٥٢ ، عيون الأخبار ٧٨/١ ، حساسة البحتري ٦٠ .

(٤) ب : من طعمانا .

خَلَطْنَا الْبُيُوتَ بِالْبُيُوتِ فَأَصْبَحُوا بَنِي عَمَّنَا مَنْ يَرْمِيهِمْ يَرْمِنَا مَعًا^(١)

وقال أبو الأسود الدؤلي :

إِذَا قُلْتُ أَنْصِفْنِي وَلَا تَظْلِمْنِي رَمَى كُلِّ حَقٍّ أَدْعِيهِ بِبَاطِلٍ
فَمَا طَلْتُهُ حَتَّى ارْعَوَى وَهُوَ كَارِهٌ وَقَدْ يَرْعَوِي ذُو الشَّغْبِ عِنْدَ التَّجَادُلِ
وَإِنَّكَ لَمْ تَعْطِفْ إِلَى الْحَقِّ ظَالِمًا^(٢) بِمَثَلِ خَصِيمٍ عَاقِلٍ مُتَجَاهِلٍ

قالوا : ثلاثة من حقائق الإيمان : الاقتصاد في الإنفاق ، [والابتداء]^(٣) بالسلام والإنصاف من نفسك .

وفي سماع أشهب ، قال مالك رضي الله عنه : ليس في الإنسان شيء أقل من الإنصاف .

قال جعفر بن سعد : ما أقلَّ الإنصاف ، وما أكثرَ الخلاف ، الخلاف^(٤) موكلٌ بكلِّ شيءٍ حتى القذاة في رأس الكوز ، فإذا أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك ، وإذا أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت .

قال الشاعر :

آخُ الْكِرَامِ الْمُنْصِفِينَ وَصِلَهُمْ وَقَاطَعَ مَوَدَّةَ كُلِّ مَنْ لَا يُنْصِفُ

(١) ب : في حربهم يذهبوا معاً ، وقد ورد البيت الأخير فقط في حماسة أبي تمام ١٥١/١ ، منسوباً إلى المثلث بن رياح بن ظالم المري .

(٢) ب : طالباً ، وانظر الأبيات في ديوانه ١٩٠ .

(٣) زيادة من ب .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب : ارج ، وانظر البيت في البيان ٢١٩/٣ .

وقال أبو العتاهية :

إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ فَهْمٍ أَسَاءَتْ إِجَابَةً وَأَسَاءَتْ سَمْعًا^(١)

وقال أبو عثمان الشريشي :

لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدًا مُنْصِفٍ لَمَّا تَمَنَّيْتُ بِأَنْ أُبْرَأَ

(١) ديوانه ١٥٨ ، عيون الأخبار ١٩/٣

بَابُ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تشاورَ قومٌ إلا هَدَاهم الله لأرشدِ أمورهم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَنْ يَهْلِكَ امرؤٌ عن مَشُورَةٍ » .

قال صلى الله عليه وسلم : « المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ » .

قال الحسن : إن الله لم يأمر نبيّه بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكنه أراد أن يعرفهم ما في المشورة من البركة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نَزَلَ بِهِ أمرٌ فشاور فيه من هو دونه تَوَاضَعًا منه عَزِمَ له على الرُّشْدِ » .

قال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل .

قيل لرجل من بني عيس : ما أكثر صوابكم ؟ ! قال : نحن ألفٌ وفينا حازمٌ واحد ، ونحن نشاوره ونطيعه ، فصرنا ألفَ حازم .

قال عامرُ بن الظَّرب^(١) : الرأى نائمٌ والهوى يقظان ، فلذلك ينلب الهوى

الرأى .

(١) العدواني : كان من حكام العرب في الجاهلية ، وعمر طويلا ، وهو الذى قيل فيه : إن العصا قرعت لذى الحلم ، وذلك أن أولاده خشوا زيفه عن الصواب لكبر سنه ، فكلّموه في ذلك فقال : اجعلوا لى أمانة أعرفها ، فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الصواب ، فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد أحد أبنائه من ورائه ، فإذا هنا قرع له الجفنة فانتبه ، وله شعر جيد وكلام مسدد .

كان يقال : يا جالة الفكرة يُستدّر الرأي المصيب .

كان علي بن أبي طالب يقول : رأي الشيخ خير من مشهد الغلام .

قال بُزرجهر : حسبُ ذا الرأي ومن لا رأي له أن يستشير عالماً ويطيعه .

مرّ حارثة بن زيد بالأحنف بن قيس ، فقال : لولا أنك عجلان لشاورتك في بعض الأمر . فقال : يا حارثة أجل ، كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والمطشان حتى ينقع ، والأسير حتى يُطلق ، والمُضِلّ حتى يجد ، والراغب حتى ينع (١) .

كان يقال : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإن العاقل يتقى على رأيه الزلل ، كما يتقى الورع على دينه الجرح .

قال ابن المقفع : ثلاثة لا آراء لهم : صاحبُ الخفّ الضيق ، وحاقنُ البول (٢) ، وصاحبُ المرأة السليطة .

قال بعض البلغاء : لا نتيجة لرأي إلا عن طاعة ونصيحة ، ولا نتيجة لمشورة إلا عن محبة ومودة .

وقال بعضهم : لا تترك الأمر مُقبلاً ، وتطلبه مُدبراً ، فإن ذلك من ضعف العقل (٣) وقلة الرأي .

(١) صاقط من أ .

(٢) حاقن البول : محتبه .

(٣) أ : العاقل .

كان يقال : لا تُدْخِلْ فِي رَأْيِكَ بَخِيلًا فَيُقَصِّرَ فِعْلُكَ ، ولا جَبَانًا فَيُخَوِّفَكَ
مَالًا تَخَافُ ، ولا حَرِيصًا فَيَعِدَّكَ مَالًا يُرْجَى .

قال بعض الأعراب :

وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَكْرَمُونِي وَأَتَّقُوا سِجَالًا بِهَا أَسْقَى الَّذِينَ أَسَاجِلُ
كَفَفْتُ الْأَذَى مَا عَشْتُ عَنْ حُمَاهِمُ وَنَاضَلْتُ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ مِنْ يُنَاضِلُ
وَلَكِنَّ قَوْمِي عَزَّهْمُ سَفَهَاوُهُمْ عَلَى الرَّأْيِ حَتَّى لَيْسَ لِلرَّأْيِ حَامِلٌ^(١)

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحزم : في مُشَاوَرَةِ ذَوِي الرَّأْيِ وَطَاعَتِهِمْ » .

قال المهلب : إذا كان الرأي عند من يملكه دون من يبصره ضاعت الأمور .

قال الحكماء : إذا كنت مستشيرًا فتوخَّ ذا الرأي والنصيحة ، فإنه لا يكتفى
برأى من لا ينصح ، ولا نصيحة لمن لا رأى له .

ولبشار بن برد ، وقيل إنها لعنرة^(٢) ، وقيل : إنها للجباج الأسدي :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَمِنْ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةٍ حَازِمٍ
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً فَإِنَّ الْخَوَافِي رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ
وَأَذِنْ مِنْ الْقُرْبَى الْمُقَدِّمِ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غَيْرَ كَاتِمٍ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلُّ أَخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُوْتَدْ بِقَائِمٍ

(١) أُنَاقُوا : ملأوا ، والسجال : جمع سجل وهي الدلو العظيمة ، وأساجل : أفاخر وأبارى ، وعزهم : غابهم : وانظر الأبيات في أمالي القالي ٨٣/١ .
(٢) ب : لغيره .

فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُ اللَّهُمَّ بِالْمُنَى وَلَا تَبْلُغِ الْعَلِيَّا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ^(١)

أنشدني الأعرابي :

وَأَنْفَعُ مَنْ شَاوَرْتَ مَنْ كَانَ نَاصِحًا شَفِيقًا فَأَبْصِرْ بَعْدَهَا مَنْ تُشَاوِرُ
وَلَيْسَ بِشَافِيكَ الصَّدِيقُ^(٢) وَرَأْيُهُ غَرِيبٌ وَلَا ذُو الرَّأْيِ وَالصَّدْرُ وَاعِرٌ

وقال بكر بن أذينة ،

وَلَا أَشِيرُ عَلَى مَنْ لَا يُشَاوِرُنِي إِذَا طَوَى ذَاتَ يَوْمٍ أَمْرَهُ دُونِي

قال أكتم بن صيفي : المشورة مادة الرأي .

قال ابن هبيرة لبعض ولده : ولا تشر على مستبد ، ولا على عدو ، ولا على متلون ، ولا على لجوج ، ولا تكونن أول مستشار ، ولا أول مشير ، وإياك والرأي الفطير^(٣) ، وخف الله في المستشير ، فإن التماس موافقته لؤم ، وسوء الاستماع منه خيانة .

قال سليمان عليه السلام لابنه : يا بني لا تقطع أمراً حتى تشاور مرشداً
فإنك إذا فعلت ذلك لم تندم .

(١) يروى : ولا تجعل الشورى ، و... فريش الخواف تابع ، ويروى : وأدن من الشوري السكتوم لسره ، ولم يؤيد مكان يوند ، ويروى : فإنك لا تستدرك الرأي بالمنى .

وانظر الأبيات منسوبة لبشار في : المختار من شعر بشار ٢٠١ ، البيان والنبين ٢٧٠/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٧٤ ، مجموعة المعاني ١٧ ، زهر الآداب ٢٣٦/٢ ، الكامل ٢٨٧/٢ .

(٢) ١ : الشفيق ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ٣٢/١ ، المختار من شعر بشار ٢٠٧ .

(٣) ١ : الخطير . والفطير : المجول ، وهو المعنى المناسب للسياق .

كان يقال : مَنْ اجتهد رأيه وشاور صديقه ، قَضَى ما عليه .

قال عمرو بن العاص : ما نزلت بي قطَّ عزيمةٌ فأبرمتها حتى أشاورَ عشرةً من قريش مرتين ^(١) فإن أصبتُ كان الحفظُ لي دونهم ، وإن أخطأتُ لم أرجع على نفسي بلائمة .

قال بعضُ الأعراب :

خِلِيَّ لَيْسَ الرَّأْيُ فِي صَدْرٍ وَاحِدٍ أَشِيرَا عَلَى الْيَوْمِ مَا تَرِيَانِ
أَأَرْكَبُ صَعْبَ الْأَمْرِ إِنْ ذُلُّهُ بَنَجْرَانَ لَا يُقْضَى بِحِينَ أَوَانٍ ^(٢)

وأظن هذين البيتين من الأعرابي القائل :

لَقَدْ هَزِئْتُ مِنِّي بَنَجْرَانَ إِذْ رَأْتُ مَقَامِي فِي الْكَبْلَيْنِ أُمُّ أَبَانٍ
كَأَنَّ لَمْ تَرَ قَبْلِي أُسِيرًا مَكْبَلًا وَلَا رَجُلًا يَرْبِي بِهِ الرَّجْوَانِ ^(٣)

وقد تمثل بهذا البيت عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه ، وكتب به إلى بعض أمرائه وقضاته .

كان يقال : أَمْرَانِ جَلِيلَانِ لَا يَصْلُحُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالتَّفَرُّدِ ، وَلَا يَصْلُحُ الْآخَرُ إِلَّا بِالتَّعَاوُنِ ، الْمُلْكُ وَالرَّأْيُ ، فَإِنْ اسْتَقَامَ الْمُلْكُ بِالشَّرْكَاءِ اسْتَقَامَ الرَّأْيُ بِالِاسْتِبْدَادِ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ أَبَدًا .

(١) ساقطة من ب .

(٢) الأبيات الأربعة لطارد بن قران أحد بني صهصعة بن مالك ، انظر معجم الشعراء ٣٠٠ ، الأمل ٤٤/١ ، شرح حماسة أبي تمام ٧٥/١ ، ويرى به الرجوان معناها لا يعبأ به ، وأصل الرجا الناحية ومثناها الرجوان ، والشيء الذى يلقى في هذه الناحية ثم يلقى في الناحية الأخرى شيء لا يعبأ به .

قال صالح بن عبد القدوس :

وإن بَابُ أَمْرٍ عَلَيْكَ التَّوَى فَشَاوِرْ لَبِيبًا وَلَا تَعْصِبْهُ
وإن ناصحٌ منك يومًا دَنَا فَلَا تَتَأَنَّ عَنْهُ وَلَا تُقْصِبْهُ^(١)

قال الأحنف : اضربوا الرأى بعضه ببعض يتولد منه الصواب ، وتجنبوا منه
شدة الحزم ، واتهموا عقولكم ، فإن فيها نتائج الخطأ ، وذم العاقبة .

كان يقال : خذ الأمر مقبلا ، فشر الرأى : الدبرى^(٢) .

قال الشاعر ، وهو القطامي :

وَأَخِيرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بَأَنْ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعًا^(٣)

قال بعض العرب :

قَبْلَ الرَّمَى يُرَاشُ السَّهْمُ

وقال سابق :

وَقَبْلَ أَوَانِ الرَّمَى تُمَلَأُ السَّكَنَانِ^(٤)

وقال الفارسي : بادر الفرصة قبل أن تكون غصّة ، وأنشد :

تَدَارِكُ الْأَمْرَ قَبْلَ نُهُبِهِ أَبْلَغُ فِيمَا تُحِبُّ مِنْ دَرَكِهِ

(١) سبق البيتان في ص ٢٧٨

(٢) الرأى الدبرى : الذى يسبق بعد فوات الحاجة ، وكذلك الجواب الدبرى

(٣) ديوانه ٤٠ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٥٢ ، وفيه : وقبل نزول الحرب ... الخ .

قال بعض الحكماء : حقيق أن يوكل إلى نفسه ، من أعجب برأيه .

قال عبد الملك : اللحن هُجْنَةٌ^(١) الشريف ، والمُجَب آفة الرأي .

قال قتيبة بن مسلم : مَنْ أعجب برأيه ، لم يشاور كفياً ، ولم يوات نصيحاً .

قال بُزْرَجُهمر : أفرّة الدّواب لا غنى به عن السّوط ، وأعفّ النساء لا غنى بها عن الزواج ، وأعقل الرجال لا غنى به عن المشورة .

قال عبدُ الملك بن مروان : لِأَن أُخْطِئَ وقد استشرتُ أحبَّ إلىَّ من أن أُصيبَ من غير مشورة .

قال قتيبة بن مُسلم : الخطأُ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة ، وإن كانت الجماعة لا تخطئ ، والفرقة لا تصيب .

قال المأمونُ : ثلاثٌ لا يعدم المرءُ الرشْدَ فيهنَّ : مشاورةُ ناصح ، ومداواةُ حاسد ، والتحبُّبُ إلى الناس .

كان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يستشيرُ في الأمر ، حتى إن كان ربما استشار المرأة ، فأبصر في رأيها فضلاً .

كان يقال : ما من قوم تمالّثوا على أمرهم ، ثم شاوروا امرأة إلا تَبَّرَ الله أمرهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة » .

كان يقال : من طلب الرُّخصة من الإخوان عند المشورة ، ومن الفقهاء عند

(١) الهجنة : العيب والنقيصة .

الشبهة ، ومن الأطباء عند المرض ، أخطأ الرأي ، وحمل الوزر ، وازداد مرضاً

قال الشاعر ، وأظنها لمنصور الفقيه :

إِذَا الْأَمْرُ أَشْكَلَ إِنْفَاذُهُ وَلَمْ تَرَ مِنْهُ سَبِيلًا فَصِيحًا
فَشَاوِرْ بِأَمْرِكَ فِي سُتْرَةٍ أَخَاكَ اللَّيِّبَ الْمُحِبَّ النَّصِيحًا
فَرُبَّمَا فَرَجٌ ^(١) النَّاصِحُونَ وَأَبْدُوا مِنَ الرَّأْيِ رَأْيًا صَحِيحًا
وَلَا يَلْبَثُ الْمُسْتَشِيرُ الرَّجَالَ إِذَا هُوَ شَاوِرٌ أَنْ يَسْتَرِيحًا ^(٢)

وقال آخر :

إِنَّ اللَّيِّبَ إِذَا تَفَرَّقَ أَمْرُهُ فَتَقَّ الْأُمُورَ مُنَاطِرًا وَمُشَاوِرًا ^(٣)
وَأَخُو الْجَهَالَةِ يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ فَتَرَاهُ يَعْتَسِفُ الْأُمُورَ مُخَاطِرًا ^(٤)

وقال آخر :

وعاجزُ الرَّأْيِ مَضِياعٌ لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدْرًا ^(٥)

وقال آخر :

أَنْتُمْ أَنْاسٌ عِظَامٌ لَا حُلُومَ لَكُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَجَاءَ الرُّشْدِ أَمْ غَابَا

(١) : كفف .

(٢) الأبيات في لباب الآداب ٧٥ ، ولم تنسب لفاثل .

(٣) زيادة من ب .

(٤) البيتان لمحمود الوراق ، انظر المستطرف ٩١/١ .

(٥) مجموعة المعاني ٢٥ ، العقد ٧٥/١ ، البيان ٢٩١/٢ ، من غير نسبة ، ونسب إلى يحيى بن زياد في مجمع

لا تبصرون وجوه الرؤى مُقبلةً وتبصرون إذاً ولئن أذناً^(١)

قال أبو عمر : الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورة محمودة عند غاية العلماء ، ولا أعلم أحداً رضى الاستبداد وحده ، إلا رجل واحد مفتون ، يخادع لمن يطلب عنده لذته فيرقب غرته ، أو رجل فاكه يحاول حين الغفلة ، ويرتصد الفرصة ، وكلا الرجلين فاسق مائق ، مثال أحدهما قول عمر بن أبي ربيعة .
يخاطب من يخدعه .

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ وَشَفَتِ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَعِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِدُّ^(٢)

ومثال الآخر ، قول سعيد بن ثابت العبدي الأعرابي^(٣) .

إِذَا هَمْ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا
وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبًا^(٤)
سئل الحسن البصري ، عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تستضيئوا
نار المشركين » . فقال : أراد لا تستشيروا المشركين في أموركم ولا تأخذوا برأيهم .

(١) البيتان في عيون الأخبار ١/٣٥ .

(٢) ديوانه ١/١١٥ .

(٣) ساقطة من بـ .

(٤) مجموعة المعاني ٢٣ ، عيون الأخبار ١/١٨٨ ، حماسة أبي تمام ١/٢٥ ، الشعراء ٦٧٨ ، أمالي

الغالي ٢/١٧٥ ، ونسبت في الثلاثة الأخيرة إلى سعد بن ناشب من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

بابُ كتمانِ السِّرِّ وإفشائه

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَسَرَّ إِلَى أَخِيهِ سِرًّا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يُفْشِيَهُ عَلَيْهِ » .

قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه : من كتم سره كان الخيار بيده ، ومن عرض نفسه للثَّمة فلا يلومنَّ من أساء الظنَّ به .

قال عباسُ بن عبد المطلب لابنه عبد الله رضي الله عنهما : يا بُنَيَّ ! إن أمير المؤمنين يدنيك — يعني عمرَ بن الخطاب — فاحفظْ عني ثلاثاً : لا تفشينَّ له سرًّا ، ولا تفتابن عنده أحداً ، ولا يطمعنَّ منك على كذبة .

قال أكرم بن صيفي : إن سِرَّك من دمك ، فانظر أين تُريقه .

كان يقال : احفظوا أسراركم كما تحفظون أبصاركم .

وكان يقال : أكثر ما يتم به التدميرُ الكتمانُ .

قال قيسُ بن الخطيم :

أَجُودُ بِمَضْمُونِ الدَّلَادِ وَإِنِّي بِسِرِّكَ عَمَّنْ سَأَلَنِي لَضَنِينَ

وَإِنْ ضَيَّعَ الْإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنِّي كَتُومٌ لِأَسْرَارِ الْخَلِيلِ أَمِينُ

يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذَا مَا اتَّخَمْنَتْهُ مَكَانُ بِسَوْدَاءِ الْفَوَادِ مَكِينُ

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ بِنَشْرِ وَإِفْشَاءِ الْحَدِيثِ قَيْنٌ^(١)
 وفي مثل هذا : إن السر لا يسمى سرًّا حتى يُسرّه رجلٌ [واحد]^(٢) إلى
 رجل آخر .

قال الصِّلَتَانِ المَبْدَى :

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ^(٣)

وقال سابق :

فَلَا تُخْبِرْ بِسِرِّكَ ، كُلُّ سِرٍّ إِذَا مَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ فَاشِي^(٤)

وقال آخر :

إِكْلُ امْرِئٍ يَا أُمَّ عَمْرٍو طَبِيعَةٌ وَتَفْضِيلُ مَا بَيْنَ الرِّجَالِ الطَّبَائِعُ
 فَلَا يَسْمَعَنَّ سِرِّي وَسِرُّكَ ثَالِثٌ أَلَا كُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ اثْنَيْنِ ضَائِعٌ^(٥)
 وَكَيْفَ يُشِيعُ الْقَلْبُ سِرًّا وَفَوْقَهُ حِجَابٌ وَمَافُوقَ الْحِجَابِ الْأَضَالِعُ^(٦)

(١) يروى : بمضمون ، وبمكنون ، والعشير بدل الخليل ، وما ضمنته مكان ائتمنته ، ومقر بدل مكان ،
 وكنين بدل مكن ، وتكثير بدل إفشاء ، ونث مكان نشر .

النلاد : المال الموروث ، سوداء الفؤاد : حبة القلب ، وقين : حري خليق .
 والأبيات في الديوان ٥٥ ، ماعدا الأول فهو في ذيل الديوان ص ٨٢ ، وانظرها في الأمل للقالى ١٧٧/٢ ،
 ٢٠٢ ، لباب الآداب ٢٣ حماسة ابن الشجرى ١٤٢ ، المستطرف ٢٤٥/١ ، والبيت الأخير في حماسة البحترى
 ٢٢٦ ، والكامل ١٧/٢ ، وقد نسبته فيه إلى جميل العذرى .

(٢) زيادة من ب .

(٣) يروى : وبين الثلاثة . وانظر البيت في عيون الأخبار ٣٩/١ ، حماسة أبي تمام ٥٢/٢ ، لباب الآداب
 ٢٤٠ ، حماسة البحترى ٢٢٦ ونسبها هناك إلى الأشعر الجعفى .

(٤) عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤١ .

(٥) ١ : شائع .

(٦) زيادة من ب ، وقد نسبت الأبيات في الكامل ١٦/٢ إلى جميل العذرى ، ونسبت في معجم الشعراء
 ٣٢٥ إلى قيس بن حدادية الخزاعى ، وفي حماسة أبي تمام ٢٢٦/١ سماه قيس بن منقلة الخزاعى .

وذهبت طائفة إلى أن السرّ ما أسرّته في نفسك ، ولم تبده إلى أحد .
قال عمرو بن العاص : ما استودعتُ رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته ، لأنني كنت به
أضيق صدرأ حين استودعته إياه .

وإلى هذا ذهب القائل حيث قال :

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَعِذْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ^(١)

وأنشد الأصمعي قال : أنشدني أعرابي :

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أُبْثُهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَقْتُلْنِي غَمًّا
وإنَّ سَخِيفَ الرَّأْيِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ حَرِيْبًا بِكُتْمَانٍ كَأَنَّ بِهِ حُمًى
وَفِي بَثِّكَ الْأَسْرَارَ لِلْقَلْبِ رَاحَةٌ وَتَكْشِفُ بِالْإِفْشَاءِ عَنْ قَلْبِكَ الْهَمَّ^(٢)

وقال سحيم الفقعي :

لَا أَكْتُمُ الْأَسْرَارَ لَكِنْ أَذِيْعُهَا وَلَا أَدْعُ الْأَسْرَارَ تَغْلِي عَلَى قَلْبِي
وإنَّ ضَعِيفَ الْعَقْلِ مَنْ بَاتَ لَيْلَهُ تُقْلِبُهُ الْأَسْرَارُ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ^(٣)

ومثله قول الآخر :

لَا تُفْشَيْنِ سِرِّي إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

(١) الكامل ١٦/٢ ، العقد الفريد ٧٧/١ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، المستطرف ٢٤٥/١ .

(٢) محاضرات الأدباء ٦٠/١ ، مجموعة المعاني ٧١ ، عيون الأخبار ٤١/١ .

(٣) يروي : لكن أنعمها ، ولا أنرك الأسرار ، ويروي : وإن أحق الناس بالسخف لأمرو . انظر

الكامل ١٨/٢ ، حسانة أبي تمام ٣٧١/٢ ، المستطرف ٢٤٦/١ .

فإني رأيتُ غُوَاةَ الرُّجَالِ لا يتركون أديماً سَحيحاً^(١)

وقال رجل من بني سعد :

إذا ما ضاقَ صدْرُكَ عَنْ حَدِيثِ
إذا عَاتَبْتُ مَنْ أَفْشَى حَدِيثِي
وإني حينَ أَسَامُ حَمَلَ سِرِّي
ولست محدثاً سِرِّي خَلِيلاً
وَأَطْوَى السِّرِّ دُونَ النَّاسِ إِنِّي
لَمَّا اسْتَوْدَعْتُ مِنْ سِرِّ كَتُومٍ^(٢)
فَأَفْشَتْهُ الرُّجَالُ فَمَنْ تَلُومُ
وسِرِّي عِنْدَهُ فَأَنَا الظُّلُومُ
وَقَدْ ضَمَّنْتُهُ صَدْرِي^(٣) سَوُومُ
وَلَا عِرْسِي إِذَا خَطَرْتُ هُمُومُ
لَمَّا اسْتَوْدَعْتُ مِنْ سِرِّ كَتُومٍ^(٤)

وقال المتنبي :

رِضَاكَ رِضَايَ^(١) الَّذِي أُورِ
وَسِرُّكَ سِرِّي فَمَا أَظْهَرُ
كَفَّتِكَ الْمَرْوَةَ مَا تَتَّقِي
وَأَمْنَكَ الْوُدَّ مَا تَحْذَرُ
وَسِرُّكُمْ فِي الْحَشَا مَيِّتٌ^(٢)
إِذَا انْتَشَرَ السِّرُّ لَا يُنْشَرُ^(٣)

وقال حارثة بن بدر الغداني :

خَلِيلِي لَوْلَا حُبُّ زَيْنَبٍ لَمْ أَسَلْ
أَفِي الْيَوْمِ لَقِيتُ الْمَنِيَّةَ أَمْ غَدَا

(١) انظر البيتين في مجموعة المعاني ٧١ ، عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤٠ ، العقد الفريد ٧٦/١ ، الكامل ١٥/٢ ، حماسة البحتري ١٠٦ .

(٢) ١ : سري .

(٣) عيون الأخبار ٣٩/١ ، لباب الآداب ٢٤٣ ، ونسبه فيه إلى رجل من عهد شمس بن سعد .

(٤) ١ : رضائي .

(٥) ديوانه ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وفيه : إذا أنشر السر ، وقد نسبت أيضا إلى أبي العتاهية . ووردت في

ديوانه ٩١ .

خَلِيلِيَّ إِنِّ أَفْشَيْتُ سِرِّي إِلَيْكُمَا فَلَا تَجْعَلَا سِرِّي حَدِيثًا مُبَدَّدًا
فَإِنْ أَتَا أَفْشَيْتَاهُ فَلَا رَأَتْ عِيُونُكُمَا يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَمَّدًا

وقال آخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ لِنَفْسِكَ سِرَّهَا فَمِيرُوكَ عِنْدَ النَّاسِ أَفْشَى وَأَضْيَعُ^(١)

وقال ابن مَيَّادَةَ واسمه الرَّمَّاح :

يَا خَلِيلِيَّ هَجَّرَا كَيْ تَرُوحَا^(٢) هَجَّتُمَا لِلرَّوَّاحِ قَلْبًا قَرِيحًا
إِنْ تَرُوحَا^(٣) لَتَعْلَمَا سِرَّ سُعْدَى تَجِدَانِي بِسِرِّ سُعْدَى شَحِيحًا
إِنَّ سُعْدَى كَمُنِيَّةٍ الْمُتَمَنَّى جَمَعَتْ عَفَّةً وَوَجْهًا صَبِيحًا
كَلَّمَنِي وَذَاكَ مَا نَلْتُ مِنْهَا إِنَّ سُعْدَى تَرَى الْكَلَامَ رَيْحًا

قيل لرجل : كيف كتمانك للسر^(٤) ؟ قال : أجهد المخبر . وأحلف
للمستخير .

أسر رجل إلى رجل سرًّا ، فلما فرغ قال له : حفظت ؟ قال :^(٥) لا . بل نسيت .

قال أبو محجن الثقفي :

قَدْ أَرْكَبُ الْهَوَلَ مَسْدُولا سَتَائِرُهُ وَأَكْتُمُ السَّرَّ فِيهِ ضَرْبَةَ الْعُنُقِ^(٥)

(١) عيون الأخبار ١/ ٤٠ ، لباب الآداب ٢٤٢ . حماسة البحتري ٢٢٤ .

(٢) ١ : هجراني خروجاً .

(٣) ب : روجاً .

(٤) ساقطة من أ .

(٥) ساقطة من أ ، وهـ ، ديوانه ٢٦ ، وصدر البيت فيه : وقد أجود وما مالي بندي فنع ، والفنم :

عن عرض ، وانظره في عيون الأخبار ١/ ٣٨ .

وقال مسكين الدرايم :

وَإِنِّي أَمْرُوٌّ مَنِّي الْحَيَاءُ الَّذِي تَرَى أَوَاخِي رِجَالًا لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ
أَعِيشُ بِأَخْلَاقٍ قَلِيلٌ خِدَاعُهَا يَظْلُونَ شَقَى فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ
عَلَى سِرٍّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا إِلَى صَخْرَةٍ أَغْيَا الرَّجَالَ انْصِدَاعُهَا^(١)

وقال آخر :

وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانِ مَا اشْتَمَلْتُ مَنِّي الضُّلُوعُ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ
لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سَرَايِرَهُ^(٢) إِذَا كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرٍ^(٣)

قال أبو الشَّيْص :

ضَمَّ السِّرَّ فِي صَمَاءٍ لَيْسَتْ بِصَخْرَةٍ صَلَوْدٍ كَمَا عَايَنْتَ مِنْ سَائِرِ الصَّخْرِ
وَلَكِنَّهَا قَلْبُ أَمْرٍ ذِي حَفِظَةٍ يَرَى ضَيْعَةً^(٤) الْأَسْرَارِ شَرًّا مِنَ الشَّرِّ
يَمُوتُ وَمَا مَاتَتْ كَرَائِمُ فِعْلِهِ فَيَبْلَى وَمَا يَبْلَى ثَنَاهُ عَلَى الدَّهْرِ

كان يقال : لا تطلعوا النساء على سركم ، يصلح لكم أمركم .

قال الشاعر :

خَتَمْتُ الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا كَخَتَمِ الضَّعِيفَةِ بِالْخَاتَمِ

(١) الأبيات في مجموعة المعاني ٧١ ، الأمل ١٧٦/٢ ، الحماسة ٤٧٣/١ ، وفيها البيت الثاني :

وفتيان صدق .

(٢) ب : ضائرته .

(٣) لباب الآداب ٢٤١

(٤) ١ : شيعه ،

هَوَتْ بِي فِي حُبِّهَا نَظْرَةً هَوَى الْفَرَّاشَةَ فِي الْجَاهِمِ^(١)

وقال آخر :

فَإِنْ تَكُ لَيْلِي حَمَلْتَنِي أَمَانَةً فَلَا وَأَبَى لَيْلِي إِذَا لَا أَخُونَهَا

حَفِظْتُ لَهَا السِّرَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَلَا يَحْفَظُ الْأَسْرَارَ إِلَّا أُمِينُهَا^(٢)

كان يقال : كل شيء تكتمه عن عدوك ، فلا تَظْهَرِ عليه صديقك .

وقال آخر :

إِذَا كَتَمَ الصَّدِيقُ أَخَاهُ سِرًّا فَمَا فَضْلُ الصَّدِيقِ عَلَى الْعَدُوِّ^(٣)

وقال آخر :

وَأَبْثَثْتُ عَمْرًا بَعْضَ مَا فِي جَوَانِحِي وَجَرَّعْتُهُ مِنْ مَرٍّ مَا أَتَجَرَّعُ

وَلَا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي حَفِيزَةٍ إِذَا جَعَلْتُ أَسْرَارُ نَفْسِي تَطْلَعُ^(٤)

وقال أبو الشيص :

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى سِرِّي وَسِرِّكُمْ غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْ طَى الْقَرَّاطِيسِ^(٥)

وقال ابن وكيع :

إِذَا كُنْتَ ذَا سِرٍّ تَخَافُ مِنَ الْعَدَا عَلَيْهِ ظُهُورًا فَاطْوِهِ دُونَ ذِي الْوَدِّ

(١) ١ : للجاحم .

(٢) عيون الأخبار ٤٢/١ ، الأمل للقالى ٧١ ، وفيه : فلا وأبى أعدائها لا أخونها .

(٣) البيان ٣٨٠/٣ .

(٤) انظر البيتين في محاضرات الأدباء ٤٥/٢ ، البيان والتبيين ٣٨٠/٣ ، من غير نسبة ، وهما لبشار بن

برد ، كما في المختار من شعره ١٤٥ ، وفيه : وأودعت عمرا .

(٥) عيون الأخبار ٤٢/١ ، شرح المختار من شعر بشار ١٥٧ .

فِيأَرْبُ خِلِّ حَالٍ عَمَّا عَهْدَتُهُ فُظِّلَ لِمَا قَدْ كُنْتُ أَوْدَعْتُهُ يُبْدِي
وَقَالَ شَيْبُ بْنُ الْبَرِّصَاءِ :

وَإِنِّي لَا كُمُنُ السَّرِّ عِنْدِي وَإِن أَتَى لَذَلِكَ مِنْ عَمِيدِ الْأَمَانَةِ حِينَ^(١)
كُمُونِ النَّوَى لَا يَشْعُرُ النَّاسُ أَنَّهُ ثَوَى فِي رُقَاتِ الْأَرْضِ وَهُوَ دَفِينُ
وَقَالَ آخَرُ :

تَبُوحُ بِسِرِّكَ ضَيْقًا بِهِ وَتَبْنِي لِسِرِّكَ مَنْ يَكْتُمُ
وَكَتْمَانُكَ السَّرَّ مِمَّنْ تَخَافُ وَمَنْ لَا تَخَوِّفُهُ أَحْزَمُ^(٢)

وَقَالَ آخَرُ :

أَدَارِي خَلِيلِي مَا اسْتَقَامَ بُوْدُهُ وَأَمْنَحُهُ وَدِّي إِذَا يَتَجَبَّبُ
وَلَسْتُ بِبَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ وَلَا أَنَا مُبْدِي سِرِّهِ حِينَ أَغْضَبُ
وَمَا أَنشَدَهُ الرَّيَّاشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

بَدِيَّتُهُ قَبْلَ تَدْيِيرِهِ مَتَى رُمَّتْهُ فَهُوَ مُسْتَجْمِعُ
وَفِي كَفِّهِ لَلْفَنَى مَطْلَبُ وَلِلْسَرِّ فِي صَدْرِهِ مَوْضِعُ^(٣)

(١) : بين .

(٢) البيتان للحسين بن علي بن أحمد النقيي ، انظر معجم الأدباء ١٠/ ١٣٠ ، وانظرهما في لباب الأدباء .

٢٤٢ ، محاضرات الأدباء ١/ ٥٩ .

(٣) البيتان لأشجع بن عمرو السلمي ، انظر الشعر والشعراء ٨٥٩ ، وفيه : بديته مثل تدبيره .

بَابُ الْحَرْبِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْجُبْنِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهم فَابْتَئُوا » .

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في كتابه إلى خالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة : أخذه الشاعر فقال :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبِقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُتَقَدِّمًا^(١)

ومن هذا قول الخنساء :

نَهَيْنُ النُّفُوسَ وَهَوْنَ النُّفُوسِ عِندَ الْكَرِيهَةِ أَوْقَى لَهَا^(٢)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض بني عبس : كم كنتم في يوم كذا ؟ قال : كنا مائة ، لم نكثر ففتوا كل ونفشل ، ولم نقل فنذل . قال : فبم كنتم تظهرون على أعدائكم ، ولستم بأكثر منهم ؟ قال : كنا نصبر بعد الناس هنية .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لابنه الحسن ، وقد قيل لابنه محمد : يا بني ! لا تدهون أحداً إلى البراز ، فإنه بغي^(٣) ، ولا يدعونك أحد إليه إلا أجبته .

قدم وفد على عمر بن الخطاب بفتح ، فقال : متى لقيتم عدوكم ؟ قالوا : أول

(١) نسب البيت في حناسة أبي تمام ٦٨/١ إلى الحسين بن حمام المرو ، ونسبه في الأغاني مرة إلى الحسين ٢٦٧/١٢ ، ومرة إلى شبيب بن البرصاء ٢٨١/١٢ ، ونسب في عيون الأخبار ١٢٥/١ إلى يزيد بن المهلب بن أبي صفرة .

(٢) الديوان ٢١٥ ، شرح الحماسة للمرزوقي ١٣٥/١ ، محاضرات الأدباء ١٤٥/١ ، عيون الأخبار ١٢٥/١ .

(٣) ب : نهي ، وما أثبتناه موافقاً لرواية اللطيف ، وبمدها فيه : والباغي منصروع .

النهار . قال : فمضى انهزموا ؟ قالوا : آخر النهار ، فقال : إنا لله ! أوقام الشرك للإيمان من أول النهار إلى آخره !! والله إن كان هذا إلا عن ذنب أحد تتموه بعدى^(١) ، أو أحدثه بعدكم ، ولقد استعملت يعلى بن أمية على اليمن أستنصر لكم بصلاحه .

قيل لعنرة : كم كنتم يوم الفروق^(٢) ؟ قال : كنا ألفاً مثل الذهب الخالص ، ليس فينا غيرنا ، لم نكثروفتوا كل^(٣) فنفسيل ، ولم نقل فنذل .

لم يكن قبيل في العرب^(٤) ألف فارس^(٥) إلا ثلاث قبائل : مرة وعبس وبنو الحارث بن كعب .

^(٦) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لعمر بن معدي كرب^(٧) : أخبرني عن السلاح . قال : سل عما شئت . قال : الرمح ، قال : أخوك وربما خانك^(٨) . قال : النبل ؟ قال : منايا تخطى وتصيب . قال : الترس ، قال : ذلك المجن وعليه تدور الدوائر . قال : الدرع ، قال : مشملة^(٩) للرجال متعبة للفارس ، وإنها لحصن حصين . قال : السيف ؟ قال : قارعتك أمك على الشكل . قال : عمر : بل أمك . قال : أخبرني عن الحرب ، قال : مرة المذاق ، إذا قلصت عن ساق ، من صبر لها عرف ، ومن ضعف عنها تلف ، وهى كما قال الشاعر :

الحرب أول ما تكون فتية^(١٠) تسعى بزينتها لكل جهول

(١) ب : أجزمتوه .

(٢) الفروق : موضع بديار بنى سعد ، كان فيه يوم من أيام حروب عبس وذيان . وفي العقد ١١١/١ ، كننا مائة بدل ألف .

(٣) ساقط من ب .

(٤) في العقد : وربما خانك فانقص .

(٥) - في العقد : مثقلة ، وانظر هذه المحاورة في عيون الأخبار ١٢٩/١ وفي العقد ١١١/١ حيث ساقها بصورة أخرى .

(٦) روى ابن الأثير المصراع الأول في النهاية ٤١٢/٣ . وضبط فتية بضم الفاء وفتح التاء ، على التصغير . قال : ورواه بعضهم بالفتح .

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خُلِيلٍ
شَمَطَاءٍ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ^(١) مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ^(٢)

قال حذيفة بن اليمان : الفتنة تُلَقَّح بالتجوى ، وتُنْتَجج بالشكوى . أخذ نهر بن
سيار^(٣) قول حذيفة هذا ، والله أعلم ، حين قال :

وإن الحرب أولها الكلام

وهي أبيات كتبها إلى مروان بن محمد :

أرى خَلَلَ الرَّمَادِ وميضَ نارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
فإن النَّارَ بِالْمُودِينَ تُذَكِّي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا الْكَلَامُ
فقلتُ مِنَ التَّعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي أَأَيْقَظُ أُمِّيَّةً أَمْ نِيَامُ^(٤)

بلغ أبا الأغر^(٥) أن أصحابه ، وقع بينهم شر ، فوجه ابنه الأغر^(٦) ، وقال له :
يا بني كن يداً لأصحابك على من قاتلهم ، وإياك والسيف ، فإنه ظل الموت ، واتق
الرمح ، فإنه رسالة المنية ، ولا تقرب السهام ، فإنها رسل لا تؤامر من يرسلها ،
قال : فبم أقاتل ؟ قال : بما قال الشاعر :

(١) : تكرهت .

(٢) : العقد ١٠٩/١ ، وفي هامشه أنها نسبت لامرئ القيس في العقد الثمين من دواوين الشعراء الستة
الجاهليين ، وانظرها في الشعر والشعراء ٣٢٣ ، عيون الأخبار ١٢٨/١ ، محاضرات الأدباء ٧٦/٢ .

(٣) : ١ : سنان .

(٤) : العقد الفريد ١١٠/١ ، وفيات الأعيان ٢٢٧/٢ ، عيون الأخبار ١٢٨/١ ، ونسبها لأعرابي يدعى أبا ميم
في محاضرات الأدباء ٧٥/٢ .

(٥) : ب : الفر ، والمصحح ما أثبتناه كما في العقد وغيره .

(٦) : ب : الآخر .

جَلَامِيدُ أُمَلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رِءُوسُ رِجَالٍ حُلِّقَتْ بِالْمَوَاسِمِ

وهذا الشعر هو :

تُغَطِّي نَمِيرٌ بِالْعَمَائِمِ لُؤْمَهَا وَكَيْفُ يُغَطِّي اللُّؤْمَ طَى الْعَمَائِمِ
فَإِنْ تَضْرِبُونَا بِالسَّيَاطِ فَإِنَّا ضَرَبْنَاكُمْ بِالْمَرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ
وَإِنْ تَحْلِقُوا مِنَّا الرُّءُوسَ فَإِنَّا حَلَقْنَا رِءُوسًا بِاللَّحَى وَالْعَلَاصِمِ
وَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا السَّلَاحَ فَعِنْدَنَا سِلَاحٌ لَنَا^(١) لَا يُشْتَرَى بِالذَّرَاهِمِ
جَلَامِيدُ أُمَلَاءِ الْأَكْفِ كَأَنَّهَا رِءُوسُ رِجَالٍ حُلِّقَتْ بِالْمَوَاسِمِ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في الصبر على الحرب قول نهشل بن حرى بن ضمرة :

وَيَوْمَ كَأَنَّ الْمُصْطَلِينَ بِحَرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُن نَارٌ قِيَامٌ عَلَى الْجَمْرِ
صَبَرْنَا لَهُ حَتَّى تَقْضَى وَإِنَّمَا تَفَرِّجُ أَيَّامُ الْكَرِيهَةِ بِالصَّبْرِ^(٣)

ومثله قول الآخر :

بَكِي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الْمَوْتَ مُوقِنًا مُطِلاً كَاطِلَالِ السَّحَابِ إِذَا اكْتَفَهَرُ
فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبِكْ عَيْنُكَ إِنَّمَا يَكُونُ غَدًا حَسَنُ الشَّاءِ^(٤) لِمَنْ صَبَرَ
فَمَا أُخِّرَ الْإِحْجَامُ يَوْمًا مُقَدَّمًا وَلَا عَجَّلَ الْإِقْدَامُ مَا أُخَّرَ الْقَدَرُ

(١) ساقطة من أ .

(٢) الأبيات لجريز ، ديوانه ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، البيان ١٢/٣ ، العقد الفريد ٢١٣/١ ، محاضرات الأدباء ٧١/٢ ، الكامل ٣٤٤/١ ، ونسبت في ذيل الأمل ١١٦ ، ١١٧ ، إلى نافع بن خليفة الغنوي وانظر البيت الأخير في عيون الأخبار ١٣١/١ وفيها : إعلان بد أملاء .

(٣) يروي : وإن لم يكن له نار وقوف ، ويبوخ مكان تقضى . انظر البيتين في شرح الحماسة للمرزوقي

٣٦٣/١ ، عيون الأخبار ١٢٨/١ ، العقد ١٢٥/١ ، الشعر والشعراء ٦١٩ .

(٤) ب : إلينا ، والأبيات في عيون الأخبار ١٢٥/١ .

ومن أحسن ما قيل في النظم في الصبر على الحرب^(١) ، قول قطري بن الفجاءة
التميمي الخارجي :

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لن ترأى
فإنك لو سألت بقاء يومٍ على الأجل الذي لك لم تطأى
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيلُ الخلود بمُسْتَطَاعٍ
ولا ثوبُ البقاء بثوبٍ عزٍّ فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيلُ الموت غاية كلِّ حيٍّ وداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لم يُعْتَبَطْ يهرم ويسقم وتسلمه المنون إلى انقطاع^(٢)

وقال أصرم بن حميد :

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَمَنٌ مُدِيرٌ وَيَنْدَقُ قُدَمًا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
مُسَلِّمَةٌ أَعْجَازُ خَيْلِي فِي الْوَعَى وَدَامِيَةٌ لِبَآئِهَا وَنُحُورُهَا^(٣)

وقول الآخر :

وقد يلتقي الجمعان والموتُ فيهما فيقتل من ولَّى ويسلم من ثبت
وقد ذكرتُ في «باب الاعتذار» أحسن ما قيل في النظم ، في الاعتذار
من الفرار .

(١) ب : في التعريض على القتال .

(٢) الخنع : الذل والخضوع ، واليراع : القصبة الفارغة تهتز من الريح يشبه بها الجنان ، ويعتبط : يمت شاباً من غير علة ، والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ٩٦/١ ، وفيها : يسأم ويهرم بدل يهرم ويسقم ، وانظر وثائق الأعيان ٢٥٣/٣ ، لباب الآداب ٢٢٤ ، عيون الأخبار ١/٦٢-١ حيث تختلف الرواية بعض الاختلاف .

(٣) يروي : وتفرق منها بدل يندق قدماً ، ويروي صدر البيت الثاني : محرمة أكفال غبلى على القنا ، والبيتان في العقد الفريد ١/١١٧ ، وقد نسبنا في مجوء المعاني ٣٧ إلى أبي تمام .

ومن أحسن ما قيل في الإنصاف في صفة الحرب ، واللقاء والصدق في ذلك ،
قول عبد الشارق بن عبد المزى الجهني :

تَنَادَوْا يَا لَ بَهْثَةٍ يَوْمَ صَبْرٍ^(١) فَقُلْنَا : أَحْسِنِي ضَرْبًا جُهَيْنَ
سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرٍ غَيْبٍ فَجَلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنَا
فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلًا أَنْخَنَّا لِلْكَلَالِ فَارْتَمَيْنَا^(٢)
وَلَمَّا لَمْ نَدْعُ قَوْمًا وَسَهْمًا مَشِينَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا
تَلَأُلُوْا مُزَانَةَ بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا جَادُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا^(٣)
شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثَةَ فَتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنَا
وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلٍ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُورِنَا
وَكَانَ أَخِي جُورَيْنٌ ذَا حِفَاطٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفَتِيَانِ زَيْنَا
فَأَبَوْا بِالرِّمَاحِ مُكْسَرَاتٍ وَأَبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدْ انْحَنَيْنَا
فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أَحَاحُ وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا الْكَلَمَى سَرَيْنَا^(٤)

(١) و ا ، م : يا لهية قوم صبر ، وفي حماسة أبي تمام : يا لبهثة إذ رأونا ، ورواية حماسة البحرى :
يا لبهثة إذ لقونا ، فقالوا أحسنى .

(٢) ب : فارقيننا .

(٣) ا : وجينا .

(٤) آل بهثة : قبيلة العدو ، وارعوينا : تراجصنا ، وردينا : سرنا بخطو فوق الحجلان . ورواية حماسة
أبي تمام لهذه الشطرة : إذا جعلوا بأسياف ردينا ، فالحجلان : تقارب الخطو كمشى القيد ، والرديان : مشية
فوق الحجلان ، وقتلت قينا : أى فارسهم المدعوقين ، أو هو عبد من عبيدهم ، والأحاح : الفيظ وحزارة لهم .
والكلبي : الجرعى . وانظر الأبيات في حماسة أبي تمام ١٧٧/١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، وقد نسبت في حماسة
البحري ٦١ إلى سلامة بن الحجاج .

وقال العَدِيلُ^(١) المِجْلَى :

إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمَلَةً ثَبَتُوا لَنَا بِمُرْهَفَةٍ تَفْرِى السَّوَاعِدَ مِنْ بُعْدِ
وَلِنْ نَحْنُ نَازِلُنَاهُمْ بِصَوَارِمٍ رَدَوْا فِي سَرَائِيلِ الْحَدِيدِ كَمَا نَزَدِي^(٢)
وقال آخر :

نَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصْرُنَ يَخْطُونَا قُدُمًا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ^(٣)
وقال آخر :

إِنَّ الرَّمَّاحَ نَصِيرَةٌ بِالْجَاسِرِ

وقال آخر :

وَقُلْتُ لِنَفْسِي إِنَّمَا هُوَ عَامِرٌ فَلَا تَرْهَبِيهِ وَانْظُرِي أَيْنَ يَرْكَبُ^(٤)
قال قَطَرِيُّ بْنُ الْفُجَاءَةِ :

لَا يَرْكَنُ أَحَدٌ إِلَى الْإِخْجَامِ يَوْمَ الْوَعَى مَتَخَوِّفًا لِحِمَامِ
فَلَقَدْ أَرَانِي لِلرَّمَّاحِ دَرِيئَةً مِنْ عَنِّ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي
حَتَّى خَضِبْتُ بِمَا تَحْدَرُ مِنْ دَمِي أَحْنَاءَ سَرَجِي بِلِ عِنَانٍ لِحَامِي

(١) ب : المذيل ، وهو تحريف ، فهو العديل بن الفرخ العجلي ، شاعر إسلامي أموي يلقب بالعباب من رهط أبي النجم العجلي ، انظر حماسة أبي تمام ٣١١/١ .

(٢) في الحماسة : مثلوا بدل ثبتوا ، ونذرى مكان تفرى ، وصعد بدل بعد ، ومعنى ردوا في سرايل الخ : هرولا إلينا كما نهروا إليهم . وانظر البيتين في حماسة أبي تمام ٣١١/١ .

(٣) نسب البيت في حماسة أبي تمام ١٠٦/١ ، ١٢٤ إلى بشير بن عبد الرحمن بن كعب ، ونسب في الأغاني ٣٠/١٥ ، الشر والشعراء ٢٤٢ ، السكامل ٦٨/١ إلى كعب بن مالك الأنصاري ، وانظره في البيان ٢٣/٢ من غير نسبة .

(٤) البيت لـ كرز بن حفص القرشي ، انظره في حماسة البحتري ١٢ ، والرواية هناك : وانظري أي مركب .

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جَذَعُ البَصِيرَةِ قَارِحَ الإِقْدَامِ^(١)

قال عمر بن الخطاب : الجرأة والجبين غرائز يضعها الله حيث يشاء ، فالجبان يفر عن أهله وولده ، والجريء يقاتل عمن لا يؤوب به إلى رحله .

ومن شعر لأبي يعقوب الخريمي :

يَفِرُّ جَبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عَرْسِ نَفْسِهِ وَيَحْمِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يُنَاسِبُهُ
وَيُرْزَقُ مَعْرُوفَ الْجَوَادِ عَدُوَّهُ وَيُحْرَمُ مَعْرُوفَ الْبَخِيلِ أَقَارِبُهُ^(٢)

وقال قطري بن الفجاءة :

يَا رَبِّ ظِلُّ عُقَابٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهَا مَهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالُ تَجْتَلِدُ
وَرَبِّ يَوْمٍ حَمَى أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ خَيْلِي افْتَسَارًا وَأَطْرَافُ الْقَنَا قِصْدُ
وَيَوْمٍ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءٌ الْوَغَى أَوْ نَارُهُ تَقْدُ
مُشَهَّرًا مَوْقِفِي وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ عَنْهَا الْقِنَاعَ وَبَحْرُ الْمَوْتِ مُطَرِّدُ
وَرَبِّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلَهَا مَخْرَجُهَا بِمَطَايَا غَارَةٍ تَخْدُ
تَجْتَابُ أودية الأفزاع آمنة كَانَهَا أَسَدٌ يَقْتَادُهَا أَسَدُ
فَإِنْ أُمْتُ حَتَفَ أَنْفِي لَا أُمْتُ كَدَا عَلَى الطَّعَانِ وَقَصُرُ الْعَاجِزِ الْكَمْدُ^(٣)

(١) شرح الأبيات : الدريئة : الهدف ، أو الحلقة التي يتعلم عليها الطعن : والأحزاء : الجوانب ، ويروى بدلها الأكناف ، وجذع البصيرة : فتي الاستبصار ، أي وأنا على بصيرتي الأولى ، وقارح الإقدام ، متناه في الجرأة . والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ١٣٠ ، والحماسة طبعة بيروت ١/ ٤٤ ، الأملاني للقالى ٢/ ١٩٠ .

(٢) في عيون الأخبار ١/ ١٧٢ : عن أم رأسه ، وفي العقد الفريد ١/ ١٦٣ : عن أبيه وأمه ، وفي محاضرات الأدباء ١/ ١٣١ ، ٥٧/٢ : عن أم نفسه .

(٣) العقاب : طائر ، وتجتلد : تتقاتل ، والعقوة : شجر ، وقصد : قاطعة أو منكسرة من الطعان ، مخرتها : قطعتها ، ويروى مكان مخرتها : نجزتها . وتخذ : تسير سيراً حثيثاً ، وقصر : أى حسب . والأبيات في شرح الحماسة للمرزوقي ١/ ١٣٢ ، لباب الآداب ٢٢٥ ، الأملاني ١/ ٢٦٥ .

وقالت الخنساء :

وَمَنْ ظَنَّ يَمُنُّ يُلَاقِي الْحُرُوبَ بَلَا يُصَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا^(١)

وقال حبيب الطائي :

وَدَنُونَا وَدَنُوا حَتَّى إِذَا أَمَكْنَ الضَّرْبُ فَمِنْ شَاءَ ضَرَبُ
تَرَكَوا الْقَاعَ لَنَا إِذْ كَرِهُوا . غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَاخْتَارُوا الْهَرَبَ^(٢)

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، ويقال : إنها لَعَمْرُو بن مَعْدَى كَرِبَ :

أَعَاذِلُ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي رُكُوبِي فِي الصَّرِيخِ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْفَتَيَانِ حَتَّى سُلَّ جِسْمِي وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَبْلُ النَّجَادِ^(٣)

وقال آخر :

قَوْمَ إِذَا اشْتَجَرَ الْقَنَا جَعَلُوا الْقُلُوبَ لَهَا مَسَالِكُ
الْإِبْسَـيْنِ قُلُوبَهُمْ فَوْقَ الدُّرُوعِ لَدَفْعِ^(٤) ذَلِكَ^(٥)

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي صِفَةِ^(٦) الطَّعْنِ ، قول الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ :

فَرَدَدْنَاَهُمْ بِضَرْبِ كَمَا يَنْحُ رُجٌّ مِنْ جَرِيَةِ الزَّادِ الْمَاءِ
وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ وَمَا إِنَّ لِلْخَائِنِينَ ذِمَّةَ

(١) الديوان ١٤٦ .

(٢) الديوان ٢١١ .

(٣) ب : سل عظمي . والبيتان في عيون الأخبار ١/١٣٣ ، العقد الفريد ١/١٤٤ ، ١٤٢ ، وفيه : إجابتي

الصريخ ، وانظر البيت الأول في معجم الشعراء ٢٠٩ .

(٤) ١ : لوقع .

(٥) البيتان في أمالي القالي ١/٦٥ .

(٦) ب : صحه .

وقال الفندُ الزماني^(١) :

وطعن كُفم الزَّقِّ غِذَا وَالزَّقُّ مَلَانُ

وقال آخر :

وَمِثْلِكَ قَدْ كَسَرْتُ الرُّمُوحَ فِيهِ فَآبَ بِدَائِهِ وَشَفِيتُ دَائِي

وقالت بنت المنذر بن ماء السماء^(٢) :

وقالوا : فارسُ الهيجاءِ ، قُلْنَا : كَذَاكَ الرُّمُوحُ يَكْلَفُ بِالكَرِيمِ

وقال آخر :

ضَمَمْتُ إِلَيْهِ بِالْقَنَاءِ قَمِيصَهُ نَحَرَ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ^(٣)

وقال عنتره :

فَشَكَّكَتُ بِالرُّمُوحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَاءِ بِمَحْرَمِ^(٤)

وقال آخر :

صَرَاعِنَا طَرِيفًا بِأَرْمَاحِنَا وَلَا تَأْكُلِ الْحَرْبُ إِلَّا السَّمِينَا

(١) اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمان الحنفي ، كان سيد بكر بن وائل وقائدها وفارسها وسمى الفند لعظم خلقته ، تشبها بفند الجبل أي القطعة منه ، مات نحو سنة ٧٠ قبل الهجرة ، والبيت مع أبيات أخرى في حماسة أبي تمام ١٦/١ ، حماسة البحتري ٧٥ وفيها : «وهي» مكان غذا ، والأما للقال ٢٦٠/١ . والزق : وعاء الحمر ، وغذا : سال .

(٢) في الحماسة أن قائلته هي بنت فروة بن مسعود من شعر قائلته في رثاء أبيها فروة وعمها قيس ابن مسعود وكانا قتلا مع المنذر ذي القرنين يوم عين أباغ ، والمنذر هو ابن امرئ القيس وأمه ماء السماء النمرية ، ورواية الحماسة للبيت : وقالوا ماجداً منكم قتلنا كذاك ... الخ ، انظر حماسه أبي تمام ٢٧١/١ .

(٣) البيت لربيعة بن مكرم ، الكامل ١٧١/٢ .

(٤) ديوانه ٢٦ ، جمهرة أشعار العرب ٩٧ .

وقال علي بن محمد^(١) العلوي ، المعروف بالمبرقع^(٢) ، صاحب الزنج :
 يَنْثَنِي الصَّارِمُ الْمُهْتَدُ وَالرُّمُ حُ الرُّدَّيْنِي وَالشُّجَاعُ الْجَرِي
 حَيْثُ لَا أَنْثِي وَلَا يَتَثَّنِي بِيَدِي صَارِمٌ وَلَا سَمَّهَرِي
 مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى مَشْرِفِيًّا مَاضِيًّا^(٣) فِي يَمِينِهِ مَشْرِفِي
 شَأْنِي الْفَارِسُ الْمَدَجَّجُ فِي النَّقْ عِ إِذَا نَازَلَ الْكَمِيُّ الْكَمِي
 وَرَأَيْتُ الْفَضَاءَ أَضْيَقَ مَا يُسْ مَيَّ بِهِ حَتَّى كَأَنَّهُ مَطْوِي
 يَا ابْنَةَ الْعَمِّ أَوْقَدِي أَنْارَ فِي اللَّي لِي فَإِنِّي لِكُلِّ آتٍ أَتِي^(٤)
 أَكْرَمُ الضَّيْفِ مَا اسْتَظَمْتُ لِأَنِّي مَطْعَمِي حَاضِرٌ وَكَأْسِي رَوِي
 كَيْفَ لَا تُزْهِقُ النُّفُوسُ لِشَخْصِي حِينَ أَغْشَى الْوُغَى^(٥) وَجَدِّي عَلِي
 ذُو الثَّقَى وَالنُّبْلِ وَذُو الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ مِ وَمِنْ خَيْرِ طِينَةِ وَالْوَصِي
 وَالَّذِي قَالَ إِنَّهُ الْيَوْمَ مِنِّي مِثْلُ هَارُونَ مِنْ أَخِيهِ النَّبِيِّ

وقال عبدة بن هلال :

يَهْوِي وَتَرْفَعُهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ شِلْوٌ تَنْشَبُ فِي مَخَالِبِ صَارِ

(١) في ١ : علي بن أحمد وهو خطأ ، فهو علي بن محمد الوزني العلوي ، الملقب بصاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن في العهد العباسي ، ظهر في أيام المهدي بالله العباسي سنة ٢٥٥ هـ ، والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاها ، حتى بلغ جيشه ٣٠٠ ألف مقاتل ، وعجز عن قتاله الخلفاء حتى استطاع الموفق بالله في أيام المعتمد سنة ٢٧٠ هـ أن يقتله . انظر الطبري ١١/ ١٧٤ ، الأعلام ٥/ ١٤٠ .

(٢) زيادة في فقط ، وليس هذا لقب له بل هو لثائر آخر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ١ : آب أبي .

(٥) ساقطة من ب .

فُيرى صَريماً وَالرَّماحَ تنوشُهُ إن السُّرَّاةَ قصيرة الأعمارِ

وقال مهلهل :

لَمْ يُطِيقُوا أَنْ يَنْزِلُوا وَنَزَلْنَا وأخو الحَرْبِ مَنْ أَطاقَ النُّزُولَ^(١)

وقال^(٢) ابن مقروم^(٣) الضبي :

وَدَعَوْا نَزَالَ فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَّامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

وقال أعشى همدان :

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً أَنَّ الْكَتَائِبَ لَا يُهْزَمَنَّ بِالْكَتُبِ
إِنَّ الْوَعِيدَ بظهِرِ الْغَيْبِ مَعْجَزَةٌ فَإِنْ أُرِدْتَ قِتَالَ الْقَوْمِ فَاقْتَرِبِ

من ها هنا والله أعلم أخذ حبيب :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكَتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ^(٤)

وقال آخر :

وَخَارِجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمَعِ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعُ

مَنْ كَانَ يَهْوَى أَهْلَهُ فَلَا رَجَعَ^(٥)

(١) ب : النزلا ، والبيت في محاضرات الأدباء ٥٧/٢ .

(٢) ساقط من ١ ، وابن مقروم هو ربيعة بن مقروم الضبي ، شاعر مخضرم شهد القادسية وجلولاء أيام عمر ، وبعد من شعراء مضر المجيدين . والبيت في عيون الأخبار ١/١٢٦ ، حماسة أبي تمام ٢٣/١ ، ويروى : أركبها بدل أركبه .

(٣) البيت في ديوانه ٤٥ .

(٤) الشعر والشعراء ٧٥٣ ، العقد الفريد ١/١٦٩ ، عيون الأخبار ١/١٨٣ وفيه : مَنْ كَانَ يَهْوَى أَهْلَهُ...

الخ .

قال السموءل بن عادياء اليهودي :

يَقْرَبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرُّهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ^(١)

كان معاوية رضى الله عنه يتمثل بهذين البيتين :

كَأَنَّ الْجَبَانَ يَكِي أَنَّهُ سَيُقْتَلُ قَبْلَ انْقِضَاءِ الْأَجَلِ

وَقَدْ تُدْرِكُ الْحَادِثَاتُ الْجَبَانَ وَيَسْلَمُ مِنْهَا الشُّجَاعُ الْبَاطِلُ^(٢)

أشعار الجبناء

قال أيمن بن خريم :

إِنَّ لِلْفِتْنَةِ مِيلاً بَيْنَنَا فَرُوَيْدَ الْمِيلِ مِنْهَا يَمْتَدِّلُ

فَإِذَا كَانَ عَطَاءٌ فَأَقِمَّ^(٣) وَإِذَا كَانَ قِتَالٌ فَأَعْزِلْ

إِنَّمَا يُسْمِعُهَا جَهَالُهَا حَطَبَ النَّارِ فَدَعَهَا تَشْتَعِلُ^(٤)

وقال آخر :

أَضَحْتُ تَشَجُّعِي هَنْدٌ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشُّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ^(٥)

لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهِمْ وَثَبُّوا

(١) حساسة أبي تمام ٢٨/١ ، البيان ٢٨١/٣ .

(٢) عيون الأخبار ١٦٥/١ .

(٣) ب : فأتهم .

(٤) الأبيات في العقد الفريد ١٦٧/١ ، نهاية الأرب ٧١/٣ ، عيون الأخبار ١٦٣/١ ، وفيها كلها : ميطا بدل

ميل وها بمعنى ، وفي العقد فأتهم بدل أفهم ، وفي عيون الأخبار فأتهم ، وهي موافقة للنسخة ب .

(٥) ساقط من أ . وفي العيون فقلت لها إن الشجاعة ، وفيها : إلى حوبائها بدل نيرانها .

وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أُبْنَىٰ فَعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يَعْجِبُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ^(١)
لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْفِرْدَوْسَ جَنَّتَهُ^(٢) مَا يَشْتَهَى الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهُ أَرْبُ^(٣)

وقال أبو الغمر المدني كاتب الحسن بن زيد :

قَدْ هَانَ عِنْدِي لِسَانُ الْعَارِ وَالْعَذْلِ فَلَسْتُ آأَفُ مِنْ جُبْنٍ وَلَا فَشَلٍ
إِنِّي بَخَلْتُ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِهَا وَلَسْتُ بِالْمَالِ أَفْذِيهَا مِنَ الْبَخْلِ
هِيَهَاتَ تَأْتِي لِي التَّغْرِيرَ فَلَسَفَةٌ تَرَى حُضُورَ الْوَعْيِ مِنْ أَكْثَرِ الزَّلَالِ
مَتَى رَأَيْتَ شَجَاعًا مَاتَ بِالْأَجَلِ وَنَالَ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا مَدَى الْأَمَلِ
كَأَنَّ أَجَالَ شُجْعَانٍ الْوَرَى خُلِقَتْ^(٤) فِي أَنْفُسِ الْبَيْضِ وَالْخَطْبَةِ الذُّبُلِ^(٥)

وقال أيضاً :

إِنِّي أَضِنُّ بِنَفْسٍ لَا يُجَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ السَّرَفِ
مَا أَبْعَدَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِ الْعَبِيَانِ وَمَا أَحَلَّهُ بِالْفَتَى الْحَامِي عَنْ الشَّرَفِ^(٦)

وقال أيمن بن خريم :

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ وَقَدْ رَأَى تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بَنَا الْمِرَاسُ

(١) ب : لا الجند يعجبني منها ولا اللعب .

(٢) في العقد : لا والذي منع الأبصار رؤيته ، وفي العيون : لا والذي حجت الأنصار كعبته .

(٣) الأبيات لأبي الغمر محمد بن أبي حمزة الطهوي ، انظرهما في عيون الأخبار ١/١٦٤ ، العقد الفريد

١/١٦٦ ، مجموعة المعاني ٤٤ ، محاضرات الأدباء ٢/٦٢ ، ٧٩ .

(٤) ب : جعلت .

(٥) الحسن والمساوي ٢/٢٤٥ .

(٦) معجم الشعراء ٢٦٩ ، وفيه : إني بخلت .. الخ .

فألى إن أطعْتُك غير نفسي ومالى غير هذا الراسِ رَأْسِ^(١)

وقال الهذلى يصف جباناً :

نَحُولُ قُشَعْرِيْرَ أَتَهُ^(٢) دُونَ لَوْنِهِ فرائضُهُ من خيفةِ المَوْتِ تُرْعِدُ^(٣)

وقال آخر :

وَكَتِيْبَةٌ لَبَسَتْهَا بَكْتِيْبَةٌ حَتَّى إِذَا التَّبَسَّتْ نَفَضَتْ لَهَا يَدِي

فتركبهم تقص الرِّمَاحُ ظهورهم من بين مُنْجَدِلٍ وآخر مُسْنَدٍ

ما كان ينفعني مَقَالُ نِسَائِهِمْ - وَقَتِلْتُ دُونَ رَجَالِهِمْ - لَا تَبْعَدُ^(٤)

وروينا أن مروان بن الحكم، دعا أيمن بن خُرَيْم إلى القتال بمرج راهط، فقال له :

إن أبى وعمى شهداء بدر، وعهدا إلى ألا أقاتل مسلماً، ثم أنشأ يقول :

وَلَسْتُ بِقَاتِلِ رَجُلًا يُصَلِّي عَلَى سُلْطَانٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ

له سُلْطَانُهُ وَعَلَى إِثْمِي مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَفَهٍ وَطَيْشٍ

أَقْتُلُ مُسَلِّمًا فِي غَيْرِ جُرْمٍ فَلَسْتُ بِنَافِعِي مَا عَشِمْتُ عَيْشِي^(٥)

(١) في السكامل أنهما الحبيب بن المهلب بن أبي صفرة، وقيل لهما للأعور الشنى، وقد وردا في حماسة أبي تمام ٣٦٥/٢ بغير نسبة، وفيها : بغير جرم مكان وقد رآنى، ومن حياة مكان غير نفسى، وفي محاضرات الأدباء ٧٩/٢ : بغير نصح . وفي مجموعة المعاني ٤٣ : بغير علم .

(٢) ب : تشعر برأته .

(٣) البيت لساعدة بن جؤية الهذلى، ديوان الهذليين ٢١٨/٢ .

(٤) يروى : من بين منفر الجبين ومسند، ومن بين مقتول، ويروى : هل كان بدل ما كان، وهل ينفعني أن نقول نساؤهم ... الخ . ومعنى نفضت لها يدي أى أعرضت عنها، وتقص : تكسر، ومنجدل : مقتول . والأبيات للفرار السلمي (حيان بن الحكم) كما في حماسة أبي تمام ٦٥/١، غيون الأخبار ١/٤ : ١٠، وانظرها أيضاً في حماسة البحتري ٥٠، العقد الفريد ١/١٦٤، محاضرات الأدباء ٧٩/٢ .

(٥) الشعر والشعراء ٥٢٧ .

وقد روى أن هذه القصة جرت لأيمن بن خريم مع عبد الملك بن مروان .

ولأبي الغمر كاتب الحسن بن زيد أمير المدينة :

لستُ غَدَاةَ الكَرِّ بالكِرَّارِ ولا عَلَى الطَّعَّانِ بالصَّبَّارِ
هانت عَلَى سَبَلَاتِ العَارِ وما أَبَالِي قَبَلُوا اعْتِدَارِي
أَوْ وَسَمُونِي سِمَةَ الغَدَّارِ^(١) أَنَا طَلِيقُ الرِّكْضِ وَالْفِرَارِ
فَدَيْتُ نَفْسِي مِنْهُ بِالِاضْمَارِ فَلَوْ تَرَانِي أَوْ تَرَى إِخْضَارِي^(٢)
لَا أَعْرِفُ اللَّيْلَ مِنَ النَّهَارِ خَلَّتْنِي عَجَلَانِ ذَا انْشِمَارِ^(٣)
طَرَفًا^(٤) نَجَا مِنْ وَخْزَةِ البَيْطَارِ أَحْكِمَ مِنْهُ الصَّنْعُ فِي المِضْمَارِ
أَوْ عَدُوَّ عَيْرٍ غَيْرَ مَا عِثَارِ أَوْ كَنْجَاءَ النَّقْنَقِ الطِّيَّارِ^(٥)

قيل لأسلم بن زُرعة : إن انهزمت من أصحاب مرداس غضب عليك الأمير
عبيد الله بن زياد فقال : لأن يغضب عليّ وأنا حيّ ، أحب إليّ من أن يرضى عني
وأنا ميت .

وأسلم بن زُرعة هذا هو القائل^(٦) ، وقد عبأ جيشاً عظيماً ليفزع به الخوارج ،

(١) ب : الفرار . (٢) ب : لإحصار .

(٣) ب : لإنسار . (٤) ب : طرباً .

(٥) شرح الكلمات : السبلات : جمع سبل بالتحريك ، وهو السب والشتم ، والإضمار : إعطاء الفرس
القوت بعد السمن لتنهزل وتستطيع دخول السباق . والإحصار : ارتفاع الفرس في العدو ، وانشمر : مر جاداً في
عمله ، والطرف : الفرس الكريم ، والبيطار : معالج الدواب ، والمضمار : موضع إضمار الخيل ، والنقنق :
الظليم ، أو النافر أو الخفيف .

(٦) ب : يقول .

فلما رآهم لم يفرعوا ، وجعلوا يقبلون إليه ، قال لهم : عزمتُم^(١) خار الله لنا ولكم ،
ثم ضرب وجوه أصحابه وانصرف عنهم ، ولما هزمه مرداس قال شاعرهم — وكانوا
أربعين — وأسلم بن زُرعة في ألفين :

أَلْفًا مُؤْمِنٍ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُهُمْ رِجَالٌ أُرْبَعُونَ
كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكَ كَذَاكُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَ
هُمْ الْفِئَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَ^(٢)

وجه أبو جعفر المنصور ، رَوْح بن حاتم إلى قتال بعض الخوارج ، فلقبه
أبو دلامة ، فقال له روح : يا أبا دلامة ! لو خرجت معنا في هذا الوجه ، فقاتلت
فأبيت ، فذكرت بالشجاعة كما ذكرت بالشعر ، فضحك ، وقال : اسمع أبا خالد ،
قال : هات ، فأنشأ يقول :

إِنِّي أَعُوذُ بِرَفِجٍ أَنْ يُقَرَّبَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَيَشُقَّ بِي^(٣) بَنُو أَسَدٍ
إِنْ الدُّنُوَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ تَعْلَمُهُ مِمَّا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ^(٤)
قال : فضحك وأمر له بجائزة .

وَقَالَ أَبُو النُّعْمَانِ :

ظَلَّتْ تُشَجِّمُنِي ضَلًّا بِتَضْلِيلِ^(٥) وَلِلشَّجَاعَةِ خَطْبٌ غَيْرُ مَجْهُولٍ

(١) ساقطة من أ .

(٢) الأبيات لعيسى بن فاتك الخطمي ، أحد بني تميم الله بن ثعلبة ، كما في السكامل ١٨٥/٢ ، وفي المقد
الفريد ١٧٣/١ ورد البيت الأول : أَلْفًا مؤمن لستم كذاكم ولكن الخوارج ... الخ ، وفيه : غير شك بدل
قد علمتم . وانظر عيون الأخبار ١٦٣/١ وفيها : بأسك أربعونا .

(٣) ب : فيسفو إلى .

(٤) البيتان في نهاية الأرب ٤٢/٤ ، وفيه : فتخزي بي بنو أسد ، وانظر معجم الأدباء ١٦٧/١١ :

(٥) ب : ظلا بتضليل تهريب ، وضلا بتضليل دعاء عليهما بالضلال .

هل غير أن عَذَلُونِي أَنِّي فَشِلُّ
الحربُ تُعَقِّبُ مَنْ يَصَلِّي بِهَا حَزَنًا^(١)
وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ جَبْرِيلاً تَكَفَّلَ لِي
اللَّهُ خَلَّصَنِي مِنْهُمْ وَفَلَسَافَتِي
وَلَهُ أَيْضًا :

لَسْتُ بِدَائِ الْحَرْبِ بِوَقَّافٍ
قَدْ أَمَّنَ اللَّهُ عَدُوِّي فَمَا
إِذَا رَأَيْتُ الْحَرْبَ مِنْ فَرَسِجٍ
وَلَا عَلَى الْقِرْنِ بِعَطَّافٍ
يَخَافُ أَرْمَاحِي وَأَسْيَافِي
خَذَرْتُ إِرْجَلِي أَيْ خِذْرَافٍ^(٢)

(١) ب : جربا .

(٢) ١ : آمال .

(٣) المحاسن والساوى ١٤٤/٢ ، ١٤٥ .

(٤) الحفروف : السريم الجري ، وانظر الأبيات في المحاسن والساوى ١٤٥/٢ ،

باب الاعتذار

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ اعْتَذَرَ إِلَيْهِ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ فَلَيْتُ بَيْلُ عَذْرِهِ ، مَا لَمْ يَعْلَمْ كَذِبَهُ » .

قال عمر بن الخطاب : لَا تَلْمُ أَخَاكَ عَلَى مَا يَكُونُ الْعُذْرُ فِي مِثْلِهِ .

قال الأحنف : إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ قَلَّمَا اعْتَذَرَ أَحَدٌ فَسَلِمَ مِنَ الْكَذِبِ .

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : لو أَنَّ رَجُلًا شَتَمَنِي فِي أُذُنِي هَذِهِ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيَّ فِي أُذُنِي هَذِهِ لَقَبِلْتُ عَذْرَهُ .

ومن النظم في معناه :

قِيلَ لِي قَدْ أَسَا إِلَيْكَ فَلَانَ وَقُعُودُ الْفَتَى عَلَى الضَّيِّمِ عَارُ
قُلْتُ : قَدْ جَاءَنَا فَأُحْدِثَ عُذْرًا دِيَّةُ الذَّنْبِ عِنْدَنَا الْاِعْتِذَارُ

وقال الأحنف : إِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ ، فَلْتَلْقَهُ بِالْبِشْرِ .

اعتذر إلى قتيبة بن مسلم رجل فقبل منه ، ثم قال : لَا يَدْعُونَكَ أَمْرٌ قَدْ تَخَلَّصْتَ مِنْهُ إِلَى الدَّخُولِ فِيمَا لَعَلَّكَ لَا تَتَخَلَّصُ مِنْهُ .

قال صالح بن أبي النجم :

وَلَرُبَّمَا جَاءَ الْفَتَى بِدَنِيَّةٍ وَوَرَاءَهَا عُذْرٌ لَهُ لَمْ يُفْهَمِ

وكان يقال : اعتذار بمنع خير من وعد بمطول .

وقال صالح بن عبد القدوس :

يَلُومُنِي النَّاسُ فِيمَا لَوْ أُخْبِرَهُمْ
بِالْعُذْرِ مَنِّي فِيهِ لَمْ يَلُومُونِي

قال البحتري :

اقْبَلْ مَعَاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِرًا
فَقَدْ أَطَاعَكَ مِنْ يَرْضِيكَ ظَاهِرُهُ
إِنْ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَرًا
وَقَدْ أَجَلَّكَ مِنْ يَعْصِيكَ مُسْتَعْتِرًا^(١)

وله أيضًا :

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا
عُدَّتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟^(٢)

وقال محمود بن داود القياسي :

الْعُذْرُ يَلْحَقُهُ التَّخْوِيفُ^(٣) وَالْكَذِبُ
فَإِنْ أَسَاءْتُ فَبِالنَّعْمَى الَّتِي سَلَفَتْ
وَلَيْسَ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِيكَ لِي أَرْبُ
لَمَّا مُنِيتُ بِعَفْوِ مَالِهِ سَبَبُ

وقال أبو علي البصير :

لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا فَإِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ
قَدْ تَطَرَّفُ الْكَفُّ عَيْنَ صَاحِبِهَا
جَنَيْتُ ذَنْبًا فَغَيْرُ مُعْتَمِدٍ
فَلَا يَرَى قَطْعَهَا مِنْ الرِّشْدِ^(٤)

(١) البيتان في ديوانه ٥٨/١ .

(٢) ديوانه ٦٣/١ .

(٣) ب : التعريف .

(٤) نهاية الأرب ١١٥/٢ .

وقال علي بن الجهم :

إِنَّ ذُلَّ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِذَارِ خَطَّةٌ مَعْبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ
لَيْسَ جَهْلًا بِهَا تَوَرَّطَهَا الْخُرُّ وَلَكِنْ سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ
أَرْضَ لِلْسَّائِلِ الْخُضُوعَ وَلِلْقَا رِفِ ذَنْبًا مَذَلَّةَ الْإِعْتِذَارِ^(١)

وقال آخر :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَرَى لِي زَلَّةً وَلَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ مَا عَنْهُ مَهْرَبُ
إِذَا عَتَذَرَ الْجَانِي تَحَا الْعُذْرُ ذَنْبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ لَا يَقْبَلُ الْعُذْرَ مُذْنِبُ^(٢)

كان يقال : مَنْ وَفَّقَ لِحَسَنِ الْعِذَارِ خَرَجَ مِنَ الذَّنْبِ .

اعتذر رجلٌ إلى أبي عبيد الله الوزير الكاتب^(٣) ، فأساء الاعتذار ، فقال
أبو عبيد الله : مَا رَأَيْتَ اعْتِذَارًا أَشْبَهَ بِاسْتِثْنَاءِ ذَنْبٍ مِنْ هَذَا .

وللشافعي رضي الله عنه ، وقد قيل : إِنَّمَا تَعْتَلُّ بِهَا :

يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفَرَّقَهُ عَلَى الْمُقْلِينَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ
إِنْ اعْتَذَرِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ عِنْدِي مِنْ إِحْدَى الْمُصِيبَاتِ

(١) ديوانه ١٤٩ ، العقد الفريد ٢٨٧/١ ، وفيه : إِنْ بَيْنَ السُّؤَالِ ... الخ .

(٢) فصل المقال ٦٩ ، العقد الفريد ١٤٣/٢ .

(٣) هو معاوية بن عبيد الله بن يسار ، وزير المهدي ، كان أوحّد الناس في عصره حدقا وخبرة وكتابة ، مات سنة ٥١٧ هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٩٧/١٣ ، الوزراء والكتاب ١٤١ وما بعدها .

ومما يُنشد للفراء من قوله :

أردتُ لكَيْناً لا تُرى لى عَثْرَةٌ ومن ذا الذى يُعطى الكَمالَ فيكْمُلُ^(١)

وقال محمود الوراق :

أراني إذا ما زِدْتُ مالاً ورفعةً وخيراً إلى خيرٍ تَزِيدْتُ في الشرِّ
فكيف بشكر الله إذ كنتُ إنما أقومُ مقامَ الشكر لله بالكفر
بأى اعتذارٍ أم بأية حجةٍ يقولُ الذى يدرى من الأمر : ما أدرى؟
إذا كان وجهُ العُذرِ ليس بواضحٍ فإنَّ اطِّراحَ العُذرِ خيرٌ من العُذرِ^(٢)
قال أبو بكر الصولى ، أخبرني أبو بكر بن عبد الله ، قال : سألني أبو سليمان
الشَّاشيَّ حاجة فاعتذرت بشغل في تأخيرها ، فكتب إلى :

سَكَنْتَ نَفْسِي لَمَّا أَلِفْتُ حَبْلِي بِحَبَالِكَ
إِنَّمَا أَطْلُبُ مِنْ جَاءَ هَكَ نَفْعاً لَا بِعَالِكَ
لَا تَصِيرَ شُغْلُكَ الْيَوْمَ مَ اعْتِذَاراً لِطَلَابِكَ^(٣)
لو تَفَرَّغْتَ مِنَ الشُّغْلِ لِ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَسَالِكِ^(٤)

وهذا عندي مأخوذ من قول أبي المتاهية :

ليسَ ذَا الشُّغْلِ عَازِرٌ لَكَ عِنْدِي إِنَّمَا تُرْتَجَى إِذَا كَانَ شُغْلُ^(٥)

(١) ينسب البيت أيضاً لثروان العملى ، انظر أمالي القالى ٤٣/٢ .

(٢) الكامل ٣٣٨/١ ، زهر الآداب ٩٠/١ ، محاضرات الأدباء ١١٦/١ ، نهاية الأرب ٨٥/٣ .

(٣) ب . لا تصير ... لمطالك .

(٤) محاضرات الأدباء ٢٦٦/١ .

(٥) ديوانه ٢١٦ .

وقال آخر :

ولا تعتذرُ بالشُّغلِ عَنَّا فَإِنَّمَا تُنَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ
ولا ترتفع عَنَّا بِشَيْءٍ وَلَيْتَـهُ كَمَا لَمْ يُصَغَّرْ عِندَنَا شَأْنُكَ الْعَزْلُ^(١)

وقال آخر :

وقد علمتُ لوَ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِي أَنْ انْطَلَقِي إِلَى الْحَجَّاجِ تَغْرِيرُ
لئن رحلتُ إِلَى الْحَجَّاجِ مُعْتَذِرًا إِنِّي لِأَحَقُّ مِنْ تَجَرِّي بِهِ الْعِيرُ^(٢)

وقال آخر :

لا تَرْجُ تَوْبَةً مَذْنِبٍ خَلَطَ احْتِجَاجًا^(٣) بِاعْتِذَارٍ
وقال ابن الدُّمَيْنَةِ :

بِنَفْسِي وَمَالِي مِنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ بَعْضُ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ
ولم يعتذرْ عُذْرَ الْبَرَى وَلَمْ يَزَلْ بِهِ سَكْتَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبُ^(٤)
وقال آخر :

فَلَا تَعْذِرَانِي^(٥) فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شِرَارُ الرِّجَالِ مِنْ يُسَىءُ وَيُعْذِرُ^(٦)

(١) نسب البيتان في معجم الشعراء ٣١٤ إلى أبي علي البصير ، وانظرهما في زهر الآداب ٢٥٦/١ ، عيون الأخبار ٨٧/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٣ .

(٢) البيتان للأقيل الفيني ، كما في المؤلف والمختلَف ٢٤ .

(٣) ب : الندامة ، والبيت لكثوم بن عمرو العتابي كما في السكامل ٣٢٨/٢ ، وانظره في المحاضرات ١١٢/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

(٤) ديوانه ١٣ ، البيان ٢١٥/١ ، خماسة أبي تمام ١١٢/٢ ، الشعر والشعراء ٧١٠ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٥) ب : تعذلاني .

(٦) البيان ٢٠٥/١ ، عيون الأخبار ١٠١/٣ .

وقال آخر :

وما حسن أن يعذر المرء نفسه وليس له من سائر الناس عاذر^(١)

وقال آخر :

هي المقادير فلمنى أو فذر إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر^(٢)

وقال آخر :

وعاجز الرأي مضياح لفرصته حتى إذا فات أمره عاتب القدر^(٣)

وقال آخر :

إذا عيروا قالوا مقادير قد جرت وما العار إلا ما تجر المقادير^(٤)

قال بعض الحكماء : إياك وما يسبق للقلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره .

قال محمود الوراق :

أراني مع الأحياء حيا وأكثري على الدهر ميّت قد تخوّنه^(٥) الدهر
فما لم يمّت^(٦) منى لما مات ميّت وبعض لبعض قبل قبر البلى قبر
فيا ربّ قد أحسنت بدءا وعودة إلى فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة فعذري إقرارى بأن ليس لي عذر

(١) حماسه أبي تمام ١٥/٢ ، لباب الآداب ٣٧٢ ، مجموعة المغانى ١٣ ، ٢٦ .

(٢) البيت من مزدوجة أبي العتاهية ، انظر ديوانه ٢٤٦ ، التمثيل والمحاضرة ٣٢٩ ، معجم الأدباء ١٢٧/٧ ،

عيون الأخبار ١٤١/٢ .

(٣) العقد ١/٧٥ ، البيان والتبيين ٣٩١/٢ ، معجم الشعراء ٤٩٨ .

(٤) الأمل ١/٣١ ، عيون الأخبار ١٤١/٢ .

(٥) ١ : تخوفه .

(٦) ١ : يهب .

وفي الأشعار في الاعتذار من الفرار

قال الأصمعي : أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار ، قول الحارث بن هشام

المخزومي :

اللهُ يَعْلَمُ ما تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا مُهْرِي بِأَشَقَرٍ مُزِيدٍ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يُحْزِنُ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُفْسِدٍ^(١)

وقال خلف الأهر : أحسن ما قيل في الاعتذار في الفرار ، قول هبيرة بن أبي

وهب المخزومي :

لَعَمْرُكَ ما وَلَّيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جَبْنًا وَلَا خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكِنِّي قَلْبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ لَسِيْنِي غِنَاءَ إِنْ ضَرَبْتُ وَلَا نَبِيْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّا خَفْتُ ضَيْعَةً مَوْقِفِي رَجَعْتُ لَعَوْدِ كَالْهَزْبِ أَيْ الشَّبْلِ^(٢)

فر ابن مطيع^(٣) يوم الحرّة ، وسار إلى ابن الزبير ، فلما قوتل ابن الزبير ، جعل

يحتهد معه في القتال ، ويقول :

(١) يروي : علوا فرسي ، ولا يضرر عدوي ، ويوم مرصد أي معلوم . وانظر الأبيات في حماسة أبي عامر ٦٤/١ ، عيون الأخبار ١٦٩/١ ، حماسة البحتري ٥٠ .

(٢) يروي : خشية بدل خيفة ، وغناء لسيفي ، ويروي البيت الثالث :

وقفت فلما لم أجِدْ لي مقدما سددت كضرغام هزبر أبي الشبل

انظر حماسة البحتري ٥٠ ، محاضرات الأدباء ٧٨/٢ .

(٣) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود السكبي القرشي ، كان على قرش يوم الحرّة (حرّة واقم ، انظر في خبرها : معجم البلدان المجلد الثاني ٢٤٩) فلما انهزم أصحابه فر واختبأ ، ثم انضم إلى عبد الله بن الزبير ، ولم يزل معه حتى قتل سنة ٥٧٣ ، انظر الإصابة الترجمة ٦١٨٧ ، تهذيب التهذيب ٣٦/٦ . وتروى الشطرة الأخيرة فيما يلي : لا بأس بالسكره بعد الفرّة ، وانظر البيهقي في العقد ١٧٥/١ ، وحماسة البحتري ٥٢ ، عدا الشطرة الأخيرة .

أنا الذي فررتُ يومَ الحرِّه والحرُّ لا يفرُّ إلا مرَّة
فاليومُ أجزي فرَّة بكرِّه يا حبذا الكرَّة بعد الفرَّة

وقال أوس بن حجر :

أتوَّنا فردُّوا حافَتَيْنَا بزاعقٍ^(١) من الضَّربِ ضَرَمَ النَّارِ فِي الحَطَبِ اليَيسِ
وما بفرارِ اليومِ عارٌ على الفتى إذا عُرِفَتْ منه الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ^(٢)
قال الأحنفُ بنُ قيس : أسرعُ النَّاسِ إلى الفتنَةِ ، أقلُّهم حياءً من الفرار .

وقال آخر^(٣) :

العبدُ يذنبُ والمولى يُقَوِّمُهُ والعبدُ يجهلُ والمولى يُعَلِّمُهُ^(٤)
إنِّي ندمتُ على ما كان من زللٍ وزلَّةُ المرءِ يَمُحُّوْهَا تَنْدُمُهُ

(١) ب : براعن . والزاعق : الشديد الذي لا يهتمل .

(٢) نسب البيتان في شرح الحماسة للتبريزي ٢٠٢/٢ وفصل المقال ٢٥١ لأوس ، ونسبا في المقد ١٧٢/١
لصرو بن معدى كرب ، ونسبهما في محاضرات الراغب ٧٨/٢ إلى عبد الله بن غاف .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ب : والمولى تعلمه .

بَابُ الْمَوَاعِيدِ

أثنى الله عز وجل على إسماعيل عليه السلام ، فقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴾^(١) ، قال كعب : كان لا يعدُّ أحداً إلا أنجزه ، وقال : انتظر رجلاً وعده سنة كاملة .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر رجلاً وعده في موضع من طلوع الشمس إلى غروبها .

وروى عنه عليه السلام : أنه انتظره ثلاثاً ، وَالْمُنْتَظَرُ عبد الله بن أبي الحمساء^(٢) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ما وعده ، ومن أوعده على عمل عقاباً فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » ، وعن ابن عباس مثله^(٣) .

وقال المثنى بن حارثة الشيباني : لأن أموت عطشاً أحب إلي من أن أخلف موعداً .

قال بعض الحكماء : وعدُّ الكريم نقد ، ووعدُّ اللئيم تسويق .

(١) سورة مريم الآية ٥٤ .

(٢) عبد الله بن أبي الحمساء العامري ، له صحبة ، سكن البصرة ، وقيل مصر . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٩٣/٥ .

(٣) ساقط من ب .

كان يحيى بن خالد يقول : المواعيدُ شِبَاكُ الكرام يصيدون بها محامد الإخوان ،
ألا تراهم يقولون : فلانٌ ينجز الوعد ، ويفي بالضمان ، وَيَصْدُقُ في المقال ، ولولا
ما تقدم من حُسن موقع الوعد ، لبطل حُسن هذا المدح .

وكان يحيى بن خالد ، يقول : إنَّ الحاجة إذا لم يتقدمها وعدٌ تنتظر نُجْحَه ، لم
تتجاوز الأَنفس سُرورها ، فدَعِ الحاجة تختمرُ بالوعد ، ليكون لها عند المصْطَنع
حسنُ موقع ولطفٌ محَل .

ومن كلام يحيى بن خالد بن برمك أيضاً : (لا) الكريم أنجح من (نعم) اللئيم ،
لأنَّ (لا) الكريم ، ربما كانت في وقت غضب ، وإبان سامة ، (ونعم) اللئيم تصدر
عن تصنع وفساد نية وقبح مآل .

أنشد أبو عمرو بن العلاء :

ولا يرهَبُ ابنُ العمِّ ما عشتُ صَوْلَتِي وَيَأْمَنُ مِنِّي صَوْلَةُ الْمُتَهَدِّدِ
وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَخِلْفُ إِيْعَادِي وَمَنْجَزُ مَوْعِدِي^(١)

وقال آخر :

لسانك أَجَلِي مِنْ جَنَى النَّحْلِ وَعَدُّهُ وَكَفَّاكَ بِالْمَعْرُوفِ أَضِيقُ مِنْ نَعْلِ
تَمَنَّى الَّذِي يَأْتِيكَ حَتَّى إِذَا انْتَهَى إِلَى أَمَلٍ نَاوَلْتُهُ طَرَفَ الْحَبْلِ^(٢)

(١) - محاضرات الأدباء ٢٧١/١ ، عيون الأخبار ٤٤/١ ، من غير نسبة ، ووردت منسوبة لعامر بن الطفيل
في العقد ٢٨٤/١ .

(٢) البيتان لصالح اللخمي ، انظر المستطرف ٢٣٤/١ ، عيون الأخبار ١٤٨/٣ . وفيهما : أضيق من نعل .

وقال زياد الأعجم :

للهِ دَرْكٌ مِنْ فَتَى لو كنتَ تَفْعَلُ ما تَقُولُ
لا خَيْرَ فِي كَذِبِ الْجَوَا دِرْجَبًا صِدْقُ الْبَخِيلِ^(١)

وقال آخر :

وإنْ جُمِعَ الْآفَاتُ فَالْبُخْلُ شَرُّهَا وشرُّ من البخل المَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ^(٢)

قال ابن عينة : وعد رجل ابن شبرمة عدة فطله بها ، فكتب إليه ابن شبرمة :

الخيرُ أنْفَعُهُ لِلنَّاسِ أَعْجَلُهُ وليسَ يَنْفَعُ خَيْرٌ فِيهِ تَطْوِيلُ

ومثل هذا قول سابق :

وتأخيرُ ما يُرْجَى بلاءٌ مُبَرِّحٌ وأفضلُ ما يُرْجَى من الخيرِ عَاجِلُهُ

وقال كعب بن زهير :

كانتْ مَوَاعِيدُ عُرُقُوبٍ لَهَا مِثْلًا وما مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(٣)

وقال الأشجعي :

وَعَدْتُ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ يَيْتَرِبُ^(٤)

قال ابن منبّه : هكذا قرأته على البصريين ييترب^(٥) بالتاء ، وفتح الراء .

(١) عيون الأخبار ١٤٦/٣ ، الشعر والشعراء ٣٩٩ ، العقد ٢٨٧/١ .

(٢) البيت لصالح بن جناح العبسي ؛ انظر مجموعة المعاني ٣١ .

(٣) ديوانه ٨ ، فصل المقال ١٠٣ ، حماسة البحتري ٨٣ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، عيون الأخبار ١٤٧/٣ .

نهاية الأرب ١٢٢/٢ .

(٤) عيون الأخبار ١٤٧/٣ ، فصل المقال ١٠٢ .

(٥) ساقطة من ب .

قال ابن الكلبي ، عن أبيه : كان عُرقوبٌ رجلاً من العماليق ، فأتاه أخ له يسأله شيئاً ، فقال له عُرقوب : إذا طَلَعَ نَخْلِي ^(١) ، فلما طلع أتاه فقال له : إذا بَلَحَ ، فلما بلح أتاه ، فقال : إذا زَهَى ^(٢) ، فلما زهى أتاه ، فقال : إذا أَرطَبَ ، فلما أَرطَبَ أتاه ، فقال : إذا ثَمِرَ ، فلما ثمر جَذَّه ليلاً ، ولم يُعطه شيئاً ، فضربت به العربُ المَثَلُ في خلف الوعد .

وقال غيره : عُرقوب جبل مكلل بالسحاب أبداً ، ولا يعطر شيئاً .

قال الحكماء : من خاف الكذب ، أقلّ المواعيد .

وقالوا : أمران لا يسلمان من الكذب ، كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار .

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابياً يقول : أنا والله منه في مواعيد تَهْيِضُ العَظْمِ ^(٣) ، وخُلفَ يذكر المَدم ، ولكنه إذا وعد الحريص علق نفسه لديه وأتعب رجله ، وأنشد :

أَمَلْتُ مِنْكَ نَوَالاً لَسْتُ أَذْرِكُهُ متى ^(٤) أقولُ الَّذِي أَمَلْتُ يَا تَبْنِي
أَفِي حَيَاتِي فَأَرْجُوهُ وَيَنْفَعَنِي أم في مماتي فَإِنَّ المَوْتَ يُغْنِينِي ^(٥)

وقال الشاعر :

فَلَا تَعِدْ عِدَّةً إِلَّا وَفَيْتَ بِهَا وَلَا تَكُنْ مُخْلِفًا يَوْمًا لَمَّا تَعِدْ

(١) طالع النخل : أول ما يبدو من ثمرته .

(٢) زهى : تلون بصره .

(٣) ١ : تهبط العظم .

(٤) ١ : من أن .

(٥) محاضرات الأدباء ١ / ٢٦٨ .

وأظن هذا من قول المثقب العبدى :

لا تقولنَّ إذا ما لم تَرِدْ أن يتمَّ الوَعْدُ فى شىءٍ نَعَمُ
وإذا قلتَ نَعَمَ فاصبرْ لها بنجاحِ الوَعْدِ إنَّ الخُلفَ ذَمٌّ^(١)

وروى لعمار الكلبي ، وأظن من شعره هذا :

قم لوجه اللهِ بالحقِّ وكنْ صادقَ الوَعْدِ فَمَنْ يُخْلِفُ يُلَمُّ
وقال آخر :

إذا قلتَ فى شىءٍ نَعَمَ فَأَتِمَّهُ فإنَّ نَعَمَ دَيْنٌ على الحُرِّ واجبُ
وإِلَّا فَقُلْ لَا واسْتَرَحْ وَأَرِحْ بها لئلا يقول النَّاسُ إنَّكَ كاذِبٌ^(٢)
وقال آخر :

إنَّ الكَرِيمَ إذا حَبَاكَ بِمَوْعِدِ أعطاك كَهْ سَلِسًا^(٣) بغيرِ مِطَالٍ^(٤)
وقال عمر بن أبى ربيعة المخزومى :

ليتَ هندا أنجزتنا ما تعدُّ وشفتَ أنفُسَنَا بما تجِدُّ
واستبدَّتْ مرَّةً واحدةً إنَّما العاجزُ من لا يَسْتَبِدُّ^(٥)

(١) ورد البيتان للمثقب العبدى أيضاً فى حماسة البحتري ٢٢٢ ، وأوردها فى العقد الفريد ٢٨٤/١ لابن أبى حازم ، وانظرهما والبيت التالى الذى نسبته المصنف لعمار الكلبي فى محاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .

(٢) محاضرات الأدباء ٢٦٩/١ .

(٣) ١ : أعطاك سلسلة .

(٤) البيت لأبى العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، وفيه : إن الشريف ... الخ .

(٥) سبق البيتان فى ص ٤٥٧

وقال آخر :

تَمَنَيْتُ مَا أَرْجُوهُ مِنْ حُسْنٍ وَعَدَيْتُكُمْ
هَبُونِي لَمْ أَسْتَأْهِلِ الْعُرْفَ مِنْكُمْ

وقال عباس بن الأحنف :

مَا ضَرَّ مَنْ قَطَعَ الرَّجَاءَ يُخْلِهِ
لَوْ كَانَ عَلَّانِي بوعدي كاذب^(١)

وقال آخر :

إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلٌ لَدَيْكَ لِمَا^(٢)
يَشْنِي الصَّبَابَةُ فَلْيَكُنْ وَعْدٌ

وقال آخر :

فَإِنْ تَدْعِي^(٣) نَجْدًا أَدْعُهُ وَمَنْ بِهِ
وَإِنْ كَانَ يَوْمُ الْوَعْدِ يَوْمَ لِقَائِنَا
وَأِنْ تَسْكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبْدًا نَجْدُ

فَلَا تَعْذِلْنِي أَنْ أَقُولَ مَتَى الْوَعْدُ^(٤)

وقال محمد بن مُنَازِر :

أَنْزِلِ الْمَالَ وَلَا تَبْخَلْ بِهِ
لَا تَعِدْ شَرًّا وَعِدْ خَيْرًا وَلَا
فَإِذَا أُعْصِرْتَ بِالْمَالِ فَعِدْ
تُخْلِفِ الْوَعْدَ وَأَنْجِزْ مَا تَعِدْ

(١) ديوانه ٣٦ ، عيون الأخبار ٣/١٤٦ ، العقد الفريد ١/٢٨٥ ، وفيه . ماضر من شغل الفؤاد . . . الخ .

(٢) ب : لنا .

(٣) ب : تدعى .

(٤) مخاضرات الأدباء ٢/١٦ ، الكامل ١/٦٤ .

بابُ عُيُونٍ مِنَ الْمَدْحِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر ، وأقواهم على دين الله عمرُ ، وأصدقهم حياءَ عثمان ، وأقضاهم على بن أبي طالب ، وأقرأهم أبيّ ابن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، وما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجةٍ أصدق من أبي ذرٍّ ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصارَ ، فقال : « إنكم لتقتلون عند الطَّعَمِ ، وتكثرون عند الفَزَعِ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ دُورِ الأنصارِ دُورُ بني عبد الأشهل ، وفي كل دور الأنصار خيرٌ » .

وقال عليه السلام : « إن الله اختارني ، واختار لي أصحاباً وأنصاراً ، وجعل لي منهم وزراء وأصهاراً » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ نسلٍ رَكِبَ الإبل نساء قريش ، أحنأهنَّ على ولدٍ في صغره ، وأرعاهن لبعلٍ في ذات يده » .

ذكر أبو بكر الصديق عند ابن عباس ، فقال : كان والله بالمسلم حفياً ، وعلى الكافر قسياً ، وعن اللذة سلياً ، يتواضع حيث لا تُوهن نُصْرَتُهُ^(١) ، ويعلو حين

لأنّ خوف سطوته ، القرآن قائده ، والموت إمامه ، لأن الأمر بين عينيه ، وعاقبته بين يديه ، رحمه الله وأحسن عنا مجازاته .

ذكر ابن عباس أبا بكر رضى الله عنهما ، فقال : كان ثاني اثنين إذ هما في الغار ، وثاني اثنين في العريش ، وثاني اثنين في القبر .

قال الشعبي : لما مات علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، قام ابنه الحسن على قبره ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، واستغفر الله لأبيه ، ثم قال : نِعَمَ أَخُو الْإِسْلَامِ كُنْتَ يَا أَبِى ، جَوَاداً بِالْحَقِّ ، بَخِيلًا بِالْبَاطِلِ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ ، تَغْضِبُ حِينَ الْغَضَبِ ، وَتَرْضَى حِينَ الرِّضَا ، عَفِيفَ النَّظَرِ ، غَضِيفَ الطَّرْفِ ، لَمْ تَكُنْ مَدَاحًا وَلَا شَتَامًا ، تَجُودُ بِنَفْسِكَ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَبْخُلُ بِهَا الرِّجَالُ ، صَبُورًا عَلَى الضَّرَاءِ ، مُشَارِكًا فِي النِّعَمَاءِ ، وَلِذَلِكَ ثَقُلْتَ عَلَى أَكْتافِ قَرِيشٍ .

ذكر علي بن أبي طالب عند ابن عباس رضى الله عنهما ، فقال : كان والله يُسَكِّتُهُ الْحِلْمُ ، وَيُثَبِّطُهُ الْعِلْمُ .

ذكر علي بن أبي طالب عند صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ ، فقال : هو بالله عليم ، والله في عينيه عظيم .

قال معاوية لِضِرَارِ الصُّدَّائِي : صَفِّ لِي عَلِيًّا . قال : اعفنى يا أمير المؤمنين . قال : لتصفته . قال : أَمَا إِذَا لَا بَدَّ مِنْ صِفَتِهِ ، فَكَانَ وَاللَّهِ بَعِيدَ الدِّي ، شَدِيدَ الْقُوَى ، يَقُولُ فَصْلًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ عَنْ نَوَاحِيهِ ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَوَحْشَتِهِ ، وَكَانَ وَاللَّهِ غَزِيرَ الْعِبَرَةِ ،

طويل الفكرة ، يقلب كفه ويحاسب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن
الطعام ما خشن ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ^(١) ، لا يطمع القوى في
باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، كان فينا كأحدنا ، يحينا إذا سألناه ، وينبأنا
إذا استنبأناه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا ، وقربه منا لا نكاد نكاه لهيته ،
ولا نبته له لمظته ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ،
وغارت نجومه ، وقد تمثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تملل السليم ^(٢) ،
ويبكي بكاء الحزين ، يقول : يا دنيا ! غرّيتي غيري ، أليّ تعرضت ؟ أم إلى تشوقت ؟
هيهات هيهات ، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ،
آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

فبكي معاوية ، وقال : رحم الله أبا حسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك
عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح واحداً في حجرها .

سئل عبد الله بن عباس عن عليّ بن أبي طالب ، فقال : ما شئت من ضرر قاطع
في العلم بكتاب الله ، والفقه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له
مصاهرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتبطن في العشيرة ، والنجدة في الحرب ،
والبذل للماعون .

نظر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى زيد بن صوحان مقتولا ، فقال : والله
لقد كنت ما علمت : عظيم المعونة ، خفيف المؤونة .

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : السقيم ، والسليم ، المدوغ وسمى بذلك تيمناً بشفائه .

وقف على قبر طلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما ، فقال :

وما تَذَرِي إذا أَزْمَعْتَ أَمْرًا بَأَى الْأَرْضِ يُذَرِّكَ الْمَقِيلُ^(١)
ثم قال :

فَتَى كَانَ يُذِنُ الْغَنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ^(٢)

وقال أبو خراش في الذي ألقى على أبيه رداءه^(٣) :

ولم أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَا جِدَّ مُحْضٍ

ولأعرابي في يحيى بن خالد :

سَأَلْتُ النَّدَى هَلْ أَنْتَ حَيٌّ فَقَالَ لَا وَلَكِنِّي عَبْدٌ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
فَقُلْتُ : شَرَاءٌ ؟ قَالَ : لَا . بَلْ وَرَاثَةٌ تَوَارَثَهَا عَنْ وَالِدٍ بَعْدَ وَالِدٍ^(٤)

وقال آخر :

إِنَّ لِلنَّاسِ غَايَةً فِي الْمَعَالِي وَقَفُّوا عِنْدَهَا وَأَنْتَ تَزِيدُ
قَدْ تَنَاهَيْتَ فِي الْمَكَارِمِ وَالْمَجَى وَحَزَّتِ الْعُلَى فَأَنْتَ تُرِيدُ

(١) البيت لأحيعة بن الجلاح ، انظر مجموعة المعاني ٦ ، حماسة البجترى ١٨٦ .

(٢) البيت لسلمة بن يزيد الجعفي ، في رثاء أخيه قيس بن يزيد ، حماسة أبي تمام ٤٠٥/٦ ، أمالي القالي ٧/٢ ، وقال في الكامل ١٢٦/١ ما نصه : يقول بعضهم : إنه للأبيورد اليرباعي . وهذا ورد البيت في حماسة البجترى مرتين ٩٨ ، ٤٣٢ ونسبه في الأولى لسلمة بن يزيد ، وفي الثانية لليلى بنت سلمة ترضى أخاها ، وانظره في عيون الأخبار ٦٧/٢ .

(٣) أبو خراش : خويلد بن مرة الهذلي ، وقد ذكر المصنف ها هنا أنه قال البيت في رثاء أبيه ، وذكر أبو تمام في الحماسة أن المقتول أخوه عروة بن مرة وانظر ديوان الهذليين ١٥٨/٢ ، الحماسة ٣٣٣/١ ، وفيه : على أنه بدل لكنه ، وانظر البيت أيضاً في معجم الأدباء ٢٥٨/٣ ، زهر الآداب ١٥٨/٣ .

(٤) المستطرف ١٩٣/١ ، العقد الفريد ٣١١/١ .

ولحيب ويروى لإسحاق الموصلي :

إِنْ يَكُنْ شَيْءٌ جَمِيلٌ حَسَنٌ فَهُوَ فِي دُورِ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ
عُقِدَتْ أَلْسُنُهُمْ عَنْ قَوْلٍ لَا فِيهِ لَا ^(١) تُحْسِنُ إِلَّا هُوَ لَكَ

ومن عيون ما قيل في المدح نظماً ، قول حسان بن ثابت في بني جفنة :

يُفْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهُ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
يَيْضُ الْوُجُوهِ أَعْفَى أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأُنُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ^(٢)

قال جبلة بن الأَهم احسان بن ثابت : أين أنا من النعمان ؟ فقال : والله إسمالك
أندى من يمينه ، وقفاك أحسن من وجهه ، ولأملك أكرم من أبيه .

وقول الأعرابي في عمر بن عبد العزيز كأنه ^(٣) مأخوذ من قول حسان هذا ،
وذلك قوله حين دخل عليه ، وهو خليفة ، فقال :

وَأَنْتَ الَّذِي كَلَّمَا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ شِمَالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ
بَلَفْتَ مَدَى الْجَارِ بْنِ قَبْلَكَ إِذْ جَرَوْا وَلَمْ يَبْلُغِ الْجَارُونَ بَعْدُ مَدَاكَ ^(٤)
فَجَدَّاكَ لَا جَدَّيْنِ أَكْرَمَ مِنْهُمَا هُنَاكَ تَنَاهَى الْمَجْدُ ثُمَّ هُنَاكَ

(١) ساقط من ب ، وجهه لأبي تمام كما في ديوانه ١١٨ . يمدح أبا موسى الحسن بن عبد الملك ، والرواية
هناك للشطر الأول : إِنْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ حَسَنٌ ، وفيه لا تعرف مكان لا تحسن .

(٢) ديوانه ١٥٦ ، النوادر للقال ١١٧ ، نهاية الأرب ١٨٩/٤ ، المستطرف ٣٠/٢ ، زهر الإداب
٢١٥/٤ .

(٣) ب : كله .

(٤) ساقط من ب .

وَقَالَ لَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ: ^(١)

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتُهُمْ
نَجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا غَارَ كَوْكَبُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ
إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَاقِبُهُ

وَقَالَ ظَفِيرُ بْنُ النَّوَيْ: ^(٢)

نَجُومُ ظَلَامٍ كُلَّمَا غَابَ كَوْكَبُ
بَدَا سَاطِعًا فِي حِنْدِسِ اللَّيْلِ كَوْكَبُ

وَقَالَ آخَرُ:

دَرَارِي نَجُومٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبُ
بَدَا كَوْكَبٌ تَرَفُّضٌ ^(٣) عَنْهُ الْكَوَاكِبُ

وَقَالَ الْخُرَيْمِيُّ يَمْدَحُ بَنِي خُرَيْمٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ بْنِ حَارِثَةَ:

بَقِيَّةُ أَقْوَامٍ مِنَ الْفُرِّ لَوْ خَبَتْ
إِذَا قَمَرٌ مِنْهَا تَفَوَّرَ أَوْ كَبَا
لَظَلَّتْ مَعْدِي فِي الْعَلَا ^(٤) تَتَسَكَّمُ
بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

وَمَدَحَ بَعْضُ بَنِي عَمْرِو إِخْوَتَهُ فَقَالَ ^(٥):

خَبْرُ ثَمَاءَ بَنِي عَمْرِو فَإِنَّهُمْ
أَوَّلُو فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ ^(٦) وَأَخْطَارِ

(١) الصحيح أن الأبيات لأبي الطمحان القيني (حنظلة بن الشرقى) ، انظر السكائل ٣١/١ ، وفيه : ولني من القوم الذين هم هم ، وانظر الشعر والشعراء ٣٤٨ ، وفيات الأعيان ٤٣/١ ، المستطرف ١٥٧/١ ، وانظر البيت الأخير في حماسة أبي تمام ٢٥٨/٢ ، لباب الآداب ٣٦٧ .

(٢) ترفض : تتوارى أو تتكسر .

(٣) ١ : الدجى .

(٤) قبل الأول البيت في السكائل ٤٨/١ قوله :

بل أيها الراكب المني شبيبته

يكي على ذات خلخال وأسوار

(٥) ب : وأتال .

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جَهِدُوا فَالْجَهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طِيبَ أَخْبَارِ
 هَيِّنُونَ لَيْثُونَ أَيْسَارُ بَنُو يُسْرِ سُوَّاسُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ إِيسَارِ
 مَنْ تَأَقَّ مِنْهُمْ فَقَدْ لَاقَيْتَ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَهْدِي بِهَا السَّارِ
 لَا يَنْطُتُونَ عَنِ الْعَمِيَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يُنَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِكَثَارِ^(١)
 وقد قيل : إن هذا الشعر لبعض بني كلاب^(٢) يمدح بعض بني غني ، وكان
 أبو عبيدة ينكر هذا ، ويقول : محال يمدح كلابي غنويًا^(٣)

قالت الخنساء :

أَشْمُ أَبْلَجُ يَأْتُمُّ إِلَهُ — دَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(٤)
 وقال آخر :

إِذَا قِيلَ أَيْ فَتَى تَعْلَمُونَ أَهَشُّ إِلَى الطَّمَنِ بِالذَّائِلِ

(١) يروى : بنو كرم ، و .. نقل لافيت ، ويسرى مكان يهدى ، وعن الفحشاء بدل عن العمياء ، ويروى البيت الثاني :

إن يسألوا الخير يعطوه وإن شهدوا كشفت أذمار حرب غير أغمار
 والمعنى : الأيسار جمع يسر من الميسر بالقداح ، والعرب تمدح بذلك باعتباره من علامات البذل والكرم ،
 وسواس مكرمة : بروضون الكارم ويلون أمرها ، والمارة : اللوم والعيب .
 والأبيات بتمامها في السكامل ٤٨/١ ، وورد بعضها في معجم الشعراء ٣٥٦ ، زهر الآداب ٦٧/٤ .

(٢) هو المرنس السلابي كما في الأمالي وزهر الآداب ومعجم الشعراء ، أو ابنه عبيد بن المرنس كما في السكامل ، يمدح به عمرو الغنويين .

(٣) أما السبب في هذا كما ذكره أبو عبيد البكري في التنبيه على أوهام القالي في الأمالي صفحة ٧٣ ، فهو أن
 فزارة كانت قد أوقعت بني بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنفذتهم ،
 وحدث بعد ذلك أن قتلت طيبي ، قيس الندامي الغنوي ، وقتلت عبس نصريم بن سنان الغنوي أيضا ، فاستغاثت
 ثنى بني بكر وبني محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، فعدوا عنهم ولم يجيبوهم ، فلم يزالوا متدابرين .

وهذا هو ما استند إليه أبو عبيدة معمر بن المثنى في استعالة نسبة البيت إلى كلابي وإن كان ما الذي يمنع من
 أنه قالها قبل أن يحدث المتدابرين بين القبيلتين ؟ خاصة وأنني لم أجد اختلافا بين الرواة في نسبتها .

(٤) الديوان ٨٠ ، التمثيل والمحاضرة ٢٥٣ .

وَأَضْرَبُ لِلْقِرْنِ فِي مَفْرِقٍ^(١) وَأَلْعَمُ فِي الزَّمَنِ الْمَاحِلِ

أَشَارَتْ إِلَيْكَ أَكْفُ الْوَرَى إِشَارَةً غَرَّقَى إِلَى سَاحِلِ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في المدح أيضاً في النظم ، قول أبي الجهم العدوي في معاوية

رضي الله عنه :

تَقَلَّبُهُ لَتَخْبُرَ حَالَتِيهِ فَتَخْبُرَ مِنْهُمَا كَرَمًا وَلِينًا

نَمِيلُ عَلَى جَوَانِبِهِ كَأَنَّا نَمِيلُ إِذَا نَمِيلُ عَلَى أَيْدِينَا^(٣)

وفي هذا الشأن قول زهير في هرم بن سنان :

إِنْ تَلَقَّ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا تَلَقَّ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

أَغْرُ أَيْضُ فَيَاضُ يُفَكِّكُ عَنْ أَيْدِي الْعُقَاةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا الرَّبْعَا^(٤)

وقوله أيضاً :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تُذْهِبُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُذْهِبُ الْمَالُ نَائِلُهُ

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَمَلِّلًا كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ مَسَائِلُهُ^(٥)

(١) ١ : مضيق .

(٢) الأبيات لابن هرمة ، البيان ٣/٢٢٧ ، العقد ١/٢٦٤ .

(٣) يروي : إذا ملنا نميل ، البيان ٢/٢٢٣ ، العقد الفريد ١/٦١ ، مجموعة المعاني ٤٥ ، معجم الأدباء

١/٣٢٧ ، وفي الأمل للقال ١/٢٣٧ ما نصه : قال أبو الجهم بن حذيفة لمعاوية : نحن عندك يا أمير المؤمنين

كما قال عبد المسيح لابن عبد كلال : نميل على جوانبه ... الخ .

(٤) ديوانه ١٩ وفيه : أشم بدل أغر ، والعناية : الأسرى واحدها عان ، والربق : حبل من ليف يوضع

في عنق الأسير .

(٥) ديوانه ١٣٢ ، الشعر والشعراء ١٠٨ .

وقوله أيضاً :

على مكثريهم رزق من يفتريهم وعند المقلين السماحة والبذل^(١)

وقول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندي العالمين بطون راح^(٢)

وقول القاسم بن أمية بن أبي الصلت الثقي :

قوم إذا نزل الغريب بدارهم ردوه رب صواهل وقيان
وإذا دعوتهم ليوم كريهة سدوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينقرون الأرض عند سؤالهم لتطلب العلات بالعيدان
بل يبسطون وجوههم فتري لهم عند اللقاء^(٣) كأحسن الألوان^(٤)

والجيد من النظم لا يحصى كثرة ، وحسبنا أن نأتى منه بما يقرب حفظه
للمذاكرة ، ويقوم بهاء مورده في المجالسة .

قال عمر بن أمية الضمري^(٥) للنجاشي ، حين وجهه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الملك ! كأنك في الرأفة علينا منّا ، لم نر جك قطّ لأمر إلا نلناه ، ولم نخفك قطّ على أمر إلا أمناه .

(١) ديوانه ١١٥ ، زهر الآداب ٢١٧/٤ .

(٢) الديوان ٩٨ ، زهر الآداب ٢١٤/٤ .

(٣) ١ : طلب العلات .

(٤) ١ : باب الآداب ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ٤٣٣ ، والبيت الأول في العقد الفريد ١٢٦/١ .

(٥) ١ : عمر بن الخطاب ، وهو خطأ واضح ، انظر الطبري ٣٢٩/٢ .

ووقف حيّان بن مالك بن جعفر على قبر عامر بن الطفيل ، فقال : كان والله لا يضل حتى يضل النجم ، ولا يعطش حتى يعطش البعير ، ولا يهاب حتى يهاب السيل .
مدح أعرابي رجلا فقال : كان يننى في طلب المكارم غير ضال في مصالح طريقها ولا متشاغل عنها بنيرها .

وذكر أعرابي جلد أخيه ، فقال : ما بعثته في سواد إلا جلاّه ومحا ، ولا في بياض إلا أزكاه وأضاءه .

وصف أبو مهدية الأعرابي قوما ، فقال : أدبتهم الحكمة ، وأحكمتهم التجربة ، ولم تذرهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويق الذي قطع الناس به مسافة آجالهم ، فذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإيجاز ، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال .

ومدح أعرابي رجلا فقال : كالمسك إن تركته عبق ، وإن خبأته عبق .
قال محمد بن زياد الحارثي :

وخرُسا عن الفخشاء عند التفاهير	تخالهم للحلم صما عن الخنا
وعند الحفاظ كالليوث الكواير	ومرضى إذا لاقوا حياء وعفة
بهم ولهم ذلت رقاب العشائر	لهم ذل إنصاف وابن تواضع
وما وصمهم إلا اتقاء المعابر ^(٢)	كان بهم وصما يخافون عاره ^(١)

(١) : غارة .

(٢) الأبيات في أمالي القالي ٢٣٨/١ ، المقيد الفريد ١٨٥/٢ ، وفيه : الخواثر مكان الكواير ، وما ذاك إلا لاتقاء مكان وما وصمهم إلا اتقاء .

وقال آخر :

لو قيل لابن محمد : يا ذا الندى قل لا ، وأنت مُخلدٌ ما قالها
إن المكارم لم تزل معقولةً حتى حلت براحتيك عقالها^(١)

مدح أعرابي رجلا ، فقال : كان إذا خرست الألسن عن الرأي حذق بالصواب
كما يحذق الأريب .

أثنى عمرو بن زياد العتكي على الحجاج بن يوسف عند عبد الملك بن مروان
فقال : يا أمير المؤمنين ! هو سيفك الذي لا ينبو ، وسهمك الذي لا يطيش ،
وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم . وكان الحجاج يقصيه فلما قال ذلك أدناه .

قال ابن شهاب : قال لي سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .

ومن أحسن ما قيل في المدح نظماً ، وإن كان الحسن منه كثيراً جداً ، ما ذكره
أبو علي البندادي رواية عن شيوخه : أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رآه هشام بن عبد الملك وهو خليفة في حجة حجها ، وعلي يطوف بالبيت والناس
يفرجون له عند الحجر تعظيماً له ، وينظرون إليه مبجلين له ، فناظ ذلك هشاماً ،
فقال : من هذا ؟ كأنه لم يعرفه ، فقال الفرزدق منكرًا لقول هشام ، ومادحًا
لعلي بن حسين :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

(١) البيتان للربيع بن ثابت الرقي في مدح العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، انظر مجمع
الأدباء ١١/١٣٥ ، وانظر معاضرات الأدباء ١/٢٧٩ ، ٢٨٧ .

هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمْ
 إِذَا رَأَتْهُ قَرِيشٌ قَالَ قَائِلُهَا
 يَنْمِي^(٢) إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ
 يَكَادُ يُنْسِكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ
 يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
 بِكَفِّهِ خِزْرَانٌ رِيحُهَا عَبِقُ
 مُشْتَقَّةٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبْعَتُهُ
 يَنْجَابُ ثَوْبُ الدُّجَى^(٥) عَنْ نَوْرِ غُرَّتِهِ
 كَمَا أَنَّ أَثْقَالَ أَقْوَامٍ إِذَا قُرِحُوا^(٧)
 هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ
 فَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرِهِ
 اللهُ فَضَّلَهُ قَدَمًا وَشَرَّفَهُ
 مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
 مُصَدِّقُ الْوَعْدِ^(١٠) مَيْمُونٌ تَقِيَّتُهُ
 هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
 إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَمِي^(١) الْكَرَمُ
 عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
 رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
 فَلَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
 مِنْ كَفِّ^(٣) أَرْوَعٍ فِي عَرْنِيدِهِ شَمَمُ
 طَابَتْ عُنَاصِرُهُ وَالْحِيمُ^(٤) وَالشِّيمُ
 كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلُمُ^(٦)
 حُلُوُّ الشَّمَائِلِ تَحْلُو عِنْدَهُ نَعْمُ
 بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خُتِمُوا
 الْعَرَبُ تُعْرِفُ مِنْ^(٨) أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ
 جَرَى بِذَلِكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ
 وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
 تَزِينُهُ خَلَّتَانِ الْحِلْمُ^(٩) وَالْكَرَمُ
 رَحْبُ الْفِنَاءِ أَرِيبُ حِينَ يَمْتَزِمُ

(١) ب : ينتهي .

(٣) ا : في كف .

(٥) ب : الهدى .

(٧) ا : مدحوا .

(٩) ا : الخلق .

(٢) ب : ينهي .

(٤) ا : والجسم .

(٦) ب : القم .

(٨) ب : ما .

(١٠) ا : الخلق أيضا .

أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوَّلِيَّةِ هَذَا أَوْ لَهُ نَعَمْ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوَّلِيَّةَ ذَا فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

وفيهما آيات لم أذكرها لأنني أظنها مضافة مفتعلة ، وقد أنشد بعض هذا الشعر
حبيب في الحماسة^(١) للحر بن عبد الله الليثي^(٢) في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .
هذا وذكر الفاكهي في أخبار مكة^(٣) ، قال : حدثني أبو سعيد عبد الله بن شبيب ،
قال حدثني ابن عائشة ، قال : أخبرني أبي ، قال : دخل الفرزدق مكة ، فإذا هو بعلي بن
عبيد الله بن جعفر يطوف بالكعبة في حُلَّةٍ وهو محرم ، فقال : ويحكم يا معشر أهل
مكة ، من هذا الرجل الذي يطوف بالبيت ، فوالله ما رأيت أحسن من وجهه ،
ولا من حُلَّتِهِ ، فقالوا : هذا علي بن عبيد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وفاطمة^(٤)
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأ يقول هذه الآيات^(٥) التي
ينشدها الناس^(٥) .

(١) ورد في الحماسة ٢/٢٦٩ ، الآيات : الأول والثالث والخامس والسادس والسابع وما قبل الأخير ، مع اختلاف في الترتيب .

(٢) في ١ : السبتي ، وهو تحريف ، ولم أعثر على هذا الاسم المثبت في النص في الحماسة أو غيرها ، فالآيات
منسوبة في الحماسة إلى الحزین الكنانی ، واسمه عمرو بن عبید بن وهب بن مالك أحد بني عبید مناة بن كنانة
وهو ليثي أيضاً كما في الباب ٢/٥٣ ، وكذلك نسب للحزین البيتان السادس والسابع في الأغاني ١٤/٧٤ ،
والأمدي ٨٩ ، والبيان ١/٣٤٨ ، ونسب البيتان في باب الآداب ١٠٨ إلى المتوكل بن عبد الله الليثي في مدح
عبد العزيز بن مروان . ويبدو أن الاسمين قد تداخلا والتبسا على الناسخ فأثبت منهما : الحر بن عبد الله الليثي ،
ولكن ما دام المصنف يذكر ما ورد في الحماسة فيجب أن تكون صحة الاسم : الحزین بن عبید الكنانی الليثي ،
وتصرف فيه الناسخ إلى ما ترى .

(٣) الفاكهي : أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي ، كتب سنة ٢١٢ هـ / ٨٨٥ م تاريخ مكة ، نشر
المستشرق فستنفلد منتخبات من الجزء الثاني منه مع تاريخ مكة المشرفة للأزرق في ليبرج سنة ١٨٥٩ ، انظر
تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ٣/٢٣ .

(٤) ب : وفاطمة .

(٥) ساقطة من أ .

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائَتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

فذكر هذه الآيات ولم يتمها ، قال الفاكهي : ويقال إن الرجل الذي قال فيه

الفرزدق هذا هو محمد بن علي بن حسين ، قال : وحدثني أبو سعيد ، قال :

(١) حدثني الزبير ، قال (١) : قيل هذا الشعر في قثم بن العباس ، قاله بعض شعراء

أهل المدينة (٢) ، وزاد في الشعر بيتين أو ثلاثة منها قوله :

كَمْ صَارِخٍ بِكَ مَكْرُوبٍ وَصَارِخَةٍ يَدْعُوكَ يَا قُثْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُثْمَ

وأما قوله في الخبر الأول : ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن

علي بن عبد الله أمه زينب بنت علي بن أبي طالب ، وأُمها فاطمة بنت رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، وقول من قال : إن هذا الشعر قيل في علي بن عبيد الله بن

جعفر ، أو في محمد بن علي بن حسين أصح عندي من قول من قال : إنه في علي بن

حسين ، لأن علي بن حسين توفي سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، وهشام بن عبد الملك

إنما ولي الخلافة سنة خمس ومائة ، وعاش خليفة عشرين سنة ، وجائز أن يكون الشعر

للحر بن عبد الله (٣) في محمد بن علي بن حسين ، وممكن أن يكون للفرزدق في محمد

ابن علي بن حسين بن أبي جعفر — وإن كان له في أبيه علي بن حسين — فلم يكن

هشام يومئذ خليفة كما قال أبو علي في روايته ، وأما قول الزبير : إنه قيل في قثم

ابن العباس ، فليس بشيء ، وإنما ذاك شعر قيل في قثم على قافية هذا الشعر وعروضه

ليس هو (٤) هذا .

(١) ساقط من أ .

(٢) هو داود بن سالم ، أو خالد بن يزيد مولى قثم ، وقد ورد البيت في البيان ٢٤٨/١ :

كَمْ صَارِخٍ بِكَ مِنْ رَاجٍ وَرَاجِيَةٍ فِي النَّاسِ ، يَا قُثْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قُثْمَ

(٣) انظر التعليق رقم ٢ في الصفحة السابقة .

(٤) ساقطة من ب .

قال عبدة بن الطيب في قيس بن عاصم المنقري :

عليك سلامُ اللهِ قيسَ بنِ عاصمٍ ورحمتهُ ما شاء أن يترحمَا
تحيّة من أوليته منك نعمة إذا زار عن شحط مزارك^(١) سلّما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بُنيان قوم تهدّما^(٢)

وقال آخر :

كريم يغض الطرفَ فضلُ حيائه^(٣) ويدنو وأطراف الرماح دوان
وكالسيف إن لا يذته لأن متنه وحداه إن خاشنته خشنان^(٤)

وللخرنبي :

يَلامُ أبو الفضلِ في جوده وهل يقدرُ البحرُ ألا يفيضاً^(٥)

وقال أبو جعفر محمد بن منذر :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك فيا طيب أخبارٍ ويا حسنَ منظرٍ
لهم رحلة في كل عامٍ إلى العدى وأخرى إلى البيت الحرام المُستَر^(٦)
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت ييحي وبالفصل بن يحيى وجعفر

(١) بلادك .

(٢) نسبت الأبيات في وفيات الأعيان ١٢٦/١ إلى أبي تمام ، وهو خطأ ، انظر الحماسة لأبي تمام ٣٣٤/١ ، البيان ٣٩٤/٢ ، نهاية الأرب ٢١٥/٤ ، الشعر والشعراء ٧٠٧ .

(٣) ١ : في كل حالة .

(٤) في حماسة البحتري ١٦٢ : لأن مبه ، وانظرهما في حماسة أبي تمام ٢٦٥/٢ ، البيان ١٩٤/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٢٦ ، لباب الآداب ٧٥ .

(٥) معاضرات الأدباء ١٠٧/٢ .

(٦) ١ : العتيق المطهر .

فَتُظْلِمُ بَغْدَادُ وَيَجْلُو لَنَا الدُّجَى بِمَكَّةُ مَا حَجُّوا ثَلَاثَةَ أَقْمَرٍ
فَمَا خُلِقَتْ إِلَّا لَجُودٍ أَكْفُهُمْ وَأَقْدَامُهُمْ إِلَّا لَأَعْوَادٍ مِنْـسَبَرٍ
إِذَا رَاضَ يَخْتِي الْأَمْرَ ذَاتَ صِعَابُهُ وَنَاهِيكَ مِنْ رَايَ لَهْ وَمُدَبِّرٍ
تَرَى النَّاسَ إِجْلَالاً لَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ غَرَانِيقُ مَاءٍ تَحْتَ بَازٍ مُصْرَصِرٍ^(١)

وقال آخر في ابن شبرمة القاضي :

إِذَا سَأَلْتَ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرَمَةِ وَالْعِزِّ وَالْجُرْمُومَةِ الْمُقَدَّمَةِ
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْمُحْكَمَةِ تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شَبْرَمَةَ^(٢)

وقال آخر :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى صَيَّرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعْرَاءَ^(٣)
أُنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

كُلُّ يَوْمٍ كَأَنَّهُ يَوْمٌ أَضْحَى عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَوْ يَوْمٌ فِطْرٍ

وهذا عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وله يقول نصيب :

لَعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ وَغَيْرِهِمْ نَعَمْ غَامِرَةٌ

(١) الغرائيق جمع غرنوق بكسر أوله أو ضمه وهو طائر مائي أسود وقيل أبيض ، والبازي : يضرب من الصقور ، ومصصر أى يصيح صياحاً شديداً . انظر الأبيات ٣ ، ٤ ، ٥ في معجم الأدباء ١٩/٥٧ ، وكلها ما عدا الأخيرين في وفيات الأعيان ٥/٢٦٩ .

(٢) البيتان ليحيى بن نوفل كما في البيان ١/٢٤٠ .

(٣) البيت لنصيب الأصغر ، أبو الحجناء مولى المهدي ، انظره في الوزراء والكتاب ١٩٥ ، معجم الأدباء ٢١٦/٧ ، وفيات الأعيان ٣/٢٠٤ .

فَبَابُكَ^(١) أَلَيْنَ أَبْوَابِهِمْ وَدَارُكَ مَاهُولَةٌ عَامِرَةٌ
 وَكَلْبُكَ آنَسُ بِالْمُعْتَفِينَ مِنْ الْأُمِّ بِالْإِبْنَةِ الزَّائِرَةِ
 وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِيهِ^(٢) أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ^(٣) الْمَاطِرَةِ
 فَمَنْكَ الْعَطَاءُ وَمَنَّى الثَّنَاءُ بِكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سَائِرَةٍ^(٤)

وذكر رجل عند الحسن ، فقال : كان له خشوع الصابرين^(٥) وبهاء الملوك .

ومن المدح :

لَهُ خُلُقَانٌ لَمْ يَدْعَا لَهُ مَالًا وَلَا نَشَبًا
 سَخَاءٌ لَيْسَ يَمْلِكُهُ وَحِلْمٌ يَمْلِكُ الْغَضَبَا

وَقَالَ آخِرُ^(٦) :

فَلَوْ كُنْتَ يَوْمًا كُنْتَ يَوْمَ سَعَادَةٍ تَرَى شَمْسَهُ وَالْمُزْنَ تَهْضِبُ بِالْقَطْرِ
 وَلَوْ كُنْتَ لَيْلًا كُنْتَ لَيْلَةَ صَيِّبٍ^(٧) مِنْ الْمُشْرِقَاتِ^(٨) الْبَيْضِ فِي وَسَطِ الشَّهْرِ

وَقَالَ آخِرُ :

بِدِيهِتِهِ وَفِكْرَتِهِ سَوَاءٌ إِذَا مَا نَابَهُ الْحَدَثُ الْكَبِيرُ

(١) : هباتك .

(٢) : معتافاً فأندى .

(٣) : القيلة .

(٤) انظر الأبيات في معجم الأدباء ٢٢٩/١٩ ، الشعر والدماء ٣٧٤ ، الأغاني ٣٢٣/١ .

(٥) ساقط من ب .

(٦) ب : العابدين .

(٨) ب : المشرقات .

(٧) ب : صيف .

وأحزم ما يكون الدهر رأياً إذا عمي^(١) المشاور والمشير
وصدر فيه لله^(٢) اتساع إذا ضاقت عن الهم الصدور^(٣)

وقال حمزة بن بيض في مخلص بن يزيد بن المهلب :

بلغت لعشر مضت من سنيك ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسيم الأمور وهم لداتك أن يلعبوا^(٤)

وقال ذو الرمة :

عطاء فتى وبني أبوه فأعرض في المكارم واستطالا^(٥)

قال أبو اليقظان : ولي الحجاج محمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد بن
الحكم الثقفي ، قتال الأكراد فأبادهم ، ثم ولاء السند والهند ، وقاد الجيوش وهو ابن
سبع عشرة سنة ، فقال فيه الشاعر :

إن السامحة والمرءة والندي لمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجيوش لسبع عشرة حجة يا قرب سورة سودد من مولد^(٥)

قال أبو اليقظان : وهو الذي جعل شيراز معسكرا ومنزلا لولاية فارس .

(١) : غنى .

(٢) : الأبيات لسلم الخاسر أو أبي نواس ، انظر مجموعة المعاني ١٧ ، الوزراء والكتاب ٢٠٢ .

(٣) : نسب البيتان أيضا إلى السكيت بن زيد الأسدي ، البيان والتبيين ١١/٢ .

(٤) : ديوانه ٤٤٧ ، الشعر والشعراء ١٩٢ .

(٥) : الشعر لزياد الأعجم ، انظره في محاضرات الأدباء ٧٦/١ ، عيون الأخبار ٢٢٩/١ ، المستطرف

٢٧/٢١ ، وسورة السؤدد ، علامته أو ارتفاعه .

قال الحطيئة :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا
وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم
من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا^(١)

وقال أبو الغول الطهوي يمدح قومه :

فدت نفسي وما ملكت يميني
فوارس صدقوا فيهم ظنوني
معاشر لا يملوز المنايا
إذا دارت رحي الحرب الزبون
ولا يجزون من حسن بشر
ولا يجزون من غلظ بلي
ولا تبلى بسالتهم وإن هم
صلوا بالحرب حيناً بعد حين
هم ممنعوا حي الوقبي بضرب
يؤلف بين أشتات المنون
فنكب عنهم ظلم الأعدى
ودأوا بالجنون من الجنون^(٢)

وقال آخر :

بديته مثل تدبيره
مقي رمته فهو مستجمع
وفي كفه للفني مطلب
وللسر في صدره موضع^(٣)

(١) ديوانه ١٤٠ ، التمثيل والمحاضرة ٦٣ ، أمالي القالي ١١٨/٢ ، نهاية الأرب ٦٩/٣ .

(٢) يزوي : فوارس مكان معاشر ، وبسى مكان بشر في البيت الثالث .
والزبون في الأصل الناقة التي تزبن (تدفع) حالها ، شبهت بها الحرب لأنها تدفع الرجال لشدة هولها
والوقبي : ماء لبني مالك بن مازن على طريق المدينة من ناحية البصرة .
انظر الأبيات في حاسة أبي تمام ١٧/١ ، ١٨ ، أمالي القالي ٢٦٠/١ .
(٣) سبق البيتان في ص ٤٦٥ .

وباب المديح أوسع^(١) الأبواب ، لا يحيط به كتاب ، والاختصار أولى بنا فيه
على ما شرطنا من الإكثار .

قال عبد الله بن مسعود : لا تعجلن بمدح أحد ولا بذمه ، فإنه رب من يسرك
اليوم يسوءك غدا .

قال النجاشي الشاعر ، واسمه قيس بن عمرو الحارثي ،^(٢) من بني الحارث
ابن كعب^(٣) .

إِنِّي أَمْرُوٌّ قَلَّ مَا أُثْنِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَرَى بَعْضَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ
لَا تَحْمَدَنَّ أَمْرًا حَتَّى تَجُوبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّ مَنْ لَمْ تَبْلُهُ الْخَبْرُ^(٤)

قال علي بن حسين : إذا قال فيك رجل " ما لا يعلم من الخير ، أو شك أن يقول
فيك ما يعلم من الشر .

(٢) ساقط من ١ .

(١) ب : واسم .

(٣) حماسة البحتري ٢٣٣ ، الشعر والشعراء ١٩٠ ، والثاني في عيون الأخبار ١٧٠/٢ .

باب عيُون من الذّمّ

قالت عائشة رضي الله عنها : استأذن رجلٌ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنامعه في البيت ، فقال : « ائذنوا له فبئس ابنُ العشيّة ، أو قال : بئس أخو العشيّة ، ثم قال : إنّ من شرارِ النَّاسِ من اتّقاءِ النَّاسِ لشرِّه ، أو تركه النَّاسِ لشرِّه » . هذا حديث ابن عينة ، عن المنكدر ، عن عروة ، عن عائشة ، وليس بلفظ حديث مالك المرسل .

قال الحسن : ذمُّ الرجل نفسه في العلانية مدحٌ لها في السرّ .

كان يقال : من أظهرَ عيبَ نفسه فقد زكّاها .

ذمّ بعضُ البلغاء رجلاً ، فقال : ما الحمامُ على الإصرار^(١) ، والدّين على الإقتار ، وشدة السقم^(٢) في الأسفار ، بآلم^(٣) من فلان^(٤) .

قيل لأعرابي : ما تنقم من أميرك ؟ قال : يقضى بالعشوة^(٥) ، ويأكل الرّشوة ، ويطيل النّشوة .

قال ثعلب : النّشوة بالفتح : الشُّكر ، والنّشوة بالكسر : الريح .

(١) ب : الأصرار .

(٢) ١ : المسلم .

(٣) ب : بالأم .

(٤) وردت العبارة في الأماي ١٠٦/٢ قريبة مما أثبتناه ونصّها هناك : ما الحمام على الإصرار ، وحلول

الدين على الإقتار ، وطول السقم في الأسفار بآلم من لقائه .

(٥) ب : بالعشيّة ، ويهضي بالعشوة أي يتخبط في قضائه ويحكم على غيره .

ذم رجلٌ رجلاً ، فقال : كان والله سيء الروية ، قليل التقية ، شديد السعاية ،
ضعيف النكاية .

ذم خالد بن صفوان شبيب بن شَيْبَةَ ، فقال : ليس له (١) صديقٌ في السِّرِّ ،
ولا عدوٌّ في العلانية .

وذم أعرابيٌّ رجلاً ، فقال : أنت والله ممن إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سَوَّف ،
وإذا حدث حَلَف ، وإذا وعد أخلف ، تنظرُ نظرَ حَسُود ، وتعرضُ إعراضَ
حَقُود .

قال حسان بن ثابت :

أَبُوكَ - أَبُوكَ وَأَنْتَ ابْنُهُ فَبَيْسَ الْبَنَى وَبَيْسَ الْأَبُ
وَأُمُّكَ سَوْدَاءُ نُوْبِيَّةٌ كَأَنَّ أَنْامِلَهَا الْمُعْظَبُ
يَبِيتُ أَبُوكَ بِهَا مُعْرِسًا كَمَا سَاوَرَ الْمُهْرَةَ الثَّعْلَبُ (٢)

وقال أعرابيٌّ :

أَكْثَرُ مَا يَأْنِي عَلَى فِيهِ الْكَذِبُ وَإِنَّمَا الشَّاعِرُ مَجْنُونٌ كَلِيبُ
حَيَّاكُمْ اللَّهُ فَإِنِّي مُنْقَلَبُ (٣)

مر سفيان الثوري رضي الله عنه ، بقوم في السوق ، أو غيرها ، فقال لمن معه

(١) ١ : لا صديق ...

(٢) ساقط من ب ، والأبيات في ديوانه ١٤ . والمعْظَب : ذكر الجراد أو الأصفر منه .

(٣) ورد البيتان الأولان من هذا الرجز والثاني قبل الأول في عيون الأخبار ٢/ ٢٧ .

أما ترون النعمة عند غير أهلها ، كأنها مسخوطة عليها ، أخذه الشاعر فقال :

يا حجة الله في الأرزاقِ والنِّعمِ يا محنة لذوى الأخطارِ والهيمِ
ما نراك أصبحت في نعمةٍ ظاهرةٍ إلا وربك غضبانٌ على النِّعمِ^(١)

قال بعض البلغاء : كفاني سقوط فلان إسقاطه^(٢) .

ذم رجل رجلا فقال : ذلك أعيما ما يكون عند جلسائه ، أبلغ ما يكون عند نفسه .

لعمر بن سليمان البجلي ، في إسماعيل بن عبد الله أخى خالد بن عبد الله القسري :

لو كنت ماء كنت ماء أسينا أو كنت مرعى لم يردك الورد
أو كنت من شجر لكنت إلاءة أو كنت من ورق نفاك الناقد^(٣)

قال الحر مازي :

قُبِّحْتُمْ آلَ فُقَيْمٍ عَدَدًا لو كُنْتُمْ قَوْلًا لَكُنْتُمْ فَنَدًا
أو كُنْتُمْ ماء لَكُنْتُمْ زَبَدًا أو كُنْتُمْ شَيْئًا لَكُنْتُمْ نَقْدًا
أو كُنْتُمْ لَحْمًا لَكُنْتُمْ مُعَدَدًا^(٤)

النَّقْدُ : المَعْزُ ، وفي المثل : لهو أذل من النقد .

(١) محاضرات الأدباء ٢٤٥/١ .

(٢) ساقطة من أ .

(٣) الألاء : شجر مر ، والورق : الذهب والفضة ، والناقد : مميز الدراهم .

(٤) الفند : الخطأ في القول والكذب ، والفدة : كل عقدة في الجسم أطاف بها شحم ، وكل قطعة

صلبة بين العصب .

قال أبو عثمان العروضي :

لو كان حرفاً كان لا معنى له أو كان ظرفاً لم يكن إلا متى^(١)

وقال آخر :

لو كنت ماء كنت غير عذب أو كنت سيفاً كنت غير غضب
أو كنت لحماً كنت لحم كلب أو كنت عيراً كنت غير نذب^(٢)

وقال آخر :

لو كنت برداً كنت زمهريراً أو كنت ريحاً كانت الدُّبوراً
أو كنت غياً لم تكن مطيراً أو كنت ماءً لم تكن طهوراً
أو كنت مخاً كنت مخاريراً^(٣)

ومما أنشده ثعلب :

لِلّهِ دَرْكٌ أَيْمًا رَجُلٍ يَبْنِي أَبُوكَ وَشَأْنُكَ الْهَدْمُ
لو كنت تصعدُ في السماء كما تنحطُ قصرُ دُونِكَ النَجْمُ

مرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بقوم يتبعون رجلاً قد أخذ في ريبة ، فقال :

لا^(٤) مرحباً بهذه الوجوه التي لا ترى إلا في الشر .

(١) ١ : انتهى ، ب : فيه شيء بدلا من إلا متى

(٢) وردت البيت الأول في الكامل ٥٧/٢ : لو كنت ماء لم تكن بعذب ، وانظر الأبيات أيضاً

في محاضرات الأدباء ١٥٤/١ .

(٣) الأبيات في محاضرات الراغب ١٥٤/١ ، الكامل ٥٧/٢ ، وتأتي الشطرة الأولى فيه في آخرها ،

والمخ الرير : الذائب أو الرقيق .

(٤) ساقطة من ب .

قال القطامي :

ألا إنما نيرانُ قيس إذا اشتَبَوْا لِطَارِقٍ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحَبَّاحِبِ^(١)

يقال : نارُ الحَبَّاحِبِ ، ونارُ أبي الحَبَّاحِبِ ، لكل نارٍ تراها العينُ ولا حقيقة لها

قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّة :

يا آلَ سَفِيانَ ما بَالِي وَبَائِكُمْ أَأَنْتُمْ كَثِيرٌ وَفِي الْأَحْلَامِ عُصْفُورٌ

وخير من هذا ، قول حسان بن ثابت يذم قوماً :

لَا عَيْبَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ عِظَمٍ جَسْمُ الْبَغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ^(٢)

وقال آخر :

قُبِّحَتْ مَنَاظِرُهُمْ فَخِينَ خَبَرُهُمْ حَسُنَتْ مَنَاظِرُهُمْ لِقُبْحِ الْمَخْبَرِ^(٣)

وقال آخر :

لَهُ صُورَةٌ تُعْمِي الْعُيُونَ سَمَاجَةً وَإِنْ تَخْتَبِرَ يَوْمًا فَأَقْبَحُ مَخْبَرِ

وقال محمد بن منذر ، في خالد بن طليق قاضي البصرة :

جَمِلَ الْحَاكِمُ يَا لِلنَّاسِ مِنْ آلِ طَلِيقٍ
حَاكِمٌ يَحْكُمُ فِي النَّاسِ بِحُكْمِ الْجَائِلِيقِ

(١) البيت في ديوانه ٩ ، زهر الآداب ٧٢/٣ .

(٢) ديوانه ٤٦ .

(٣) المحاسن والمساوي ١٩٢/١ .

يَدْعُ الْحَقَّ وَيَهْوِي فِي ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ
 أَيُّ قَاضٍ أَنْتَ لِلنَّهْصِ وَتَمَطُّيلِ الْحُقُوقِ
 يَا أَبَا الْهَيْثَمِ مَا أَزُتَ لِهَذَا بِخَلِيقِ
 « لَا وَلَا أَنْتَ بِمَا حُمَّتَ مِنْهُ بِمُطِيقِ
 حَبْلُهُ حَبْلُ غُرُورٍ عَقْدُهُ غَيْرٌ وَثِيقٌ »^(١)

وله فيه أيضاً :

قُلْ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي فِي هَاشِمٍ سِرُّهَا وَاللُّبَابُ
 إِنْ كُنْتَ لِلسُّخْطَةِ عَاقِبَتَنَا بِخَالِدٍ فَهُوَ أَشَدُّ الْعِقَابُ
 أَصَمُّ أَعْمَى عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى وَقَدْ ضَرَبَ النَّوْكَُ عَلَيْهِ الْحِجَابُ
 كَانَ قَضَاءُ اللَّهِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَهَذَا عَذَابُ
 يَا عَجَبًا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا يُخْطِئُ فِينَا مَرَّةً بِالصَّوَابِ^(٢)
 قَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

وَلَيْسَ بِحَاكِمٍ مَنْ لَا يُبَالِي أَلْأَخْطَأُ فِي الْحُكُومَةِ أَمْ أَصَابًا^(٣)
 وَقَالَ آخَرُ :

فَإِنْ تُصِيبُكَ مِنَ الْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ لَمْ تَنْبِكْ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينٍ^(٤)

(١) ساقط من ب ، وانظر الأبيات في البيان ٢/٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ ، وما عدا الأخيرين في

الشعر والشعراء ٨٤٦ .

والجائليق : كبير النصارى في بلد الإسلام ، أو هو صاحب رتبة دينية تقل عن البطريك .

(٢) الأبيات الخمسة ساقطة من ب ، وانظرها كلها في عيون الأخبار ١/٦٣ ، ٦٤ .

(٣) ديوانه ١٤ .

(٤) البيت لأبي وجرة مولى عبد الله بن الزبير ، انظر العقد الفريد ٦/١٧٦ .

وقال آخر :

إِذَا مَا لَقِيتَ بَنِي عَامِرٍ لَقِيتَ جَفَاءً وَنَوْكًا كَثِيرًا
نَعَامٌ تَجُودُ^(١) بِأَعْنَاقِهَا وَيَمْنَعُهَا نَوْكَهَا أَنْ تَطِيرَا

وقال آخر :

وَإِنَّكَ إِنْ حَلَلْتَ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِخِزْيَةٍ وَتَرَكَتَ عَارًا^(٢)

وقال آخر :

خَنَازِيرُ نَامُوا عَنِ الْمَكْرُمَاتِ فَتَبَّهَهُمْ^(٣) قَدَرٌ لَمْ يَنْمِ
فِيَا قُبْحَهُمْ فِي الَّذِي خَوَّلُوا وَيَا حُسْنَهُمْ فِي زَوَالِ النِّعَمِ^(٤)

وقال آخر :

نَخِيرُ مِنْكَ مَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَخَيْرُ مَنْ زِيَارَتِكَ الْقُمُودُ

وقال آخر :

وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتِ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلَةٍ^(٥)

وقال آخر :

كَأَنَّ رِيحَهُمْ مِنْ قُبْحٍ فَعِلَهُمْ رِيحُ الْكِلَابِ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

(١) ب : تجر

(٢) البيت لجرير ، ديوانه ٢٨١ .

(٣) ب : فتبتهم .

(٤) البيت لجرير ، ديوانه ٥٦٥ ، ونسبنا في محاضرات الأدباء ٨٦/١ إلى محمود الوراق .

(٥) البيت في التمثيل والمحاضرة ٤٥٦ ، محاضرات الأدباء ١٦٢/١ من غير نسبة .

وقال خلف الأحمر :

إِذَا انْتَسَبُوا فَفَرُّعٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَكِنَّ الْفِعَالَ فِعَالٌ عَكْلٌ^(١)

وقال أبو علي البصير :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمٌ

وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ وَصَوَّحَ نَبْتَهَا رُغَى الْهَشِيمِ^(٢)

وللحطيئة في أمه ، لا عفا الله عنه :

تَنَجَّى فَاقْعُدِي مَنَى بَعِيداً أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ

أَلَمْ أُوضِحْ لَكَ الْبَغْضَاءَ مَنَى وَلَكِنْ لَا إِخَالُكَ تَعْقِلِينَا

أَغْرَبَالاً إِذَا اسْتَوْدَعْتَ سِرّاً وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ

جَزَاكَ اللَّهُ شَرّاً مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَّاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينَا^(٣)

وللفقيه أبي عمر بن عبد البر :

وَاصِلَتْ فِي شُرْبِ الشَّمُولِ^(٤) سَفَاهَةٌ حَتَّى غَدَوْتَ كَأَنَّ أَنْفَكَ دُمْلٌ

قال أعرابي : أَتَيْتُ بَغْدَادَ فَإِذَا ثِيَابُ أَجَوَادٍ عَلَى أَلَامٍ أَجْسَادُ ، إِقْبَالَ

حَظْمِهِمْ إِدْبَارُ حُظُوظِ الْكِرَامِ ، شَجَرٌ فُرُوعُهُ عِنْدَ أَصُولِهِ ، شَغْلُهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ

رَغْبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .

(١) سبق البيت مع أبيات أخرى في باب الهدية .

(٢) البينان في معجم الأدباء ٨٩/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٩١ ، نهاية الأرب ٨٦/٣ ، معجم الشعراء

٣١٤ ، السكامل ٢٨٧/٢ ، واقشعرت البلاد : أجذبت ، وصوح النبت : يبس وتشقق .

(٣) ديوانه ٢٧٧ .

(٤) الشمول : الخمر ، أو الباردة منها .

قال أبو العتاهية :

أَذْمُ بَغْدَادَ وَالْمُقَامَ بِهَا مِنْ بَعْدِ مَا خَبِرَ وَتَجْرِبِ
 مَا عِنْدَ أَمْلَاكِهَا لِمُرْتَعِبِ^(١) رِفْدٌ وَلَا فُرْجَةٌ لِمَكْرُوبِ
 خَلَوْا سَبِيلَ الْعَلَا لِغَيْرِهِمْ وَنَازَعُوا فِي الْفُسُوقِ وَالْحُوبِ
 يَحْتَاجُ رَاجِي النَّوَالِ عَنْدهُمْ إِلَى ثَلَاثٍ مِنْ غَيْرِ تَكْذِيبِ
 كَنْوَزِ قَارُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ وَعَمْرٍ نُوْحٍ وَصَبْرٍ أَيُّوبِ^(٢)

وقال آخر :

أَمَّا لَوْ أَنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ^(٣) عِلْمًا إِذَا لَنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
 وَمَالِكٌ فِي الْغَرِيبِ يَدٌ وَلَكِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ^(٤)

وقال الناشيء :

لَوْ كَمَا تَجْهَلُ تَدْرِي كُنْتَ لِلَّهِ^(٥) رَسُولًا

وقال حماد بن الزبرقان^(٦) في حماد عَجْرَدَ :

نَعَمْ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيَقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
 هَدَلْتُ^(٧) مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقُدُومِ يَسْنُهَا الْحَدَّادُ

(١) ب : لمرتقب .

(٢) لم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه المطبوع .

(٣) أ : عاد .

(٤) البيتان لأبي تمام ديوانه ٢٧ .

(٥) ب : والله .

(٦) ب : الزبير .

(٧) ب : هزلت . والأبيات في الشعر والشعراء ٧٥٤ . وفيه : الدنان مكان الشمول .

وابيض من شرب المدامة وجهه فياضه يوم الحساب سواد

وقال رافع بن إبراهيم اليربوعي :

ألستم أقل الناس تحت لوائهم وأكثرهم عند الذبيحة والقدر

وأمساه بالشيء المحقر بينهم وأعجزهم عند الجسيم من الأمر^(١)

وقال أعرابي :

العبد يحتب الهجاء لشينه ولك الهجاء إذا هجيت جمال

لم يبق عار في البرية كلها إلا وأخبت منه فيك يقال

وقال أبو عينة^(٢) :

خالد لولا أبوه كان والكلب سوا

لو كما ينقص يز داذ إذا نال السماء

^(٣) أنا ما عشت عليه أسوأ الناس ثناء

إن من كان مسيئاً لحقيق أن يساء^(٣)

وله أيضاً :

داود محمود وأنت مذمم عجباً لذلك وأنتما من عود

(١) ورد البيت الأول في حماسة أبي تمام ٢٢٦/٢ منسوباً إلى عوف القوافي .

(٢) هو أبو عينة بن الملهب بن أبي صفرة كان من أطيع الناس وأقربهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تكلفاً ، انظر ترجمته في الشعر والشعراء ١٥٨ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٣) ساقط من ب ، والأبيات في الشعر والشعراء ٨٥٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ ، والأولان في محاضرات الأدباء ١٦٣/١ ، والثاني في التمثيل والمحاضرة ٨٠ ، والأبيات قالها في هجاء ابن عمه خالد بن يزيد وإلى جرجان .

ولربَّ عودٍ قد يُشَقَّ لمسجدٍ نصفًا وسائرُهُ لحشٍّ يهودٍ^(١)

وقال الفرزدق :

أترجؤ^(٢) كَلَيْبًا أن تجيء صِفَارَهَا بخيرٍ وقد أعْيَا عَلَيْكَ كِبَارُهَا^(٣)

وقال أبو نواس :

لأبي نوحٍ رَغِيفٌ أبدأ في حجرٍ دَايَةٍ

بَرَّةٍ تَمْسَحُهُ الدَّهْرُ بِكُمْ وَوَقَايَةٍ^(٤)

وله كَاتِبٌ سُوءٌ خَطٌّ فِيهِ بِمَنَائَةٍ

فَسَيَكْفِيكُمْ اللَّهُ إِلَى آخِرِ آيَةٍ^(٥)

وقال فيه أيضًا :

أبو نوحٍ دَخَلْتُ عَلَيْهِ يَوْمًا فغَدَّانِي بِرَأْمَةٍ الطَّعَامِ

فَكَانَ كَمَنْ سَقَى الظَّمَانَ آلًا وَكُنْتُ كَمَنْ تَغَدَّى فِي الْمَنَامِ^(٦)

قال رجل خياط أعور لبعض الشعراء : والله لأخيطن لك قِبَاءً لا تدرى أَقْبَاءُ

(١) الحش : المسلح والمخرج الذي يقضون فيه حوائجهم . وانظر البيتين في محاضرات الأدباء ١/١٦٢ ، الشعر والشعراء ٨٥٤ ، المستطرف ١/٣٨ ، ٢/٢ ، معجم الشعراء ٢٦٧ .

(٢) ب : ترجى .

(٣) نهاية الأرب ٣/٧٢ ، التمثيل والمحاضرة ٦٩ وفيه : ترجى ربيع .

(٤) ب : وقباية .

(٥) ديوانه ٣١٢ ، المحاسن والمساوى للبيهقي ١/٢٠٢ .

(٦) الآل : السراب ، وانظر البيتين في ديوانه ٢٨٩ ، عيون الأخبار ١/٦٤ .

هو أم دُواج^(١) ، فقال له : وأنا والله أقول فيك شعراً ، لا تدري أمدح هو أم هجاء ، فلما خاطه له قال فيه :

خاط لي عمرؤ قباء ليت عينيه سَوَاء

^(٢) قل لمن يسمع هذا أمدح أم هجاء^(٣)

فلم يدروا ما أراد : صحة عينيه أم عماه .

ولرجل من بني تميم :

أمن عوز الرجال وهم كثير حبا نصر يأمريته^(٤) عقيلا

فلو بكت المنابر من لثيم سمعت لعود منبره عويلا

وقال آخر :

من دون سيبك لون ليل مظلم وحفيف رائحة وكتب مرصدا

والضيف عندك مثل أسود سايخ لا بل أحبهما إليك الأسود^(٥)

وقال آخر :

ورثنا المجد عن آباء صدق أسانا في ديارهم الصنيعة

إذا الحسب الرفيع تعاورته بناء الشؤ أوشك أن يضيعة^(٥)

(١) القباء : ثوب يشبه العباءة ، والدواج : المعطف الثقيل .

(٢) ساقط من ب . وقد نسب البيتان في العقد ١٠/٥ إلى بشار بن برد ، وانظرهما في محاضرات

الأدباء ٣١٨/٢ .

(٣) ب . بامرأته .

(٤) في عيون الأخبار ٣٢/٢ : نافجة مسكان رائحة ، وموسد بدل مرصد ، وهي مأخوذة من أوسد

الكلب بالصيد أي أغراه ، والأسود السالخ : الافعى ، ووصف بالسالخ لأنه يسالخ جلده كل عام .

(٥) السكامل ٦٧/٢ ، عيون الأخبار ١١٢/٢ .

وأحسن من هذا :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَاؤُنَا كَرُمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَسْكُلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا^(١)

وقال آخر :

إِنْ تَلَقَّ رَيْبَ الْمَنَايَا أَوْ تُرَدِّفَهَا^(٢) لَمْ تُبَكِّ مِنْكَ عَلَى دِينٍ وَلَا حَسَبٍ

وقال آخر :

وَإِنْ تُصِيبُكَ مِنَ الْأَيَّامِ قَارَعَةٌ لَمْ أَبُكِّ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينٍ^(٣)

قيل لمسلمة : أجرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : الفرزدق يبنى ، وجرير مخرب ،
وليس بقوم الخراب شيء .

قال أعرابي في سعيد بن سلم^(٤) :

مَدَحْتُ ابْنَ سَلَمٍ وَالْمَدِيحُ مَهْزَةٌ فَكَانَ كَصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابُ
لِكُلِّ أَخِي مَدْحٌ ثَوَابٌ يُهْدُهُ وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهِلِيِّ ثَوَابٌ^(٥)

(١) في ١ : نسير كما كانت أوائلنا تسير ، والرواية للشطيرة الأولى في نوادر القالي ١١٧ : لسنا وإن كرمت أوائلنا ، وقد نسب البيتان في السكامل ٩٤/١ إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ونسبا في حماسة أبي تمام ٣٣٩/٢ إلى المتوكل الليثي ، وانظرهما في زهر الآداب ٧٩/١ .

(٢) ب : تردقنا ، أ : تردفنا .

(٣) سبقت نسبه في العقد ١٧٦/٦ لأبي وجرة مولى عبد الله بن الزبير انظر ص ٥٢٢ ، وانظره بدون نسبة في المصون لأبي أحمد العسكري ٢١ ، وفيه : جائحة بدل قارعة .

(٤) ب : مسلم .

(٥) معاضرات الأدباء ١٨٤/١ ، السكامل ٢٣/٢ ، عيون الأخبار ٣٢/٢ ، مع تقديم الثاني على الأول ،

العقد الفريد ٣١١/١ .

قال أبو بكر السَّامري :

يا شاعراً يهتكُ من عَقْلِهِ أضعافاً ما يهتكُ من عِرْضِي
إذا هجاني جاءني شِعْرُهُ وبعضُهُ يضحكُ من بَعْضِي

وهذا الباب أكثر من الحصى والتراب .

بَابُ الْعَقْلِ وَالْحَقِّقِ

أما العقلُ فقد أوردتُ في معناه واشتقاقه والدلالةِ عليه ، وما جاء في ذلك من النثر والنَّظم كتاباً كافياً ، ونوردها هنا من صفات العاقلِ والأحق ما تحسَّن به المذاكرة ، ويجمل إirاده في المجالسة إن شاء الله تعالى .

ومن حديث ابن عمر ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم : « لا يُمَجِّبَنَّكُمْ إِيْمَانُ الرجل حتى تعلموا ما عقدةُ عقله »

وروى عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « حقٌّ على العاقل أن يكون له أربع ساعات ، ساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يناجى فيها ربّه ، وساعة يُفَضِّى فيها إلى إخوانه الذين يُخَبِّرونه بعيوبه ، وَيَصَدِّقونه عن نفسه ، وساعة يخلى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلُّ ويجمل ، فإن هذه الساعة عونٌ له على هذه الساعات ، وإِجْام^(١) للقلوب . وحقٌّ على العاقل ألا يظمن^(٢) إلا في إحدى ثلاث : زاد لمعاده ، ومِرْمَة لمعاشه ، أو لذة في غير محرم . وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مالكاً للسانه ، مقبلاً على شأنه . »

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : أتدرى لم رزقتُ^(٣) الأحق ؟ قال : لا . قال : ليعلم العاقل أن الرزق ليس باحتيال .

(١) : إجمام .

(٢) : يظفر .

(٣) : خلقت .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ من حُرْمَتِهِنَّ فقد حُرِمَ خيرُ الدنيا والآخرة : عقلٌ يدارى به الناس ، وحِلْمٌ يردُّ به السفیه ، وورعٌ يحجزه عن المحارم . »

افتخر رجلان عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : أتفتخران بأجساد بالية ، وأرواح في النار ؟ إن يكن لكما عقلٌ فلكما أصل ، وإن لم يكن لكما خلقٌ فلكما شرف ، وإن يكن لكما تقوى فلكما كرم ، وإلا فالحمار خير منكما ، ولستما خيراً من أحد .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : العاقلُ من لم يحرمه نصيبه من الدنيا حظّه من الآخرة .

قال علي بن أبي طالب في وصيته لابنه : لا مالَ أعوذ^(١) من العقل ، ولا فقر أشد من الجهل ، ولا وحدة أوحش من العُجب ، ولا مظاهره كالمشاورة ، ولا حسَب كحسن الخلق .

كان يقالُ : إذا كان علم الرجل أكثر من عقله ، كان قيناً أن يضره علمه .

قال عمرو بن العاص : ليس العاقلُ الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذي يعرف خير^(٢) الشرين .

قال المثنى : العقلُ نوعان ، فأحدهما ما تفرد الله بصنعتة ، والآخر ما يستفیده

(١) : أعدد .

(٢) : شر .

المرء بأدبه وتجربته ، ولا سبيلَ إلى العقل المستفاد إلا بصحة العقل المركب ، فإنهما إذا اجتمعا قوّى كلٌّ منهما صاحبه ، كما أن النار في الظلمة نور للبصر ، وأنشد :
إذا لم يكن للمرء عقلٌ يزيّنه مع الناس لم يجعل له مشفقٌ عقلاً^(١)

وقال آخر :

ولا خيرَ في حُسنِ الجُسومِ وطولِها إذا لم يزن حُسنَ الجُسومِ عُقولُ^(٢)

وقال أردشير بن بابك : نحوُ العقلِ بالعلم .

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز رضي الله عنه ، إلى بعض عماله : أمّا بعد ، فإنّ العقل المُفرد لا يُقوى به على أمر العامّة ، ولا يُكتفى به في أمر الخاصّة ، فأحى عقلك بعلم العلماء والأشراف من أهل التجارب والمروءات ، والسلام .

قال أيوبُ بنُ القُرَيْبَةِ : الناسُ ثلاثة : عاقلٌ ، وأحمقٌ ، وفاجرٌ ، فالعاقل : الدّينُ شريعته ، والحلمُ طبيعته ، والرأيُ الحسَنُ سَجِيَّته ، إن نطق أصاب ، وإن سَمِعَ وعى ، وإن كَلَّمَ أجاب . والأحمق : إن تكلم جهل ، وإن حدّث وهل ، وإن استنزل عن رأيه نزل . وأمّا الفاجرُ : فإن ائتمنته خانك ، وإن صحبته شانك .

قال مُطَرِّفُ بنُ الشَّخِيرِ : عُقولُ كلِّ قومٍ على قدرِ زمانهم .

(١) ب : فايجعل له مشفقا عقلا

(٢) يروى ونبلها مكان طولها ، وقد نسب البيت في البيان والتبيين ٢/٢٢٩ إلى مالك بن حمار الشمخى الفزارى ، وفي هامش أمالي القالي ١/٣٩ أنه لهذيل بن ميسر الفزارى ، وورد في حاشية أبي تمام ١٤/٢ لرجل من بني قزارة ولم يعينه ، واسم في معجم الأدباء ١٨/٦ ، ٣ إلى أبي العيّن .

كان يقال : ستّ خصال تُعرّف في الجاهل : الغضب في غير شيء ، والكلام في غير نفع ، والعطية في غير موضعها ، وإفشاء السر ، والثقة بكل أحد ، ولا يعرف صديقه من عدوه .

قيل لابن شبرمة : ما حدّ الحق ؟ قال : لا حد له .

سُئل بعض الحكماء عن العقل ، فقال : الإصابة بالظنون ، ومعرفة ما لم يكن بما قد كان .

كان يحيى بن خالد ، يقول : ثلاثة أشياء تدلّ على عقول أربابها : الكتاب على مقدار عقل كاتبه ، والرسول على مقدار عقل مُرسِله ، والهدية على مقدار عقل مُهديها .

قال ابن الأعرابي : سُمّي الرجلُ أحمق ، لأنه لا يميز كلامه من رعوته

قال : والحمق أيضاً الكساد ، يقال : انْحَمَقَتِ^(١) الشوق إذا كسدت ، ومنه الرجل الأحمق لأنه كاسدُ العقل لا يُنتفع برأيه ولا بعزمه . والحمق أيضاً : الغرور ، يقال : سرنا في ليالٍ مُحَمَّقات ، إذا كان القمر فيهن يَسْتَتِرُ بغير أبيض رقيق ، فيفتُرُ الناس بذلك يظنون أن قد أصبحوا فيسيرون حتّى يملوا .

قال : ومنه أخذ اسم الأحمق لأنه يترك في أوّل مجاسه بتمامه ، فإذا انتهى إلى آخر كلامه تَبَيَّنَ مُحَقُّه .

(١) ب : حقت ، وكلاما وارد صحيح .

وقيل للرجلة البقلة الحقاء ، لأنها تنبت في مسيل الماء ، وفي طريق الإبل ،
فهي أبداً مدوسة .

وفي الخبر المرفوع : « للعاقل خصال يُعرف بها : يحلم عمن ظلمه ، ويتواضع
لمن هو مثله ، ويسابق بالبر من هو فوقه ، وإذا رأى بابَ فرصةٍ اتهمها ، لا يفارقه
الخوف ، ولا يصحبه العنف ^(١) ، يتدبر ثم يتكلم ، فإن تكلم غنم ، وإن سكت
سلم ، وإن عرضت له فتنة ، اعتصم بالله ثم تنكبها ، وللجاهل خصال يُعرف بها :
يظلم من خالطه ، ويتكلم بغير تدبر فيندم ، فإن تكلم أثم ، وإن سكت سها ،
وإن عرضت له فتنة أردته ، وإن رأى بابَ فضيلةٍ أعرض عنها .

ذكر المغيرة بن شعبه يوماً عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : كان والله
أفضل من أن يخدع ، وأعقل من أن يخدع .

في كتاب « كلیلة ودمنة » : رأسُ العقل التمييزُ بين الكائن والممتنع .

قال الحجاج يوماً : العاقل من يعرف عيب نفسه ، قال عبد الملك : فما عيبك ؟
قال : أنا حسودٌ حقود ، قال عبد الملك : ما في إبليسَ شرٌّ من هاتين .

قال الحسن البصري : صلة ^(٢) العاقل إقامةُ لدين الله ، وهجرانُ الأحقِ قرابةً إلى
الله ، وإكرامُ المؤمنِ خدمةً لله وتواضعٌ له .

(١) ب : التضييف .

(٢) ١ : صلة .

قال عبد الله بن الحسين^(١) : مُحَقَّقُ الرَّجُلِ يَفْسِدُ دِينَهُ^(٢) ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . وَكَانَ لَا يَجِيزُ شَهَادَةَ الْأَحْمَقِ الْعَفِيفِ ، فَكُلَّمْ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : سَأْرِيكُمْ . وَدَعَا بِحَاجِبِهِ فَقَالَ : يَا مَمْدُودُ^(٣) ، انْظُرْ لِي مَا الرَّيِّحُ ؟ فَنَخْرُجُ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : هِيَ شِمَالٌ يَشُوبُهَا شَيْءٌ مِنَ الْجَنُوبِ . فَقَالَ : أَتَرَوْنَ أَنْ أُجِيزَ شَهَادَةَ مِثْلِ هَذَا ؟

فَقَالَ أَرْدَشِيرُ : رِضَاءُ الْمَرْءِ عَنْ نَفْسِهِ دَلِيلٌ عَلَى عَقْلِهِ .

قَالَ أَنُو شِرْوَانُ : ثِقَةُ الرَّجُلِ بِرَأْيِهِ ، وَإِقْرَارُهُ بِتَوْفِيرِ عَقْلِهِ ، دَلِيلٌ عَلَى عَقْلِهِ .

قِيلَ :

هَلْ يَنْتَهِي مِنْ أَوَّلِ الزَّجْرِ أَحْمَقُ

كَانَ يَقَالُ : إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ تَقْصَرَ الْكَلَامُ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : لَا تَوَاضِعْ الْأَحْمَقَ ، وَلَا الْفَاجِرَ ، أَمَّا الْأَحْمَقُ فَمُدْخَلُهُ

وَنَخْرُجُهُ شَيْنٌ عَلَيْكَ ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ : فَيَزِينُ لَكَ فِعْلَهُ ، وَيُودُّ أَنْ تَكُنْ مِثْلَهُ .

(١) كَذَا بِالْأَصُولِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ ١٧/١ أَنَّهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَنْبَرِيُّ .

(٢) سَاقِطَةٌ مِنْ أ .

(٣) ١ : مَرُودٌ ، وَسَمَاءٌ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : أَبَا مَرُودٍ .

قال سابق :

المرء يجمع والزَّمانُ يُفَرِّقُ ويظلّ يرقعُ والخطوب تمزقُ
ولئن يُعَادِي عاقلاً خيراً له من أن يكون له صديقٌ أحمقُ

وقال آخر :

عدوك ذو العقل أبقى عليك من الصَّاحِبِ الجاهِلِ الأحمقِ^(١)
وذو العقل يأتي حسانَ الأمور ويعتمد للأرشِدِ الأوفقِ

وقال دعبل بن علي الخزاعي :

عداوةُ العاقلِ خيرٌ إذا حصَّلتها من خُلةِ الأحمقِ
لأنَّ ذا العقلِ إذا لم يرع^(٢) عن ظلمك استحيا فلم يخرقِ
ولن ترى الأحمقَ يُبقي على دينٍ ولا وُدٍّ ولا يَتَّبِعِي

وقال آخر :

عداوةُ العاقلِ خيرٌ لمن عاداهُ من وُدٍّ امرئٍ جاهِلِ
بوائقُ الجاهِلِ مَبْثُوثَةٌ وليس تخشاهُ من العاقلِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

ألا إنّما الإنسانُ غمدٌ لعقله ولا خيرَ في غمدٍ إذا لم يكن نصلُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٠٦ ، فصل القال ١٦٠ .

(٢) أي يتق ويحفظ ، مضارع ويرع ، وفي الديوان ١٥٧ : إذا لم يرع عن حله

فإن كانت للإنسان عقلٌ فإنه هو النّصلُ والإنسان من بعده فضلٌ

وقال أيضاً :

وما المرء إلا اثنتان عقلٌ ومنطقٌ
ولا سيما إن كان ممن نصيبه
فمن فاتته هذا وذاك فقد دمر
من الدين والدنيا قليلٌ إذا حضر

وقال ابن الرومي :

وليس عتابُ المرء للمرء نافعاً
إذا لم يكن للمرء عقلٌ يعاتبه^(١)

وقال آخر :

زعمت أبا سهلٍ بأنك جامعٌ
فهنك تقول الحق أي فضيلة
فنونا من الآداب يجمعها الكهل
تكون لدى علمٍ وليس له عقلٌ^(٢)

وقال آخر :

لكل امرئٍ شكلٌ من الناسٍ مثله
لأن صحيح العقل ليس بواجدٍ
فأكثرهم شكلاً أقلهم عقلاً
ولا خير في طول السبيل^(٣) وعرضها
له في طريقٍ حين يسلكها مثلاً
إذا الله لم يجعل لصاحبها عقلاً

(١) البيت في المختار من شعر بشار ٩٢ بغير نسبة .

(٢) البيتان لأبي العباس الناشيء في أبي سهل بن نويخت ، رهر الآداب ٣/ ١٨٨ .

(٣) السبيل : مقدم اللحية ، وانظر الأبيات في السكامل ١/ ٣١٥ ، وفيه . وما الفضل في طول .. الخ

وقال آخر :

قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلاً على اللبيب اختياريه^(١)

وقال بشار بن برد :

وما أنا إلا كالزمان إذا صحا صحوته وإن ماق الزمان أموق^(٢)

وقال آخر :

وأنزلي طول النوى^(٣) دار غربة إذا شئت لاقيت امرءاً لا أشاك له
تحامقته حتى يقال سجيّة ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله^(٤)

وقال آخر :

تحامق مع الحمق إذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
فإنني رأيت المرء يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يسعد^(٥) بالعقل

وقال أبو يزيد^(٦) البسطامي رحمه الله :

يا ذا الذي ليس له والد يسمي على الأرض ولا والد

(١) المقد الفريد ٣/١

(٢) المختار من شعر بشار ٢١١ البيان والتبيين ١/١٨٩ .

(٣) ١ : الشقا .

(٤) سبق البيت الأول وفي ص ٢٣٤ انظر نسبه ومراجعته هناك ، وانظرهما أيضاً في محاضرات الأدباء ١٣٦/١ ، عبون الأخبار ٢٦/٣ .

(٥) ب : يسود . والبيتان لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ، انظر معجم الأدباء ٢٤٧/١٩ .

(٦) ١ : فريد ، تحريف . فهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة في الزهد ، وأقوال في الحكمة والتصوف ، مات سنة ٢٦١ هـ . انظر في ترجمته وفيات الأعيان ٢/٢١٣ .

قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهِمْ آدَمُ فَأَيُّ نَفْسٍ بِمَدَّةِ خَالِدَةٍ
إِنْ جِئْتَ أَرْضًا أَهْلُهَا كُلُّهُمْ عَوْرٌ فَنَمَضُ عَيْنَكَ الْوَاحِدَةَ^(١)

سمع عمر بن عبد العزيز رجلاً يكنى أبا العُمَرَيْنِ ، فقال : لو كان لك عقل
كفالك أحدهما .

قال الحسن : هجرة الأحمق قربة إلى الله تعالى .

قال منصورُ الفقيه :

أَجَالِسُ كُلًّا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا أَحَبُّ سِوَى الْأَمْوَاقِ
فَإِنِّي أَجَالِسُهُ مَرَّةً وَأَنْهَضُ عَنْهُ فَلَا نَلْتَقِي
فَمَا نِعْمَةٌ بَعْدَ تَقْوَى الْإِلَهِ بِأَفْضَلٍ مِنْ هَجْرَةِ الْأُحْمَقِ

قال بعضُ الحكماء : ينبغي للعاقل أَنْ يَتَمَسَّكَ بِسِتِّ خِصَالٍ : أَنْ يَحْفَظَ^(٢)

دينه ، ويصونَ عِرْضَه ، ويصلَ رَحِمَه ، ويحفظَ جَارَه ، ويرعى حقَّ إِخْوَانِه ، ويحزُنَ
عن البذاء لسانَه .

كان الحسنُ البصريُّ إِذَا أُخْبِرَ عَنْ أَحَدٍ بِصَلَاحٍ ، قَالَ : كَيْفَ عَقْلُهُ ؟ ثُمَّ يَقُولُ :
مَا يَتِمُّ دِينُ امْرِئٍ حَتَّى يَتِمَّ عَقْلُهُ .

روى أَنَّهُ لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ ، أَتَاهُ جَبْرَيْلُ ، فَقَالَ : يَا آدَمُ !

(١) فصل المقال ١٩٨ .

(٢) ١ : يحوط .

إن الله تعالى قد أحضر ك ثلاث خصالٍ لتختارَ منهنَّ واحدة ، ويخلى عن اثنتين .

قال : وما هنَّ ؟ قال : الحياء والدينُ والعقلُ : قال آدم : إني اخترتُ العقلَ .

قال جبريل للحياء والدين : ارتفعما فقد اختارَ العقل ، قال : لا ترتفع . قال :

ولم عصيتما ؟ قال : لا ، ولكننا أمرنا ألا نفارقَ العقلَ حيثُ كان .

كان يقال : لا تعتدَّ بمن ليس له عُقْدَةٌ من عقل .

قال بعض الحكماء : وَكُلَّ الحرمانُ بالعقل ، والرزقُ بالجهل ، ليُعتبرَ العاقلُ

فيعلم أنَّ الرزقَ ليس عن حيلة .

قيل لزُرْعَةَ بنِ ضَمْرَةَ : متى عَقَلْتَ ؟ قال : يومَ وُلِدْتُ . قيل : وكيف ذلك ؟

قال : مُنَعْتُ الثَّدي فبكيتُ ، وأُعْطِيَتْها فسكتَ .

قال الحسن : لَأَنَا للعاقلِ المُدْبِر ، أَرْجَى مِنِّي للأحمقِ المقبل .

قال الأوزاعي : قيل لعيسى عليه السلام يا رُوحَ الله ! أنت تبرىُّ الأَكَمَةَ

والأَبْرَصَ وتُحْيِي المَوْتى بإِذنِ الله ، فما دَوَاءُ الأَحْمَقِ ؟ قال : ذلك أَعْيَانِي .

قال قيس بن الخطيم :

وبعضُ الداءِ ملتمسٌ دَوَاهُ وداءُ النَّوْكِ لَيْسَ لَهُ دَوَاهُ^(١)

(١) انظر ديوانه ٧٧ ، وفيه : ملتمس شفاء . ليس له شفاء ... حاسة أبي تمام ٤٠/٢ .

وقال آخر :

جنونك مجنونٌ ولستَ بواجِدٍ طيبًا يَدَاوِي من جُنُونِ جُنُونٍ^(١)

وقال آخر :

قالوا جُنُنتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُمْ مَا لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا لِلْمَجَانِينِ
الْحُبُّ لَا يَسْتَفِيقُ الدَّهْرَ صَاحِبُهُ وَإِنَّمَا يُصْرَعُ الْمَجْنُونُ فِي الْحِينِ

كان يقال : الأحمقُ بشأنه أعلمُ من العاقلِ بشأن غيره^(٢) .

قال زيدُ بنُ أسلم ، قال لقمان لابنه : يا بني لَنْ يُقْصِيكَ^(٣) الْحَكِيمُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ
يُدْنِكَ^(٤) الْأَحْمَقُ .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : خُصِلَتَانِ لَا تَعْدِمُكَ [إحداهما]^(٥) مِنَ الْأَحْمَقِ ، أَوْ
قال من الجاهل : كثرةُ الالتفاتِ ، وسرعةُ الجوابِ .

كانوا يُعَبِّرُونَ عن الأحمق بالجاهل ، ومن ثم قالوا : غضب كسرى على عاقل فسجنه
مع جاهل . يريدون سجنه مع أحمق ، ويُعَبِّرُونَ أيضًا عن العاقل بالحليم ،
قال الشاعر :

(١) عيون الأخبار ٤٧/٢ .

(٢) وردت هذه العبارة في عيون الأخبار : الأحمق أعلم من العاقل الخ ، وصححها في الهامش كما
ورد هنا .

(٣) ب : يضربك .

(٤) ب : يدمنك .

(٥) زيادة يستقيم بها المعنى .

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليماً حين وأخاه
يقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هوَ ماشاهُ^(١)

قال سهل بن هارون : ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء : الغضبان ،
والغيران^(٢) ، والسكران . قيل : فما تقول في المنعظ ؟ قال :

وما شرُّ الثلاثة أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تُصبحينَا

قال تمام مجيع : إذا قام ذكرُ الرجل ، ذهب ثلثا عقله .

قال محمود الوراق ، وقد نسب إلى ابن الزيات :

ليس شيء مما يدبره العاقل إلا وفيه شيء يريه
فأخو العقل ممسك يتوقى ويخاف الدخول فيما يعيبه
وأخو الجهل لا يقدر في الأمه ر وإن أشككت عليه ضرر وبه
راكب ردعه كحاطب^(٣) ليل يخطئ الأمر كله أو يصيبه
تأتى له الأمور على الجمل ل إذا ما أرادها وتحييه

(١) عيون الأخبار ٧٩/٣ ، ورد البيت الثالث فيها أيضا ٨/٣ ضمن أبيات منسوبة إلى أبي العتاهية .

(٢) ب : والعريان .

(٣) ب : كحاطب . وراكب الردع : من يفضى في حاجته فيرجع خائبا ، وحاطب الليل : المخلط الذي

يصيب مرة ويخطئ أخرى .

وَأَخُو الْعَقْلِ بَعْدَ يَنْتَسِجُ الرَّأْيَ يَ فَيَرْضَى وَمَرَّةً (١) يَسْتَرِيْبُهُ
وَإِذَا صَيَّرَ الْبَعِيدَ قَرِيبًا عَادَ فِيهِ فَازْدَادَ بُعْدًا قَرِيبُهُ
فَهُوَ الدَّهْرَ شَاخِصُ الْقَلْبِ فِكْرًا مَا تَقْضَى هُمُومُهُ وَكُرُوبُهُ

وقال آخر:

أَلَا إِنَّ عَقْلَ الْمَرْءِ عَيْنًا فُؤَادِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلٌ فَلَنْ يُبْصِرَ الْقَلْبُ
(٢) وقال آخر:

أَرَى زَمَنًا نَوَكَاهُ أَسْعَدُ أَهْلِهِ وَلَكِنَّمَا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلٍ
مَشَى فَوْقَهُ رَجُلَاهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ فَكَبَّ الْأَعَالَى بَارْتِفَاعِ الْأَسَافِلِ (٣)
وقال آخر:

عَذَلُونِي عَلَى الْحَمَاقَةِ جَهْلًا وَهِيَ مِنْ عَقْلِهِمْ أَلَذُّ وَأَحْلَى
لَوْ لَقُوا مَا لَقِيتُ مِنْ حِرْفَةِ الْعَقْلِ لِي لَسَارُوا إِلَى الْحَمَاقَةِ رِمْلًا
حَقِّي قَائِمٌ (٣) بِقُوْتِ عِيَالِي وَيَمُوتُونَ إِنْ تَعَاقَلْتُ هُزْلًا

قال هشام بن عبد الملك: يُعْرَفُ حَقُّ الرَّجُلِ بِأَرْبَعٍ: بِطَوْلِ لِحِيَّتِهِ، وَشِنَاعَةِ
كُنْيَتِهِ وَنَقْشِ خَاتَمِهِ، وَإِفْرَاطِ شَهْوَتِهِ. فَدْخَلَ عَلَيْهِ ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ طَوِيلٌ

(١) ساقطة من ١.

(٢) ساقط من ١. وانظر البيت الثاني في البيان والنبين ٢٤٦/١.

(٣) ب: قائما.

الْعُشُون ، فقال هشام : أمّا هذا فقد جاء بواحدة ، فانظروا أين الثلاث ؟ قالوا :
ما كنتك ؟ قال : أنا أبو الياقوتِ الأحمر . قالوا : فما نقشُ خاتمك ؟ قال : ﴿ وَجَاءُوا
عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾^(١) .

وفي خبر آخر : أن معاوية جرت له مثل هذه الحكاية ، إلا أن في خبر
معاوية ، قيل له : فما كنتك ؟ قال : أنا أبو الكوكب الدرّي . قيل له : فما نقش
خاتمك ؟ قال : ﴿ تَفْقَدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾^(٢)

قال يحيى بن الحكم الغزّال :

يُعرف عقلُ المرءِ في أربعٍ مِشْبَتُهُ أَوَّلُهَا وَالْحَرَكُ
وَدَوْرُ عَيْنِيهِ وَالْفَاظُهُ بَعْدُ عَلَيْنَهُنَّ يَدْوَرُ الْفَلَكَ^(٣)

وقال آخر :

طَلَبْتُ الرِّزْقَ بِالْعَقْلِ مِنْ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ
فَلَمْ يُكْسِبْنِي الْعَقْلُ سِوَى الْبَعْدِ مِنَ الرِّزْقِ
فَأَدْبَرْتُ عَنْ الْعَقْلِ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْحَقِّ
فَلَمْ أَتَعِبْ وَلَمْ أَنْصَبْ وَلَمْ أَضْرَعْ إِلَى الْخَلْقِ

قال بعضُ الحكماء : من الحق التماسُ الإخوان بغير وفاء ، والتماسُ الآخرة

(١) سورة يوسف الآية ١٨ .

(٢) سورة النمل الآية ٤٥ .

(٣) العقد الفريد ٢/٢٤٣ .

بالرياء^(١) . والتماس مودة النساء بالنمظة ، والتماسُ العلم والفضل بالدعة والخفض .
سمع الأحنف رجلاً يقول : ما أبالي أُمِدِحْتُ أم هجيت . فقال : استرحت من
حيث تعب الكرام .

قالت العرب : استراح من لا عقل له .

وقالت الفرس : مات من لا عقل له .

أنشدني بعض شيوخى رحمهم الله :

كم كافرٍ باللهِ أموالُهُ تزدادُ أضعافاً على كُفْرِهِ
ومؤمنٍ ليسَ له دِرْهَمٌ يزدادُ إيماناً على فَقْرِهِ
لا خيرَ فيمن لم يكن عاقلاً يمدُّ رِجْلَيْهِ عَلَى قَدْرِهِ
وقال آخر^(٢) :

ما إن يزالَ يبعْدُ زَاحِجُنَا^(٣) على البراذين أشباهُ البراذينِ
أعطاهم الله أموالاً منزلةً من الملوك بلا عقلٍ ولا دينِ
ما شئت من بغلةٍ شقراءٍ ناجيةٍ أو من أتانٍ وقولٍ غيرِ موزونٍ^(٤)

(١) ب : بالزنا .

(٢) هو عارق بن أنال الطائي ، كما في البيان ٢٢١/١ .

(٣) ١ : نرى جثنا .

(٤) ١ : ومن أتانٍ وقولٍ غير مأمون ، والبغلة الناجية : السريعة ، انظر الأبيات في البيان والتبيين

٢٢١/١ ، ٢٢٢ ، و ٢١٨/٣ .

بَابُ مِنْ أَجْوِبَةِ الْحُمَقِ

وَمُرَاجَعَةِ السُّخْفَاءِ ، وَالْفَافِ النَّوْكِ وَالْجُهْلَاءِ

استعمل معاوية رجلاً من كلب ، فذكر المجوس يوماً ، فقال : لعن الله المجوسَ
ينكحون أمهاتهم ، والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ، ما نكحتُ أمي . فبلغ
ذلك معاوية ، فقال : قبحه الله ! أترونه لو زيد فعل ١١ ؟

قال أبو عبيدة : أَجْرِيَتْ الخيلُ فطلع منها فرسٌ سابق ، فإذا رجلٌ من النظارة
يكرّ ويثب من الفرح ، فقال له رجل إلى جنبه : يا فتى ! هذا الفرسُ فرسُك ؟ قال :
لا ، ولكنّ اللجام لجامي .

أرسل رجلٌ من بني عجل بن لُجَيْم فرساً في الحلبة ، فجاء سابقاً ، فقال لابنه :
يا بني ! بأيّ شيء أسميه ؟ فقال : يا أبت افقأ عينه وسمه الأعور . قال الشاعر :

رَمَيْتَنِي بَنُو عِجْلٍ بِدَاءِ أَبِيهِمْ وَأَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَنْوَكُ مِنْ عِجْلٍ
أَلَيْسَ أَبُوهُمْ عَارَ عَيْنِ جَوَادِهِ فَأُضْحِتْ بِهِ الْأُمُثَالَ تُضْرَبُ بِالْجَهْلِ^(١)

قال أبو كعب القاصّ في قصصه : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كبد حمزة
ما علمتم ، فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة .

(١) انظر البيهقي في وفیات الأعيان ٢٨٦/١ ، المحاسن والمساوي للبيهقي ٢٢٦/٢ .

وقال أيضاً في قصصه : إن اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا وكذا ، قالوا له : فإن يوسف لم يأكله الذئب ، قال : فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

وتلا في قصصه يوماً قول الله عز وجل : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ ﴾ ^(١) ، فقال : اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيفه .

قيل لبرذعة الموسوسر : أيما أفضل غيلان أم مَعْلَى ؟ قال : مَعْلَى ، قالوا : ومن أين ؟ قال : لأنه لما مات غيلان ، ذهب مَعْلَى إلى جنازته ، فلما مات مَعْلَى لم يذهب غيلان إلى جنازته .

رفع رجلٌ من العامة ببغداد إلى بعض ولاتها على جار له أنه يتزندق ، فسأله الوالى عن قوله الذى نسب به إلى الزندقة ، فقال : هو مُرْجِيٌّ قَدْرِيٌّ نَاصِبِيٌّ رَافِضِيٌّ ، من الخوارج ، يبغضُ معاويةَ بن الخطَّاب الذى قتل على بن العاص . فقال له ذلك الوالى : ما أدري على أى شيءٍ أَحْسُدُكَ ؟ أعلى عليك بالمقالات ، أم على بصرك بالأنساب .

كان قوم من أهل العلم يتناظرون في أمر معاوية وعلى ، ويذكرون أبا بكر وعمر ، وكان قريباً منهم رجل من العامة ، ينسب إلى أنه من أعقلهم ، وكان ذا سَبَلَةٍ ^(٢) طويلة ،

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧ .

(٢) السبلة بالتحريك : ما على الشارب من الشعر ، أو ما على الذن من اللحية .

فقال لهم : كم تطنبون في أمر عليٍّ ومعاوية وفلان وفلان !! فقال له أحد القوم :
وتعرف أنت من عليٍّ^(١) ومعاوية وفلان وفلان^(٢) ؟ قال : نعم ! أوليس هو
أبو فاطمة ؟ قال : ومن كانت فاطمة ؟ قال : امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بنت
عائشة أخت معاوية . قال : فما كان قصة عليٍّ ؟ قال : قتل في غزاة حنين مع النبي صلى
الله عليه وسلم .

دخل رجلٌ من العامة الجهلة الحمقاء على شيخ من شيوخ أهل العلم ، فقال :
أصاح الله الشيخ ، لقد سمعتُ في السوق الساعة شيئاً منكراً ، ولا ينكره أحد
قال : وما سمعت ؟ قال : سمعتُهم يشتمون الأنبياء ! قال : ومن المشتوم من الأنبياء ؟
قال : سمعتُهم يشتمون معاوية . قال : يا أخي ليس معاوية بنبيٍّ . قال : فبه نصف
نبيٍّ لم يشتم .

قال عمرو بن بحر : ذكر لي شيخٌ من الإباضية أنه جرى عنده ذكر الشيعة يوماً
فغضب وشتهم ، وأنكر ذلك عليهم إنكاراً شديداً . قال : فأتيته يوماً فسألته
عن سبب إنكاره على الشيعة ولعنهم لهم فقال : لمكان الشين في أول الكلمة ،
لأنني لم أجد ذلك قط إلا في مسخوط ، مثل سُومٍ وَشَرٍّ وَشَيْطَانٍ وَشَيْصٍ وَشَحٍّ
وَشَغَبٍ وَشَغَبٍ وَشِرْكٍ وَشَتْمٍ وَشِقَاقٍ وَشَطْرَنْجٍ وَشَيْنٍ وَشَانِيٍّ وَشَحْطٍ وَشَوْصَةٍ
وَشَوَكٍ وَشَكْوَى وَشَنَانٍ . فقلت له : إن هذا كثير ، ما أظن أن^(٢) القوم يقيم
الله لهم علماً مع هذا أبداً .

كان عندنا رجل شاهدناه ، وكان من جيراننا على غاية من الجهل والغباوة ،
وكان إذا سلم من صلاته في جماعة أو وحده ، يقول : السَّلام على الملكين الكاتبين
لأبي بكر وعمر ، وكان ألثغ يجعل مكان الكاف تاء .

اشترى باقل ، وهو رجل من قيس بن ثعلبة عنزاً بأحد عشر درهماً ، فقالوا له :
بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه وفرّق أصابعه ، وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر
درهماً ، فلما يَرَوُه ، قال :

يلومونَ في مُحَمِّهِ بِأَقِلًّا كَأَنَّ الحِمَاقَةَ لَمْ تُخَلِّقِ
فَلَا تُكْثِرُوا الْعَذْلَ فِي عِيِّهِ فَلَلَمِيْ أَعْجَلُ بِالْأَحْمَقِ ^(١)
خُرُوجُ اللِّسَانِ وَفَتْحُ الْبَنَانِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ الْمُنْطِقِ ^(٢)

ذكر الصّولي عن ابن الجوهريّ ضرباً من العيّ والحماقة والجهل ، وكان له تسبيح
ظريف يسبحه بإثر كل صلاة : سبحانك يا عالمين ، والحمد لله الأكرميين ، ولا إله
إلا الله الطيبين ، والصلاة على النبي المباركين ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، ونسأل
الله خير عوائق الأمور .

رأى معاوية بن مروان بن الحكم حماراً طاحونةً في عنقه جُلْجُلٌ في حانوت طحان ،
فقال له : ما بال هذا الحمار في عنقه جلجل ؟ فقال : أنا مشغل في علاجي وطلب

(١) ١ : بالأموق .

(٢) الأبيات في المحاسن والساوي ، ٢٢٧/٢ .

معيشتي خارج الحانوت ، وبحركة الجلجل أعرف وقوف الحمار فأحرّكه للمشى ،
فقال له معاوية : أَرَأَيْتَ إِنْ وَقَفَ الْحَمَارُ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ فَتَحَرَكَ الْجُلْجُلُ ؟ قال
الطحان : وَمَنْ لِحَمَارِي بِمِثْلِ عَقْلِ الْأَمِيرِ ؟ !

ومعاويةُ هذا هو الذي أمر بغلق باب المدينة إذ انفلت له البازي .

قال طحطاح^(١) لابنه يوماً : ما الذي تشتهي ؟ قال : رَأْسِي كَبْشٍ . فقال له أبوه :
لا يكون لك كبش رأسان ، قال : فرأس كبشين ، فضحك منه .

قيل لمخنث : مالكم تخلقون لحاكم ؟ فقال : إِنْ الْبُرْدُ^(٢) لَا تَعْرِفُ إِلَّا بِمَحْذَفِ
أُذُنَائِهَا .

دخل راكب البريد يوماً عَلَى الْمَأْمُونِ ، فقال له : متى خرجت ، أو متى قدمت ؟
فقال له : بعد غد يا أمير المؤمنين . فقال له المأمون : فَإِذَا أَتَيْتُنَا^(٣) وَبَيْنَنَا
وَبَيْنَكَ مَرَحِلَتَانِ .

مَرِضَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَعَادَهُ جَارُهُ ، وقال له : ما تجد ؟ قال : أَشْكُو
دُمْلًا أَهْلَكَنِي ، وَزَكَامًا أَضْرَنِي . قال له : فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ إِبْلِيسَ لَا يَحْسُدُ عَلَى
شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ إِلَّا عَلَى هَاتَيْنِ الْعَلَتَيْنِ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْأَجْرِ وَالْمَنْفَعَةِ . فَأَنْشَأَ
الْأَمْرَابِي يَقُولُ :

(١) ب : سلطان .

(٢) البرد : خيل البريد ، وكانت تقس أذنانها لتعرف فلسفها مهمتها .

(٣) ساقطة من ب ،

أَيْحَسَدُنِي إِبْلِيسُ دَاءَيْنِ أَصْبَحَا بِرَأْسِي وَإِسْتِي دُمْلًا وَزَ كَأَمَّا
فَلَيْتَهُمَا كَانَا بِهِ وَأَزِيدُهُ رَخَاوَةً زُبًّا لَا يَطِيقُ قِيَامًا^(١)

وقال أبو نواس :

قَدْ أَضَرَّتْ بِي^(٢) دَمَامِي لِي عَلَى الظَّهْرِ مُلِحَّةٌ
لَيْتَهَا فِي عَيْنٍ مَنْ يَحْ سَبَّهَا مَالًا وَصِحَّةً^(٣)

مسلم فزارة صاحب المظالم بالبصرة على يساره في الصلاة ، ف قيل له في ذلك ،
فقال : كان على يميني إنسان لا أكله .

وقال فزارة يومًا في مجلسه : لو غسلت يدي مائة مرة ما تنظفت ، أو أغسلها
مرتين . وفيه يقول ابن المعتز :

وَمَنْ الْمَظَالِمِ أَنْ تَكُو نَ عَلَى الْمَظَالِمِ يَا فَزَارَةَ^(٤)

تقدم رجل مع خصمه إلى قاض ، فقال : أصالح الله القاضى ، لى عند هذا الزانى
ابن الزانية كذا وكذا . فقال القاضى لخصمه : ما تقول فيما سمعت من دعوى
خصمك ؟ فقال : لا أعرف شيئًا فيما يقول ، وأنا منكرا لما يدعيه . فقال للمدعى :
هات بينة إن كان لك . فأتاه برجلين جلسا بين يديه ، فقال لهما : بم تشهدان ؟

(١) البيتان لأعرابي يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الأدباء ١/ ٢٠٦ .

(٢) ب : به .

(٣) ديوانه ١٣٤ .

(٤) البيت في بنية النهر ٢/ ٢٣٤ ، وفيها : ومن المظالم أن قدمت . الخ

قالا : نشهد أن لهذا الرجل على هذا الزاني ابن الزانية كذا وكذا لدعوى خصمه .
فقال لهما : قد قبلتكما . قم يازاني ابن الزانية فأدّ ما شهدا به . فقال المشهود عليه :
أيها القاضي ! إن كان هؤلاء استحلوا قذفي^(١) وقذف أمي بجهلهم ، فما الذي
استحللت به أنت ذلك مني ؟ فقال : والله يا ابن أخي^(٢) ما حسبت إلا أنه اسمك
واسم أمك ، لأنك لم تنكر ذلك على خصمك ولا على شاهديه .

مر قاض بواسط أو بحمص على السوق في يوم رمضان ، فرأى رجلاً قد صنع
معزفاً ، فوقف عليه وقال : أيها الفاسق ! في هذا الشهر المبارك تعمل آلات اللهو
وظروف الشرّ فقال : أصلح الله القاضي ، إنما هي مقلّاة . قال : لعن الله الشيطان !
ما حسبتها إلا معزفاً ، فهض شيئاً ثم عاد إليه ، فقال له : يا فاسق ! وكيف تكون
مقلّاة من خشب ؟ هذا محال . فقال له : يا قاضي ! إني أطلّيتها بالقار ، فلا تؤثر
فيها النار . قال : صدقت ، ثم انصرف عنه .

وُلّي رجلٌ مقلّ قضاء الأهواز ، فأبطأ عليه رزقه ، وحضر عيد الأضحى
وليس عنده ما يضحّي به ولا ما ينفق ، فشكا ذلك إلى زوجته ، فقالت له :
لا تقم ، فإن عندي ديكاً جليلاً قد سمّته ، فإذا كان عيد الأضحى ذبحناه .
فلما كان يوم الأضحى ، وأرادوا الديك للذبح ، طار على سقوف الجيران ، فطلبوه
وفشا الخبر في الجيران ، وكانوا مياسير ، فرقوا للقاضي ، ورثوا لقلّة ذات يده ،

(١) ساقطة من ب .

(٢) ب : يا أخي .

فأهدى إليه كل واحد منهم كبشاً ، فاجتمعت في داره أكبش كثيرة ، وهو في المصلى لا يعلم ، فلما صار إلى منزله ، ورأى ما فيه من الأضاحى قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت أهدى إلينا فلان وفلان — حتى سَمَّت جماعتهم — ما ترى . قال : ويحك ! احتفظى بديكنا هذا فما فدىَ إسحاق بن إبراهيم ^(١) إلا بكبش واحد ، وقد فُدىَ ديكنا بهذا العدد .

(١) كذا بالأصول ، وهو يخالف المعروف من أن الفدى هو إسماعيل بن إبراهيم وليس إسحاق .

باب المُلح وما به النفس ترتاح من مُباح المزاح

قال الأصمعيّ: وَصِلْتُ بالعلم، وكسبت بالملح.

قال عبد الرحمن بن أبي الزناد: قلت لأشعب: أنت شيخ كبير، فهل رويت شيئاً من الحديث؟ قال: بلى! حدثني عكرمة عن ابن عباس، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، أنه قال: خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة. قلت: وما هما؟ قال: نسيت أنا واحدة، ونسي عكرمة الأخرى.

كان أشعب الطامع كثير الإمام بسالم بن عبد الله بن عمر، فأتاه يوماً وهو في حائط مع أهله، فمنعه البواب من الدخول عليه من أجل عياله، وقال: إنهم يأكلون. فقال عن الباب، وتسوّر عليهم الحائط، فلمّا رآه سالم، قال: سبحان الله يا أشعب! على عيالي وبناتي تتسوّر. فقال له: ﴿لقد عَلمت مآلنا في بناتِكَ مِنْ حَقٍّ، وإنَّكَ لَتَعْلَمُ ما نُريدُ﴾^(١). فقال له: انزل يأتك من الطعام ما تريد.

أخذ قومٌ في قطع، فَقَدَّمُوا لضرب أعناقهم، فقام منهم واحدٌ، وقال: الله الله فيّ، فوالله ما كنت في شيء مما كانوا فيه، وإنما كنت أشرب معهم وأغنيّ لهم، فقالوا: هاتِ فغنّ لنا، فارتجت عليه الأشعار إلا قول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسلّ عن قرينه فكلّ قرينٍ بالمقارنِ مُقتدي^(٢)

(١) سورة هود، الآية ٧٩.

(٢) محاضرات الأدباء ٣/٢، والبيهق لعدى بن زيد العبّادى كما فى مجموعة المانى ١٤، الشعر والشعراء

١٣٢ محاسنة البحرى ٢٣٦، فصل المقال ١٤٣.

فَقَالُوا^(١) : صدق . اضربوا عنقه .

كان بعضُ أمراء خُرَّاسان يتشاءم بالحوول ، ففتى رأى أحول ضربه بالسَّياط ، وربما ضرب بعضهم خمسمائة سوط ، وَحَدَّثَ أَنَّهُ رَكِبَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ، فَرَأَى أَحُولَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ ، وَكَانَ الْأَحُولُ جَلْدًا ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ ضَرْبِهِ ، قَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! أَصْلَحَكَ اللَّهُ ، لِمَ ضَرَبْتَنِي ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَتَشَاءَمُ بِالْحُُولِ . قَالَ : فَأَيْنَا أَشَدُّ شَوْمًا عَلَى صَاحِبِهِ ، أَنْتَ رَأَيْتَنِي وَلَمْ يَصْبِكَ إِلَّا خَيْرٌ ، وَأَنَا رَأَيْتُكَ فَضَرَبْتَنِي خَمْسِمِائَةَ سَوَاطٍ ، فَأَنْتَ إِذَا أَشَدَّ شَوْمًا . فَاسْتَحْيَا مِنْهُ وَلَمْ يَضْرِبْ بَعْدَهُ أَحَدًا .

كَانَتْ فِي سَعِيدِ^(٢) بْنِ فَرُوحِ بْنِ الْقَطَّانِ ، وَالِدِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْفَقِيهِ ، غَفْلَةٌ شَدِيدَةٌ مَشْهُورَةٌ ، فَخَرَجَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَدْ تَهَيَّأَ لِلصَّلَاةِ ، فَلَقِيَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ كَثِيرَ الْمَزَاحِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَخْرَوَا الْجُمُعَةَ إِلَى غَدٍ ، فَقَالَ : حَسَنٌ . وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

كَانَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَّارِ^(٣) الشَّاعِرِ قَدْ خَفَّ عَلَى عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْرِ^(٤) حَتَّى زَامَلَهُ مَرَّةً فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ ، فَقَالَ لَيْلَةً فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ لِعِغْلَامِهِ : انْظُرْ هَلْ اعْتَدَلَ الْمَحْمِلُ ؟

(١) ب : فقال .

(٢) ساقطة من ب .

(٣) ب : بشار ، وهو تحريف ، انظر ترجمته في الأغاني ٤/٤٠٨ — ٤٢٩ .

(٤) ساقط من ب .

فقال له الغلام : ماهو إلا معتدل ، فقال إسماعيل : والله ما اعتدل الحق والباطل قبل هذه الليلة ، فضحك عروة .

قال الأصمعي : قدم تاجر من أهل الكوفة المدينة بأخمة فباعها كلها إلا السود منها ، فلم تنفق ، وكان صديقاً للدارمي الشاعر ، فشكا ذلك إليه ، وقد كان الدارمي تنسك ، وترك الشعر والغناء . فقال له : لاتهم بذلك فإنني سأنفقها لك حتى تبيع جميعها إن شاء الله تعالى ، ثم قال :

قل للمليحة في الحمار^(١) الأسود ماذا صنعت بزاهد متعبد
^(٢) قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى عرضت له بياب المسجد
 ردّي عليه صيامه وصلاته لا تقتليه بحق دين محمد^(٣)

فشاع قول الدارمي هذا في الناس : وقالوا : رجع الدارمي عن نسكه ، وعاد إلى فتسكه^(٤) ، فلم يبق في المدينة امرأة ظريفة إلا ابتاعت خماراً أسود حتى نفذ ما كان منها مع العراقي ، فلما علم الدارمي ذلك ، رجع إلى نسكه ولزم المسجد . والدارمي هذا أصله مكّي ، ثم انتقل إلى المدينة زمن عمر بن عبد العزيز ، وعاش إلى خلافة بني العباس ، وانقطع إلى عبد الصمد بن علي وكان شاعراً مطبوعاً ، ترك ذلك وتنسك^(٥) ، وهو القائل :

(١) ١ : القاع .

(٢) ساقط من ب ، وانظر المستطرف ٢/٢٣ ، وفيات الأعيان ٣/٣٠٣ ، الأغاني ٣/٤٨ .

(٣) الفتنك : المجون .

(٤) انظر في ترجمته الأغاني ٣/٤٥ — ٥٠ .

ولما رَأَيْتُكَ أُولَيْتَنِي أَلْ قَبِيحَ وَبَاعَدْتَ عَنِّي الْجَمِيلَا
تَرَكْتُ وَصَالَكَ فِي جَانِبٍ وَصَادَفْتُ فِي النَّاسِ خِلَاً بَدِيلًا^(١)

طُوَيْسُ الَّذِي تَضْرَبُ بِهِ الْعَرَبُ الْمَثَلُ فِي الشُّؤْمِ ، هُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ
مَوْلَى لِبْنِي مَخْزُومٍ ، وَاسْمُهُ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْخُلْنَ وَالْمَجُورَ
بِالْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مَغْنِيَا يَضْرِبُ الدَّفَّ ، وَسُئِلَ عَنْ مَوْلَاهُ ، فَقَالَ : وَلَدْتُ يَوْمَ مَاتَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفَطَمْتُ يَوْمَ مَاتَ أَبُو بَكْرٍ ، وَخُتِنْتُ يَوْمَ قُتِلَ عُمَرُ ، وَتَزَوَّجْتُ
يَوْمَ قُتِلَ عُثْمَانُ ، وَوُلِدْتُ يَوْمَ قُتِلَ عَلِيٌّ^(٢) بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٣) فَيَقُولُونَ فِي أَمْثَالِهِمْ
السَّائِرَةِ . أَشَامُ مِنْ طُوَيْسٍ^(٤) .

كَانَ الشَّعْبِيُّ يَوْمًا جَالِسًا فِي مَجْلِسِهِ ، وَالنَّاسُ يَتَنَاظَرُونَ فِي الْفَقْهِ عِنْدَهُ ، وَمَعَهُ
شَيْخٌ يَطِيلُ السَّكُوتَ ، فَقِيلَ لَهُ يَوْمًا^(٥) : لَوْ سَأَلْتَ عَنْ مَسْأَلَةٍ تَنْتَفِعُ بِهَا ،
فَقَالَ : إِنِّي لِأَجِدُ فِي قَفَايَ حِكْمَةً ، أَفْتَرَى لِي أَنْ أُحْتَجِمَ ؟ فَقَالَ الشَّعْبِيُّ : الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي صَرَّنَا مِنَ الْفَقْهِ إِلَى الْحُجَامَةِ .

مَرَّ بِالشَّعْبِيِّ يَوْمًا رَجُلٌ يَقُودُ حِمَارًا ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : وَرْدَانُ . قَالَ :
وَمَا اسْمُ حِمَارِكَ ؟ قَالَ : عِمْرَانُ . قَالَ الشَّعْبِيُّ : وَاخْلُفَاهُ^(٦) ! !

مَرَّ رَجُلٌ مَعَهُ كَلْبٌ بِابْنِ أَبِي عَتِيقٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : وَثَّابُ .

(١) الْبَيْتَانِ فِي الْأَغَانِي ٤٥/٣ . (٢) سَاقَطَ مِنْ ب .

(٣) انْظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي الْأَغَانِي ٢٧/٣ وَمَا بَعْدَهَا .

(٤) سَاقَطَةٌ مِنْ ب .

(٥) يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ خِلَافَ الَّذِي يَجِبُ ، وَلَوْ تَبَدَّلَتْ الْأَسْمَاءُ لَانْتَفَتِ الْغَرَابَةُ .

قال : وما اسم كلبك ؟ قال : عمرو . فقال ابن أبي عتيق : واخلافاه ،
وأنشد :

وَلَوْ هَيَّأَ لَهُ اللَّهُ مِنْ التَّوْفِيقِ أَسْبَابًا
لَسَمَّى نَفْسَهُ عَمْرًا وَسَمَّى الْكَلْبَ وَثَّابًا^(١)

أنشد رجل زبَّان^(٢) السَّوَّاق ، قول إسماعيل بن يسار :

مَا ضَرَّ أَهْلَكَ لَوْ تَطَوَّفَ عَاشِقٌ بِفَنَاءِ بَيْتِكَ أَوْ أَلَمٍ فَسَلَّمَ^(٣)

فبكى زبَّان^(٢) ، وقال : لاشيء والله ، إلا الضَّجَرُ وسوء الخلق وضيق الصدر ،
وجعل يبكي ويمسح عينيه .

قيل لمدني : أما تتقى الله ، تؤذى جيرانك ؟ قال : فمن أودى إذا^(٤) ؟
أودى من لا أعرفه !

كان الفرزدق جالسًا في حلقة الحسن رحمه الله ، فقال رجل : يا أبا سعيد !
ما تقول في الرجل يحكي عن غيره ، يقول : قال فلان طَلقتُ امرأتِي ، وأعتقت
عبدِي ، وفعلت وفعلت ولا نية له في ذلك . فقال الفرزدق : يا أبا سعيد : قد قلت

(١) محاضرات الأدباء ٢/ ٢٩٥ .

(٢) ١ : ريان ، وانظر القصة والاختلاف في هذا الاسم أيضاً في الأغاني ٤/ ٤١٥ .

(٣) العقد الفريد ٣/ ٦٢ ، الأغاني ٤/ ٤١٤ .

(٤) ساقط من ١ .

أنا في ذلك . فقال : وما قلت يا أبافراس ؟ فليس كلُّ قول يؤخذ به .
قال : قلت :

ولست بماخوذ بشيءٍ تقوله إذا لم تعمّد^(١) عاقدات العزائم^(٢)

قال الحسن : صدق أبو فراس ، القول ما قال .

اعترض الإسكندر جيشه يوماً ، فرأى فيهم رجلاً أعرج ، فأمر بإسقاطه ،
فضحك الأعرج . فقال له الإسكندر : مم ضحكك ؟ وقد أسقطتك . فقال : تمجيباً
منك لحبك آلة الهروب ، وكراحتك آلة الوقوف ، لأن ممي آلة الوقوف في الحرب
وتسقطني ، فأمر بإثباته في خاصته ،^(٣) وأسنى رزقه^(٤) .

سمع ابن أبي عتيق يوماً نصيباً الشاعر ، وكان أسود ، ينشد لنفسه :

وددتُ ولم أخلق من الطير أنني أعارُ جناحي طائرٍ فأطير^(٥)

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي اقل : غاقٍ تطرُ . شبهه بالفراب لشدة
سواده .

هاج بأبي علقمة الأعرابي الدَّم ، فأتوه بحجَّام ، قال له : يا حجَّام ! اشدّد قصبَةَ

(١) ١ : محاضر .

(٢) شرح ديوان الفرزدق ٨٥١ ، وفيه : بلغو بدل بئى ، معاضرات الأدباء ١١٢/١ ، ١٣٠ .

(٣) ساقط من ١ .

(٤) انظر البيت والخبر في الأغاني ٣٦٤/١ ، مع اختلاف في الرواية .

المِلْزَمُ^(١)، وأَرْهَفَ ظُبَّةً^(٢) المَشْرَطَ، وأسْرَعَ الوَضْعَ، وعَجَلَ النَّزْعَ، وليَكُنْ شَرْطُكَ وَخَزَاً، وَمَصَّكَ نَهْزَاً. فقام الحجام ناهضاً، وقال: انتظر حتى يَأْتِيكَ ابنُ القَرْيَةِ فيحْجِمَكَ.

قال الهيثمُ بنُ عديّ: كنت يوماً بكناسة الكوفة^(٣) إذ أنا برجل قد وقف على نخّاس الدّواب، فقال له: اطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر، ولا بالكبير المشتهر، إن خلا الطريقُ تدفق، وإن كثّر الزحام ترفق، لا يصادم في السّواري، ولا يدخل تحت البواري، إن أقلتُ علفه صبر، وإن أكرتُ له شكر، وإن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام. فقال له النخّاس: اصبر يا عبد الله، فإذا مُسَخَّ القاضى حماراً، أصبت حاجتك إن شاء الله تعالى.

خطب أبو القُطوف إلى قومٍ وَلِيَّةٌ لَهُمْ، فأجابوه، وقالوا: لَهَا مِنَ الضِّيَاعِ وَالْمَالِ كَذَا وَكَذَا، فَمَا مَالُكَ أَنْتَ؟ قال: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنَّ مَالَهَا يَكْفِينِي وَإِيَّاهَا مَا عَشْنَا، فَمَا سَأَلَكُمْ عَنْ مَالِي ۚ

وقال عبدُ الملك بنُ عبد الحميد الخارثي:

يَا أُخْتَ كِتْدَةَ حَافِي شَرَبَ عُثْمَانِ وَأَزْمَعِي لَبَنِي عَوْفٍ^(٤) بِهِجْرَانِ

(١) ب: اللدم، والمِلْزَمُ كَنَبْر: خشبتان تشد أوساطهما بحديدة.

(٢) ب: طيه، وظُبَّة المَشْرَط: خده.

(٣) الكَنَاسَة: مجلة معروفة بالكوفة، انظر معجم البلدان لياقوت ٧٢/٢.

(٤) ب: بني أود.

يا أخت كندة سيري سير ساخطة
يا أخت كندة ليس الرزق في يده
الماء في دار عثمان له ثمن
عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن
والناس أكيس من أن يمدحوا أحدا
اغسل يديك بأشنان وأنقيهما
واسلخ على كل عثمان مررت به
كي تتوى متوى^(١) غضبي وغضبان
الرزق في يد من لو شاء أغنان
والخبر فيها له شأن من الشأن
لكنه يشتي حدا بمجان^(٢)
حتى يروا عنده آثار إحسان
غسل الجنبه من معروف عثمان
إلا الخليفة عثمان بن عفان^(٣)

وقال الليث الحجام :

حلقت بموسى الهجر ناصية الصدد
قصص بمقراض القلا حجة الوفا
وشعر سبال الوصل صرت منتفا^(٤)
وما زلت مصاصا بغير إملاء
وأجريت مشط الصدد في طرة الود
فجبهة رأس الود مكشوفة الجلد
ظلوما^(٥) عنقاش القطيعة والصد
بحجة الخلف القبيح دم الوعد^(٦)

(١) : يستوى سفى .

(٢) ب : لمان .

(٣) الأبيات الرابع والخامس والسادس فى وفات الأعيان ٦٧/٦ ، والسادس والسابع فى نهاية الأرب

١٠٨/٢ ، محاضرات الأدباء ١٨٤/١ ، المستطرف ٩٨/١ ، عيون الأخبار ١٥٩/٣ .

(٤) ب : منقبا .

(٥) ١ : ظلوبا .

(٦) محاضرات الأدباء ٥٦/٢ .

وذكروا أن إبليس قال : ماذا ألقى من أصحاب البلغم ؟ ينسون ويلعنونني .

قال حُسَيْنُ المعروف بالجهل الشاعر : كان أحمد بن المدبر بدمشق يقصده الشعراء

فمن مدحه بشعر جيد أثابه ، ومن مدحه بشعر رديء وكل به من يحمله إلى الجامع

فلا يفارقه حتى يصلي مائة ركعة . قال فدخاتُ عليه ، فقلت :

أَرَدْنَا فِي أَبِي حَسَنِ مَدِيحًا كَمَا بِالْمَدْحِ تُشَجَّعُ الْوَلَاةُ
فَقَالُوا يَقْبَلُ الْمِدْحَاتِ لَكِنْ جَوَائِزُهُ عَلَيْهَا الصَّلَاةُ
فَقُلْتُ لَهُمْ : وَمَا يُغْنِي عِيَالِي مَسَلَاتِي إِنَّمَا الشَّانُ الزَّكَاةُ
لِيَأْمُرَ لِي بِكُسْرِ الصَّادِ مِنْهَا فَتَضَعِي لِي الصَّلَاةُ هِيَ الصَّلَاتُ^(١)

قال ، فقال لي : أخذت هذا من قول أبي تمام :

هِنَّ الْعَمَامُ فَإِنْ كَسَرْتَ عِيَاةً مِنْ حَائِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ حِمَامُ^(٢)

قال الرياشي : خرج الناسُ بالبصرة ينظرون هلالَ رمضان ، فرآه رجلٌ منهم ،

ولم يزل يوميُّ إليه حتَّى رآه غيرُه وعاینوه ، فلما كان هلالَ الفِطْرِ ، جاء الجارُ إلى

ذلك الرجل ، فدقَّ عليه البابَ ، وقال له : تعال أخرجنا مما أدخلتنا فيه .

(١) الأبيات للحسين بن عبد السلام المصري المعروف بالجهل والمتوفى سنة ٢٥٨ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٣١/١٠ ، ١٣٢ زهر الآداب ١٨١/٢ .
(٢) ديوانه ١٤٠ .

باب المزاح إباحةً وكراهة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » .

قال ابن عباس : المزاح بما يحسن مباح ، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقل إلا حقاً .

قال غالب القطان : أتيت محمد بن سيرين ، وكان مزاحاً فسألته عن هشام ابن حسان ، فقال لي : توفي البارحة ، أما شعرت ؟ فقلت ^(١) إنا لله وإنا إليه راجعون ! فضحك ^(٢) وقال : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ^(٣) .

جاءت امرأة إلى الحسن ، فقالت : إني نذرت أن أهدى البصرة إلى مكة ، فقال : ويحك ! إن أهل البصرة لا يدعونك تهدي بصرتهم ، ولو تركوك ما قدرت ، كفى عن عيذك .

وفي الحديث المأثور : « أن عيسى عليه السلام كان يبتكي ويضحك ، وكان

(١) ساقط من ب .

(٢) سورة الآية الزمر ٤٢ .

يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْكِي وَلَا يَضْحَكُ ، فَكَانَ خَيْرُهُمَا الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ » .

قال خليفة بن زيد : كان خليفة الأقطع مزاحاً ، وكان يقف على أيوب السخثياني فيمازحه . قال حماد : وجاء خليفة الأقطع يوماً إلى أيوب ، وأنا غلام بين يديه ، فقال له : يا أبا بكر متى ^(١) استحدثت هذا ؟ ! يعني متى طلب هذا الحديث .

وروى هارون بن موسى الأعور عن سالم ^(٢) العلوي ، قال : قال لي الحسن : خل بين الناس وبين هلالهم حتى يراه معك غيرك .

وكان شعبة يقول : سالم العلوي يرى الهلال قبل الناس بليتين .

قال الخليل بن أحمد : الناس في سجن ما لم يُمازحوا .

مزح الشعبي يوماً ، ف قيل له : يا أبا عمرو أفتمزح ؟ ! قال : إن لم يكن هذا متناً من الغم ، فداء ^(٣) داخل ، وهواء ^(٤) خارج .

كان محمد بن سيرين يداعب ويضحك حتى يسيل لعابه ، فإذا أردته على شيء من دينه كانت الثريّا أقرب إليك من ذلك .

أنت ابن سيرين امرأة الفرزدق شاكية ، فلما خرجت تمثّل :

(١) ساقط من ب ، واستحدثت هذا : إشارة إلى الغلام .

(٢) ١ : سلم ، وكرر الاسم بعد ذلك صحيحاً .

(٣) ب : فرا .

(٤) ب : فوا .

لقد أصبحت عرسُ الفرزدقِ ناشِراً ولو رَضِيتُ زُبَّ استيهِ لاستَقَرَّتْ^(١)

قيل لابن سيرين : إن قوماً يقولون من الشعر ما يوجب الوضوء ، فمجب من جهلهم ، وكان في المسجد ، فتمثل :

نبتتُ أن فتاةً كنتُ أخطبُها عُرُقوبُها مثلُ شهرِ الصومِ في الطُولِ^(٢)

ثم قام فاستقبل القبلة وكبر مفتتحاً لصلاته .

وقال شعبة : أقيمت الصلاة فأنشدنا عمرو بن مَرْة بيت شعر غزِل ، ثم افتتح الصلاة ، وكان إمامهم .

وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المَزاح لما فيه من ذميمة العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء .

كان يقال : لكل شيء بدء ، وبدء العداوة المَزاح .

كان يقال : لو كان المَزاح فخلاً ، ما أُلقي^(٣) إلا الشر

قال سعيد بن العاص : لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنيا فيجتري عليك .

قال ميمون بن مهران : إذا كان المزاح أمام الكلام فأخره الشتم واللطم .

(١) البيت لجرير ، ديوانه ٨٨ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، وفيهما : رشح استيه ، عيون الأخبار ١/٣١٧

وفيه : رمح .

(٢) المستطرف ٢/٢٦٥ ، زهر الآداب ١/١٤٩ ، عيون الأخبار ١/٣١٧ .

(٣) ١ : ما أُلقي .

قال جعفر بن محمد : إياكم والمُزاح ، فإنه يذهب بماء الوجه .

كان خالد بن صفوان يكره المُزاح ، ويقول : يسقط أحدهم أخاه بأحرّ من
الخرّدل ويضحكه بأصلب من الجندل^(١) ، ويفرغ عليه أشد من غلى الرجل ،
ويقول : مازحته .

قال إبراهيم النخعي : لا يكون المزاح إلا في سخف أو بطر .

قال أبو هفان :

مَازِحٌ صَدِيقُكَ^(٢) مَا أَحَبَّ مُزَاحَاً وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَزَاحِ جَمَاحَاً^(٣)
فَلَرُبَّمَا مَزَحَ الصَّدِيقُ بِمِزْحَةٍ كَانَتْ لِبَابِ^(٤) عَدَاوَةٍ مُفْتَاحَاً^(٥)

وقال ابن وكيع :

لَا تَمَزَحَنَّ فَإِنْ مَزَحْتَ فَلَا يَكُنْ مَزْحًا تُضَافُ بِهِ إِلَى سُوءِ الْأَدَبِ
وَاحْذَرِ مُمَازَحَةً تَمُودُ عَدَاوَةً إِنَّ الْمَزَاحَ عَلَى مُقَدِّمَةِ الْغَضَبِ^(٦)

ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري :

لِي صَاحِبُ لَيْسَ يَخْلُو لِسَانُهُ عَنْ جِرَاحِ

(٢) ١ : أخاك .

(٤) ١ : لبد .

(١) ساقط من ب .

(٣) ١ : مزاحا .

(٥) نهاية الأرب ٧٤/٤ ، فصل المقالة ١٠٠ .

(٦) نسب البيتان في معجم الأدباء ٢٨٣/١٩ إلى هبة الله البغدادي .

يُجِيدُ تَمْزِيقَ عِرْضِي عَلَى سَبِيلِ الْمَزَاحِ^(١)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إياكم وكثرة الضحك ، فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » .

قال مهر بن الخطاب رضى الله عنه : من كثر ضحكك استُخِفَّ به وذهب بهاؤه .

وقال غيره من الحكماء : إياك والمشي في غير أرب ، والضحك من غير سَبَب .

قال قتيبة بن مسلم لبنيه : لاتمازحوا فَيُسْتَخَفَّ بكم ، ولا تدخلوا الأسواق فترقَّ أخلاقكم ، ولا تبخلوا فيزدريكم^(٢) أ كفاؤكم .

قال أبو موسى بن الحسن بن عبد الصمد بن علي بن المعتصم :

الْكِبَرُ ذُلٌّ وَالتَّوَاضُّعُ رِفْعَةٌ وَالْمَزْحُ وَالضَّحِكُ الْكَثِيرُ سُقُوطُ
وَالْحَرَصُ ذُلٌّ وَالْقَنَاءَةُ عِزَّةٌ وَالْيَأْسُ مِنْ صُنْعِ الْإِلَهِ قُنُوطُ

وقال آخر :

فإِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمُزَاحَ فَإِنَّهُ يُجَرِّى عَلَيْكَ الطُّفْلَ وَالْدَّيْسَ النَّذْلَا

(١) محاضرات الأدباء ١/ ١٣٧ .

(٢) ١ : فيزدري بكم .

(١) وَيَذْهَبُ مَاءُ الْوَجْهِ بِمَدِّ بَهَائِهِ وَيُورِثُهُ مِنْ بَعْدِ عِزَّتِهِ ذُلًّا (١)

وقال آخر :

مَا أَقْبَحَ الْكَذِبَ الْمَذْمُومَ صَاحِبُهُ وَأَحْسَنَ الصَّدْقَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وقال آخر :

لِلْجِدِّ مَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ فَالْتَمِسْ
لَا يَلْبِثُ الْهَزْلُ أَنْ يَجْنِيَ لِصَاحِبِهِ
بِالْجِدِّ حَظَّكَ لَا بِالْهَزْلِ وَاللَّعِبِ
ذِمًّا ، وَيَذْهَبُ عَنْهُ بِهَجَّةِ الْأَدَبِ
لَا خَيْرَ فِي الْهَزْلِ فَاتْرُكْهُ لِقَائِلِهِ
وَاهْرُبْ بِعِرْضِكَ مِنْهُمْ أَوْشَكَ الْهَرَبِ

وقال محمود الوراق :

تَلَقَى الْفَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا
فِي لَحْنٍ مِنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
أَلْهَيْتَنَا وَطَفِقتَ تَضْحَكُ لَاهِيًا
هِيَاتَ نَارُكَ فِي الْحُشَا تَتَسَمَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَمِثْلَ جَهْلِكَ غَالِبُ
عَمَّا بِهِ وَفُؤَادُهُ يَتَفَطَّرُ
أَنْ الْمَزَاحُ هُوَ السَّبَابُ الْأَكْبَرُ (٢)

فهؤلاء كرهوا المزاح وذموه ، ولم يستثنوا منه قليلا من كثير ، وأما منصور

الفقيه فنهى عن الإكثار منه ، فقال :

لَا تُكْثِرَنَّ مِنَ الْفُكَا هِيَ فِي حَدِيثِكَ وَالْدُّعَابَةِ

(١) ساقط من ب ، ويروي البيهقي بروايات أخرى ، انظر حياصة البحري ٤٠١ ، معاضرات الأدباء ١٣٦/١ ، المستطرف ٢٩٣/٢ ، نهاية الأرب ٧٤/٤ .
(٢) المقدم الفريد ٣٢/٦ .

وَدَعِ الْغَرِيبَ مِنَ الْكَلَا مِ الْأَهْلِ عِنْدَ الْخُطَابَةِ
وَإِذَا أَصَبْتَ فَكُلُّ مَا أَغْفَلْتَهُ دُونَ الْإِصَابَةِ

وقد أكثر أهل الأدب في المزاح من النظم ، واختلق ابن وكيع أكثر ذلك ،
ورأيت الاختصار فيه على الاختصار أولى من الإكثار .

كان المأمونُ يعجبه قول القائل :
أَخُو الْجِدِّ إِنْ لَأَقَاكَ أَرْضَاكَ جِدُّهُ وَذُو بَاطِلٍ إِنْ شِئْتَ أَلْهَاكَ بَاطِلُهُ^(١)

بَابُ مَدْحِ الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ ، وَذَمِّ الْكَذِبِ وَالْخِيَانَةِ

قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : « المؤمنُ إذا حَدَّثَ صَدَقَ ، وإذا وعد أنجز ، وإذا أُوْتِمِنَ وفى ، والمنافقُ إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أخلف ، وإذا أُوْتِمِنَ خان . »

وقال صَلَّى الله عليه وسلم : « لا تزالُ أُمَّتِي بخير ما اتَّخذوا الأمانةَ مَنَمًا ، والصدقَ مَفْرَمًا . »

قالت عائشة رضى الله عنها ، قلت : يا رسول الله ! بم يعرف المؤمن ؟ قال : « بوقاره ولين كلامه ، وصدق حديثه . »

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَدْ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ . »
وقال سعدٌ : كُلُّ الْخِصَالِ يُطَبِّعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ ، إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ .

وقال عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : من كانت له عند الناسِ ثلاثٌ وجبت له عليهم ثلاث : من إذا حَدَّثَهم صدقهم ، وإذا ائْتَمَنَوه لم يُخْنِهم ، وإذا وَعَدَهم وفى لهم ، وجب له عليهم أن تحبه قلوبُهم ، وتنطقَ بالثناء عليه ألسنتهم ، وتظهرَ له معوتهم .

قيل للقيمان الحسكيم : أَلَسْتَ عَبْدًا بَنَى فَلَانٌ ؟ قال : بلى . قيل : فما بلغ بك

ما ترى ؟ قال : تقوى الله ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنيني .

قال نافع : طاف ابن عمر سبعا ، وصلى ركعتين ، فقال له رجل من قريش : ما أسرع ما طفت وصليت يا أبا عبد الرحمن وخرجت ! فقال ابن عمر : أتم أكثر منا طوافا وصياما ، ونحن خير منكم ، نحن نلتزم صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وإنجاز الوعد .

قال محمود الوراق :

اصْدُقْ حَدِيثَكَ إِنَّ فِي الصِّدْقِ الْخَلَاصَ مِنَ الدَّنَسِ
وَدَعْ الْكَذُوبَ لِشَأْنِهِ خَيْرٌ مِنَ الْكَذِبِ ، الْخَرَسُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

الصِّدْقُ أَوْلَى مَابِهِ دَانَ امْرُؤٌ فَاجْعَلْهُ دِينًا
وَدَعْ النِّفَاقَ فَمَا رَأَيْتُ مُنَافِقًا إِلَّا أَهِينًا

وله أيضا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا فَالشُّكْرُ أَيْسَرُ حَقَّةً
أَمْسَى الصَّدُوقُ^(٢) كَثِيرًا مَدُوٌّ مِنْ أَجْلِ صِدْقِهِ

(١) هذه الصفحة وما قبلها ساقطة من ب .

(٢) ب : الصديق .

وقال أبو العتاهية :

الحمد لله كلُّ ذُو مُكَاذِبَةٍ أَمْسَى التَّصَادُقُ لَا يُسْقَى بِهِ الْمَاءُ (١)

قال الحسن البصري : لا تستقيم أمانة رجل حتى يستقيم لسانه ، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه .

كان يقال : كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة .

قال الشاعر :

إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا اسْتَعَانَ بِخَائِنٍ كَانَ الْأَمِيرُ شَرِيكَهُ فِي الْمَأْثَمِ

قال الفريابي (٢) : كنت عند الأوزاعي إذ جاءه رجل فقال : يا أبا عمرو ! هذا كتاب صديقك فلان من بلد كذا ، وهو يقرأ عليك السلام . فقال له : متى قدمت ؟ قال : أمس . قال : ضيعت أمانتك لا كثر الله في المسلمين أمثالك .

قال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ حَمَلْتَ الْخُثُونَ أَمَانَةً فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرًّا مُسْنَدٍ (٣)

(١) ديوانه ٩ .

(٢) ب : الفريابي ، وهو تحريف ، فهو أبو عبدالله محمد بن يوسف الفريابي ، صاحب النووى والأوزاعي ، انظر مشبه النسبه للذهبي ٥١٤/٢ .

(٣) معاضرات الأدباء ١٤١/١ ، المستطرف ٢٧/١ .

وقال محمود الوراق :

تَصْنَعُ كَيْ يُقَالَ لَهُ أَمِينٌ وما معني التَّصْنَعُ لِلْأَمَانَةِ^(١)
ولم يُرِدِ الْإِلَهَ بِهِ وَلَكِنْ أَرَادَ بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الْخِيَانَةِ^(٢)

وقال آخر :

هُوَ الذُّنْبُ أَوْ لِلذُّنْبِ أَوْفَى أَمَانَةٌ وما مِنْهُمَا إِلَّا أَذْلُ خُثُونُ

استراح رجل إلى جليس له في السلطان ، فرفع ذلك عليه ، فلما أوقف السلطان ذلك القائل على قوله ، أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه ، فقال : بل فلان سمع ذلك منك ، فهل ترضى به ؟ قال : نعم . فكشف الستر عن الرجل ، فقال : بلى . أنت قلت ذلك لي ، فسكت المرفوع عليه ساعة ، ثم أنشأ يقول :

أَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا ائْتَمَنْتَكَ خَالِيَا نَحْنُ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمِ
فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي قُلْتَ يَبْتَنَّا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ^(٣)

أنشدني علي بن إسماعيل لنفسه :

لَا يُرَى إِلَّا لِلدُّنْيَا طَالِبًا فِيهَا دِيَانَةً

(١) ب : والأمانة .

(٢) محاضرات الأدباء ١/١٦٩ ، العقد الفريد ٢/٢٢٦ ، وفيه . تصوف كي يقال ، وما يعنى

التصوف الخ .

(٣) البيتان لعبد الله بن همام السلوى ، انظرهما والقصة في حماسة أبي تمام ٢/٩ ، وانظر مجموعة المعاني ٧١ ،

محاضرات الأدباء ١/١٩٠ .

وَإِذَا قِيلَ أَمِينٌ قَدْ تَحَلَّى بِالْأَمَانَةِ
وَقَعَ التَّحْصِيلُ مِنْهُ بَيْنَ غَدْرٍ^(١) وَخِيَانَةٍ

وقال آخر :

لَا يَخُونُ الْأَمِينُ شَيْئًا وَلَكِنْ رُبَّمَا تَحْسَبُ الْخَوُونَ أَمِينًا

وقال آخر :

أَلَا رَبُّ مَنْ تَعْتَدُهُ لَكَ نَاصِحًا وَمُؤْتَمِنًا بِالْغَيْبِ غَيْرُ أَمِينٍ^(٢)

وقال أبو يعقوب الخرمي :

يَا لِلرِّجَالِ لِقَوْمٍ قَدْ بَلَوْتُهُمْ أَرَى جِوَارَهُمْ إِحْدَى الْبَلِيَّاتِ
مَاذَا تَظُنُّ بِقَوْمٍ خَيْرُ كَسْبِهِمْ مُصَرَّحُ الشُّحْتِ سَمَوُهُ الْأَمَانَاتِ

وفي الحديث المرفوع : « الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ،
والكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار » .

يقال : صدق وبر ، وكذب وفجر .

قال بعض الحكماء : من عُرِفَ بالصدق جاز كذبه ، ومن عُرِفَ بالكذب لم

يُجُزْ صدقه .

(١) ١ : عذر ،

(٢) لسب البيت في حماسة البحتري ٢٧٨ إلى عبد الله بن همام السلولى ، وانظره في محاضرات الأدباء

٦١/١ ، وفيات الأعيان ١٩٦/٦ ، وفيه : أَلَا رَبُّ مَنْ تَفْتَشُهُ لَكَ نَاصِحٌ وَمُؤْتَمِنٌ ... الخ

وقال محمود الوراق :

إذا عُرِفَ الكَذَابُ بالكِذْبِ لم يكن لدى النَّاسِ ذَا صِدْقٍ وإن كان صادقاً
ومن آفةِ الكَذَابِ نسيانُ كِذْبِهِ وتلقاهُ ذا حِفْظٍ إذا كان حاذقاً

وقال آخر:

لا يكذبُ المرءُ إلا من مَهَاتِهِ أو عادةِ السُّوءِ أو من قِلَّةِ الأدبِ^(١)

قال بعضهم : ما أراني أوجر في ترك الكذب . قيل له : ولم ؟ قال : لأنني أدعه

اتقاء^(٢) .

قالوا : الصدق عز ، والكذب خضوع^(٣) .

قال الحسن : خرج عندنا رجل بالبصرة ، فقال : لا كذبن كذبة يتحدث بها

الوليد ، قال الرجل : فما رجعت إلى منزلي حتى ظننت أنها حق لكثرة ما رأيت

الناس يتحدثون بها .

وقال كعب بن زهير :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
مقالةُ السُّوءِ إلى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْجَدِرِ سَائِلِ^(٤)

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٤٨ ، المستطرف ١٠/٢ ، المختار من شعر بشار ٢٢٨ ، من غير نسبة .

(٢) ١ : إلقاء .

(٣) ١ : الصدق عدو الكذب .

(٤) سبق البيتان في ص ٤٠١ وبالإضافة إلى المراجع المذكورة فيها ، انظرهما مع أبيات أخرى في باب

الأدب ٣٦٠ ، البيان ٣٢٩/٢ ، وقد نسب بعض هذا الشعر في المنتخل ١٠٩ إلى الحكم بن قنبر .

قال لقمان لابنه : يا بني ! احذر الكذب فإنه شئ كلحم المصفور ، من أكل شيئاً منه لم يصبر عنه .

عوتب بعض الأعراب على الكذب ، فقال للذي عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عنه .

وقال الأصمعي : قيل لكذاب : ما يملك على الكذب ؟ فقال : أما إنك لو تفرغرت به مرة ما نسيت حلاوته .

قيل لكذاب : هل صدقت قط ؟ قال : أكره أن أقول لا فأصدق .
قال جميل العذري :

لما الله من لا ينفع الودُّ عنده ومن حبسه إن مدَّ غير متين
ومن هو ذو لو نين ليس بدائم على خلقٍ خوان كل أمين^(١)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أد الأمانة لمن ائتمك ، ولا تحن من خانك» .

بابُ الحقِّ والباطل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحقُّ ثَقِيلٌ ، فمن قَصَرَ عنه عجز ، ومن جاوزَه ظلم ، ومن انتهى إليه فقد اكتفى » . ويروى هذا لمجاشيع بن نهشل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبطل حق امرئ وإن قدَّم » .

وقال عليه السلام : « رحم الله عمرَ بن الخطَّاب ، تركَه الحقُّ ليس له صديق » .

لما استخلف أبو بكر عمرَ ، قال لمعيقب الدؤسي^(١) : ما يقول الناس في استخلاف عمر ؟ قال : كَرِهَهُ قومٌ ، ورضيه آخرون . قال : فالذين كرهوه أكثر أم الذين رَضَوْه ؟ قال : بل الذين كرهوه . قال : إن الحقَّ يبدو كريهاً وله تكونُ العاقبة ، والعاقبةُ للتقوى .

قالوا : من قصَدَ إلى الحقِّ اتَّسعت له المذاهبُ حُجَّةً ، ومن تعداه ضاق به أمرُه ، وما هلك امرؤُ عرف قدره .

قالوا : الحكمةُ تدعو إلى الحقِّ ، والجهلُ يدعو إلى السَّفه ، كما أنَّ الحجةَ تدعو إلى المذهبِ الصَّحيح ، والشُّبهةُ تدعو إلى المذهبِ الفاسد .

(١) هو معيقب بن أبي فاطمة الدوسي الأزدي ، كان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ، واستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال ، ومات في خلافة عثمان سنة ٤٠ هـ . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٥٤ ، الإصابة الترجمة ٨١٦٦ .

قال بعض الحكماء : من جهلك بالحق والباطل ، أنت تريد إقامة الباطل
بإبطال الحق .

قال أعرابي ، وقد ذكر عنده الإصلاح والإفساد ، فقال : لا تمنعن كثيرًا
من حق ، ولا تضمن قليلًا في باطل ، فما حرك حق وباطل إلا كان لهما شهود .

قال بعض الحكماء : لا يعد الرجل عاقلًا ، حتى يستكمل ثلاثًا : إعطاء الحق
من نفسه في حال الرضا والغضب ، وأن يرضى للناس ما يرضى لنفسه ، وألا ترى
له زلة عند ضجره . وقد تقدم قول أبي العتاهية في باب الرجاء والخوف :

ومن ضاق عنه الحق ضاقت مذاهبه^(١)

ولأبي العتاهية أيضًا :

الباطل الدهر يلقى لا ضياء له والحق أبلغ فيه النور يأتلق^(٢)

لما احتضر أبو بكر الصديق ، أرسل إلى عمر ، فقال . يا عمر ! إن وليت على
الناس فاتق الله ، والزم الحق ، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة
باتباعهم الحق في الدنيا وثقله^(٣) عليهم ، وحق لميزان إذا وضع فيه الحق غداً أن
يكون ثميلاً ، وإنما خفت موازين من خفت يوم القيامة ، باتباعهم الباطل في الدنيا

(١) عجز بيت صدره : ومن لم يثق بالله لم يصف عيشه . ديوانه ١٠ .

(٢) ديوانه ١٧٢ .

(٣) ب : وثقلت .

وَحَفَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ وَضَعَ فِيهِ الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ . وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تَوْدِيَ الْفَرِيضَةَ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ : إِنِّي خَائِفٌ أَلَّا أُلْحَقَ بِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَهَا ، فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ ، قُلْتُ : إِنِّي خَائِفٌ أَنْ أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ ، وَأَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — ذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ ، لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي ، فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ آتِيكَ ، وَإِنْ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمُعْجِزِهِ .

كتب عمر بن الخطاب إلى معاوية : أَنْ الزَّمِ الْحَقَّ ، يَنْزِلُكَ الْحَقُّ فِي مَنَازِلِ أَهْلِ الْحَقِّ ، يَوْمَ لَا يُقْضَى إِلَّا بِالْحَقِّ .

أول كتاب كتبه علي بن أبي طالب في خلافته : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا هَلَّاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ مَنَعُوا الْحَقَّ حَتَّى اشْتَرَوْا ، وَبَسَطُوا الْبَاطِلَ حَتَّى اقْتَدَى .

وقال علي بن أبي طالب لرجل من الخوارج : وَاللَّهِ مَا عُرِفْتَ حَتَّى ظَهَرَ الْبَاطِلُ .

قال وَبَرَّةُ الْمَكِّي : سَمِعْتُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَلَامَ لَهْيٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّهُمِ الْمَوْقِفَةِ ،

قَالَ : لَا تَتَكَلَّمَنَّ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا ، فَرَبُّ مَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ فِي غَيْرِ

موضعه قد عيب ، ولا تمارين سفيها ولا حليماً ، فإن السفيه يؤذيكَ ، والحليم يقلبك ،
ولا تذكرن أخاك إذا غاب عنك إلا بمثل ما تُحب أن يذكركَ به إذا غبت عنه ،
واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزى بالإحسان ، ومأخوذ بالإجرام ، فقال رجل
عنده : يا ابن عباس ! لهذه خير من عشرة آلاف . قال : كلمة منها خير من
عشرة آلاف .

قال ابن مسعود : من كان على الحق ، فهو جماعة وإن كان وحده .

قال غيره : الحق ثقيل ، وطُلابه قليل .

وقال غيره : الحق كثير ، والقائلون به يسير .

وقال غيره : الأحق يفض من الحق ، والعاقل يفض من الباطل .

وكان يقال : من هلك في دولة الباطل ، أكثر ممن حي بالباطل^(١) .

قال أنوشروان : إذا اشتبهت الأمور فالحق بين التقصير والإفراط .

قال عبد الله بن مسعود : تكلموا بالحق تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا
من أهله .

قال أبو القتاهية :

وَلِلْحَقِّ بُرْهَانٌ وَلِلْمَوْتِ فِكْرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ لِلْعَالَمِينَ قَدِيمٌ^(٢)

(١) ب : بالحق .

(٢) ديوانه ٢١٨ .

قلل مالكُ بن أنس : إذا ظهر الباطل على الحق ظهر الفساد في الأرض .

وقال : إن^(١) لزوم الحق نجاة ، وإن قليل الباطل وكثيره هلكة .

قال سعدُ بن أبي وقاص لسلمةَ بن : أوصني . قال : أخلص الحقَّ يخلصك . وأظنَّ

هذا من قول القائل : أعزَّ الحق يذلَّ لك الباطل .

كان يقال : من لم يعمل من الحق إلا بما وافق هواه ، ولم يترك من الباطل

إلا ما خف عليه لم يؤجر فيما أصاب ، ولم يفلت من إثم الباطل .

قال العتّابي :

وما كُلُّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِي وَلَا كُلُّ مَنْ أَمَّ الصَّوَى يَسْتَبِينُهَا

الصَّوَى : جمع صُوءة ، وهي حجارة تجعل أعلاماً في الطريق .

قال رجل لخصمه : لئن هملجت إلى الباطل إنك لقطوف على الحق^(٢)

وقال بعض الحكماء : النعمة نفور^(٣) ، ولقلما انتشعت تافرة فرجحت في

نصابها^(٤) ، فاستدغ شاردنيا بالتوبة ، واستندم الرَّاهن^(٥) منها بكرم الجوار ،

(١) ب : ابن .

(٢) الهملاج بالكسر : من البراذين السريع ، والقطوف : الدابة التي ضاق مشيها .

(٣) ب : نوار .

(٤) ب : بصائبها .

(٥) ب : الداهب .

واستفتح باب المزيد بحسن التوكل ، فقد أعرب لك الحق عن نفسه ، وصدقك
عن أمره^(١) .

قال منصور الفقيه :

إِنَّ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَرْقًا لَا يُحِيلُ
وَعَلَى نِيَّةِ ذِي الْقَوْلِ
فَقَلُّ الْحَقِّ وَإِنْ قِيلَ
فَاتَّقِ اللَّهَ إِذَا
لَا يَضُرُّكَ إِنْ قَالَا
إِنْ قَوْلَ الْمَرْءِ فِيمَا
لَمْ يَسْلُ عَنْهُ فَضُولُ

وقال الصِّلَتَانِ العَبْدِيُّ :

وَالْحَقُّ بَيْنَ النَّاسِ رَاضٍ وَجَارِعٌ
وَالْأَذْنَابُ فِيهِ لِلرُّؤُوسِ تَوَاسِعٌ
وَلَيْسَ الذَّنَابِيُّ كَالْقُدَامَى وَرِيشُهُ
وَمَا تَسْتَوِي فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ

روى عبد الملك بن عمير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « أصدق كلمة قالها الشاعر ، قول لبيد :

(١) ١ : وصدقك عن غيره .

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ^(١)

قالوا : أصدق بيت قالته العرب ، قول القائل :

وما حملت من ناقةٍ فوقَ ظهرِها أبرُّ وأوفى ذِمَّةً من مُحَمَّدٍ^(٢)

قال الحاتمي : أشعر بيت قالته العرب ، قول امرئ القيس^(٣) بن عائس

لا ابن حجر^(٤) .

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بهِ والبرُّ خيرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ^(٥)

وأنشد ثعلب :

وإنَّ أشمرَ بيتٍ أنتَ قائلهُ بيتٌ يقالُ إذا أنشدتهُ صدقاً^(٥)

قال جعفر بن محمد : ما ناصح الله عبدٌ مسلم في نفسه فأخذ الحق لها ، وأعطى

الحق منها ، إلا أُعطِيَ خصلتان : رزق من الله يقنع به ، ورضى من الله عنه .

كان بعض الصالحين يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في

الأرض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع .

(١) صدر بيت وعجزه : وكل نعيم لا معالة زائل . ديوانه ٤٣ .

(٢) المستطرف ١/٣٧٠ .

(٣) ساقط من ١ ، وامرؤ القيس هذا ، شاعر مخضرم من أهل حضرموت ، أسلم عند ظهور الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، مات نحو سنة ٢٥ هـ . ترجمته في العيني ١/٣٠ - ٣٢ ، تاريخ الشعراء الحضرميين ١/٤٤ . (الأعلام) ١/٣٥٢ ، ٢٥٣ .

(٤) نهاية الأرب ٤/٣٠٣ من غير نسبة ونسب في المتنخل ١٦٩ لامرئ القيس بن حجر .

(٥) البيت لزهير ، ديوانه ١٢٦ .

قال عبد الحميد بن يحيى الكاتب :

تَرَحَّلَ مَا لَيْسَ بِالْقَافِلِ وَأَعْقَبَ مَا لَيْسَ بِالْآفِلِ
فَلَهَنِي عَلَى السَّلَفِ الرَّاحِلِ وَلَهَنِي مِنَ الْخَلَفِ النَّازِلِ
أُبْكِي عَلَى ذَا وَأُبْكِي لِدَا بَكَاءَ الْمُؤَلَّهَةِ الشَّاكِلِ
تُبْكِي عَلَى ابْنِ لَهَا قَاطِعِ وَتُبْكِي عَلَى ابْنِ لَهَا وَاصِلِ
تَقَضَّتْ غَوَايَاتُ سُكْرِ الصَّبَا ^(١) وَرَدَّ التُّقَى عَنَّتَ ^(٢) الْبَاطِلِ ^(٣)

انتهى القسم الأول
(الجزءان الأول والثاني)
بتجزئة المؤلف

(١) ب : تقضت غايات شكر ، أ : تقضت غايات .

(٢) ب : عنق .

(٣) الأبيات في : الوزراء والسكران ٨١ ، البيان والتبيين ٢١٥/١ ، عيون الأخبار ٣٢٢/٢ ، الشعر والشعراء ٨٤٤ ، وفيها جميعاً روايات مختلفة ، يطول إيرادها ، ولكن الجدير بالذكر أن هذه الأراجيم تُورد قبل البيت الأخير بيتاً لا بأس بإيراده ، وهو :

فليست تقتر عن عسيرة لها في الضمة وعن هاملي

القسم الثاني

(الجزءان الثالث والرابع)

بتجـزئة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

بابُ الحياءِ والوقار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكلُّ دين خُلقٌ ، وخلقُ الإسلام الحياءُ » .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم « الحياءُ خَيْرُ كُلِّهِ » .

^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمنُ حَيٌّ كريمٌ ، والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ »^(٣) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب الحيَّ الحليمَ المتعففَ ، ويبغضُ الفاحشَ البذيءَ »^(٤) السائل الملهف .

قال سليمان عليه السلام : الحياءُ نظامُ الإيمان ، فإذا انحَلَّ النظام ذهبَ ما فيه .

وفي التفسير : ﴿ وَ لِبَاسُ التَّقْوَى ﴾^(٥) . قالوا : الحياءُ .

وقالوا : الوقار من الله ، فمن رَزَقَهُ الله الوقارَ فقد وسَّمه بسماءِ الخير .

(١) بعد البسملة ترد في اعبارة : رب يسر ، وفي ج : وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . وهذا على اعتبار أن الجزء الثالث يبدأ من هنا في كلا النسختين ، وورد الكلام في م متصلاً .

(٢) ساقط من أ .

(٣) في أ : السبيء .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٢٦ .

وقالوا : من تكلم بالحكمة لاحظته العيون بالوقار .

قال الحسن : أربع من كنّ فيه كان كاملاً ، ومن تعلق^(١) بواحدة منهن كان من

صالحى قومه : دين يرشده ، وعقل يسدّده ، وحسب يصونه ، وحياء يقوده .

قالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساء الأمصار ، لم يمنعهن الحياء أن يسألن

عن أمر دينهن .

وقالت عائشة أيضا : رأس مكارم الأخلاق الحياء .

قال الشاعر^(٢) :

ما إن دعاني الهوى ففاحشة إلا نهاني الحياء والكرم^(٣)

ولا إلى محرم مددت يدي ولا مشيت بي لريبة قدم^(٤)

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن مما أدرك الناس من كلام

النبوة الأولى^(٥) ، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت » .

وقال حبيب بن أوس^(٦) :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستحي فاصنع ما تشاء

(١) فى ج : تسكّم .

(٢) البيتاني فى المستطرف ٣٩٦/٢ .

(٣) فى ١ : وما دعاني الهوى لمعصية .

(٤) فى ١ : لزلة . (٥) ساقطة من ١ ، م .

(٦) وردت الأبيات فى ديوانه ٤٣٣ من قصيدة قالها فى التعريض بأحمد بن حميد ، ونسبت له أيضاً فى

لباب الآداب ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، اللقد الفريد ٤١٤/٢ . على أن أبا تمام نفسه أوردتها فى الحماسة ٣٠/٢

من غير نسبة وقد ورد الثانى منها منسوباً للجميل بن المعلّى الفزارى أحمد بن عميرة بن جؤية فى المؤلف ٧٢ .

فلا والله^(١) مافي العيش خيرٌ ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ
يعيش المرء ما استحيًا بخير ويبقى العودُ ما بقي اللحاءُ
وقال أبو دلف العجلي :

إذا لم تصن عِرْصًا ولم تخش خالقًا ولم ترع مخلوقًا فما شئت فاصنع^(٢)
وقال صالح بن جَنَاح :

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ولا خير في وجه إذا قلَّ ماؤه
وقال آخر :

إذا رُزِق الفتى وجها وقأحا تقلب في الأمور كما يشاء
ورب دنيّة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياءُ^(٣)

وقال الحَزِينُ بن عبد الله اللَّيْثِيُّ^(٤) ، وتنسب إلى الفرزدق :
يُغْضَى حياءٌ وَيُغْضَى من مهابته فلا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
وقال آخر :

كريمٌ يَغْضُ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاثِهِ ويدنو وأطرافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي

(١) في الحماسة : فلا وأبيك .

(٢) يأتي هذا البيت في ج بعد البيت التالي ، وفي ١ : تسمى خلقا بدل ترع . مخلوقا .

(٣) ورد البيتان في العقد الفريد ٤١٤/٢ ، محاضرات الأدباء ١٣٨/١ من غير نسبة .

(٤) في الأصول : الحر بن عبيد الله ، وانظر التحقيق في هامش ص ٥١٠ .

وكالسيف إن لا ينته لان مَشُّه وحداه إن خاشنته خشنان^(١)

وقالت ليلي الأخيليه :

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالَهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا^(٢)

وقال أمية بن أبي الصلت في ابن جُدعان التيمي^(٣) :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمَ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ

كَرِيمٌ لَا يَغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْفَعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ

إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ^(٤)

قال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : من كساه الحياء ثوبه^(٥) ، خفي عن^(٦)

الناس عيبه .

(١) وردت الشطرة الأولى في ١ : يضم عن الفحشاء فضل ثيابه . وفي ٢ : فهو لين بدل لان مثله ، وقد ورد البيتان في أكثر كتب الأدب من غير نسبة ، انظر المراجع التي ذكرتها عند ورود البيتين في ص ٥١٢ ، ولم أجد من نسبهما إلا الثعالبي ، حيث ذكر أنهما لأبي الشيمس الأعرابي في خاص الخاص ٨٩ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ٢٧٨/٣ وفيه : ومقدر بدل مخرق ، وانظره في الشعر والشعراء ٤٢٠ ، أمالي القالي ٢٤٨/١ ، حماسة أبي تمام ٢٦٣/٢ .

(٣) هو عبد الله بن جدعان التيمي القرشي ، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية ، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ، وكانت له جفنة يأكل منها الطعام القائم والراكب ، انظر الأغاني (دار الكتب) ٤/٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ ، (الأعلام ٢٠٤/٤) .

(٤) الأبيات في ديوان أمية ١٧ ، وفي ١ : أطلب بدل أذكر ، وما أنبتناه موافق لرواية الديوان .

(٥) ساقطة من ١ ، م .

(٦) ساقطة من ١ .

أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن الأعرابي،
حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين^(١)، قال ابن كُنَاسة^(٢):

فِي انْقِبَاضٍ وَحَشْمَةٍ فَإِذَا لَاقَيْتُ أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ
أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَقَلْتُ مَا قَلْتُ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ^(٣)

(١) في ١ : حدثنا العباس بن يحيى بن معين .

(٢) هو محمد بن عبد الله الملقب (بكُنَاسة) بن عبد الأعلى المازني الأسدي ، من أهل الكوفة ، أحد شعراء الدولة العباسية المجيدين ، وكان يجتنب في شعره المدح والهجاء . توفي سنة ٢٠٧ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٥٨/٩ ، الأغاني ٣٣٧/١٣ (دار الكتب) ، (الأعلام ٩٢/٧) .

(٣) ورد البيتان في البيان والتبيين ٢٨٥/٣ ، وفيه خللت بدل أرسلت ، ولباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٧١/٥ ، وفي معجم الأدباء ١٤٣/١ تردد في نسبتها بين ابن كُنَاسة وبين أبي نواس ، وقد وردا فعلا في مقدمة الديوان فقط ، والأشهر أنهما لا بن كُنَاسة .

باب حُسن الخلق وسوئه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » .

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم — حين وضعت رجلي في الفرز^(١) — أن قال : « حَسِّنْ خُلُقَكَ لِلنَّاسِ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ » .

^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُسْنُ الْخُلُقِ يُعْمِنُ ، وَسُوءُ الْخُلُقِ شَوْمٌ » .^(٣)

قال كعب الأحبار : إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل ، الصائم بالنهار ، الظامى بالهواجر .

وفي الخبر المرفوع أيضاً : « من سعادة المرء حسن خلقه ، ومن شقائه سوء خلقه » .

مكتوب في الحكمة ، الرفيق^(٣) خير قائد ، وحسن الخلق خير رفيق^(٤) ، والوحدة خير من جليس السوء ،^(٥) والجليس الصالح خير من الوحدة^(٥) .

(١) الفرز : ركاب الدابة ، والمعروف أن معاذاً أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن معلماً ومردداً ، وكان هذا آخر ما أوصاه به النبي قبل انطلاقه لأداء مهمته .

(٢) ساقط من أ . (٣) = : الرفق . (٤) = : قرين . (٥) ساقط من = .

كان يقال : من ساء خلقه قلّ صديقه .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا بني عبد المطلب ! إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فَلْيَسْمَهُم منكم حسنُ الخلق ، والقوهم ^(١) بطلاقة الوجه وحسن البشر » .

قال أبو الدرداء : إنا لنكشُرُ في وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتلعنهم ^(٢) .
روى في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ^(٣) ، قالوا : وخلقك فحسّن .

قال سفيان بن عيينة : من حُسِن خلقه ساء خلق خادمه .
كان يقال : حسن الخلق ^(٤) يكسب حسن الذكر .

قال أبو المتاهمة :

عامل الناسَ بوجهٍ طليقٍ والقيَ من تلقى بِبشرٍ رفيقٍ
فإذا أنتَ جميلُ الثنا وإذا أنتَ كثيرُ الصّديقِ ^(٥)

(١) : ولقاؤهم .

(٢) في ١ ، ٢ : لتقبلهم ، ولا تستقيم مع مفهوم الخبر ، إذ معنى المسكاشة الضحك في الوجه وإظهار السرور ، مع إبطان غير ذلك ، وما أثبتناه موافق لما ورد في عيون الأخبار ٢٢/٣ .

(٣) سورة المدثر الآية ٤ .

(٤) ١ : البشر .

(٥) البيتان في ديوانه ١٧١ ، وفيه ورد البيت الأول :

عامل الناس برأى رفيق والقي من تلقى بوجه طليق

وقال محمد بن حازم :

وما اكتسب المحامد طالبوها بمثل البشر والوجه الطليق^(١)

وقال آخر :

خالق الناس بمخلوق حسن لا تكن كلباً على الناس يهر

وقال^(٢) آخر — هو^(٣) المفيرة بن حبناء :

وما حسن أن يمدح المرء نفسه ولكن أخلاقاً تدم وتمدح

وقال ابن وكيع^(٣) :

لاق بالبشر من لقيت من النا
لا تخالف وإن أتوا بخلاف
وإذا خفت فرط غيظك فانهض
إنما الناس إن تأملت داء
س وعاشر بأحسن الإنصاف
تستدم ودّهم بترك الخلاف
مُسرعاً عنهم إلى الإنصراف
ماله غير أن تداويه شافي

وقال آخر :

قد يمكث الناس دهرًا ليس بينهم
ودّ فيزرعه التسليم واللاطف

(١) البيت في عيون الأخبار ٣٦/١ .

(٢) ساقط من .

(٣) هو الحسن بن علي الضبي التميمي ، المعروف بابن وكيع ، شاعر مجيد ، أصله من بغداد ، ومولده ووفاته بقميس بمصر ، انظر وفيات الأعيان ١/١٣٧ ، يتيمة الدهر ١/٢٨١ (الأعلام ٢/٢١٨) ، وانظر الأبيات في اليتيمة ١/٢٨٢ .

وقال العتّابي يذم رجلا :

فكم نعمة آتاها الله جزلة	مُراة ^(١) من كل خلق يذيمها
فسلطت أخلاقا عليها ذميمة	تعاورنّها حتى تفرّى أديمها
وكنت امرءا لو شئت أن تبلغ المدى	بلغت بأدنى نعمة تستديمها
ولكن فطام النفس أثقل محملا	من الصخرة الصماء حين ترومها ^(٢)

(١) ١ : منزلة .

(٢) في ١ : أعسر بدل أثقل ، وانظر بعض هذا الشعر في الحيوان ٦٢/٣ .

بَابُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالسُّؤْدَدِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ لِأَتَمَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » . و يروى
« محاسن الأخلاق » .

أخذه أبو العتاهية فقال

ليسَ دُنْيَا بغيرِ دينٍ وليسَ الدُّ
يُنْ إِلَّا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
إِنَّمَا الْمَكْرُ وَالْخُدَيْعَةُ فِي النَّاسِ
سِهُمَا مِنْ فُرُوعِ أَهْلِ النِّفَاقِ^(١)

ولإبراهيم بن المهدي :

لاخيرَ في الدُّنْيَا بلا دينٍ ولا
فِي الْمَالِ إِلَّا مِنْهُ فِيمَا يُبْذَلُ
فَأَصِيبُ وَأَتْلَفُ وَاسْتَفِدُّ وَأَفْدَوْعِشُ
فِيمَا اشْتَهَتْ تَمَّا يَحِلُّ وَيَجْمَلُ^(٢)

وقال آخر :

وما المرءُ إِلَّا حيثُ يجعلُ نفسَه
ففي صالحِ الأخلاقِ نفسَكَ فَاجْعَلِ^(٣)

^(٤) وقال آخر :

تَزِينُ الْفَقِي أَخْلَاقَهُ وَتَشِينُهُ
وَتَذَكِّرُ أَفْعَالُ الْفَقِي حَيْثُ لَا يَذَرِي^(٤)

(١) لم أعثر على البيتين في ديوانه .

(٢) البيتان في أشعار أولاد الخلفاء ٣٦ ، وفي ١ : فاصبر بدل فأصعب ، وبما بدل مما .

(٣) البيت في محاضرات الأدباء ١/١٤٥ ، العقد الفريد ٢/٢٩٣ من غير نسبة ، ونسب في البيان ٣/٢٠٣

لنفر بن فروة المنقري .

(٤) البيت ساقط من ١ . وهو لأبي البلاد الطهوي كما في البيان والتبيين ٣/٨٣ .

خطب ثلاثة إخوة من العرب^(١) إلى عمهم ثلاث بنات له ، فقال : مرحباً بكم ،
 لا أذم^(٢) عهدكم ، ولا أستطيع ردكم ، خبروني عن مكارم الأخلاق . فقال الأكبر :
 الصّون للعرض ، والجزاء بالقرض . وقال الأوسط : النهوض بالثقل ، والأخذ
 بالفضل . وقال الأصغر : الوفاء بالعهد ، والإنجاز للوعد . قال : أحسنتم في الجواب ،
 ووفقتم إلى الصواب .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ معالي الأخلاق وأشرفها^(٣) ، ويكره
 سفافها »

قال الحسن : مكارم الأخلاق للمؤمن : قوة في لين ، وحزم في دين ، وإيمان في
 يقين ، وحرص على العلم ، واقتصاد في النفقة^(٤) ، وبذل في السعة ، وقناعة في الفاقة ،
 ورحمة للمجهود ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة .

قالت عائشة رضي الله عنها : خلال المكارم عشر ، تكون في الرجل
 ولا تكون في أبيه ولا في ابنه ، وقد تكون في العبد ولا تكون في سيده ،
 يقسمها الله لمن أحب : صدق الحديث ، ومداواة الناس ، وصلة الرحم ، وحفظ

(١) - : من الاخوة .

(٢) - : دام .

(٣) - ساقطة من ج .

(٤) - : الفقر .

الأمانة، والتّذمُّم^(١) للجار، وإعطاء السّائل، والمكافأة بالصّنائع، وقِرى الضّيف،
والوفاء بالعهد، ورأسهنّ كلهنّ الحياء.

قيل لبُزرجهر: أيّ شيء أنت به أسرّ؟ قال: قدرتي على مكافأة من
أحسن إليّ^(٢).

قال مصقلة بن هُبيرة الشّيباني: سمعتُ صَعْصَعَةَ بن صُوحَانَ، وقد سأله
ابن عباس ما السُّؤدد فيكم؟ قال: إطعام الطعام، ولين الكلام، وبذل النّوال،
وكفُّ المرء نفسه عن السّؤال، والتّودّد للصّغير والكبير، وأن^(٣) يكون النّاس
عندك في الحقّ شرّعا^(٤).

سئل عبد الله بن عمر عن السُّؤدد، فقال: الحلم والجود.

كان يقال: خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر، واكتسب فيه الأجر، وارتهن
فيه الشكر، واسترقّ فيه الحرّ.

قال الأحنف بن قيس يوماً لقومه: إنّما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم،

(١) التّذمُّم للجار هو أن يحفظ ذمامه، أو يطرح عن نفسه ذمّ الناس له إن لم يحفظه.

(٢) في هامش اوردت العبارة الآتية: «وفي محل آخر غير هذا الكتاب بعد قوله أحسن إليّ: وعفوى
عند قدرتي على من أساء إليّ».

(٣) ج: وقد.

(٤) شرعا: سواء.

ولكنى أبسط لكم وجهي ، وأبذل لكم مالي ، وأقضى حقوقكم ، وأحفظ
حرمتكم^(١) ، فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ، ومن زاد على فهو خير منى ، ومن زدت
عليه فأنا خير منه . قيل له : يا أبا محمد ! ما يدعوك إلى هذا الكلام ؟ قال : أحضهم
على مكارم الأخلاق .

^(٢) وقال عبد الله بن عمر : نحن مغشرون قريش نمدد العلم والجود السوداء ، ونمدد
العفاف وإصلاح المال المروءة .

قال أسد بن عبد الله لرجل من بنى شيبان : إن السوداء فيكم لرخيص . فقال
له : أمّا نحن فما نسود إلا فتى يوطئنا راحله ، ويفرشنا عرّضه ، ويبذل لنا ماله .
قال : أشهد أن السوداء فيكم لغال .

قيل لبعض العرب : من السيد فيكم ؟ قال : الأحق في ماله ، الذليل في عرضه ،
المطرح لحقده ، الممتنى بأمر عامته .

ورويت هذه القصة للأحنف ، أنه سئل : من أسود الناس فيكم ؟ فقال : الأخرق
في ماله ثم ذكر مثله .

قال أبو عمرو بن العلاء : كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ست

(١) ج : حريمكم .

(٢) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة .

خصال وتمامها في الإسلام سابعة : السَّخَاءُ وَالنَّجْدَةُ ، وَالصَّبْرُ وَالْحِلْمُ ، وَالْبَيَانُ وَالْحِسْبُ . وفي الإسلام زيادة العفاف .

ذُكِرَ لعبد الله بن عمر أبو بكر وعمرُ وعثمان وعليٌّ ومعاوية . فقال : كان معاوية أَسْوَدََ منهم ، وَكَانُوا خَيْرًا مِنْهُ .

روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا فَبَذَلَ مَعْرُوفَهُ وَكَفَّ أَذَاهُ ، فَذَلِكَ السَّيِّدُ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصَارِ يَوْمًا : « مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ » فَقَالُوا : الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى بُخْلٍ فِيهِ . فقال عليه السَّلام : « أَيُّ دَاءٍ أَذْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ ؟ ! بَلْ سَيِّدُكُمْ الْجُعْدُ الْأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ » . فقال شاعرهم في ذلك :

وقال رسولُ اللهِ والحقُّ قولُهُ لمن قال منا من تُسمون سيِّدا

فقالوا له الجدُّ بن قيس على التي نبخله فيها وإن كان أسودا

فتى ما تخطى خطوةً لدنيَّة ولا مدّ في يومٍ إلى سوءةٍ يدا

فسودَّ عمر بن الجُمُوحِ بجوده وحقَّ لعمر وبالندى أن يسودا^(١)

قال بكر بن وائل : ما كان فينا أسود من ثعلبة بن أوس ، كان يحلم عن جاهلنا ويعطى سائلنا .

(١) انظر هذا الخبر والأبيات في ترجمة عمرو بن الجموح في الإصابة ، القسم الرابع الترجمة ٥٧٩٢ ، وقد زاد بعد هذه الأبيات بيتا هو :

فلو كنت يا جد بن قيس على التي علي مثلها عمرو لسكنت المسودا

كان سالم بن نوفل سيد بني كنانة في زمانه ، فوثب رجل على ابنه وابن أخيه
فجرحهما ، فأتى به سالم ، فقال له : ما أمتك^(١) من انتقامي ؟ قال : فلم
سوّدناك إذا ؟ إلا لتكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل ، وتحتمل المكروه . وفي سالم
هذا يقول الشاعر :

نُسَوِّدُ أَقْوَامًا وَلَيْسُوا بِسَادَةٍ بل السيّد المعلوم سَلَمُ بنِ نَوْفَلٍ^(٢)
أَنشَدَ ابْنُ عَائِشَةَ^(٣) :

لا يَبْلُغُ المَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حتى يَذْلُوا وَإِنْ عَزُّوا لِأَقْوَامٍ
وَيُسْتَمُوا فَتَرَى الأَلْوَانَ مُسْفِرَةً لا عَفْوَ ذَلٍّ وَلَكِنْ عَفْوَ أَحْلَامٍ
وَإِنْ دَعَا الجَارُ لَبَّوْا عِنْدَ دَعْوَتِهِ فِي النَّائِبَاتِ بِإِسْرَاجٍ وَإِلْجَامٍ^(٤)
مُسْتَلَمِينَ ، لَهُمْ عِنْدَ الوَغَى زَجَلٌ كَأَنَّ أَسْيَافَهُمْ أَغْرَيْنَ بِالْهَامِ^(٥)

قال الأصمعي : كان يقال : لا يجتمع عشرة إلا وفيهم مقاتل أو أكثر ، ويجتمع
ألف ليس فيهم حلیم .

(١) في الأصل : ما أمرك .

(٢) ورد البيت في العقد الفريد ٢/٢٨٨ ، وفيه : يسود أقوام ، والصنديد بدل المعلوم .

(٣) عبد الرحمن بن عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي ، المعروف بابن عائشة ، شاعر متأدب من أهل
البصرة ، اشتهر بهجاء القاضي أحمد بن أبي دواد ، وكان قد قصده في بغداد فدحه فلم يعره التفاتا فهجاه ، توفي
٢٢٧ هـ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٣٥٩ (الأعلام ٤/٨٨) .

(٤) ساقط من أ .

(٥) الاستثناء : التدرع ، والزجل : الجلبة والضوضاء ، والهام : الرهوس . وانظر البيت الأول في العقد
الفريد ٢/٢٧٩ ، وفيه : لن يدرك بدل لا ينام ، وقد وردت كلمتا في أمالي القالي ٣/٤١ ، عيون الأخبار
٣/٢٨٧ .

كان يقال : ثلاثة لا ينتصفون^(١) من ثلاثة حلیم من سفيه ، وبر من فاجر ،
وشريف من دنيء .

قال الأحنف بن قيس : ما نازعني أحد إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال ؛
إن كان فوقی عرفت له قدره ، وإن كان دوني أكرمت نفسي عنه ، وإن كان مثلي
تفضلت عليه . أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

سَأَلَزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مَذْنِبٍ	وإن كثرتُ منه على الجرائمُ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ	شريفٌ ومشروفٌ ومثلي مُقاومٌ ^(٢)
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفْ فَضْلَهُ	وَأَلْزَمُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ صَنِتَ عَنْ	مَقَالَتِهِ نَفْسِي وَإِنْ لَمْ لَائِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا	تَفَضَّلْتُ إِنْ الْفَضْلَ لِلْحُرِّ حَاكِمٌ ^(٣)

وقال آخر :

لَقَدْ أَسْمَعُ الْقَوْلَ الَّذِي كَادَ كُلُّمَا	تذكرنيه النفسُ قلبي يُصدِّعُ
فَأَبْدِي لِمَنْ أَبْدَاهُ مِنِّي بِشَاشَةٍ	كأني مسرورٌ بما منه أسمعُ
وَمَا ذَاكَ مِنْ عُجْبٍ بِهِ غَيْرَ أَنَّنِي	أرى أن تترك الشرَّ للشرِّ أقطعُ

(١) في ١ : يستنصفون .

(٢) مقاوم : مساو لي في القيمة .

(٣) الأبيات بدون نسبة في العقد الفريد ٢/ ٢٨٣ ، مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

قال الحسن البصري : ما سمعت الله عز وجل نحل عباده شيئاً أقل من الحلم ،
فقال عز وجل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾^(١) ، وقال : ﴿ فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ ﴾^(٢) .

قال المتأني :

إذا سررتني دهرى قبلت وإن أبى أيّدت عليه أن أضيق له صدرًا
فكم من مسيء قد لقيت ومحسن فأوسعت ذاهلاً وأوسعت ذا شكرًا^(٣)

قال علي بن أبي طالب رضي الله : إن السفيه إذا أعرضت عنه اغتم ،
فزده إعراضاً .

^(٤) كان يقال : بحسن السيرة يُقهر^(٤) المناوي ، وبالحلم عن السفيه يكثر^(٤)
^(٤) أنصارك عليه .

قال الشاعر :

^(٥) سكت عن السفيه فظن أني عييت وما عييت عن الجواب^(٥)
متاركة السفيه بلا جواب أشد على السفيه من العذاب

(١) سورة هود ، الآية ٧٥ .

(٢) سورة الصافات ، الآية ١٠١ .

(٣) البيتان في زهر الآداب ١١٢/٣ .

(٤) ساقط من ج .

(٥) ساقط من أ .

ولا شيء أحبُّ إلى سفيهٍ إذا وقع الكريم^(١) من السُّبابِ

سبَّ الشعبيُّ رجلٌ، فقال له : إن كنتَ كاذباً يَغْفِرُ اللهُ لك ، وإن كنتَ صادقاً
يَغْفِرُ اللهُ لي .

قال الشعبيُّ : الغضبُ غولُ الحليم^(٢) .

قال خالدُ بن صفوان : شهدتُ عمرو بن عبيد ورجلٌ يشتمه ، فقال : آجرك الله
على ما ذكرتَ من^(٣) صوابٍ ، وغفرك على ما ذكرتَ من^(٣) خطأ ، قال : فما
حسدتُ أحداً حسديَّ عمرو بن عبيدٍ على هاتين الكلمتين .

مرَّ الشعبيُّ بقومٍ ينتقصونه ، فأنشد :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مُخْأِرٍ لعزّةٍ من أغراضِنَا ما استَحَلَّتِ^(٤)

قال النّابغة الجعديّ :

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكنْ لهُ بوادٍ تحمي صفوه أن يُكْدَرَا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له حلِيمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أضْدَرَا^(٥)

(١) في ح : الكلام .

(٢) في أ : غلول الحليم .

(٣) ساقط من ح .

(٤) البيت لكثير عزة ، ديوانه ٥٧/١ .

(٥) البيهقي في الشعر والشعراء ١٥٩ ، معجم الشعراء ٣٢١ ، عيون الأخبار ١/٢٣٩ ، ٢٨٥ ، نهاية الأرب

٧١٠/٣ وفي أ : أربب بدل حلِيم .

وقال آخر :

وفي الحلم والإسلام للمرء وازعُ وفي تركِ أهواءِ الفؤادِ المتيمِّ
بصائرُ يُرشدنَ الفتى مستبينةً وأخلاقُ صدقِ علمها بالتعلمِ^(١)

قيل للحُصَيْن بن المنذر : بم سُدَّتْ قومك ؟ قال : بحسبٍ لا يُطمع فيه ، ورأى
لا يُستغنى عنه .

وذكر السُّودُّ عند معاوية بن أبي سفيان ، فقال : إنه لينتقل في الحى كما ينتقل
الظل^(٢) .

قال إياس بن قتادة :

وإن من السّاداتِ من لو أطمعتهُ دماك إلى نارٍ يفورُ سعيُها^(٣)
قال : كان سفيان بن عُيَيْنَة يتمثل :

خلت الديارُ فسدتُ غيرَ مسودِّ ومن الشّقاءِ تفرّدي بالسُّودِّ^(٤)

(١) البيان لسكثير، ديوانه ٢١٨/١ ، وفيه : بصائرُ رشد ظاهر ومشبه ، وانظرهما أيضاً البيان والتبيين ٢٠٥/١ ، وفيه : طاعات بدل أهواء ، وعيون الأخبار ٦/٢ وفيها : بصائرُ رشد للفتى .

(٢) يريد أن من يتمتع بأخلاق السيادة تنتقل شهرته في الحى كما ينتقل الظل .

(٣) البيت في البيان ١٩٥/٣ ، ٢٧٦ ، الحيوان ٨٠/٣ .

(٤) نسب البيت في البيان ١٩٦/٣ ، ٢٧٦ ، والحيوان ٨٠/٣ لحارثة بن بدر ، وفي هامش الحماسة ٣٤٠/١ قال إنه لرجل من خثعم ثم قال : ذكر ياقوت أنه عمرو بن النعمان البياضى يرى سادات قومه ، وكانوا قد دخلوا حديقة فاختلفوا فقتل بعضهم بعضاً ، وقد تمثل به سفيان بن عيينة حينما انفرد ومات نظراؤه من العلماء (انظر أيضاً في هذا هامش البيان ٢٧٦/٣) ، وقد ورد البيت بدون نسبة في وفيات الأعيان ٣٥٧/٣ ، عيون الأخبار ٢٦٨/١ ، العقد الفريد ٢٩٠/٢ .

قال : قال عمر بن عبد العزيز لرجل : من سيّد قومك ؟ قال : أنا . قال : لو كتته لم تَقُلّه .

قال الشاعر :

وإنّ بقومِ سودّوكَ لفاقةٌ إلى سيّدٍ لو يظفرون بسيّد^(١)

قيل للمهلب : ما السُّودد ؟ قال : أن يركب الرجلُ في منزله وحده ، ويرجع إلى منزله في جماعة .

قيل لبعض العرب : ما علامة السيّد فيكم ؟ قال : هو الذي إذا أقبل هبناه ، وإذا أدبر عبناه ، ويُروى اغتبناه .

قال عبيد بن الأبرص :

إذا أنت لم تعملْ برأيٍ ولم تُطِيعْ أولى الرأى لم تركنْ إلى أمرٍ مُرشدٍ
ولم تجتنبْ ذمّ العشيرةِ كلّها وتدفعُ عنها باللسانِ وباليدِ
وتحلمُ عن جَهّالها وتحوطها وتقمعُ عنها نخوةَ المتهمِّدِ
فلستَ ولو عللتَ نفسك بالأمنى بذى سُوددٍ بادٍ ولا قرب سُوددٍ^(٢)

(١) نسب البيت لأبي نخيلة السعدي في البيان ٣/١٩٥ ، ٢٧٦ ، والحيوان ٣/٨٠ ، وورد من غير نسبة في حماسة البحتري ٣٣٥ ، عيون الأخبار ١/٢٦٨ وفيها : الحاجة بدل لفاقة .
(٢) الأبيات في الشعر والشعراء ١٩٦ ، جمهرة أشعار العرب ٨٧ .

قال أنس بن مدرك^(١) :

عزمتُ عَلَى إقامة ذِي صَلَاحٍ لِأَمْرِ ما يُسَوِّدُ من يَسُودُ^(٢)

وقال أبو الحسن الموسوي^(٣) :

ما السَّوَدَدُ المكسوبُ إِلَّا دُونَ ما يُومِي إِلَيْهِ السَّوَدَدُ المولودُ
فإذا هما اتفقا تكسرتِ القَنَا إن غولبا وتضعضعَ الجُلُودُ^(٤)

كان يقال : خصلتان لا يسود صاحبهما : الاستطالة في الأقرباء ، والبطر في الأغنياء .

قال المرار بن سعيد^(٥) :

إذا شئتَ يوماً أن تسودَ قبيلةً فبالحلمِ سُدْ لا بالسِّفَاهَةِ والشَّتْمِ^(٦)

وقال بعضُ أهل العلم : لا سَوَدَدَ إِلَّا بالبختِ والجَدِّ والسَّعْدِ ، وذلك أنا قد

(١) أنس بن مدرك ، وسماه الهفدادي في الخزانة ٣/٣١٦ (ابن مدركة) ، شاعر من المعمرين ، كان سيد خثعم في الجاهلية وفارسها ، وأدرك الإسلام وأسلم ، ثم أقام بالكوفة حتى نشب الخلاف بين علي ومعاوية ، فأنحاز إلى علي ، وقتل في إحدى المعارك سنة ٣٥ ، انظر الإصابة ١/٧٣ . (الأعلام ٦/٣٦٦) .

(٢) البيت في البيان ٣/١٩٥ ، والحيوان ٣/٨١ ، وفيهما ذى صباح .

(٣) هو محمد بن الحسين بن موسى (الشريف الرضي) نقيب العلويين ، وأشعر الطالبين ، مات سنة ٤٠٦ هـ ، انظر ترجماته الوافية في تاريخ بغداد ٢/٢٤٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤٤ ، بقيمة الدهر ٣/١٣٦ .

(٤) البيتان في ديوانه ١/٢٤٢ ، بقيمة الدهر ٣/١٣٧ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٠ ، نهاية الأرب ٣/١٠٧ ، مع اختلاف يسير في ألفاظ الرواية .

(٥) المرار بن سعيد بن حبيب النعماني ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية ، كثير الشعر جيدة . انظر في ترجمته معجم الشعراء ٤٠٨ ، الشعر والشعراء ٦٨٠-٦٨٣ (الأعلام ٨/٨٣) .

(٦) البيت في الشعر والشعراء ٦٨٢ ، حماسة أبي تمام ١/٤٧٤ وفيها بالتسرع بدل بالسفاهة .

رأيانهم يقولون : الأفعالُ المحمودة والأخلاقُ الجميلةُ توجبُ السُّؤددَ والرياسةَ ،
والأفعالُ المذمومة والأخلاقُ الدنيئةُ تمنعُ من السُّؤددِ ، ثم رأينا قومًا سادُوا بأخلاق
لا تُحمدُ ، وبأفعال لا تُرضى ، فمن ذلك : أن الحمقَ يمنعُ من السُّؤددِ ، وقد سادَ عُمَيَّةُ
ابن حِصْن^(١) ، وكان محمقًا ، وساد أبو سفيان وكان بخيلاً ، والبخلُ يمنعُ من
السُّؤددِ ، وساد عامرُ بن الطفيل^(٢) ، وكان عاهراً ، ولا سؤدد مع العُهرِ ، وساد
أبو جهلٍ وما طرَّ شاربهُ ، ودخل دار الندوة وما استوت لحيته ، والحدائثُ
تمنعُ من السُّؤددِ ، وساد شَيْبَلُ بْنُ مَعْبِدِ الْبَجَلِيِّ^(٣) ، وما بالبصرةَ بِجَلَى غيره ،
وهم يقولون : لا سؤدد إلا بالعدد ، ولما قال قومٌ للأحنف : لولا أنا
سودناك ما سُدَّتْ . قال فن سود شَيْبَلُ بْنُ مَعْبِدِ الْبَجَلِيِّ ، وليس بالبصرة
بَجَلِيَّان .

(١) ابن بدر الفزارى ، له صحبة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الأحمق المطاع ، وقد ارتد عيينة عن الإسلام في عهد أبي بكر ، ثم مال إلى طاعة ، ورجع إلى الإسلام على يديه ، عاش حتى خلافة عثمان . انظر الإصابة ٥/٥٥ ، الترجمة ٦١٤٦ .

(٢) العامري ، من بني عامر بن صعصعة ، فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم ، أدرك الإسلام ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم مضراً قتله ولسكنه لم يستطع ، ولما عرض الرسول عليه الإسلام اشترط عامر لذلك أن يجعل النبي له الأمر من بعده ، ويعطيه نصف ثمار المدينة ، رفض النبي ذلك ، فذهب عامر مهدداً متوعداً ، ثم مات قبل أن يصل إلى علة قومه . انظر الإصابة الترجمة ٦٥٥٠ ، والراجع الأخرى في هامش الأعلام ٢٠/٤ .

(٣) شبل بن معبد بن عبيد بن الحارث البجلي ، من التابعين ، وهو أخو أبي بكره الثقفي لأمه ، من الذين اشتركوا في الفتوح الإسلامية في عهد عمر ، وقد نقم على أبي موسى الأشعري بعض تصرفاته فمزله عثمان على يده . انظر : تهذيب التهذيب ٣٠٥/٤ .

وساد عتبة بن ربيعة^(١) وكان فقيراً إلى أن مات ، حتى قيل : إنه لم يشبع قط ،
ولم يفضل عن قوت أهله قوتٌ ضيفٍ واحد ، وهم يتولون إنَّ الفقر يمنع من السُّودد .
هذا كله يدلُّك على أن السُّودد بالبخت

وقال غيره : أسباب السُّودد سبعة : العقل والعلم والصيانة وأداء الأمانة والحذق
والحلم والسخاء .

أبو سلمى :

لا بدَّ للسُّوددِ من أَرْمَاحٍ ومن سفیهٍ دائمِ النَّبَاحِ

ومن عديدٍ يَتَّقِي بِالرَّاحِ^(٢)

أى لا يتقى بالدَّعاء .

وقال غيلان بن سامة الثَّقَفِي :

لا بدَّ للسُّوددِ من عَدِيدِ^(٣)

(١) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ، كان وصوفاً بالرأى والحلم والفضل ، أدرك الإسلام ولم يكنه طفلاً وشهد مع المصركين بدرًا فقتل . انظر نسب قريش ١٥٢ (الأعلام ٣٥٩/٤) .

(٢) انظرها في البيان ١٩٠/٣ ، ٢٧٥ ، الحيوان ٢٥١/١ ، وقد وردت في العقد ٢٨٠/٢ برواية أخرى م .

لا بدَّ للسُّوددِ من رماح ومن رجال مصلي السلاح
يدافعون دونه بالراح ومن سفیهٍ دائمِ النَّبَاحِ

(٣) انظر الفطرة في البيان والحيوان في نفس الصفحات التي وردت في الهامش السابق ولم أعز على تكملة البيت ، ولا التعريف بالشاعر فيما بين يدي من مراجع .

قال النابغة الذبياني :

تعدُّو الذئابُ على من لا كلابَ لهُ وتتنقِّي صَوْلَةَ المستنفرِ الحامي^(١)

قال الحسن بن سهل يوماً : الشَّرَفُ في السَّرَفِ ، فقيل له : لا خيرَ في السَّرَفِ ،
فقال : لا سَرَفَ في الخيرِ ، فردَّ اللَّفْظَةَ واستوفى المعنى .

قال إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي : عجبتُ لمن لا يكتب العلم كيف
تدعوه نفسه إلى مكرُمة .

ابن بشار :

وإذا جَزَيْتَ أَخَا بِذَنْ بِ كَانِ مِنْهُ لَمْ تُسُدَّهُ
ولقدَّمَا طَلَبَ الْفَتَى لِأَخِيهِ عِيَا لَمْ يَجِدُهُ^(٢)

الهمذلي :

وإنَّ سيادةَ الأقوامِ فاعلمْ لها صَعْدَاءُ مَطْلِبُهَا طَوِيلٌ^(٣)

(١) وردت الشطرة الثانية من البيت بروايات مختلفة :

وتحتفى مريض المستأسد الحامي حماسة البهتري ٢٦٤

وتتنق صولة المستأسد الضاري الحيوان ٨٧/٢

وتتنق مريض المستنفر الحامي عيون الأخبار ١٠٩/٤

وقد نسب البيت للنابغة في المراجع السابقة كما هنا ، ونسبه الرزباني في المعجم ٣٧٨ إلى الزبرقان بن بدر .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ١/٢٦٦ .

(٣) البيت للأعلم الهمذلي كما في ديوان الهمذليين ٨٧/٢ ، وانظره في البيان ١٩٥/١ ، ٢٧٠ ، والحيوان ٩٥/٢ وفيه : وإن سياسة ، وفي نسخة : عسير بدل طويل . والصعداء : المرتفعة يقال : أكمة صعداء أي يشتد صعودها على الراقي .

لما توفي عبد الله بن طاهر^(١)، صلى عليه ابنه طاهر بن عبد الله ودفنه، وأعتق
عند كل زاوية من زوايا قبره رقبة من غلمانته، وفعل ذلك إخوته، ودفع كل نجل
منهم إلى كل غلام خمس مائة درهم، وكان عبد الله بن طاهر قد خلف أربعين ولداً
ذكرًا، فقال أبو العميثل^(٢) الشاعر لمصعب بن عبد الله وكان^(٣) يختص بطاهر
ويناديه: ألا أدلك على شيء تفعله فتقدم به سائر إخوتك عند الأمير طاهر؟ قال:
بلى. فأنشده هذه الأبيات وقال: اكتب بها إلى الأمير، وهي:

يا من يحاول أن تكونَ خلّاهُ	كخلالِ عبد الله أنصتِ واسمعي ^(٤)
فلأقصّدنك بالنصيحة والذى	حجّ الحجاج إليه فاقبل أو دعي ^(٥)
إن كنتَ تطمعُ أن تحلَّ محلّه	في المجد والشرفِ الأشم الأرفع
فاصدق وعِفَّ وبرَّ وارفق واتمّد	واحلم ودار وكاف واصبر واشجع
والطف ولن وتأنّ وانصر واحتمل	واحزم وجِدَّ وحام واحمل وادفع
هذا الطريقُ إلى المكارم مهيمًا	فاسلك فقد أبصرت قصدَ المهيم ^(٦)

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخراساني بالخلافة، من أشهر الولاة في العصر العباسي كان سيدا نبيلًا
على الهمة شهيرًا، وولاه المأمون خراسان فضم إليها كثيرًا من بلاد المشرق، توفي سنة ٢٣٠ هـ. انظر في ترجمته
وفيات الأعيان ١/٢٦٠، تاريخ بغداد ٩/٨٣؛ (الأعلام ٤/٢٢٦، ٢٧).

(٢) أبو العميثل: عبد الله بن خليل بن سعد، مؤدب من الشعراء الفضلاء. كان مولى لبني العباس واتصل
بطاهر بن الحسين فعهد إليه بتأديب ولده عبد الله فأقام معه في خراسان ثم كان كاتبه وشاعره إلى أن توفي سنة
٢٤٠ هـ. انظر وفيات الأعيان ١/٢٦٢ (الأعلام ٤/٢١٦).

(٣) أي أبو العميثل.

(٤) في الوفيات: صفاته كصفات عبد الله الخ.

(٥) في الوفيات: فلأنصحتك بالمشورة... فاسمعي أودع.

(٦) في ١: مقنعا بدل مهيمًا، والمهيم: البين، وقد وردت هذه الأبيات ماعداً الثالث في وفيات الأعيان

٢/٢٧٥، ٢٧٦، الذخيرة ١/٣٢٠، ورواية البيت الأخير فيهما:

فإنك نصحتك إن قبلت نصيحتي وهديت للنهج الأسد المهيم

فاستحسن طاهرُ الأبيات ، وقال : والله لقد أفدتني ما يجبُ به شكرك ،
فقلده نيسابور وأعمالها ثلاث سنين ، وأكسبه ألف ألف درهم .

وقال آخر :

إذا هلكَتْ أَسَدُ العَرِينِ ولم يكنْ لها خَلْفٌ في الغِيلِ ساد الثعالبُ
كذا القمرُ السَّارِى إذا غاب لم يكنْ له خَلْفٌ في الجوى إلا الكواكبُ

قال بعض الحكماء : من ابتغى المكارم فليجتنب المحارم .

باب حمدِ الحلمِ وذمِّ السّفه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجّ عبد القيس^(١): « يا أشجّ^(٢) عبد القيس^(٢) »
أو يا منذر ! فيك خصلتان يرضاها الله ورسوله : الحلم والأناة » ، فقال :
يا رسول الله ! أشيء جبلني الله عليه أم شيء اخترعته من قبل^(٣) نفسي ؟ .
فقال : « بل شيء جبلك الله عليه » ، فقال : الحمد لله الذي جبلني على خلق^(٢) يرضاه
الله ورسوله

قال الشّعبي : زين العلم حلم أهله .

قال رجاء بن أبي سلمة : الحلم أرفع من العقل ، لأن الله تسمّى به .

قال معاوية : إني لأرفع نفسي أن يكون ذنب أرجح من حلمي .

وقال معاوية لعمر بن العاص : من أبلغ الناس ؟ قال : من ترك الفضول ، واقتصر

على الإيجاز . قال : فمن أصبر الناس ؟ قال : من بذل دنياه في صلاح دينه قال : فمن

أشجع الناس ؟ قال : من ردّ جهله بحلمه .

(١) اسمه المنذر بن ساوى بن الأخنس العبدي من عبد القيس أو من بني عبد الله بن دارم من تميم ،
كان صاحب البحرين قبل الإسلام ، ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إليه رسالة يدعوها فيها إلى الإسلام
فأسلم فأثّر على عمله ، وثمة خلاف في أمر وفوده على النبي ، انظره في الإصابة الترجمة ٨٢١٢ .

(٢) ساقطة من أ ، م .

(٣) في ح ، م : على شيء .

قال محمد بن أبي شحاذ^(١) :

إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل عليك بروق جمة ورواعد

سئل الأحنف عن الحلم ، فقال : هو الذل والصبر .

كان الأحنف إذا عجبوا من حلمه ، قال : إني لأجد ما تجدون ، ولكنني صبور .

وقال أيضاً : وجدت الحلم^(٢) أنصر^(٣) لي من الرجال^(٤) .

قال عمر بن عبد العزيز : ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ، ومن عفو إلى قُدرة .

وقد رويناه هذا الكلام لمن هو أسن من عمر وأكبر .

وقال بلعاء بن قيس :

أَيَّمْتُ لِنَفْسِي الْخَسْفَ لِمَا رَضُوا بِهِ وَأُولِيَّتْهُمْ سَمْعِي وَمَا كُنْتُ مُفْحَمًا

وقال شريح : الحلم كنز موقر ، والحليم مطية الجهول .

(١) في الأصول محمد بن صحر ، وفي ح : بزيادة العبدى ، وقد وجدت البيت منسوبا في حاشية أبي تمام ٤٦/٢ لمحمد بن أبي شحاذ الضبى ، وسماه في معجم الشعراء ٤١٣ حميد بن أبي شحاذ ، ولقد جهدت في البحث عن محمد بن صحر العبدى هذا فلم أجد إلا صحر بن عياش العبدى وهو خطيب مشهور كان في أول العصر الأهوى ، ويبدو أنه قد حدث تحريف من ناسخ النسختين أ ، م في اسم شحاذ حوله إلى صحر ثم زاد ناسخ النسخة ح العبدى ، وقد أثبت الاسم كما في الحاشية .

(٢) في ١ . الصبر .

(٣) ساقط من ح ،

قالوا : بالعقل استُخرج غورُ الحكمة ، وبالحام استُخرج غورُ العقل .

قال أبو العناهية :

فيارب هب لي منك حِلْمًا فَإِنِّي أرى الحِلْمَ لم يندم عليه حلِيمٌ
ويارب هب لي منك عزماً على التقى أقِيم به ما عشتُ حيثُ أقِيمُ
ألا إنَّ تقوى الله أكرمُ نسبةٍ تَسَامَى بها عند الفخارِ كَرِيمٌ^(١)

قال الخُرَيْمِيُّ :

أرى الحِلْمَ في بعض المواطنِ ذِلَّةٌ وفي بعضها عِزًّا يُسَوِّدُ فاعِلُهُ

قال عُمارة^(٢) بن عقيل^(٣) :

إذا أغضبتَ ذا كرمٍ تَخْطِئِي إليك ببعض أخلاق اللئيمِ
وإن الله ذو حلمٍ ولكن بقدر الحِلْمِ مُتَّصِفُ الحِلِيمِ^(٤)

وقال آخر :

بني هِلَالٍ ألا تنهوا سَفِيهَكُمُ إنَّ السَّفِيهَةَ إذا لم يُنْهَ مأمورٌ^(٥)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٤١ ، ٢٤٢ ، على خلاف في الترتيب .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) نسب البيتان في عيون الأخبار ٢٨٥/٣ إلى عبارة كما هنا ، وقد وردا للبحتري في ديوانه ٢٦٦/٢ ،

نهایة الأرب ٩٣/٣ ، وفيهما : متى أخرجت .

(٤) البيت في البيان ٢٦١/٣ من غير نسبة ، وفيه : بني هدى بدل بني هلال .

وقال حسان بن ثابت :

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم^(١)

وقال أوس بن حجر :

إذا أنت لم تُعرض عن الجهل والخنا أصبت حليماً أو أصابك جاهل^(٢)

وقال صالح بن جَنَاح ، ويروى لغيره :

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إني إلى الجهل في بعض الأحيان أحوَجُ
وما كنت أرضى الجهل خدياً ولا أخاً^(٣) ولكنني أرضى به حين أخرجُ
فإن قال بعضُ الناس في سماجةٍ فقد صدقوا والذلُّ بالحرِّ أسمع^(٤)

وقال أبو يعقوب الخرمي :

وإنك تلقى صاحبَ الجهل نادماً عليه ولا يأسى على الحلم صاحبه

وقال حبيب الطائي :

إذا جريت في خلقٍ دنيّاً^(٥) فأنت ومن تجاريه سواء

(١) ديوانه ٨٩ .

(٢) نسب البيت في عيون الأخبار ٢/٢٣١ إلى كعب بن زهير ، والصحيح أنه لأوس ، انظر ديوانه ٢٠ .
ورواية العيون : إذا أنت لم تقصر .

(٣) في ١ : وصاحباً .

(٤) نسبت هذه الأبيات في عيون الأخبار ٢/٢٨٩ إلى عميد بن وهيب ، ونسبت في معجم الشعراء ٤٢٩ إلى محمد بن حازم الباهل ، ووردت بدون نسبة في العقد الفريد ٣/١٤ ، محاضرات الأدباء ١/١١٧ ،

(٥) في ١ : دني .

إذا ما رأسُ أهلِ البيتِ ولىَّ بدَا لهمُ من الناسِ الجفاءُ^(١)

ولآخر :

أباحسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى وللحلمِ أحيانا من الجهلِ أقبحُ
إذا كان حلمُ المرءِ عونُ عدوِّه عليه فإن الجهلَ أعنى وأروحُ
وفي العفوِ ضعفٌ والمقوبةِ قوةٌ إذا كنتَ تخشى كيدَ من عنه تصفحُ

وقال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهانُ أحدٌ علينا فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا^(٢)

قال آخر :

إذا نُهيَ السفيةُ جرى إليه وخالف السفيةُ إلى خلافِ

كان عبد الله بن عمر إذا سافر سافر معه بسفيه^(٣) ، ف قيل له في ذلك ، فقال : إن
جاءنا سفيهٌ ردّ عنا سفيهه ؛ لأننا لا ندرى ما تقابل به السفهاء .

وقال ابن المعتز :

ولكلِّ عقلٍ غفوةٌ أو سهوةٌ والحرصُ محتاجٌ إلى التنبيهِ

(١) ديوانه ٤٣٣ .

(٢) البيت في الجمهرة ٨٢ ، نهاية الأرب ٦٤/٣ .

(٣) في ١ : سفيه .

والعاقلُ النُّحريرُ محتاجٌ إلى أن يستمينَ بجاهلٍ مَعْتَوِهٍ^(١)

وقال آخر :

ولربما اعتضد الحليم بجاهلٍ لا خير في اليمنى بغير يسارٍ

وقال آخر :

وليس الحليمُ الذي كلَّ ساعةٍ به غضبٌ في أنفه بتوقدٍ

إذا أمِنَ^(٢) الجهَّالُ جهلك لم تزل عليك بوادي جهلهم تتوردُ

وإن عقاب^(٣) الجاهلين لذهاب بحلمك فانظر أي هاتين تعمِدُ

كان يقال : ليس الحليم من قذف فكظم ، ولكن من صدم فصبر .

قال البحترى :

أرى الحلم بُؤساً في المعيشة للفتى ولا عيش إلا ما حباك به الجهل^(٤)

وقال آخر :

قل ما بدالك من زورٍ ومن كذبٍ حلمي أصمٌ وأذني غيرُ صمٍّ

وقال آخر :

ولا خيرَ في عِرْضِ امرئٍ لا يصُونُهُ ولا خيرَ في حلمِ امرئٍ ذلَّ جانبه °

(١) في ١ : سهوة أو غفلة ، وانظرها في ديوانه ٢٥٤ .

(٢) ١ : أمر . (٣) ح : عفاف

(٤) البيت في الديوان ١٦٤ .

(٥) البيت في عيون الأخبار ٣/٢٢٩ .

وقال مروان بن الحكم :

إذا أمن الجهال جهلك مرةً فمرضك للجهال غنمٌ من الغنمِ
وإن أنت بأذيت السفية إذا بدا^(١) فأنت سفيةٌ مثله غير ذى حلم
فلا تقرضن عرض السفية وداره بحلم فإن أعياء عليك فبالصرم
ومن عاتب الجهال لم يشف غيظه ولكنه يزداد سُقمًا إلى سُقم^(٢)
فدع عنك فى كل الأمور عتابه فإنك إن عاتبته صار كالخصمِ
وغمٌ عليه الحلم والجهل وألقه بمنزلة بين العداوة والسلمِ
فيرجوك أحياناً ويخشاك تارةً ويأخذ فيما بين ذلك بالحزمِ
فإن لم تجد بداً من الجهل فاستعن عليه بجهالٍ فذاك من العزمِ

وقال أبو دهبيل الجمحى^(٣) :

وكانوا أناساً كنت آمنٌ غيبهم فلم ينههم حلم ولم يتخرجوا^(٤)

(١) فى ١ : وإن أنت جاريت السفية بجهله .

(٢) فى ١ : عاقب بدل عاتب ، وعلى بدل لى .

(٣) فى ١ : أبو دعبيل ، وفى ح : ابن ذيبا ، والصحيح ما أثبتناه كما فى م ، وأبو دهبيل هو : وهب ابن زمعة بن أسد القرشى ، من أشرف جمع بن لؤى بن غالب ، أحد شعراء العشق المشهورين ، وله مدائح فى معاوية وابن الزبير . انظر المؤلفات ١١٧ ، الشعر والشعراء ٢٣٥ (الأعلام ٩/١٤٩) .

(٤) انظر البيت فى عيون الأخبار ٢/٢٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ .

قال منصورُ الفقيه :

إذا رِشْوَةٌ من بابِ قومٍ تَقَحَّمتُ لتدخلَ فيه والأمانةُ فيه
سَمَتُ هرباً منه وَوَلَّتْ كأنها حليمٌ تنحى عن جوابِ سفيه^(١)

وقال آخر :

العفوُ عند لبیبِ القومِ مَكْرُمَةٌ وبعضه لسفيهِ الرَّأْيِ تَدْرِيبٌ^(٢)

(١) قى ٥ : عن جوار .

(٢) البيت في الحيوان ١٦/١ ، وفيه موعظة بدل مكرمة .

بابُ مدح الجود والكرم ، وذم البخل واللاؤم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والشح ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَّعُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبَخْلِ فَبَخَلُوا ، وبالفجور فَفَجَّرُوا » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا ثلاثُ صلَحَ النَّاسُ : شحٌّ مطاعٌ ، وهوى متَّبَعٌ ، وإعجابُ المرءِ بنفسه » .

قال الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي خُطْبَةٍ خُطِبَهَا بِالْبَصْرَةِ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ يَوْمًا بِعِمَامَتِي مِنْ وَرَائِي فَقَالَ : « يَا زُبَيْرُ ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ ^(١) ، وَلَا تُوكِئْ ^(٢) فَيُوكَأَ عَلَيْكَ . أَوْسِعْ يُوسَعْ عَلَيْكَ ، وَلَا تُضَيِّقْ فَيُضَيِّقُ عَلَيْكَ . وَاعْلَمْ يَا زُبَيْرُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْإِنْفَاقَ وَلَا يُحِبُّ الْإِقْتَارَ ، وَيُحِبُّ السَّاحَةَ وَلَوْ عَلَى فُلْقِ تَمْرَةٍ ، وَيُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ ^(٣) حِيَةٍ أَوْ عَقْرَبٍ ، وَاعْلَمْ يَا زُبَيْرُ أَنَّ اللَّهَ كُنُوزُ ^(٤) أَمْوَالِ سَوَى الْأَرْزَاقِ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَ الْعِبَادِ ،

(١) ساقطة من أ .

(٢) توكئ : تبخل .

(٣) ساقطة من أ .

(٤) في ج : فضول ؛

محتبسة عنده لا يعطى أحداً منها شيئاً إلا من سأله من فضله ، فاسألوا الله من فضله . » .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : البخل جلاباب المسكنة ، وربما دخل السحى بسخائه الجنة .

قال : ومن البخل ترك حق قد وجب لخوف^١ شيء لم يقع .
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أقبلوا الكرام عثراتهم »
 ويروى . « أقبلوا ذوى الهبات زلاتهم » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « المؤمن كريم ، والفاجر لثيم » .

قال جعفر بن محمد : قال الله عز وجل : أنا جواد كريم ، لا يجاورني في جنتي لثيم .

قيل للأحنف : ما الجود ؟ قال : بذل القرى^(٢) ، وكف الأذى . قيل : فما البخل ؟ قال : طلب اليسير ومنع الحقير . وقد روى هذا من كلام أكثم بن صيفي والله أعلم .

سئل الخليل بن أحمد عن الجود ، فقال : بذل الموجود .

(١) في ح : ترك شيء قد وجب خوف .. الخ .

(٢) في ١ : الندى .

قال بعض الحكماء : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

قال أحمد بن أبي دُوَاد : من نال دنيا فلم يرفع وليًا ، ولا وضع عدوًّا فليس بكريم .

قال شُعَيْبُ بن حَرْب : ليس السخى من أخذ المال من غير حله فبذره ، وإنما السخى من عَرِض عليه ذلك المال فتركه ، أو جمع من حق وَوَضَعَ في حق^(١) .

كان زيادُ بن أبيه يقول : من منع ماله سُبُل الحمد أورثه من لا يحمد .

قال إبراهيمُ بن أبي عُبَلة^(٢) : سمعت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز ، تقول : أف للبخل ! والله لو كان طريقًا ما سلكته ، ولو كان^(٣) ثوبًا طريفًا^(٤) ما لبسته .

قال معاوية بن أبي سفيان لأبي مسلم الخولاني^(٥) : إنكم معشر العباد فيكم النكاح والحدة والسماح . قال : أما النكاح فإننا لا نعدل عن أهلينا ، وأما الحدة

(١) يأتي هذا الخبر في بعد الحديث الأول مباشرة .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) إبراهيم بن (أبي عبلة) شمر بن يقطان بن عبد الله المرتحل الرملي وقيل الدمشقي ، من رجال الحديث الثقات ، ونقل ابن حجر عن ابن عبد البر في التمهيد أن ابن أبي عبلة كان ثقة فاضلا ، له أدب ومعرفة ، وكان يقول الشعر الحسن . توفي إبراهيم سنة ١٥٢ هـ ، تهذيب التهذيب ١/١٤٢ ، ١٤٣ .

(٤) هو عبد الله بن ثوب الخولاني ، أبو مسام ، تابعي فقيه زاهد عابد ، أسلم قبل وفاة الرسول ولم يره ، وكان يقال : أبو مسلم حكيم هذه الأمة ، توفي بدمشق سنة ٦٢ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٢/٢٣٥ .

فإن قلوبنا ملئت خيراً فلا موضع فيها للشر ، وأما السَّاحُ فبحسن الظن منا بالخلف من الله تعالى .

قال سفيان بن عيينة : ما استقصى كريمٌ قط ، ألم تسمع إلى قول الله تعالى :
(عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) ^(١) .

قال أسماء بن خارجة ^(٢) : لو لم يَدْخُلْ على البخلاء في بُخلهم إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان ذلك عظيماً .

قال زهير :
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَنَ عَنْهُ وَيُذَمُّ ^(٣)

وقال محمد بن يسير :
كم مانع نفسه لذاتها حذراً للفقر ليس له من ماله ذُخْرُ
إن كان إمساكه للفقر يحذرُهُ فقد تمجَّلَ فقراً قبل يفتقرُ

وقال آخر :
ما أعلم الناس أن الجود مدفعٌ للبُخل لكنه يأتي على النَّسَبِ

(١) سورة التَّحْرِيم ، الآية ٣ .

(٢) ابن حصن بن حذيفة الفزارى ، تابعى من رجال الطبقة الأولى في الحديث ، من أهل الكوفة ،

وكان سيد قومه مقدما عند الخلفاء ، مات سنة ٦٦ هـ . انظر تاريخ الإسلام ٣٧٢/١ ، النجوم الزاهرة ١٧٩/١ (الأعلام ٢٩٩/١) .

(٣) شرح ديوان زهير ٣٠ .

وقال ابن مطير الأسدي (١) :

وما الجودُ عن فقرِ الرجال ولا الغنى ولكنه خيمُ الرجال وخيرها (٢)

وقال آخر :

إني امرؤٌ أجزي الكريمِ بؤده وأصدُّ عن وصل اللئيم وأقطعُ

وقال منصور الفقيه :

جهلوا القياسَ للطفه فتوهموا أن البخیلَ وكلبه مثلاًن

والكلبُ يحفظُ أهله ويقيمهم ويكفُّ طارقهم عن المدوان

والنذلُ يوحشُ أهله ويُجيههم ويحضُّ ناصرهم على الخذلان

فها ومن جعل الكلاب أعزة والباخلين أذلةً ضِدَّان (٣)

قال أردشير : احذروا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع ، واعلموا أن
لكرام أصبر نفوساً ، واللئام أصبر أجساماً .

قال الشاعر :

إنَّ ذا اللؤمِ إذا أكرمتَه حسب الإكرام حقاً لزِمَكْ

(١) ساقطة من ١ ، وابن مطير هو الحسين بن مطير الأسدي ، مولاهم ، شاعر متقدم في القصيدة والرجز ،
وفد على معن بن زائدة حين ولي اليمن فمدحه ثم رثاه حين مات ، توفي ابن مطير سنة ١٦٩ هـ . انظر معجم الأدباء
٩٧/٤ ، فوات الوفيات ٤٤/١ ، (الأعلام ٢/٤٨٥) .

(٢) الحيم : الطبيعة والسجية .

(٣) في ج : والباخلان أذلة صنوان .

وأخا الفضل إذا أكرمته لم يُصغرك ولكن عظمك

قال أبو الطيب المتنبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا^(١)

وقال آخر :

أراك تُؤمِّلُ حسن الشَّنا ء ولم يرزق الله ذاك البغيلا

وقال آخر :

تريدن أن أرضى وأنت بخيلة ومن ذا الذي يرضى الأخلاء بالبخل^(٢)

وقال آخر :

ندبْتُكُمْ^(٣) لِنَفْعِي أَنْ قَدَرْتُمْ فلم أرفيكم حرًّا كريماً
ومالي عنـدكم ذنبٌ أراه سوى أنى عرفتكم قديماً

وقال زيد بن عمرو النخعي :

لقد كذب المعاشيرُ حين قالوا عليٌّ والمُخَارِقُ سَيِّدانِ
هما حِجرانِ من جيل^(٤) صُلُودِ إذا قيل أرشعا لا يرشعانِ

(١) ديوانه ٣٦١ .

(٢) البيت في عيون الأخبار ١٠٩/٣ من غير نسبة .

(٣) في ح : فديتكم .

(٤) في ١ : من حجر .

فلولا البخلُ إن البخلَ عارٌ أبا عمرو إذا أعجبتماني

وقال ابن أبي فتن^(١) :

وإن أحقَّ الناسَ باللَّومِ شاعرٌ يلوّمُ على البخلِ الرجالَ ويبخلُ

قال الخطيئة^(٢) :

سُئلت فلم تبخلْ ولم تُعْطِ طائلاً فسيّانَ لاذمٌ عليك ولا حمدُ

وقال منصور الفقيه :

زادُ البخلِ إذا مضى لسبيله ذمُّ المِدا وقطيعةُ الوراثِ

وأخو السّماح فخطه من أهله ومن الغريب مدائحٌ ومَراثِ

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أما رَغيفُ بنِ السَّليّ لَ مِنْ حَمَامَاتِ الْحَرَمِ

ما إن يُحَسُّ ولا يُمَسُّ (م) وَلَا يُذَاقُ وَلَا يُشَمُّ

فإذا نزلتَ بـدارمِ فأنزلْ بِشِدْقِ مُلْتَشَمِ

حتى تَمِيشَ مُسَلِّماً يا من يَعيدشُ بغيرِ فَمِ

(١) هو أحمد بن صالح (أبو فتن) ، شاعر مجود نقي اللفظ ، أكثر من مدح الفتح بن خاقان ، انظر في ترجمته تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ ، زهر الآداب ٦٢/٤ ، وانظر البيت في العقد ٤٦/٢ .

(٢) لم أعر على البيت في ديوانه ، وانظره في محاضرات الأدباء ١٤٨/١ بدون نسبة .

ولنصور الفقيه أيضاً :

إذا تَفَدَّوْا رُبَطُوا قِطْعُهُمْ بَخْلًا بِمَا تَطْرَحُهُ الْمَائِدَةُ
ما عرضت قِطْعًا لَهُمْ تَخْمَةً وَلَا تَشْكُرُوا مَعِدَّةً فَاسِدَةً^(١)

قال الحسن بن هانئ^(٢) :

وباخلِ جِئْتُهُ فَقَدِمَ لِي كِسْرَةَ خَبْزٍ وَعَيْنُهُ عَبْرَى
فَقَالَ مَا تَشْتَهِي فَقُلْتُ لَهُ قِطْعَةً جُبْنٍ وَكِسْرَةَ أُخْرَى

وله أيضاً^(٣) :

على خَبْزِ إِسْمَاعِيلَ وَاقِيَةُ الْبُخْلِ فَقَدْ حَلَّ فِي دَارِ الْأَمَانِ مِنَ الْأَكْلِ
وما خَبَزُهُ إِلَّا كَأَوَى يُرَى ابْنُهُ^(٤) وَلَمْ يُرَ آوَى فِي الْحَزُونِ وَلَا السَّهْلِ
وما خَبَزُهُ إِلَّا كَعَنْقَاءٍ مُغْرِبٍ^(٥) تُصَوِّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ وَفِي الْمُثَلِ
يُحَدِّثُ عَنْهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَوْا^(٦) سِوَى صُورَةٍ مَا إِنْ تَمِرُّ وَلَا تَحْلِي

(١) في ح : المدة الفاسدة .

(٢) ديوانه ١٧١ .

(٣) الأبيات قالها في هجاء إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ، انظر ديوانه ١٧١ ، وانظر هامش الحيوان

١٢٩/٣ ، ١٣٠ .

(٤) يطلق على الثعلب : ابن آوى ، ولكن آوى نفسه لا وجود له .

(٥) عنقاء مغرب طائر معروف الاسم لا الجسم .

(٦) في ديوانه : من غير رؤية .

وما خبزه إلا كليب بن وائل
 وإذ هو لا يستب خصمان عنده
 ليالى يحمى^(١) عزه منبت البقل
 ولا الصوت مرفوع بجد ولا هزل
 فإن خبر إسماعيل حل به الذى
 أصاب كليباً لم يكن ذاك عن بذل
 ولكن قضاء لبس استطاع دفعه^(٢)
 بحيلة ذى ذهن ولا فكر ذى عقل

قلت^(٣) : أراد بقوله : وإذ هو لا يستب خصمان عنده قول مهمل :
 أودى الخيار من المعاشر كلهم

واستب بعدك يا كليب المجلس
 وتنازعوا فى أمر كل عزيمة
 لو قد تكون شهدتهم لم يذبسوا^(٤)

وكليب هذا هو الذى أراده النابغة الجعدي بقوله :

كليب لعمري كان أكثر ناصراً
 وأيسر جرماً منك ضرج بالدم^(٥)

قال عبيد الله بن عكرّاش ، وىروى لأبى يعقوب الخريمى :

وإني لأرثي للكريم إذا غداً
 على طمع عند اللئيم يطالبه

(١) فى ديوانه : ومن كان يحمى .

(٢) فى ديوانه : رده .

(٣) فى ١ ، ٢ : قال أبو عمر .

(٤) ورد البيتان فى الكامل ١٨٦/١ ، أمالى القالى ٩٥/١ ، حماسة أبى تمام ٣٩١/١ ، الحيوان ١٢٨/٣ ،
 والعقد الفريد ٢٩٨/٣ . ورواية الحماسة والأمالى للبيت الأول : نبث أن النار بعدك أوقدت ، وفى الكامل
 والعقد : ذهب الخيار . والرواية للبيت الثانى فى الكامل والعقد : وتناولوا بدل تنازعوا ، و . . . لو كنت
 حاضر أمرهم . وفى الحماسة والأمالى تسلموا بدل تنازعوا . و . . . لو كنت شاهدهم بها . وانفقت رواية الحيوان
 مع الأصل .

(٥) البيت فى معجم الشعراء ٣٢١ ، العقد الفريد ٢١٥/٥ ، الحيوان ٣٢٢/١ ، التمهيل والمحاضرة ٦٢ ،

وىروى : ذنباً بدل جرماً .

وأرثي له من وقفةٍ عند بابه كمرّ ثبتي للطرف والعاج راكبه^(١)

وقال جرير :

إنّ الكريمة ينصر الكرم ابنها وابن الأئمة للثام نصور^(٢)

^(٣) وقال آخر :

إن من عضت الكلاب عصاه ثم أشرى فمعجز أن يحودا^(٣)

وقال منصور الفقيه :

قلّ للكرام اغرّفوا حقّ للثام لكم
لولا اللثام لما عُدّوا الكرام ولا
لكنهم جنحوا للنقص فانتقصوا
جادوا فسادوا وضنّ الآخرون فما
قد ساء ظني بما قد كنت أحمده
تدارسوا البخل حتى دقّ مذهبهم
فاستعقلوا كل من أصفى لبخلهم
إنّ اللثام لهم عند الكرام يد
بأنوا بفضل إذا ما حصل المدد
وزاد غيرهم فضلاً بما اعتقدوا
يغدو على والد من لؤمه ولد
لما رأيت جميع الناس قد فسدوا
فيه ودانوا بإخلاف الذي وعدوا
واستجملوا كل من وصى بما يجد

(١) البيتان في عيون الأخبار ٨٩/١ ، البيان ٣/ ١٨٥ وفيه : على حاجة بدل طمع . والطرف :

الجواد الكريم .

(٢) ديوان جرير ٣٠١ ، وفي ١ : ابن الكريمة .

(٣) ساقط من ١ .

فَصَارَ لِلْبَخْلِ حَقُّ الْجُودِ يَدْنَهُمْ وَالزُّمُورَ الْجُودَ عَارَ الْبَخْلِ لَا رَشْدُوا

وقال آخر :

فَإِنْ سَمِعْتَ بِهَيْلِكَ لِلْبَخِيلِ فَقُلْ بَعْدًا وَسُحْقًا لَهُ مِنْ هَالِكِ مُودِي^(١)

قال محمود الوراق :

إِذَا أَعْطَاكَ قَتْرٌ^(٢) حِينَ يُعْطَى وَإِنْ لَمْ يُعْطِ قَالَ أَبَى الْقَضَاءُ
يُبْخَلُ رَبَّهُ سَذَفًا وَظُلْمًا وَيَعْذِرُ نَفْسَهُ فِيمَا يَشَاءُ
تَنْقَلَّ عَنْ فَعَالٍ الْخَيْرِ جَهْلًا مَخَافَةَ أَنْ يَضُرَّ بِهِ الْعَنَاءُ

وقال الحسن بن هانئ^(٣) :

رَأَيْتُ الْفَضْلَ مَتَكَّنًا يُنَاقِي الْخَبَرَ وَالسَّمَكَا^(٤)
فَقَطَّبَ حِينَ أَبْصَرَنِي وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَبَكَى^(٥)

(١) البيت في الحيوان ٥٠/٣ من غير نسبة .

(٢) الأبيات في محاضرات الأدباء ٢٩٠/١ ، وفيها : قصر بدل قتر .

(٣) وردت الأبيات في ديوانه ١٨٦ ، وكذلك وردت في ديوان أبي العتاهية ١٨١ ، والصحيح الأشهر

أنها لأبي نواس .

(٤) في ديوان أبي العتاهية : يناغي البحر .

(٥) رواية البيت في ديوان أبي نواس :

فأسبل دمه لـ رأني قادما وبكى

وفي ديوان أبي العتاهية :

فأرسل عينه لما رأني مقبلا وبكى

فلما أن حلفت له بأنى صائمٌ ضحكاً

ولمنصور الفقيه أيضاً :

أتيتُ عمرًا سحرًا فقال : إني صائمٌ

فقلت : إني قاعدٌ فقال : إني قائمٌ

فقلت : آتيك غداً فقال : صومي دأماً

قال جَحْظَةُ^(١) :

دخلتُ على باخلٍ بالطعام فأت من الخوفِ لما دخلتُ

فقلتُ له : لا يرُعك الدُخُولُ فما جئتُ بيتك حتى أكلتُ

وقال أبو نواس :

أبو نُوحٍ دخلتُ عليه يوماً^(٢) ففدّاني برائحة الطعام

فكان كمن سقى الظمانَ آلاً وكنت كمن تغدّى في المنام^(٣)

وقال منصور الفقيه :

إن لم يُصِيبَكَ من الكرمِ الحرُّ وابله فطله

(١) جَحْظَةُ هو أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي ، من بقايا البرامكة ، كان في عيذه تنوء فلقبه ابن المعتز بجَحْظَةُ ، وكان جَحْظَةُ مليح الشعر ، حاضر النادرة ، عارفاً بالموسيقى ، توفي سنة ٢٢٤ هـ ، انظر معجم الأدباء ١/ ٣٨٣ ، تاريخ بغداد ٤/ ٦٥ (الأعلام ١/ ١٠٣) .

(٢) في ١ : نزلت وسقطت منها كلمة يوماً .

(٣) لم أعثر على البيتين في الديوان ، وهما في عيون الأخبار ٣/ ٢٦٤ ، ووردا في العقد الفريد ٦/ ١٨٧

من غير نسبة .

إن الكريم له على معروفه نفس تدله
يُبْدِي مكارمه كما يُبْدِي فِرْنَدَ السَّيْفِ صَقْلَه

قال آخر:

وإن جُمِعَ الآفاتُ فالْبُخْلُ شرُّها وشرُّ من البُخْلِ المَواعيدُ وَالْمَطْلُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

إذا كان في بخله مُحْكَمًا وحلَّ من المجد أعلى الدَّرَجِ
وَجَاءَكَ يَخْطُبُ زَنْجِيَّةً مُشَوَّهَةً الْخَلْقِ فِيهَا هَوَجُ
فلا تحفلنَّ به خاطبًا ولا تفرحنَّ ولا تبدتهج
وإن كان سَمَحًا جَمِيلَ الْفَعَالِ كَرِيمًا جَوَادًا فَإِنَّ الْحَرَجُ
وإن القطيعةَ في صَرْفِهِ وَلَوْ جَاءَ يَخْطُبُ أَحَدَى الْمُهْجِ
بغيرِ صَدَاقٍ لِإِعْسَارِهِ وَمَا عُسْرُ مَنْتَظَرٍ لِلْفَرَجِ

قال حماد عَجْرَد ، وتروى للعتابي^(٢) :

إن الكريمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَقِي تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مُجْهُودٌ^(٣)

(١) البيت في العقد ٢٥٢/٢

(٢) نسبت الأبيات لحماذ في عيون الأخبار ١٧٨/٣ ، العقد الفريد ٢٧٤/١ ، ١٩٤/٦ ، ونسبت للعتابي في أمالي القالي ١٣٥/٢ ، وتعقبه البكري في التنبيه ١٠٧ فذكر أن الأبيات لبشار وليست للعتابي ، وقد وردت الأبيات في ديوان بشار ٢٣٦/٢ كما وردت في ترجمة بشار في الأغاني ٣٠٢/١ .

(٣) رواية العقد في الجزء الأول لهذا البيت موافقة لما هنا ، وفي الجزء السادس أورده بهذه الرواية :

إن الكريم تَرَى فِي النَّاسِ عَفْهَ حَقِي يَقَالُ غَنِيٌّ وَهُوَ مُجْهُودٌ

وللبخيلِ على أموالِهِ عِلَالٌ زُرُقُ العُيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودٌ
 إِذَا تَكَرَّهْتَ أَنْ تَعْطِيَ الْقَلِيلَ^(١) وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
 أَوْرُقُ بَخِيرٍ تُرَجَّى لِلنَّوَالِ فَمَا تُرْجَى الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْعُودُ
 بُتُّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قَلَّتُهُ فَكُلُّ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ

وقال منصور الفقيه :

ما بالبخيل انتفاعٌ والكلب ينفع أهله
 فزّه الكلب عن أن ترى أبا الكلب مثله

أخبرنا عبدالوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أبو عيسى ، قال : أنشدني

ابن المعلم لعل بن الجهم :

وَإِذَا الْكَرِيمُ أَتَيْتَهُ بِخَدِيعَةٍ أَلْفَيْتَهُ فِيمَا تَرُومُ يُسَارِعُ
 لَيْسَ الْكَرِيمُ كَمَا ظَنَنْتَ بِجَاهِلٍ إِنْ الْكَرِيمَ لِفَضْلِهِ يَتَخَادَعُ^(٢)

قال آخر :

لَا تَطْلُبْنِ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةٍ وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ

(١) في الأمل : إِذَا تَكَرَّهْتَ عَنْ بَذْلِ .

(٢) ديوانه ١٣٢ .

يا خادعَ البُخلَاءِ عن أموالهم هَيَّاتَ تَضْرِبُ في حديدٍ باردٍ^(١)
قال آخر :

طعامُهُ النَّجْمُ لمن رَامَهُ وخِزْهُ أَبْعَدُ مِنْ أَمْسِهِ
كَأَنَّهُ في جوفِ مِرْآتِهِ يَرَى ولا يُطْمَعُ في لَمْسِهِ

قال آخر :

إن كنتَ تَطْمَعُ في كلامِهِ فارْفَعْ يَمِينَكَ عن طَعَامِهِ
سَيَّانَ كَسْرُ رَغِيفِهِ أَوْ كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ^(٢)

وقال دِغْبَلُ بنِ عَلِي الخَزَاعِي :

لَئِنْ كُنْتَ لَا تُؤَلِي يَدًا دُونَ إِمْرَةٍ فَلَسْتَ بِمُولٍ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ
وَأَيُّ جَوَادٍ لَمْ يَجُذْ في مَلَمَةٍ وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنِلْ سَاعَةَ الْوَفْرِ^(٣)

وقال منصور الفقيه :

راجي البخيلِ وَضِيعٌ كما البخيلُ وَضِيعٌ

(١) البيتان في عيون الأخبار ٣/١٣٥ .

(٢) ورد البيتان بنفس الرواية في العقد الفريد ٦/١٩١ ، محاضرات الأدباء ١/٣١٦ ، ووردا على خلاف هذا الترتيب في عيون الأخبار ٢/٢٧ ، وفيها : لا تمكسرن رغيفه إن كنت الخ . وقد نسب البيتان في المحاضرات لليزیدی النحوي وكذلك في وفيات الأعيان ٥/٢٣٥ .

(٣) ديوانه ٧٤ .

وما يقول سوى ذا في ذنٍ إلا رقيع

للعززي ويروي لأبي الأسود الدؤلي :

وإذا طلبت إلى كريم حاجةً فلقاؤه يكفيك والتسليم
وإذا طلبت إلى لئيم حاجة فألح في رفقٍ وأنت مديم^(١)

وقال آخر :

إذا مسست قوماً فاجعل الودَّ بينهم وبينك تأمن كل ما تتخوف
فإن خفت من أهواء قومٍ تشئتُما فبالجود فاجمع بينهم يتألفوا
فإن كشفت عنك الملمات عورةً كفاك غطاء الجود ما يتكشف^(٢)

قال ابن شهاب : الكريم لا تبخله التجارب . ويروي عنه أنه قال : إن الكريم لا تحكمه التجارب .

وسئل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن البخل ، فقال : هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلقاً ، وما أمسكه شرفاً .

قال طاووس : البخل أن يبخل الإنسان بما في يديه ، والشح أن يشح بما^(٣)

(١) سبق البيتان في ص ٣٢٢ .

(٢) الأبيات في أمالي القالي ١/ ٢٣٩ ، منسوبة إلى أعرابي قالها للنعمان بمناسبة توليته الملك .

(٣) ح : على ما فهم .

في أيدي الناس ، ويجب أن يكون له ما في أيديهم بالحل والحرام ولا يقنع

وقال أبو القتاهية^(١) :

وإن امرءا لم يربح الناس نفقه ولم يأمنوا منه الأذى للثيم

وإن امرءا لم يجعل البر كنزه وإن كانت الدنيا له لعميم

باب المروءة والفتوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حَسَبُ الْمُؤْمِنِ دِينُهُ ، وَكَرَمُهُ تَقْوَاهُ ، وَمُرُوءَتُهُ عَقْلُهُ » . ويروى نحوه هذا من كلام عمر أيضاً .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال لرجل من ثقيف : « ما المروءة قال : الصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة ، وسخاء النفس ، وصلة الرحم . فقال عليه السلام : « هكذا هي عندنا »^(١) .

تَذَاكَرُوا المروءة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكثرُوا فيها ، فقال : « أَمَّا مَرُوءَتُنَا فَأَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمْنَا ، وَنُعْطِيَ مَنْ حَرَمْنَا ، وَنَصِلَ مَنْ قَطَعْنَا » .

قال منصور الفقيه :

أَعْلَنَ وَهَبُ كَرَمِهِ	فِي وَصْلِهِ مِنْ صَرَمِهِ
وَعَفْوِهِ عَنْ كُلِّ مَنْ	أَسْخَطَهُ أَوْ ظَلَمَهُ
وَبِرِّهِ	بِنَفْسِهِ
فَمَا يَرَاهُ مُعْظَمٌ	لِلْحَقِّ إِلَّا أَعْظَمَهُ

(١) ساقط من ح .

(٢) ١ : حرمه .

أُبْقِيَ عَلَيْهِ اللَّهُ — مَا أَبْقَاهُ فِينَا — نِعْمَةٌ
وَزَادَ فِيهَا عِنْدَهُ وَحَاطَهُ وَسَلَّمَهُ

(١) من حديث عطاء عن ابن عباس ، قال : رُفِعَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَجُلٌ فِي جُرْمٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَمَاقِبَهُ ، فَأُخْبِرَ أَنَّ لَهُ مَرُوءَةً ، فَقَالَ : اسْتَوْهَبُوهُ مِنْ صَاحِبِهِ (١) .

سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، عَنِ الْمَرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالنَّجْدَةِ . فَقَالَ : أَمَّا الْمَرُوءَةُ : فَحِفْظُ الرَّجُلِ نَفْسِهِ ، وَإِحْرَازُهُ دِينَهُ ، وَحَسَنُ قِيَامِهِ بِصُنْعَتِهِ (٢) ، وَحَسَنُ الْمَنَازَعَةِ ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ . وَأَمَّا الْكَرَمُ : فَالتَّبَرُّعُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالْإِعْطَاءُ قَبْلَ السُّؤَالِ ، وَالْإِطَامَةُ فِي الْمَحَلِّ . وَأَمَّا النَّجْدَةُ : فَالذَّبُّ عَنِ الْجَارِ ، وَالصَّبْرُ فِي الْمَوَاطِنِ ، وَالْإِقْدَامُ عَلَى الْكَرِيهِةِ .

[وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى ، أَنَّ مَعَاوِيَةَ قَالَ فِي مَجْلِسِهِ يَوْمًا لِمَنْ حَضَرَهُ : مَنْ يُخْبِرُنِي عَنِ الْمَرُوءَةِ وَالْجُودِ وَالنَّجْدَةِ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَاشِمٍ بْنُ عَتَبَةَ (٣) ، وَكَانَ بَعْدَ عَفْوِهِ عَنْهُ يُحَضِّرُ مَجْلِسَهُ : قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! أَمَّا الْمَرُوءَةُ فَالْصَّلَاحُ فِي الدِّينِ ، وَالْإِصْلَاحُ

(١) ساقط من أ .

(٢) أ : وضعته .

(٣) الصحيح أنه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص أبي المرقال ، وليس عبد الله بن هاشم بن عتبة كما صحح ذلك ابن حجر في الإصابة ، وهاشم هو ابن أخي سعد بن أبي وقاص ، أسلم يوم الفتح وشهد مع منه حرب الفرس بالقادسية وله بها آثار مذكورة ، ثم كان على الرجالة في صفين مع علي ، والصحيح أنه قتل بها سنة ٣٧ ولم يجالس معاوية ، انظر الإصابة الترجمة ٨٩١٣ ، وقعة صفين ١٢٥ ، الأعلام ٤٩/٩ .

في المال ، والمحاماة عن العجار . وأما النجدة فالجراحة على الإقدام ، والصبر عند ازورار
الأقدام^(١) .

قال طلحة بن عبيد الله^(٢) : جلوس الرجل بيا به من المروءة ، وليس من المروءة^(١)
حمل الكيس في الكم .

سئل الأحنف عن المروءة ، فقال : التفقه في الدين ، وبرُّ الوالدين ، والصبرُ
على النوائب .

ويروى عن الأحنف أيضاً أنه قال : لا مروءة لكاذوب ، ولا أخ لملول ،
ولا سُودَدَ لسيِّء الخلق .

سئل ابن شهاب الزهري عن المروءة ، فقال : اجتناب الرِّيب ، وإصلاح المال ،
والقيام بمحوائج الأهل .

سئل إياس بن معاوية عن المروءة ، فقال : أما حيث تُعرف فالتقوى ، وأما
حيث لا تعرف فاللباس .

وقال الزهري أيضاً : الفصاحة من المروءة .

قال إبراهيم النخعي : ليس من المروءة كثرة الالتفات في الطريق .

(١) ساقط من أ .

(٢) طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي ، أحد العمرة المؤدبين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب
الشورى ، وكان يقال له طلحة الجود ، قتل يوم الجمل وهو بجانب عائشة سنة ٣٦ هـ ، ودفن بالبصرة ، انظر
المراجع السكتيرة عنه في هاشم الأعلام ٣/ ٣٣١ ، ٣٣٢ .

قال غيره : من كمال المروءة أن تصون عِرْضَكَ ، وتكرم إخوانك ، وتقبل في منزلك .

قال منصور الفقيه :

من فَارَقَ الصَّبْرَ وَالْمُرُوَّةَ أَمْكَنَ مِنْ نَفْسِهِ عَدُوَّةَ

قال ربيعة بن عبد الرحمن : للسفر مروءة ، وللحضر مروءة . فالمروءة في السفر : بذل الزاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله . والمروءة في الحضر : إيمان الاختلاف إلى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عز وجل .

وفي رواية أخرى عن ربيعة أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، فأما التي في السفر : فبذل الزاد ، وحسن الخلق ، ومداعبة الرفيق . وأما التي في الحضر ، فتلاوة القرآن ، ولزوم المساجد ، وعفاف الفرج .

قيل لبعض الحكماء : متى يجب لدى المروءة إخفاء نفسه وإظهارها ؟ قال : على قدر ما يرى من نفاق المروءة وكسادها .

كان يقال : صُنْ عقلك بالحلم ، ومروءتك بالعفاف ، ونجدتك بترك الحياء ، وجهدك بالإجمال في الطلب .

أخبرنا عيسى بن سعيد ، حدثنا مِقْسَم ، حدثنا أبو بكر محمد بن حمدان ،

حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ،
 عن عبد يزيد بن هشام بن عبد ^(١) المطلب بن عبد مناف ، قال : حدثني عمي عن
 إبراهيم بن محمد بن العباس ، قال : سمعتُ سفيانَ بن عيينة ، وقد سُئِلَ عن المروءة
 ما هي ؟ فقال : الإِنصافُ من نفسك ، والتفضلُ على غيرك ، أَلَمْ تَسْمَعْ قولَ الله تعالى :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ^(٢) لَا تَمُوتُ المروءةُ إِلَّا بهما ، العَدْلُ هو الإِنصافُ ،
 والإِحسانُ التفضل .

^(٣) روى عن الفضيل بن عياض رحمه الله ، أنه سئل عن الرجل الكامل التام المروءة
 فقال : الكامل من برّ والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه ،
 وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأتقى من فضله ، وحسن لسانه ، ولزم بيته .

قال الشاعر :

وَإِذَا الْفَتَى جَمَعَ الْمَرْوَةَ وَالْثَقَى وَحَوَى مَعَ الْأَدَبِ الْحَيَاءَ فَقَدْ كَمُلَ ^(٤)

قال رجل من بني قُرَيْع :

إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ الْمَرْوَةُ نَاشِئًا فَطَلَبَهَا كَهَلًا عَلَيْهِ شَدِيدٌ ^(٥)

قال جعفر بن محمد : لَا هَيْنَ لِمَنْ لَا مَرْوَةَ لَهُ .

(١) ساقطة من أ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) البيت في البيان ٢٧٠/١ ، المعقد الفريد ٤٣٥/٢ .

قال أحمد بن الممدّل : زعموا أن الأحنف بن قيس لم يُسمع له شعرٌ غير هذين
البيتين ، وهما :

فلو مُدَّ سَرَوِيٌّ^(١) بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجُدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِأَذِلَّ
فإنَّ المروءةَ لا تُسْتَطَاعُ إذا لم يكن مَالُهَا فَاضِلًا^(٢)

وقال آخر :

رُزِقْتُ لَبًّا ولم أَرْزُقْ مَرْوَةً وما المروءةُ إِلَّا كَثْرَةُ المَالِ
إذا أُرِدْتُ مُسَامَاةٌ تُقَعَّدُنِي عما يُنَوِّهُ بِاسْمِي رَقَّةُ الحَالِ^(٣)

^(٤) وقال منصور الفقيه :

كلُّ من فارق المروءة عاشا ونما وفره وزاد رياشا
وأخو الفضل والمروءة والدي نِ مِقْلٍ أُمُورُهُ تَتَلَشَّى^(٥)

وقال سفيان الثوري : من لم يَتَفَتَّيْ لم يُحَسِّنْ يَتَقَرَّ^(٦) .

ذكرت الفتوة عند سفيان رحمه الله ، فقال : لبست بالفسق ولا الفجور ،

(١) السرو : المروءة والشرف .

(٢) البيتان في البيان ١/١٨٤ ، وانظر الثاني في التمثيل والمحاضرة ٤٢٢ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٣/٢٣٩ ، البيان ٣/١٨٣ وفيه تقاعدني بدل تقعدني .

(٤) ساقط من > .

(٥) تفتي : فعل ما يفعله الفتيان من اللهو ، وتقرأ : تنسك ونورع .

ولكن الفتوة كما قال جعفر بن محمد : طعامٌ موضوع ، وحجابٌ مرفوع ، ونائل
مبذول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، وأذى^(١) مكفوف .

قال محمد بن داود : من كان ظريفاً فليكن عفيفاً ، وأنشد لابن هرمة^(٢) :

ولرب ليلةٍ لذةٍ قد نلتها وحرأماً بها بحلالها مَدْفُوعُ

وقال صريعُ الفَوَاني^(٣) :

وما ذمّي الأيامُ أن لستُ حامِداً لعهدٍ لياليٍ التي سَلَفَتْ قَبْلُ
ألا رب يومٍ صادقٍ المِيشِ نَلْتُهُ بها ونداماي العفافةُ والبذلُ

وقال منصور الفقيه :

فَضْلُ التَّقَى أَفْضَلُ مِنْ فَضْلِ اللِّسَانِ وَالْحَسَبِ
إِذَا هُمَا لَمْ يُجْمَعَا إِلَى الْعِفَافِ وَالْأَدَبِ

(١) في ١ : ولأذى .

(٢) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة السكناني القرشي ، شاعر غزل من سكان المدينة ، من مغضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، رحل إلى دمشق ومدح الوليد بن يزيد فأجازه ، ثم وفد على المنصور من بعد فلقى منه جفاء فاقطع إلى الطالبين ، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، توفي سنة ١٧٦ هـ . انظر تاريخ بغداد ٦/ ١٢٧ .

(٣) ساقطة من - وفي ١ زاد الناسخ بعد كلمة صريع : « الدلاء » ، على أساس أن البيت لصريع الدلاء « محمد بن عبد الواحد القصار » ، والواقع أن هذا خطأ ، فالبيت لصريع الفواني مسلم بن الوليد ، وهو في ديوانه ١٩١ .

وقال آخر :

وليس فتى الفتیان من راح واغتدى لشرب صبوح أو لشرب غبوق^(١)
ولكن فتى الفتیان من راح واغتدى لضرر عدو أو لنفع صديق^(٢)

وقال جحظة :

ألا يأهل بغداد جيمًا عصيتم في المروءة من براكم
تدمئون الزمان بغير جرم وما بزمانكم عيب سواكم

(١) الصبح : ما يهرب من الحر بالفداء فما دون القائلة ، والغبوق التي تشرب بالعشي .
(٢) البينان في عيون الأخبار ١٧٨/٣ ، العقد الفريد ١٧/٣ .

بابُ امتحانِ أخلاقِ الرِّجالِ

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الأرواحُ أجنادٌ مُجَنَّدَةٌ ، فما تعارفَ منها ائتلفَ ، وما تناكرَ منها اختلفَ » .

أخذه بعضُ الشعراء فقال :

إن القلوبَ لأجنادٌ مُجَنَّدَةٌ لله في الأرض بالأهواءِ تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهو مُختلفٌ^(١)

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الناسُ كإبلٍ مائة لا تكاد تجد فيها راحلةً » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « إن الأمير إذا تجسس على الناس أفسدهم » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « وجدت الناسَ أخْبَرُ تَقْلَهُ » . وقد روى هذا مرفوعاً عن أبي الدرداء .

وفي خبر آخر : « إن الناسَ سواسيةٌ كَأَسنانِ المُشطِ » .

(١) البيتان في العقد الفريد ٣٢٩/٢ ، وقد ورد البيت الأول هناك :

إن النفوسَ لأجنادٌ مُجَنَّدَةٌ بالإذن من ربنا تجري وتختلف

كان يقال : لا يزال الناس بخير ما تبأينوا ، فإذا تساؤوا هلكوا .

قال الشاعر :

سَوَاءٌ كَأْسَنَانِ الْحَمَارِ فَلَا تَرَى لَدَى شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيٍّ فَضْلًا^(١)

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الناسُ بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : خالطِ المؤمنَ بقلبك ، وخالطِ الفاجرَ بمُخْلَتِكَ .

كان يقال : يُمتحن الرجلُ فى ثلاثة أشياء : عند هَوَاهُ إذا هَوَى ، وعند غضبه إذا غضب ، وعند طمعه إذا طمع .

قال أبو عمرو بن العلاء : إذا أردتَ أن تعرف مالك عند صديقك فاعرف ما كان لصديقه قبلك عنده .

قال سفيان الثوري : إذا أردتَ أن تعرف مالك عند صديقك فأغضبه ، فإن أنصفك فى غضبه وإلا فاجتنبه .

قال الفضلُ بنُ عباس بن عُثْبَةَ بنِ أَبِي لَهَبٍ^(٢) :

إِذَا أُرِدْتَ وَدَادَ امْرِئٍ فَسَلْ كَيْفَ كَانَ لِإِخْوَانِهِ

(١) البيت لكثير عزة ديوانه ١٦٩/١ ، وقد ورد فى الحيوان ١٠٧/٦ والرواية فيه سواس بدل سواء .

(٢) من فصحاء بنى هاشم ، كان شديد السمرة وعرف لذلك بالأخضر وباللهي نسبة إلى أبى لهب ، فى شعره رقة ، مات فى خلافة الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٩٥ هـ المؤتلف والمختلف ٣٥ (الأعلام ٣٥٦/٥) .

فإِذَا رَضِيتَ فَأُحِبَّتَهُ وَإِذَا تَرَعَّبْتَ عَنْ شَأْنِهِ

قال الأحنف بن قيس : ما كشفتُ أحداً قط إلا وجدته دون ما كنت أظن
قال تأبط شراً :

لتقرعنَّ على السنِّ من ندم إذا تذكرت يوماً بعضَ أخلاقِ^(١)

وقال آخر :

إنَّ المودةَ بالتجاربِ قَضَتْ من النَّاسِ المآربِ
لم تتركْ لي صاحباً أصبُو إليه ولا أَعَاتِبُ
متفرداً بتوَحُّدي دونَ الأبعدِ والأقاربِ
ارغبْ إلى الله الذي يُعْطِي الجزيلَ من المواهبِ
بالله تتسعُ الفجا جُ إذا تضايقت المذاهبُ

كان سفيان الثوري يمثل بهذه الأبيات :

أبْلُ الرجالِ إذا أردت إخلاءَهُم وتوسمنُ أمورَهُم وتفقدِ
وإذا ظفرت بذي الأمانة والتقى فيه اليدينَ قريرَ عينٍ فاشددِ
ودع التذللَ والتخشعَ تبغى قربَ الذي إنْ تدنُّ منه يبعدِ^(٢)

(١) البيت في الشعر والشعراء ١٧٦ ، والحيوان ١/٦٣ ، التمثيل والمحاضرة ٥٩ .

(٢) نسبت الأبيات لعبد الله بن معاوية الجفري في حساسة البعثرى ٧٨ ، ونسبت في أمالي القالي للمعنع السكندی ، والرواية في حساسة البعثرى : أخا الغفافة والنهي بذي الأمانة والتقى ، وفي الأمالي : توسمني فاعلم بدل أمورهم ، وذو اللبابة بدل الأمانة .

وقال آخر:

أَهْلَكَنِي بَرِيَادٍ ثَقِيٍّ وَظُنُّونَ بَرِيَادٍ حَسَنَةً
لَيْسَ يَسْتَوْجِبُ شُكْرًا رَجُلٌ نَلْتُ خَيْرًا مِنْهُ مِنْ قَبْلِ سَنَةٍ^(١)

وقال يزيد بن محمد المهلب:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرَضَّى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُمَدَّ مَعَايِيهُ^(٢)

وقال آخر:

إِنَّ الرِّجَالَ إِذَا اخْتَبَرَتْ طِبَاعَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ شَتَّى عَلَى الْأَخْبَارِ
لَا تَعْجَلَنَّ إِلَى شَرِيمَةٍ مَوْرِدٍ حَتَّى تَبَيَّنَ صَفْحَةُ الْإِصْدَارِ^(٣)

وقال آخر:

اتْرُكْ مَكَاشِفَةَ الصَّدِيقِ إِذَا غَطَّى عَلَى هَفَوَاتِهِ سِتْرُ
وَتَحَافَ عَنْهُ بَلَا مُصَارَمَةٍ فَلْنَمِمْ صَائِنُ عِمْرَانِكَ الصَّبْرُ

وقال آخر:

لَا تَحْمِلَنَّ أَمْرًا حَتَّى تَجْرِبَهُ وَلَا تَذَمِّنْهُ مِنْ غَيْرِ تَجَرُّبٍ^(٤)

(١) البيتان في عيون الأخبار ١٦٥/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٠/١ .

(٢) البيت في محاضرات الأدباء ١٤٥/١ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ١٧٠/٣ وفيها خطة بدل صفحة .

(٤) نسب هذا البيت في حاسة البحتري ٣٦٩ لأنى الأسود الدؤلى ، ونسب في المؤلف ١٩٢ للناس

وقال محمود الوراق :

لا يفلبنك غالبُ الحرصِ واعلمْ بأنَّ الناسَ في نقصِ
والبس أخاك على تصنُّعه فلربَّ مُفتَضِحٍ على النصِّ
ما كدتُ أخص عن أخى ثقة إلا ذممتُ عواقبَ الفحصِ^(١)

وقال آخر :

إذا أنكرت أخلاق الصديق فلست من التَّحِيزِ في مَضِيقِ
طريقاً كنت تسلكه سليماً فأسْبَعَ فاجتنبه إلى طريقِ

وقال آخر :

لا تحمدنَّ امرئاً حتى تجربه فرُبَّما لم يوافق خبره خبره

وقال آخر :

إذا أنت لم تستقبل الأمر لم تجد لكفُّك في إدباره مُتعلِّقاً
إذا أنت لم تترك أخاك وزلة إذا زلها أوشكتما أن تفرقاً

قال آخر :

قد كنتُ أحمدُ أمرى فيك مُبتدئاً فقد ذممتُ الذى أحمَدْتُ فى صدري

(١) هذا البيت ساقط من ١ . وانظر الأبيات في نهاية الأرب ٨٥/٣ ، أمالي الفاي ١٣٨/٢ ، والثالث في

لتمثيل والمحاضرة ٨٥ .

فَاذْهَبْ فَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا شَكَّ أَوَّلُهُ حُلُوٌّ وَآخِرُهُ مُرٌّ عَلَى الْخَبَرِ

قال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : إِذَا أَحْبَبْتَ أَخًا فِي اللَّهِ ، فَلَا تُمَارِهِ وَلَا تُشَارِهِ ^(١) وَلَا تُسَلِّ عَنْهُ أَحَدًا ، فَلَرُبَّمَا أَخْبَرَكَ بِمَا لَيْسَ فِيهِ ، فَحَالَ يَبْنُوكَ وَبَيْنَهُ .

قال الشاعر :

أَرَدْتُ لَكِيمًا لَا تُرَى لِي زَلَّةٌ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطَى الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ ^(٢)

أَجْمَعُوا عَلَى الْقَوْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَفَرَّدَ بِالْكَمَالِ ، وَلَمْ يَبْرِ أَحَدًا مِنَ النِّقْصَانِ .

قال أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

إِذَا تَصَفَحْتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ تَلْفِ امْرَأَةً حَازَ الْكَمَالَ فَاكْتَفَى ^(١)

مَنْ لَكَ بِالْمَهْذَبِ النَّدْبُ الَّذِي لَا يَجِدُ الْعَيْبُ إِلَيْهِ مَخْطَأً

كَمْ مِنْ أَخٍ مَسْخُوطَةٍ أَخْلَاقُهُ أَصْفِيَّتُهُ الْوُدَّ لَخْلُقِ مُرْتَضَى ^(٢)

وقال النابغة الذبياني :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخًا لَا تَلْمُؤُهُ عَلَى شَعَثِ أَيْ الرِّجَالِ الْمَهْذَبِ ^(٣)

(١) الكلمة ساقطة من ح ، ومعنى لا تشاره لا تجادله ولا تعيبه .

(٢) البيت لثروان العبكي كما في أمالي القالي ٤٣/٢ .

(٣) انظر الأبيات في مقصورة ابن دريد ٥ .

(٤) البيت في ديوانه ١٤ .

وقال ابن وكيع :

من لم يكن مؤاخياً إلا الذي لا عيب فيه عاش فرداً في الورى

وقال آخر :

ما بالمنازل من ضيق ومن ضجر بل الطبايع منها الضيق والضجر

وقال آخر :

كل خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحته^(١)

كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة^(٢)

وقال آخر :

كل امرئ صائر يوماً لشيئته وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين^(٣)

وقال عباس بن الأحنف :

وما مرّ يومٌ أرتجى فيه راحة فأخبره إلا بكيت على أمس^(٤)

(١) الواحمة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

(٢) البيتان لطرفة بن العبد ، ديوانه ٤٣ ، ول الحيوان ٣/٣٠٥ وردت الرواية : وصاحب قد كنت صاحبه .

(٣) البيت لدى الإصبع المدواني ، وقد ورد في الكامل ١١/١ ، حماسة البهري ٣٥٨ ، عيون الأخبار ٦/٢ ، والمؤتلف ١١٨ ، والرواية فيها كلها : راجع بدل صائر .

(٤) ديوانه ٧٥ ، وقد نسب البيت للأحنف بن قيس في عيون الأخبار ٤/٢ .

وقال آخر :

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلق يابى دونه الخلق
ولا يواتيك فيما ناب من حدث إلا أخو ثقة فانظر بمن تشق^(١)

وقال زهير بن أبي سلمى :

ومهماتكن عند امرئ من خليفة وإن خالها تخفى على الناس تعلم^(٢)

وقال نصيب الأصغر ، مولى المهدي^(٣) :

إن البقاع إذا استسر بها الندى أنس النبات بها وطاب المربع
وإذا جهلت من امرئ أخلاقه وقديمه فانظر إلى ما يصنع^(٤)

وقال محمود الوراق :

ذمتك أولا حتى إذا ما بلوت سواك عاد اللوم حمدا
ولم أحمذك من خير ولكن رأيت سواك شرا منك جدا

(١) نسب البيتان لسالم بن وابصة الأسدي في الكامل ١١/١ ، البيان ٢٣٧/١ ، الحماسة لأبي تمام ٣٠١/١ ، الحيوان ١٢٨/٣ . ونسب الأول للمرجى في العقد ٣/٣ ، وللي في الإصبع العدواني في حماسة البصري ٢٥٩ ، عيون الأخبار ٦/٢ ، وقد اختلفت رواية البيت الأول في كل مرجع عنها في الآخر حتى ليصعب إيماتها هنا ، وإن كانت كلها تؤدي المعنى المقصود .

(٢) شرح ديوان زهير ٢٦ .

(٣) نصيب الأصغر : مولى المهدي ، وشاعر مجيد من الموالى السود ، من بادية اليمامة ، عرض على المهدي قبل أن يلي الخلافة فاستنشدته فأنشده من شعره فأعجب به فاشتراه ثم أعنته ، له مدائح كثيرة في المهدي والهادي وغيرهما ، توفي نحو سنة ٧٥ هـ انظر : فوات الوفيات ٣٠٧/٢ (الأعلام ٣٥٦/٨) .

(٤) انظرهما في وفيات الأعيان ٢٠٣/٣ ، ٤ وفيها : أعرافه بدل أخلاقه .

فعدتُ إليك محتملاً خليلاً لأنى لم أجدُ من ذاك بُدّاً
كجهودِ تحامى أكل مَيّتٍ فلما اضطرُّ عاد إليه شدّاً^(١)

وقال أيضاً :

لَمْ أَبْكِ مِنْ خُبْتِ خِلٍّ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ
وَلَمْ أَمِلْ عَنْ صَدِيقٍ لِلزُّهْدِ فِيمَا لَدَيْهِ
إِلَى سِوَاهُ فَأَبْلُو إِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ
كُلُّ أَمْرٍ مُسْتَبَدٍّ بِحِفْظِ مَا فِي يَدَيْهِ

ذكرنا بن مقسم ، حدثنا محمد بن يحيى النديم ، قال : حدثنا المبرد ، قال : كان بين عمارة بن حمزة وبين إسماعيل بن علي مودة ، ثم تنافرا . فكتب إليه عمارة :

سَأَتْرُكُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَاكِنًا فَإِنْ عُدْتَ عُدْنَا وَالْوَصَالُ سَلِيمٌ
وَلَوْ قَدْ خَبَرْتَ النَّاسَ حَقَّ اخْتِبَارِهِمْ رَجَعْتَ إِلَى وَصَلِي وَأَنْتَ ذَمِيمٌ^(٢)

أخبرنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : أنشدنا عيسى الأعمى ، قال أنشدنا ابن المعلم لملى بن الجهم :

النَّاسُ إِخْوَانُكَ حَتَّى إِذَا عَرَضْتَ لِلْإِخْوَانِ بِالذُّرِّهِمْ

(١) الأبيات في محاضرات الأدباء ١/١٥٠ ، وفيها : مختلاً ذليلاً بدل محتملاً خليلاً ، وتعاضل تحامى .

(٢) انظرهما في محاضرات الأدباء ٢/٥٠ .

سَاءَ كُ مَا سَرَّكَ مِنْ خُلُقِهِمْ وَصَرَتْ وَسْطَ الْحَلْقِ كَالْمَلْقَمِ^(١)

وقال آخر :

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا بِكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ^(٢)

وقال آخر :

لَمْ أَبْكْ مِنْ زَمَنِ لَمْ أَرْضَ خَلَّتَهُ إِلَّا بِكَيْتٍ عَلَيْهِ حِينَ يَنْصَرُمُ

وقال آخر :

مَتَى تَحْسَبُ صَدِيقَكَ لَمْ يَقِلُّوا وَإِنْ تَخْبِرُ يَقِلُّوا فِي الْحَسَابِ

وقال آخر :

وَنَعْتَبُ أَحْيَانًا عَلَيْهِ وَلَوْ مَضَى لَكُنَّا عَلَى الْبَاقِي مِنَ النَّاسِ أَعْتَبًا^(٣)

وقال آخر :

سَبَّكَ نَاهُ وَنَحْسَبُهُ لُجَيْنًا فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ^(٤)

(١) ديوانه ٢٠٦ .

(٢) ورد البيت منسوباً لنهار بن توسعة في عيون الأخبار ٤/٢ ، وورد في إعتاب الكتاب ١٧١ من

غير نسبة ، وفيه : عتبت على عمرو الخ . ونسب في المستطرف ٢٣٣/١ لابن عرارة السعدي في سلم بن زياد .

(٣) عيون الأخبار ٤/٢ .

(٤) عيون الأخبار ٤/٢ ، العقد الفريد ٤٥٥/٣ .

وقال آخر :

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه إلى النفس خيمها^(١)

وقال أبو دؤاد الإيادي :

إذا كنت مرتاد الرجال لنفهم فرش والتمس نفع الذي بهم تربي

وقال محمود الوراق :

أتم الناس أعرافهم بنقصه وأقمهم لشهوته وخصيه
فدان على السلامة من تداني ومن لم ترض صحبته فأقصيه
وخل الفحص ما استغنيت عنه فكم من جالب غيظا بفحصيه
ولا تستغل عافية بشيء ولا تسترخصن أذى لرخصيه

وقال آخر :

ارض من المرء في مودته بما يؤدى إليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا تصح منهم له سرايره^(٢)

(١) نسب هذا البيت في الكامل ١١/١ إلى أم الهيثم الكلابية ، وفيه : ومن يتخذ خيما سوى خيم نفسه ، ونسب إلى سليمان بن المهاجر في حماسة البحرى ٧٢ وفيه : ومن يبتدع ما ليس فيه سجية ، ونسب إلى حاتم في حماسة أبي تمام ٢١١/٢ ، كما نسب إلى كثير في عون الأخبار ٥/٢ ، وفيها : سوس نفسه بدلى خيم نفسه ، والسوس والحيم معناهما واحد وهو الطبيعة والأصل ، وانظره بالرواية التي هنا وبدون نسبة في العقد الفريد ٣/٣ .

(٢) نسب البيتان لابن حازم في العقد الفريد ٣١٢/٢ .

وقال آخر :

يكفيك من قومٍ شَوَاهِدُ أَمْرِهِمْ فخذُ عفوهمْ قبل امتِحَانِ السَّرَائِرِ
فإن امتحانَ القومِ يُوحِشُ يَنِينَهُمْ ومالك إلا ما ترى في الظواهرِ
وإنك إن كَشَفْتَ لم ترَ طائلا وأبدى لك التكشيفُ خُبثَ الضمائرِ

وقال آخر :

ولا خيرَ في ودِّ إذا لم يكنْ له على طولِ مرٍّ الحادثاتِ بَقَاءُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

إذا جَمَعَ الفتى حسبا ودينًا فلا تَمْدِدْ به أبدأ قرينًا
ولا تَسْمَحْ بحظك منه بل كنْ بحظك من مودّته ضنينا

وقال آخر :

لعمرك ما مال الفتى بذخيرةٍ ولكن إخوانَ الثقاتِ الذخائرُ^(٢)

وقال ابن الرومي :

إذا شئتَ تعرف أصلَ الفتى أجلْ لحظَ طرفِك في منظره
فإن لم يَبِنْ لك فانظرْ إلى أفاعيله فهي من جواهره

(١) البيت في البيان ١٨٤/٣ ، وفيه : ولا خير في فضل .

(٢) عيون الأخبار ١/٣ ، وقال أنشده ابن الأعرابي ، وانظره في العقد الفريد ٣٠٤/٢ ، وفيه : لإخوان

الصفاء بدل لإخوان الثقات .

فإن غابَ عنكَ بهذا وذا فلا تطلُبَنَّ سوى مُحَضَّرُهُ
فإن المحاضرَ سرَّ الرجال بها يُعرَف النَّذلُ من خَيْرِهِ
بلوتُ الرجالَ وأفعالهم فكلُّ يعودُ إلى عُصْرِهِ^(١)

وقال ربيعة الرقي :

إن اللئيمَ وإن خلتَهُ كريماً يذودك عن عُرفِهِ
ويرجعُ محصولُ أخلاقِهِ إلى أصلِهِ وإلى صِنْفِهِ^(٢)

(١) الأبيات في ديوانه ٧٢ .

(٢) البيتان في معجم الأدباء ١٦٢/٥ .

باب التودّد إلى النّاس

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « مداراةُ النّاسِ صدقة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أمرني ربي بمدارة الناس ونهاني عن ملاحاتهم »^(١) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس » .

وقد روى في خبرٍ مرفوع : « التودّد إلى النّاس نصفُ العقل ، وحُسنُ التّدير نصفُ المعيشة ، وما عَالَ من اقتصد » .

قال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه : إنّ مما يصفى لك وُدّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس .

قال بعضُ الحكماء : رأسُ المداراة ترك المماراة^(٢) .

وفي الحديث المرفوع : « إذا أحبّ الله عبداً أحبّه الناس » .

(١) الملاحاة : المشاقمة والسباب .

(٢) المماراة : الشك وسوء الظن . وفي ١ : المودات بعمل المداراة .

أخذه الشاعر فقال :

وإذا أحبَّ الله يوماً عبده ألقى عليه محبةً في الناس^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة . ألا أنبئكم بشر من ذلكم^(٢) » قالوا : بلى . قال : « من يبغض الناس ويبغضونه » .

روينا أن داود عليه السلام ، جلس كئيباً خالياً ، فأوحى الله إليه : مالى أراك خالياً ؟ قال : هجرتُ الناسَ فيك . قال : أفلا أدلك على شيء تبغ به رضاي ؟ خالق الناس بأخلاقهم ، واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك .

كان يقال : من رضى من الناس بالمسامة طال استمتاعه بهم .

قال أكرم بن صيفي : من تشدد فرّق ، ومن تراخى تألف ، والسروور في التغافل .

قال علي رضي الله عنه : شرط الصحبة إقالة العثرة ، ومسامة العشرة ، والمواساة في العُسرة .

(١) في ١ : عبدا واصطفي بدل يوما عبده ، والبيت لابن عبد ربه صاحب العقد ، انظره في العقيد الفريد ٣١٢/١ .

(٢) ١ : ذلك .

قيل للمتابي : إنك تلقى الناسَ كلَّهم بالبشرِ ا قال : دفعُ ضغينةَ بأيسرِ مؤونة ،
واكتساب^(١) إخوان بأيسرِ مبدول .

قال محمود الوراق :

أخو البشر محمودٌ على كلِّ حالةٍ ولن يعدم البغضاء من كان عابساً
ويُسرعُ بخلُ المرء في هتكِ عِرْضه ولم أرَ مثل الجود للعِرْض حارماً
قال أعرابي يمدح رجلاً بساماً هو زياد الأعجم^(٢) يمدح عبد الله بن عامر
ابن كريز^(٣) .

أخُّ لك ما تراه الدهرَ إلّا على العِلاتِ^(٤) بساماً جواداً
سألناه الجزيلَ فما تَدَلَّكَ^(٥) وأعطى فوق مُنْيَتِنَا وزاداً
وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدْنَا فأحسنَ ثم عدتُ له فعاداً

(١) في ١ : ولا كرام .

(٢) هو زياد بن سليمان أو سليم الأعجم مولى عبد القيس ، من شعراء الدولة الأموية ، جزل الشعر ، فصيح الألفاظ ، كانت في لسانه عجمة سمي بسببها الأعجم ، وأكثر شعره في مدح أمراء عصره وذم بخلاتهم (الأعلام و هامشه ٩١/٣) .

(٣) ابن ربيعة الأموي ، أمير فاتح ، فتح كثيراً من بلاد فارس وما وراء النهر ، وكان سخياً وصولاً لقومه رحيماً ، قال عنه الإمام علي : ابن عامر سيد فتيان قريش . انظر الإصابة الترجمة ٦١٧٥ (الأعلام ٢٢٨/٤) .

(٤) على العلات : أي على كل حال .

(٥) في جماسة أبي تمام ، والأغاني : تأبي .

مرارًا ما أعودُ إليه إلا تبسمَ ضاحكًا وثَنَى الوِسادَا^(١)

وقال آخر :

ولى صاحبٌ كالموت يومُ فراقِهِ تَفَـيَّرَ والأَيَّامُ جَمٌّ عَجِيبُهَا
أريدُ له هَجْرًا لبعضِ خلّاله فَتَعَطَّفَنِي أُخْرَى له فَأَجِيبُهَا^(٢)

وقال آخر :

أخ لى كأيامِ الحَيَاةِ إِيَّاوُهُ تَلَوَّنُ ألوانًا كثيرًا خطوبُهَا
إذا عِبتُ منه خَلَّةٌ فهِجْرَتُهُ دَعَتْنِي إِلَيْهِ خَلَّةٌ لَا أُعِيبُهَا^(٣)

^(٤) وقال ابن وكيع :

من لم يدارِ الناسَ عن علمِ بهم انصرفُوا وَكَلِّمُوا له عِدَا^(٥)

وقال كثير^(٥) :

ومن لا يغمضُ عينَهُ عن صديقِهِ وعن بعضِ ما فيه يَمُتُ وهو عَاتِبُ

(١) وردت الأبيات في عيون الأخبار ٦/٣ ، والبيتان الثالث والرابع في ١٥٢/٣ ، ووردت في الحماسة لأبي تمام ٣٤٩/٢ ، والأغاني ١٠٢/١٤ (بولاق) ، وورد بعضها في المصون ٦٧ ، وفيات الأعيان ٣٢٨/٥ ، وقد نسبت فيها كلها لزياد ماعدا الوفيات فقد نسبت فيها للكثير ، وقال في العمون لأنها في مدح عمر بن عبد الله ابن معمر .

(٢) محاضرات الأدباء ٣٢/٢ .

(٣) عيون الأخبار ١٧/٣ .

(٤) ساقط من ١ .

(٥) ديوانه ٢١٠/١ .

وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ

وقال آخر :

وَكَمْ مِنْ أَخٍ لَمْ تَحْتَمِلْ مِنْهُ خَلَّةً قَطَعْتَ وَلَمْ يُمَكِّنْكَ مِنْهُ بَدِيلُ

وَمَنْ لَمْ يُرِدْ إِلَّا خَلِيلًا مُهَذَّبًا فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ

قال آخر :

وَأَحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعٌ^(١)

^(٢) وَأَبْغَضُ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعٌ^(٢)

هذا مأخوذ من الحديث المرفوع : « أحب حبيبك هوناً ما فقسى أن يكون
بغضك يوماً ما ، وأبغض بغضك هوناً^(٣) ما فقسى أن يكون حبيبك يوماً ما » .
وأحسن ما نظم في هذا المعنى قول أبي العتاهية^(٤) :

قَلْ لِمَنْ يَعْجَبُ مِنْ حُسْنِ رُجُوعِي وَمَقَالِي

رَبِّ صَدٍّ بَعْدَ وَدٍّ وَهَوَى بَعْدَ تَقَالِي

قَدْ رَأَيْنَا ذَا كَثِيرًا جَارِيًا بَيْنَ الرِّجَالِ

(١) في ح : راجع .

(٢) ساقط من ح ، وقد نسب البيتان في أمالي القالي ٢٠٤/٢ لهذبة بن الحشرم المذري ، ووردا في العقد

٢٨٦/٢ من غير نسبة ، وفيه : وأبغض إذا أبغضت غير مبين .

(٣) في ح : يوما .

(٤) ديوانه ٢٠٥ .

أنشد حبيبٌ للفنْدِ الزَّمَانِي — وقال الجاحظ لا أظنها له (١) :

صفحنا عن بني ذَهَلٍ وقلنا : القوم إخوانُ
عسى الأيام أن يُرْجِعَ نَ قوما كالذي كانوا (٢)

قال آخر :

وكنْتُ إذا صحبْتُ رجالَ قوم صَحْبُهُمْ وشيمَتِي الوَفَاءُ
فأَحْسِنُ حينَ يحسنُ محسنوهم وأجتنبُ الإساءةَ إن أساءوا
وأبصرُ ما يُنْقِصُنِي بعَيْنِ عليها من عيوبِهِمُ غِطَاءُ (٣)

قال آخر :

ما نالت النفسُ على شهوةٍ أَلَدَّ من وُدِّ صديقٍ أمينٍ
من فاته وُدُّ أخٍ صالحٍ فذلك المغبون حقَّ اليقين (٤)

[وقال آخر :

استوحشَ الناسُ علىَّ جدًّا ولا أرى لي من أناسٍ بُدًّا

(١) انظر الحيوان ٤١٥/٦ ، ٤١٦ .

(٢) ورد البيتان في حماسة أبي تمام ١٥/١ ، حماسة البحتري ٧٤ ، أمالي القالي ٢٦٠/١ منسويين للفنْدِ الزماني ، وكذلك في الحيوان وردت هذه النسبة مشفوعة بالعبارة التي نقلها عنه المصنف ، ولكن الجاحظ اكتفى بهذا الشك ولم يذكر شيئاً عن بواعثه . هذا وقد وردت الرواية مختلفة في هذه المراجع ففي حماسة البحتري والحيوان : بني هند بدل ذهل ، وفي الأمالي وحماسة أبي تمام كما هنا ، كما ورد في حماسة البحتري . أن ترجم قوما ، وفي الحيوان : ترجمهم جميعاً . الخ .

(٣) أي أبصر عيوبى فأعالجها ، ولا أبصر عيوبهم فأتبعها وأغفل عن معايبى

(٤) في ح : المحروم بدل المغبون ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ١٦/٣ .

إِنْ لَمْ أَعَاشِرْهُمْ بَقِيتُ فَرْدًا^(١)

وقال آخر :

أَغْمَضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي مَخَافَةً أَنْ أَعِيشَ بِلَا صَدِيقٍ^(٢)

قال آخر :

أَغْمَضُ عَيْنِي عَنْ صَدِيقِي تَغَافُلًا كَأَنِّي بِنَا يَأْتِي^(٣) مِنَ الْأَمْرِ جَاهِلٌ
وَمَا بِي جَهْلٌ غَيْرَ أَنَّ خَلِيقَتِي تُطِيقُ احْتِمَالَ الْكُرْهِ فَيَا مُحَاوِلُ^(٤)
مَتَى مَا يُرَبِّنِي مِفْصَلٌ فَقَطَعْتُهُ^(٥) بَقِيتُ وَمَالِي فِي النَّهْوِضِ مِفَاصِلُ^(٦)

وقال آخر :

وَكُنْتُ إِذَا الصَّدِيقُ أَرَادَ غِيظِي فَأُشْرَقَنِي عَلَى حُنْقٍ بِرِيظِي
غَفَرْتُ ذُنُوبَهُ وَصَفَحْتُ عَنْهُ مَخَافَةً أَنْ أَعِيشَ بِلَا صَدِيقٍ^(٦)

وقال آخر :

إِذَا مَا خَلِيلِي رَابَنِي بَعْضُ خُلُقِهِ وَلَمْ يَكْ عَمَّا سَاءَ نِي بِمُفِيقِ

(١) ساقط من > .

(٢) عيون الأخبار ١٦/٣ .

(٣) في ١ : آتى .

(٤) في ١ : رمانى ... أحاول .

(٥) ساقط من ١ .

(٦) البيهقي في أمالي القالي ١١١/٣ .

صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرِيئُنِ مَخَافَةً أَنْ أَبْقَى بَغِيرَ صَدِيقٍ^(١)

وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ :

إِذَا مَا صَدِيقِي سَاءَنِي بِفَعَالِهِ وَلَمْ يَكُ عَمَّا سَاءَنِي بِمُفِيقٍ

صَبَرْتُ عَلَى الضَّرَاءِ مِنْ سُوءِ فَعْلِهِ مَخَافَةً أَنْ أَبْقَى بَغِيرَ صَدِيقٍ^(٢)

(٣) قَالُوا : لَا خَيْرَ فِي النَّاسِ ، وَلَا بَدَّ مِنْ النَّاسِ^(٣)

(١) انظرهما في عيون الأخبار ١٦/٣ ، وفيها : سوء فعله بدل بعض خله .

(٢) أمالي القالي ١١٨/٣ .

(٣) ساقط من أ .

ياب الاستيحاءُ من الناس والفرار منهم^(١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ الناس منزلةً يوم القيامة ، رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه » . وفي رواية أخرى : « حتى يموت أو يقتل ، والذي يليه رجل معتزل في شعبٍ من الشُّعَب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويعتزلُ شرور الناس » .

قال عمر بن الخطاب^(٢) رضي الله عنه^(٣) الطمع فقرٌ واليأسُ غنى ، والعزلة راحةٌ من جليس السوء ، وقرين الصديق خير من الوحدة .

قال أبو الدرداء : نعم صومعة الرجل^(٤) المؤمن بيته ، يصون دينه وعرضه ، وإياكم والأسواق ؛ فإنها تلفي وتلهي .

قال مكحول : إن كان في الجماعة فضل ، فإن في العزلة سلامة .

قال عمر بن الخطاب : خالطوا الناس في معاشكم ، وزايلوهم بأعمالكم .

قال أبو الدرداء : كان الناس ورقاً لا شوك فيه ، وهم اليوم شوك لا ورق فيه .

يقال : إن فيما أنزل الله في الإنجيل على عيسى عليه السلام : كن وسطاً

وامش جانباً .

(١) في ١ : عنهم .

(٢) ساقط من > .

(٣) ساقطة من ١ .

قال ابن المقفع^(١) : وحشة الانفراد أبقي على المرء من أنس التلاقي .

قال بعض العلماء : العزلة عن الناس توقي^(٢) العريض ، وتبقى الجلالة ، وترفع
مؤونة المكافأة في الحقوق اللازمة ، وتستتر الفاقة .

قال أوس بن حجر :

وإني رأيتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُم	خفافَ العُهودِ يُكثِرُونَ التَّنْقِلَ
بنى أُمٌّ ذِي المَالِ الكَثِيرِ يَرَوْنَهُ	وإن كانَ عَبْدًا سَيِّدَ القَوْمِ جَحْفَلًا
وهم لَمُقَلُّ المَالِ أولادُ عِلَّةٍ	وإن كانَ مُحَضًّا فِي العُمومةِ مُخَوَّلًا ^(٣)
وليس أخوك الدائمُ المهدٍ بالذي	يَسْؤُوكَ إن ولى وَيَرْضِيكَ مَقْبَلًا
ولكنَّ الأَخَ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا	وصاحبُكَ الأَذَنِي إِذَا الأَمْرُ أَعْضَلًا ^(٤)

وقال الحسن بن عبد الرحمن^(٥) .

توحشتُ ولكنِّي أَسْرَّ بالوَحْشةِ أحيانًا

(١) في > : أبو الفتح .

(٢) في ١ : توفر .

(٣) العلة : الضرة ، وأولاد العلات هم أبناء أمهات شتى ورجل واحد ، ومحضا : خالصا .

(٤) انظر الأبيات في ديوانه ٢٢ .

(٥) ابن خلاد الراهزمزي ، محدث العجم في زمانه ، ومن أدباء القضاة ، له شعر حسن أورد بعضه
الثعالبي في اليتيمة ، وكان الحسن مختصا بابن العميد ، وله اتصال بالوزير المهلبى . انظر في ترجمته يتيمة الدهر
٣٨٦/٣ (الأعلام ٢٠٩/٢) .

وَفِي الْوَحْشَةِ مَا يُؤْ نِسُ مِنْ صَحْبَةٍ مِنْ خَانَا

وَقَالَ أَيْضًا :

يَا جَبْدَا الْوَحْشَةِ مِنْ أَنْيْسٍ إِذَا خَشِيتَ مِنْ أَذَى الْجَلِيسِ

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ (١) :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَقْتُهُمْ فَصِرْتُ أُمْتَانَسُ بِالْوَحْدَةِ

مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَعْمَرِي وَمَا أَقَلَّتْهُمْ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

كتب شيخ من أهل الرّى عَلَى باب داره : جَزَى اللَّهُ عَنَّا مَنْ لَا نَعْرِفُهُ (٢) وَلَا يَعْرِفُنَا (٢) خَيْرًا ، وَأَمَّا أَصْدِقَاؤُنَا الْخَاصَّةُ فَلَا جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْرًا ، فَإِنَّا لَمْ نُؤْتْ إِلَّا مِنْهُمْ .

قال سفيانُ : مَا وَجَدْتُ مَنْ يَغْفِرُ لِي ذَنْبًا ، وَلَا يَسْتُرُ لِي عَيْبًا (٣) ، فَرَأَيْتُ فِي الْمَرْبِ مِنَ النَّاسِ السَّلَامَةَ .

قال الفضيل بن عياض لسفيان الثوري : دُلَّنِي عَلَى رَجُلٍ أَجْلِسُ إِلَيْهِ ، قَالَ : تِلْكَ ضَالَّةٌ لَا تَوْجَدُ .

(١) ديوانه ٩٠ .

(٢) ساقط من ح ، م .

(٣) ١ : عَلَى زَلَّةٍ .

(١) قال أكتثم بن صيفي : الا تقباض عن الناس مكسبة للعداوة ، وإفراط الأنس
مكسبة لقرناء السوء (١) .

وقال سهلُ الوراق :

ألا ما لِدَا الناسِ قد بُدِّلُوا فهم كذئاب عليها (٢) ثيابُ
تواطئوا على كلِّ مستقبَحٍ فما لقبيح لديهم مُعَابُ
وخانوا الأمانة ما بينهم وهل بالأمانة تُوفى الذئابُ

قال الأضبط بن قرَّيع :

أذودُ عن حوضِهِ ويدفعُنِي يا قومٍ من عاذِرِي من الخُدَعَةِ (٣)

أنشد الحريري (٤) لنفسه :

مخالطُ الناسِ في الدنيا على خطرٍ وفي بلاءٍ وَصَفُو شَيْبَ بالكَدَرِ
كراكبِ البحرِ إن تسلم حُشاشَتُهُ فليس يسلم من خوفٍ ومن حذرٍ

وقال قدامة بن إبراهيم الجُمَحِي (٥) :

(١) ساقط من > .

(٢) في > : عليهم .

(٣) البيت في أمالي القالي ١٠٧/١ ، ١٠٨ .

(٤) لم أعثر على من تصدق عليه هذه النسبة في كتب التراجم وأطمئن إلى أنه هو المقصود وليس هو بالطبع الحريري صاحب المقامات فقد ولد هذا في سنة ٤٤٦ هـ وتوفي ٥١٦ هـ ، أي أنه ولد بعد وفاة المصنف ، فلعله الحريري (عبد الملك بن إدريس) انظر اليتيمة ٨٨/٢ .

(٥) المدني ، لم يذكر عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ ، إلا أنه من الثقات ، ثم أورد أسماء الرجال الذين روى عنهم ، وأسماء من رَوَوْا عنه .

المعجزُ ضعف وما بالحزم من ضررٍ وأحزمُ الحزم سوء الظنِّ بالناسِ
لا تترك الحزم في أمرٍ تحاذرُهُ فإنَّ أصبت فما بالحزم من باسٍ*

أنشدني عبد الرحمن بن أبان ، عن عثمان ، قال : أنشدني أبو بكر محمد بن الحسن
الزُّبيدي^(١) لنفسه :

أشرفتُ قلبك ياساً ليسَ هذا الناسُ ناساً
قد مضى الإبريزُ منهم وبقوا بعدُ نحاساً
سامريّينَ يُقُولو نَ جميعاً لا مساساً

لهلال بن العلاء^(٢) :

لما عفوتُ ولم أحقدُ على أحدٍ أرحتُ نفسي من همِّ العدَاواتِ
إني أحییّ عدوی عند رؤيته لأدفعَ الشرَّ عني بالتحیاتِ
وأحسنُ البشرِ للإنسانِ أبغضُهُ كأنَّه قد ملأَ قلبي محبَّاتِ
ولستُ أسلمُ ممن لست أعرفُهُ فكيف أسلمُ من أهل الموداتِ

(١) الأندلسي الإشبيلي ، أعرف أهل زمانه باللغة والأدب ولد ونشأ واشتهر بإشبيلية ، وعاش في قرطبة مدة ، ثم رجع إلى إشبيلية وتولى بها القضاء ، له تصانيف كثيرة في النحو واللغة ، توفي سنة ٣٧٩ هـ . انظر بغية الملتبس ٥٦ ، معجم الأدباء ٥١٨/٦ (الأعلام ٣١٢/٦) .

(٢) أبو عمرو الرقي ، قال عنه ياقوت في المعجم ٢٩٤/١٩ : « كان من أهل العلم واللغة بالرقّة ، مات سنة ٢٨٠ هـ ، ولا أعلم من أمره غير هذا » .

وقال ابن الرومي^(١) :

يا ذا الذي منه التَّغْيُّ رُ والتَّنَكُّرُ والنُّبُو
إِنْ كَانَ أَدْرَكَكَ الْمَلَأُ ل فَقَدْ تَدَاخَلَنِي السُّلُو

آخر :

قد كنت عبداً والهوى مالكي فصرتُ حراً والهوى خادمي
وصرتُ بالوَخْدَةِ مستأنساً من شرِّ أولادِ بني آدمِ
ما في اختلاطِ الناسِ خير ولا ذو الجهلِ بالأشياءِ كالعالِمِ
يا عاذلي في تركهم^(٢) جاهلاً عُذْرِي منقوش على خاتمي

وكان في خاتمه منقوشاً : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾^(٣)

وقال منصور الفقيه :

نقرتُ من كلِّ من وثقتُ به إِذْ كُلُّهُمْ خَانَنِي وَلَمْ أُخْنِ
من لَانَ لِي جَانِبَاهُ لِنْتُ لَهُ وَمَنْ أَبَى أَنْ يَلِينِ لَمْ أَلِينِ

وقال آخر :

هذا زمانٌ ليس إخوانُهُ^(٤) يا معشرَ الناسِ ياخوانِ

(١) ديوانه ٣٠١ .

(٢) في ١ : لومهم .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٠٢ .

(٤) في ح : لي هله .

إخوانُ سوءٍ كلُّهم فاسِقٌ له لسانانِ ووجهانِ
يلقاك بالبشرِ وفي قلبه داءٌ يواريه بكتانِ
حتى إذا ما غبتَ عن وجهه رماك في الغيب بهتانِ
يأيها المرء فكنْ واحدًا فردًا ولا تأنسْ بإنسانِ

منصور الفقيه :

الناسُ بحرٌ عميقٌ والبُعدُ منهم سفينةُ
وقد نصحتُك فانظرْ لنفسِك المسكينة^(١)

طرفة بن العبد :

كلّ خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحَه
كلهم أروغٌ من ثعلبٍ ما أشبهَ الليلة بالبارحة^(٢)

وقال منصور الفقيه :

يا أخا الدهر إن وفا وأخا الدهر إن غدرُ
كن من الناس كيف شئت على غايةِ الحذرِ

كان يقال : صحبةُ الأشرارِ تورثُ سوءَ الظنِّ بالأخيار .

(١) البیتان فی معجم الأدباء ١٩/١٨٦ ، التمثیل والمحاضرة ١٠٥ .

(٢) سبق البیتان فی ص ٦٥٤ .

وقال ابنُ وكيع .

فسد الناس كلهم وانتضى الودُّ (١) فما في الررى أخٌ ذو صفاء
وأرى طالبَ الفرارِ من النا سِ ومُرْتَادَ قُرْبِهِمْ فِي بَلَاءِ
ذاك بالانتقباضِ (٢) يكسب المنة
وأخو الأندسَاطِ يخشى انقلاباً
من صديقٍ يُضِيعُ حق الإخاءِ
وإذا ما الصديقُ عاد عدواً فهو مستفراً (٣) من الأعداءِ

وقال منصور الفقيه :

في الناسِ خيرٌ كثيرٌ والشرفُ في الناسِ أكثرُ
وقد نصحتك حَهدى فانظر لنفسك واحذرُ
فإن وثقتَ بقولي فيهم وإلا ففرُّ

وله أيضاً :

إنما الناسُ فزعةٌ ليس في الناسِ مَفزَعُ
ذم من شئت منهم فهو للذمِّ موضعُ

ولما حضرته الوفاة ، قال (٣) : أستغفر الله من هذين البيتين .

(١) في ح : لا انتقباض .

(٢) ١ : مستكره .

(٣) ساقطة من ١ .

قال سُوَيْدُ بْنُ مَنَجُوفٍ :

فَبَلَغَ مُصْعَبًا عَنِّي رَسُولًا وهل تجدد النصيحَ بكلِّ وادٍ
تَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ تُنَاجِي وإن ضحكوا إليك هم الأعداى^(١)

أَنشَدَ الزَّيْرُ لَأَبِي هَمَّامَةَ :

إِخْوَةٌ مَا حَضَرَتْ سَرُّونَ بَرُّو ن^(٢) فَإِنْ غَبْتُ فَالسَّبَّاعُ الْجِيَاعُ
بَايَنُونِي حَتَّى إِذَا عَايَنُونِي بَأَنَّ مِنْهُمْ تَضَاوُلٌ وَاخْتِشَاعُ
^(٣) فَهُمْ يَغْمَزُونَ مِنِّي قَنَاقَةً لَيْسَ يَأْلُونَ غَمَزَهَا مَا اسْتَطَاعُوا^(٤)
مَا كَذَا يَفْعَلُ الْكِرَامُ وَلَكِنْ هَكَذَا يَفْعَلُ اللَّثَامُ الْوِضَاعُ

قال أبو غسان مالك بن عبدالله غلام أبي العتاهية :^(٥) كنت عند أبي العتاهية^(٤)
قبل موته بثلاثة أيام ، وإنه لشديد العلة لما به ، فرفع رأسه إلى وقال :
يا أبا غسان !

لِلَّهِ دَرُُّ أَبِيكَ أَيَّ زَمَانٍ أَصْبَحْتُ فِيهِ وَأَيَّ أَهْلِ زَمَانٍ
كُلُّهُ يُوَازِنُكَ الْمَوْدَةَ دَائِبًا^(٥) يُعْطِي وَيَأْخُذُ مِنْكَ بِالْمِيزَانِ

(١) البيتان في الحيوان ٥/٩٤ هـ ، وفيه : فأبانه مصعبا ، أ أكثر من توأخى .

(٢) في ١ : سروا وبروا فإذا .. الخ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) ساقط من أ .

(٥) في ١ : جامدا .

فإذا رأى رُجْحَانُ حبة خردلٍ مالت مودتهُ مع الرُجْحَانِ
في كلِّ يومٍ منه تبدو قصّةٌ تنمى إليك مودّة الإخوان^(١)

وقال منصور الفقيه :

أىّ زمان نشأت فيه كذى ضلالٍ بأرض تيه
ما شئت من عالم خبيثٍ فيه ومن جاهلٍ سفيه

وقال أبو العتاهية^(٢) :

إن الزمان يغرّني بأمانه ويذيقني المكروه من حدّثانه
فأنا النذيرُ من الزمان لكلّ من أمسى وأصبحَ واثقاً بزمانه
ما الناسُ إلا للكثير المال أو لمسلطٍ ما دام في سُلْطانه
فإذا الزمانُ رماهما^(٣) بعلّة كان الثقاتُ هناك من أعوانه

قال إبراهيم بن العباس الصولى^(٤) :

بلوتُ الزمانَ وأهلَ الزمانِ فكلّ بدمٍ ولومٍ حقيق
وأوحشني من صديقي الزمان وآنسني بالعدوّ الصديق^(٥)

(١) الأبيات الثلاثة الأولى فقط في ديوانه ٢٦١ .

(٢) الأبيات في ديوانه ٢٨٠ .

(٣) في الديوان : رمى الفتى .

(٤) ساقطة من ج .

(٥) ديوانه ٤٤ .

وله أيضاً

وربّ أخ ناديتُهُ في ملةٍ فالفيتُهُ منها أجلّ وأعظماً^(١)

أنشدني محمد بن نصير الكاتب لنفسه :

تطلبُ سبيلَ الهدى جاهداً ودعَ عنك مُشتبَهاتِ السُّبُلِ
وأصبحَ من الناسِ مستوفزاً فأكثرُهم راصدٌ للزَّلِ
وأجبن من قد ترى منهمُ لعمرك يُردى الشجاع البطلُ
وتُسمى المقاتِلَ أقوالُهُمُ بالسنةِ وقمها كالأسلِ
ومن حكّم الناسَ في عِرضه فمن جَارٍ أكثرُ ممن عدلُ^(٢)

وقال آخر :

وإذا دعوتَ أخاً إخاً نِكَ عِنْدَ نائبةٍ تنوبُ
ألفيته أَحَدَ الخُطوبِ بَ إذا تتابعت الخطوبُ

وهذا كله عندي — والله أعلم — مأخوذ من قول القائل :

كنت من كربتي أفر إليهم فهم كربتي فأين الفرار^(٣)

(١) ديوانه ٥٧ .

(٢) الأبيات في نفع الطيب ٥/٢١٧ وفيه : وأخير بدل أجبن ، وتبرى بدل تسمى .

(٣) البيت في عيون الأخبار ١/٧٨ ، القند الفريد ٤/٢٢٨ .

منصور الفقيه :

تبارك من لو شاء ملكنى نفسى وصَيَّرَ فى الإيحاش من خلقه أنسى
وباعد دارى عاجلاً عن ديارهم كبعد مغيب الشمس عن مطلع الشمس
لعل أن أمتى من الشر آمتا وأصبح مسروراً بذاك كما أمتى
فما نكد الدنيا على طيب ظلمها وقرب جناها العذب شىء سوى الإنسان

قال أعرابى ، وهو جابر بن ثابت ، ويعرف بتأبط شرا :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكدت أطيرو
درى الله أنى للأنيس لشانى وتبغضهم لي مقلة وضمير^(١)

وقال آخر :

قد بلوت الناس طراً لم أجد فى الأرض جراً
صار أحلى الناس فى عي نى إذا ما ذيق مرّاً
ووجدت الحلوة منهم عندما جرّبت صبراً^(٢)

وقال منصور الفقيه :

إنّ بنى دهرنا أفاع ليس لمن ساورت طيب

(١) البيتان فى الحيوان ٣٧٩/١ ، المؤتاف ٣٦ ، ٣٧ ونسبهما فيه للأخيمر السعدى ، وفيه : لوح بدل

صوت ، ويرى بدل درى .

(٢) نسبت الأبيات لابن أبى حازم فى العيون ٣٨٤/٢ ، ووردت فى العقد الفريد ٢١٤/٣ بدون نسبة .

فلا يكنُ فيكَ بعدَ هذا لواحدٍ منهمُ نصيبُ

وقال آخر :

قد لزمتُ السكوتَ من غيرِ عِيٍّ ولزمتُ الفراشَ من غيرِ عِلَّةٍ
وهجرتُ الإخوانَ لما أتنى عنهمُ كلُّ خَصْلَةٍ مضمحلَّةٍ
فعلى أهلِ ذا الزمانِ جميعاً ضِعْفُ قطرِ السَّمَاءِ من لعنةِ الله

وقال آخر :

لا تعرفنُ أحداً فلستَ بواجدٍ أحداً أضرَّ عليك ممن تعرفُ
أما نظيرُك فهو حاسدٌ نعمةٍ أو دونَ ذاكِ فذو سؤالٍ ملحفُ
أو فوقَ ذلكِ حالٍ دونَ لقائه بوابٍ سوءٍ واليَفَاعُ المشرفُ

وللشافعي الفقيه رحمه الله ، وقيل إنه تمثل بها ، وهي :

ليت السباعَ لنا كانت مجاورَةً وليتنا لا نرى مما نرى أحداً
إن السباعَ لتهداً في مراتبها والناسَ ليس بهادٍ شرُّهم أبداً
فاهربْ بنفسك واستأنس بوحْدتها تمشِ سَلِيماً إذا ما كنت منفرداً

وقال منصور الفقيه :

أحذركُ الناسَ إلا قليلاً فلا تبيننَّ إليهم سَبِيلاً

وفارقهم عن قلى واتخذ
من الجن والجن إن تلقهم
من الإنس، لا كان مستأنساً
إذا ما خشيت انفراداً خليلاً
تجدهم أبرّ فعلاً وقليلاً
بهم طالب من سواهم بديلاً

وقال أبو العتاهية :

أيارب إن الناس لا ينصفوننى
وإن كان لى شي تصدّوا لأخذه
وإن نالهم بذلى فلا شكرَ عندهم
وإن طرقتى نكبة فرحوا بها
سأمنع قلى أن يحنّ إليهم
وإن أنا لم أنصفهم ظلمونى
وإن جئت أبغى شيتهم منعونى
وإن أنا لم أبذل لهم شتمونى
وإن صحبتى نعمة حسدونى
وأحجب عنهم ناظرى وجفونى^(١)

أنشدنى حكم بن المنذر لنفسه :

وكنتم أخلاى الذين أعدّهم
فأخلفتم ظنى بكم فقلّيتكم
لصرف زمان إن ألمّ بداهية
فنفسى عنكم آخر الدهر مآلية

وقال آخر :

ولما رأيت الناس لا عهدَ عندهم
وصرت جليس الكُتبِ ماعِشتُ فيهم
صدفتُ — ويدتِ الله — عن صحبة الناسِ
وأعملتُ حسن الصبرِ عنهم مع الياسِ

(١) ديوانه ٢٥٥ ، وفيه : رفدى بدل بذلى فى البيت الثالث ، وفسكهوا بدل فرحوا فى البيت الرابع .

رَأَيْتَ لَهُمْ كَأْسًا مِنْ الْغَازِ يَبْنِيهِمْ تَدَارُّ وَمَا بِالْقَوْمِ صَبْرٌ عَنْ الْكَاسِ

وهذا الباب وما جالسه من معاني صحبة الناس والفرار منهم ، واتخاذ الإخوان والزهد فيهم ، قد أكثر الناس فيه جدا ، وقد جمع فيه ابنُ وكيع فتقصى وكثر وجود وغزر ، وغرضنا في الكتاب أن نورد فيه ما تصلح المذاكرة به من غير تطويل ، لأن الحفظ أكثر ما يكون مع التقليل ، وبالله العون والتأييد والحوّل والقوة^(١) .

(١) في ١ : وبالله العون لا شريك له .

بابُ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ

قال جعفرُ بن محمد : لقد عَظُمَتْ مُنْزَلَةُ الصَّدِيقِ حَتَّى عِنْدَ أَهْلِ النَّارِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنْهُمْ : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ، وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾^(١) .

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه : لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ صَدِيقَهُ فِي غَيْبَتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ .

قال سويدُ بن الصَّامِتِ^(٢) :

أَلَا رَبُّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى	مَقَالَتُهُ بِالْغَيْبِ سَاءَ مَا يَفْرَى
مَقَالَتُهُ كَالشَّهْدِ مَا كَانَ شَاهِدًا	وَبِالْغَيْبِ مَأْثُورٌ عَلَى ثَغْرَةِ النَّحْرِ
تُبَيِّنُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ	مِنَ الشَّرِّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
يَسْرُكُ بِأَدْيِهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ	تَمِيمَةٌ غَشَّ تَبْتَرِي عَقِبَ الظَّهِرِ
فَرِشْنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي	وَخَيْرُ الْمَوَالِي مِنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي ^(٣)

(١) سررة الشعراء آية ١٠١ .

(٢) ابن حارثة بن عدي، الخزرجي الأنصاري، شاعر من أهل المدينة في سوق، كان يسميه قومه الكائل، اشتهر في الجاهلية، وأدرك الإسلام وهو شيخ كبير، ولقيه النبي صلى الله عليه وسلم في سوق ذي المجاز، فدعاه إلى الإسلام، وقرأ عليه: يثا من القرآن فاستحسنه، ثم انصرف عائدا إلى المدينة ولم يلبث أن قتل، وإن كان ابن سعد والطبري يقولان إنه شهد أحدا . انظر الإصابة الترجمة ٢٥٩٢ .

(٣) وردت الأبيات كلها في البيان ٣/٢٥٦، الأمالي ٢/١٩٨، وماعدا الرابع في عيون الأخبار ٣/٨١، =

كان أبو العباس السّفّاح إذا تعادى اثنان من أهل بطانته لا يسمع من أحد منهما في صاحبه شيئاً ، وإن كان عدّلاً ، ويقول : ^(١) العداوة تزيل العدالة .

كان يقال ^(١) : لا تجالس عدوك فإنه يحفظ عليك عيوبك ، ويماريك في صوابك .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : ابذل لصديقك كلّ المودة ، ولا تبذل له كلّ الطمأنينة ، وأعطه من نفسك كلّ المواساة ، ولا تُفضي إليه بكلّ الأسرار .

روى عن علي بن الحسين رحمه الله ، أنه قال : لا يكون الصديق صديقاً حتى يقطع لأخيه المؤمن قطعةً من دينه يرقّعها بالاستغفار .

قال غيره : من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً ، ولعدوّ صديقه عدواً .

= منسوبة لسويد ، ووردت مع أبيات أخرى في اللسان مادة نشر منسوبة لزهير بن جناب ، وهي في الإصابة لسويد ، انظر الترجمة ٣٥٩٢ .

المعنى والروايات : يفرى : يختلق ويكذب ، والرواية في الأمالي : لسانه بدل مقالته .
المأثور : السيف في مته أثر ، وقد فسره في العيون بأنه الذى يؤثر عنه شر وتهيبة ، وأحسبه ليس دقيقاً ،
ثغرة النحر : نقرته . والرواية في العيون : كالشحم بدل الشهد ، وفي البيان : مادام بدل ما كان ، وفي الأمالي :
حاضراً بدل شاهداً ، ومطرور بدل مأثور .

النظر الشرر : النظر فيه لإعراض ، أو هو نظر الغضب أو الحاقدة بمؤخرة العين ، والرواية في العيون : من الضغن والشحناء بالنظر الشرر ، وفي البيان من الغل والبغضاء .

تبتري : تقطع .

راش الصديق : أصاح حاله وضده براه .

(١) ساقط من أ .

قال يزيد بن الحكم الثقفى :

تصافح من لا قيت لي ذا عداوة وأنت صديق ليس ذاك بمستوى

في أبيات قد ذكرتها في باب البغى والحسد وغيره ، وفي رواية أخرى :

عدوك يخشى صولتي إن لقيته وأنت صديق ليس ذاك بمستوى

وقال آخر :

عدو صديق داخل في عداوتي وإني لمن ودَّ الصديق ودود

فلا تقرب مني وأنت عدو من أصادقه فالخير منك بعيد^(١)

^(٢) وقد أنشد المبرد هذين البيتين على قافية القاف على ما رواه شيخنا^(٢) عيسى

عن ابن مقسم ، قال : أنشدني أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار ، قال : أنشدني

أبو العباس المبرد :

صديق عدوى داخل في عداوتي وإني على ود الصديق صديق

أعادي الذي عادى وأهوى له الهوى كأنني منه في هـواه شقيق^(٣)

(١) البيتان في العقد الفريد ٣٠٧/٢ ، ورواية البيت الثاني فيه :

فلا تقرب مني وأنت صديقه فإن الذي بين القلوب بعيد

(٢) في ١ : بدل هذه العبارة : وفيما رواه .

(٣) في ١ : وأهوى الهوى له ، وانظر البيتين بهذه الرواية في أمالي القالي ٨٣/١ .

وقال المتأني :

تودّ عدوّي ثم تزعمُ أنّي صديقك إنّ الرأيَ عنك لعازبٌ
وليس أخى من ودّني رأى عينه ولكن أخى من ودّني وهو غائبٌ^(١)

قال آخر :

إذا وإلى صديقك من تعادى فقد عاداك وانقطع الكلامُ

قال معاوية : النبل مؤاخاة الأكفاء ، ومداجاة^(٢) الأعداء .

قيل لعبد الحميد الكاتب : أيّما أحب إليك أخوك أو صديقك ؟ قال : إنّما أحب أخى إذا كان صديقي .

قال بعضُ علماء أهل المدينة : من ثقل على صديقه خفَّ على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

عذل رجل رجلا ، فقال : أراك رطب اللسان من عيوب أصدقائك ، فلا تزدهم في أعدائك^(٣) ، فإن الصديق يحوّل بالجفاء^(٤) عدوا ، وكذلك العدو يحول بالصلة صديقا^(٥) .

(١) نسب البيتان في حماسة البحتري لصالح بن عبد القدوس وفيها : وهو حاضر بدل رأى عينه ، وقد وردا في أمالي القالي ٨٢/١ ، العقد الفريد ٣٠٧/٢ كما هنا ، وانظر عيون الأخبار ٦/٣ وفيها : ولكن أخى من صدقته المغايب .

(٢) المداجاة : المدارة ، والمنع بين الشدة والرخاء .

(٣) في ١ : لإغرائك .

(٤) ساقط من > .

(٥) في ١ : صديقا بالصلة .

كان يقال : لا تجترئ على عداوة رجل بصدقة ألف .

قال الشاعر :

تكثر من الإخوان ما استطعت إنهم بطون^١ إذا استنجدتهم وظهور^٢
وليس كثيرًا ألف خلّ وصاحب وإن عدواً واحداً لكثير^(١)

ومما أنشده المبرد :

ترفع عن مخاشنة الصديق ولا تلج العدو إلى مضيق
وإن يسئح من المعروف شيء فبادر خوف إمكان الطريق
وأحسن من مجاهدة الأعدى مجاهدة النفوس على الحقوق

كان المغيرة بن شعبة يقول : إن أنكأ لعدوك ألا تعلمه أنك اتخذته عدواً .

سئل أعرابي عن ابن العم ، فقال : عدوك وعدو عدوك .

كان يقال : من سعادة المرء أن يرى عدوه خلفه في حياته ، ويقدمه أمامه

في وفاته .

كان يقال : لا تلتمس معاونة ذي عداوة بإعطائه فضل قوة يستكثر بها عليك

في مخالفتك .

جمع كسرى يوماً صرازبته وعيون أصحابه ، فقال لهم : من أي شيء أنتم أشد

حذراً ؟ قالوا : من العدو الفاجر ، والصديق الغادر .

(١) نسب البيتان في محاضرات الأدباء ٢/٢ إلى محمود الوراق .

قال موسى بن جعفر : اتق المدو ، وكن من الصديق على حذر ، فإن القلوب
إنما سميت قلوباً لتقلبها .

منصور الفقيه :

احذر مودة ماذق^(١) مزج المرارة بالحلاوة
يُخصي الذنوب عليك أيّام الصداقة للمداوة^(٢)

وقال جعظة البرامكي :

لا تُعدنّ لزمان صديقاً وأعدّ الزمان للأصدقاء^(٣)

قال آخر :

دار الصديق إذا استشاط تفضباً^(٤) فالغيظ يخرج كامن الأحقاد
ولربما كان التغيظ باحثاً^(٥) لمعائب الآباء والأجداد

استعدى أعرابي على بلال بن جرير بن الخطفي إلى قثم بن العباس فقال :

أعوذُ بعبّاس وحقّوى محمّد وحقّوىك^(٦) من طول الأذى والفوائيل

(١) الماذق : غير خالص الود .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ١٠٧/٣ من غير نسبة وفيه : والمداوة ، وانظرهما في الصداقة والصديق ٤١ .

(٣) البيت في التمثيل والمحاضرة ١٠٧ ، نهاية الأرب ٩٩/٣ .

(٤) في التغيظ .

(٥) في باديا .

(٦) ساقط من ج ، والحقو : الكشح ، وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

فَإِنَّ بِلَالاً يَابْنَ عَمٍّ مُحَمَّدٍ عَدُوٌّ إِذَا جَامَلْتُهُ لَمْ يُجَامِلِ
إِذَا نَالَ يَوْمًا رِشْوَةً مِنْ مَخَاصِمِ رَمَى كُلَّ حَقٍّ أَدْعِيهِ بِبَاطِلِ

قال ابن وكيع :

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ انْقِلَابُ صَدِيقٍ رُبَّمَا غُصَّ شَارِبُهُ بِالشَّرَابِ
وَتَلَقَى الْإِخْوَانَ بَعْدَ فُسَادٍ كَتَلَقَى^(١) الْأَرْوَاحَ بَعْدَ الزَّهَابِ
لَا تَضِيعُ مَوَدَّةٌ مِنْ صَدِيقٍ فَانْقِلَابُ الصَّدِيقِ شَرُّ انْقِلَابِ

قال آخر:

وَرُوعْتُ حَتَّى مَا أُرَاعَ مِنَ النَّوَى وَإِنْ بَانَ جِيرَانٌ عَلَى كِرَامٍ
فَقَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى النَّأْيِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى هَجْرِ الصَّدِيقِ تَنَامُ^(٢)

وقال صالح بن عبد القدوس :

إِذَا وَتَرْتُ أَمْرًا فَاحْذَرُ عِدَاوَتَهُ مَنْ يَزْرَعُ الشُّوكَّ لَا يَحْصِدُ بِهِ عِنَبًا
إِنْ الْعَدُوُّ وَإِنْ أَبَدَى بِشَاشَتِهِ إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا فَرَصَةً وَثْبًا^(٣)

(١) في ١ : وتلاف ... كتلاف .

(٢) نسب البيتان في وفيات الأعيان ٣٩٠/٤ ، وهامش الحاشية ١٠٣/١ إلى عبد الصمد بن المعذل والرواية في الأعيان : وفارقت بدل روعت ، وغاب بدل بان ، وعلى فقد الحبيب بدل هجر الصديق .

(٣) البيتان في نهاية الأرب ٧٩/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

قال صاحبُ بن عبّاد :

لقد صدّقوا — والراقصاتِ إلى منى — بأنّ مُدْرَاةَ العدى ليس تنفعُ
ولو أننى دارأتُ عمرى حيةً إذا استمكنت يوماً من اللّسع تلسعُ^(١)

وقال آخر :

ليس الصديقُ الذى إن زلَّ صاحبهُ يوماً رأى ذاك ذنباً غيرَ مغفورٍ
إن الصديقَ الذى تلقاه يَعدُّ في ما ليس صاحبهُ فيه بمذورٍ^(٢)

وقال آخر :

كان صديقى وكان خالِصتى أيامَ نَجْرَى مجارى السُّوقِ^(٣)

قال أبو تمام الطائى :

وحسبك حَسْرَةً لك من صديقٍ رأيتَ زمامه بيدى عدوّ^(٤)

قال العَطَوى :

إذا أنكرتَ أخلاقَ الصديقِ فلستَ من التحيرِ فى مضيقٍ

(١) البيتان فى التمثيل والمحاضرة ١٢٣ ، نهاية الأرب ١٠٩/٣ ، يتيمة الدهر ٢٧٨/٣ ، وفيها : إذا مكنت بدل استمكنت ، وفى ١ : من السم بدل اللسم .
(٢) ساقطان من ١ ، وانظرهما فى العقد الفريد ٣٠٧/٢ .
(٣) السوق : عامة أفراد الناس ، ومعنى البيت : أنه كان صديقى أيام كُنا فردين من عامة الناس ، وقد ورد البيت ضمن أربعة أبيات فى عيون الأخبار ٧٤/٣ منسوبة لمحمد بن مهدى ، وبعد البيت الوارد هنا فى العيون :
حتى إذا راح والملوك ممّا

عد اطراحي من صالح الخاق
(٤) البيت ساقط من ١ ، وانظره فى ديوانه ٢٦٧ ، والرواية فيه : يكون زمامه .

طريقاً كنتَ تسلكه سليماً فأسبع فاجتنبه إلى طريقِ
 فإن قابلتَ يُسرَى منه عُسرَى فراجعُ من قطعْتَ من الصديقِ
 وقال عبدُ بنى الحَسْحَاسِ^(١) :

رأيتُ الحبيبَ لا يُملُ حديثه ولا ينفعُ المشنوءُ أن يتودداً
 وقال زياد الأعجم :

عدوك مسرورٌ وذو الودِّ بالذى أتى منك من غيظٍ على كظيظِ
 تلينُ لأهلِ الغلِّ والغَمزِ منهم وأنتَ على أهلِ الصفاءِ غليظُ
 نسيُّ لما أوليتُ من صالحِ مَضَى وأنتَ لتأنيبٍ على حفيظِ
 وسُميتَ غَيَّاطاً ولستَ بفائِظِ عدواً ولكنَّ الصديقَ يَغِيظُ^(٢)

وقال أبو الطيب :

وأرحمُ أقواماً من العيِّ والغبا وأعذرُ في بُغْضٍ لأنهم ضدُّ
 ومن نكَدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ^(٣)

(١) اسمه سحيم ، كان شاعراً رقيق الشعر ، أصله عبد نوبى ، أعجمى اللسان ، اشتراه بنو الحسحاس ، وهم بطن من أسد ، فنشأ فيهم ، مولده فى أوائل عصر النبوة ، ورآه النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعجب بشعره ، قيل : قتله بنو الحسحاس فى آخر خلافة عثمان حوالى سنة ٥٤٠ هـ ، وأحرقوا جثته لتشبيهه بنسائهم . انظر فوات الوفيات ١٦٦/١ ، الشعر والشعراء ١٥٢ (الأعلام ١٢٤/٣) .

(٢) نسبت الأبيات فى أمالى القالى ١٩٨/٢ ، المؤلف ٨٨ للحضين بن المنذر يقولها فى ابنه « غياظ » .

(٣) البيت الأول فى الديوان ١٦٩ ، والثانى فى ص ١٦٨ ، أى أن الثانى يرد فى الترتيب قبل الأول

١) وقال آخر:

شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكسب الإنسان ما يصم^(٢)

وقال منصور الفقيه :

إذا تخلفت عن صديق فلم يعاتبك في التخلف
فلا تعد بعدها إليه فإنما وده تكلف
وإن تعد بعدها إليه فلا تلمه على التصلف^(٣)

وقال آخر :

إذا كتم الصديق أخاه سراً فما فضل الصديق على العدو^(١)

وقال ابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد^(١) فأقلل ما استطعت من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب
وإنك قلما استكثرت إلا وقعت على ذئب في ثياب
فدع عنك الكثير فكم كثير يعاب وكم قليل مستطاب
وما اللجج الملاح بمرويات وتلقى الرئى في النطف العذاب

(١) ساقط من ج .

(٢) البيت للمتنبي أيضاً ، انظر ديوانه ٢٧٧ .

(٣) البيتان الأول والثاني في خاص الخاص ١٠٧ ، التمثيل والمحاضرة ١٠٥ ، مجمع الأدباء ١٨٩/١٩ .

إذا انقلبَ الصديقُ غداً عدوًّا مُبينًا والأمورُ إلى انقلابٍ^(١)

وقال منصور الفقيه :

احذرْ عدوَّكَ مرةً واحذرْ صديقَكَ ألفَ مرَّةٍ
فلربَّما انقلبَ الصديقُ قُفْ فكانَ أَعْلَمَ بالمُضِرَّةِ^(٢)

قال آخر :

كُنْ من صديقِكَ خائفًا فلربَّما حالَ الصديقُ^(٣)

وقال آخر :

احذرْ صديقَكَ لا عدوَّكَ إنما مَسْتُورٌ سرُّكَ عندَ كلِّ صديقٍ^(٤)

قال أبو بكر الخالدي^(٥) :

ما في زمانِكَ ما يعزُّ وجودُهُ إن رمتَهُ إلاَّ صديقٌ مُخلصٌ^(٦)

(١) ديوانه ٤٦ .

(٢) ورد البيتان في محاضرات الأدباء ١٩/٢ منسوبين إلى علي بن عيسى .

(٣) في ١ وردت الشطره الثانية من البيت : فلربما حال الصديق فكان غير صدق .

(٤) في ١ : كل صدوق .

(٥) هو محمد بن هانم بن وعلة ، شاعر أديب من أهل البصرة ، اشتهر هو وأخوه سعيد باسم الخاندين ، وكانا من خواص سيف الدولة ولاهما خزانة كتبه ، ولهما عدة مؤلفات في الأدب ، انظر فوات الوفيات ٢٧١/٢ الأعلام ٢٥٣/٧ .

(٦) بيت في نهاية الأرب ١٠٣/ ، التمثيل والمحاضرة ١١٣ ، بتيمة الدهر ١٩٨/٢ .

وقال الكُمَيْت يخاطب بني العباس^(١) :

إِذَا نَحْنُ خِفْنَا فِي زَمَانٍ عَدُوَّكُمْ وَخَفْنَاكُمْ إِنَّ الْبَلَاءَ لَرَاكِدٌ^(٢)

وقال آخر :

وَبِفَضُّكَ لِلتَّقَى أَقْلٌ ضُرًّا وَأَسْلَمٌ مِنْ مَوْدَةِ ذِي الْفُسُوقِ
وَلَنْ تَنْفَكَ تُحْسَدُ أَوْ تُعَادَى فَأَكْثَرُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ^(٣)

خالفه ابن الرومي فقال :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَأَقِيلُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الصَّدِيقِ
فَإِنْ الدَّاءُ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ تَحْمَلُو فِي الْحُلُوقِ^(٤)

أكثر رجل على رجل بالسلام وقال له : أنا صديقك . قال : وكيف ؟ قال : لأنني
أسلم عليك . فأنشأ يقول :

لَنْ كَانَ مِنْ قَالَ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ يَمْدُ صَدِيقًا فَالْصَّدِيقُ كَثِيرُ

(١) الصحيح أنه المستهل بن الكمي بن زيد الأسدي ، كما في عيون الأخبار ومعجم الشعراء ، لأن
الكُميت مات سنة ١٢٦ هـ ، أي قبل قيام الدولة العباسية ، والمعروف أن المستهل هو الذي وفد على أبي العباس
السفاح بالأنبار ، فأخذه الحرس فحبسوه ، فكتب إلى أبي العباس شعرا منه هذا البيت فأطلقه وأحسن جائزته .
انظر الأغاني ١١٧/١٥ : ١١٨ ، ١٢٢ ، وانظر الأعلام ١٠٧/٨ .

(٢) في ج : لوحد وانظر البيت في عيون الأخبار ٢٠/٣ ، معجم الشعراء ٤٧٩ .

(٣) البيتان في عيون الأخبار ٢/٣ ، وفيها : وبفضاء التقى أقل ضيرا .

(٤) ديوانه ١١٠ ، المصون ١٥٢ .

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

لَا تُهِنَنَّ لِلصَّدِيقِ تَكْرِمُهُ نَفْسَكَ حَتَّى تَعُدَّ مِنْ خَوَلِهِ
يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ عَلَيْكَ كَمَا يَحْمِلُ أَثْقَالَهِ عَلَى جَهْلِهِ
لَيْسَ الْفَتَى بِالَّذِي يَحْوُلُ عَنْ آلِ مَهْدٍ وَيُوْتِي الصَّدِيقَ مِنْ قَبْلِهِ
وَلَسْتُ مُسْتَبْقِيًا أَخَاكَ لَا تَصْفَحُ عَنْ جَهْلِهِ رَعْنُ زَلَلِهِ^(١)

وقال آخر :

إِنَّ الصَّدِيقَ فَلَا تَأْمَنُ بَوَائِقَهُ أَسْوَأَ الْعَدُوِّ إِذَا مَا سُوءَتَهُ أَثَرًا

وقال رجل من بني سليم :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رَبَاحٍ عَلَى حَالِ التَّكَاشُّرِ مِنْذُ حِينِ
فَأَبْغَضُهُ وَيَبْغِضُنِي وَأَيْضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي
فَلَوْ أَنَا عَلَى حَجَرٍ ذُبْحَنَا جَرَى الدَّمْيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ

وقال المُتَمَسِّس :

أَحَارْتُ إِنْ لَوْ تُشَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَايِلُنَّ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دِمَا^(٢)

(١) الأبيات في عبون الأخبار ١٧/٣ ، حاسة البحري ١٧/٣ ، والبيت الأول فيها : لاتهن لثيم ، وتصفح عما يكون من زلله .

(٢) تشاط : تسفك وتختلط ، وروى : تشاط وهما معني ، تزايلن : افترقن ، والبيت في العقد الفريد ٣٥٩/٥ ، البيان والتبيين ٥٧/٣ ، الحيوان ١٣٦/٣ ، فصل المنال ١٣٢ ،

وقال آخر :

إذا كنت ممن لا تُرى نافعاً صديقاً ولا بعدوً تضرُّ
فسيان إن متَّ أو إن حييت فلا ذا يسوء ولا ذا يسرُّ

لأبي عينة المهلب، ^(١) أو على بن جبلة ^(٢) :

ولما رأيْتُك لا فاجراً قوياً ولا أنتَ بالزَّاهدِ
وليسَ عدوكَ بالمتقي وليسَ صديقُكَ بالحامدِ ^(٣)
دخلتُ بك السوقَ الرقيقِ وناديتُ هل فيك من زائدٍ؟ ^(٤)
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهمٍ واحدٍ
^(٥) سوى رجل حانَ منه الشقا وحلت به دعوة الوالدِ ^(٦)
مُخَاطِبٍ بِهِ ^(٧) معه درهمٌ ردى فأقبل كالراصدِ
فبعثتُ منه بلا شاهدٍ مخافةً ردِّكَ بالشَّاهدِ

(١) زيادة في > .

(٢) يرد بدل هذا البيت في العقد بيت آخر هو :

ولا أنت بالرجل المتقى ولا أنت بالرجل العابد

(٣) بعد هذا البيت في العقد :

على رجل خائن للصديق كفور بأنعمه جاحد

(٤) ساقط من > ، هذا ولم يرد هذا البيت ولا الذي بعده في العقد بل ورد مكانهما بيت آخر هو :

سوى رجل رادني دافعا ولم يك في ذاك بالجاهد

(٥) في > : سوى رجل .

وَأَبْتُ إِلَى مَنْزِلِي غَانِمًا وَحَلَّ الْبَلَاءُ عَلَى الْنَاقِدِ^(١)
وَقَالَ آخِرُ^(٢):

سَأَصْبِرُ مِنْ صَدِيقِي إِنْ جَفَانِي عَلَى كُلِّ الْأَذَى إِلَّا الْهُوَآنَا
فَإِنَّ الْمَرْءَ يَجْزَعُ فِي خَلَاءٍ^(٣) وَإِنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ أَنْ يُهَانَا
قَالَ الْعَطَوِيُّ :

إِذَا مَا الْحَرْفُ فَازَ^(٤) بِمُحْسِنِ حَالٍ أَجَازَ صَدِيقَهُ مِنْ سُوءِ حَالٍ
إِذَا أَثَرِي رَأَى حَقًّا عَلَيْهِ لَهُ الْإِفْضَالُ مِنْ قَبْلِ السُّؤَالِ
لَعَمْرُكَ مَا رَأَيْتُ فِتًى كَرِيمًا يَحِبُّ الْمَالَ إِلَّا لِلنَّوَالِ
أَبَا حَسَنِ ثَكَلْتُ الْحَزَمَ فِيمَا أَحَاوَلُ مِنْ مَقَالِي أَوْ فَعَالِي
لَقَدْ كَذَبْتُ ظَنُونِي فَيْكَ أَنْ لَمْ أَتُبْ مِنْ حُسْنِ ظَنِّي بِالرِّجَالِ^(٥)

وَقَالَ آخِرُ :

إِذَا مَا الْمَرْءُ كَانَ لَهُ صَدِيقٌ فَبِرُّ صَدِيقِهِ فَرَضٌ عَلَيْهِ

(١) انظر الأبيات كما هنا في الصداقة والصديق ٨٦ ، وانظرها مع الخلاف الذي أوضحت في العقد الفريد ٤٥٢/٣ ، ولم تنسب في كليهما .

(٢) هو عمير بن جميل التغلبي كما في معجم الشعراء ٢٤٥ ، وسماه في العقد الفريد ٣١١/٢ عمر بن جميل التغلبي وهو تحريف ، انظر البيتين فيهما ، وفي الكامل ١٩٩/١ ، عيون الأخبار ١٥/٣ .

(٣) في ح : في هوان .

(٤) ١ : إذا ما المرء جاز بمحسن حال .

(٥) ساقط من ١ .

فَإِذَا عَنْهُ الصَّدِيقُ أَقَامَ يَوْمًا فَوَجَّهُ الْبِرَّ أَنْ يَسْمَى إِلَيْهِ
وَأِنْ كَانَ الصَّدِيقُ قَلِيلَ مَالٍ يَضِيقُ بَذْرَعِهِ مَا فِي يَدَيْهِ
فَمِنْ أَسْنَى فَعَالٍ الْمَرْءِ أَلَا يَضُنُّ عَلَى الصَّدِيقِ بِمَا لَدَيْهِ

وقال آخر :

مَا ضَاقَتِ النَّفْسُ عَلَى شَهْوَةٍ أَلَدَّ مِنْ وَدِّ صَدِيقٍ أَمِينٍ
مَنْ فَاتَهُ وَدٌّ أَخٍ صَالِحٍ فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ حَقَّ الْيَقِينِ

(١) عبد الله بن طاهر ، و يروى لعلى بن الجهم ، وهى له لا غيره (١) ، حدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم بن أصبغ ، حدثنا أبو عيسى الأعمى الخباز ببغداد ، قال : أخبرنى يحيى بن المعلم ، قال : مررت بعلى بن الجهم ، وقد أذن لصلاة الظهر ، وقد دخل المسجد يريد أن يركع (٢) ، فسأمت عليه وقلت له : لا يمكننى أن أقوم حتى تصلى لأنى مبادر ، قال : فيم ذا ؟ فقلت : أبيع قميصى هذا وأكفى به صديقا له قبلى يد . قال : فلم أمش إلا قليلا حتى ردنى ، فقال لى : اكتب وأنشدنى (٣) :

أَمِيلُ مَعَ الصَّدِيقِ عَلَى ابْنِ أُمِّي وَأَحْمِلُ لِلصَّدِيقِ عَلَى الشَّقِيقِ (٤)

(١) ساقط من ١ ، م .

(٢) فى ١ : ابن وكيم وهو تحريف .

(٣) هذه الرواية ساقها المؤلف لتصحيح نسبة الأبيات إلى على بن الجهم ، والواقع أنها تنسب أيضا إلى

أحد اثنين ، إلى عبد الله بن طاهر وقد ورد ذلك فى عيون الأخبار ١/٢٦٦ ، أملأى القال ٢/٣١٤ ، أو إلى إبراهيم بن العباس الصولى كما ورد فى الأغاني ٩/٢٣ (بولاق) ، زهر الآداب ٤/١٥٦ ، ٥٧ ، معجم الأدباء ١/١٧٢ .

(٤) فى أملأى والمعون : أميل مع الزمام ، وفى المعون : وأحمل الصديق .

وإن ألفتني ملكاً مطاعاً فإنك واجدي عبد الصديق^(١)

أفرق بين معروفي ومني وأجمع بين مالي والحقوق

قالوا: احذر من وترته وإن أحسنت إليه ، ومن أوحشته فلا تثق به .

قال الشاعر^(٢) :

إذا وترت امرئاً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عباً

إن العدو وإن أبدى بشاشته إذا رأى منك يوماً فرصة وثباً

وقد تقدم في باب التودد إلى الناس أبيات تصلح في هذا الباب ، فلم أروجها

لتكرارها .

(١) في معجم الأدباء وزهر الآداب : حرا بدل ملكا .

(٢) هو صالح بن عبد القدوس كما سبق في ص ٩٦٠ ،

باب جامع متخير في الإخوان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر امرؤ من يخال » .

(١) قال الأوزاعي : الصاحب للصاحب كالرقعة للشوب ؛ إن لم تكن مثله شاتته (١) .

قال الشاعر :

وما صاحب الإنسان إلا كرقعة على ثوبه فلينخذه مشاكلا

وقال صلى الله عليه وسلم : « لا خير في صحبة من لا يرى لك كالذي يرى لنفسه » .

وفي الخبر المرفوع أيضا « شيئان لا يزدادان إلا قلة : درهم حلال ، وأخ في الله (٢) تسكن إليه » .

وقد روى مرفوعا : « المرء كثير بأخيه » .

قال علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه : لا خير في صحبة من تجتمع فيه هذه

(١) ساقط من ج .

(٢) ساقط من أ .

الخلال : من إذا حدثتك كذبتك ، وإذا ائتمنته خانتك ، وإذا ائتمنتك اتهمك ،
(١) وإذا ائتمنت عليه كفرك (٢) ، وإذا أنعم عليك منّ عليك .

ومن كلام أبي الدرداء : معاتبَةُ الأخ أهونُ من فقده ، ومن لك بأخيك كله ،
فأعط أخاك ، وهب له ، ولا تطع فيه كاشحاً فتكون مثله .

وعن ابن عباس أنه قال : أَحَبُّ في الله ، وَأَبْغَضُ في الله ، وعادٍ في الله ، فإنه
لا تُنال موالاةُ الله إلا بذلك ، ولن يجد عبده طعمَ الإيمان — ولو كثرت صلواته
وصومُه — حتى يكون كذلك . قال : ولقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر
الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله (٣) ، ثم قرأ ابن عباس : ﴿ الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) ، وقرأ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٥) الآية .

قال المغيرة بن شعبه : النَّازِلُ لِلْإِخْوَانِ مَنْزُولٌ .

قال المنصور لإسحق بن مسلم العقيلي : ما بقى من لذتِكَ ؟ قال : أخٌ أَشْتَهَى معه
طولَ السَّهر ، ودابةٌ أَشْتَهَى معها طولَ السَّفر .

قال جعفر بن محمد : حَفِظَ الرجل أخاه بعد وفاته في تركته كَرَمٍ .

(١) ساقط من ١ .

(٢) في ١ : وذلك لا يجرى على أهلها .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

(٤) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

كَانَ يُقَالُ : أَنْصَحُ النَّاسَ لَكَ^(١) مِنْ خَافَ اللَّهَ فَيْكَ .

قَالَ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ : مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كُلَّهُ ، لَا تَسْتَقْصِ^(٢) عَلَيْهِ فَيَبْقَى بِلَا أَخٍ .

كَانَ يُقَالُ : الْأُخُوَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ .

كَانَ يُقَالُ : مَا شَيْءٌ أَسْرَعَ فِي فُسَادِ رَجُلٍ وَصَلَاحِهِ مِنْ صَاحِبِهِ .

ذَكَرَ الرِّيشِيُّ ، عَنْ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : مَا رَأَيْتُ شَعْرًا أَشْبَهَ بِالسَّنَةِ مِنْ قَوْلِ

عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فِكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ مُقْتَدِي
وَصَاحِبُ أُولَى التَّقْوَى تَنْلُ مِنْ تُقَاهُمْ وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدَى^(٣)

وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَنْ ذَا الَّذِي يَخْفَى عَلَيْهِ لَكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى قَرِينِهِ^(٤)

قَالَ الْخَوَّارِزْمِيُّ :

لَا تَصْحَبِ الْكِسْلَانَ فِي حَاجَاتِهِ كَمْ صَالِحٍ بِفُسَادِ آخِرٍ يَفْسُدُ

(١) فِي ح : فَيْكَ .

(٢) فِي أ : لَا تَسْتَقْصِ .

(٣) وَرَدَ الْبَيْتَانِ مَعًا فِي : شُعْرَاءِ النَّصْرَانِيَةِ ٤٦٦ ، جَمَاهِرَةُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ ١٠٢ ، وَوَرَدَ الْأَوَّلُ فِي : مَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ ٢٥ ، عَيُونُ الْأَخْبَارِ ٣/٧٩ ، حِمَاسَةُ الْبَحْتَرِيِّ ٢٢٦ ، التَّمْثِيلُ وَالْمَحَاضِرَةُ ٥٢ ، وَقَدْ نَسَبَ الْبَيْتَ لَطَرْفَةَ وَوَرَدَ فِي دِيْوَانِهِ ، وَلَكِنْ الرَّاجِحُ أَنَّهُمَا لِعَدِيِّ .

(٤) دِيْوَانُهُ ٢٨٢ ، وَفِيهِ : خَدِينُهُ بِدَلِّ قَرِينِهِ .

عدوى البليد إلى الجليد سريعة^١ والجرم يوضع في الرماد فيخمد^(١)

كان سفيان بن عيينة يتمثل :

لكل امرئ شكل^٢ يقر بعينه^٣ وقرة عين الفسل أن يصحب الفسل^(٢)

وقال صالح بن جناح :

وصاحب إذا صاحبت حرًا مبرزًا^٤ يزين ويُررى بالفتى قرناؤه^(٣)

وقال سهل الوراق :

تخير قرينًا لا يعيب^(٤) فإنه يقاسر^٥ لعمري بالقرين قرينه

وشر خدين قاطع^٦ لخدينه إذا حاد يومًا عن هواه خدينه

وقال آخر :

إن النديم وإن الكأس صيرني^٧ كما ترانى سليب العقل والدين^(٥)

^(٦) قالوا : من أراد أن يدوم له ود أخيه ، فلا يمازحه ، ولا يعده موعدًا

فيخلفه^(٦) .

(١) البيتان في التمثيل والمحاضرة ١٢٥ .

(٢) البيت في البيان والتبيين ٣/ ١٧٥ ، الحيوان ٧/ ١٥٨ . والفسل : النذل الذي لا مروءة له .

(٣) في ١ : وزراؤه .

(٤) في ٢ : لا يعاب .

(٥) في محاضرات الأدباء ١/ ٣٢٠ ، ورد الشطر الأول من البيت : لاني غفلت عن الساق فصرتي .

(٦) ساقط من ١ .

أوصى رجلُ ابنه فقال : يا بني ! اصحب من إذا غبتُ عنه خَلَفَكَ ، وإن
حضرتَ كَنَفَكَ ، وإن لقي صديقَكَ استزادهُ لك ، وإن لقي عدوكَ
كَفَّهُ عَنْكَ .

وقال بعضهم : لا تؤاخذ شاعراً ؛ فإنه يمدحك بضمن ، ويهجوك مجاناً .
لابن أخى زَرِّ بن حُبَيْش^(١) :

وما استخبأتَ في رجل خبيثاً كَدَيْنِ الصَّدَقِ أو حَسَبِ عَتِيقِ

كان من كلام خالد بن صفوان : اصحب من إن صحبتَه زانك ، وإن خدمته صانك ،
وإن أصابتك فاقة مانك^(٢) ، وإن رأى حسنة عدها ، وإن رأى سيئة كتها وسترها ،
لا تخاف بوائقه ، ولا تختلف طرائقه .

قال أبو العتاهية :

لَكَ الْخَيْرُ إِنِّي ناصحٌ لك فاسْمَعْ طمعتَ من الإنسانِ في غير مَطْمَعِ
طمعتَ من الإنسانِ في صَفْوٍ وُدِّهِ أَلَا لَيْسَ يَصْفُو ذُو طَبَائِعٍ أَرْبَعِ

(١) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي ، من جلة التابعين ، وقد عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام
ولم يكن له لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان زر عالماً بالقرآن فاضلاً ، سكن الكوفة وعاش فيها حتى مات
في وقعة بدير الجماجم سنة ٨٣ هـ . انظر الإصابة ١/٥٧٧ (الأعلام ٢/٧٤) هذا ولم أستطع معرفة ابن أخيه
هذا الذي نسب المصنف إليه البيت ، وقد نسب في حماسة البحري ٢٥٦ يزيد بن الحكم الثقفي ومن المؤكد أن
يزيد ليس ابن أخى زر ، فيزيد ثقفي من الطائفة ، وزر أسدي كوفي .

(٢) مانك : احتمل مؤونتك .

خذ العفو من كل امرئ سُمْتُ وَدَّهِ وإن ضاق عما سُمَّتِهِ فتوسع^(١)

ولأبي العتاهية أيضا :

يأربُّ خدنٍ كنت آمن غيبه أصبحت تنطفئ في يديه جراحى
سلحته ليردَّ بأسَ عدوه فمدا على فبزني بسلاحى^(٢)

وقال العاقولي^(٣) :

من يُكرم الناس يُكرمونه ومن يُهينهم يجذ هوانا
ومن يُقل عثرة يُقلها ومن يُعن لم يزل معانا
كان أخا صاحباً زمانا فال عن وصلنا وخانا
تاه علينا ، وصد عنا فلا نراه ولا يرانا

وقيل لخالد بن صفوان : أى إخوانك أحب إليك ؟ قال : الذى يغفر زللى ،
ويقبل على ، ويسد خللى .

قال المأمون : الإخوان على ثلاث طبقات : فإخوان كالغذاء لا يُستغنى عنهم
أبدا ، وهم إخوان الصفاء ، وإخوان كالدواء يُحتاج إليهم فى بعض الأوقات ، وهم

(١) لا توجد هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع .

(٢) هذه النسبة إلى دير العاقول وهى بليدة بالقرب من بغداد ، ذكر ابن الأثير فى الباب ٢/ ١٠٥ ، ٦
بعض من ينسب إليها من العلماء ، ولا يمكن القطع بنسبة الأبيات إلى أحدهم لجرده أنه عاقولى ، هذا وقد ورد
فى ديوان ابن المعتز ٢/ ٢٣ البيتان الأخيران مع اختلاف يسير فى ألفاظ الرواية .

الفقهاء ، وإخوان كالداء لا يُحتاج إليهم أبداً ، وهم أهل الملق والنفاق لا خير فيهم .

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : اصْحَبْ من ينسى معروفه عندك ، ويذكر حقوقك عليه .

كان^(١) ابن عيينة ماشياً بمكة مع بعض إخوانه ، فنظر فإذا أحداثٌ يتبعونه ، فقال له : انظر من صار جلاسى اليوم بعد ثمانين سنة ... لقد كنتُ ابنَ عشرين سنة وما كنتُ أجالس أبناء العشرين ، وإنما كنتُ أجالس الشيوخ والكهول ، ألم تسمعْ إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ؟ قلت : لا . قال : قال عبيدُ الله :

أَلَا أَبْلَغَا عَنِّي عِرَاكَ بْنَ مَالِكٍ فَإِنِ أَتَمَّا لَمْ تَفْعَلَا فَأَبَا بَكْرٍ^(٢)

ويروى : ولا تدعَا أن تُثَنِّيَا بأبي بكرٍ

(١) من هنا حتى آخر أبيات أبي الأسود الدؤلى فى الصفحة التالية زيادة فى ١ .
(٢) أما عراك فهو عراك بن مالك الغفارى السكنانى المدنى ، تابعى جليل ومحدث ثقة ، كان من أشد أصحاب عمر بن عبد العزيز على بنى مروان فى انتزاع ما حازوا من الفىء والمظالم من أيديهم ، فلمسا ولى يزيد ابن عبد الملك فناه إلى دهلك على حدود اليمن ، ومات بها فى خلافته على الأصح . انظر تهذيب التهذيب ١٧٢/٧ ، ١٧٣ ، وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى الخزرجى . قاضى الدينة وأميرها لعمر بن عبد العزيز ، كان عابداً ثقة كثير الحديث ، ويقال : لأنه كان أعلم أهل المدينة بالقضاء ، توفى عن سن عالية نحو سنة ١٢٠ هـ . انظر : شذرات الذهب ١٥٧/٢ ، تهذيب التهذيب ٣٨/١٢ . هذا وقد ورد البيتان ضمن أربعة أبيات لصيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه فى أمالى المرتضى ٣٩٨/١٢ ، ٣٩٩ ، وذكر هناك القصة الأصلية لها ، كما وردت القصة أيضاً برواية مختلفة فى الأغانى ٩١/٨ ، ٩٢ . وملخصها أن عراك بن مالك وأبا بكر بن حزم وعبيد الله كانوا يتجالسون بالمدينة زماناً ، ثم ان ابن حزم ولى امرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان ولا يقفان ، وكان ضريراً فأخبر بذلك فأنشأ يقول : وأورد الأبيات . انظر البيتين أيضاً فى عيون الأخبار ٧/٣ ، ٨ ، الحيوان ١٥٨/٧ .

فكيف تلومان ابن سبعين حجةً على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشرين

وقال آخر :

أبن لى فكن مثلى، أو ابتغ صاحباً كشك إني مبتغ صاحباً مثلى

ولا يلبث الإخوان أن يتفرقوا إذا لم يؤلف روح شكل إلى شكل

قيل لبعض المدنين : أى الهوى أغلب ؟ قال : هوى متشا كلين .

ولعبد الصمد بن المزدل :

الناس أشكالٌ فكلُّ امرئٍ يعرفه الناس بمتأبه

لا تسألنَّ المرءَ عن حاله ما أشبه المرء بأصحابه

وقال أبو الأسود الدؤلى :

لكلِّ امرئٍ شكلٌ من الناس مثله وكل امرئ يهوى إلى من يشا كله

ومالك بُدٌّ من نزيل فلا تكن نزيلاً لمن يسعى به من ينأزله

وإن أنت نازلت الكريم فلاقه بما أنت من أهل المروءة قائله

وإن أنت نازلت اللئيم فكن فتى تزايله فى فـله وتحامله

إذا لم تُدَاخِلْ دُرٌّ من كان ذا حجا وعزمٍ وحزمٍ لم تجد من تُدَاخِلُه

وما الناسُ إلا بالأصولِ فإنما يُنَبِّتُ أعلى كلِّ بيتٍ أسافله (١)

وقال جرير^(١) :

وإني لأستحي أخى أن أرى له على من الحق الذى لا يرى لي

وفى هذا الشعر يقول جرير :

ألا تخافاً نبوتى فى مُلّة وخافا المنايا أن تفوتكما ييا
تعرّضت فاستمررت من دون حاجتى فخالك إننى مستمرّ لحاليا
وإنى لمغرور أعللّ بالمنى لىالى أرجو أن مالك ماليا
فأنت أخى ما لم تكن لى حاجة فإن عرّضت أيقنت ألا أخاليا

وهذا البيت من شعر جرير هذا قد أدخله عبد الله بن معاوية^(٢) بن عبد الله

بن جعفر^(٢) فى أبياته التى يقول فيها ، فلا أدرى من تقدم صاحبه إليه :

رأيت فضيلاً كان شيداً ملففاً فكشفه التمحيص حتى بدا لي
فأنت أخى ما لم تكن لى حاجة فإن عرّضت أيقنت ألا أخاليا
فلا زاد ما بينى وبينك بمدا ما بلوتك فى الحاجات إلا تنائيا
ولست براء عيب ذى الود كله ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا

(١) - الأبيات الآتية فى ديوان جرير ٥٠٦ ، وانظرها من قصيدة طويلة فى النفااض ١٧٧ ط أوربا ، وفيها :

فأنت أبى ... لا أباليا .

(٢) - ساقط من ١ .

كلانا غنى عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانياً^(١)

وقد أدخل بعضهم في هذه الآيات بيتين ، وهما :

ولستُ بهيَّابٍ لمن لا يهأبني ولستُ أرى للمرءَ مالا يرى ليَا
متى تدنُّ مني تدنُّ منك مودتي وإن تنأَّ عني تُلفني عنك نأئياً^(٢)

^(٣) وقال روح أبو همام :

فمِنْ السَّخَطِ تُظْهِرُ كُلَّ عَيْبٍ وعين أخى الرضا عن ذاك تعمى^(٤)

وقال معن بن أوس :

إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدتهُ على طرف الهجران إن كان يعقلُ
ستقطعُ في الدنيا إذا ما قطعتني يمينك فانظرُ أي كَفٍّ تبدَّلُ^(٥)

(١) هذا البيت وارد في القلط ، وانظر الآيات لعبد الله بن معاوية في عيون الأخبار ٧٥/٣ ، الكامل ١٢٥/١ ، زهر الأدب ١٢٥/١ ،

(٢) نسب هذا البيتان في حماد أبي تمام ١٦٠/١ لأبي بن حنبل المديني ، ووردا مع بيت جرير الأول : وإني لأستحيي ، والبيت الأخير من أبيات عبد الله : كلانا غنى ... في قصيدة طويلة في أمالي القالي ٧٤/٣ ، ٧٤ لسبار بن هبيرة أحد بني ربيعة الجوع بن مالك بن زيد مناة في عتاب أخويه خالد وزياد ، كما نسب البيتان المذكوران في التثيل والمحاضرة ٣١٠ للمتنبى ولا يوجد ن في ديوانه .

(٣) ساقط من ج ، وفي ١ : قال أبو العتاهية وهو خطأ فالبيت ليس له ولم يرد في ديوانه ، ومياني بالنسبة الصحيحة فيما بعد ، وانظره في الصداقة والصدق ٩٠ .

(٤) وزع البيتان مذكورين لمن في حماسة أبي تمام ٣/٢ ، ٤ ، الكامل ٣٦٤/١ السواد ٢١٨ ، حماسة البحتري ٢٨ ، ٩ ، العقد الفريد ٤٤٤/٤ ، ونسب في الميون ١٨/٣ لجرير وليس في ديوانه .

كتب ابن عمار^(١) إلى برجوان كتابا فيه قول الشاعر :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني يمينك فانظر أي كف تبدل

فلما برجوان شاعرا كان قد استخضه يعرف بابن أعين ، وقال له : أجب عن

هذا البيت ، فقال :

ومازلت أهدى النصح حتى أطرحته وأقبلت عن سبل الهداية تعدل

فهبك يميني استخبثت فقطعتها لتسلم لي نفسي أم الهلك أجهل

وهذا المعنى مأخوذ من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن المرء تدوى يمينه فيقطعها عمدا ليسلم سائرته

فكيف تراه بعد يمناه فأعلا بما ليس منه حين تدوى سرائره^(٢)

أنشدني أبو القاسم عبد الوارث بن سفيان ، قال : أنشدنا أبو محمد^(٣) قاسم

ابن أصبغ ، قال : أنشدنا أبو بكر بن أبي خيثمة لأبي-الشيخ محمد^(٤) بن عبد الله

ابن رزين^(٥) :

(١) لعله إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل الأسدي ، وهو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، كان هجاء مرأ ، وقبائحهم وإلى الكوفة بأنه من الشرارة ، وأنه من دعاة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، فسجنه ولم يطلق سراحه طيلة ولايته ، فلما تولى الكوفة الحكم بن الصلت أطلقه وأحسن إليه فأكثر من مدحه ، وقد توفي ابن عمار حوالي سنة ١٥٧ هـ . انظر الأغاني ٣٦٤/١١ وما بعدها (طبعة دار الكتب) . هذا ولم أعثر على ترجمة لبرجوان أو شاعره ابن أعين فيما تحت يدي من مراجع .

(٢) تدوى : تمرض ، وانظر البيتين في المثل والمحاضرة ١٠٣ ، نهاية الأرب ٩٦/٣ .

(٣) ساقط من أ .

(٤) انظر الأبيات في الصفحة التالية والصدقة والصديق ٥٣ ، ومع اختلاف في الترتيب في عبود الأخبار ٨١/٣ ،

ووردت الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ في العهد الفرزدق ٣٤٧/٢ منسوبة لابن أبي حازم ، وانظر المحامي والأصداء ٤١ .

صاحبٍ كان لي وكنتُ له
 كُنا كساق تَسْمَى بها قدمٌ
 وكان لي مُؤنِسًا وكنتُ له
 حتى إذا حلت الحوادثُ مِن
 أحولٍ عني وكان ينظرُ مِن
 'حتى إذا استرفدتُ يدي يده'
 أشفقَ من والدٍ على ولدٍ
 أو كذراعٍ نيطتْ إلى عَضْدٍ
 ليستَ بنا حاجةٌ إلى أحدٍ
 ساحتِي وحلَّ الزمانُ من عُقْدِي
 عَيْنِي ويرمي بساعدي ويدي
 كنتُ كمسترفدٍ يد الأسدِ^(١)

وقال آخر :

وإني لأستحي أخى أن أبرّه
 قريبًا وأن أجفوه وهو بعيدُ

وقال آخر :

قلت للفرقدَيْن إذ طال ليلي
 [ابقيا كيف شئتما عن قليل]
 وهما في السماء مُقترنانِ
 سوف تُطَوِّي السَّماوتَ فترقانِ^(١)

فيل لأعراهي : لم قطعت أخالك من أهلك ؟ فقال : إني لأقطع الفاسد من جسدي
 الذي هو أقرب إليّ من أبي وأمي وأعزّ فقدا .

قال ابن ميادة :

ألم تك في يميني يديك جمعتني
 فلا تجمطني بعدها في شمالِكما

(١) ساطع من ...

وقال آخر :

لَا تُهَيِّ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمْتَنِي فَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْزَعَةٌ^(١)

وقال آخر :

وَكُلُّ أَخٍ مَفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَيْيِكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ^(٢)

وقال آخر^(٣) :

لَنْ يَلْبِثَ الْقَرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكْرُهُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

لَمْ يَكْ مِنْ شَكْلِي ففَارَقْتُهُ وَالنَّاسُ أَشْكَالٌ وَأَلَافٌ^(٤)

وقال ابن الرومي^(٥) :

• وبعض السجايَا ينتمين إلى بعض •

(١) لب البيت في صيون الأخبار ١٩٥/٣ لأبي العناء ، ونسب في حماسة البحتري ٤٠٩ ، إلى أنس بن أبي أنس اللقي ، وليها : بعد إكرامك لي ، ونسب في زهر الآداب ٣٢٦/١ إلى أبي الأسود ، وورد في إعتاب الكتاب ٢٥٥ بدون نسبة .

(٢) ورد البيت في المؤلف ٨٥ ، حماسة البحتري ٢٢٤ منسوباً إلى حضرمي بن عامر ، ونسب إلى عمرو ابن معد يكرب في الكامل ٢٩٨/٢ ، البيان والتبيين ٢٢٣/١ ، وورد في التحصيل والمحاضرة ٢٣٥ بدون نسبة .

(٣) هو جزير ، انظر ديوانه ٢٠١ .

(٤) في ح : لم يك لي شكلا ، وانظر البيت في المؤلف والمختاب ٨٥ ، المحاسن والمساوي ٢٠٦/٢ .

(٥) لم تجد هذه الشطيرة فيما طبع من ديوانه .

قال حبيب :

ولن تنظم العِقدَ الكعابُ لزينةً كما ينظمُ الشَّملَ الشَّتيتَ الشَّمايلُ^(١)

وقال المُساحِقُ :

تُزهِدُنِي فِي وَدَّكَ ابْنَ مُسَافِعٍ مودُتُكَ الأَرْدَآلَ دُونَ ذَوِي الفَضْلِ
وَأَنْ شِرَّارِ النَّاسِ سَادُوا خِيَارَهُم زَمَانُكَ إِنْ الرِّذْلُ لِلزَّمَنِ الرِّذْلُ^(٢)

قال أكرم بن صيفي : أحقُّ من يَشْرَكَكَ في النعمة شرُّ كَأُوك في المكاره .

أخذه دعبل فقال ، و يروى لحبيب :

وَإِنْ أَوْلَى الْبِرَايَا أَنْ تَوَاسِيَهُ عِنْدَ السُّرُورِ لِمَنْ وَاسَاكَ فِي الْحَزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلُفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا مَا غَلَبَ أَسَا مَرَّةً وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِهَا مُجْمَلًا
شَكَرْتُ الْمَقْدَمَ مِنْ فَعْلِهِ وَلَمْ يُفْسِدِ الْآخِرُ الْأَوَّلَا^(٤)

(١) ديوانه ٣٠٥ .

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٨/٣ .

(٣) نسب البيتان لأبي تمام في خاص الخاص ٩٥ ، عيون الأخبار ٢٠/٣ ، وانظرهما في ديوانه ٣١٤ ، ونسبا
للصولي ووردا في ديوانه ١٧٧ ، وانظر وفيات الأعيان ٢٩/١ ، معجم الأدباء ١٩٢/١ ، و يروى لمن والاك بدل
واساك ، وانظر التحقيق في ديوان دعبل ٣٥٧ .

(٤) ورد البيتان في العقد الفرید ٢٧٧/٣ منسوبين لطاهر بن عبد العزيز ، ونسبا في محاضرات الأدباء .
٥/٢ إلى منصور الفقيه .

وقال امرؤ القيس بن عانس الكندي^(١) :

إِنِّي بِمَحَبَّتِكَ وَاصِلٌ حَبْلِي وَبِرِيْشِ نَبْلِكَ رَائِشٌ نَبْلِي
وَشِمَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَمَا نَبَحْتُ كَلَابُكَ طَارِقًا مَثَلِي

قال عبيد^(٢) :

لَا أَلْفِيَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي وَفِي حَيَاتِي مَارُودُتِي زَادِي
الْخَيْرُ أَبْقَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِي

قال آخر :

وَإِذَا تَكُونُ عَظِيمَةً أُدْعَى لَهَا وَإِذَا يَحَاسُ الْحَيْسُ يَدْعَى جَنْدَبُ^(٣)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ وَيَحْمِلُ مِنْكَ الْحَقَّ فَالْتَرَكُ^(٤) أَجْلُ

(١) مضعن ترجمته لهما سبق ، وانظر البيتين في الأغانى ١/٣١٣

(٢) انظر البيتين لعبيد بن الأبرص في التمثيل والمحاضرة ٥٠ ، الشعر والشعراء ١٤٥ ، اللسان ٣٩٧/١٥ ، والأول في البيان والتبيين ٣/١٠٥ فصل الهال ٢٠٥ ، الصداقة والصديق ٨١ ، وورد الثاني في المقادير ٤/٣٠ إلى النابغة ، هذا وقد فصل ناسخ النسخة ج بين البيتين بكلمتي : قال آخر ، وهو خطأ .

(٣) الحيس : تمر يخلط بسمن فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق ، هذا وقد ورد البيت وحده ومع أبيات في كثير من كتب الأدب ، واختلفت نسبته فيها . ففي حماسة البحرى ١٠٩ قال : لا لعامر بن جوين الطائي أو منقذ بن مرة السكتاني ، وفي المؤلف ٣٨ ، أمالي القالى ٣/٨٥ نسب لابن أحمر السكتاني أو زرافة الباهلي ، ونقل هذه النسبة بنصها في اللسان مادة حيس ، وانظر البيت ضمن سبعة أبيات في عيون الأخبار ٣/١٨ ، ١٩ ، وانظر التحقيق في هامشه ، فقد أورد للأبيات نسبة أخرى .

(٤) في ٣٠ : فالصبر .

وفي البُعد منجاةً وفي الصرم راحةً^(١) وفي الأرضِ عمن لا يواتيك مَرَحَلُ

وقال آخر :

لَهُ حَقٌّ وليس عليه حَقٌّ وَمَهْمَا قال فالحسنُ الجميلُ
وقد كان الرسولُ يرى حقوقاً عليه لأهلِها وهو الرسولُ^(٢)

قال آخر :

وددتُك لما كان وُدُّكَ خالصاً وأعرضتُ لما صار نهباً مُقسماً
ولن يلبث الحوضُ الجديدُ بناؤه على كُرهِ الوُرَادِ أن يتهدماً^(٣)

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

«نعم الزمانُ زمانِي والشَّانُ في إخوانِي
ممن رمانِي لَمَّا رأى الزمانَ رمانِي»^(٤)
لو قيل لي خذ أماناً من أعظم الحداثِ

(١) ويروي : مزحل وما يعني ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ١٩/٣ ، وفيها : وفي العيش منجاة وفي الهجر راحة .

(٢) نُسب البيتان في الكامل ٣٢٢/١ إلى عبد الله بن حسن بن حسن ، ووردا في عيون الأخبار ٢٠/٣ بدون نسبة ، وفيها : عليه لغيره بدل أهلها ، وفي زهر الآداب ١٢٦/١ أنهما لأبي عاصم محمد بن حمزة الأسلمي في الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

(٣) البيتان في زهر الآداب ٢٦/٤ ، محاضرات الأدباء ١٠٥/٢ وفيها : تبعك لما كنت عندي ممثلاً بدل الشطرة الأولى .

(٤) ساقط مني ا .

لما أخذت أماناً إلا من الإخوان^(١)

وقال أيضاً :

وكنت أخى بإخاء الزمانِ فلما نبأ صرت حرباً عواناً
وكنت أذمُّ إليك الزمانَ ^(٢) فأصبحت فيك أذم الزماناً
وكنت أعدك للنائبات^(٣) فها أنا أطلب منك الأماناً^(٣)

وقال آخر - وهو كثير عزة^(٤) :

خير إخوانك المشارك في المَرِّ (م) وأين الشريك في المَرِّ أينما
الذى إن حضرت زانك في الحى (م) وإن غبت كان أذنًا وعَيْنًا
أنت في معشرٍ إذا غبت عنهم بدّلوا كل ما يزينك شَيْنًا
وإذا ما حضرت قالوا جميعاً : أنت من أكرم العبادِ علينا

وقال آخر :

لما لله وصلّا إن تغيبت ساعةً فأنت وأقصى الناس فيه سواء
وخلاً إذا لم تأت بهدية^(٥) بدت لك منه غفلةً وجفاءً

(١) الأبيات في ديوانه ١٦٨ .

(٢) ساقط من ١ .

(٣) الأبيات في ديوانه ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٤) وردت الأبيات غير منسوبة في العقد الفريد ٣٠٨/٢ ، وانظرهما في ديوان كثير ١٩٤/٢ .

(٥) ساقطة من ١ .

وقال المُثَقَّبُ العَبْدِيُّ (١) :

تُوعِدُنِي مَوَاعِدَ كاذِبَاتٍ تمرُّ بها رِياحُ الصَّيفِ دُونِي
فَإِذَا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِحَقٍّ فَيَعْرِفَ مِنْكَ غَيًّا مِنْ سَمِينِي (٢)
وَإِلَّا فَاطْرِحْنِي (٣) وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي
فَإِنِّي لَوْ تُعَانِدُنِي شَمًّا إِلَى عُنَادِكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
إِذَا لَقَطَعْتُهَا وَلَقَلْتُ يَدِي كَذَلِكَ أَجْتَوِي مِنْ يَحْتَوِينِي

وقال آخر :

أَفَّا وَتَفًّا لِمَنْ مَوَدَّتُهُ إِنْ زُلْتُ عَنْهُ سُوءِ عَةِ زَالَتْ
إِنْ مَالَتِ الرِّيحُ هَكَذَا وَكَذَا مَالَ مَعَ الرِّيحِ حَيْثُمَا مَالَتْ (٤)

وقال صالح بن عبد القدوس (٥) :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أُدْرِى مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَحْحٌ أَمْ عَلَى غَشٍّ يُدَاجِينِي

(١) ديوانه ٢٩ .

(٢) في عيون الأخبار ٧٧/٣ حماسة البحري ٧٩ : فأعرف منك غيًّا من سميني .

(٣) في ديوانه وفي الشعر والشعراء ٢٣٤ فاتركني ، وفي عيون الأخبار : فاجتنبني .

(٤) انظر البيتين في التمثيل والمحاضرة ٢٤٢ .

(٥) وردت أبيات صالح في حماسة البحري ٧٩ ، ٨٠ ما عدا الأبيات ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦

ووردت كلها في تهذيب ابن عساكر ٤٥/٣ منسوبة إلى أسماء بن خارجة ، ووردت مفرقة في محاضرات الأدباء

١٤١/١ (٣ أبيات) ، الصداقة والصديق ١٢١ (٤ أبيات) ، فصل المقال ٤٣ (٦ أبيات) مع اختلاف يسير

في ألفاظ الرواية من كتاب إلى آخر .

إني لأكثر مما شمتني عجباً يد تشج وأخرى منك تأسؤني
تغتأبني عند أقوام وتمدحني في آخرين ، وكل عنك يأتيني
هذان أمران شتى البون بينهما فاكفف لسانك عن ذمي وتزيني
لو كنت أعلم منك الود هان إذا . على بعض الذي أصبحت توليني
لا أسأل الناس عما في ضمائرهم ما في ضميري لهم من ذاك يكفيني
أرضى عن المرء ما أصفى مودته وليس شيء من البغضاء يرضيني
والله لو كرهت كفى مصاحبتي لقلت إذ كرهت قربى لها ييني
ثم انشيت على الأخرى فقلت لها : إن تسنديني وإلا مثلاً كوني
لا أبتغي ود من يبغي مقاطعتي ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
إني كذاك إذا أمر تعرض لي خشيت منه على دنياي أو ديني
خرجت منه وعرضي ما أدنسه ولم أقم غرضاً للنذل يرميني
رب امرئ أجنبي عن ملأطفتي مخض المودة في البلوى يواسيني
وملطف بي مدار ذي مكاشرة مفض على وغر في الصدر مكنون
ليس الصديق الذي تخشى بواده ولا العـدو على حال بمأمون
يلومني الناس فيما لو أخبرهم بالعدو مني فيه لم يلوموني

وقال آخر :

لسانك معسولٌ ونفسك شحَّةٌ ودون الثريا من صديقك ما لكَا

وقال آخر :

بنو عبسٍ أشدُّ الناس بفضاً لنا وأشدُّهم بفضاً إلينا

فلا تقبل شهادتنا عليهم ولا تقبل شهادتهم علينا

قال لقمان لابنه : ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يعرفُ الحليمُ إلا عند الغضب ، ولا الشجاعُ إلا عند الحرب ، ولا الأخُ إلا عند الحاجة .

قال بعض الحكماء : الإخوان بمنزلة النار ؛ قليلها متاع ، وكثيرها بوار ، فلا تَسِرَنَّ بكثرة الإخوان إذا لم يكونوا أخياراً .

قال أسماء بن خارجة : إذا قدِّمَت المودةُ سَمَّجَ الشَّاءُ .

قال أبو العتاهية :

انت ما استغنيت عن صَا حَبِكَ الدهرِ أخُوهُ

فإذا احتجت إليه ساعةً مجك فُوهُ

لو رأى الناس نبياً سائلاً ما رَحِمُوهُ^(١)

(١) الأبيات في ديوانه ٢٩٥ ، وفيه : ما وصوه بدل ما رَحِمُوهُ .

وقال سويد بن منجوف :

فأبلغ مُصعباً عن رسول
تعلّم أن أكثر من تناجى
وهل تجد النصيح بكل وادٍ
وإن ضحكوا إليك هم الأمادي

وقال آخر :

لعمرك ما وُدّ اللسانِ بنافعٍ إذ لم يكن أصلُ المودة في القلب^(١)

كان يقال : تناس مساوي الإخوان ، يدّم لك ودّهم .

وقال آخر :

يا غارساً شجر الكرو م بجهله وسط السباح
ومحضناً ييضم القطا تحت الحدّ الرجا الفراح
إن الذين تودّهم هم ناصبو شبك الفخاخ
ذهب الزمان بأهله فانظر لنفسك من تَوَاح^(٢)

وقال عبدة بن الطبيب :

إن الذين تروّهم إخوانكم
يشفي صداع رؤوسهم أن تُصرعوا

(١) البيت في عيون الأخبار ٧٨/٣ ، البيان والتبيين ٢٢٢/١ ، وفيه : في الصدر بدل القلب .

(٢) وردت أبيات قريبة من هذه في ديوان أبي نواس ١٥٤ هـ :

يا واضحا ييضم القطا تحت الزمامج للفراخ
لو أيقنت ما تحتها لم تخل من فقر الصماخ
فسد الخلائق كلامهم فانظر لنفسك من تَوَاح

فَضَّلَتْ عِدَاوَتَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ وَأَبَتْ ضِيَابَ صَدُورِهِمْ مَا تُتَزَعُ
لَا تَأْمَنُوا قَوْمًا يَشُبُّ صَبِيهِمْ بَيْنَ الْقَوَائِلِ بِالْعِدَاوَةِ يَرْضَعُ^(١)

قال لقمان لابنه : يا بني ! إياك وصاحب السوء ، فإنه كالسيف المسلول ، يعجبك
منظره ، ويقبح أثره .

قال المثقّب العبدي^(٢) :

وصاحب السوء كاللّاء الميأ إذا ما رفض في الجوف يجرى هاهنا وهنا^(٣)
يُنْبِي وَيُخْبِرُ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وما رأى عنده من صالح دَفَنَّا^(٤)
كهر سوء إذا رَفَمَتْ سِيرَتَهُ رام الجِمَاحَ وإن أخفضته حَرَنَّا^(٥)
إِنْ يَحْيَ ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِمَزَلَةٍ أو مات ذاك فلا تقرب له جَنَنَّا^(٦)

ولقنّب بن أم صاحب ، وهو قنّب بن حمزة ، أحد بني عبد الله بن غطفان ،
^(٧) يهجو بني ضبة - حتى من غطفان -^(٧) :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) انظر الأبيات في عيون الأخبار ٢/٢١ ، حماسة البحتري ٢٤١ .

(٢) الأبيات في ديوانه ٣٣ ، وقد نسبت في أمالي القالي ٢/١٨٢ إلى رافع بن إبراهيم اليربوعي ، ونسبت في البيان والتبيين ٣/١٣٩ إلى المقنع السكندی .

(٣) ورد هذا البيت في نسخة ح على هيئة كلام نثرى . والرواية في الأمالي الفيض بدل الميأ .

(٤) في ١ : يفتى بدل ينبى ، وفي الأمالي : يبدى ويظهر . . . وما رأى من فعال صالح ... الخ .

(٥) في ١ : راحت مسرته بدل رفعت سيرته ، وفي الأمالي : سكنت بدل رفعت ، ورفعته بدل أخفضته .

(٦) الجنى : القبر ، والرواية في الأمالي : إن عاش ذاك فأبعد عنك منزله ... الخ .

(٧) ساقط من ١ وانظر الأبيات التالية في حماسة أبي تمام ٢/١٧٩ ، عيون الأخبار ٣/٨٤ .

فَطَّائِفَةٌ فُطِنُوا لَوْ تَكُونُ لَهُمْ مَرُوءَةٌ أَوْ تَتَّقِي اللَّهَ مَا فُطِنُوا
 إِنْ يَسْمَعُوا سَيْئًا طَارُوا بِهِ فَرَحًا مَنِي ، وَمَا تَمِيمُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
 جَهْلًا عَلَيْنَا وَجُهِنًا عَنْ عَدُوهُمْ لَبِثْتَ الْخَلَّتَانِ الْجَهْلُ وَالْعَبْنُ
 فَلَنْ يَرَاكَ وَدَى وَدَمٍ أَبَدًا وَكَنتَ مِنْ بَعْضِهِمْ مِثْلَ الَّذِي زَكَنُوا^(١)

روى عن معاذ بن جبل ، وقد رفعه بعضهم ، قال : إذا أحببت أخا في الله فلا تماره
 ولا تشاره ولا تسلم عنه أحدا ، فربما صادفت له عدوا فأخبرك بما ليس فيه ، فخال
 بينك وبينه .

قال أبو الأسود الدؤلى :

وَصِلُهُ مَا اسْتَقَامَ الْوَصْلُ مِنْهُ وَلَا تَسْمَعْ بِهِ قِيلًا وَقَالَ^(٢)

قال محمود الوراق :

لَسْتُ مِمَّنْ يَمَازِقُ الصَّاحِبَ الـ وَدَ إِذَا أَظْهَرَ الْجَفَاءَ الصَّرِيحَا
 أَنَا أَنَاهُ مَا اسْتَطَعْتُ فَإِنْ لَسَجَ أَعْرَتُ الْفُؤَادَ يَأْسًا مَرِيحَا
 غَيْرَ أَنِّي عَلَى الْقَطِيعَةِ لَا أَظْ هَرَّ هُجْرًا وَلَا أَقُولُ قَبِيحَا

(١) زكنوا : ظنوا عن يقين ، ويروى : قلبى بدل ودى ، وأمرهم بدل بعضهم .

(٢) البيت فى ديوانه ٢٠٦ .

بَابُ الْمَتَابِ

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : أعقلُ الناسُ أعذرُهم لهم .

قال الأحنف : المتابُ مفتاحُ التَّقَالى ، والعتابُ قرينُ الحقد .

وعن الأصمعيّ قال : قال أعرابي : عاتبٌ من ترجو رجوعه .

قال بعض الحكماء : العتابُ علامةُ الوفاء ، وسلاحُ الأكفاء ، وحاصدُ الجفاء^(١) .

قال العتّابي : ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وضربةُ الناصح خير من محبة الشّاني .

قال بعض الحكماء : من كثر حقه قلّ عتابه .

قال محمد بن داود : من لم يعاتب على الزّلة ، فليس بمحافظٍ للخلة .

قال أسماء بن خارجة : الإكثار من العتاب ، داعية إلى الملل .

قيل لبعض الأعراب : من الأديب العاقل ؟ قال : الفطنُ المتغافل .

قال بعض الأدباء : من أحب أن يسلم له صديقه ، فليقبل عُذره ، وليقلّ عتابه ؛

فإن العتاب يجرُّ الملل^(٢) .

(١) في ١ : سلاح الأكفاء ، وعاضد الجفاء .

(٢) في ٢ : بحر العتاب .

قال غيره : العتاب مفتاح القطيعة .

قال عمرو بن بحر : العتاب رائد الإنصاف ، وشفيع المودة ، ويد للمحافظة .

أنشدنا الرّياشي ، وهي لهشام الرقاشي ^(١) :

أبلغ أبا مسمع عني مغلغلةً وفي العتاب حياةً بين أقوام ^(٢)
 قدّمت قبلي رجالا لم يكن لهم في الحق أن يلجوا الأبواب قدّامي ^(٣)
 لو عدّ قبرٌ وقبرٌ كنت أكرمهم قبراً ، وأبعدهم من منزل الذّام ^(٤)

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أعتابُ من يحلو بقلبي عتابه وأتركُ من لاأشتهي ، لاأهاتبه

وقال آخر :

وليس عتابُ المرء للمرء نافعاً إذا لم يكن للمرء لبٌّ يعاتبه ^(٥)

(١) وردت الأبيات منسوبة لهشام الرقاشي في البيان والتبيين ٣/٣٧٤ ، العقد الفريد ١/٨٠ ، ونسبت إلى عصام بن عبيد الزماني في معجم الشعراء ٢٧٠ ، تاج العروس مادة غل ، حساسة أبي تمام ١/٤٧٥ ، ونسبت إلى أبي القمقام الأسدي في عيون الأخبار ١/٩١ ، ٩٢ ، وانظر التمثيل والمحاضرة ٤٦٥ .

(٢) المغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد . والرواية في العيون : أبا مالك بدل أبا مسمع .

(٣) رواية الحماسة : قوماً بدل رجالا . وأن يدخلوا بدل يلجوا .

(٤) اختلفت رواية هذا البيت في المراجع ، فقد وردت كما هنا في البيان ، ثم اختلفت بعد ذلك ، ففي العقد : لوعد قوم وقوم كنت أقربهم قربي . وفي العيون : ... بيت وبيت كنت أقربهم بيتا ، وفي الحماسة ومعجم الشعراء وتاج العروس : أكرمهم ميتا ... الخ .

(٥) البيت لبشار ، من قصيدته المعروفة : إذا كنت في كل الأمور معاتباً ، انظره في ديوانه ١/٣٠٩ .

وقال آخر :

أعائبُ من أُحِبْتُ في كُلِّ زَلَّةٍ ليحتمى الأمرُ الذي معه العَتَبُ
فإني أرى التأديبَ عندَ وجوبه بمنزلةِ الغيثِ الذي قبله الجَدَبُ^(١)

وقال على بن الجهم :

أعائبُ ذا المودَّةِ من صديقٍ إذا ما رآني منه اجتنابُ
إذا ذهبَ العتابُ فليس وُدٌّ ويبقى الودُّ ما بقى العتابُ^(٢)

وقال آخر :

لولا محبتكم لما عاتبكم ولما كنتم عندي كبعضِ الناسِ^(٣)

وقال نصر بن أحمد :

وتعائبُ الإخوان فيما بينهم بعث على الإجلالِ والإكرامِ
لولا اعترافي باعترافك في الذي تأتى وتترك ما أتاكَ مَلَامِي

وهذا يشبه قول البحترى^(٤) :

أباحسن ما كان عتبيكَ دونهم لواحدةٍ إلَّا لأنك تفهمُ

(١) في ١ : فإني رأيت العتب ، وانظر البيتين في التمثيل والمهاضرة ٢٢٩ .

(٢) انظر البيتين في ديوانه ٧ .

(٣) نسب البيت في وفيات الأعيان ٢٢٠/٢ إلى العباس بن الأحنف ولم أعثر عليه في ديوانه .

(٤) ديوانه ١٤٦/٢ .

وقال نصر بن أحمد :

إن كان لفظي كريها فاضطرب فعملي
لولا العوارض ما طاب العتاب لنا
إني أعاتب إخواني وهم ثقتي
هي الذنوب إذا ما كُشِّفَت دَرَسَتْ
كُره العلاج يُصحُّ الله أبداناً
لولا قِصَارَتُنَا للشوب ما زاناً^(١)
طوراً وقد تُصَنَّقَل^(٢) الأسياف أحياناً
من القلوب وإلا صِرْنَا أضغاناً

وقال ابن وكيع :

عتابي أخى في كل ذنب أتى به
ولست أرى وجهاً لترك عتابه
خوفٌ على حال الأخوة في الودِّ
على ما جنى إذ كان خيراً من الحقْد

وقال ابن بسّام :

عاتب أخاك إذا هفأ
وإذا أتاك بغيبه
من ناقش الإخوان لم
واعطف بودك واستعده
واش فقل لم يعتمد
يُبْدِ العتاب ولم يُعِدْ

وقال محمد بن أبي حازم :

خل عنك العتاب إن
خان ذو الودِّ أو هفأ

(١) قصارة الثوب : ضله وتبويضه .

(٢) في ١ : تنقل .

عَيْنُ مَنْ لَا يُحِبُّ وَصْدَ لَكَ تُبْدِي لَكَ الْجَفَاءَ^(١)

وقال بشار العقيلي :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مَعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
فَمَشَّ وَاحِدًا أَوْ صَلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارَفَ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ^(٢)

وقال آخر :

الْبَسِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ عَلَى النَّقْصِ وَإِلَّا لَمْ تَسْتَقِمْ لَكَ خُلَّةٌ
عَشَّ وَحِيدًا إِنْ كُنْتَ لِاتَّقْبِلَ الْعُدُوَّ رَ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَجَاوِزُ زَلَّةً^(٣)

وقال آخر :

خُذْ مِنْ صَدِيقِكَ مَا صَفَا لَكَ لَا تَكُنْ جَمَّ الْمَعَايِبِ
إِنْ الْكَثِيرُ عِتَابُهُ أَلَّا إِخْوَانٌ لَيْسَ لَهُمْ بِصَاحِبِ

وقال أحمد بن يوسف^(٤) :

رَأْيُكَ لَا تَمِيلُ إِلَى صَوَابٍ وَلَا تَرْضَى الصَّوَابَ مِنَ الْجَوَابِ

(١) عيون الأخبار ١١٠/٣ ، العقد الفريد ١٣٤/٣ ، والثاني في فصل المقال ٣٨٤ .

(٢) الأبيات في الديوان ٢٠٩/١ .

(٣) البيتان لأبي العتاهية ، انظر الديوان ٢٣٦ .

(٤) ابن القاسم بن صبيح المعروف بالكاتب ، وزير من كبار الكتّاب ، ولي ديوان الرسائل للمأمون ثم استوزره بعد خالد الأحول ، وكان فصيحاً قوى البديهة ، يقول الشعر الجيد : انظر : تاريخ بغداد ٥/٢١٦ ، لوزراء والكتّاب ٣٠٤ (الأعلام ١/٢٥٨) .

وتركك ما يريُّك في كثير
أحفُّ عليك من طولِ العتابِ
ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

خليّ لو كان الزمانُ مساعدي
وعا تبتُّماني لم يضقْ عنكما صدري
فأما إذا كان الزمانُ معاندي
فالكما أن تؤذياني مع الدهرِ
وقال آخر :

إن الظَّنينَ من الإخوان يُبرِّمه
طولُ العتابِ وتُغنيه المَعاذيرُ
وذو الصفاء إذا مسَّته مصيبةٌ
كانت له عظةٌ منها وتذكيرُ

وهذا قول مميّز منصف ، حكم فعدل ، وشرح فأوضح .

أنشد نَفْطَوَيْه :

وكم من مُليم لم يُصِبْ بِمَلامَةٍ
ومُتَّبِع بالذَّنْبِ ليس له ذنبُ
وكم من محبٍّ صد من غيرِ بَغْضَةٍ
وان لم يكن في ودِّ خُلَّتِه عَتَبٌ^(١)

وقال أبو العباس الناشي :

ولست معاتباً خِلاً لِأَنِّي
رأيتُ العتبَ يُغري بالعُقُوقِ
ولو أني أوقَّفُ لي صديقاً
على ذنبٍ بقيتُ بلا صديق

(١) انظر البيتين في أمالي القالي ١٦/١ .

وله :

إني لهجرني الصديقُ تَجَنُّيًا فأريه أن لهجره أسباباً
وأخاف إن عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتاباً^(١)

وقال آخر :

عتبت عليّ ولا ذنبَ لي بما الذنبُ فيه بلا شكَّ لكُ
وحاذرتَ لومي فبادرتني إلى اللوم من قبل أن أدرك^(٢)
فكنا كما قيل فيما مضى خذِ اللص من قبل أن يأخذك^(٣)

(١) البيتان في وفيات الأعيان ٥٣/٣ .

(٢) في ١ : وبادرت بدل حاذرت ، وفي العيون : قبل أن أبدر .

(٣) انظر الأبيات في عيون الأخبار ١٠٨/٣ .

بابُ الثَّقَلَاءِ وَالطُّفَلِيِّينَ

سئل جعفر بن محمد عن المؤمن ، هل يكون بغيضاً ؟ قال : لا يكون بغيضاً ،
ولكن يكون ثقيلاً .

قال سفيان بن عيينة : قلت لأيوب السخّتياني^(١) : لِمَ^(٢) لَمْ تَكْتُبْ عَنْ
طاووس^(٣) ؟ قال : أَتَيْتُهُ فوجدته بين ثَقِيلَيْن ؛ عبد الكريم بن أبي المخارق^(٤) ،
وليث بن أبي سليم^(٥) .

(١) هو أيوب بن (أبي قحيفة) كيسان السخّتياني البصري ، سيد فقهاء عصره ، من النساك الزهاد ،
ومن أجل حفاظ الحديث الثقات ، توفي سنة ١٣١ هـ . انظر في ترجمته تهذيب التهذيب ٢٩٧/١ ، اللباب
٥٣٦/١ .

(٢) في ١ : مالك لم تكتب الخ .

(٣) هو طاووس بن كيسان الحولاني ، من كبار التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث وتقشفا في العيش ،
وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك ، أصله من الفرس ، ومولده ونشأته باليمن ثم سكن البصرة ، وتوفي حاجا بالمزدلفة
أومى سنة ١٠٦ هـ . انظر في ترجمته : تهذيب التهذيب ٨/٥ وما بعدها ، وفيات الأعيان ٢٣٣/١ (الأعلام
٣٢٢/٢) وانظر هامشه .

(٤) عبد الكريم بن أبي المخارق أو ابن أبي أمية واسم أبيه (صاحب هاتين الكنيتين) قيس ويقال طارق ،
وعبد الكريم معلم بصرى ، نزل مكة وعاش فيها ، قال عنه معمر : ما رأيت أيوب اغتاب أحدا قط إلا عبد الكريم
أبا أمية فإنه ذكره فقال : رحمه الله كان غير ثقة ، لقد سألنا عن حديث لعكرمة ثم قال سمعت عكرمة .
وكان ابن عيينة يستضعفه ، وقال ابن عبد البر : يجمع على ضعفه . انظر لتفصيل أكثر تهذيب التهذيب
٣٧٦/٦ وما بعدها .

(٥) ابن زعيم القرشي ، مولاهم ، روى عن طاووس ومجاهد وعطاء وغيرهم ، قال عنه عبد الله بن أحمد
ابن حنبل عن أبيه لأنه مضطرب الحديث ، وقال أيضا : ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأيا منه في أحد ، مثل ليث
ابن أبي سليم . والأقوال كثيرة في ضعفه ولينه . انظر : تهذيب التهذيب ٤٦٥/٨ وما بعدها .

قال الحسن البصري ، في قوله عز وجل : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ﴾ ^(١) ، قال :
نزلت في الثقلاء .

وقال السري ^(٢) : ذكر الله تعالى الثقلاء في القرآن ، في قوله : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فانتشروا ﴾ .

وقال أبو أسامة ^(٣) : كنا عند الأعمش ^(٤) ، فجاء زائدة بن قدامة ^(٥) ، فقال
الأعمش حين رآه :

وما الفيلُ تحمله مَيِّتًا بأثقلَ من بعض جُلَّاسِنَا ^٦

كان أبو هريرة إذا استثقل رجلا ، قال : اللهم اغفر لنا وله ، وَأَرْحِمْنَا مِنْهُ .
رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة .

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .

(٢) ابن يحيى بن ليث الشيباني ، أحد رجال الحديث الثقات ، توفي حاجا بمكة سنة ١٦٧ هـ . تهذيب
التهذيب ٤٦١/٣ .

(٣) الكوفي ، حماد بن سلمة بن زيد القرشي ولاء ، محدث ثقة ، كان أعلم الناس بأمور الناس وأخبار
أهل الكوفة ، توفي سنة ٢٠١ هـ . تهذيب التهذيب ٢/٣ وما بعدها .

(٤) هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء ، أبو محمد الملقب بالأعمش ، تابعي مشهور ، كان عالما بالقرآن
والحديث والفرائض ، توفي ١٤٨ هـ . انظر ابن سعد ٢٣٨/٦ .

(٥) الثقفى ، أبو الصات الكوفي ، محدث ثقة ، صدوق من أهل العلم ، مات غازيا في أرض الروم سنة
١٦١ هـ . تهذيب التهذيب ٣٠٠/٣ .

(٦) البيت في العقد الفريد ٢/٢٩٦ ، عيون الأخبار ١/٣٠٩ .

« كان حماد بن سلمة^(١) إذا رأى من يستثقله ، قال : ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) .

وعن حماد بن سلمة أيضاً ، أنه قال : الصوم في البستان من الثقل^(٣) .

كان يقال . مجالسة الثقل تُحمي الروح .

قيل لأبي عمرو الشيباني : لأي شيء يكون الثقل أثقلَ على الإنسان من الحمل الثقل ؟ فقال : لأن الثقل يقعد على القلب ، والقلب لا يحتمل ما يحتمل الرأس والبدن من الثقل .

كان فلاسفة الهند يقولون : النظر إلى الثقل يورث موت الفجأة .

قال ثقل لمريض : ما تشتهي ؟ قال : أشتهى ألا أراك .

مرض الأعمش فعاده أبو حنيفة ، فقال : يا أبا محمد ! لولا أنه يشغل عليك ، لعدت كل يوم . فقال الأعمش : والله إنك على ثقل وأنت في بيتك ، فكيف إذا عدتني ؟

قال معمر^(٤) : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة : محادثة الإخوان ، وحك الجرب ،

(١) ابن دينار البصري ، محدث صحيح السماع ، لم يكن بالبصرة من أقرانه من هو مثله في الفصل والعلم والصلابة في السنة والقمع لأهل البدع ، توفي سنة ١٦٧ هـ . تهذيب التهذيب ١٣/٣ .

(٢) سورة الدخان ، الآية ١٢ .

(٣) ساقط من .

(٤) ابن راشد بن أبي عمرو الأزوي ، أبو عروة ، فقيه ح فظ للحديث ثقة ، من أهل البصرة سكن =

والوقعة في الثقلاء ، وهي أفضل الثلاث ،

وقال عبد الرزاق عن معمر ، قال : ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاثة : محادثة الإخوان ، وأكل القديد ، وحك الجرب . وأزيدكم واحدة : الوقعة في الثقلاء ، وأنشد :

ليتني كنت ساعة مملك الموت ت فافني الثقال حتى يبيدوا

قال : وسمعت معمر يقول : رحم الله عبد الكريم أبا أمية ، إن كان لثقيلا غير ثقة .

قيل لأبي النضر^(١) : لم تكثر عن شعبة^(٢) ؟ قال : كان يستثقلني ، وكنت أهلا لذلك .

قال أبو هفان :

مشتعلٌ بالبغضِ لا تنهني إليه طوعاً مُقْلَةً الرَّامِقِ

=اليمن ولما أراد العودة كره أهل صنعاء أن يفارقوه ، فزوجوه فأقام ، وهو عند مؤرخي الحديث أول من صنف باليمن ، توفي سنة ١٥٣ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٤٣/١٠ (الأعلام ١٩٠/٨) .

(١) البغدادي ، هاشم بن القاسم بن مسلم الليثي الحافظ ، سمع من شعبة جميع ما أملى ببغداد ، وهو أربعة آلاف حديث ، وكان ابن حنبل يقول : أبو النضر شيخنا من الأمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، مات سنة ٢٠٧ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ١٩/١٨/١١ .

(٢) ابن الحجاج بن الورد العتكي ، من أئمة رجال الحديث حفظا ودراية وثبتا ، ولد ونشأ بواسط ، وسكن البصرة إلى أن توفي ، قال الشافعي : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، وكان إلى جانب هذا عالما بالأدب والشعر ، مات سنة ١٦٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤ (الأعلام ٢٤٢/٣) .

يَظُلُّ فِي مَجْلِسِنَا قَاعِدًا أَثْقَلَ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقٍ^(١)

كَانَ الْأَعْمَشُ إِذَا قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثَقِيلٌ يَتَمَثَلُ :

إِنْ غَابَ عَنْكَ ثَقِيلٌ كُلُّ قَبِيلَةٍ مِمَّنْ يَشُوبُ حَدِيثَهُ بِمِرَاةٍ
فَهَنَّاكَ طَابَ لَكَ الْحَدِيثُ وَإِنَّمَا طَيِّبُ الْحَدِيثِ بِخَفَةِ الْجَلَسَاءِ^(٢)

وَقَالَ آخَرُ :

إِنِّي أَجَالِسُ مَعَشَرًا نَوَكِي أَخْفَهُمْ ثَقِيلٌ
قَوْمٌ إِذَا جَالَسْتَهُمْ صَدِثْتُ بِقُرْبِهِمُ الْمَقُولُ
لَا يَفْقَهُونَ مَقَالَتِي وَيَدِقُّ عَنْهُمْ مَا أَقُولُ^(٣)

وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا جَلَسَ الثَّقِيلُ إِلَيْكَ يَوْمًا أَتَتْكَ عُقُوبَةٌ مِنْ كُلِّ بَابٍ
فَهَلْ لَكَ يَا ثَقِيلٌ إِلَى خِصَالٍ تَنَالُ بِيَعِضِهَا كَرَمَ الْمَاءِ
إِلَى مَالِي فَتَأْخُذْهُ جَمِيمًا أَحَلَّ لَدَيْكَ مِنْ مَاءِ السَّحَابِ
وَتَنْتَفِ لِحَيْتِي وَتَدَقُّ أَنْفِي وَمَا فِي فِيٍّ مِنْ صِرَافٍ وَنَابِ

(١) البيتان في زمر الآداب ١٣٦/٢ ، وفيه : لخطا بدل طوعا .

(٢) في ١ : لخرة القلاء .

(٣) نسبت الأبيات في العقد الفريد ٢٩٩/٢ المشي ، وانظرهما في عبون الأخبار ١/٣٠٩ .

على ألا أراك ولا تراني مقاطعةً إلى يوم الحساب^(١)

كان يقال : مجالسة الثقيل عذابٌ وبيل .

قال عبد الأعلى بن مسهر^(٢) : كان نقش خاتم أبي : « أبرمت فقم » فكان إذا استثقل جلسه ناوله خاتمه ليقرأ نقشه .

وهذا الخبر رواه أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر ، قال : قال لي هشام بن يحيى : كان نقش خاتم أيك ... فذكر الخبر^(٣) .

سلمّ ثقل على إبراهيم بن عبد الله القاري^(٤) صاحب هرون ، فقال له : يا هذا ! قد - والله - بلغت منى غاية الأذى ، أسلفني سلام شهر وأرحني منك .

قال معمر : كنت جالساً مع سمالك بن الفضل^(٥) في مجلس بصنعاء ، فدخل

(١) في ١ : بدل الشطرة الأخيرة ورد : على حال إلى شيب الغراب .

(٢) الفسائي الدمشقي ، من حفاظ الحديث ويعد شيخ الشام وعالمها بالحديث والغازي وأيام الناس ، امتحنه المأمون العباسي وهو في الرقة وأكرمه على القول بخاق القرآن ، فامتنع ، فوضعه في النطع وجرد السيف ولكنه لم يأبه بهذا وأبى أن يجيب ، فسجنه فكث في السجن نحو مائة يوم ثم مات سنة ٢١٨ ، انظر تهذيب التهذيب ٨/٦ ، تاريخ بغداد ٧٢/١١ (الأعلام ٤٢/٤) .

(٣) يختلف هذا الخبر في محاضرات الأدباء ٣٣٤/١ عنه هنا ، فهناك قال : قال ثعلب لرجل استثقله : خاتم طاووس . فلم يعلم الرجل ماعناه . فقال له ثعلب : إن طاووساً نقش على خاتمه : « أبرمت فقم » ، فإذا استثقل رجلاً دفعه إليه وقال اقرأه .

(٤) إبراهيم بن عبد الله بن عبد ، القاري المدني ، عده ابن حبان في الثقات ، وأورد ابن حجر له ترجمة موجزة في تهذيب التهذيب ١٣٤/١ .

(٥) سمالك بن الفضل الحولاني اليماني الصنعاني ، محدث جليل القدر ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الثوري : لا يكاد يسقط له حديث لصحته . انظر تهذيب التهذيب ٢٣٥/٤ .

علينا صاحبٌ له ثَقِيلٌ فلما جلس قال لى سمالك : يا مَعْمَرُ ! تعال حتى ندعوك على كل ثَقِيلٍ بصنعاء .

قال الشاعر :

أنت يا هذا ثَقِيلٌ وثَقِيلٌ — لٌ وثَقِيلٌ
أنت فى المنظر إنسا نٌ وفى الميزان فيل^(١)

وقال ابن أبى أمية^(٢) :

شهدت الرقاشى فى مجلس وكان إلى بنغيضاً مقيتاً
قال : اقترح بعض ما تشتهى فقلت : اقترحتُ عليك السكوتاً

فقال أبو حازم : عود نفسك الصبر على المجلس السوء ؛ فإنه لا يكاد يخطئك .
قال الهيثم بن عديّ : كنت يوماً عند مسعر بن كدام ، فأتاه رَقَبَةُ بْنُ مَصْقَلَةَ
العبدى ، فقال له مسعر : مالك يا ابن مصقلة ؟ قال : صريع فالودج . قال : وأين ؟ قال :
عند من قضى أبوه فى الجماعة^(٣) ، وحكم فى الفرقة .

(١) البيتان فى العقد الفريد ٢/ ٢٩٦ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مراجع .

وقد ورد البيتان بهذه النسبة فى البيان والتبيين ١/ ٣٧٩ ، ونسباً إلى أبى نواس فى العقد الفريد ٢/ ٢٩٩ ،
وقد وردا فى ديوانه ٣١٢ .

(٣) ١ : فى الحماقة ، وهو يقصد بهذه العبارة أباً موسى الأشعرى ، فقد كان قاضى الكوفة فى عهد على ،
وأنابه فى قضية التحكيم المشهورة بينه وبين معاوية .

دعانا الوليد بن الحارث بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري^(١) ، فأتينا بخوان
كجوبة من الأرض ، وأتينا برقاق كآذان الفيلة ، وجرجير كآذان المعزى ، ثم
أتينا بساكة الماء كأن ظهرها ظهر طائر قيراطي ، ثم أتينا بفالودج عديد ، كأن
الزئبق والجادى^(٢) ينبعان من خلاله ، يرى نقش الدرهم من تحته ، فوضع على رأس
حُب^(٣) فنحن على لذة من هذا وعلى يقين من ذلك . فقال له مسعر : أراك طفيلياً .
فقال : يا أبا محمد ! كل من ترى طفيلياً إلا أنهم يتكاثرون ، فوالله ما برحنا حتى
طلع علينا الحارث من بعض أبواب المسجد يخطر بيديه ، فقال رقبة : انظروا إلى
هذا وكيف يعيش ! لو كان أبوه جديع أنف^(٤) عمرو بن العاص مازاد على هذا .

(١) الراجح أنه بلال بن عامر بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، أما الاسم الذي أورده له المؤلف :
الوليد بن الحارث ، فقد ذكر ابن حجر أن عامراً يسمى الحارث في بعض الأقوال ، أما بلال فلم أعثر على من سماه
الوليد ، وعلى هذا فهناك عدة احتمالات للتحقيق : فإما أن يكون زيادة من الناسخ ، لأن الاسم ورد بعد ذلك في
نفس الخبر : الحارث ، وإما أن يكون المؤلف يحفظ لبلال اسماً آخر هو الوليد ، وإما أن يكون هناك ابن آخر
للحارث أو عامر بن أبي بردة اسمه الوليد . وأنا أرجح أن المقصود هو بلال بن عامر بن أبي بردة ، وذلك
لسببين ، الأول : أن الثلاثة رقبة ومسعر وبلال كانوا متعاصرين فقد توفى الأول نحو سنة ١٢٩ هـ ، وتوفى الثاني
سنة ١٥٢ هـ ، وتوفى الثالث أو قتل سنة ١٢٦ هـ ، على حين أن أباه توفى سنة ١٠٣ هـ وهو زمن بعيد لحدوث هذه
القصص نوعاً ، السبب الثاني أن بلال هو الذي تنطبق عليه ملامح القصة ، فقد كان من أبرز صفاته صفتان : الكرم
وخفة العقل أو النرق ، أما الأولى فهو ممدوح ذي الرمة وأبيات هذا الشاعر بوصف بلال بالكرم سائرة مشهورة
وأما خفة العقل فالمعروف عنه أنه حين ولي قضاء الكوفة لم تحمد سيرته ، وكان يقول : إني ليا تبنى الحصان
فأجد أحدهما أخف من الآخر على قلبي فأحكم له ، ولم يعرف ذلك عن أبيه ، وقد كان هو الآخر قاضياً . وعلى
ذلك لم يبق أمامنا إلا أن نقول : إن المؤلف يحفظ اسماً آخر لبلال هو الوليد ، وأن الاسم سقط بعد ذلك من
الخبر سهواً إما من المؤلف أو من الناسخ .

(٢) الجادى : الزعفران .

(٣) الحب : البصرة العظيمة ولعل المعنى أنهم في لذة من أكل الفالودج وعلى يقين من أنهم سيعتبرون
بها في الحب من شراب .

(٤) في ١ : جد عمرو بن العاص .

قال له مسعر : أجل ، قد مضى إلى لعنة الله وسقره ^(١) .

وقال حبيب بن أوس ^(٢) :

يا مَنْ تَبَرَّمتِ الدُّنيا بطلعتِه كما تَبَرَّمتِ الأجفانُ بالسَّهْدِ
يمشى على الأرض مختالاً فأحسبه لبغض طلعتِه يمشى على كبدِ

وقال آخر :

لخرطُ قتادةٍ ولحمـلُ فيلٍ وماء البحرِ يغرفُ في زَيْلِ ^(٣)
وفكُّ الماضِغَيْنِ وقلعُ ضرسٍ لأهونُ من مجالسةِ الثَّقِيلِ

ولأبي الحسن علي بن العباس الرُّومى :

ولى أصدقاؤه كَثيرو السَّلامِ علىَّ وما فيهمُ نافعُ
إذا أنا أدلَّجتُ فى حاجةٍ لها مطلبٌ نازحٌ شاسِعُ
فلِى أبدأً معهمُ وقفةٌ وتسليمةٌ وقتها ضائعُ
وفى موقفِ المرءِ عن حاجةٍ يَتَمَمُّها شاغلٌ قاطِعُ
ترى كلَّ غثٍّ كثيرِ الفضولِ ومُصحِّفهٌ مصحفٌ جامعُ

(١) فى ١ : فقم إلى لعنة الله وحر سقره .

(٢) ديوانه ٥٢ ، معجم الأدباء ٦/٢٦٦ وفيه : بالرمد بدل السهد ، وفيه وفي الديوان مجازاً بدل مغتالا .

(٣) الزيل : القفة أو الوعاء .

يقول الضميرُ إذا ما بدا : ألا قُبَّحَ الرجلُ الطَّالِعُ
يحدُّثني من أحاديثه بما لا يلدُّ به السَّامِعُ
أحاديث هنَّ مثال الضَّرِيعِ فأَكَلَهُ أبدأ جائِعُ
غدوتُ وفي الوقتِ لي فسحةٌ فضاقَ بي المنهلُ الواسِعُ
تقدَّمتُ فاعتاقني أسرُهُ إلى أن تقدَّمتني التابعُ
وقالت بلقيانُه حاجتي : ألا هكذا النكدُ البارِعُ
أولئك لآحيهم مؤنسٌ صديقًا ولا ميتهم فاجعُ

دق طفيليُّ باب دار قوم فيها طعامٌ ، فقيل : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا الذي كفاكم
مؤونة الرسول .

لطفيلي :

نحن قومٌ إذا دُعينا أجبنا ومتى مُنَّسَ يدُعنا التَّطفيلُ
فنقل : علَّنا دُعينا فجبنا أو أتانا فلم يحدنا الرسولُ^(١)

دخل طفيليُّ دار قوم بغير إذن ، فاشتد عليه صاحب الدار في القول ، فأغلظ
له الطفيليُّ في الجواب ، وقال : والله إن قمت لأدخلنك من حيث خرجت .

(١) البستان في عبون الأخبار ٢٣٢/٣ ، العقد الفريد ٢١٢/٦ ، وفيهما . متى دعينا .

فقال له صاحب المنزل : أما أنا فأخرجُك من حيث دخلت . وأخذ بيده فأخرجه .

قل لبعض الطفيلين : كم اثنين في اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة .

قال مطرّف بن مازن ، قاضى اليمن : قال لى الرشيد يوما : من عبد الرزاق ابن همام الصنعاني^(١) ؟ فقلت : رجل من أهل الحديث ، سليم الحديث ثقة . فقال : إن صاحب خبرنا باليمن كتب يذكر أنه كتب ثقلاء اليمن . فقلت : صدق يا أمير المؤمنين فكتبني فيهم . قال : ولم كتبك فيهم ؟ إنك لحسن الحديث خفيف المجلس ، فما أستثقل منك ؟ قلت : عظم قلنسوتي ، وطول عنق بغلتي . فضحك هرون ، فما خرجت من عنده حتى أمر لي بكسوة وحملا .

ولطفيلي^(٢) :

كل يومٍ أدور في عَرَصَةِ الْحَيِّ أَشْمُ الْقُتَارِ شَمَّ الذُّبَابِ^(٣)
فإذا ما رأيت نار عَرُوسٍ أَوْ خِتَانًا أَوْ دَعْوَةَ لَصْحَابِ^(٤)

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري ، مولاهم ، أبو بكر الصنعاني ، من حفاظ الحديث الثقات ، كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث ، وقال عنه الذهبي : إنه خزانة علم ، انظر : تهذيب التهذيب ٦/ ٣١٠ ، وفيات الأعيان ١/ ٣٠٣ (الأعلام ٤/ ١٢٦) .

(٢) الأبيات التالية في العقد الجديد ٦/ ٢٠٥ ما عدا الأخير ، وانظرها كلها في كتاب التطفيل ٣٥ ، ٤٠ :

(٣) في العقد والتطفيل ٣٥ : في عرصة الدار ، والقتار : رائحة القدر والشواء .

(٤) في العقد : آثار عرس أو دخانا .

لم أعرج دون التقمّ لا أره ب شتاً ووكرزة البواب^(١)
 مستخفاً بمن دخلت عليهم غير مُستأذنٍ ولا هيّابٍ
 فتراني ألفاً بالرغم منهم كلّ ماقدّموا كلف العقابِ
^(٢) ذاك أهنا من الفر م وغيظ البقال والقصاب^(٢)

كان يقال : ثمانية إن أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الذهاب إلى مائدة لم يدع
 إليها ، والمتأمر على رب البيت . . . وقد ذكرنا الحكاية بتمامها في جامع النوادر
 من هذا الكتاب .

(١) في العقد : لا أرهب طعنا ولكزة البواب .

(٢) ساقط من .

بَابُ الشَّمَاتَةِ

قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام : ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ ،
وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

وقيل لأَيُّوب عليه السلام : أى شىء من بلائك كان أشد عليك ؟ قال : شماتة
الاعداء .

قال ابن الكلبي : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شمتت به نساء كندة
وحضر موت ، وخضبن أيديهن ، وأظهرن السرور لموته ، وضربن بالدفوف ،
فقال شاعر منهم :

أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ إِذَا مَا جِئْتَهُ أَنْ الْبَغَايَا رُمْنٌ شَرٌّ مَرَامُ
أُظْهِرْنَ مِنْ مَوْتِ النَّبِيِّ شِمَاتَةً وَخَضَبْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِالْعَنَامِ ^(٢)
فَاقْطَعِ هُدَيْتَا كَفَّهِنَّ بِصَارِمٍ كَالْبَرْقِ أَوْ مِضٍ فِي مَتُونِ غَمَامِ ^(٣)
قال النبي عليه السلام : « لا تظهر الشماتة لأخيك ، فيعافيه الله ويبدلك » .

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٠ .

(٢) العنم : شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب فيقال : بنان مغم أى مخضوب ، والرواية
في عيون الأخبار : باللام أى الحناء .

(٣) هذا الخبر والأبيات في عيون الأخبار ١١٦/٣ ، وبقيته فيها : أن أبا بكر كتب إلى المهاجر عامله ،
فأخذ من وقطع أيديهن .

من مُنتقى الدعاء : اللهم اجعل رزقي رَغداً ، ولا تشمت بي أحداً .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم إني أعوذ بك من دَرَكِ الشقاء ، ومن جَهْدِ البلاء ، ومن شماتة الأعداء » .

قال عدى بن زيد العبادي^(١) :

أيها الشامتُ المعيرُ بالدهر ر أنت المبرأ الموفورُ
أم لديك العهد الوثيق من الأيام بل أنت جاهلٌ مفرورُ
من رأيت المنون خلدنَ أم مَنْ ذا عليه من ألا يُضام خفير^(٢)

وقال أبو ذؤيب :

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لرب الدهر لا أتضعضع^(٣)

قال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم : سمعت أشهب بن عبد العزيز يدعو على محمد ابن إدريس الشافعي^(٤) بالموت ، أظنه قال في سجوده ، فذكرت ذلك للشافعي رحمه الله^(٤) ، فتمثل :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيلٌ لست فيها بأوحد

(١) انظر أبيات عدى من قصيدة طويلة في معجم الشعراء ٢٤٩ ، ٢٥٠ حماسة البحترى ١٢٢ ، عيون الأخبار ١١٥/٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ٢٢٤/٢ .

(٢) في العيون : أم بدل بل في البيت الثاني ، ومن أن يضام بدل من ألا يضام .

(٣) البيت في ديوان الهذليين ٣/١ .

(٤) ساقط من ١ .

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْنِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَهِيًّا لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدِ^(١)

قال محمد : فمات الشافعي رحمه الله ، واشترى أشهب من تركته مملوكا ، ثم مات أشهب بعده بنحو من شهر ، أو قال : خمسة عشر يوما أو ثمانية عشر يوما ، واشترى أنا ذلك المملوك من تركته أشهب^(٢) ، والبيتان الذي تمثلهما الشافعي لطرفة .

قال مهلهل :

كَأَنَّ الشَّامَتَيْنِ بِقَبْرِ جَدِّي عَلَى مُلْكِ الْخَوَرَنَقِ وَالسَّديرِ

كَأَنَّ رَمَاحَنَا فِينَا وَفِيهِمْ إِذَا مَا أَشْرَعَتْ أَشْطَانُ بَيْرِ

وقال العلاء بن قرظة ، خال الفرزدق :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسِ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بَاخِرِينَا

فَقُلْ لِلشَّامَتَيْنِ بَنَا أَفِيقُوا سِيلِقِي الشَّامَتُونَ كَمَا لَقِينَا^(٣)

وقال نصيب :

أَتَصَرِّمُنِي عِنْدَ الْإِلَى هُمْ لَنَا الْمِدَا فَتُشْمِتُهُمْ بِي أَمْ تَدُومُ عَلَى الْعَهْدِ^(٤)

(١) البيتان كما قال المؤلف لطرفة ، انظر ديوانه ٤٥ .

(٢) انظر هذا الخبر والبيتين معه في وفيات الأعيان ٢١٦/١ .

(٣) نسب البيتان للفرزدق في عيون الأخبار ١١٤/٣ ، ولم أعثر عليهما في ديوانه ، ونسبا في حماسة البحري ١٤٩ ، ١٥٠ للملك بن عمر الأسدي ، وانظرهما بالنسبة التي هنا في المقدم الفريد ٣٢٢/٢ .

(٤) انظره في الشعر والشعراء ١١٤ ، معجم الشعراء ٢٥٠ ، التمثيل والمحاضرة ٥٣ .

وقال عدى بن زيد ، وتمثل به معاوية عند موته :

فهل من خالدٍ إمّا هلكنا وهل بالموت يا للناسِ عارُ

عبد الله بن أبي عيينة :

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على العتيِّ قهونٌ غيرَ شماتةِ الحُسَّادِ^(١)

وقال منصور الفقيه :

يا مَنْ يُسرَّ بموتي إذا أتاه البشيرُ
إن البشيرَ بموتي — فلا تُسرَّ — نذيرُ
واسمعْ فما أنت ممن تخفى عليه الأمورُ
ألَيْسَ من كانَ مثلي إلى مصيرى يصيرُ

وله :

أيُّها المظهرُ الشَّامُ تَهْ إن متُّ قبلَه
عَنْ قَلِيلٍ يصيرُ مثيَ لي مَنْ كُنْتُ مثله

وله :

يا شامتينَ بمصرَعي اليومُ لي ولكم غَدُ

(١) البيت في محاضرات الأدباء ١/ ١٢٤ .

وله :

يا شامتاً بى إن هلكت لكلّ حىّ مدى ووقتُ
وللمنــــــــــــايا وإن تراخت فى السير - يا ذا الشماتِ - بَغْتُ^(١)
وأنتَ فى قبضةِ الليالى تخافُ منها الذى أمنتُ
والكأسُ مَلَأى فَمَنْ قَريبِ تشربُ منها كما شربتُ

وقال أيضاً :

ما بينَ يومِ المهنّياتِ وبينَ يومِ المُعزّياتِ
وإن توهّمته طويلاً إلّا كما بينَها وهاتِ

ومما يُنسب لابن المبارك - وليست له - وإنما هى للمبارك الطبرى :

لولا شماتةُ أعداءِ ذوى حَسَدٍ أو اغتمامِ صديقٍ كانِ يَرجونى
لما طلبت من الدنيا مراتبها ولا بذلت لها عرضى ولاديني^(٢)

وقال آخر :

فمن يكُ عَنِ سائِلٍ لشماتَةٍ بما نالنى أو شامتاً غيرَ سائِلٍ

(١) فى ١ : الفهر بدل السير .

(٢) وردت الأبيات فى المقدم الفريد ١٩/٣ بدون نسبة .

فقد أبرزت مني الخطوبُ ابنَ حُرّةٍ صبوراً على ضراءِ تلك الزلازلِ
 إذا سرّ لم يفرح وليس لِنِكةٍ إذا نزلت بالخاشع المتضائلِ
 لأعرابيٍّ وقد أُغِيرَ على إبله :

لَا — والذي أنا عبدٌ في عبادته — لولا شماتةُ أعداءِ ذوى إحسنِ
 ما سرّني أن إيلي في مَبَارِكِهَا وأن شيئاً قضاءُ الله لم يكن^(١)

(١) البيتان في عيون الأخبار ٣/ ١١٤ ، العقد الفريد ٣/ ٢٩٤ ، الصداقة والصدق ٩٤ ، البيان والتبيين ٣/ ٢١٤ ، وقد ورد البيت الأول فيه :

لولا مسرة أقوام تصعدني أو الشماتة في قوم ذوى إحسن

باب مؤاخاة من ليس على دينك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فليُنظر امرؤ من يخال . وهذا معناه — والله أعلم — « أن المرء ^(١) يعتاد ما يراه من أفعال من صحبه ، والدين العادة ، فلهذا أمر ألا يصحبَ إلا من يرى منه ما يحلّ ويجمل ، فإن الخير عادة . وفي معنى ^(١) هذا الحديث قولُ عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلُّ قرين بالمقارنِ مُقتدي

وقول أبي العتاهية :

من ذا الذي يخفي عليّ لك إذا نظرت إلى خدينه

وهذا كثيرٌ جدا ، والمعنى في ذلك : ألا يخالط ^(٢) الإنسانُ من يحمله على غير ما يُحمد من الأفعال والمذاهب ، وأما من يؤمنُ منه ذلك فلا حرج في صحبته .

قال ابن عباس : لو قال لى فرعونُ خيراً لرددت عليه مقاله .

قال الله عزّ وجل : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَةٍ فَمِنْ بَعْدِهَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ ^(٣)

(١) ساقط من > .

(٢) في ١ : أن يخالط .

(٣) سورة النساء ، الآية ٨٦ .

(١) وجاء في التفسير : أحسن منها لأهل الإسلام ، أو ردوها لأهل الذمة (١) .

وقيل لسعيد بن جبير : المجوسى يولبنى خيراً فأشكره ؟ قال : نعم . قيل : فإن سلم على أفارد عليه ؟ قال : نعم .

وأما ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال في أهل الذمة : « لا تبدؤهم بالسلام ، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيّقه » فقد قال بذلك طائفة من أهل العلم منهم مالك بن أنس رحمه الله . روى بشير بن عمر الزهرانى ، عن مالك ، أنه كان يكره السلام على أهل الذمة كلهم . قال بتسير : فقلت : أترى أن يبدؤوا بالسلام ؟ قال : معاذ الله ! أما سمعت قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ (٢) .

وقال مالك : أكره مؤاكلة أهل الذمة ، لأن المؤاكلة توجب المودة .

وقد روى عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا يبدؤون بالسلام كل من لقوه (٣) من مسلم أو ذمى . فالمعنى في ذلك ، والله أعلم ، أنه ليس بواجب أن يبدأ المسلم المارء القاعد الذمى ، والراكب المسلم الذمى الماشى ، كما يجب ذلك بالسنة على من كان على دينه ، فإن فعل فلا حرج عليه . فكأنه قال

(١) ساقط من > .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ١ .

(٣) في > : يلقوه .

صلى الله عليه وسلم : « ليس عليكم أن تبدؤهم بالسلام » بدليل ما روى الوليد بن مسلم عن عروة بن رُويم ، قال : رأيت أبا أمانة الباهلي^(١) يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي ، ويقول : هي تحية لأهل ملتنا ، وأمان لأهل ذمتنا ، واسم من أسماء الله نفسه بيننا . ومحال أن يخالف أبو أمانة السُّنة ، لو صحت في ذلك . بل المعنى على تأويلنا^(٢) — والله أعلم ، وعلى هذا يصحّ تخريج هذه الأخبار ووجوها .

ذكر ابن أبي شبيب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن زياد الألهاني ، وشرجيل بن مسلم ، عن أبي أمانة ، أنه كان لا يمرُّ بمسلم ولا يهودي ولا نصراني إلا بدأه بالسلام .

وروى عن ابن مسعود وأبي الدرداء ، وفُضالة بن عبيد^(٣) ، أنهم^(٤) كانوا يبدؤون أهل الذمة بالسلام .

وقال ابن مسعود : إنَّ من التواضع أن تبدأ بالسلام كلَّ من لقيت .

وعن ابن عباس ، أنه كتب إلى رجل من أهل الكتاب : السلام عليك .

(١) هو صري بن عجلان بن وهب الباهلي ، أبو أمانة ، صحابي جليل ، كان مع علي رضي الله عنه في صفين ثم سكن الشام فتوفي بأرض حمص ، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام . انظر الإصابة الترجمة ٤٠٥٤ ، تهذيب التهذيب ٤/٤٤٠ ، (الأعلام ٢٩١/٣)

(٢) في ١ : على ما قد تأولنا .

(٣) ابن نافع بن قيس الأنصاري الأوسي ، صحابي من الذين بايعوا تحت الشجرة ، شهد أحدا وما بعدها ، وشارك في فتح الشام ومصر ، ثم ولاه معاوية قضاء الشام ، وتوفي بها سنة ٥٣ هـ . انظر : الإصابة الترجمة ٦٩٩ : تهذيب التهذيب ٨/٢٦٧ .

(٤) ساقط من ج .

وسئل عبد الله بن وهب ، صاحب مالك ، عن غيبة النصراني ، فقال :
أو ليس من الناس ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١) .

وقيل لمحمد بن كعب القرظي : إن عمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل الذمة
بالسلام فقال ترد عليهم ولا تبدؤهم . فقال محمد بن كعب : أمّا أنا فلا أرى
بأساً أن تبدأهم بالسلام ، قيل له : لِمَ ؟ فقال : لقوله عز وجل : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ
وَقُلْ سَلَامٌ ﴾^(٢) .

ومن حجة من ذهب إلى هذا قوله عز وجل : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾^(٣) الآية . وذهب جماعة من العلماء إلى مثل ما ذهب إليه
عمر بن عبد العزيز في ذلك .

وروى ابن المبارك عن شريك عن أبي إسحاق ، قال : كان يقال : من الحق^(٤)
أن تؤا كل غير أهل دينك .

(١) سورة البقرة الآية ٨٣ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ٨٩ .

(٣) سورة المتحنة ، الآية ٨ .

(٤) في ١ : الجفاء .

قال أبو الطمحان الأسدي^(١) :

كأن لم يكن بالقصرِ قصرٌ مُقاتلٍ وزورةٌ ظلٌّ ناعمٌ وصديقٌ
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاحُ قلبي نحوهم ويتوقُّ

ولبعضهم في مجوسى ساق عنه صداق امرأته ، وهو الأقيشر الأسدي :

شهدتُ عليك بطيب المشاش^(٢) وأنتَ حُرٌّ جَوَادٌ خِضَمٌ
وأنتَ سيّد أهل الجحيم إذا ما تردّيت فيمن ظلمَ
كفاني المجوسى مهرَ الرّبابِ فدّى للمجوسى خالٌ وعم^(٣)

روى إسماعيل بن إسحاق ، قال : سمعت ابن أبي أويس^(٤) ، يقول : سُئِلَ

مالك ، أترى بأساً إذا أهدى اليهودى أو النصرانى للمسلم أن يكافئه ، فقال : معاذ الله ! وما للمسلم أن يقبل هديته حتى يكافئه .

وقال آخر :

وجدنا في اليهود رجال صدق على ما كان من دين يريبُ

(١) ورد البيتان بهذه النسبة في الحيوان ١٥٧/٥ ، ١٥٨ ، ووردا في الكامل ٢٦/١ ضمن خمسة أبيات منسوبة لطنخيم بن أبي الطمخاء الأسدي ، يمدح قوما من أهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد بن مناة ابن تميم ، ثم من رهط عدى بن زيد العبدي ، وكذلك وردت بهذه النسبة في المؤتلف ١٥٠ ، وقد وفق الأستاذ عبد السلام هرون بين النسبتين بأن ذكر أن أبا الطمحان هو كنية طنخيم ، انظر هامش الحيوان ١٥٧/٥ ، ١٥٨ .

(٢) المشاش : النفس والطبيعة والأصل .

(٣) الأبيات في عيون الأخبار ٢٩٦/٢ ، الحيوان ١٥٩/٥ .

(٤) ابن أبي أويس : إسماعيل بن عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك الأصبحي ، أبو عبد الله =

خيلان اكتسبتهما وإنى لخلة ماجد أبداً كسوب^(١).

للمري الشاعر، وهو القاسم بن يحيى، من ولد أبى مريم السلمي صاحب النبی عليه السلام، يخاطب أبا يعقوب إسحاق بن نصر الكاتب العبادى عند إسلام الوليد ابن أخيه، وكان إسحاق هذا كاتب أبى الجيش بن طولون صاحب مصر^(٢):

تَعَزَّ فَإِنَّ الْحَرَ لَا بَدَّ يَخْلُقُ	وَكُلُّ أَمْرٍ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ يَخْلُقُ
وَمَا فُرَجُ الْأَيَّامِ إِلَّا مَوَاهِبُ	فَمِنْ بَيْنِ مُحْرَمٍ وَآخِرِ يَرْزُقُ
وَمَا الْحَزْمُ إِلَّا أَنْ يُنَزَّهَ نَفْسَهُ	فَتَى كَادَ فِي بَحْرِ مِنَ الْهَمِّ يَفْرَقُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي رَدٍّ مَا فَاتَ حِيلَهُ	فَإِنْ الْفَتَى بِالصَّبْرِ أُخْرَى وَأَخْلَقُ
أَتَانِي غَمٌّ مِنْ سُرُورٍ سَمِعْتُهُ	فَلَا أَنَا مَأْسُورٌ وَلَا أَنَا مُطْلَقُ
سَرَرْتُ بِإِسْلَامِ الْوَلِيدِ دِيَانَةً	وَأَقْلَقْنِي عَمَلِي بِأَنْكَ مُقْلَقُ
فَقَلْبِي بِهِ شَطْرَانِ جَذْلَانُ وَاحِدُ	وَأَخْرُ مُحْزُونٌ مِنْ أَجْلِكَ مُحَرَّقُ
أَنَارَ لَكُمْ فِينَا وَأَشْرَقَ كَوْكَبُ	لَنَا مِثْلُهُ فَيْكُمْ يَنْيرُ وَيُشْرِقُ
فَكَمْ رَاعِنًا مِنْ مُسْلِمٍ مُتَنَصِّرٍ	فَهَذَا بِهِذَا وَالسَّعِيدُ ^(٣) الْمَوْفَّقُ

== ابن أبى أويس، ابن أخت الإمام مالك ونسيبه، محدث روى عنه الشيخان، توفي سنة ست أو سبع وعشرين ومائتين للهجرة، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣١١/١ وما بعدها.

(١) البيتان ضمن ثلاثة أبيات في الحيوان ١٥٧/٥ منسوبة لأبى صالح مسعود بن قند الفزارى وبعد البيت الأول:

لممرك لاني وابني غريض لائل الماء خالطه الحليب

(٢) ساقط من ح.

(٣) في ١: والمعيد.

(١) لزيبا النصراني - وكان يتشيع - :

عدى و تيم لا أحاول ذكركم
وما تعتريني في علي ورهطه
يقولون ما بال نصارى تحبهم
فقلت لهم : إني لأحسب حبهم
بسوء ولكني محب لهاشم
إذا ذكروا في الله لومة لائم
وأهل النهى من أعرب وأعاجم
سرى في قلوب الخلق حتى البهائم (٢)

وله أيضاً :

علي أمير المؤمنين خليفة
فلو كنت أبغى ملة غير ملتي
وما لسواه في الخلافة مطمع
لما كنت إلا مسلماً أتشيع (١)

(١) ساقط من ج .

(٢) وردت الأبيات في المحاسن والمساوي ٥٠/١ منسوبة لموصلي النصراني ، وفيها : عدى وتيم ، هذا وقد ذكر أحمد تيمور باشا في كتابه الحب عند العرب ١٥٨ أن هذه الأبيات وردت في نفع الطيب منسوبة إلى زينب بنت إسحاق النصراني .

باب الولد والوالد

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبرُّ يا رسول الله ؟ قال : « أمك
قال : ثم من يا رسول الله ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أباك ثم أدناك »
ومنهم من يرويه : أمك ثلاث مرات ، والأول أثبت .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيُّ الأعمال أفضل ؟ فقال : « الصلاة
لوقتها ، وبرُّ الوالدين » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « البرُّ والصلة وحُسن الجوار ، عمارة الديار وزيادة
في الأعمار » .

وقال الحسن : البرُّ أن تطيعهما في كلِّ ما أمراك به ، ما لم تكن معصية الله ،
والمعقوق هجرانهما ، وأن تحرمهما خيرك .

قال عروة في قوله تعالى : ﴿ واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ^(١) . هو ألا
يمنعهما من شيء أراداه .

قال يزيد بن أبي خُبَيْب : كان العلماء يقولون : حقُّ الأم أعظم من حق الأب ،
ولكلِّ حق .

رأى ابنُ عمر رجلاً يطوفُ بالبَيْتِ حاملاً أمَّهُ ، وهو يقولُ لها : أترينى جزيتُكِ
يا أمَّه ؟ فقال ابنُ عمر : ولا طَلقة واحدة ، أو قال : ولا زَفرة واحدة .

وروى في الخبر المرفوع : « ما برَّ أباه من سدِّ النظرِ إليه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد أن يصلَّ أباه بعد موته ، فليصلْ
إخوانَ أبيه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الوُدُّ يُتَوَارَثُ ، والبُغْضُ يُتَوَارَثُ » .

وقال عليه السلام : « ثلاثٌ يطفئن نورَ العبد : أن يقطع وُدَّ أهلِ بيته ، ويبدِّل
سُنَّةَ صالحة ، ويرى بصره في الحجرات » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخلُ الجنة عاقٌّ ، ولا منانٌ ، ولا مُدْمِنٌ
خمر ، ولا مدمِنٌ سِخْرٍ ، ولا قَتَاتٌ ^(١) » .

للرُّبِيعِ بنِ ضُبَيْعٍ ^(٢) :

أَلَا أَبْلَغُ بَنِي رُبَيْعٍ فَأَشْرَارُ الْبَنِينَ لَكُمْ فِدَاءً

(١) القَتَات : التام ، أو هو الذى يسمُّ أحاديث الناس من حيث لا يعلمون ، سواء نفعها أم لم ينمها .

(٢) ابن وهب بن بغيض الفزارى الديلى ، شاعر جاهلى معبر من الفرسان ، كان أحكم العرب وزمائه ،
ومن أمهاتهم وأخطبهم ، وأدرك الإسلام وقد كبر وخرف ، فقل : أسلم ، وقيل : منعه قومه من الإسلام ،
انظر خزائن البغدادى ٣/٣٠٨ (الأعلام ٣/٣٩) . وانظر أبياته في : حُداسة البحتري ٣٢٢ ، المقدم القريظ
٥٥/٣ ، النوادر ٢١٥ .

بأنّي قد كبرتُ ورَقَّ جِلْدِي^(١) فلا تشغلُكمُ عنيّ النساءُ

إذا كان الشتاءُ فأدفعُ—وني فإن الشيخَ يهرُمُ—هـ الشتاءُ^(٢)

وأما حين يذهب كلُّ قُرٍّ^(٣) فسيربالٌ خفيفٌ أو رداءٌ

إذا بلغ الفتى مائتين عاماً^(٤) فقد ذهب البشاشة والفتاء

وسئل ابن عباس ، عن رجل قَتَلَ امرأته^(٥) ما توبُّهُ ؟ قال : إن كان له أبوان

فليبرهما مادامَا حيَّين ، ففعل الله أن يتجاوزَ عنه .^(٦) وقد جاء عنه مثل ذلك في المرأة التي

تعلمت السحر ثم جاءته تطلب التوبة^(٦)

قال مكحول^(٧) : برُّ الوالدين كفارةٌ للكبائر .

قال محمدُ بن المنكدر : بتُّ أنعمزُ رجل أُمِّي ، وبات عمي يصليّ ليلته ، فماتسرنى^(٨)

ليلته بليلى .

(١) في حماسة البحتري : ودَّق عظمي .

(٢) وفيها أيضا : يهدمه .

(٣) في ١ : إذا ما تذهبوا في كل فن .

(٤) في العقد الفريد : سبعين عاماً ، وفي ج : ستين .

(٥) لعل القتل المقصود هنا هو القتل الخطأ وهو ما تجب فيه الدية لا القصاص .

(٦) ساقط من ج .

(٧) هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل الهذلي ولاء ، فقيه الشام في عصره ، أصله من فارس ، وصار مزيلاً لامرأة في مصر من هذيل فنسب إليها ، ثم أعتق واتفقه ورحل في طلب الحديث إلى العراق فالمدينة واستقر في دمشق ، قال الزهري : لم يكن في زمنه أبصر منه بالفتيا . انظر تهذيب التهذيب ١٠ / ٢٨٩ ،

(٨) في ج : فما سمعني .

قال الشاعر في ابنه :

يودُّ الرَّدَى لى من سفاهة رأيه ولو ميتً بانت للعدوِّ مقاتله
إذا ما رآنى مقبلاً غضَّ طرفه كأنَّ شعاعَ الشمسِ دونى يقابله^(١)

ومثله :

إذا أبصرتنى أعرضت عني كأنَّ الشمسَ من قبلى تدور^(٢)

ولعبد الله بن بكر السهمي^(٣) :

خاللٌ خليلٌ أخيك وارعٌ إخاءه واعلمْ بأنَّ أخاك أخيك أخوكا
وبنيك ثم بني بنيك فكن لهم برًّا فإنَّ بني بنيك بنوكا
والطفْ بمجدك رحمةً وتمطفاً واعلمْ بأنَّ أبا أهلك أبوكا

رُوى عن ابن عباس أنه قال : إنما ردَّ الله عقوبةَ سليمان بن داود عن الهدهد لبرِّه

كان بأمه .

(١) الصداقة والصديق ٧٩ .

(٢) البيت لشاعر من طيء اختلف في اسمه ، في المؤلف ١٥٢ أنه عنتره بن كبرة الطائي ، وفي حسنة أبي تمام ٨٠/١ أنه عنتره بن الأحرش المعنى الطائي ، وفي حماسة البحرى ٣٩٥ أنه ضمرة بن عكبرة الطائي ، وانظر البيت في الحيوان ١١٣/٣ ، عيون الأخبار ١١٠/٣ ، الصداقة والصديق ٧٩ من غير نسبة .

(٣) عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي الباهلي ، من رجال الحديث الثقات ، نزل بغداد على سعيد بن سام الباهلي ، وعرض عليه سوار قضاء الأبله فأبى ، ولم يزل في بغداد حتى توفي سنة ٨٨ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١٦٢/٥ .

رأى أبو هريرة رجلاً يمشى خلف رجل ، فقال : من هذا ؟ فقال : أبى . قال : لا تدعُه باسمه ولا تجلسُ قبلَه ، ولا تمشُ أمامه .

مكتوب في كتب الله عز وجل : لا تقطعُ ما كان أبوك يصلُّه فيطفاً نورُك
قال كعب : مكتوبٌ في التوراة ، اتق ربك ، وبرّ والديك ، وصلِّ رحمتك ، يمدّ
لك في عمرك ، وييسرُ لك يسرك ، ويصرفُ عنك عُسرك .

والآثار في بر الوالدين كثيرة جداً ، وقد نص^(١) الله في كتابه من خفض
الجناح لهما ، والخص على برهما ما يكفي .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « الولدُ الصالح من ریحانِ الجنة » .
ونظر يوماً إلى الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، فقال : « إنكم لتجبنون
وتبخلون ، وإنكم لمن ریحانِ الجنة » .

دخل عمرو بن العاص على معاوية ، وعنده بنت له^(٢) ، فقال : ابداها عنك
يا أمير المؤمنين ، فوالله ما علمت إلا أنهن يلدن الأعداء ، ويقربن البعداء ،
ويورثن الضغائن . قال معاوية : لا تقل هذا يا عمرو ، فوالله ما مرض المرضى ،

(١) في ١ : ذكر .

(٢) في عيون الأخبار ٩٩/٣ : وعنده ابنته عائشة ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هي
تفاحة القلب . فقال : ابداها ... الخ .

ولا ندب الموتى ، ولا اعول على الأحران^(١) مثلهن ، ولرب ابن أخت قد
نعم خاله .

قال محمد بن سليمان : البنون نعم ، والبنات حسنة ، والله عز وجل يحاسب
على النعم ، ويجازى على الحسنات .

قال منصور الفقيه :

لولا بناتي وميَّاتي لذبت شوقاً إلى الماتِ
لأننى فى جـوار قوم نفّسنى قربهم حَيَّاتى^(٢)

وله أيضاً :

أحبُّ البناتِ ، فحُبُّ البنا تِ فرضٌ على كلِّ نفسٍ كريمه
لأنَّ شُعْبًا لأجل البنا تِ أخدمه الله موسى كليمه

وقال آخر^(٣) :

لقد زاد الحياة إلى حُبِّا بناتى إنهن من الضعافِ

(١) فى ١ : أعان على الإخوان .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ١٨٧/١٩ ، وفيه : بغضنى بدل نفصى ، وفى ١ : لطرت بدل لذبت .

(٣) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٢٥٨ إلى عيسى بن فانك أوعانك الخطمى ، وفى الكامل أوردتهما ضمن
خسة أبيات ، وقال : إنها لأبى خالد القناني الخارجي ، وقد أرسل إليه قطرى بن النجاء يعتب عليه قعوده عن
المروج مهم فكتب إليه بها ، الكامل ١٠٧/٢ ، ١٠٨ ، وانظر عيون الأخبار ٩٤/٣ .

مخافة أن ين البؤس بعدى وأن يشر بن رتقا بعد صاف^(١)

ولأبى محمد الحسن بن عبيدة الريحانى :

حبذا من نعمة الله البنات الصالحاتُ

هن للنسل وللأنس وهن الشجراتُ

ويا حسَّانِ إلهنَّ تكون البركاتُ

إنما الأهلون أرضون لنا محترئاتُ

فعلينا الزرعُ فيها وعلى الله النباتُ

كان لأبى حمزة الأعرابي^(٢) زوجتان فولدت إحداهما ابنة ، فعزَّ عليه ، واجتنبها

وصار في بيت ضررتها إلى جنبها فأحست به يوماً في بيت صاحبته^(٣) ، فجعلت

ترقصُ ابنتها الطفلة^(٣) وتقول :

ما لأبى حمزة لا يأتينا يظلُّ في البيت الذى يلينا

غضبانَ ألا نلده البنينا^(٢) تا لله ماذلك في أيدينا

بل نحن كالأرض لزارعينا يلبث ما قد زرعوه فينا

وإنما نأخذ ما أعطينا^(٢)

(١) في الكامل : أحاذر أن يرين الفقر بعدى . وفي ج : مخافة أن ترى البؤس عليهم ، والرنق : الكدر .

(٢) سماه في البيان أبا حمزة الضبي ، وانظر الرجز في البيان والتبيين ١/ ١٩٥ ، العقد الفريد ٣/ ٣٤٢ ، ٤٨٢ ، مع اختلاف يسير في الألفاظ .

(٣) ساقط من أ .

فعرّف أبو حمزة قبح ما فعل ، وراجع امرأته .

قال منصور الفقيه :

لولا البناتُ والذنوبُ لم أكن يرُوعني ذكرُ الحنوطِ والكفنِ^(١)

وقال آخر^(٢) :

لولا أميمةٌ لم أجزع من العدمِ ولم أجبُ في الليالي حنْدِسَ الظلمِ^(٣)

وزادني رغبةً في العيش معرفتي ذلِ اليتيمةِ يحفوها ذوو الرّحمِ

أحاذرُ الفقرَ أن يُلمِمَ بساحتها فيهلكَ الستَرُ من لحمٍ على وضمِ^(٤)

أخشى إضاعة عمٍ أو جفاء أخٍ وكنت أحنو عليها من أذى الكلمِ^(٥)

ما أنسَ لا أنسَ منها إذ تودّعني والدمعُ يجري على الخدين ذا سَجَمِ

لا تبرحن فإن متنا فإن لنا ربّاً تكفل بالأرزاق والقِسَمِ

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقاً والموتُ أكرم نزال على الحُرَمِ

(١) في ١ : لما رعت لذكر .

(٢) الأبيات لإسحاق بن خلف البهراني ، الحماسة لأبي تمام ١٠٧/١ ، عيون الأخبار ٩٣/٣ ، زهر الآداب ١٧٤/٢ ، محاضرات الأدباء ١٥٧/١ ، وانظر معجم الأدباء ١٢٣/٥ .

(٣) في الحماسة : ولم أقاس ، وحنْدِس الظلمة شدتها .

(٤) الوضم : ما وقيت به اللحم من الأرض من خشب أو حصير ، والمراد هنا من هلك السترة عن اللحم : الذل والضيق .

(٥) في ١ : فظاظة عم ، وفي الحماسة أبقى بدل أحنى .

وقال آخر^(١) :

أحب بنيّ ووددتُ أني سترت^(٢) بنيّ في قعرٍ لحدٍ
وما إن ذاك من مُبغضٍ ولكن^(٣) مخافة أن تذوق البؤس بمدى

رأى ابنُ عباسٍ رجلاً ومعه ابنٌ له ، فقال : أما إنه لو عاش فتنك ، ولو
مات أحزنك .

قال محمد بن عليّ بن حسن لابنه جعفر : يا بنيّ ! إن الله رضيّ لك وحذّرني منك ،
ولم يرضك لي فأوصاك بي ، يا بنيّ ! إن خيرَ الأبناء من لم يدعُ البر إلى الإفراط ، ولم
يدعُ التقصير إلى العقوق .

كان يقال : الولدُ ريحانتك سبعاً ، وخادمك سبعاً ، وهو بعد ذلك صديقك أو
عدوك أو شريكك .

سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد ، فقال : يا أمير المؤمنين !
أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، نحن لهم أرض ذليلة ، وسماؤ ظليّة ، وبهم
نصولُ عند كل جليّة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، ينجوك ودم ،

(١) انظر البيتين في عيون الأخبار ٩٣/٣ ، وقال : أنشدتهما ابن الأعرابي .

(٢) في العيون : دفت .

(٣) في ١ ، وفي العيون : وما بي أن تهون علي لكني .

ويحبوك جهدم ، ولا تكن عليهم قفلاً^(١) فيتمنّوا موتك ويكرهوا قربك ويعلموا حياتك . فقال له معاوية : لله أنت ! لقد دخلت على وإني لملوء غيظاً على يزيد ولقد أصلحت من قلبي له^(٢) ما كان فسد^(٢) . فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية^(٣) إلى يزيد بمائتي ألف درهم ، فبعث يزيد إلى الأحنف بنصفها .

قال علي بن أبي طالب : ينبغي لأحدكم أن يتخير لولده إذا وُلد الاسم الحسن .

وفي الخبر المرفوع : من نعمة الله عز وجل على الرجل أن يُشبهه^(٤) ولده .

قال عمر بن الخطاب : عَجِّلُوا بِكُنَى أَوْلَادِكُمْ لَا تُسْرِعْ إِلَيْهِمُ الْأَلْقَابُ السُّوءُ .

قال أبو جعفر محمد بن علي : بادروا بالكُنَى قبل الألقاب . قال : وإنا لنكنى أولادنا في الصغر مخافة اللقب أن يلحق بهم .

قال قتادة : رب جارية خير من غلام ،^(٢) ورُب غلام^(٢) قد هلك أهله على يديه .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما نَحَلَ والدٌ ولده خيراً من أدب حسن » .

(١) في ١ : ثقل .

(٢) ساقط من > .

(٣) ساقطة من > .

(٤) ج : يشهد .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من عال ثلاث بنات ، أو ثلاث أخوات أو ابنتين أو أختين كنَّ له حجاباً من النار ، فإن صبر عليهن حتى يزوجهن دخل الجنة .

كان يقال : من بلغت ابنته النكاح فلم يزوجها فزنت فعليه مثل إثمها ، وإثمها عليه

(١) وكما لا يصبح الجسد بلا رأس لا تصلح المرأة بغير زوج (١) .

كان عقيل بن علفة^(٢) غيوراً ، فحمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول :

إني وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعُبدان وذودٌ عشرُ

أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

قال عبد العزيز بن مروان لسعيد بن العاص : كيف حبُّك لبناتك ؟ قال : إني لأحبهن ، على أنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ، وهن عددٌ ولسن بولد .

كتب عمر بن الخطاب إلى أهل الأمصار : علّموا أولادكم العوم والفروسيّة ،

(١) ساقط من ١ .

(٢) ابن الحارث بن معاوية اليربوعي ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية ، كان من بيت شرف في قومه ، ترغب قریش في مصاهرته ، ولكنه كان ذا خيلاء وغطرسه ، قال المبرد : كان عقيل بن علفة من الغيرة والألفة على ما ليس عليه أحد ، توفي نحو سنة ١٠٠ هـ . انظر الأغاني ٨١/١١ - ٨٩ (الأعلام ٤٠/٥) وانظر الأبيات في زهر الآداب ١٧٤/٢ .

ورودهم ما سار^(١) من المثل ، وما حَسُنَ من الشعر .

كان يقال : من تمام ما يجب للأبناء على الآباء ، تعليمُ الكتابة والسباحة .

قال الحجاج لمعلم ولده : علم وَلَدِي السباحة قبل أن تعلمهم الكتابة ، فإنهم

يجدون من يكتب عنهم ، ولا يجدون من يسبح عنهم .

كان يقال : الدعاء على الولد والأهل بالموت يورث الفقر .

قال الشاعر :

خيرُ ما وَرَثَ الرجالُ بذيهم أدبُ صالحٍ وحسنُ الثناء

ذاك خيرُ من الدنانير والأو راق في يوم شدةٍ أو رخاء

وهي أبيات كثيرة قد ذكرناها وذكرنا الاختلاف في قائلها في باب التعليم في

الصغر ، من كتاب العلم . وفي ذلك الباب كثير من معاني هذا الباب ، والله

الموفق للصواب .

قال أعرابي ، وهو حِطَّانُ بنُ المُعلَى^(٢) :

أبكانيَ الدهرُ ويارُبَّما أضحكني الدهرُ بما يُرضي

(١) في ١ : وزودوهم ما صار من المثل .

(٢) هو كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

(٣) شاعر إسلامي ، قامت شهرته على هذه القصيدة التي نوردتها ، انظرها في الحماسة ١/١٨٩ ، ووردت

بعض مخالفة في أمالي القالي ٢/١٨٩ ، المقدم الفريد ٢/٤٣٨ .

أنزلى الدهرُ على حكمه من شامق عالٍ إلى خفضٍ^(١)
 وابتنى الدهرُ ثياب الغنى فليس لي ثوبٌ سوى عرضي^(٢)
 لولا بُنيّاتٌ كزُغبِ القَطَا ينهَضُنَّ^(٣) من بعضٍ إلى بعضٍ
 إن هبَّت الریحُ على بعضهم لم تطعمُ العينُ من الغمضِ^(٤)
 لكان لي مضطربٌ واسعٌ في الأرض ذاتِ الطولِ والعرضِ
 وإنمّا أولادُنا يَننّا أكبادُنا تمشي على الأرضِ

كان الزير بن العوام يرقص ابنه عروة ويقول :

أبيضٌ من آل أبي عتيقٍ مباركٌ من ولد الصّدِّيقِ
 أللهُ كما أللهُ ريقِ^(٥)

قالوا : من كان له صبيٌّ فليستصب له .

كانت أعراية ترقص ابنها ، أو بعض الأعراب يرقص ابنه ويقول :

أحبه حبَّ شحيحٍ ماله قد ذاق طعم الفقر ثم ناله

(١) في العيون : بن مرقب عال ، وفي الحماسة : من شامخ .

(٢) رواية الحماسة : غالى الدهر بوفر الغنى ، وفيها وفي العيون : فليس لي مال بدل ثوب .

(٣) في الأمالي : أجمن بدل ينهضن ، وفي العيون والحماسة : حططن .

(٤) في العيون : لامتعت عيني . الخ .

(٥) انظره في عيون الأخبار ٢/٣٩٩ ، ٣/٩٥ ، العقد الفريد ٣/٤٩ .

إذا أراد بذله بدالة^(١)

قال محمد بن يحيى النديم^(٢): أول شعر قاله علي بن الجهم وهو غلام في المكتب، وذلك أن أباه أمر المؤدّب أن يجلسه يوم الخميس عنده في المكتب حتى يحفظ حظه، فحبسه فكتب إلى أمه:

أُمِّي جُعِلْتُ فِدَاكَ مِنْ أَمِّ أَشْكُو إِلَيْكَ فِظَاظَةَ الْجُثَمِ -
قَدْ سَرَّحَ الصَّبِيانُ كُلَّهُمْ وَحُبِسْتُ بِالْعُدْوَانِ وَالظُّلَمِ -

قال الزيادي: كنت رجلاً مُمَثِّلًا، فقيل لي: أكثر من الاستغفار وقت الجماع،

واستغفر الله عند الجماع، ففعلت فوُلِدَ لي بضعة عشر ولدًا ذكرًا.

قال الشاعر:

وما كل مَثْنَاتٍ سَيَشْقَى بَيْنَتِهِ^(٣) وما كل مِذْكَارٍ بُنُوهُ سُرُورُ

ومن هذا المعنى ذكر في باب النساء.

(١) الرجز في أمالي القالي ٢/٢٩٣، عيون الأخبار ٢/٤٣٩، العقد الفريد ٣/٤٧٢.

(٢) هو محمد بن يحيى بن عبد الله، أبو بكر الصولي، كان يلقب بالنديم لأنه نادى ثلاثة خلفاء من بني العباس هم: الراضي والمكتفي والقادر، وكان يلقب أيضا بالشرنجبى إذ كان من أحسن الناس إيمانًا له وبراعة، توفي بالبصرة سنة ٣٣٥ هـ. انظر وفيات الأعيان ١/٥٠٨، تاريخ بغداد ٣/٤٢٧. وانظر هذا الخبر في البيتين في الأغاني في ترجمة علي بن الجهم، وقد كذبه أبو الفرج جملة وتفصيلا.

(٣) في ١: استعق بِنْتُهُ.

قال أبو العلاء محمد بن أحمد بن جعفر الوُكَيْعِي (١) : ماسمت بكار بن قتيبة
القاضي (٢) قط ينشد بيت شعر إلا مرة ، كنت عنده واختصم إليه رجل وابنه (٣) ،
فكان من كل واحد منهما إلى صاحبه ما لم يحمد بكار ، فالتفت إليهما وأنا أسمع ،
فقال :

تَعاطَيْتُمَا ثوبَ العُقُوقِ كَلَاكِمَا أَبُ غَيْرِ بَرٍ وابنه غَيْرُ وَاصِلِ (٤)

كان لعبد الملك بن مروان بيت مال كان قد حجزه من خالص غلاته وضياعه ،
لا يدخله شيء من الغلول ، يعدّه للتزويج وشراء الجوارى اللواتي يطلب أولادهن ،
وكان يقول : إن الغلول يبقى في الولد .

قال أعرابي لأبيه ، (٥) وهو عمر بن ذر الهمداني (٥) يعاتبه : يا أبت ! إن عظيم
حقتك على لا يذهب صغير حقّ عليك ، والذي تمّت به إلى أمت بمثله إليك ، ولست
أزعم أنا سواء ولكني أقول لا يحل الاعتداء .

(١) ساقط من ج ، وأبو العلاء محدث ثقة ثبت ، ولد بالكوفة سنة ٢٠٤ هـ ، ثم قدم إلى مصر تاجرا فظفر
بها إلى أن توفي سنة ٣٠٠ هـ . انظر : تهذيب التهذيب ٢١/٩ .

(٢) ابن أسد الكوفي ، قاض فقيه محدث ، ولي قضاء مصر للمتوكل العباسي سنة ٢٤٦ هـ ، ولما صار الأمر
إلى أحمد بن طولون أمره بخلع الموفق من ولاية العهد فأبى ، فسجنه ، فأقام في السجن يقصده الناس ويروون
عنه الحديث ويتقاضون إليه حتى مات ، انظر وفيات الأعيان ٦١/١ ، (الأعلام وهاشمه ٣٤/٢) .

(٣) في ج : وأمه .

(٤) في ج : فاضل .

(٥) ساقط من ا ، وعمر هذا هو عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني ، من رجال الحديث ، ومن
أهل الكوفة ، كان رأسا في القول بالإرجاء ، فاختلفوا في صحة حديثه . انظر : تهذيب التهذيب ٤٤٤/٧ .

قيل لأعرابي، وكان له ابن عاقٍ : كيف ابْنُكَ؟ قال : عذابٌ أزعفٌ^(١) على
به الدهر ، فليتني قد أودعته القبر ، فإنه بلاءٌ لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يلزم
عليها الشكر .

دخل إلى جعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي أعرابي ، فسأله جعفر
عن بنيه ، فقال^(٢) :

إِنْ بَنَى خَيْرُهُمْ كَالْكَلْبِ أَبْرَهُمْ أَوْلَهُمْ — بِسَيِّ^(٣)
لَمْ يَنْ عَنَّهُمْ أَدَبِي وَضَرْبِي فليتني كنتُ عقيمَ الصُّلبِ^(٤)

ولبعض العقلاء البررة الأدباء :

بِنَفْسِي أَنْتِ لَا أَبِي فَإِنِّي رَأَيْتُ الْجُودَ بِالْآبَاءِ لَوْ مَا^(٥)

كان يقال : من فوائد الدهر موتُ الابنِ العاقِ .

(١) أزعف عليه : أجهز .

(٢) انظر الرجز في أمالي القالي ١٩٨/٢ ، الأدباء ١٥٨/١ ، المحاسن والمساوي ١٩٠/٢ .

(٣) في ١ : كلهم بدل خيرهم ، وفي الأمالي : أولاهم ، بدل أولهم ، وفي المحاسن : أنهم بدل أبرهم .

(٤) في الأمالي : ورد بدل الشطرة الثانية من هذا البيت شطرة أخرى هي : ولا اتساعى لهم ورحبى ،
ورد بعد ذلك هو :

فليتني مت بغير عقب أو ليتني كنت عقيم الصلب

ويروى : الزب بدل الصلب .

(٥) انظر البيت في محاضرات الأدباء ١٩٣/١ .

قال أمية بن أبي الصلت ، وهو قد عتب على ابنه ^(١) :

عَذَوْتُكَ مَوَارِدًا وَعُذْتُكَ يَافِعًا تُعَلُّ بِمَا أَسْعَى عَلَيْكَ وَتُنْهَلُ ^(٢)
 إِذَا لَيْلَةٌ جَاءَتْكَ بِالشُّكْرِ لَمْ أَكُنْ بِشُكْرِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ ^(٣)
 كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالذِّى طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنِي تَهْمَلُ ^(٤)
 تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُؤْجَلٍ ^(٥)
 فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتَ قَبْلُ أَوْمَلُ ^(٦)
 جَعَلْتَ جَزَائِي غَلْظَةً وَفُظَاظَةً ^(٧) كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنِّمُ الْمُتَفَضِّلُ
 فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أُبُوَّتِي كَمَا يَفْعَلُ الْجَارُ الْجَاوِرُ تَفْعَلُ ^(٨)

ورضى أبو الشَّغْبِ الْعَبْسِيُّ عن ابنه فقال ^(٩) :

-
- (١) وردت الأبيات في عيون الأخبار ٨٧/٣ منسوبة إلى يحيى بن سعيد ، والصحيح أنها لأمية ، انظر ديوانه ١٠٢ ، وانظر حماسة أبي تمام ٣١٩/١ ، ٣٢٠ .
- (٢) في العيون : منتك بدل عبتك ، وأجنى بدل أسعى ، وفي الحماسة : أدنى إليك .
- (٣) رواية الحماسة : إذا ليلة نابتك ... لم أبت ، وفي العيون : نالتك .
- (٤) في العيون والحماسة : وعيني بدل فعيناي .
- (٥) لم يرد هذا البيت في العيون ، ورواية الحماسة : حَمَّ بدل وقت .
- (٦) في العيون : فلما بلغت الوقت في العدة التي .
- (٧) العيون والحماسة : جعلت جزائي منك جيبها وغلظة .
- (٨) في العيون والحماسة : فعات كما الجار ... الخ .
- (٩) الأبيات التي تلي في حماسة أبي تمام ١٠١/١ ، ١٠٢ ، أمالي القالي ٣/٢ ، السكامل للبهرد ١٠١/١ ، والبيتان ٢ ، ٣ في عيون الأخبار ٥/٣ ، وذكر فيه : أنها في مدح الإخوان وليس الأبناء ، وقد وردت الرواية على هذا : إذا كان لإخوان الرجال ... الخ ، ولا يتفق هذا مع أى من المراجع الأخرى ، وقد نص في السكامل على أنها من أب في ابنه ، قال : قال أبو العباس : أنشدني التوزي لأبي رباط يقول لابنه ... الخ .

رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَرٍّ عَثْبُ
 إِذَا كَانَ أَوْلَادُ الرِّجَالِ حَزَازَةً^(١) فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْحَلُوُّ وَالْبَارِدُ الْعَذْبُ
 لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ الْأَعْدَاءُ مَمْتَنَعٌ صَمْبُ^(٢)
 يَخْبِرُنِي عَمَّا سَأَلْتُ بِهِتِي مِنْ الْقَوْلِ لَا جَافِيَ الْكَلَامِ وَلَا لُغْبُ^(٣)

وقال آخر :

فَلَوْ كُنْتُمْ لَكَيْسَةً أَكَّاسَتْ وَكَيْسُ الْأُمِّ أَكَيْسُ اللَّبْنِينَا^(٤)

(١) في الكامل : مرارة . والحزازة : وجع القلب من الغيظ .

(٢) في الكامل : أنيق بدل دميث ، وفيه وفي القيون : مركبه بدل ممتنع .

(٣) اللغب : الفاسد من الكلام .

(٤) في ١ : لكستم بدل أكاست . وانظر البيت في البيان والتبيين ١/ ١٩٥ ، ٣/ ٣٤٨ ، محاضراته

بَابُ الْأَقَارِبِ وَالْمَوَالِي

قال رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا رسول الله ^(١) إن لي قرابةً أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال معك من الله ظهيرٌ ما كنتَ على ذلك » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من ذنبٍ أجدر بأن تعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة ، من البغى وقطيعة الرّحم » .

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم : « حقٌ كبير الإخوة على صغيروهم ، كحقِّ الوالد على ولده » .

وقال أبو الدرداء : مكتوبٌ في التوراة : إن أحسد الناسِ لِعالمٍ وأبغاهم عليه ، قرابته وجيرانه » .

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَوَالِي الْقَوْمِ مِنْهُمْ » .

قال ابن عباس : قد تُقَطَّعُ الرَّحِمُ ، وقد تُكْفَرُ النُّعْمَى ، ولا شيءٌ كتقارب القلوب . وفي رواية أخرى عنه ، تُكْفَرُ النُّعْمَةُ ، وَالرَّحِمُ تُقَطَّعُ ، وَاللَّهُ يُوَلِّفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ ، وَإِذَا قَارَبَ بَيْنَ الْقُلُوبِ لَمْ يُزَحِّزْهَا شَيْءٌ أَبَدًا ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ

ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ^(١) .

كان يقال : لا تُؤدّي حق ^(٢) الرحم إلا بأن تصل من أدلى بها إذا قطعك ،
وتمطيه إذا حرهك .

قال الشاعر :

وجدتُ قريبَ الوُدِّ خيراً وإن نأى من الأبعد الوُدُّ القريبِ المناسبِ
ورب أخ لم يُدْنيه منك والدُّ أبرُّ من ابنِ الأم عند النوائبِ
ورب بعيد حاضر لك نفعه ورب قريب شاهد مثل غائبِ

ولنصور الفقيه :

^(٣) مناسبك الأدنى أشدُّ عداوةً وكفراً لما أوليته من عداوتك
يقول الذي بيني وبينك موجبٌ عليك لعمري أثرتي بحياتك
وما خير من عسى ويصبح ساخطاً على الله في تأخيرهِ لماتك

وقال آخر ^(٣) :

أشدُّ عداوةً وأقلُّ نفعاً من الرجل البعيد الأقربونا

(١) سورة الأقال الآية ٦٣

(٢) في ح : صلة .

(٣) ساطع مني ١ .

وقال آخر^(١) :

ولا خيرَ في قُرْبَى لغيرِكَ نفعُها ولا في صديقٍ لا تزالُ تعاتبُه
يخونُكَ ذو القربى مرارًا ورُبَّمَا وفَى لك عند الجُهد من لا تُناسِبُه

قالت الأعراب : ابن عمك عدوك وعدو عدوك .

قال الفضل بن العباس اللهي^(٢) في بنى أمية^(٣) :

مهلا بنى عمنا عن نحت أثَلَتِنَا سيرُوا قليلاً كما كنتم تسيرُونَا^(٤)
لا تطعمُوا أن تهينُونَا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذُونَا
مهلا بنى عمنا مهلاً موالينا لا تنشروا^(٥) بيننا ما كان مدفونَا
الله يعلمُ أَنَا لا نحبكم ولا نلومكمُ ألا تحبونَا
كل يُداجى^(٦) على البغضاء صاحبه بنعمة الله نعليكم وتقلُونَا

(١) هو بشار ، انظر ديوانه ٣٠٩/١ ، محاضرات الأدباء ٢٢/١ ، الصداقة والصدق ١١١ وفيهما : تقاربه بدل تناسبه .

(٢) سبقت ترجمته في هذا الجزء .

(٣) وردت الأبيات في الحماسة لأبي تمام ٨٢/١ ، مع اختلاف في الترتيب ، وانظر البيت الثالث في السكامل ٢٧٩/٢ ، وبعضها في المؤلف ٣٥ ، معجم الشعراء ٣١٠ ، العقد الفريد ٣٢٨/٢ ، عيون الأخبار ٢١٣/١ .

(٤) الأثلة : الشجرة العظيمة ، وتستعار للمعرض ، والمقصود كفوا عن ذمنا وشتم أعراضنا ، وراوية الحماسة : رويدا بدل قليلا .

(٥) في الحماسة : لا تنبشوا .

(٦) فيهما أيضاً مداح .

قال مضر بن لقيط الفقعسي :

فقدت موالى الذين كأنهم دماميل في وجهي على تنحس

ولما قتل الحسين بن علي ، قالت بنت عقيل بن أبي طالب :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ماذا فعلتم وأتم آخر الأمم-
بعترتي وبأهلي عند منطلق منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم-
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوى رحي^(١)

لسويد الحارثي أو غيره^(٢) :

بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغيم القوافيا^(٣)
فلسنا كما كنتم تصيبون مثله فيقبل عقلاً أو يحكم قاضيا^(٤)
ولكن حكم السيف فيكم مسلط فرضى إذا ما السيف أصبح راضيا
فإن قلتُم إنا ظلمنا فإنكم^(٥) بدأتم ولكنا أسأنا التقاضيا

(١) انظر الأبيات في : الكامل ٩١/١ ، عيون الأخبار ٢١٢/١

(٢) وردت الأبيات في الحماسة لأبي تمام ٤١/١ ، وقال : أنها للشمير الحارثي أو سويد بن صميع الرندي الحارثي ، وانظر عيون الأخبار ٧٧/١ .

(٣) في الحماسة : الغمير بدل الغيم ، والغمير موضع بين ذات عرق والبستان ، قبله بميلين يوجد قبر أبي رغال .

(٤) في الحماسة : سلة بدل مثله ، وصيفا بدل عقلا .

(٥) فيها أيضا : فلم نكن بدل فإنكم .

وقال الأصبط بن قريع :

فَصِلْ حَبَالَ الْبَعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْـ حَبْلَ وَأَقْصِ الْقَرِيبَ إِنْ قَطَعَهُ^(١)

قال قيس بن زهير^(٢) :

شَفِيتَ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرٍ وَسِيفِي مِنْ حُذَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
قَتَلْتُ إِخْوَتِي سَادَاتِ قَوْمِي وَقَدْ كَانُوا لَنَا حُلَى الزَّمَانِ^(٣)
فَإِنْ أَكْ قَدْ شَفِيتَ^(٤) بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي

قال ذو الإصبع العدواني^(٥) :

وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقِي مُخَالَفٍ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي^(٦)
أُزْرِي بِنَا أَنْنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا^(٧) نَخَالِي دُونَهُ بَلْ خَلَّتْهُ دُونِي
اللَّهُ يَعْلَمُنِي وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ وَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِّي وَيَجْزِينِي

(١) البيت في البيان والتبيين ٣/ ٢٨٠ ، العقد للفريد ٢/ ٣١٥ ، زهر الآداب ٢/ ٢٠٤ .

(٢) الأبيات التالية في : حاسة أبي تمام ١/ ٧١ ، عيون الأخبار ٣/ ٨٨ ، محاضرات الأدباء ٢/ ٧٥ ونسبت فيها لقيس بن زياد ، وانظر المعجم الشعراء ٣/ ٣٣٢ ، أمالي القالي ١/ ٢٦٢ .

(٣) ساقط من ج .

(٤) في ١ : بردت وكذلك في الميرون ، وفي المعجم : فإن أك قد شفيت بذاك قلبي .

(٥) الأبيات في الحيوان ٤/ ٣٦٤ ، عيون الأخبار ٢/ ٣٢٨ ، أمالي القالي ١/ ٢٥٥ ، ٥٦ .

(٦) في الأمالي : مختلفان فأقلبه .

(٧) شالت نعماتهم إذا انتقلوا من الموضع فلم يبق منهم فيه أحد ، والمقصود تفير حالهم من يسر إلى عسر .

ماذا على وإن كنتم ذوى رحمٍ ألا أحبكم إذ لم تُحِبُّوني

قال الأعشى^(١) :

وإنَّ القريبَ من يقربُ نفسهُ لعمرُ أهلك الخيرَ لا مَنْ تَنَسَّبَا

وقال آخر :

وإني للباسٌ على المقتِ والقلِّ بنى العمِّ منهم كاشحٌ وحسودٌ
أذبٌ وأرمي بالحصى من ورائهم وأبدأ بالنعى لهم وأعـود^(٢)

قال ابنُ العميد :

آخر الرجال من الأبا عِدِ والأقاربَ لا تُقاربِ
إنَّ الأقاربَ كالعقـا رِبِ أو أشدُّ من العقاربِ^(٣)

كان عبد الله بن العباس صديقاً لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فلقيه يوماً
مفتاضاً . فقال له : مالك ؟ قال : لقينى فلانٌ — لرجل من أهله — فشتمنى وآذانى .
فقال له : هوّن عليك فما من صنارٍ على طريدةٍ بأسرعَ إليها من ابن عم دَنِيٍّ إلى ابن عم
سَرِيٍّ ، فهوّن عليك .

(١) ديوانه ١١٣ .

(٢) البيتان في معاضرات الأدباء ١/١٧٥ ، وفيه : بالعصا بدل الحصى ، والحنى بدل النعمى .

(٣) البيتان في بتيمة الدهر ٣/١٨٣ ، ١٨٤ ، خاص الخاص ١٢٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٢٢ .

من شعر طرفة ، و يروى في شعر عدى بن زيد^(١) :

و ظلم ذوى القربى أشد مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهند

وقال أبو فراس الحمداني^(٢) :

وهل أنا مسرورٌ بقرب أقاربي إذا كان لى منهم قلوبُ الأبعادِ

قال العتّابي : عشيرتُك مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَكَ ، وابن عمّك من عمّك خيرُهُ ،
و قرابتك من قرّب منك نفعُهُ ، وأحبّ الناس إليك أخفّهم ثقلًا عليك .

وقال^(٣) :

إني بلوتُ الناسَ في أحوالهم وخبرتُ ما وصفُوا من الأسبابِ^(٤)
فإذا القرابة لا تُقَرَّبُ قاطمًا وإذا المودة أقربُ الأنسابِ

(١) ورد البيت في معاقبة طرفة ، وعلق على ذلك التبريزي في شرحه لها أنه لعدى ، انظر هامش الحيوان ١٥٠/٧ ، وقد نسب البيت لعدى في حماسة البحتري ٣٩٣ ، عيون الأخبار ٨٨/٣ ، نهاية الأرب ٦٣/٣ .
والرواية فيها كلها : أشدّ عداوة بدل مضاضة .

(٢) ديوانه ٣٦ .

(٣) ورد البيتان في حماسة البحتري ٢٧٨ ونسب فيها إلى يحيى بن زياد ، ونسبهما في العقد الفريد ٣١٤/٢ إلى أبي تمام وليس في ديوانه .

(٤) رواية حماسة البحتري لهذا البيت :

ولقد عرفت القائلين وقولهم وفهمت ما ذكروا من الأسباب

ورواية العقد :

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم ووصفت ما وصفوا من الأسباب

وانظر عيون الأخبار ٩٠/٣ .

وقال آخر :

كم من أخ لك لم يـلـدـه أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا^(١)
وهذا مأخوذ - والله أعلم - من قول أكتـم بن صيفى : رب أخ لم تجمعـه
معك ولادة .

قال آخر^(٢) :

قومي هم قتلوا - أميم - أخى فإذا رميت أصابنى سهمى
فلئن عفوت لأعفون جـلـلـاً ولئن سطوت لأوهن عظمى

وقال أبو الأسود الدؤلى :

إذا المرء ذو القربى وذو الود أجحفت به سنة حلت مصيبته حـقـدـى^(٤)
قال آخر^(٥) :

سأخذ منكم آل حزن لحوشب وإن كان مولائى وكنتم بنى أبى^(٦)

(١) البيت ضمن ثلاثة أبيات فى العقد الفريد ٣٠٧/٢ ، غير منسوبة لقائل .

(٢) هو الحارث بن وعلـة الجرمى كما فى حماسـة أبى تمام ٧١/١ ، وانظر عيون الأخبار ٨٨/٣ .

(٣) فى العيون : يصيبى بدل أصابى ، وقرعت بدل سطوت .

(٤) البيت فى ديوانه ٣٦ ، ورواية ١ : جلت مصيبته عندى ، وفى عيون الأخبار ١٠٧/٣ : ذو الضعف

بدل الود ، وفى فصل المقال ١٨٠ ، ذو الذنب وفيه : نـكـبـته بدل مصيبته .

(٥) قال فى حماسـة أبى تمام ١٢٠/١ : يقال لانه جندل بن عمر ، وقد ورد البيتان بدون نسبة فى عيون

الأخبار ٨٩/٣ .

(٦) يروى ، وإن كان لى مولى ، وفى الحماسة والعيون : مولاى وقال الشارح وفيه الكف ، وهو حذف

النون من مقاعيلن ، ولم يرد فى الحماسة بيت مكفوف غيره .

فَإِنْ كُنْتَ لَا أُرْمَى وَتَرْمَى عَشِيرَتِي تُصِيبُ جَانِحَاتُ النَّبْلِ كَشَجِي وَمِنْكَبِي^(١)

وقال آخر :

فَلَمْ أَرِ عِزَّ الْمَرْءِ إِلَّا عَشِيرَةً وَلَمْ أَرِ ذِلًّا مِثْلَ نَائِي عَنِ الْأَهْلِ

قال آخر^(٢) :

أَخَافُ كِلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَنَبَحَهَا إِذَا لَمْ تَجَاوِبْهَا كِلَابُ الْأَقَارِبِ^(٣)

وقال المقنع الكندي ، واسمه محمد بن عمير بن أبي شمر الكندي ، وكان من أجمل أهل زمانه وأحسنهم وجها ، وأتمهم قامة ، فكان إذا كشف وجهه يُؤذى ، فكان يتقنع دهره ، فسُمي لذلك : المقنع . وشعره هذا من أحسن ما قيل في معناه جزالة ونقاوة وسياسة وحلاوة^(٤) :

يُعَايِنُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دِيُونِي^(٥) فِي أَشْيَاءِ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا

(١) في الحماسة : كناني بدل عشيرتي ، وجانحات بدل جانحات ،

(٢) نسب البيت في محاضرات الأدباء ١٧٣/١ إلى النعمان بن حنظلة ، ونسبت في عيون الأخبار ٩١/٣ إلى رجل من غطفان ولم يعينه ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ بدون نسبة .

(٣) في المحاضرات : وهرشها بدل نبجها ، وتهارشها بدل تجاربها .

(٤) انظر الأبيات التالية في حماسة البعثرى ٣٨٠ ، ٣٨١ ، أمالي الفاي ٢٨٠/١ ، ٢٨١ ، وما عدا السابع في حماسة أبي تمام ٣٢/٢ - ٣٤ .

(٥) يروي : تداينت .

أُسَدَّ بِهِ مَا قَدْ أَخْلُوا وَضَيَّعُوا حقوقَ تُغَوِّرِ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا
وَلِي جَفَنَةٌ لَا يُغْلَقُ الْبَابُ^(١) دُونَهَا مَكَلَّةٌ لِحِمَاً مَدْفُوعَةٌ تُرَدًّا
وَلِي فَرَسٌ نَهْدٌ عَتِيقٌ جَعَلَتْهُ حِجَابًا لِبَيْتِي ثُمَّ أَخْدَمْتَهُ عَبْدًا
وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمُخْتَلَفٌ جِدًّا
^(٢) إِذَا أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا^(٢)
وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفَظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمُ هَوُوا غَيَّيْ هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
وَلَيْسُوا إِلَى نَصْرِي سَرَاعًا وَإِنْ هُمُ دَعَوْنِي إِلَى نَصْرٍ أَتَيْتُهُمْ شَدًّا
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرِي^(٣) بِنَحْسٍ يَمُرُّ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا يَمُرُّ بِهِمْ سَعْدًا
وَلَا أَهْلُ الْحَقْدِ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَئِيسُ الْقَوْمِ^(٤) مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
^(٢) لَهُمْ جُلٌّ مَالِي أَنْ تَتَابَعُ لِي غَنَى وَإِنْ قُلُوبُ مَالِي لَمْ أَكْلَفْهُمْ رَفْدًا^(٢)
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِمَّةٌ لِي غَيْرُهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا
وَقَالَ طَرْفَةٌ :

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ إِذَا ذُلَّ مُوَلَى الْمَرْءِ فَهُوَ ذَلِيلٌ^(٥)

(١) فِي الْحِمَاسَةِ : وَفِي جَفَنَةٍ مَا يَغْلَقُ الْبَابَ ، وَكَذَلِكَ فِي الْبَيْتِ التَّالِي : وَفِي فَرَسٍ الْخ .

(٢) سَاقَطَ مِنْ أ . وَفِي الْحِمَاسَةِ : فَإِنْ أَكَلُوا بَدَلَ فَإِذَا .

(٣) فِي الْحِمَاسَةِ : طَيْرًا .

(٤) فِي حِمَاسَةِ الْبَحْرِيِّ : وَلَيْسَ كَرِيمُ الْقَوْمِ .

(٥) دِيْوَانُهُ ١٢٦ .

وقال عوف التميمي^(١) :

ولستُ لقومي بعيّابةٍ وشرُّ العشيرة من عابها
أعِفُّ وأبذلُ مالى لها ولا أتعلّم ألقابها^(٢)

وقال أبو الطمحان القيني^(٣) :

إذا كان في صدر ابن عمك إحنةٌ فلا تستثرها سوف يبدو دفينها^(٤)

قال آخر :

أخاك أخاك إنَّ من لا أخاله كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

قال الثقفى^(٥) :

(١) انظر ترجمته و البيتين فى معجم الشعراء ٢٧٦ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) نسب البيت فى المؤلف ٢٣ الى الأقبيل القينى ، وفى حماسة البحترى ١٨ الى معروف بن عمرو

الطائى .

(٤) فى المؤلف : متى ما يكن ، وفى حماسة البحترى نفس ابن عمك بدل صدر .

(٥) نسب البيتان فى عيون الأخبار ٢/٣٠٤ ، ٢/٣ ، فصل المقام ٢٢٠ ، الأغاني ١٨٠/٧٠ (بولاق)

الى مسكين الدارمى ، ونسبا فى حماسة البحترى ، ٣٨٨ الى قيس بن عاصم .

(٦) ذكر فى هامش البيان ١/٨٢ أنه يزيد بن الحكم الثقفى على الاحتمال ، وقد نص فى الشعر والشعراء =

من كان ذا عَضِدٍ يَدْرِكُ ظُلَامَتَهُ إن الدليلَ الذي ليست له عَضِدُ
تنبؤُ يدها إذا ما قَلَّ ناصِرُهُ وبأنفِ الضَّيِّمِ إن أثرى له عددُ

وقال أشجع السلمي :

نسيبك من أمسى يناجيك طَرْفُهُ وليس لمن تحوتَ الترابِ نسيبُ^(١)

وقال محمد بن أبي حازم الباهلي :

رُبَّ غريبٍ ناصحٍ الجيبِ وابنُ أبٍ متهَمُ الغيبِ^(٢)
ورب عَيَّابٍ له منظرٌ مشتملُ الثوبِ على العيبِ

قال محمد بن أَبَانَ اللاحقي يخاطب أخاه إسماعيل :

تلوم على القطيعة من أتاها وأنت سننتها للناس قبلي^(٣)

واللاحقي هو القائل :

== على أنه الأجرد التقى ، وانظر البيتين في عيون الأخبار ٢/٣ ، المصون ٧ ، العقد الفريد ٢/٤٤٠ ، ٤١ ، الحيوان ٣/٤٥٠ .

(١) البيت في التمثيل والمحاضرة ٨٤ .

(٢) انظر البيتين في البيان والتبيين ١/٧٥ ، التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، عيون الأخبار ٢/١٥ وفيه : وكل غريب ، العقد الفريد ٢/٣١٤ وفيه : رب بعيد .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٠٨ وفيه : وأنت سننتها في الناس ، وقد تقدمت ترجمة اللاحقي .

اخفض الصَّوت إن نطقتَ بليلاً والتفتُ بالنَّهار قبلَ الكلامِ (١)

وفي معنى قول اللاحق في البيت الأول قول الهذلي :

فلا تفرعن من سيرة أنت سرتها فأولُ راضٍ سنَّةٌ من يسيرها (٢)

(١) البيان والتبيين ١/٢٦٦ ، عيون الأخبار ١/٤٤ .

(٢) ديوان الهذليين ١/١٢٠ والرواية في عيون الأخبار ٤/١٠٩ : فلا تعجبني ، وفي الشعر والشعراء :
لا تجزعين .

باب المملوك والمالك

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة سيِّءُ المملكة » .

كان يقال : التسلُّط على المملوك دناءة .

وقال بعضُ الحكماء : اذكر عند قدرتك وغضبك قدرة الله عليك ، وعند حكمك حكم الله فيك .

كان يقال : أنعم الناس عيشاً من حسن عيش غيره في عيشه .

كان يقال : الإحسان إلى الخادم يُشجى العدو ، ويُذهب البؤس ، والكسوة تُظهر الغنى .

قال عمر بن الخطاب : أكثروا شراء^(١) الرقيق ، فرب عبد يكون أكثر رزقاً^(٢) من سيده .

اشترى عبدُ الله بن أبي ربيعة المخزومي عبدَ بنى الحَسْحَاس واسمه سُهَيْمٌ ، وكان حبشياً سمحاً شاعراً ، وكتب إلى عثمان بن عفان : إني قد اشتريتُ لك غلاماً حبشياً شاعراً فكتب إليه عثمان : لا حاجة لي به ، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعر إذا شبع أن يشبَّ بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوهم .

(١) في ح : شري .

(٢) ١ : وفاء .

قال لقمان لابنه : يا بني ! إياك وخدمة العين^(١) . قال : وما خدمة العين^(١) ؟ قال :
ألا يكون لك عبد لا يخدمك إلا حيث يراك^(٢)

باع أعرابي غلاماً له من قوم من أهل البصرة ، فخلوه سقاً على ظهر بعير
لهم^(٣) ، فلبث الأعرابي حيناً ثم لقيه فسأله عن حاله ؟ فقال : أنا في سفر لا ينقضي ،
وغدير لا يُنزع ، وقوم لا يُروون

قال بعض الحكماء : أفضل الممالك الصغار ، لأنهم أحسن طاعة ، وأقل خلافاً ،
وأسرع قبولاً .

كان يقال : استخدم الصغير حتى يكبر ، والأعجمي حتى يفصح .

روى سفيان بن عيينة ، عن سليمان الأحول ، عن ابن معبد ، عن ابن عباس ،
قال : من حلف على ملك يمينه أن يضربه فكفارته تركه ، ومع الكفارة حسنة .

قال أبو الفتح^(٤) :

بَطَرْتُمْ فَطَرْتُمْ وَالْعَصَا زَجَرُ مِنْ عَصَى وَتَقْوِيمُ عَبْدِ الْهُونِ بِالْهُونِ رَادِعُ

(١) في ١ : الغير .

(٢) في ١ : حيث يراك الناس .

(٣) ساقطة من ١ .

(٤) في ح : ابنة الفتح ، وأبو الفتح هذا هو علي بن محمد بن الحسين العميد ، وزير شاعر ، كان يلقب
بذي الكفائتين ، تولى الوزارة بعد أبيه (ابن العميد) لركن الدولة البويهى بالرى ونواحيها سنة ٣٦٠ هـ ،
واستمر إلى أيام مؤيد الدولة حتى قبض عليه وقتله سنة ٣٦٦ هـ . انظر الأعلام وهامشه ١٤٣/٥ ، وانظر البيت
في التمثيل والمحاضرة ١٢٢ ، يتيمة الدهر ١٩٠/٣ وفيها نافع بدل رادع ، خاص الخاص ١٢٧ .

وقال آخر :

إذا لم يكن في منزل المرء حرّةٌ رأى خلافاً فيما تدير الولاةُ
فلا يتخذ منهم حرّاً قعيداً فهن لعمر الله بئس القعائدُ^(١)

قال آخر :

العبدُ يُزجرُ بالعصا والحرُّ تكفيه الملامه^(٢)

وقال آخر :

العبدُ يقرعُ بالعصا والحرُّ تكفيه الإشارة^(٣)

أخذه من قول مالك بن النّيب :

العبدُ يُقرعُ بالعصا والحرُّ يكفيه الوعيد^(٤)

وقال بشار^(٥)

الحرُّ يُلجئُ والعصا للعبدِ^(٦) وليس للملحف مثل الردّ^(١)

(١) البيتان في التمثيل والمحاضرة ٢١٨ ، محاضرات الأباء ٨٧/٢ ، المحاسن والأضداد ٢٥٤ ، وفيهما : ضيعة بدل خلا .

(٢) نسب هذا البيت في الحيوان ٤٨٣/٦ إلى خليفة الأقطم ، ونسب في البيان والتبيين ٣٢/٣ ، وفيات الأعيان ٣٨٩/٥ إلى يزيد بن مفرغ ، وورد في التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ بدون نسبة .

(٣) البيت للصلتان الفهمي انظر البيان ٣٣/٣ ، المؤتلف ١٤٥ .

(٤) البيان والتبيين ٣٢/٣ .

(٥) ديوانه ٢٢٤/٢ ، وفيه : يوصى بدل يلجئ .

(٦) ساقطة من ج .

كان يقال : الحرُّ حرٌّ وإن مسه الضر ، والعبد عبد ولو مشى على الدر .

أخذه الشاعر فقال :

وان الحرَّ في الحالات حرٌّ وإن الذلَّ يُقرن بالعبيد^(١)

وقال يزيد المهلبى :

إن العبيد إذا أذلَّتْهُمْ صَلَّحُوا على الهوان وإن أكرمتهم فَسَدُوا^(٢)

قال المتنبي^(٣) :

لا تشتري العبدَ إلا والعصا معه إن العبيدَ لأنجاسٍ منا كيدُ

وقال آخر :

إذا برم المولى بخدمة عبده تجنَّى له ذنباً^(٤) وإن لم يكن ذنبُ

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٤ .

(٢) التمثيل والمحاضرة ٢٢٢ ، فصل المقال ٣٨٦ وفيه : إن الأثام بدل العبيد .

(٣) ديوانه ٤٣٤ .

(٤) في ١ : قدم له ذنباً .

باب الذكر والثناء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم » ؟
قالوا : بـم ذا يا رسول الله ؟ قال : « بالثناء الحسن والثناء السيئ ، أتم شهداء الله في
الأرض ، بعضكم على بعض » .

قال عبد الله بن مسعود : عنوان صحيفة الميت ثناء الناس عليه .

وروى ذلك عن ابن عمر أيضاً .

قال كعب الأحبار : إذا أُحييتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه^(١) فانظروا ما يتبعه
من حُسن ثناء .

قال مطرّف بن الشَّخِير : عنوانُ كرامة الله لعبدِه حُسنُ الثناء عليه ، وعنوان
هوانه سوء الثناء عليه .

قال بعض الحكماء : الناس أحاديث ، فإن استطعت أن تكون أحسنهم
حديثاً فافعل .

ومن ها هنا — والله أعلم — أخذ ابن دريد قوله :

(١) في ١ : عند الله .

وإنما المرء حديثٌ بعدهُ فكن حديثًا حسنًا لمن وعَى^(١)

قال آخر :

أرى الناسَ أحدىثةً فكوني حديثًا حسن^(٢)

قال آخر :

وكلُّ جديدٍ — يا أميمَ — إلى البلى وكلَّ امرئٍ يومًا يصير إلى كائن^(٣)

وقد مضى قول حاتم الطائي :

أخافُ مَذَمَّاتِ الأحاديثِ مِنْ بَعْدِي^(٤)

مات ابنُ حبيب بن المهلب^(٥) ، فقدم أخاه يزيد ليصلي عليه ، فقبل له : أتقدمه وأنت أسنُّ منه ؟ قال : إن أخى قد شرفه الناسُ وشاع له فيهم الصيت ، ورَمَتْه العربُ بأبصارها ، فكرهت أن أضعَ منه ما رفع الله .

(١) في ١ : وإنما الناس حديث حسن .

(٢) ورد البيت في المتن كذا :

أرى الناس أحدىثة للزمان فكن فيهم حديثا حسن

وقد زاد الناسخ فيه كلمتين ، وهو ما لم ترد به رواية البيت في المراجع ، انظره في التمثيل والمحاضرة ٨٧ ، منسوباً لعبد الصمد بن المعذل . وانظره في الكامل ٢٣٧/١ ، محاضرات الأدباء ١٨٠/١ بدون نسبة .

(٣) البيت في حماسة البحتري ٣٣٢ ، البيان والتبيين ٣/١٦٠ .

(٤) سبق هذا مع أبيات أخرى .

(٥) ابن أبي صفرة ، أحد شجيمان العرب وأشرفهم ، كانت له ولاية كرمان من قبل عبد الملك بن مروان ، وعزل عنها سنة ٨٧ ، ثم صحب أخاه يزيد في أعماله وغزواته حين خرج بالبصرة على يزيد بن عبد الملك وقتل =

قال رجل من غنى^(١) :

فإذا بلغتُم أهلكم فتحدثوا ومن الحديث مهالكٌ وخلودٌ

قال آخر :

فأثنوا علينا لا أباً لأبيكم بإحساننا إن الثناء هو الخلد^(٢)

قال الأسدي :

فإني أحبُّ الخلدَ لو أستطيعُهُ وكالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَلَمْ^(٣)

كان أبو عمرو بن العلاء يتمثل :

وسيبقى الحديث بمدك فانظرُ خيراً أحدىثة تكونُ فكُنْها^(٤)

== معه سنة ١٠٢ هـ (الأعلام ١٧٣/٢ وهامشه) ، أما أخوه يزيد فقد كان أحد رجالات العرب الأجواد الشجعان ، تولى خراسان بعد أبيه سنة ٨٣ فمكث نحو من ست سنين ، ثم عزله عبد الملك برأى الحجاج الذي كان يخشى بأسه ، ولما تم عزله حبسه الحجاج فهرب منه إلى الشام وظل فيها حتى ولاه سليمان بن عبد الملك العراق وخراسان ، فبقى عليها حتى تولى عمر بن عبد العزيز فعزله وحبسه ، ثم استطاع غلمانه أن يخرجوه بعد وفاة عمر فسار إلى البصرة وغاب عليها سنة ١٠١ ، إلى أن استطاع مسلمة بن عبد الملك هزيمته وقتله سنة ١٠٢ هـ . انظر : الأعلام ٢٤٦/٩ والمرجع الكثيرة التي أوردها عنه في هامشه .

(١) في ح : الفنوى ، والبيت أنشده الجاحظ كما في الكامل ٢٢٣/١ ، وانظره في الحيوان ٤٧٥/٣ ، وفيه أرضكم بدل أهلكم ، ومتالف بدل مهالك ، ورواية عيون الأخبار ١٦١/٣ كما هنا .

(٢) البيت للحارثي كما في الأغاني ٢٧٥/٣ ، وانظر الكامل ٢٢٣/١ . وقال أنشده الجاحظ ، وفيه بأفعالنا بدل إحساننا ، وانظر عيون الأخبار ١٦١/٣ .

(٣) نسب هذا البيت في معجم الشعراء ٣٩٠ إلى مضر بن ربعي بن لقيط . وانظره بالنسبة التي هنا في البيان والتبيين ٢٢٣/١ ، ٢٦٤/٣ . الحيوان ٤٧٥/٣ . محاضرات الأدباء ١٨٠/١ .

(٤) نسب البيت في البيان والتبيين ٢٦٤/٣ ، الحيوان ٤٧٥/٣ إلى الحادرة (قطبة بن أوس) .

قال داود بن جهور ، ^(١) وتنسب إلى منصور ، وليست له وقد رويناها لداود ،
والله أعلم ^(١) :

إذا أعجبتك طباعُ امرئٍ فكأنه يكن منك ما يعجبك
فليس على الجودِ والمكرُماتِ حجابٌ إذا جئتَه يحجبك

قال آخر :

ذكرُ الفتى عمرُه الباقي وحاجتُه ما قاتَه وفضولُ العيش أشغالُ ^(٢)
قال التهامي ^(٣) :

بينما يرى الإنسانُ فيها مُخبِراً حتى يرى خَبِراً من الأخبارِ

(١) زيادة من أ ، وقد ورد البيتان في محاضرات الأدباء ١/١٤٩ ، ١٥٠ متساويين إلى أبي العيناء

(٢) البيت في محاضرات الأدباء ٢/٣٢٠ ، وفيها عمره الآتي ، ما قاتَه من فضول الخ .

(٣) هو علي بن محمد بن نهد التهامي ، أبو الحسن ، شاعر مشهور من تهامة ، زار الشام والعراق وولى
خطابة الرملة ، ثم رحل إلى مصر متخفياً ، ومعه كتاب من حمان بن مفرج الطائي أيام استقلاله ببادية فلسطين
إلى بني قرة قبيل عصيانهم بمصر ، فعلت به حكومة مصر فاعتقل وحبس ، ثم قتل في محبسه سنة ١٦٦ هـ .
انظر : وفيات الأعيان ١/٥٧ ؛ (الأعلام وهاشمه ٥/١٤٥ ، ١٤٦) .

بابُ البكاء على ماضى من الأزمان والتلُّف على صالح

الإخوان ، والحنين إلى الأوطان

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر : « فكيف بك يا عبد الله إذا بقيت في حُثالة من الناس قد مَرَجَتْ عهودهم ^(١) وخَفَّتْ أماناتهم » ؟

قيل لبعض الحكماء : بأى شيء يُعرف وفاء الرجل دون تجربة واختبار ؟ قال :
بحنينه إلى أوطانه ، ^(٢) وتلُّفه على ما مضى من زمانه .

روى أبو العلاء زكريا بن يحيى بن خلاد ، عن الأصمعي ، قال : قال أعرابي : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوامَ عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه ^(٣) وتشوِّقه إلى إخوانه ، وبكائه على ما مضى من أزمانه .

روى عروة عن عائشة : أنها تمثلت بقول لبيد ^(٤) :

ذهب الذين يُعَاش في أَكْثَنَافِهِمْ وبقيتُ في خَلْفِ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ
يتحدّثون ملالة وخيانةً ويُمَاب قائلهم وإن لم يَشْفَبِ ^(٤)

(١) مرج العهد : لم يف به .

(٢) ساقط من أ .

(٣) ديوانه ٧ .

(٤) يشفب : يهيج الشر ، ورواية الكامل ٧٠/٢ : يتحدّثون مجانة وملاذة ، وفي البيان ٢٧٠/٢ :

مغالة وخيانة ، وفي ملامة بدل ملالة ، وانظر الحيوان ٢٧٥/٥ .

ثم قالت : كيف لو أدرك ليبد زماننا هذا ؟ قال عروة : كيف لو أدركت عائشة زماننا هذا ؟ .

بلغ ابن عباس قول عائشة : رحم الله ليبدأ ، كيف لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال ابن عباس : رحم الله ليبدأ ورحم عائشة ، لقد أصبت باليمن سهما في خزان عاد ، كأطول ما يكون من رماحكم هذه ، مريشٌ مفوق مكتوب عليه :

فهل لي إلى أجبال هندٍ بذي اللوى لوى الرَّمْل من قبل الممات معاد
بلادٌ بها كُنّا ونحن نُحِبُّهَا إذ الناس ناسٌ والبلادُ بلادٌ^(١)

(٢) قال أبو العتاهية^(٣) :

لله أزمنةٌ عَهِدْتُ رِجَالَهَا في النائبات وإنَّهم لكرامُ
ماذا أقول لو افد الزمن الذي^(٤) هلك الأرامل فيه والأيتامُ
زمنٌ هوت أعلامه وتقطعت فِرَقًا فليس لأهله أعلامُ
زمنٌ مكاسبُ أهله مدخولةٌ جدًّا^(٥) فرُوعُ أصوله الآثامُ

(١) انظر هذا الخبر في العقد الفريد ٣٤٠/٢ ، محاضرات الأدباء ١٦٩/٢ مع اختلاف قليل في الرواية .

(٢) من هنا ساقط من ح نحو صفحة .

(٣) الأبيات التالية في ديوانه ٢٤٤ .

(٤) رواية الديوان : فلمبة أخرت للزمن الذي ... الخ

(٥) في الديوان : دخلام

زمن تُحَامَى المَكْرُمَاتِ سَرَائُهُ حَتَّى كَأَنَّ المَكْرُمَاتِ حَرَامٌ

روينا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخلت عليه عجوزٌ وهو في بيت عائشة ، فأكرمها وقربها ووصلها ، فقالت له عائشة : من هذه العجوز ؟ فقال : « كانت تأتينا وتزورنا أيامَ خديجة ، وحفظُ العهد من الإيمان » .

وقال آخر :

ذهبَ الزَّمانُ برهطِ حسانِ الألى كانت مناقبُهم حديثَ الفـابـرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ تحلّ ضيوفُهم منهم بـمنزلةِ اللّـثـيمِ الغادرِ
سودُ الوجوه لثيمةٌ أحسابهم فطُسُ الأنوف من الطرازِ الآخِرِ^(١)

وقال آخر :

مضى الذين إذا ما جئتُ أسألهم قالوا برحبٍ : على العينين والرأسِ
وقد بقيتُ بأوغادٍ أكابرهم ليسوا بناسٍ بلى أشباهُ نَسَاسِ^(٢)

وقال عتبة الأعور^(٣) :

ذهب الذين أحبُّهم وبقيتُ فيمن لا أحبهُ

(١) انظر الصداقة والصديق ١١٤ .

(٢) إلى هنا ينتهى النقص من ح . وانظر البيتين في الصداقة والصديق ١١٥ .

(٣) هو : عتبة بن أبى سفيان بن حرب ، وبسمى الأعور لأن عينه فقئت يوم الجمل الذى شهدته مع عائشة وكان عتبة عاقلا فصيحاً مهيباً من فحول بنى أمية ، تولى مصر من قبل أخيه معاوية ، فقدمها سنة ٤٣ هـ ، ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطاً وتوفى بها سنة ٤٤ هـ . انظر : نسب قريش ١٢٥ ، السيرة الحلبية ١٣٨/٢ (الأعلام ٣٦٠/٤) .

إِذْ لَا يَزَالُ كَرِيمٌ قَوْمٌ فِيهِمْ كَلْبٌ يَسْبُهُ^(١)

وقال الحارث بن^(٢) الوليد :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مَقْبِلًا هَشُّوا وَقَالُوا مَرْحَبًا بِالْمَقْبِلِ
وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ وَلَغُ الْكِلَابِ تَهَارَشَتْ فِي مِنْهَلٍ^(٣)

وقال الأحموس :

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُهُمْ سَلَفًا وَبَقِيتُ كَالْمَفْقُودِ فِي خَلْفٍ
مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى حَنْقٍ مُتَصَنِّعٍ يُكْفِي وَلَا يَكْفِي^(٤)

وقال بشار :

فَسَدَ الزَّمَانُ وَسَادَ فِيهِ الْمُقْرِفُ وَجَرَى مَعَ الطَّرْفِ الْحِمَارُ الْمُوكِفُ^(٥)

كَانَ سَفِيَانُ الثَّوْرِي يَقُولُ : ذَهَبَ النَّاسُ فَلَا مَرْتَعٌ وَلَا مَفْزَعٌ^(٦) .

(١) البيتان في الحيوان ٣٠٩/٢ ، وفيه : كريم قومي ... الح :

(٢) في ح : دعى الوليد ، ولم أستطع العثور له على ترجمة .

(٣) البيتان في الحيوان ٣٠٧/٢ . والولغ : حركة لسان الكلب في الإناء حين يشرب .

(٤) البيتان في البيان والتبيين ٢٧٦/٣ ، الحيوان ٨٥/٣ ، وفيها : كالمغمور بدل المفقود ، وفي البيان : متصنع بدل متضجع .

(٥) المقرف : الفرس الذي أمه عربية لا أبوه وهو لا يداني الطرف أي الجواد الأصيل ، والموكف : الضعيف . ورواية ح : الفرس بدل الطرف .

(٦) المرتع : الخصب والسعة ، والمفزع : الذي يلجأ إليه عند الفزع والحاجة .

ولعبد الله بن المبارك الفقيه ، ^(١) وتروى لغيره ^(١) :

ذهب الرجالُ المُتَقَدِّ بِفَعَالِهِمِ والمنكرون لكلِّ أمرٍ مُنْكَرٍ
وبقيتُ في خلفٍ يُزَيِّنُ بعضهم بعضاً ليأخذ مُعَوِّزٌ من مُعَوِّزٍ ^(٢)
^(٣) ركبوا ثَنِيَّاتِ الطَّرِيقِ فَأَصْبَحُوا متنكبِّين عن الطَّرِيقِ الْأَكْبَرِ
ما أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ حِينَ يَسُوقُهَا قَدَرٌ وَأَبْعَدُهَا إِذَا لَمْ تُقَدَّرِ
الْعِلْمُ زِينٌ لِلرِّجَالِ مَرْوَةٌ ^(٤) والعلمُ أَنْفَعُ مِنْ كَنْزِ الْجَوْهَرِ
أَخْيٌّ إِنَّ مِنْ الرِّجَالِ بَهِيمَةً ^(٥) في صورة الرجل السميع المبصرِ
فَطِنَ لِكُلِّ مَصِيبَةٍ فِي مَالِهِ وَإِذَا يُصَابُ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعُرِ ^(٦)

ولأبي حفص عمرو بن عليّ بن بحر الفلاس ^(٤) ، ^(٥) وكان أحد أئمة أهل الحديث

الحفاظ الجلمة ^(٥) :

(١) ساقط من أ .

(٢) نسب البيتان في معجم الشعراء ٣٨٣ إلى دعلج الخزاعي ، ونسبا في المؤلف ١٦١ إلى الحكم بن عبد الأسد ، والرواية هناك : ذهب الرجال الأكرمون ذوو الحجا . وفي عيون الأخبار ١٢٣/٢ قال أنشدنا ابن الأعرابي ، وانظرهما في محاضرات الأدباء ١٢/٢ ، الصداقة والصديق ١١٥ بدون نسبة ، وورد بعضها في معجم الأدباء ١٤٣/٨ منسوبا إلى الحسن بن عبد الله الأصبهاني المعروف بلكنة ، ثم وردت مرة ثانية في ٣٨/١٢ منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي .

(٣) الأبيات الخمسة ساقطة من ج ، وانظر الأول والثاني منهما في المحاضرات والصداقة بالأرقام السابقة .
(٤) ورد هذا الاسم في أ : أبو حفص عمرو بن علي بن حفص الفلاس ، وفي ح ، م : عمر بن علي الفلاس ، والصحيح ما أثبتناه ، وأبو حفص : باحث من أهل البصرة سكن بغداد ، ومات بسر من رأى ، وكان من حفاظ الحديث الثقات ، وله مؤلفات فيه وفي التفسير . انظر : تهذيب التهذيب ٨٠/٨ وما بعدها ، الباب ٢٣٠/٢ (الأعلام ٢٥٤/٥) .

(٥) ساقط من ج .

ألا ذهب التكرُّمُ والوفاءُ وباد رجاله وَبَقِيَ الغشَاءُ
وَأَسْلَمَنِي الزَّمانُ إلى رجالٍ كأمثال الذئبِ لهم عواءُ
صديقٌ كلما استغنيت عنهم وأعداءُ إذا نَزَلَ البلاءُ^(١)

وقال منصور الفقيه :

يا زمانًا أَوْرَثَ الأَحَدَ رَارَ دَلًّا وَمَهَانَةً
لستَ عِنْدِي بِزَمانٍ إِنَّمَا أَنْتَ زَمانَةٌ
كيف نَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا وَالْعَلَا فِيكَ مُمَّانَةٌ
أَجْنُونًا ما نَراهُ مِنْكَ يَبْدُو أَمَّ مَجَّانَةٍ^(٢)

وقال آخر :

كنا مُنْعَيِّرٌ مِنْ يَأْتِي بِفاحِشَةٍ وَالنَّاسُ يَرْعَوْنَ حَقَّ الدِّينِ وَالْحَسْبِ
فالنَّاسُ قَدْ تَرَكُوا التَّعْيِيرَ كُلَّهُم لَمَّا اسْتَوَى النَّاسُ فِي الْفَحْشَاءِ وَالْكَذِبِ

وقال آخر :

ذهب الوفاءُ ذهابَ أَمْسِ الذَّاهِبِ فَالنَّاسُ بَيْنَ مُجَامِلٍ وَمُوَارِبٍ

(١) انظر الأبيات مع أخرى في عيون الأخبار ٣٤٥/٢ ، وفيه : إذا ذهب بدل ألا ، وجهه بدل نزل .

(٢) نسبت الأبيات التالية في معجم الأدباء ٩/١٩ ، خاص الخاص ١١١ إلى أبي الحسن بن لسكك البصري ، والزمانة : العاهة ، والمجانة : عدم المبالاة بقول أو فعل .

وقال آخر :

ذهب التكرم والوفاء من الورى وتقرّصنا إلا من الأشعار
وفشت خيانات الثقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الأبصار

ولعبد الله بن عبد العزيز بن ثعلبة اليمقوبى الشذونى :

مضى دهر السّماح فلا سّماح ولا يُرجى لدى أحدٍ فلاح
رأيتُ الناسَ قد مُسخُوا كلابا فليس لديهمُ إلاّ النّباحُ
وأضحى الظّرف عندهمُ قبيحا ولا واللهِ إنهمُ القَباحُ
سلامٌ أهلَ إبليسِ عليكمُ فإنّ البين أوشكه الرّواحُ
نروح فنستريحُ اليومَ منكم ومن أمثالكم قد يُستراحُ
إذا ما الحرُّ هان بأرضِ قومٍ فليس عليه فى هربٍ جُنّاحُ

وقال آخر :

مضى الجود والإحسانُ واجتثَّ أصلُهُ وأُخذ نيرانُ النّدى والمكارمِ
وصرتُ إلى ضربٍ من الناسِ آخرٍ يروُنَ العُلا والمجدَ جمعَ^(١) الدّراهمِ
كأنهمُ كانوا جميعاً تعاقدوا على اللّؤمِ والإمساكِ فى صلبِ آدمِ

(١) فى ١ : كسب .

كان بلال لما قدم المدينة ينشد تشوفاً إلى مكة ، ويرفع عقيرته^(١) :

(٣) ألا ليت شعري هل أيتن ليلةً بوادٍ وحولٍ إذخر وجليلُ
و هل أريدن يوماً مياه مجنةٍ و هل يبدون لي شامةً وطفيل^(٢)

ولا بن ميّادة واسمه الرّمّاح^(٣) :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلةً بحرّة ليلي حيث ريّنتني أهلي
بلادُ بها نيطت على تماغي وقطّعت عني حين أدركني عقلي^(٤)

وقال آخر :

أحبُّ بلاد الله ما بين منعجٍ إلى وسلّمي أن يصوب سحابها
بلادُ بها عّقّ الشباب تماغي وأول أرض مسّ جلدي تراها^(٥)

وقال آخر :

أحنُّ إلى دهرٍ مضى بغضارةٍ إذا العيش رطب والزمان مواتي

(١) انظر البيتين في أمالي القالي ١/٢٤٦ ، العقد الفريد ٥/٢٨٢ ، معجم البلدان مادة مكة .

(٢) في معجم البلدان بفخ ، والإذخر حشيش طيب الرائحة ، والجليل ويسمى أيضاً الثمام نبت يستعمل في بعض علاجات العين . ومجنة جبل لبنى رثل بتهامة ، وشامة وطفيل جبلان قرب مكة .

(٣) ساقط من أ .

(٤) البيتان في الأغاني ٢/١٠٤ ، زهر الآداب ٣/١٠٣ ، المصون ٢٧ . وفي أ : بوادي الحزامي بدل حرة ليلي ، ونيطت : شدت ، والتماغي : ما يعلق على الصبيان من الأحجية لحفظهم من العين ونحوها .

(٥) نسب البيتان في عيون الأخبار ٢/٢٧٦ إلى امرأة من طيء ، وانظر زهر الآداب ٣/١٠٠ ، أمالي القالي ١/٨٣ ، الكامل ١/٤٠٦ ، فهناك اختلاف يسير في الرواية ، ومنعج واد يصب في الدهناء وهي أرض =

وأبكى زماناً صالحاً قد فقدته يقطع قلبي ذكره حشرات
تمطى علينا الدهر في متن قوسه ففرقنا منه بنبل شتات

وقال متمم بن نويرة^(١) :

وكنا كبندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

وقال آخر :

خسون عاماً تولت في تصرفها عسرت ويسر على الحالين أشهد
لم أبك من زمن صعب لشدة إلا بكيت عليه حين أفقده
وما جزعت على ميت فجعت به إلا ظلمت لستر القبر أحسده
وما ذممت زماناً في تقلبه إلا وفي زمني قد ضرت أحمد

ولأبي عبد الرحمن العطوي ، واسمه محمد بن عطية :

سألت عن سبب الإقتار والعدم وعن زوال الندى في العرب والمعجم

لتميم بنجد ، ويروى بدل منعج مشرف ، ويصوب : ينزل ويراق . عرق الشباب تنامي أي شقها والمعنى أنني بلغت سن الشباب بها بعد الصبا .

(١) متمم بن نويرة بن حجرة اليربوعي النخعي ، شاعر كبير من أشرف قومه ، اشتهر في الجاهلية والإسلام ، وأشهر شعره هو ما قاله في أخيه مالك الذي قتل في حروب الردة ، وسكن متمم المدينة في أيام عمر وتوفي بها نحو سنة ٥٣٠ هـ . انظر في ترجمته الأعلام ١٥٥/٦ والمراجع الكثيرة في هامشه ، وانظر البيهقي في الكامل ٢٩٦/٢ ، الشعر والشعراء ١٩٣ ، معجم الشعراء ٤٦٦ .

نُودِي^(١) : دَوْتُ أَنْجَمُ الْإِفْضَالِ وَاشْتَمَلَتْ
 أَنْعَى إِلَيْكَ مَوَاسَاةَ الصَّدِيقِ وَمَا
 أَنْعَى إِلَيْكَ خِلَالَ الْفَضْلِ قَاطِبَةً
 أَيْنَ الْوَفَاءِ الَّذِي قَدْ كَانَ يَعْرِفُهُ
 أَيْنَ الْجَمِيلُ الَّذِي قَدْ كَانَ مُلْتَبَسًا^(٤)
 أَيْسِرُ وَأَنْتَ صَدِيقُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 فَإِنْ وَجَدْتَ صَدِيقًا عِنْدَ نَائِبَةٍ
 لَمَّا أَنَاخَ عَلَى الدَّهْرِ كُلَّكَ
 نَادَيْتُ مَا فَعَلَ الْأَحْرَارُ كُلُّهُمْ
 قَالُوا : حَدَا بِهِمْ رَيْبُ الزَّمَانِ فَسَلْ
 أُمُّ التَّوَاصِلِ^(٢) فِي الدُّنْيَا عَلَى عُقْمٍ
 قَدْ كَانَ يَرْعَى مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالذَّمِّ
 لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا دَارِسُ الْعِلْمِ
 قَوْمٌ لِقَوْمٍ وَأَيْنَ الْحِفْظِ لِلْحُرَمِ^(٣)
 أَهْلَ الْوَفَاءِ وَأَهْلَ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ
 ثُمَّ ابْتَلُ سِرَّهُمْ فِي حَالَةِ الْعَدَمِ
 فَلَسْتَ مِنْ طَرَقَاتِ الْخَيْرِ^(٥) فِي أُمَمٍ
 وَخَانِي كُلُّ ذِي وَدٍّ وَذِي رَحِمٍ
 أَهْلُ النَّدَى وَالْهَدَى وَالْبُعْدِ فِي الْهِمَمِ
 أَحَدَانَهُ عَنْهُمْ تَخْبِرُكَ عَنْ رِمَمِ^(٦)

روينا عن عبد الله بن مصعب الزبيري^(٧) أنه قال : خرجنا إلى الغزو زمن

(١) في ح : نادى .

(٢) في أ : أم الفواضل .

(٣) أ : للخدم .

(٤) أ : يلبسه .

(٥) أ : الحزم .

(٦) أ : أُمَم .

(٧) عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي ، أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة ، ولي الإمامة أيام الخليفة المهدي ، ثم ولاه الرشيد المدينة وأضاف إليها اليمن توفى بالرقعة

مروان بن محمد حتى إذا كنّا ببعض الطريق أصابنا مطرٌ وابل ، فقلنا إلى قصر رفع^(١) لنا فصرنا إلى فنائه ، إذ خرجت وليدة فقالت : بأبي وأمي ! من أين أنتم ؟ فقلنا : من مكة . فتنفست الصعداء ، وأنشأت تقول :

من كان ذا سَكَنٍ بالشَّامِ يَأْلَفُهُ فَإِنَّ فِي غَيْرِهِ أَمْسَى لِي السَّكَنُ
وإنّ ذا القصر حَيٌّ مابِه وطني لكنّ بمكة أَمْسَى الأهلُ والوطنُ
من ذا يسأل عَنَّا أين منزلُنا فالأقْحَوَانَةُ مِنّا منزلٌ قَمِينُ
إذ نلبسُ العيشَ صفوًّا ما يكدرُهُ ضِغْنُ الوُشَاةِ ولا يَنْبُوبُنَا الزَّمَنُ^(٢)

قال : فمضينا في غزونا حتى إذا قضينا شأننا وقفنا راجعين ، أخذنا المساء عند ذلك القصر ، فأضافنا صاحبه وأحسن ضيافتنا ، فقلت له : ثمّ حاجة . فقال : وما هي ؟ قلت : وليدة صفتها كذا ، إما أن تبيع وإما أن تهب ، فقال : ما شاء الله كان ، والله لو كانت حية ما مضيت إلّا بها ، ولكنها ماتت منذ أيام تلهفًا على مفارقة من نشأت معه .

روينا من وجوه أن أبا خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج فقيه مكة^(٣)

(١) في ١ : وضع .

(٢) الأبيات للعارف بن خالد المخزومي ، انظرها في الأغاني ٣/٣٢٥ ، وانظر البيت الثالث في الكامل ١٧/٢ ، والرواية فيه وفي ١ : من كان يسأل عَنَّا أين منزلنا ، والأقْحَوَانَةُ : موضع قرب مكة .

(٣) كان إمام أهل الحجاز في عصره ، ويمد أول من صنف التصانيف في العلم بمكة ، وهو رومي الأصل من موالى قریش ، مكى المولد والوفاة ، مات سنة ١٥٠ . انظر تاريخ بغداد ١٠/٤٠٠ (الأعلام ٣٠٥/٤) .

رضى الله عنه ، خرج إلى اليمن إلى معن بن زائدة في دين ركبته ، قال : فلما نزلت عليه
رحب بي وسهّل ، وقال : ما أقدمك هذه المدرة ؟ فقلت : دين ركبني لم تف به
جائزة أمير المؤمنين ؛ فضاق ذرعى فلم أر له سواك ، فخرجت إليك . فقال : قدمت
خير مقدم ، يُقضى دينك وتنصرف محبوراً إلى وطنك . قال : فأقمت عنده شهوراً
في أحسن مشوى وأكرم ضيافة ، فإني لخارج من عنده يوماً إذ رأيت الناس يتأهبون
إلى الحج ، فأدركتني وحشة ، ولم أملك العبّرة ، وحنّت نفسي إلى الوطن ، فرجعتُ
إليه وقد اغرورقت عيناي بالدموع ، فقال لي : مالك ؟ قلت : رأيت الناس في أهبة
الحج^(١) ^(٢) والخروج إلى مكة^(٣) فذكرتُ أبياتاً لعمر بن أبي ربيعة حملتني على ما ترى .
قال : وأى أبياتٍ عمر هي ؟ فقلت : قوله^(٤) :

هيهات من أمة الوهاب منزلنا إذا نزلنا بسيف البحر من عدن
واحتلّ أهلك أجيادا فليس لنا إلا التذكر أو حظ من الحزن^(٥)
بل مانسيتُ غداة الخيف^(٥) وموقفي ، وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو سنن^(٦)

(١) في : يتأهبون للحج .

(٢) ساقط من أ .

(٣) الأبيات في ديوانه ١٢٦/٢ . وانظرها مع القصة في الأغاني ١١١/١ .

(٤) ساقط من ح . وسيف البحر : ساحله . وأجياد : موضع بمكة سمي بذلك لأن تبعاً حين نزل مكة

ربط فيه جياده ، وقيل غير ذلك ، انظر معجم البلدان ٢١٣/٢

(٥) الخيف : موضع بمعنى .

(٦) ذو سنن : ذو طرائق .

بِاللهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ : مَاذَا أُرِدْتَ بِطَوْلِ الْمَسْكَثِ فِي الْيَمَنِ
 إِنْ كُنْتَ حَاولْتَ دُنْيَا أَوْ رَضِيتَ بِهَا فَمَا أَخَذْتَ بِتَرْكِ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ

فَقَالَ : أَتَعَزِّمُ عَلَى الرَّحِيلِ وَالرَّجُوعِ إِلَى وَطْنِكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : صَحْبَتُكَ
 السَّلَامَةُ ، وَرُزِقْتَ الْعَافِيَةَ . وَخَرَجْتَ مِنْ عِنْدِهِ فَمَا وَصَلْتُ إِلَى مَوْضِعِي ، حَتَّى سَبَقَنِي
 خَمْسَةُ عَشَرَ بَغْلًا عَلَيْهَا عَصَبُ الْيَمَنِ ^(١) ، وَدِرَاهِمٌ ، وَضُرُوبٌ مِنَ الْخَيْرِ ، فَقَصَصْتُ دِينِي
 وَتَأَثَّلْتُ مِنْهُ كَنْزًا ^(٢) مِمَّا بِيَدِي الْيَوْمَ .

(١) نوع من الفِزَلِ اليمَنِي مشهور .

(٢) في ١ : كَثِيرًا .

باب مدح مغالبة^(١) الهوى وذم اتباعه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُبِّكَ الشَّيْءُ يُعْمَى وَيُصَمَّ » .

قال وهب بن منبه : العقل والهوى يصطرعان ، فإيهما غلب مال بصاحبه .

قال ابن دريد :

وَأَفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَىٰ فَمَنْ عَلَا عَلَى هَوَاهُ فَقَدْ نَجَا

قال عمر بن عبد العزيز : أفضل الجهاد جهاد الهوى .

قال بعض الحكماء : من نظر بعين الهوى خاف ، ومن حكم بالهوى جار .

قال سفيان الثوري : أشجع الناس أشدهم من الهوى امتناعاً .

وقال : من المحقرات تنتج الموبقات .

ويقولون : إن هشام بن عبد الملك لم يقل بيت شعر قط إلا هذا :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَىٰ قَادَكَ الْهَوَىٰ إِلَىٰ بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ^(٢)

(١) في ١ : باب ذم معالنة ... الخ .

(٢) انظر البيت في الكامل ٢٣٦/١ ، محاضرات الأدباء ٢٥٤/١ ، وورد في البيان ١٦٩/٣ برواية

مختلفة هي :

إِذَا مَا أَطَعْتَ النَّفْسَ مَالَ بِكَ الْهَوَىٰ إِلَىٰ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ

(١) قلت : لو قال :

إلى كل ما فيه عليك مقال (٢)

كان أبلغ وأحسن .

قال بعض الحكماء : إنما يحتاج اللبيب ذو الرأي والتجربة إلى المشاورة ليتجرد له رأيه من هواه .

قال بعضهم : اعص النساء وهواك ، واصنع ما شئت .

قلت (٣) : لو قال اعص الهوى لا كتنفى .

قيل للمهلب : بم ظفرت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى .

قالوا : ما ذكر الله تعالى الهوى في شيء من القرآن (٤) إلا ذمه .

قيل لشريح : أحمد الله لما سلمك من الفتن . قال : كيف أصنع بقلبي وهواي ؟

قال بزرجمهر : الهوى غالب ، والقلوب مغلوبة .

قال امتدح بترك الهوى جماعة من الحكماء ، قال الزبير بن عبد المطلب :

(١) في ح : قال أبو عمر .

(٢) ساقط من أ .

(٣) في أ ، ح : قال أبو عمر .

(٤) أ : في كتابه .

وأجتنبُ البوائقَ حيث كانت وأتركُ ما هويتُ لما خشيتُ^(١)

أخبرنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا نصر بن محمد الأسدي الكوفي ،
حدثنا إبراهيم بن عثمان المصيصي ، حدثنا مُخَلَّد بن حسين ، حدثنا هَاشِم
ابن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : بينما عمر بن الخطاب يجوس ذات ليلة إذ سمع
امرأة وهي تقول :

هل مِن سبيلٍ إلى خمرٍ فأشربَها أم من سبيلٍ إلى نصرٍ بن حجاجٍ

فلما أصبح قال : عليّ بنصر . فجىء به ، فإذا هو أجمل الناس ، فقال : إنها المدينة
فلا تساكني فيها . فخرج إلى البصرة فنزل على ابن عمِّ له ، هو أمير البصرة ،
فبينما هو جالس مع ابن عمه وامراته ، إذ كتب في الأرض : إني لأحبُّك حبًّا لو
كان فوقك لأظلك ، ولو كان تحتك لأقلَّك . فقرأتها وكتبت تحته : وأنا . وكان
الأمير لا يقرأ ، فعلم أنه جوابُ كلام ، فأكفأ عليه إناءً وقام وبعث إلى من
يقرأه ، فبلغ ذلك نصرًا ، فلم يجيء إليه ، ومرض حتى سلَّ وصار شبه الفرخ ، فأخبر
الأمير بذلك ، فقال : اذهبي إليه ، فأبت ، فقال : عزمتُ عليكِ إلا ذهبتِ إليه
وأسندتهِ إلى صدرك وأطعمته .

قال : فلما أتت الباب قيل له : هذه فلانة . فكأنه انتعش شيئًا ، فصعدت

(١) انظره في عيون الأخبار ٦٦/٢ .

إليه وأسندته إلى صدرها وأطعمته ، فأفاق ، فخرج من البصرة واستحيا من ابن عمه فلم يلقه بعدها .

قال إبراهيم بن عثمان :^(١) الأمير مجاشع بن مسعود السلمي ، وامراته الخضراء^(٢)

^(١) قال إبراهيم بن عثمان : وأخبرني محمد بن كثير ، أن نصر بن حجاج كتب إلى عمر رضى الله عنه :

لَعَمْرِي لئن سَيَّرْتَنِي وَحَرَمْتَنِي وما جئتُ ذَنْبًا إِنّ ذَا حَرَامٍ^(٢)
ومالي ذَنْبٌ غَيْرَ ظَنٍّ ظَنَنْتَهُ وفي بعضِ تصديقِ الظنونِ أَثَامُ
أَنَّ غَنَّتِ الذَّلْفَاءُ يَوْمًا بِمُنْيَةٍ وبعضُ أُمَانِيّ النساءِ غَرَامُ
ظَنَنْتَ بِي الأمرَ الَّذِي لو أَتَيْتُهُ لما كان لي في الصّالحينِ مقامُ^(٣)

(١) ساقط من ١ ، هذا وقد ذكر في الأغاني ١٩ / ١٤٣ أن اسم امرأة الأمير هو شميلة بنت جنادة بن أبي أزهر الزهرانية ، وفي هامش عيون الأخبار ٤ / ٢٤ أورد ماجاء في تاج العروس مادة شمل من أن اسمها هو شميلة بنت أبي أزهر الدوسي زوج مجاشع بن مسعود السلمي أمير البصرة ، وقال وفي تزوين الأسواق لداود الأنطاكي أنها شميلة بنت أبي حياء بن أبي بهر ، وكانت مع أجمل النساء وعلى أي حال فقد اتفقت الروايات على أن اسمها شميلة فلعل ما ذكره المؤلف من أنها الخضراء هو لقب لها . وبهذه المناسبة فقد وردت هذه القصة في المراجع السابقة وفي المحاسن والأضداد ١٨٩ بما لا يخرج في مضمونه عن هنا ، وأوردها ابن أبي الحديد في نهج البلاغة ٣ / ١٥٢ بفضل تفصيل إلى حد أنه تتبع حياة نصر ، وذكر له قصصا غرامية أخرى ، ويبدو أن الجزء الأول من القصة هو ما قد حدث فعلا ، أي حادث النفي وما سبقه ، أما الجزء الثاني وأبيات نصر التي كتبها إلى عمر فمشكوك فيها وقد قال ابن قتيبة عن الأبيات في العيون : أحسب هذا الشعر مصنوعا .

(٢) في العيون : لعمرى إن . وفي اصيرتنى .

(٣) في العيون : ظننت بي الظن الذي ليس بعده بقاء ومالي في الندي كلام

وَيَمْنَعُنِي مِمَّا تَمَنَّتْ حَفِظَتِي وَأَبَاءُ صِدْقٍ صَالِحُونَ كِرَامٌ^(١)

وَيَمْنَعُهَا مِمَّا تَمَنَّتْ صَلَاتُهَا وَبَيْتٌ لَهَا فِي قَوْمِهَا وَصِيَامٌ^(٢)

فِيهِمَا تَانِ حَالَانَا فَهَلْ أَنْتِ رَاجِعِي فَقَدْ جُبَّ مَنِّي غَارِبٌ وَسَنَامٌ^(٣)

قال بعض الحكماء : الهوى عدو العقل ، فإذا عرض لك أمران ولم يحضرك من
تساوره فاجتنب أقربهما إلى هواك .

ومما ينسب إلى الشافعي ، وأظنه لسهل الوراق :

إِذَا حَارَ ذَهْنُكَ فِي مَعْنِينَ وَأَعْيَاكَ حَيْثُ الْهَوَى^(٤) وَالصَّوَابُ

فَدَعْ مَا هَوَيْتَ فَإِنَّ الْهَوَى يَقُودُ النُّفُوسَ إِلَى مَا يَمَابُ

قال غيره : اغتتم من الخير ما عجلت ، ومن الهوى ما سوفت .

كان يقال : إذا غلب عليك عقلك فهو لك ، وإن غلب عليك هواك فهو
لعدوك .

قال عمر لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال : من كان رأيه راداً لهواه .

(١) في العيون : تـكـرمـى بدل حفيظتي ، وسالفون بدل صالحون .

(٢) رواية العيون : خباؤها وحال لها مع عفة .

(٣) رواية العيون : وقد خف مني كاهل وسنام .

(٤) في ١ : الهدي .

قال أعرابي : ما أشدَّ جولة الرأى عند الهوى ، وأشدَّ فطام النفس عند الصبر .

قال نَفْطَوِيَّةُ :

إِنَّ الْمَرَّائِي لَا تَرِي لَكَ خَدُوشَ وَجْهِكَ فِي صَدَاهَا
وَكَذَاكَ نَفْسُكَ لَا تَرِي لَكَ غُيُوبَ نَفْسِكَ فِي هَوَاهَا^(١)

وعن نفطويه ، قال : تضيف صديق^(٢) لي من أهل الأدب إلى امرأة من أهل البصرة ، فتعرض لها ، فقالت : أيها الرجل ! مالك حظ في غيرة الرجال على الحرم ، فيكون ذلك زاجراً لك عن التعرض لحرم غيرك ، إن لم يكن لك ناهٍ من دين ؟ أما علمت أن الأمور إلى أواخرها تؤول إلى أوائلها ، وإن من عود نفسه الرّفت والخنّا كان كمن اتخذ المزابيل مجلساً ، وقلما يجن^(٢) رجل إلا هلك .

قال الشاعر :

الْحُبُّ زُورٌ وَالْهَوَى بَاطِلٌ وَالْقَلْبُ مَا أَجْرِيَّتُهُ يَجْرِي
وَتَرَكْتُ مَا تَهْوَى يَسِيرٌ إِذَا أَعْمَلْتُ فِيهِ سَمَةَ الطَّيْدِرِ

وقال منصور النمرى :

(١) نسب البيتان إلى منصور الفقيه في : محاضرات الأدباء ٧/١ ، فصل المقال ٢٤٤ ، التمثيل والمحاضرة

(٢) في ١ : سَخَف .

وإنَّ امرئاً أودى الغرام^(١) بلُّبه لერიان من ثوبِ الفلاحِ سَلِيبُ

قال آخر :

عينُ المحبِّ كليلَةٌ عن عيبِ كلِّ فتى يود

قال عمر بن أبي ربيعة :

حَسَنٌ في كُلِّ عينٍ من تود^(٢)

وقال رَوْحُ أبو هَمَّام^(٣) :

وعينُ السُّخْطِ تبصرُ كلَّ عيبٍ وعينُ أخى الرِّضا عن ذاك تَعْمَى

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

فعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلَةٌ ولكنَّ عينُ السُّخْطِ تُبْدى المَسَاوِيَا

قال أبو العتاهية :

والمرءُ يعمى عَمَّنْ يحبُّ فإنَّ أقْصَرَ عن بعضِ ما بهِ أبْصَرَ^(٤)

(١) في : أودى المرام ، وفي ح : أزرى المدام .

(٢) عجز بيت ، وصدره .

فتضاحكن وقد قلن لها . انظر ديوانه ٤٥/١

(٣) انظر البيت في الحيوان ٤٨٨/٣ ، واسم الشاعر هناك : روح بن عبد الأعلى أبو هام ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٤) لم يرد هذا البيت في الديوان المطبوع .

بابُ معنى عِشْقِ النِّسَاءِ والهوى فيهن

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودين ،
أسلبَ لعقول ذوى الألبابِ منكن » .

سُئل بعض الحكماء عن العشق ، فقال : شغلُ قلبٍ فارغ .

وجد في صحيفةٍ لبعض أهل الهند : العشقُ ارتياحٌ جُعِلَ في الروح ، وهو معنى
تنتجه النجوم بمطارح شعاعها ، وتولد الطوالع بوصلة أشكالها ، وتقبله النفوس
بلطف خواطرها ، وهو بعدُ جلاء للقلوب ، وصيقل للأذهان ما لم يُفْرط ، فإن
أفْرط عاد سُقما قاتلا ، ومَرَضاً مُنْهكا ، لا تنفذُ فيه الآراء ، ولا تنجعُ فيه الحيل ،
العلاج منه زيادة فيه .

حضر عند المأمون يوماً يحيى بن أكثم ، وثمانمة بن أشرس ، فقال المأمون
ليحيى : خبرنى عن حدِّ العشق . فقال : يا أمير المؤمنين ! سوانح تسنح للعاشق
يؤثرها ويهيم بها تسمى عشقا . فقال ثمانية : اسكت يا يحيى ، فإنما عليك أن تجيب
في مسألة من الفقه ، وهذه صناعتنا . فقال المأمون : أجب يا ثمانية . فقال : يا أمير
المؤمنين ! إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة أثبت^(١) لمح

(١) في ح : أثبتت .

نورٍ ساطعٍ تستضيء به بواطن^(١) العقل فتتهتز لإشراقه طبائع الحياة ، ويتصور من ذلك اللحم نور حاضر^(٢) بالنفس متصل بجوهرها فيسمى عشقا^(٣) .

وصف أعرابي عاشقا ، فقال : كان يستر عينا قد درت ما قيها ، ويحنو على كبد قد أعت مداويها^(٤) .

ذكر رجل أيام شبابه وامرأة كان يهواها ، فقال : ذلك هوئى شربته النفس أيام شبابه ، فاستخفت بالعاذلات^(٥) وعتابها .

وصف بعض الحكماء الهوى الذى هو عشق للنساء ، فقال : بطن فرق ، وظهر فكثف ، وامتنع وصفه عن اللسان فهو بين السحر والجنون ، لطيف المسلك والكُمون .

وقال بعض الأدباء : الهوى جليس ممتع ، وأليف مؤنس وصاحب ممالك ، مسالكة لطيفة ، ومذاهبه متضادة وأحكامه سائرة^(٦) ، ملك الأبدان وأرواحها ، والقلوب وخواطرها ، والعيون ونواظرها ، والعقول وآراءها ، وأعطى عنان

(١) ح : نواظر .

(٢) ح : ويتصور من ذلك اللحم نور خاطر ... الح .

(٣) انظر هذا الخبر مع اختلاف قليل فى الألفاظ فى العقد الفريد ٣١٧/٢ ، وفيه : أن المأمون سأل عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب فقال ... الخ

(٤) فى ١ : مداواتها .

(٥) ح : بالنازلات .

(٦) ١ : جائرة .

طاعتها^(١)، وقادّ تصرفها، توارى الأبصار مدخله، ونمّض في القلوب مسلكه.

قال عباس بن الأحنف، فيما أنشده إسحاق الموصلي له.

فلو كان لي قلبانٍ عشتُ بواحدٍ وخلّيتُ قلباً في هواك يُمذّبُ
ولكنّا أحيا بقلبٍ مُروّعٍ فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يقربُ
تعلمتُ ألوانَ الرّضا خوفَ سُخطها وعلمّها حبّي لها كيف تَغضبُ
ولي ألفُ وجهٍ قد عرفتُ مكانه ولكنّ بلا قلبٍ إلى أين أذهبُ^(٢)

والصّمة^(٣) القشيري :

لعمري لئن كنتم على النّأي والغنى بكم مثل ما بي إنكم لصديقُ
إذا زفراتُ الحبّ صعدن في الحشى ردّدتَ ولم يُفتحَ لهن طريقُ^(٤)

لعباس بن الأحنف^(٥) :

أرى الطّريقَ قريباً حين أسلكه إلى الحبيبِ بعيداً حين أنصرفُ

(١) ١ : زمام أعنتها .

(٢) ديوانه ١٦ .

(٣) ساقط من ١ : والصّمة القشيري هو الصّمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرّة القشيري ، شاعر غزل ، بدوي ، من شعراء العصر الأموي ، ومن العشاق المتيّمين ، كان يسكن بادية العراق وانتقل إلى الشام بعد فشله في التّزوج بمحبوبته ، ثم خرج غازياً يريد بلاد الديلم فمات بطبرستان نحو سنة ٩٥ هـ . انظر الأغاني ١٢٦/٥ طبعة الساسي ، خزانة البغدادى ١/٤٦٤ (الأعلام ٣/٣٠٠) .

(٤) انظر البيتين في أمالي القالى ١/٢٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٣٧ ، ورواية الأمالي : كررن فلم يفاق ، ورواية المحاضرات : ردّدن ولم يوجد لهن . وفي ١ : ينهج بدل يفتح .

(٥) ديوانه ١٥٢ .

أُنشدنا أبو القاسم محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه في معنى بيت

عباس هذا :

أمرُ نَشِيطًا إِذَا زُرْتَكُمْ وَأَرْجِعُ كَسْلَانًا لَا أَنْشَطُ
وَسِيرُ الْمَطِيَّةِ مَا كَدَّنِي وَلَكِنْ هَوَى لَكُمْ مُفْرِطُ

وقال العباس بن الأحنف^(١) :

يَقْرَبُ الشَّوْقُ دَارًا وَهِيَ نَازِحَةٌ مِنْ عَالَجِ الشَّوْقِ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا

وله^(٢) :

مُتُّ عَلَى مَنْ غَبْتَ عَنْهُ أَسَفًا لَسْتُ مِنْهُمْ بِمَصِيبٍ خَلْفًا
لَنْ تَرَى قَرَّةَ عَيْنٍ أَبَدًا أَوْ تَرَى نَحْوَهُمْ مَنْصَرَفًا
قُلْتُ لَمَّا شَفَّنِي وَجَدَى بِهِمْ : حَسْبِيَ اللَّهُ لَمَّا بَى وَكَفَى
بَيْنَ الدَّمْعِ لِمَنْ يُبْصِرُنِي مَا تَضَمَّنْتُ إِذَا مَا ذَرَفَا

ولمحمد اليزيدي :

أَتَيْتُكَ عَائِدًا بِكَ مِنْ كَ لَمَّا ضَاقَتْ الْحِيلُ

(١) ديوانه ٢٧٤

(٢) الديوان ١٤٠

وصيرني هواك وبى لحينى يضرب المشل
فإن سلمت لكم نفسى فما لاقته جلال^(١)
وإن قتل الهوى رجلاً فإننى ذلك الرجل

كتب المهدى إلى الخيزران وهو بمكة :

نحن فى أفضل الشرور ولكن ليس إلا بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودى أنكم غبتم ونحن حضور
فأجدوا المسير ، بل إن قدرتم أن تطيروا مع الرياح فطيروا^(٢)

فأجابته :

قد أتانا الذى وصفت من الشؤ ق فكدنا وما فعلنا نطير
ليت أن الرياح كن يؤدى ن إليكم ما قد يحن الضمير
لم أزل صبةً فإن كنت بعدى فى سرور فدام ذاك السرور

قال بعض الأدباء : ما أشد جولة الرأى عند الهوى وفطام النفس عند الصبا^(٣) ،

لقد تصدعت كبدى للمحبين ، لوم العاذلين قرطة فى آذانهم ، ونيران متأججة

(١) فى ح : جدل ، والجلل : الهين الحفير ، ويطلق أيضا على العظيم ، ضد .

(٢) انظر الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/ ٣٠٧ .

(٣) فى أ : الصبر .

في أبدانهم ، لهم دموع غزيرة على المغاني ، كغروب السَّوَانِي^(١) ، وأنشد :

سقى الله أطلالاً ليلي وشققت
عليهن من غرّ الغمام جُيُوبُ
فما تقشعرُّ الأرضُ إن نزلت بها
ولكنها تُزهِى بها وتطيبُ

وقال آخر :

وقال أناسٌ : لا يضيرُك نأياها
بلى كلُّ ما شَفَّ النفوسَ يضيرُها
أليس يضيرُ العينُ أن تكثرَ البكا
ويُمنعَ منها نومُها وسرورُها^(٢)

وقال آخر :

فلو أن شَرَقَ الشَّمْسُ بيني وبينها
وأهلي وراءَ الشمسِ حيثُ تغيبُ
لحاولتُ قطعَ الأرضِ بيني وبينها
وقال الهوى لى : إنه لقريبُ

وقال الصَّمَّةُ بن عبد الله القشيري :

إذا ما أتنَّا الرِّيحُ من نحو أرضكم
أتينَّا بريًّاكم فطاب هُبوبُها
أتينَّا بريحِ المسك خالط عَنبرًا
وريحِ الخُزَامِي بَاكَرَتِهَا جَنُوبُها^(٣)

(١) السواني جمع سانية ، وهي الدلو العظيمة ، وغروبها مأوها . وتشبه العين بالسانية عندما تفيض منها الدموع .

(٢) البيتان في حماسة أبي تمام ١٢٦/٢ ، أمالي القالي ٨٨/١ منسويين لتوبة بن الحمير ، وانظر المحاسن والأضداد ١٢٥ ، ورواية ١ : يضير النفس يدل العين .

(٣) البيتان في الأغاني ١١٥/٤ .

وقال آخر:

نصافَ قلبى الهوى فأكثر سهوى وجوى الحب مفضح كل حلو
لو علا بعض ما علانى ثبيراً^(١) ظل ضعفاً ثبير من ذاك يهوى
من يكن من هوى الغواني خلواً يا ثقاتى فإنتى غير خلوا

^(٢) قال العباس بن الأحنف :

جرى السيل فاستبكا نى السيل إذ جرى وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك إلا أن تيقنت أننى أمر بواد أنت منه قريب
يكون أجاباً قبلكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب
أياً ساكنى شرق دجلة كلكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب^(٣)

قال بعضهم : لو لم يكن فى العشق إلا أنه يشجع قلب^(٤) الجبان ، ويسخى كف
البخيل ، ويصنّى ذهن النبى ، ويبعث حزم العاقل ، ويخضع له عز الملوك ، وتصرع
له صولة الشجاع ، وينقاد له كل ممتنع ، لكفى به شرفاً .

قال الأصمعى : سمعت أعرابياً يقول : إذا ترنمت هتوف الضحى^(٤) على الفصول ،

(١) اسم يطلق على عدة جبال خارج مكة .

(٢) ساقط من ج ، وانظر الأبيات فى الديوان ١٦ .

(٣) فى ١ : القلب .

(٤) فى ٢ : محبوب الرياح .

أرسلت الشُّنُون^(١) مياها إلى الميوت ، فمن ذاد عينه عن البكا أورت
قلبه حزنا .

عشق أبو القمقام بن بحر السقا امرأة موسرة^(٢) ، فأطمعته في نفسها ، فبعث
يستهديها^(٣) طعاما ، حتى فعل ذلك غير مرة ، فلما أكثر عليها ، بعثت إليه :
رأيت العشق يكون في القلب ويفيض إلى الكبد ، ثم يستبطن الأحشاء ، وحبك
لا أراه تجاوز^(٤) المعدة .

قال أعرابيٌّ من فزارة : عشقت امرأة من طيٍّ ، فكانت تظهر لي مودةً ،
فوالله ما جرى بيني وبينها شيء من ريبة ، غير أنني رأيت يياض كفها ليلة^(٥) ،
فوضعت كفي على كفها ، فقالت : مه ! لا تفسد ماصلح ، فأرفضت عرقا من قولها ،
فما عدت لمثل ذلك .

قال بعضهم : الرجلُ يكتُمُ بُغضَ المرأة أربعين يوما ، ولا يمكنه أن يكتُم
حبها يوما واحدا ،^(٦) والمرأة تكتم حب الرجل أربعين يوما^(٦) ، ولا يمكنها أن

(١) في ١ : الشوق ، والشنون : مجاري الدمع في العين .

(٢) في السكالك ١١/٤ : عشق أبو القمقام بن بحر السقا جارية حدينية ، وقد ورد الخبر هناك بتفصيل
أكثر .

(٣) في ٣ : لسيدتها .

(٤) في ١ : وحبك لايجاوز .

(٥) في ١ : في سواد الليل .

(٦) زيادة يستقيم بها الغرض .

تسكنم بغضه يوما واحداً .

قال يوسف بن هرون^(١) :

دَقَّتْ مَعَانِي الْحُبِّ عَنْ أَذْهَانِهِمْ فَتَأَوَّلُوهُمَا^(٢) أَقْبَحَ التَّأْوِيلِ

وقال كثير :

إِذَا مَا أَرَادَتْ خَلَّةٌ أَنْ تَسْتَمِيلَنَا أَيْدِنَا وَقُلْنَا الْحَاجِيَّةُ أَوَّلُ^(٣)

وقال حبيب :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا^(٤)

لعلى بن الجهم :

يَا سَائِلِي مَا الْهَوَى اسْتَمَعَ إِلَى صِفَتِي الْحُبُّ أَعْظَمُ مِنْ وَصْفِي وَمِقْدَارِي
مَاءُ الْمَدَامِعِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْدُرُهُ فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَاءٍ فَاضٍ مِنْ نَارٍ^(٥)

(١) الكندي الرمادي ، شاعر أندلسي عالي الطبقة ، أصله من رمادة من قرى شلب ، مولده ووفاته بقرطبة مدح المنصور بن أبي عامر ، ثم شاعت عنه أشعار في دولة الخليفة ورجالها فسجن ، وظل في السجن مدة طويلة حتى أفرج عنه . توفي سنة ٤٠٣ هـ . انظر يتيمة الدهر ١/٣٤٤ ، والمطرب من أشعار أهل المغرب ٣ (الأعلام ٩/٣٣٦) .

(٢) في ح : فتأولوا .

(٣) البيت في الديوان ٣/٣١ ، وفيه : تريدنا بدل تستميلنا ، وفي محاضرات الأدباء ٢/٢٢ : إذا واصلتنا خلة كى تزيلها ... عرضنا ، وفي العيون ٤/٢٨ : إذا وصلتنا ... كى تزيلنا .

(٤) في ح : فتعكما ، والبيت في الديوان ٣١٢ ، وقد نسب للمجتون في الحيوان ١/٤٠ ، وتسب لابن الطثرية في العقد الفريد ٥/٤١٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٢ .

(٥) في أ : تخرجه بدل تحدره ، وانظرهما في ديوانه ٣٢ .

وقال أبو التاهية :

أَذَابُ الْهَوَى جَسْمِي وَلَمْ يَ قُوَّتِي فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ النُّضُورُ
رَأَيْتُ الْهَوَى حَجَرَ الْغَضَا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ حُلُورُ^(١)

وقال آخر :

أُسِرْتُ الَّذِي بِي وَالدُّمُوعُ تَبُوحُ وَجِسْمِي سَقِيمٌ وَالْفُؤَادُ قَرِيحُ^(٢)
وَبَيْنَ ضُلُوعِي لَوْعَةٌ لَمْ أَزَلْ بِهَا أَذُوبُ اشْتِيَاقًا وَالْفُؤَادُ صَحِيحُ

وقال الصَّمَّةُ الْقَشِيرِي :

أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرِيَنِي كَذَكْرِيكِ مَا كَفَفْتُ لِلْعَيْنِ مَذَمَمَا
فَقَالَتْ : بَلَى وَاللَّهِ ذَكَرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا^(٣)

وَأَكْثَرُهُمْ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ^(٤) فِي هَذَا الشَّعْرِ قَوْلُهُ^(٥) :

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكُ^(٥) مِنْ لَيْلِي وَشَعْبًا كَمَا مَعَا

(١) لم يرد البيتان في ديوانه المطبوع .

(٢) في ١ : جريح .

(٣) هذا البيتان لم يردا ضمن الأبيات التالية في المراجع ، وقد ذكر ابن خلكان في الوفيات ٤١٣/٥ أن ابن عبد البر وحده هو الذي ذكرهما مع هذه الأبيات في كتابه بهجة المجالس .

(٤) زيادة من ١ . وانظر الأبيات للصمة في الأغاني ١٦٧/٢ ، حساسة أبي تمام ٥٤/٢ ، ٥٥ ، أمالي

القال ١٩١/١ .

(٥) في ٢ : قرايك .

فما حسنٌ أن تأتيَ الأمرَ طائماً^(١) وتجزعَ أن داعي الصَّبابةِ أنهما
 بكيت عيني اليسرى^(٢) فلما زجرتُها عن الجهلِ بعد الحلمِ أمبَلتَا ممّا
 وأذكرُ أيامَ الحمى ثم أنثني^(٣) على كبدِي من خشيةٍ أن تصدّعا
 فليستْ عَشِيَّاتُ الحمى برواجعٍ إليك^(٤) ولكنّ خلَّ عينيك تدمعاً
 ومهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح، وللمجنون أيضاً تنسب^(٥)، والأكثر
 أنها للضمّة؛

(٢) في ح : المعنى .

(١) في ح : عاشق .

(٣) في الحماسة : حتى وجدتني .

(٤) في أ : عليك .

(٥) وبالإضافة إلى هذا فقد نسبت في وفيات الأعيان ١٣/٥ لابن الطائفة ، ونسبت في القصيد الفريد ٣٣/٩ لابن الهميرة .

الفهرس

القسم الأول من كتاب بهجة المجالس

لابن عبد البر

صفحة

تصدير	٣
مقدمة المحقق	٧
مقدمة المؤلف	٣٥
باب آداب المجالسة وحق المجلس الصالح	٣٩
باب حمد اللسان وفضل البيان	٥٤
باب ذم العى وحشو الكلام	٦٠
باب فى اجتناب اللحن ، وتعلم الإعراب ، وذم الغريب فى الخطاب	٦٤
باب اختلاف عبارتهم عن البلاغة	٧١
باب من خطب فأرتج عليه	٧٣
باب حمد الصمت وذم المنطق	٧٥
باب من مزدوج الكلام	٩٠
باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة	٩٤
باب الأدب	١٠٧
باب ترويح القلوب وتنبهها	١١٥
باب قولهم فى وصف العيش وما تتمناه النفس	١١٧
باب اختلاف الهمم فى أنواع المال	١٢٨
باب التجارة	١٣١

صفحة

١٣٧	باب الرزق
١٥٢	باب الحرص والأمل
١٦١	باب ذم السؤال وحمد ما جاء عن غير مسألة من النوال
١٧٥	باب انتظار الفرج
١٨٦	باب الحد والجدة
١٩٥	باب المال حمداً وذمّاً
٢٠٥	باب جامع القول في الغنى والفقر
٢١٥	باب الدين
٢١٧	باب الاقتصاد والرفق
٢٢١	باب السفر والاعتراب
٢٣٨	باب التحول عن مواطن الذل
٢٤٦	باب التوديع والفراق
٢٥٧	باب الزيارة والعيادة
٢٦٢	باب العيادة أيضاً
٢٦٥	باب الحجاب
٢٧٤	باب المصافحة وتقبيل اليد والقبول
٢٨٠	باب الهدية
٢٨٩	باب الجار
٢٩٥	باب الضيف
٣٠٢	باب المعروف
٣١٠	باب الشكر
٣١٧	باب في طلب الحاجات

صفحة	
٣٣١	باب السلطان والسياسة
٣٥٣	من الأمثال في السلطان وصحبته
٣٥٥	باب الكتاب والكتابة
٣٦١	باب الظلم والجور
٣٧٠	باب العفو والتجاوز وكظم الغيظ
٣٧٥	باب الغضب
٣٧٨	باب الرجاء والخوف
٣٨٣	باب العافية والبلاء
٣٨٦	باب المرض والطب
٣٩٣	باب الطاعة والمعصية
٣٩٧	باب الغيبة والنميمة
٤٠٦	باب البغى والحسد
٤٢٦	باب الظن والزكاة
٤٣٠	باب المراء والخصومة والملاحاة
٤٣٧	باب الكبر والعجب والتهيه
٤٤٩	باب الرأى والمشورة
٤٥٨	باب كتمان السر وإفشائه
٤٦٦	باب الحرب والشجاعة والجهن
٤٨٤	باب الاعتذار
٤٩٢	باب المواعيد
٤٩٨	باب عيون من المدح
٥٣٢	باب العقل والحق
٥٤٨	باب من أجوبة الحمقى ومراجعة السخفاء ، وألفاظ النوكى والجهلاء
٥٥٦	باب الملح وما به النفس ترتاح من مباح المزاح

صفحة	
٥٦٥	باب المزاح إباحة وكراهة
٥٧٢	باب مدح الصدق والأمانة ، وذم الكذب والخيانة
٥٧٩	باب الحق والباطل
٥٨٩	باب الحياء والوقار
٥٩٤	باب حسن الخلق وسوئه
٥٩٨	باب مكارم الأخلاق والسؤدد
٦١٥	باب حمد الحلم وذم السفه
٦٢٣	باب مدح الجود والكرم ، وذم البخل واللؤم
٦٤٠	باب المروءة والفتوة
٦٤٨	باب امتحان أخلاق الرجال
٦٦١	باب التودد إلى الناس
٦٦٩	باب الاستيحاش من الناس والفرار منهم
٦٨٤	باب الصديق والعدو
٧٠١	باب جامع متخير في الإخوان
٧٣١	باب الثقلاء والطفيليين
٧٤٣	باب الشامة
٧٤٩	باب مؤاخاة من ليس على دينك
٧٥٦	باب الولد والوالد
٧٧٤	باب الأقارب والموالي
٧٨٧	باب المملوك والمالك
٧٩١	باب الذكر والثناء
٨٠٨	باب مدح مغالبة الهوى وذم اتباعه
٨١٥	باب معنى عشق النساء والهوى فيهن